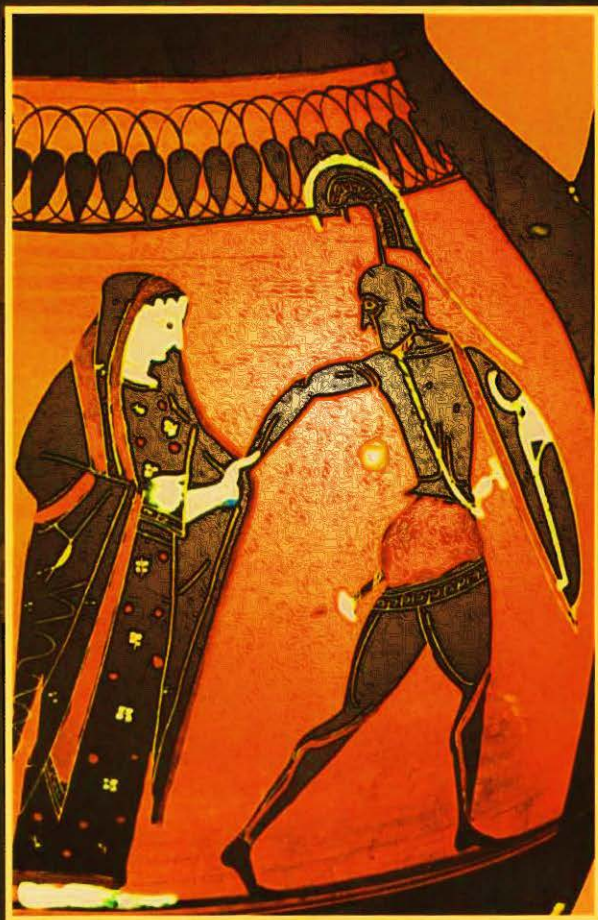


الأساطير



750/2

أحمد عثمان

تحرير ومراجعة

مقدمة

معجم أسطوري كشاف



المركز القومي للترجمة

هوميروس الإلياذة



أحمد عثمان

تحرير ومراجعة

مقدمة

معجم أسطوري وكشاف

شارك معه في الترجمة

منيرة كروان
عادل النحاس

لطفى عبد الوهاب يحيى
السيد عبد السلام البراوى



القاهرة ٢٠٠٨

www.alexandra.ahlamontada.com منتدى مكتبة الاسكندرية



المركز القومي للترجمة
إشراف: جابر عصفور

- العدد: ٢/٧٥٠
- الإلياذة
- هوميروس
- أحمد عثمان
- لطفى عبد الوهاب يحيى
- منيرة كروان
- السيد عبد السلام البراوى
- عادل النحاس
- الطبعة الثانية ٢٠٠٨م

هذه هى الترجمة العربية الكاملة لكتاب:

H TOY OMHPOY IΛΙΑΣ

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومي للترجمة

شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

Elgabalaya st, Opera House, El Gezira, Cairo

Tel: 27354526 - 27354524 Fax: 27354554

E-Mail : egyptcouncil@yahoo.com

بطاقة الشهرسة

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشؤون الضمنية

هوميروس .

الإلياذة . تأليف : هوميروس - ترجمة : نخبة .

تحرير ومراجعة : أحمد عثمان .

ط ٢ - القاهرة : المركز القومي للترجمة : ٢٠٠٨

٨٤٨ ص : ٣١ سم .

١ - الإلياذة

أ - عثمان ، أحمد (محرر ومراجع)

ب- العنوان

٨٨٣

رقم الإيداع ٢٠٠٨/٢٠٤١٥

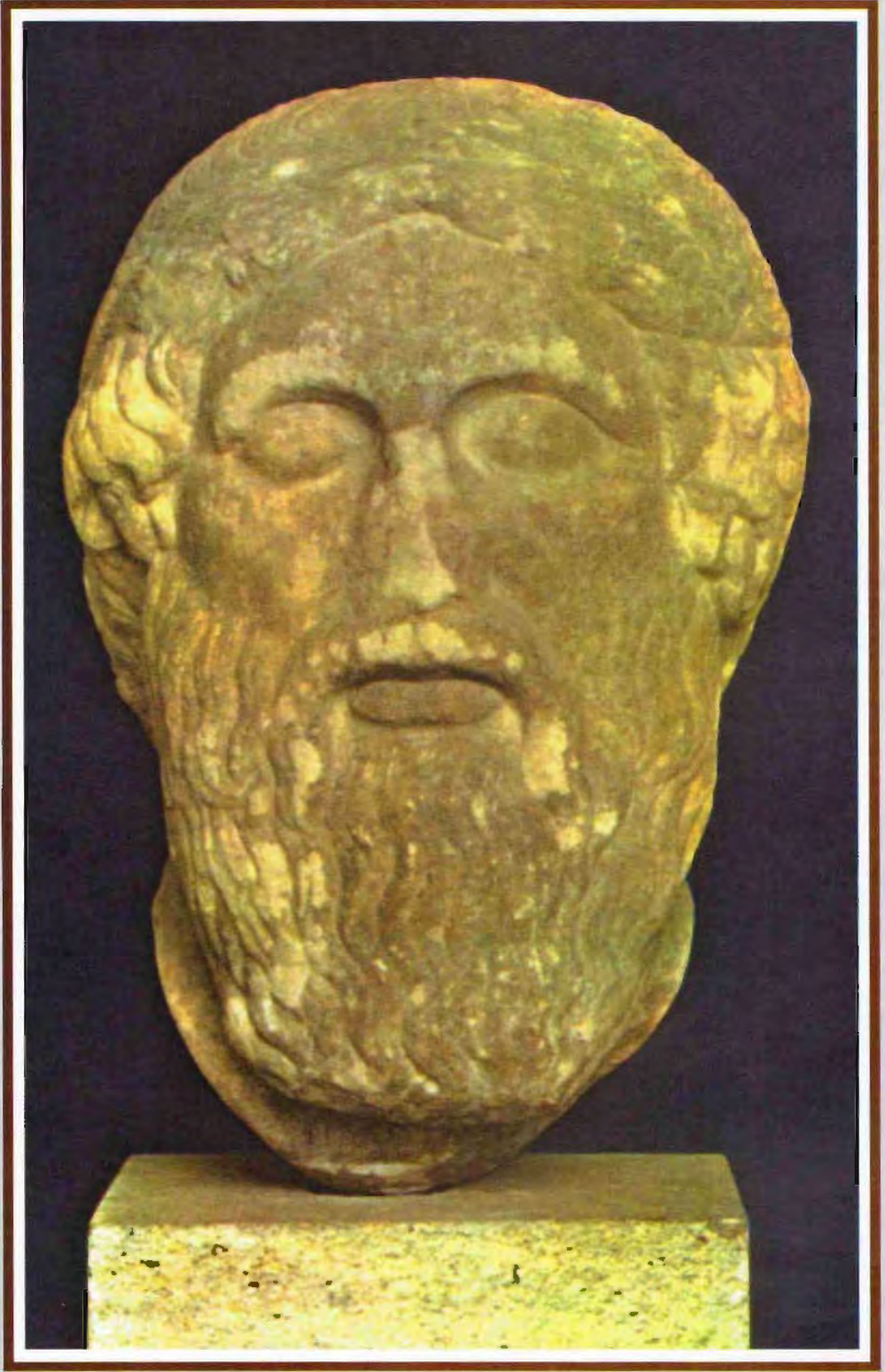
الترقيم الدولي: 977 - 437 - 920 - 9 - I.S.B.N.

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومي للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية

المختلفة للقارئ العربي وتعريفه بها ، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها

في ثقافتها ، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز .



شكل (١)
نسخة رومانية من تمثال نصفي لهوميروس. تعود للقرن الخامس ق.م
ومحفوظ الآن بمتحف النحت في ميونيخ بألمانيا

المحتويات

الصفحة	
١٧ - ٧	مقدمة الطبعة الثانية : بقلم أحمد عثمان
١١٣ - ١٨	مقدمة الطبعة الأولى : بقلم أحمد عثمان
٢٢ - ١٨	أولاً: ترجمة البستاني ومحاولات أخرى.....
٣٦ - ٢٢	ثانياً: فك طلاسم اللغز الهومري
٤١ - ٣٦	ثالثاً: من هو الآخر فى "الإلياذة" ؟
٤٧ - ٤١	رابعاً: الكلمات المجنحة بالوزن السداسى
٦٣ - ٤٨	خامساً: العالمان المتوازيان والتوهج الشعري فى التشبيهات .
٨٧ - ٦٤	سادساً: وحدة الحدث الملحى
١٠٥ - ٨٧	سابعاً: أصداء "الإلياذة" فى الآداب العالمية
٩١ - ٨٧	أ- رحلة "الإلياذة" إلينا.....
١٠٥ - ٩١	ب- "الإلياذة" ينبوع الإلهام الشعرى قديماً وحديثاً
١٠٦-١٠٥	ثامناً: وبعد.. فأما قيل !
١١٣-١٠٦	قائمة مختارة من المراجع

" الإلياذة " تأليف هوميروس

١٤٤-١١٧	ترجمة لطفى عبد الوهاب يحيى	الكتاب الأول:
١٨٤-١٤٥	ترجمة لطفى عبد الوهاب يحيى	الكتاب الثانى:
٢٠٥-١٨٥	ترجمة لطفى عبد الوهاب يحيى	الكتاب الثالث:
٢٢٨-٢٠٧	ترجمة أحمد عثمان	الكتاب الرابع:
٢٦٢-٢٢٩	ترجمة أحمد عثمان	الكتاب الخامس:
٢٨٣-٢٦٣	ترجمة أحمد عثمان	الكتاب السادس:
٣٠٧-٢٨٥	ترجمة منيرة كروان	الكتاب السابع:
٣٣٣-٣٠٩	ترجمة منيرة كروان	الكتاب الثامن:
٣٦٦-٣٣٥	ترجمة منيرة كروان	الكتاب التاسع:
٣٩٢-٣٦٧	ترجمة منيرة كروان	الكتاب العاشر:
٤٢٩-٣٩٣	ترجمة منيرة كروان	الكتاب الحادى عشر:
٤٥١-٤٣١	ترجمة منيرة كروان	الكتاب الثانى عشر:
٤٨٤-٤٥٣	ترجمة أحمد عثمان	الكتاب الثالث عشر:
٥٠٧-٤٨٥	ترجمة السيد عبد السلام البراوى	الكتاب الرابع عشر:

الصفحة	
٥٤٠-٥٠٩	الكتاب الخامس عشر: ترجمة السيد عبد السلام البراوى
٥٧٨-٥٤١	الكتاب السادس عشر: ترجمة السيد عبد السلام البراوى
٦١٠-٥٧٩	الكتاب السابع عشر: ترجمة السيد عبد السلام البراوى
٦٣٧-٦١١	الكتاب الثامن عشر: ترجمة السيد عبد السلام البراوى
٦٥٥-٦٣٩	الكتاب التاسع عشر: ترجمة أحمد عثمان
٦٧٦-٦٥٧	الكتاب العشرون: ترجمة أحمد عثمان
٧٠٢-٦٧٧	الكتاب الحادى والعشرون: ترجمة أحمد عثمان
٧٢٥-٧٠٣	الكتاب الثانى والعشرون: ترجمة عادل النحاس
٧٦٥-٧٢٧	الكتاب الثالث والعشرون: ترجمة عادل النحاس
٨٠٠-٧٦٧	الكتاب الرابع والعشرون: ترجمة عادل النحاس
٨٤٣-٨٠١	معجم أسطورى كشاف: إعداد أحمد عثمان
٨٤٦-٨٤٥	المشاركون فى الترجمة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

التعطش الخلاق للإلياذة العربية محلياً ودولياً

بقلم : أحمد عثمان

عندما ظهرت الطبعة الأولى عام ٢٠٠٤ تلقفتها الحياة الثقافية المصرية والعربية بحفاوة منقطعة النظير. فلا يستطيع أحد أن يحصر حصراً دقيقاً أو جامعاً مانعاً ما كُتب عن هذه الطبعة في الصحافة اليومية والمجلات الثقافية ، ناهيك عن الإذاعة المسموعة والمرئية ، وذلك على امتداد الوطن العربي من المحيط إلى الخليج . ولعل أهم ما تدل عليه هذه الأصداء واسعة النطاق في الحياة الثقافية المصرية والعربية هو أن حياتنا الثقافية تتعطش بالفعل للكلاسيكيات ولكل المترجمات المتخصصة والدقيقة ذات الصياغة الأدبية المستساغة. يضاف إلى ذلك أن ترجمة " الإلياذة " كانت تمثل تحدياً ثقافياً مزمناً في التراث العربي .

ولقد شعر كاتب هذه السطور بهذا التعطش الخلاق في ثنايا هذه الحفاوة البالغة "بالإلياذة" التي ترجمت ولأول مرة مباشرة من نصها الإغريقي الأصلي. وتجلى هذا التعطش الخلاق في السؤال الذي واجهنا دوماً في كل مكان ذهبنا إليه: وأين " الأوديسية"؟. فالقارئ العربي قد شعر منذ اطلاعه على " الإلياذة " أنها كانت مشكلة مزمنة وحسمت عندما تصدى لها المتخصصون ، الذين عليهم الآن القضاء كذلك على مشكلة " الأوديسية" .

ومن أهم ما طرح في وسائل الإعلام العربي هو ما جاء على لسان كبار النقاد من أنهم قرأوا النص المترجم فلم يلاحظوا أية درجة من درجات التفاوت ما بين الكتب الأربعة والعشرين " للإلياذة " ، فكلها بأسلوب واحد وبالذقة نفسها والانضباط عينه ، مع أن عدد المشاركين في الترجمة مع كاتب هذه السطور قد بلغ الأربعة. ولعل هذه الملاحظة النقدية الدقيقة هي أكثر ما بعث الاغتياب في نفس كاتب هذه السطور بوصفه المراجع والمشرّف العام على الترجمة إلى جانب قيامه

بترجمة سبعة كتب فيها ، كما وقع عليه عبء التحرير العام للترجمة . ولقد استغرق العمل في الترجمة ست سنوات من الجهد الشاق والمثابرة . وبالفعل صاغ المحرر أربع نسخ متتالية حتى وصل إلى النسخة النهائية التي بلغت مرحلة من النضج والجودة ما أفتح المحرر بأنه قد آن الأوان لطبعها ونشرها .

وكان أصعب ما واجه المحرر العام هو توحيد المصطلح ومستوى الأسلوب وشكل الأسماء والصفات والصيغ المألوفة في الشعر الملحمي الإغريقي . وجدير بالذكر، على سبيل المثال لا الحصر، أن هناك تكراراً لبعض الأبيات في " الإلياذة " ولا يصح مطلقاً أن نورد بيتاً بترجمتين مختلفتين ، إحداهما في كتاب والأخرى في كتاب آخر في إطار ملحمة واحدة . أما صفات الأبطال مثل " سريع القدمين ، إلهي ، رباني ، بعيد النظر... إلخ" فهي مكررة من أول " الإلياذة " إلى آخرها وكل مترجم يترجمها بطريقته الخاصة. وكان على المحرر أن يوحد هذه الصفات ولا سيما تلك اللصيقة بأحد الأبطال والمميزة له في كل كتب " الإلياذة " . ومثل هذه المشكلات ، وما هو أدق منها ، يدخل في التفاصيل، وكان على المحرر أن يتعامل معها بصبر وأناة وتدقيق وتحقيق حتى تخرج " الإلياذة " بهذه الصورة التي خرجت بها. وهناك بعض درجات التفاوت ظلت تراوغ المحرر ولم يضبطها إلا الكشاف الذي أعده لكل الأعلام في " الإلياذة " حيث ذيل به الترجمة .

كرم المجلس الأعلى للثقافة المترجمين؛ إذ أهداهم درع المجلس في إطار مؤتمر عالمي ضخم عن الترجمة في مايو ٢٠٠٤ ، حيث عقدت ندوة خاصة (٢٩ مايو - ١ يونيو) تحت عنوان "الإلياذة عبر العصور" شارك فيها رواد الدراسات الكلاسيكية والمهتمون بهذه الثقافة ومنهم : أحمد أبو زيد، صفوت كمال، عبد الحميد حواس، عبد المعطى شعراوى، عليّة حنفي ، لطفى عبد الوهاب، محمد عبد الغنى، ماهر شفيق، ماجدة النويعمى ، أشرف فراج، محمد خليفة ، محمود أمين العالم، مصطفى العبادى، ممدوح عدوان ، منيرة كروان وغيرهم. وشارك فيها كذلك عالمان أوروبيان ، أحدهما هو فريدى ديكريس **Freddy Decreus** أستاذ الكلاسيكيات بجامعة خنت ببلجيكا. والثانية هي ميكى كولك **Mieke Kolk**

أستاذ المسرح بجامعة أمستردام- هولندا. ونشرت أعمال هذه الندوة (تحرير أحمد عثمان) عن المجلس الأعلى للثقافة عام ٢٠٠٦ .

ومن هذه الدائرة الضيقة التي شهدت هذه الحفاوة عالية المستوى فى أروقة المجلس الأعلى للثقافة انطلقت الأصداء لتملأ آفاق الدنيا .

حكى لى الإخوة الذين أشرفوا على معارض الكتب المصرية فى العواصم العربية أن أية كمية تؤخذ من " الإلياذة " تنفد فى أول يوم للمعرض، ويظل رواد المعرض يسألون عنها طوال الأيام حتى نهاية المعرض. ولقد سمعت الشيء نفسه عن معرض أقيم فى أثينا وآخر فى فرانكفورت. فلا غرو أن تنفد الطبعة الأولى وأن تروج حتى لدى القراء المصريين وطلبة الجامعات مع أن سعر هذه الطبعة الفاخرة يعد مرتفعاً، ونأمل فى طبعة شعبية مستقبلاً .

وفى تلك الأثناء جاءتنى مكالمة تليفونية غير عادية ، وقدم المتحدث نفسه على أنه بيتر بورمان Peter Pormann وفوجئت به بإحادثتى باللغة العربية وبطلاقة وعرفت منه أنه ألمانى الأصل متخصص فى الكلاسيكيات ويعمل فى جامعة وارويك Warwick فى إنجلترا. ومنه عرفت حكايته الطريفة؛ حيث كان يتردد على المكتبات الباريسية التى تبيع كتباً عربية، وسأل عن ترجمة البستاني " للإلياذة "، فأخبره صاحب المكتبة بأن هناك ترجمة جديدة صدرت حديثاً فاشترأها على الفور وعاد بها إلى إنجلترا محل عمله. وهناك شرع يسأل عن المشرف على هذه الترجمة وهو كاتب هذه السطور. والتقى الأستاذ تشارلز بيرنت Charles Burnett من جامعة لندن ، المتخصص فى ترجمات العصور الوسطى من العربية إلى اللاتينية ، وكنت قد التقيت به فى مؤتمرات سابقة. حكى بورمان له عن " الإلياذة " التى ترجمت حديثاً إلى العربية من الإغريقية مباشرة وأشرف عليها فلان، وذكر اسم كاتب هذه السطور، وقال إنه لا يعرف كيف يصل إليه، وكانت المفاجأة أن ناوله تشارلز بيرنت بطاقة التعارف الخاصة بمن يبحث عنه. ومن هنا، جاءت المكالمة التليفونية سائلة الذكر .

وفي يوم ٢٩ يناير ٢٠٠٧ بالمعهد القومي للغات الشرقية INALCO بباريس ألقى بورمان محاضرة بعنوان " هوميروس العربي بين البستاني وأحمد عثمان" وتابعت هذه المحاضرة الدكتورة كاميليا صبحي الملحق الثقافي وأرسلت تقريراً عنها إلى الأستاذ الدكتور جابر عصفور أمين عام المجلس الأعلى للثقافة، الذي تفضل بإرسال نسخة منه إلى كاتب هذه السطور. وجاء في هذا التقرير الشيء الكثير عن إشادة بورمان بهذه الترجمة التي يعتبرها من أفضل الترجمات، حتى إنه قارنها بالترجمات الإنجليزية والفرنسية الشهيرة. ولأن الأستاذ بورمان طور هذه المحاضرة ونشرها في مقال مستفيض بعد ذلك فسنعود إلى مناقشة آرائه بعد قليل .

ونتوقف الآن قليلاً عند ما أتلج صدر كاتب هذه السطور لشعوره بأن الدراسات الكلاسيكية في مصر بدأت تأخذ موقعا لها على الخريطة الدولية للدراسات الكلاسيكية. لقد بدأت الخطوات الأولى في هذا الاتجاه منذ تأسيس الجمعية المصرية للدراسات اليونانية والرومانية عام ١٩٨٥ وانضمامها للاتحاد الدولي للجمعيات الكلاسيكية FIEC . لكن هذه الخطوات كان يمكن أن تذهب عبثاً إن لم تساندها أعمال علمية يشعر بها المجتمع الكلاسيكي الدولي. ومن هنا تأتي أهمية الأصدقاء الخارجية لترجمة " الإلياذة " ٢٠٠٤؛ إذ صدر كتاب مهم عن جامعة أكسفورد كما يلي :

Barbara Graziosi & Emily Greenwood (eds), *Homer in the Twentieth Century: Between World literature and the Western Canon*. Oxford University Press 2007

ضم هذا الكتاب اثني عشر بحثاً بقلم كبار الأساتذة المختصين في الدراسات الكلاسيكية المقارنة. ومن أهم المشاركين في هذه الأبحاث الأستاذة لورنا هاردويك Lorna Hardwick أستاذة الكلاسيكيات في الجامعة المفتوحة وصاحبة أهم الدراسات حول نظرية الاستقبال لاسيما استقبال الكلاسيكيات في العصر الحديث. يحمل بحثها في الكتاب المذكور العنوان التالي :

"Singing across the faultlines: Cultural shifts in Twentieth Century Reception of Homer" (pp.47-71)

"الشدو عبر التشققات : تغيرات ثقافية فى استقبال هوميروس فى القرن العشرين"
ولقد استهلت هذه الباحثة المرموقة بحثها فى استقبال القرن العشرين لهوميروس بصفتين (٤٧-٤٨) ترحب فيهما بالنسخة العربية الجديدة " للإلياذة " ومسجلة بعض ما نمى إلى علمها من حفاوة الثقافة العربية بهذه الترجمة ، والندوة التى عقدت احتفاءً بها تحت عنوان " الإلياذة عبر العصور " وكذا إعادة طبع ترجمة سليمان البستاني . وذكرت أن الترجمة استغرقت ست سنوات وأن المشرف على الترجمة قد حرص على " روح النص " الأصيل وأن هذه الترجمة هى أول ترجمة عربية للإلياذة عن النص الإغريقي الأصيل مباشرة .

ولقد توطلدت علاقتى بهذه الباحثة التى قابلتها فى أكثر من مؤتمر . وكانت بصدد الإعداد لإصدار موسوعة عن استقبال الكلاسيكيات، وطلبت منى الإسهام فى هذه الموسوعة التى صدرت بالفعل على النحو التالى :

Lorna Hardwick & Christopher Stray (eds), *A Companion to Classical Receptions*. Blackwell Publishing 2008

وضمت هذه الموسوعة ٣٥ بحثاً بقلم نخبة من علماء مختلف الدول الأساتذة المختصين فى الكلاسيكيات والأدب المقارن ولاسيما نظرية الاستقبال أو التلقى . وكان من نصيب كاتب هذه السطور أن يسهم بالبحث رقم ١١ بعنوان :

"Translation at the Intersection of Traditions: The Arab Reception of the Classics" (pp.141- 152)

"الترجمة عند تقاطع التقاليد الثقافية: الاستقبال العربى للكلاسيكيات"

و فى إطار هذه الموسوعة تحدث كاتب هذه السطور عن استقبال العرب القدامى والمحدثين للكلاسيكيات ، وموقف العرب القدامى والمحدثين من هوميروس، ومشكلة عدم ترجمة العرب القدامى للشعر الأجنبى وأسباب ذلك ونتائجه. ثم ما طرأ على الثقافة العربية الحديثة من تطورات أدت إلى الإقبال الشديد على الأسطورة الإغريقية والأدب الإغريقي، ملحمة ومسرحاً فى المقام

الأول، ثم سائر الفنون الأدبية بعد ذلك. بدأ هذا التطور منذ السنين الأولى للنهضة العربية أوائل القرن التاسع عشر تقريباً. وفي ظل هذا الاتجاه جاءت ترجمة البستاني للإلياذة عام ١٩٠٤ .

وقبل أن تنتشر هذه الموسوعة كان كاتب هذه السطور قد تلقى دعوة من جامعة درم Durham لإلقاء محاضرة بعنوان " هوميروس في العالم العربي " حدد لها في البداية ١٨ يونيو ٢٠٠٧ ثم تأجلت إلى ٢٤ سبتمبر من العام نفسه .

كان من بين الحضور عند إلقاء المحاضرة أساتذة مختصون في الكلاسيكيات من الجامعات الإنجليزية مثل مانشيستر وليفربول ووارويك والجامعة المفتوحة وغيرها. ومما جاء في هذه المحاضرة أن العرب القدامى ولاسيما في العصر العباسي وبعد إنشاء " بيت الحكمة " على يد المأمون ترجموا عيون التراث الإغريقي، ولاسيما كتب العلوم التطبيقية مثل الطب والفلك والرياضيات (من هندسة وحساب) وفلسفة الطبيعة واللاهوت وما إلى ذلك. ولكنهم أحجموا عن ترجمة الشعر الإغريقي بما في ذلك الملحمة والدراما (التراجيديا والكوميديا) وهناك سببان رئيسيان:

١- إيمان العرب بأن الشعر لا يترجم؛ فالترجمة تفسد الشعر وتحطم البنية الشعرية. وهذا الرأي ورد عند النقاد العرب القدامى. كما جاء في عبارة لا يعرف قائلها وردت في "صوان الحكمة" لأبي سليمان المنطقي السجستاني تقول: ^(١) "ومعلوم أن أكثر رونق الشعر يذهب عند النقل، وجل معانيه يتداخلها الخل عند تغير ديباجته".

وقال الجاحظ في كتاب " الحيوان " : (٢)

"فقط العرب والشعب الذى يتكلم العربية هم الذين يفهمون الشعر على نحو سليم. فالأشعار لا تستسلم للترجمة ولا ينبغي أن تترجم. فعندما تترجم الأشعار تتمزق بنيتها الشعرية والوزن الشعرى ليس سليماً والجمال الشعرى يختفى ولا يبقى شئ يستحق الإعجاب ."

٢- المفهوم الإغريقى للأسطورة والشعر. فصناعة الشعر عند الإغريقى poiesis تعادل وتقابل بل تتمازج مع صناعة الأسطورة mythopoiein والشاعر poietes هو بالأساس صانع أسطورة mythopoiios . وهناك رواية طريفة وردت عن الشاعر الغنائى الشاب بنداروس (ولد عام ٥٢٢ أو ٥١٨ ق.م) الذى ذهب إلى الشاعرة الكبيرة كورينا Corinna - مع التحفظ أن بعض الدارسين يضعها فى العصر الهيلينستى أى بعد ٣٠٠ ق.م - وعرض عليها قصيدة له فابتسمت كورينا وردت له القصيدة قائلة " كيف تنظم قصيدة كاملة بلا أسطورة ". وبعد مضى بعض الوقت عاد إليها ومعه قصيدة مفعمة بالأساطير. ابتسمت كورينا وقالت له: يا بنى الأسطورة فى يدك مثل البذور فى يد الزارع؛ هل يبذرهما كلها دفعة واحدة أم ينثرها فى أرجاء الحقل ؟ (٣)

(٢) طبعة القاهرة (١٩٣٨ - ١٩٤٥) ص ٧٤ وما يليها

Plut. De Glor. Ath. 347f

(٣)

وعن تاريخ حياة كورينا راجع :

D.L Page, " Corinna" ,The Society for the Promotion of Hellenic Studies .As supplementary paper No.6 (1963)p. 65 ff

هذا المفهوم الإغريقي لوظيفة الأسطورة في بناء الشعر ولغة الشعر لا مثيل له عند العرب القدامى. وهذا - فيما يتصور كاتب هذه السطور - كان العائق الرئيسي في فهم العرب للشعر الإغريقي ، ناهيك عن نقله إلى العربية .

وعلى وجه التحديد كيف يمكن فهم " الإلياذة " بدون أسطورة حكم الجمال بين الإلهات الثلاث هيرا وأثينة وأفروديتي؟ ألم تك أسطورة هيليني أجمل نساء العالم هي محور الحرب الطروادية؟ بل كيف يمكن فهم مسار الحرب الطروادية بين كر وفر، وهزيمة وانتصار، دون أن نتفهم تدخل آلهة الأوليمبوس لصالح هذا الطرف أو ذاك؟ الآلهة الأسطوريون والقوى الغيبية الخفية وكل ما وراء الطبيعة جزء لا يتجزأ من الحياة اليومية في " الإلياذة " ، حتى إن كل أبطال " الإلياذة " تقريباً هم من أبناء أو بنات الآلهة .

صفوة الكلام وباختصار شديد نقول إن فهم دقائق الأسطورة الإغريقية يعد شرطاً رئيسياً من شروط فهم " الإلياذة " وهذا ما لم يدركه العرب القدامى، ليس لأنه يتعارض مع دينهم ولكن لأنه لم يكن من تراثهم الشعري الجاهلي والإسلامي . فالعرب القدامى إذن لم يترجموا هوميروس رغم إعجابهم به من وحى ما عرفوه عنه حيث ورد في " منتخب صوان الحكمة " (رقم ١٩٣) أنه لما سئل ديوجينيس لائرتيوس عن أفضل الشعراء الإغريق قال: " كل أحد عند نفسه وأوميروس (= هوميروس) عند الجمهور " . وقال ابن رشد في تلخيص "الخطابة" لأرسطو (١٠٢) عن هوميروس: " فكان رب النعمة العظيمة بذلك عند اليونانيين، وعظموه كل التعظيم حتى اعتقدوا فيه أنه كان رجلاً إلهياً، وأنه كان المعلم الأول لجميع اليونانيين " .

ومع أن رفاة رافع الطهطاوى في " وقائع الأفلاك في مغامرات تليماك " قد أفلح في نقل جزء من أسطورة " الأوديسية" إلى العربية ، إلا أن ذلك كان توسطاً بالأدب الفرنسى . فهذه الرواية *Les aventures de Te'le'maque*

(1699) هي من مؤلفات القس الفرنسى فينلون *Francois de Salignac de*

la Moth'e Fenelon (1651- 1715) .

وكان الهدف من تأليفها - مثل هدف ترجمتها - تربويًا. وهو ما سهل للطهطاوى نقل أسطورة إغريقية إلى العربية. ونستدل على صعوبة التعامل مع الأسطورة حتى في العصر الحديث أن سليمان البستاني قد أعطى ترجمته للإلياذة عنواناً مطولاً يخلو من ذكر كلمة "أسطورة" فالعنوان هو كما يلي :

"إلياذة هوميروس معربة نظمًا، وعليها شرح تاريخي أدبي، وهي مصدره بمقدمة في هوميروس وشعره وآداب اليونان والعرب، مذيلة بمعجم عام وفهارس " وجدير بالذكر أن الشعر العربي الحديث والمعاصر بعد ذلك تخطى هذه العقبة وتعامل مع الأسطورة الإغريقية بحرية كاملة. واعتبر عبد الوهاب البياتي الشاعر العراقي الفذ أن استلهام الأسطورة الإغريقية، ولاسيما أسطورة سارق النار بروميثيوس، ضرب من الثورة ليس فقط في مجال الشعر والثقافة بل في آفاق الثورة الشاملة (٤) .

والآن أن الأوان لكي نعود إلى البحث المنشور حديثاً لبيتر بورمان لكي نناقشه في بعض التفاصيل بعد أن ألمحنا إليه سلفاً. نشر البحث كما يلي :

Peter E.Prmann, "The Arabic Homer: An Untold Story", Classical and Modern Literature, 27.1 (2007) pp.27-44

"هوميروس العربي : قصة لم نسمع بها "

وفي الحاشية رقم (١) في الصفحة الأولى من البحث يشير بورمان إلى أنه سبق أن تناول موضوع الترجمة العربية " للإلياذة " في مقال بعنوان:

"The Arab Cultural Awakening (NAHDA) 1870-1950 and the Classical Tradition " International Journal of Classical Tradition 13.1 (2006) pp 3-20

(٤) أحمد عثمان، "عبد الوهاب البياتي وحرائقه الشعرية"، مجلة " الكويت "، العدد ١٩٠، فبراير ١٩٨٢، و"سارق النار وملهم الأشعار"، مجلة "الدوحة"، مارس ١٩٨٣ .

وفي الحاشية نفسها يذكر بورمان أن البحث الراهن كان فى الأصل محاضرة بعنوان:

"L'Home`re arabe entre al Bustani et Ahmad Etman"

ألقيت فى معهد INALCO بباريس كما سبق أن ألمحنا. وليلدال بورمان على دقة ترجمة " الإلياذة " ٢٠٠٤ ومدى التصاقها بالنص الأصيل وجوهر الفن الهومرى، أخذ الفقرة الشهيرة من الكتاب السادس (٤٠٧- ٤١٣ و ٤٢٩- ٤٣٢) وأورد النص الإغريقى الأصيل وأتبعها بترجمة إنجليزية. وهى الفقرة التى أعطت نقاد الإسكندرية الذريعة ليطلقوا على الكتاب السادس كله "حديث أندروماخى **Andromaches Omilia** ". ففى هذا المشهد منقطع النظير فى الأدب الإغريقى كله تحاول أندروماخى ، وهى تحمل طفلها الرضيع ، أن تحول بين هيكتور- زوجها العزيز ووالد طفلها - والعودة للمعركة الفتاكة. ويعلق بورمان فيقول: إن ترجمة البستاني تدمج تفاصيل هذا المشهد الإنسانى المؤثر وتحذف كلمات مهمة كررها هوميروس بأسلوبه القائم على الملحمية والشفوية. أما ترجمة ٢٠٠٤ فقد حافظت على التفاصيل الدقيقة فى حديث أندروماخى .

ويضيف قائلاً:

"It is immediately eminent that Etman's rendering is much closer than any of the others we have seen so far .He translates the text directly from the Greek, often preserving even the wordorder " (p.37-38)

" من الواضح مباشرة أن ترجمة عثمان هى الأقرب (لهوميروس) بمراحل من الترجمات الأخرى التى رأيناها حتى الآن؛ فهو يترجم النص الإغريقى إلى العربية مباشرة وفى غالب الأحيان يحافظ حتى على ترتيب الكلمات ". وحتى عندما يكون النص الهومرى-يضيف بورمان- ملتبساً أو متداخل المعانى؛ حيث يشمل اللفظ أكثر من معنى " تحاول الترجمة أن تنقل ذلك إلى العربية".

ويقرر بورمان أن ترجمة ٢٠٠٤ " تعكس أحدث التطورات في الدراسات الكلاسيكية ليس فقط في مصر وإنما في العالم، وهذا ما تشهد به المقدمة التي كتبها عثمان وتضم مراجعها أحدث ما نشر حول هوميروس في العقود القليلة الفائتة ". ويتنبأ بورمان بأن تكون لترجمة الإلياذة ٢٠٠٤ آثار بالغة على مسار الأدب العربي المعاصر، كما سبق لإلياذة البستاني أن أحدثت في الثقافة العربية ردود فعل مثمرة. ويتعجب من أن مكتبات أوروبا وأمريكا ما زالت تخلو من هذه الترجمة العربية. ويعزو ذلك إلى جهل الغرب والغربيين بما أنجزه الشرق وأهله في الدراسات الكلاسيكية ؛ أي جذور حضارتهم الغربية .

ولعله من الجلي الآن والذي لا يحتاج إلى المزيد من التبيان أن " الإلياذة " ٢٠٠٤ قد حققت الكثير من المكاسب للحياة الثقافية العربية. ويأتي في مقدمة هذه المكاسب - برأى كاتب هذه السطور- أن " الإلياذة " العربية قد رسخت موقع الدراسات الكلاسيكية المصرية على خريطة هذه الدراسات العالمية. وهذه شهادة بالغة الدلالة على نضوج النهضة الثقافية العربية، وتعطشها للحوار الخلاق مع الآخر . ونسأل الله تعالى التوفيق .

أحمد عثمان

أكتوبر ٢٠٠٨

مقدمة الطبعة الأولى

بقلم: أحمد عثمان

أولاً: ترجمة البستاني ومحاولات أخرى

من حسن الطالع أن هذه الترجمة التي نقدم لها ستكون إن شاء الله بين أيدي القارئ العربي بعد مرور مائة عام على صدور ترجمة سليمان البستاني ١٩٠٤. فكأن هذه الترجمة التي بين أيدينا جاءت بمثابة احتفال ثقافي وعملي بصدور ترجمة البستاني، التي تعد بحق علامة من علامات الطريق إلى النهضة المصرية والعربية، إذ فتحت مرحلة جديدة من محاولات الاتصال بثقافة الآخر عن طريق ترجمة عيون الأدب العالمي. لقد صدرت هذه الترجمة قبل إنشاء قسم الدراسات اليونانية واللاتينية بكلية الآداب جامعة القاهرة (١٩٢٥) بما يربو على عشرين عاماً. فهي ترجمة من نتاج الحياة الثقافية العامة والنشطة، وليست من نتاج الدراسات التخصصية التي تدين بالفضل في إنشائها لجهود هؤلاء المتقنين المخلصين أمثال سليمان البستاني. أما الترجمة التي بين أيدينا فهي ثمرة من ثمرات ما يناهز مائة عام من التخصص الدقيق الذي توفرت عليه ثلاثة أجيال متتالية.

ومن ناحية أخرى فأغلب الظن أن العرب المسلمين لم يترجموا - فيما ترجموا - "الإلياذة"، لكن من المؤكد أنهم كانوا يعرفونها حق المعرفة؛ إذ تردد ذكرها كثيراً في الأعمال التي ترجموها عن اللغة الإغريقية ولاسيما "فن الشعر" لأرسطو. وروى كذلك أن حنين بن إسحاق - من أفضل المترجمين العرب - كان يتغنى ببعض أشعار "الإلياذة" في لغتها الأصلية. ويقول الشهرستاني (في كتاب الملل والنحل، جزء ٢/ ١٥) "أوميروس (هوميروس) الشاعر من القدماء الكبار الذي يجريه أفلاطون وأرسطوطاليس في أعلى المراتب ويستدل بشعره لما كان يجمع فيه من إتقان المعرفة ومثانة الحكمة وجودة الرأي وجزالة اللفظ".

لماذا لم يترجم المترجمون العرب القدامى "الإلياذة" أو "الأوديسية"؟

سؤال مهم يحتاج إلى إجابة مستفيضة ودرس معمق. ونكتفي الآن بالإشارة إلى أن العرب لم يترجموا أيضاً المسرح الإغريقي (التراجيديا والكوميديا) ونعتقد أن الأسباب وراء ذلك متعددة، وأهمها جميعاً أن هذه الأعمال الملحمية

والدرامية تقوم بصفة جوهرية على الأسطورة الإغريقية الحافلة بالتعددية الإلهية، مما لم يكن من السهل تقبله في أيام الإسلام الأولى حين انطلقت الدعوة للوحدانية. وسلاحظ القارئ في الترجمة التي نقدم لها أن الآلهة والإلهات يلعبون دوراً عضويًا في الحدث الملحى، بحيث لا يمكن الفصل بين وجودهم وأفعالهم وأقوالهم من ناحية وأحداث الحرب الطروادية من ناحية أخرى. وهذا أمر تتفق فيه الملحمة والتراجيديا الإغريقيتان، وبدون هذا الاندماج بين ما هو إلهى وما هو بشرى لا يمكن استيعاب هذه الفنون الشعرية، ومن ثم لم يكن العرب قادرين على تقبل ذلك في أيام الإسلام الأولى، أو على الأقل لم يروا أية فائدة ترجى من ترجمة هذه الأشعار.

أما في العصر الحديث فقد قامت عدة محاولات لترجمة "الإلياذة"، أهمها جميعًا محاولة سليمان البستاني والتي صدرت كما يلي:

إلياذة هوميروس معربة نظمًا وعليها شرح تاريخى وأدبى وهى مصدره بمقدمة فى هوميروس وشعره وآداب اليونان والعرب ومذيلة بمعجم عام وفهارس. بقلم سليمان البستاني. طبع بمطبعة الهلال بمصر عام ١٩٠٤.

ونحن نحتمى بترجمة سليمان البستاني لملمحة هوميروس لأسباب ثلاثة: الأول هو أن هذا الكتاب مقدمة ونصًا مترجمًا يعد وثيقة أدبية بالغة الأهمية بالنسبة لنشأة الدراسات الكلاسيكية فى مصر. فمعروف أن طه حسين عميد الأدب العربى هو الذى أسس أول قسم لهذه الدراسات بكلية الآداب جامعة القاهرة عام ١٩٢٥. ولكننا فى ترجمة البستاني إزاء دارس متعمق حصل قدرًا لا بأس به من اللغة اليونانية بجهوده الذاتية، ويحاول الترجمة عنها مستعينًا بترجمات أخرى فرنسية وإنجليزية وإيطالية. وهذه الحقيقة فى حد ذاتها تضع تساؤلًا كبيرًا حول تأريخ الدراسات اليونانية واللاتينية فى مصر.

أما السبب الثانى لاهتمامنا المتجدد بهذه الترجمة فهو أننا — فى المقدمة التى كتبها البستاني لترجمته — إزاء درس فى المنهج المقارن. وهو درس مبكر نسبيا فى تاريخ الأدب العربى الحديث، كما أنه يعد رائدًا فى مجاله، فالمترجم لم يكتف بنقل نص شعرى يونانى إلى اللغة العربية، بل صدره بمقدمة ضافية تتناول أعوص مشكلات الأدب المقارن التى لا تزال تشغل المهتمين به إلى يومنا هذا، مثل علاقة الأدب العربى القديم بالآداب الأخرى ولاسيما الأدب الإغريقى.

أما السبب الثالث لانشغالنا بهذا الكتاب فهو الترجمة نفسها. ذلك أن هذه هي الترجمة الأولى الكاملة "للإلياذة" في الأدب العربي قديمه وحديثه. بل نكاد نقول إن هذه هي الترجمة الوحيدة الموجودة في لغتنا حتى الآن. فكل ما قدم قبل هذه الترجمة أو بعدها لا يعدو أن يكون مجرد تلخيص أو شرح أو اقتطاف. ولا توجد في اللغة العربية ترجمة كاملة "للإلياذة" سوى ترجمة البستاني هذه. ولقد نقلها نظاماً إلى العربية مما يضاعف من قيمة هذه الترجمة، التي لم تجد بعد الاهتمام الكافي من الدارسين المتخصصين، وإن وجدت ترحاباً فائقاً حين صدورها عام ١٩٠٤.

قال جمال الدين الأفغاني للبستاني في محضر من الأدباء آنذاك "إنه ليسرنا جداً أن تفعل اليوم ما كان يجب على العرب أن يفعلوا قبل ألف عام ونيف. ويحبذا لو أن الأدباء الذين جمعهم المأمون بادروا بادئ ذي بدء إلى نقل الإلياذة ولو ألجأهم ذلك إلى إهمال نقل الفلسفة اليونانية برمتها".

وقال منيف باشا ناظر المعارف العثمانية للبستاني آنذاك "لو أن الشاعر العربي القائل: "كأنى أوميروس لدين محمد... عمل حقيقة للشرق ما عمل هوميروس للغرب لما تعدانا الغرب هذا الشوط البعيد". ويعلق البستاني نفسه على ذلك قائلاً "لقد غاب عنه وعنى عرفان ذلك الشاعر".

هذا وقد نشر في "مجلة الدراسات الفلسطينية" التي تصدر بالفرنسية (*Revue d'études Palestiniennes*) صيف ١٩٩٥ (56, 4 n.s.) بعض صفحات من رسالة دكتوراه يجريها الشاعر والمترجم العراقي المقيم بباريس كاظم جهاد حسن، وكان يستعد آنذاك لتقديمها إلى جامعة السوربون قسم الدراسات العربية والإسلامية بعنوان "الترجمة الشعرية عند العرب في القرن ١٩ والقرن ٢٠. دراسة مقارنة في فن الشعر". ولقد نشرت المجلة جزءاً كبيراً من هذه الدراسة المستفيضة حول سليمان البستاني وترجمته الشعرية (ص ٧٩-١٠٠).

تبدأ الملحمة بالبيت الذي يقول:

"غن لى ياربة الشعر عن غضبة أخيلئوس بن بيلئوس المدمرة". أو كما يترجمه البستاني شعراً:

ربة الشعر عن أخيل بن فيلا أنشدئنا واروى احتداماً وبيلا

وسيكشف القارئ من الترجمة التي نقدم لها أن غضبة أخيلئوس بن بيلئوس

هى بالفعل الحدث الرئيسى فى الملحمة. وهذا ما سنعود إليه فى إطار هذه المقدمة. بدأ البستانى فى ترجمة "الإلياذة" من لغة أوربية وسيطة وهى الفرنسية. ولكنه شعر بضرورة تعلم اليونانية وأقدم على ذلك بشغف ونهم. ولقد شرع فى هذه المهمة الشاقة أى الترجمة فى أواسط الثمانينيات من القرن التاسع عشر، ونشرت الترجمة كما أسلفنا عام ١٩٠٤. وهذا يعنى أنه أنفق ما يزيد على عشرين عاماً فى الترجمة. وقد جاءت الأبيات العربية التى نظمها البستانى ترجمة "للإلياذة" بين عشرة آلاف وأحد عشر ألف بيت نقلاً عن أصل إغريقى يبلغ حوالى ستة عشر ألف بيت.

فإذا نظرنا إلى حجم الملحمة الإغريقية التى تعود إلى القرن التاسع ق.م تقريباً وما يكتنفها من غموض لاستطعنا أن نقدر ضخامة هذا الإنجاز الأدبى والحضارى الذى حققه البستانى فى بداية القرن العشرين. لقد واجهته مشكلات مستعصية مثل نقل أسماء الآلهة والأبطال والأعلام الجغرافية. بل هناك معارف لا بد من الإلمام بها حين يشرع المرء فى ترجمة "الإلياذة"، ونعنى معارف عصرها وصنائه وعاداته وتقاليده ومعتقداته. بل تشمل هذه المعارف سائر العلوم من طب وفلك ورياضة وهندسة وعمارة وما إلى ذلك. فكيف تسنى للبستانى أن يلم بكل ذلك؟ تلك هى المسألة التى ينبغى أن نتدارسها وننبه الناشئة من الباحثين المتخصصين للالتفات إليها. ولا يسعنا إلا أن نعتزف بالبطولة الملحمية لصاحب هذه الدرّة اليتيمة فى الأدب العربى، أى سليمان البستانى.

وبالطبع لا يمكن لمنصف أن ينكر فضل جهود درينى خشبة فى تعريف القارئ العربى بالأساطير الإغريقية وكذا بمحتويات "الإلياذة" و "الأوديسية"، وإن كان ما قدمه لا يرقى إلى مستوى ترجمة حقيقية للنص، مع أن كتابه يحمل عنوان:

"هوميروس: الإلياذة" ترجمة درينى خشبة، دار الأيام ١٩٧٣
(عدد الصفحات ١٥٩. وقارن كتابه الآخر: الأوديسية مكتبة نهضة مصر ١٩٦٠.
عدد الصفحات ٣٠٩).

ولعل أحدث المحاولات الجادة فى هذا السبيل هى ترجمة ممدوح عدوان، منشورات المجمع الثقافى، أبو ظبى ٢٠٠٢. وجاء فى مقدمة الترجمة أن صاحبها نقلها عن ترجمة إنجليزية، واعتمد فى ضبط الأسماء على ترجمة أمين سلامة

المنشورة فى سلسلة كتابى. وهذا ما يوضح بما لا يدع مجالاً للشك أنه لم تظهر فى اللغة العربية حتى الآن ترجمة محققة عن النص الإغريقى القديم مباشرة.

وتلك هى مهمة المختصين فى اللغة الإغريقية القديمة وآدابها، وذلك هو واجبهم تجاه القارئ العربى. ففى هذه الترجمة التى بين أيدينا سيدد القارئ أول ترجمة مدققة يقوم بها متخصصون وينقلونها عن أصلها مباشرة إلى لغة الضاد. ويأمل هؤلاء المتخصصون بعملهم هذا أن يفتحوا باب مرحلة جديدة فى الدرس العربى للتراث العالمى. وهم يحاولون استعادة أمجاد المترجمين العرب القدامى الذين نقلوا العلوم والآداب والفلسفة من اليونانية إلى العربية فأسهموا فى حفظ التراث الإغريقى وقدموا الأنموذج لرواد الحركة الإنسانية إبان عصر النهضة الأوروبية. ونحن نختص بتقديم هذه الهدية كل من بذل جهداً فى سبيل عقد الصلة بين القارئ العربى والتراث الإغريقى، لاسيما أصحاب تلك التجارب والمحاولات التى أشرنا إليها وعلى رأسهم سليمان البستاني. ونضيف إليهم الكثيرين أمثال رفاعة الطهطاوى وأحمد شوقى وأحمد لطفى السيد وطه حسين وتوفيق الحكيم ولويس عوض وثروت عكاشة وشكرى عياد وغيرهم. هؤلاء المثقفون هم الذين مهدوا الطريق لظهور الدراسات المتخصصة والترجمات المدققة.

ثانياً: فك طلاسم اللغز الهومرى

لا نعرف شيئاً عن هوميروس، فلا يمكن استخلاص أية معلومة من ملحمتيه "الإلياذة" (Ilias) و "الأوديسية" (Odysseia) ^(١) عن حياة المؤلف وملابساتها. ووصلتنا سير كثيرة لهوميروس من العصر الإغريقى الرومانى، ولكنها جميعاً من صنع الخيال. هناك حقيقتان فقط مؤكدتان: الأولى أنه كان أعمى. والثانية أنه من ساحل آسيا الصغرى أو الجزر المحاذية له. وجزيرة خيوس هى الأقرب إلى نيل هذا الشرف.

(١) يعنى اسم "الإلياذة" (Ilias) "قصة إليون" أو "إليوس" (Ilion, Ilios) وهما الاسمان الأصليان للمدينة التى عرفت أيضاً باسم طروادة (Troie وباللاتينية Troia) وهو الاسم الأشهر، وإن كان فى الأصل يعنى المنطقة المحيطة بالمدينة لا المدينة نفسها. ويعنى اسم "الأوديسية" (Odysseia) "قصة أوديسوس" كما نقول "الأوريسية" عن قصة أوريسيس وهكذا. وجدير بالذكر أن "الأوديسية" لم تترجم إلى العربية لا قديماً ولا حديثاً، وإن كان النص الذى ترجمه رفاعة رافع الطهطاوى "وقائع الأفلاك فى مغامرات تليماك" للقس الفرنسى فينيلون يعد الخطوة الأولى لتعرف القارئ العربى المحدث على أسطورة أوديسوس وابنه تيلياماخوس.

يقول ثوكيديديس المؤرخ الإغريقي المتفق (٤٥٥-٤٠٠ ق.م) إنه عاش بعد حصار طروادة بزمان طويل. ويقول شيشرون خطيب روما المفوه (١٠٦-٤٣ ق.م) إنه ولد قبل تأسيس روما المتفق على أنه كان عام ٧٥٣ ق.م.

لقد أثار ظهور هوميروس - أعظم الشعراء طرا - في بداية تاريخ الأدب الإغريقي مشكلة لم يهتد إلى حلها أحد حتى الآن. فأصر بعض العلماء والفقهاء على أن هذا الشاعر لم يوجد على ظهر الأرض قط، وأن اسمه هوميروس Homeros ويعنى إما "الرهيبة" أو "الأعمى" أو حرفيا "الذى لا يبصر" (ho me horon) منحوت أبدعه الخيال الأسطوري. وذهب البعض إلى القول بأنه كان هناك عدة شعراء - لا شاعر واحد - بهذا الاسم، ثم خفف هؤلاء من غلوائهم وقالوا إنه كان هناك على الأقل شاعران بهذا الاسم أحدهما نظم "الإلياذة" والآخر هو مؤلف "الأوديسية". وجدير بالذكر أن جذور المشكلة الهوميرية^(٢). تبدأ من العصر السكندري عندما بذرت بذور الشك في نسبة الملحميين إلى هوميروس حيث رفضت جماعة "الفاصلين" (chorizontes) أن يكونا لشاعر واحد. وقال بعضهم إن "الإلياذة" من نظم هوميروس الشاب المتحمس، أما "الأوديسية" فهي من نتاج سنوات عمره الأخيرة أى فترة النضج والتعقل. يقول أحد النقاد الإغريق القدامى "ومن ثم فيمكن للمرء أن يشبه هوميروس في الأوديسية بالشمس ساعة الغروب"^(٣).

كان فريدريش أوجست فولف Friedrich August Wolf (١٧٥٩-١٨٢٤) أنبه تلاميذ عالم الكلاسيكيات الأشهر فينكلمان Winckelmann وبدأ يركز اهتمامه على هوميروس أثناء متابعته لمحاضرات هين Heyne. وبدأ هو نفسه يحاضر عن "الإلياذة" عام ١٧٨٥ وأصدر كتيبًا باللغة اللاتينية بعنوان "مقدمة إلى هوميروس" Prolegomena ad Homerum عام ١٧٩٥، وهو الذى أكسبه شهرة عالمية خالدة. فلأول مرة فى التاريخ تبذل محاولة علمية دقيقة لتأريخ رحلة نص هوميروس إلى الأزمنة الحديثة. أقامها فولف على التعليقات التى وضعها العلامة فيلويزو J-B Villosion (d'Ansse de) عام ١٧٨٨ حيث كان قد اكتشف

(٢) راجع أحمد عثمان: الأدب الإغريقي تراثًا إنسانيًا وعالميًا. الطبعة الثالثة. القاهرة ٢٠٠١، ص ٢٧-١٠٧.

(٣) الناقد المعنى هنا هو إما كاسيوس لونجينوس أو ديونيسيوس لونجينوس أو غيرها ممن ينسب إليهم الكتاب الذى يحمل عنوان "في السمو" أو "في الأسلوب الرفيع" (Peri Hypsous) راجع:

Longinus, "On the Sublime", with an English translation by W.H. Fyfe, Loeb Classical Library, reprint 1973.

مخطوط فينيسيا **Codex Venetus A** الشهير "للإلياذة"، والذي سنعود إليه.

قال فولف إنه من المحال الوصول إلى النص الأصلي الذي نظمه المؤلف، وقد يكون من الأسهل الوصول إلى النص السكندري الذي تداوله فقهاء الإسكندرية. وجره البحث إلى تناول فكرة صحة نسبة هذه الأشعار ومدى الوحدة التي تتمتع بها. وآمن فولف أن هوميروس يحتل موقعاً في التاريخ يجعله فريداً، ولا يصح أن نطبق عليه معايير الدرس النقدي التي نتبعها مع فرجيليوس أو غيره من شعراء الملاحم الذين ظهروا في عصور تختلف تمام الاختلاف عن عصر "الإلياذة" و "الأوديسية".

ومن الممتع حقاً قراءة كتيب فولف "مقدمة إلى هوميروس"، ليس فقط لأنه يمثل ثورة نقدية، ولكن لأن أسلوبه اللاتيني جذاب حقاً. ولقد بذل فولف أقصى الجهد ليثبت أن "الإلياذة" و "الأوديسية" ليستا من إبداع شاعر واحد. ولم يثر أى كتاب آخر مثل هذا الفيض من الجدل والنقاش عدة قرون كما فعل كتيب فولف.

ومن الملاحظ أنه في القرنين الأخيرين، حيث حققت مدارس النقد الأدبي الحديث قفزات هائلة، وقف هوميروس عقبة كأداء أمام أذهان كبار النقاد؛ إذ تضاربت الآراء وتناقضت حوله. قال لاخمان **Lachmann** إن هناك ١٦ أغنية **lays** بدائية مجهولة المؤلف هي أساس "الإلياذة". وقال بالي **Paley** إن هوميروس الذي نعرفه يمثل ذروة الحضارة الهيلينية أي أثنى القرن السادس والخامس ق.م^(٤).

وبلغ من قوة تأثير أبحاث فولف أن كل من أتى بعده من العلماء الرافضين لوجود هوميروس اعتبر فولفياً أى من أتباع نظرية فولف. وتتلخص هذه النظرية في القول بأن ملاحم هوميروس لم تدون في عصر نشأتها الذي لم يعرف فن تدوين الأدب. كما أنها لا يمكن أن تحفظ عن ظهر قلب ويتناقلها الناس شفاهة عبر الأجيال المتتالية، لأنها تبلغ من الطول ما يعجز أى عقل بشرى عن حفظه. وعلى أية حال فلقد لعب فرسان المشكلة الهومرية دوراً مهماً في تطوير الدراسات الكلاسيكية (والإنسانية بصفة عامة). لقد حققوا نتائج هائلة لأن أبحاثهم كانت

(٤) عن هذه الآراء وأبعاد المشكلة الهومرية وتطوراتها راجع:

Jensen M. Skaftø, *The Homeric Question and the Oral-formulaic Theory*.
Copenhagen 1980.

Karl Lachmann, *Betrachtungen über Homers Ilias, mit zusätzen von Maritz*
Haupt. 2e Auflage. Berlin, Reimer 1865.

مخلصة وجادة، وهي التي اجتذبت الكثير من الأقلام للكتابة عن هوميروس، وهي التي لفتت الأنظار إلى كثير من الجوانب والتفاصيل التي كانت مهمة من قبل. ونعني بعض النواحي الأدبية والنحوية والعروضية، وكذا الجانب التاريخي وعلاقة هوميروس بالآثار وما إلى ذلك. فأقطاب المشكلة الهوميرية هم الذين وضعوا الدراسات الهوميرية بخاصة والدراسات الكلاسيكية بعامة على الطريق السليمة. منهم فهمنا كيف كان الشعر الملحمي يؤلف وينشد أى ينشر على الناس. فليس الأمر متعلقا بشاعر أسمى ملهم أوحى إليه منذ الصبا أن يتغنى بالأشعار البطولية، ولكنه على الأرجح رجل مثقف يعمل فى مثابرة وعناية ملموستين، يدرس ويهضم ويمثل ما سبقه من تراث شفوى متناقل، ثم يعيد إفرازه فى شكل جديد مبتكر وأصيل. وإلى مفجرى المشكلة الهوميرية ندين بمعرفة حقيقة أن نصوص هوميروس لم تك نهائية قط، بل أدخلت عليها التعديلات وأقحم عليها الكثير من الأبيات من حين إلى حين. بل ربما تبدلت لغتها ذاتها كلما تقدمت وبدت عتيقة مغلقة لا تفهم أو مبتذلة لا تمتع. ومن ثم فإن هوميروس هو ما نملك من أشعار بصفة عامة، أما إذا دققنا فى التفاصيل والجزئيات فلربما نخرج بشيء آخر.

وجدير بالذكر فى هذا المقام أن رائد الرومانسية المثالية فى ألمانيا أى الشاعر شيللر كان معارضا قويا للنظرية الفولفية، بيد أنه لم يكن يتقن اللغة الإغريقية إتقاناً يتيح له قراءة نصوص هوميروس. أما جوته فيلسوف ألمانيا الأشهر فقد كان فولفيا متحمسا أثناء تأليفه "هيرمان ودوروثيا"، بل ذهب إلى ما وراء الفولفية ذاتها فى بعض الأحيان. فإذا كان فولف يعتقد بوجود هوميروس ويؤرخ له بالقرن العاشر ق.م، ويسند إليه بعض الأشعار الرئيسية فى صلب "الإلياذة" و"الأوديسية" فإن جوته آمن بأن عددا من أتباع أو "أبناء هوميروس" (Homeridai) هم الذين قاموا بتأليف الملحمتين تأليفا جماعيا. بيد أن جوته عاد ليعدل فى آرائه فيما بعد وأثناء تأليف "قصة أخيلوس"، إذ أصبح أكثر ميلا للاعتقاد بوجود وحدة تأليفية فى الملاحم الهوميرية. أما الناقد الألماني الكبير شليجل فقد شاع فولف بلا أدنى تحفظ. ولا يتسع المجال لتتبع سائر مواقف الأدباء والمفكرين الألمان والأوروبيين من المشكلة الهوميرية. ومن حسن الحظ أن الدارسين المتخصصين والباحثين الجادين يميلون الآن إلى أن ينكبوا على نصوص هوميروس نفسها فحفا ودرسا، تحيضا وتدقيقا فى هذه الزاوية أو تلك النقطة دون أن يهدروا مزيدا من الوقت حول التساؤل ما إذا كان هوميروس حقيقة واقعة أم محض خيال. ونحن - إذ

نحبذ هذا الاتجاه وندعو إلى عدم نبش الرماد مرة أخرى في هذه المشكلة الشائكة — نشيد بالثمار النافعة التي جنتها الدراسات الأدبية من أبحاث أقطابها.

ونرى من الواجب علينا تبیین أن الدراسات الهومرية قد أغفلت جانبا مهما ربما يلعب دورا جوهريا في حل المشكلة الهومرية أو حتى فك بعض طلاسمها. ونعنى المصادر الشرقية لملاحم هوميروس. وبالطبع فإن مثل هذا الموضوع يحتاج إلى مجلدات ضخمة ولا يتسع مقامنا هذا للخوض في غمار تفاصيله، وسنكتفى هنا بلمس أهم الجوانب. وبادئ ذي بدء نرى لزاما علينا توضيح أن فن الأدب ليس من اختراع الإغريق كما يظن الكثيرون. فقبل أن يظهر الإغريق (أى الهيلينيون) فى شمال البحر الإيغى كان هذا الفن قد قطع أشواطا من التطور والنضج فى بلاد سومر وأكاد ومصر. وفى منتصف الألف الثانية ق.م. عندما استقر الإغريق حول البحر الإيغى وبدأوا يظهرهم قدراتهم الحضارية واتصلوا بالحضارة المينوية فى كريت كانت حضارات آسيا الصغرى — مثل الحضارة الحيثية بالأناضول والحضارة السامية فى أوجاريت أى رأس شامرا فى شمال سوريا — قد عرفت الفن الأدبى ومارسته بدرجة عالية من الوعى والوضوح وبلغت به مستوى رفيعا من الإتقان والنضج. ومن هذه الحضارات جميعا تعلم الإغريق بطريق مباشر أو غير مباشر بعض الدروس الأولية فى مضممار المدنية والتحضر. أخذوا عنهم بعض الحكايات الشعبية عن الآلهة أو الأبطال. ونقلوا عنهم بعض الأفكار عن النظام الكونى واللاهوتى، وكذا بعض التراثيل والأناشيد التى تمجد الآلهة أو أشباه الآلهة من البشر الأحياء والموتى. يقول بعض علماء الأساطير إنه قد أصبح من المسلم به أن الإغريق قد أخذوا عن الشرق فكرة تتابع حكام السماء، أى التسلسل فى أنساب الآلهة، وهى الفكرة التى نجدها فى أشعار هوميروس، وإن لم تتبلور إلا فى قصيدة "أنساب الآلهة" لهيسودوس^(٥). إلى الشرق أيضا تعود تسمية هوميروس للمحيط (Okeanos) أنه أصل كل الأشياء وهى التى أصبحت فيما بعد أساسا للفكرة الفلسفية التى صاغها ثاليس (طاليس) فى نظريته القائلة بأن الماء هو الأصل الثابت والأزلى فى هذا الكون^(٦). ولربما تعلم الإغريق من أهل الشرق كذلك أن هناك ما نسميه فن

(٥) أحمد عثمان: الأدب الإغريقى، ص ١٢٢-١٢٦.

(٦) G.S. Kirk, The Nature of Greek Myths. The Overlook Press, Woodstock, New York 1975, pp. 276 ff; cf. P. Walcot, Hesiod and the Near East. Cardiff 1966, passim.

الكتابة الأدبية أي فن التأليف الذى يختلف بالطبع عن حديث الحياة اليومية من ناحية والكتابة التخصصية الدقيقة من ناحية أخرى.

ولكن الإغريق تميزوا بالقدرة الفائقة على أن يصنعوا مما يأخذون عن الغير شيئاً جديداً يتفق مع طبائعهم وميولهم ورؤيتهم للحياة وأسلوب معيشتهم، حتى إنه صار من المتعذر أن نحدد بدقة مقدار ما يدينون به لحضارات الشرق القديم^(٧). واتجه الدارسون إلى القول بأن ما أخذوه عن الآخرين يقل بكثير عما أضافوا من عندياتهم، وطُبق هذا الحكم أول ما طبق على هوميروس.

وملاحم هوميروس هي أقدم ما وصلنا من الأدب الإغريقى. بيد أنه من المرجح أن تكون بذور الشعر الملحمى الأصلية قد جاءت من الأناشيد والتراتيل الدينية التى تتغنى بأمجاد الآلهة، والتى كانت تلقى أو تتشد فى الأعياد والمهرجانات العامة. ولقد نظم هذه الأشعار شعراء مجهولون أو بالأحرى أسطوريون، إذ لا نعرف عنهم شيئاً سوى أسمائهم ومنهم أورفيوس وموسايوس وإيومولبوس. وجدير بالذكر أن أولى المسابقات الشعرية التى كانت تعقد فى بلاد الإغريق كانت تقوم على الأشعار الدينية وتركزت فى دلفى مركز العبادة القديم^(٨). ومن ثم كان الشعر الملحمى فى بداية عهده من عمل وإلقاء مغنى المعبد أو منشده الذى كان يعزف أثناء الإنشاد على القيثارة. ويبدو أن هذا الفن الشعرى الدينى قد جاء بلاد الإغريق من مراكز الحضارة الشرقية القديمة عبر آسيا الصغرى. المهم أنه كانت هناك أشعار تنشد حتى قبل الحروب الطروادية، وهى أشعار تركت بصماتها بالطبع على الملاحم التى نظمت لتروى أحداث هذه الحروب^(٩).

ويبدأ الأدب الإغريقى بالنسبة لنا - بل وإغريق الفترة الكلاسيكية - عند منتصف القرن الثامن ق.م. فلدينا من نتاج ذلك الزمان بضع وثائق أدبية عبارة عن شذرات متفرقة مرسومة على الأوانى أو منحوتة على الحجر وعثر عليها فى أماكن

(٧) انظر أحمد عثمان: "أثنية المصرية ليست زنجية ولا عنصرية" مقدمة ترجمة كتاب مارتن برنال. أثنية السوداء، الجذور الأفروآسيوية للحضارة الكلاسيكية، الجزء الأول: تليفق بلاد الإغريق ١٧٨٥-١٩٨٥، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومى للترجمة ١٦، القاهرة ١٩٩٧. ص ١٣-٧١.

(٨) Pausanias, X, 7, I ff.

(٩) وعن الأصول الشعبية لملاحم هوميروس انظر:

R. Carpenter, Folktales, Fiction and Saga in the Homeric Epics. University of California Press, reprint 1974, passim.

متباعدة مثل أثينا وإيثاكي وبيراخورا (على الخليج الكورنثي) وإيسخيا (على خليج نابولي في جنوب غرب إيطاليا) وغيرها. وبعض هذه الشذرات متصل بموضوع الاحتفالات الدينية، وبعضها يتحدث عن الخمر والحب والرقص والصدافة وما إلى ذلك. وبعضها يهدف إلى تخليد ذكرى هدية ما، قدمت لهذا الإله أو تلك الإلهة تقريباً وتكريماً. وكلها منظومة في الوزن السداسي ولم ينظمها شعراء محترفون. والسبب في أننا لا نملك شيئاً من النتاج الأدبي الإغريقي قبل منتصف القرن الثامن ق.م يسير. وهو أن الإغريق لم يستخدموا الألفبائية - التي نعرفها - قبل ذلك التاريخ، فلما عرفوها استطاعوا في خلال أربعة أو خمسة قرون أن يكتبوا بها أدباً من أرقى الآداب العالمية. ولما كانت ملاحم هوميروس تمثل قمة ما وصل إليه أدب هذه الفترة فإنها تحمل بعض سمات التشابه مع الشذرات التي وصلت إلينا منه، كما أن هذه الملاحم لا بد أن تكون قد وقعت تحت تأثير الحضارات الشرقية^(١٠).

خلف الأشعار الهومرية إذن يقبع ماضٍ طويلٌ وتراثٌ عريقٌ من أعمال أدبية لم تصل إلينا، لأنها في غياب فن تدوين الأدب لم تكتب، ولكنها أقيمت شفاهة وتناقلتها الأجيال قرناً بعد قرن من خلال الرواية المسموعة لا الصحف المقروءة. ومن ثم لا نتجاوز الحقيقة إذا قلنا إن هذا التراث الشعري الشفوي - المفقود الآن - وما فيه من تأثيرات شرقية واضحة يعد الفصل الأول الذي بدونه لا يفهم كتاب الأدب الإغريقي.

وبشيء من اليقين يمكن العودة بهذا الأدب المفقود إلى حوالى عام ١٦٠٠-١٢٠٠ ق.م أى إلى عصر الحضارة التي سماها القدامى بالحضارة الآخية وتحمل الآن اسم الحضارة الموكينية. يطلق هوميروس في "الإلياذة" و "الأوديسية" على أهل ذلك العصر اسم "الآخيون" أو "الأرجيون" أو "الدانائيون". على أن الاسم الأول هو الأكثر شيوعاً وشمولاً كما سيلاحظ قارئ الترجمة التي نقدم لها. وكان الآخيون يتكلمون لهجة قديمة من اللغة الإغريقية (أى الهيلينية) وصلتنا بعض الأمثلة منها على ألواح من الفخار اكتشفت في كنوسوس بكريت، وفي موكيناى نفسها، وكذا في بيلوس بإقليم ميسينيا. وفك طلاس هذه اللغة الفقيه النابغة مايكل فينتريس Michael Ventris عام ١٩٥٣ فقدم للحضارة الآخية بذلك خدمة تعادل إنجاز

(١٠) Barry B. Powell, *Homer and the Origin of the Greek alphabet*. Cambridge University Press, First Paperback edition 1996, *passim*.

شامبليون الفرنسي بالنسبة للحضارة المصرية القديمة عندما حل رموز الهيروغليفية المنقوشة على حجر رشيد مستعينا بالنص الإغريقي والديموطيقى على الحجر نفسه.

ذلك أنه في أواخر القرن التاسع عشر تمكن هينريش شليمان من العثور على موقع طروادة، وانتقل بعد ذلك إلى شبه جزيرة البلوبونيسوس واكتشف أكروليس مدينة أرجوس وموكيناى (عام ١٨٧٦) وتيرنس (عام ١٨٨٤). وتوالت بعد ذلك عدة اكتشافات أثرية أخرى فى مواقع متصلة بالحرب الطروادية وملاحم هوميروس. ولوحظ أن مساكن زعماء تلك الفترة كانت بمثابة حصون حربية حقيقية. فأحيطت قلعة تيرنس على سبيل المثال بسور خارجى مبنى من صخور ضخمة للغاية، مما جعل إغريقيى العصر الكلاسيكى يعتقدون أن الكيكلوبيس - وهم من سلالة العمالقة جيجانتييس الأسطورية - هم الذين أقاموه. وفى موكيناى كان المدخل الرئيسى للقصر يقع بين حائطين أقيما بطريقة تجعل المهاجمين يتعرضون لهجوم دفاعى مضاد من ثلاث جهات فى وقت واحد. أما البوابة فتحمل فى مقدمتها العلوية نقشا بارزا ثلاثى الشكل نُحت عليه أسدان يقفان وجها لوجه على جانبي عمود، ويسند كل منهما قدمه الأمامية على قاعدته. وكانت رأسهما فى الأصل تواجهان المهاجمين المعتدين بهدف إرهابهم أو ردعهم. وعثر شليمان فى مقابر الملوك والأمراء بموكيناى على أسلحتهم وجواهرهم وأقنعتهم الجنائزية المصنوعة من الذهب، وهى معروضة الآن بالمتحف القومى فى أثينا. وهكذا ثبت أن هوميروس صادق فى وصفه لمدينة موكيناى بأنها "حصينة البنيان" ("الإلياذة" الكتاب الثانى ٥٦٩) "غنية بالذهب" (الكتاب السابع ١٨٠). ومن الجلى أن مثل هذه الكنوز الضخمة ما كان للأخيين أن يحصلوا عليها إلا بعد أن خاضوا غمار حروب طويلة وحققوا فتوحات كبيرة فى بلدان بعيدة، من الأرجح أنها بأسيا الصغرى موطن الممالك القديمة والغنية. ولقد اعتقد شليمان أنه قد عثر على مقابر وأقنعة الدفن وبقايا أجساد أجاممنون وكليتمسترا وغيرهما من أبطال الحرب الطروادية. بيد أنه ثبت فيما بعد أن هذه الأشياء تنتمى إلى عصر ما قبل هذه الحرب، أى إلى القرن السادس عشر ق.م. على أية حال فلقد اكتشف فيما بعد "كنز أتريبوس"، وهو قبر والد أجاممنون الذى ينتمى إلى القرن الرابع عشر ق.م. ثم عثر على قصر أجاممنون نفسه. المهم أن هذه المقابر الموكينية - وهى على شكل خلية النحل - تنهض دليلاً قويا على قوة وثراء ملوك موكيناى وبراعة مهندسيهم المعماريين

وتقدم صناعتهم ولاسيما الحلى الذهبية والفضية والأحجار الكريمة وكذلك الأواني الفخارية التي تحمل رسوما رائعة. وتم العثور في هذه المقابر والقصور على حوائط ذات رسوم ملونة وسيوف وخناجر مرصعة بالذهب والفضة.

وواضح أن الحضارة الموكينية بصفة عامة عسكرية الطابع، بيد أن الفنون قد تطورت في ظلها تطوراً ملحوظاً. فاحتل الشعر على ما يبدو مكانة ملموسة، وإن اقتصر دوره في الغالب على مدح الأمراء الأحياء والثناء على من مات منهم. وينظر إغريقو الفترة الكلاسيكية إلى بناء الحضارة الموكينية على أنهم أبطال ويعتبرون أن عصرهم هو عصر البطولة، بل ويعتقدون أن دماء إلهية تجرى في عروقهم، إذ حققوا من الإنجازات الحضارية ما لم يستطع أى جيل من الأجيال التالية أن يصل إلى مستواها. واعتقد إغريقو الفترة الكلاسيكية كذلك أنهم قد ورثوا عن أولئك الأجداد والأمجاد قصصاً خالدة تعالج موضوعات نبيلة ومحبية إلى النفس، وقصصاً أخرى مخيفة تعالج موضوعات مفزعة غير محببة. وقالوا إن هذه القصص وتلك تقوم على أساس من الواقع، أى أن لها بذوراً تاريخية وقعت بالفعل في الزمن السحيق. وفي هذه الروايات المتواترة تقع بذور الشعر الملحمي الهومري.

كان للعصر الموكيني نظامه الإداري والبيروقراطي وكذا نظامه في الكتابة. وكل ذلك مسجل على لوائح فخارية تحمل إهداءات للآلهة وأسماء للأراضى أو الممتلكات والعمليات العسكرية وما إلى ذلك. ونظام الكتابة الموكينية المسمى خط الكتابة ب (Linear B) ليس أبجدياً، بمعنى أنه مقطعي يتكون من حوالى سبع وثمانين علامة دالة على الحروف المتحركة والساكنة التي تتلوها حروف متحركة. إنه أشبه ما يكون بنظام الاختزال في عصرنا الحديث. ومن ثم فهو بطبعه لا يصلح لأغراض جماهيرية، بل اقتصر استخدامه على الأغراض الرسمية المحدودة. وهذا بالقطع يعنى أنه لم يستخدم في تدوين الأدب. وعندما اختفت الكتابة الموكينية بعد الغزو الدورى الكاسح حوالى عام ١٢٠٠ ق.م. (أو ١١٠٠ ق.م. فى رأى آخر) كان الشعر لا يزال ينشد ويتناقله الناس شفاهة لا كتابة. وتراكم هذا الموروث الشعرى من جيل إلى جيل فى جميع أنحاء بلاد الإغريق ومستوطناتهم على ساحل آسيا الصغرى التي وصلها الإغريق منذ حوالى عام ١١٠٠ ق.م.

لا تتضمن الملحمتان الهومريتان أية إشارة إلى معرفة الإغريق آنذاك بفن الكتابة، أو على وجه التحديد فن تدوين الأدب. إذ جاء فى "الإلياذة" الكتاب السادس

بيت ١٦٨ وما يليه ما يلي:

أرسله إلى ليكيا وأعطاه علامات مميتة، رموزًا منقوشة على لوح مطوى
وأمره بعرضها على والد زوجته لعله يهلك.

فالعلامات المميتة (*semata lygra*) المشار إليها في ثاياتا أسطورة بيلليروفون يفترض أنها تشير إلى نظام الكتابة الموكينية الذى ألمحنا إليه. ولربما انتشرت الكتابة الموكينية هذه بتوسع الإمبراطورية الموكينية نفسها فى نهاية القرن الثانى عشر ق.م، ولكننا لا نملك الدليل على ذلك. ولقد قامت الحضارة الموكينية على ثلاثة عناصر رئيسية: العنصر الأول هو المتمثل فى حضارة الآخيين الوافدين من الشمال. والعنصر الثانى هو التراث المحلى للبلاسيين (*Pelasgoi*) أقدم سلالة سمعنا عنها فى بلاد الإغريق. أما العنصر الثالث فهو تأثير الحضارة الكريتية المينوية. ومما لا شك فيه أن المهاجرين من الشمال قد جاءوا عبر آسيا الصغرى و جلبوا معهم بعض التأثيرات من حضارات الشرق. أما الأثر الشرقى - ولا سيما المصرى والفينيقى - على حضارة كريت المينوية فلا يحتاج إلى تأكيد. وكان الحيثيون فى آسيا الصغرى قد نقلوا عن البابليين نظاما للكتابة. أما كريت فقد عرفت الكتابة منذ الألف الثانية ق.م على أقل تقدير واستعملت لغة لم تفك طلاسمها حتى الآن بصفة تامة وتشبه اللغة الصينية. وإذا كان الآخيون فى الأصل شعبا من الأميين فإنهم عندما قدموا من الشمال فى اتجاه الجنوب وصلوا إلى مناطق تعرف الكتابة وتمارسها من زمن بعيد. وتبنوا هذا الفن. ولكن من الملاحظ أن النظام الكريتى للكتابة لم يكن شائعا فى بلاد الإغريق الأساسية إبان العصر الآخى أى الموكينى. وحدثت طفرة ملموسة عندما تبنى الإغريق الأبجدية السامية الشمالية والتي اسموها "الحروف الفينيقية"^(١١) (*grammata phoinikeia*). وهى حروف

Herodot, V, 58, 2.(١١)

أحمد عثمان: تاريخ قبرص جزيرة الجمال والألم منذ القدم وإلى اليوم (القاهرة ١٩٩٧)، ص ٣١-٤١.

R. Carpenter, "The Antiquity of the Greek Alphabet" AJA xxxvii (1933) pp. 8-20.

Idem, "The Greek Alphabet Again" AJA XLII (1938) pp.59-69.

وعن تأثير الحضارة المصرية والفينيقية فى الإغريق بوجه عام راجع:-

R. Drews. "Phoenicians, Carthage and the Spartan Eunomia" AJPh. Vol. 100 no. I (1979) pp. 45-58.

إيمانويل فليكرفسكى (ترجمة فاروق فريد): أوديب وإخاتون، القاهرة ١٩٧٠.

أما عن تأثير الحضارة الفينيقية فى هوميروس عبر الحضارة الموكينية فانظر:

M.P. Nilsson, Homer and Mycenae. Cooper Square Publishers Inc, New York 1968, pp. 119-158.

G.S. Kirk, The Songs of Homer. Cambridge at the University Press 1962, pp. 3-51, 55 ff.

تشبه - إلى حد ما - الحروف السامية، وتتكون من مجموعات من العلامات كل منها يمثل ساكنا. ولقد طور الإغريق في هذه الأبجدية حتى وصلوا بها إلى ما نعرفه الآن باسم اللغة الإغريقية، والتي لا تزال حية إلى يومنا هذا بالصورة المتطورة التي يتحدث بها اليونانيون المحدثون. وهذه ميزة الإغريق، وعلى حد قول أحد مؤلفيهم "يستعيرون من الأجانب (*barbaroi*) ولكنهم يضيفون الكثير من التحسينات في النهاية"^(١٢). وبالنسبة للأبجدية الفينيقية التي استعاروها فقد استخدموا في البداية بعض العلامات للدلالة على حروف الحركة. ثم استبدلوا بتلك العلامات أشكالاً مبتكرة تماماً أي حروفاً جديدة لم تكن موجودة في اللغات السامية، وربما أخذوها عن مصادر أخرى. المهم أنهم في النهاية توصلوا إلى الأبجدية الإغريقية التي هي أصل الأبجدية اللاتينية، وبالتالي فهي جدة بعض الأبجديات الأوروبية الحديثة أيضاً. المهم أن الإغريق لم يعرفوا هذه الأبجدية قبل منتصف القرن الثامن ق.م على أقل تقدير.

ويقدم الباحث بيدج أدلة واضحة من أسلوب ملحمتي هوميروس ولغتهما على أنهما تتبعان بالفعل من عدة مصادر مختلفة^(١٣)، أي أنهما تقعان عند مصب تراث شعري عريق له عدة روافد. ومما لاشك فيه أن التقدم في فنون الكتابة والنسخ والتوسع في تدوين الأدب يأتي على حساب عمل المنشد الملحمي *aidos* الراوي للأحداث البطولية. أي أن التدوين أمر لا يتفق مع طبيعة الشعر الملحمي الأصلية أي الشفوية. وهذا ما سيتضح لنا من دراسة التقنية الملحمية الهوميرية ومتابعة ما طرأ عليها عبر العصور حتى تلاشت وحلت محلها ملاحم مكتوبة أي مصطنعة ابتداءً من العصر السكندري والروماني إلى يومنا هذا. وكان من الممكن أن تتحور وتتجدد ملاحم هوميروس مع مرور الزمن. وكان من المحتمل أن تتبدد أيضاً، لو لم يأت الطاغية الأثيني بيسيستراتوس في القرن السادس ق.م ويؤسس نظاماً جديداً للإنشاد الملحمي يسمى النظام الرابسودي، حيث اختفت قيثاره الراوي القديم وتزود الراوي المستحدث بدلا منها بعصا *rhados*. وكان عليه أن يغنى في كل مرة قصيدة مكتملة، أي أنشودة رابسودية *rhapsode* تبدأ من حيث انتهت السابقة *ex hypolepseos*. يقوم النظام الإنشادي الذي أسسه بيسيستراتوس إذن على

(١٢) (مجهول المؤلف ولو أنه ينسب أحيانا إلى أفلاطون) *Epinomis*, 987e.

(١٣) D.L. Page, *The Homeric "Odyssey"*, Oxford 1955 Ch. Vi; cf. *Idem*, *History and the Homeric "Iliad"*. University of California Press 1972, *passim*.

الإلقاء من الذاكرة اعتماداً على نص مكتوب وموثق يمكن الرجوع إليه فسي أى وقت، وهو النص الذى صار يعرف باسم تحقيق أو تنقيح بيسيسترانوس. وإذا كان هذا التنقيح المدروس قد حفظ أشعار هوميروس من الضياع فإنه قد قضى على كل فرصة للتجديد فى تقنية الشعر الملحمى، وهذا أمر طبيعى بالنسبة لفن كان قد بلغ قمة النضج أصلاً. ولقد كتب شيشرون الخطيب الرومانى المفوه عام ٥٥م تقريباً - أى بعد أن كانت الدراسات الفقهية والتحقيقات العلمية فى الإسكندرية قد انتهت وأصبحت معروفة للجميع بنتائجها - وقال إن بيسيستراتوس طاغية أثينا هو الذى إبان القرن السادس ق.م "قد رتب كتب هوميروس التى لم تكن من قبل على هذا الترتيب الذى نعرفه"^(١٤). وإذا كان هذا صحيحاً فإن الأشعار الهوميرية - وبصورة قريبة للغاية من النصوص التى وصلتنا - كانت تنشأ فى أعياد الباناتينايا الأثينية فيما قبل عام ٥٢٧ ق.م.

لكن مازال هناك سؤال بلا جواب، ففى مثل هذا المسار المطرد للأشعار الهوميرية أين يمكن أن نجد هوميروس نفسه؟ من المؤكد أن الذى حوّل الأغاني الملحمية الصغيرة والملائمة لحفلات الإنشاد والسمر إلى قصيدة كبيرة هو شاعر متأخر ولاحق للفترة التى ظهرت فيها هذه الأغاني ابتداءً. وبعبارة أخرى فإن هوميروس يأتى فى نهاية المطاف بالنسبة لتطور الشعر الملحمى لا فى بدايته. وعليه فإن التفكير المنطقى يرجح أن هوميروس لا يمكن أن يكون قد عاش قبل القرن الثامن ق.م. ولكن علينا أن نضع فى الاعتبار أن هذا التفكير المنطقى - وهو كل ما نملك - يمكن أن يكون مخطئاً. وعلينا أن نتذكر أن الإغريق على وجه العموم، وإن قبلوا بوجود هوميروس وبنسبة الملحميتين "الإلياذة" و "الأوديسية" إليه، لم يتفقوا على تحديد العصر الذى عاش فيه. فمنهم من جعله يعاصر الحرب الطروادية التى يصف أحداثها، ومنهم من جعله يعيش بعدها عدة قرون. أما بالنسبة للدلائل الداخلية المستمدة من نص الملحميتين فهى أيضاً متضاربة وغير مؤكدة. فمثلاً يقال إن الإشارة الواردة فى "الإلياذة" (الكتاب السادس بيت ٣٠٢-٣٠٣) والتى تتحدث عن تمثال أثينة فى وضع الجلوس تشى بأن التاريخ المشار إليه لا يمكن أن يكون قبل القرن الثامن ق.م، حيث بدأ فن النحت الإغريقى يتطور إلى مرحلة جديدة متحرراً من تأثير النحت المصرى. بل إن وصف درع أجاممنون فى نفس

الملحمة (الكتاب الحادى عشر بيت ١٩ وما يليه) يمكن أن يعود إلى ما بعد ذلك التاريخ، وكذا الإشارة إلى استخدام الفيلق phalanx فى الحرب (الكتاب الثالث عشر بيت ١٣١ وما يليه). ومع ذلك فإن كل هذه الإشارات وغيرها الكثير يمكن أن تكون مدسوسة على هوميروس. وعلى أية حال فهناك حد زمنى لا يمكن أن يكون هوميروس قد عاش بعده بإجماع آراء كل العلماء ألا وهو عام ٧٠٠ ق.م. هذا ويمكن أن نحدد فترة تقريبية تقع فيها حياة هوميروس وهى ما بين ٨٥٠ و ٧٥٠ ق.م.

ومما لا شك فيه أن موقع طروادة الجغرافى يمكنها من السيطرة على الممر الإستراتيجى أى مضائق الدردنيل والبسفور البحرية التى تصل البحر الإيجى بسواحل البحر الأسود الخصبة. طروادة إذن مدينة ذات أهمية تجارية واقتصادية وعسكرية أغرت الأخبين بمحاولة السيطرة عليها. أما السبب الذى يقدمه هوميروس لقيام حرب طروادة - أى خطف هيلينى زوجة ملك إسبرطة مينيلأوس على يد الأمير الطروادى باريس - فهى الذريعة الواهية أو السبب الدبلوماسى المباشر والمعلن لتبرير حرب لها أهداف أخرى أعمق وأهم من ذلك بكثير، هذا إذا ما قبلنا بوجود هيلينى أصلا. وبعبارة أخرى فإن رواية هوميروس لأسباب الحرب الطروادية هى رواية أسطورية، أى الرؤية الشعاعية والملحمية لحرب حقيقية وقعت بالفعل فى تاريخ يقع ما بين ١٢٨٠ و ١١٨٣ ق.م. برأى معظم المؤرخين. المهم أن هوميروس يصف أحداثا تاريخية قديمة جدا بالنسبة له، إذ تسبقه بحوالى ثلاثة قرون. وهو يستمد روايته من الموروث الشعرى المألوف والمتداول شفاهة.

وعلى هذا الأساس يمكن اعتبار "الإلياذة" و "الأوديسية" من خلق عدة أجيال متتالية من الشعراء المتجولين. ولكن إغريقيى العصر الكلاسيكى اعتبروهما من تأليف شاعر واحد هو هوميروس وعلينا أن نحترم رأيهم، ولو أنهم نسبوا إليه أشعاراً أخرى لا يمكن بأية حال أن يكون هو فعلا - إن وجد - مؤلفها. وبغض النظر عن الفوارق بين الملحمتين فإن روحهما العامة واحدة. يقول باورا إنه ليس من الخطأ أن نتحدث عن هوميروس - سواء أكننا نعنى به شاعراً واحداً أو عدة شعراء - باعتباره مؤلف هاتين الملحمتين^(١٥).

وبما أن هوميروس لا يتحدث عن نفسه في ملحمته "الإلياذة" (حوالي ستة عشر ألف بيت) و "الأوديسية" (حوالي اثنا عشر ألف بيت) فلقد استدل البعض من ذلك على أن مكانته الاجتماعية كانت أقل من مكانة أبطاله وهم من الملوك والأمراء، بل وأقل من مكانة جمهوره أيضاً لأنه كان ينشد أشعاره في بلاط أحفاد هؤلاء الأبطال. بيد أن تشبيهاته الشعرية - وهذا ما سنعود إليه - مستمدة من بيئته المعاصرة وما فيها، مما يظهر ميله إلى تصوير حياة بسطاء الناس بحرفهم اليدوية وأعمالهم الزراعية والرعية بما فيها من أدوات بسيطة وطيور وحيوانات وما إلى ذلك. ومن ثم قيل إن هوميروس كان شاعراً فقيراً وأعمى أو على الأقل فقد البصر في أواخر أيامه. ولعل هذه الرواية قد جاءت من الاعتقاد الشائع لدى مختلف الشعوب بأن المنشدين الملحميين كانوا في العادة من كفيي البصر. يضاف إلى ذلك أن النشيد الهومري "إلى أبوللو" (بيت ١٧٢) يتحدث عن شاعر أعمى من جزيرة خيوس. ويعتقد أغلب العلماء المحدثين أن هذا البيت يتحدث عن هوميروس نفسه. بل يرون أنه أيوني لأن اللهجة الأيونية تغلب على أشعاره، كما أنه يعرف عن ما هو أيوني أكثر مما يعرف عن ما هو دوري أو أيولي. وينازع خيوس في الادعاء بنسبة هوميروس إليها الكثير من المدن والجزر وفي مقدمتها مدينة سميرني (أزمير بتركيا)، بيد أن كفة خيوس هي الراجحة. وبها يعقد كل عام مهرجان "الهومريات" الذي يحاول به اليونانيون المحدثون إحياء ذكرى شاعرهم القديم والمبدع الأول هوميروس.

يجمع الباحثون على أن ملاحم هوميروس تمثل المرحلة الناضجة من تراث شعري شقوى عبارة عن أغاني كانت تؤدي بمناسبة وفاة أحد الشبان. ولهذه الأغاني بقايا في أشعار هوميروس، فمثلاً في "الإلياذة" (الكتاب الثامن عشر بيت ٥٦٩) نجد أغنية عن لينوس Linos يؤديها شاب على القيثارة وسط العذراوات والشبان حاملي سلال الأعناب في أعياد جنى الكروم، ويعتقد بعض العلماء أن هذه الأغنيات من أصل سامي.

وارتبط بعض المنشدين الملحميين السابقين على هوميروس بعبادة أبوللون وربطوا بين آسيا وكريت وجزر بحر إيجه وأراضي بلاد الإغريق الأساسية. وبعضهم الآخر جاء من آسيا الصغرى وبالتحديد من فريجيا وارتبطوا بعبادة كيبيلي Kybele. وظهر ذلك التراث بينما كانت القبائل الهيلينية لا تزال تهاجر من آسيا

إلى أوروبا. فهو تراث — إذن — ينتمى إلى ما قبل الهيلينية. ويشير هوميروس نفسه إلى هذا التراث بالحديث عن "أمجاد الرجال" *klea andron* وكذلك أغاني الزواج *hymenaeus* والمرثى *threnos* وكلها كلمات وتعبيرات سيجدها القارئ تتكرر كثيرًا في "الإلياذة".

وتعكس أعمال الزخرفة على درع أخيليوس الذى صنعه هيفايستوس — وسنعود للحديث عنه — بعض المصادر الفينيقية والأشورية والمصرية القديمة^(١٦). ولوحظ أن هذا الدرع لا يتضمن أية إشارة للسفن مما يتناسب مع الأشوريين، كما لا يحوى أى شيء عن العبادات الإغريقية. وأعمال الفن المشار إليها عمومًا عند هوميروس سواء فى المنازل أو قصور الملوك تعكس الفن الشرقى، فنحس وكأننا فى نينوى أو فى صور^(١٧).

ثالثًا: من هو الآخر فى "الإلياذة"؟

هكذا دخلنا عالم هوميروس من أوسع أبوابه، وعلينا الآن أن نركز الانتباه على "الإلياذة"، التى بلغ من عظمتها أنها غطت على شهرة مؤلفها، حيث كان قد عاش فى وقت ما ومكان ما ببلاد الإغريق لا نعرفه بالضبط.

وفى الوقت نفسه يعطينا هوميروس صورة واضحة المعالم لفترة مبكرة من التطور الحضارى البشرى. وهى صورة حافلة بالمعالم السياسية والدينية والقيم الأخلاقية بالإضافة إلى البيئة الاجتماعية. تختلف هذه الصورة الهومرية عن لوحة من الفسيفساء أو أية قطعة أثرية أخرى، لأنها صورة مكتملة ومنسجمة مع الانطباع العام الذى يتركه هوميروس فى الأذهان.

لا يستخدم هوميروس فى "الإلياذة" اسمًا يشمل كافة بلاد الإغريق أو اليونان التى نعرفها. فهو يتحدث عن "الأخيين" و "الأرجيين" و "الدانائيين". أما هيلاس

(١٦) A.S. Murray, *History of Greek Sculpture*. p. 44.

(١٧) للمزيد عن الأصول الشرقية لأشعار هوميروس راجع:

Allen W.S.: "Oriental Myth and Literature in the Iliad." In Hägg, ed., 1983: pp. 51-6.

J.D. Muhly, "Homer and the Phoenicians. The Relations between Greece and the Near East in the late Bronze Age and Early Iron Ages". *Berytus* 19 (1970) pp. 19-64.

C. Picard, "Homère et les religions de l'Égypte" *Revue archeologique* 6me Serie 10 (1937) pp. 110-113.

Hellas فهي لا تخرج عن حدود منطقة ثيساليا، مع أن هذا الاسم الأخير لا يرد قط في ملحمتي هوميروس. والآخيون الذين تتحدث عنهم "الإلياذة" لا زالوا يحكمون شبه جزيرة البلوبونيسوس (التي لا تذكر بهذا الاسم قط)، وكذا لا ذكر للدوريين في "الإلياذة". وهناك فرق بين "أرجوس الآخية" وتقابل معظم شبه جزيرة البلوبونيسوس، و "أرجوس البلاسجية" وتعنى جزءاً من ثيساليا. وتتحدث "الإلياذة" عن طراقيا ونهر أكسيوس (= الآن فاردار Vardar).

أما بالنسبة للساحل الغربي لآسيا الصغرى، الذى تجرى فوقه أحداث "الإلياذة"، فتتحدث الملحمة عن مايونيا (= ليديا فيما بعد) ولا ذكر لأى مدينة إغريقية فى المنطقة من ميسيا إلى كاريا، ولا يذكر الاسم "الأيونيون" سوى مرة واحدة (الكتاب الثالث عشر بيت ٦٨٥)، وتؤخذ الفقرة كلها على أنها إشارة للأثينيين. وتذكر بعض مناطق أعماق آسيا الصغرى، مثل فريجيا وبافلاجونيا، فى إشارات عامة وغامضة.

من الجزر فى بحر إيجه تذكر كريت ورووس وما يحيط بها من جزر صغيرة فى الجانب الجنوبى الشرقى. ومن الجزء الشمالى الشرقى المحاذى لمنطقة طروادة تذكر تينيدوس وإمبروس وساموطراقيا (باسم ساموس) وليسبوس وليمنوس، ولا ذكر للكيكلاديس وخبوس وساموس.

ومن عالم الجنوب بعيداً عن بلاد الإغريق يذكر فى "الإلياذة" الأثيوبيون "ذوو الوجوه المحروقة" أو الداكنة. ويذكر البيجميون الذين يقطنون على ضفاف نهر الأوكيانوس (ربما فى أفريقيا الوسطى). ويذكر المصريون ومدينتهم طيبة (= الأقصر) (الكتاب التاسع بيت ٣٨١ وما يليه). فطيبة المصرية ذات مائة باب يخرج مائتا رجل من كل منها بخيولهم وعرباتهم :

ولا كل ما يدخل إلى أورخومينوس أو إلى طيبة المصرية، حيث
تمتلى الخزائن بكل ما هو نفيس وقيم، ذات البوابات المائة التى
ينطلق من كل منها مائتا بطل ومع كل منهم جياده وعربته.

ويذكر الفينيقيون^(١٨) وصناعاتهم الدقيقة، وتذكر صيدا أكثر من مرة (الكتاب السادس بيت ٢٨٩، والكتاب الثالث والعشرون ٧٤٣). وتذكرنا زخرفة درع

أخيلوس التي أبدعها هيفايستوس - كما سبق أن ألمحنا - بالصناعات الفينيقية الدقيقة ولاسيما فى صور. وكما هو واضح ضم قصر برياموس الفينيقيين والفينيقيات، وتحدثنا "الإلياذة" نفسها عن نساء صيدا الماهرات فى الأشغال اليدوية من تطريز وخلافه (الكتاب السادس أبيات ٢٨٧ وما يليها).

أما الملكة نفسها فقد نزلت إلى خزانة الكنوز ذات القباء

حيث أودعت ملابسها فاحشة التطريز والثراء، إذ أتقنت صنعها

نساء صيدا اللاتى كان ألكسندروس (= باريس) نصف الإله

قد جلبهن من صيدا حين مخر عباب البحر الشاسع فى رحلة

عودته (إلى طروادة) بهيلينى رفيعة النسب

ويتردد فى "الإلياذة" ذكر كادموس والكادميين (الكتاب الرابع أبيات ٣٨٥، ٣٨٨، ٣٩١، والكتاب الخامس ٨٠٣، ٨٠٧، والكتاب العاشر ٢٨٨، والكتاب الثالث والعشرون ٦٨٠). أما الإله مكار (أو مقار) الذى يذكره هوميروس فى الكتاب الرابع والعشرين (بيت ٥٤٤) فربما يكون الإله الفينيقى ملقرت Melqarth الذى اعتبره الإغريق فى العصور التالية أصلاً لعبادة البطل الإغريقى الأشهر هرقل^(١٩).

لكن من هم الطرواديون ؟

فى دفاعه عن بعض ملامح الوحشية والبربرية فى التراث الأسطورى والطقوس الإغريقية يقول جلبرت مورى Gilbert Murray إن هذه الملامح هى بعض بقايا البربرية الأقدم فى الروح الهيلينية الصافية والخالية من هذه البربرية. فعندما اقتحم الإغريق بلدة كيليناي Kelainai فى أقصى فريجيا بآسيا الصغرى وجدوا هناك تقليدًا قديمًا يروى فحواء أن الإله المحلى سلخ البطل أو الملك المحلى مارسياس Marsyas حيًا. ويورد مورى تفسير فريزر لهذه الأسطورة بأن مارسياس هو ملك الخضرة الذى يسلم بين الحين والحين ويحتفظ بجلده حتى موسم

(١٩) Ahmed Etman, The Problem of Heracles' Apotheosis in the "Trachiniae" of Sophocles and in "Hercules Oetaeus" of Seneca. A Comparative Study of the Tragic and Stoic Meaning of the Myth. A thesis for the Ph.D. Degree in Greek with summary in English). Athens 1974., pp. 50-63.

وعن كادموس انظر :

Edwards, R.B.: Kadmos the Phoenician: A Study in Greek Legends and the Mycenaean Age. Amsterdam 1979.

الحصاد التالي. ويؤكد موري أن الإغريق هم تجار الحوض الشرقي للبحر المتوسط وبحارته دون أن يعنى ذلك انتماءهم لهذا العالم. وربما تكون هذه الأسطورة كما يقول موري هي من بقايا الغزو الأشوري، لأن الأشوريين على حد قوله كانوا يحتفلون بعد انتصاراتهم بسلخ من قهروهم أحياء^(٢٠).

أثبتت الحفريات في موقع طروادة بأنه كانت هناك ست مدن الواحدة فوق الأخرى وأنها جميعًا دمرت تباعًا وأعيد بناء كل منها فوق بقايا الأخرى، مما يعنى أن هذا الموقع كانت له حساسية خاصة. وحتى في الإطار الأسطوري "للإلياذة" وتدمير طروادة على يد أجاممنون يتردد الحديث دائمًا بأنها كانت قد دمرت من قبل عدة مرات.

وتروى الأسطورة الإغريقية أن هرقل - الذى ينتمى إلى جيل أسبق وأقدم من أبطال طروادة - ذهب إلى طروادة للحصول على خيول لأوميدون. وتثبتت كل الدراسات الحديثة أن طروادة القديمة فعلاً اشتهرت بتربية الخيول. ومن الملاحظ في "الإلياذة" أن صفة "مروضى الخيول" تلصق بالطرواديين دائماً جماعة أو فرادى. يقول آينياس في "الإلياذة" (الكتاب العشرون ٢١٣ وما يليه):

إذ كان زيوس جامع السحب قد أنجب داردانوس مؤسس سلالتنا
وبانى داردانيا، ولم تكن إليوس المقدسة قد شيدت بعد فى
الوادى على أنها مدينة البشر الفاتين، إذ كانوا لايزالون
يسكنون منحدرات إيذا كثير الينابيع. وبعد ذلك أنجب
داردانوس ولداً هو الملك إريخثونيوس الذى أصبح أغنى
البشر الفاتين، فقد كان يملك ثلاثة آلاف فرس ترعى فى المروج
وتنعم بصغارها. وبينما هى ترعى شغف بها بورياس حباً
وفى هيئة حصان ذى لبدة قاتمة خالطها وأنجب منها اثنتى
عشرة مهرة، تلك التى عندما تطير فوق الأرض المزروعة تقشد
ذؤابات زهور البروق (القرنفل) ولا تكسرها ولا تطيح بها.
وعندما تطير فوق ظهر البحر العريض فاتها تقشد ذؤابة
الموج الهائج.

(٢٠) Gilbert Murray, The Rise of the Greek Epic. Fourth Edition. Oxford 1934, pp. 20-21.

وتعكس آراء موري المركزية الأوروبية التى سبق أن دحضناها فى مقدمة "أثينة السوداء" راجع حاشية رقم ٧ أعلاه.

ولكن الخيول لم تكن الثروة الوحيدة التي تتمتع بها مملكة برياموس. فسترابون^(٢١) يتحدث عن مناجم الذهب في أستيرا Astyra بالقرب من أبيدوس Abydos بمنطقة طروادة. ونحن نعرف أنه في العصور التالية كانت تجارة شاسعة تمر في بحر الهيلليسيونطوس (الدردنيل والبسفور) وتربط بين البحر المتوسط والبحر الأسود. ومن هنا تأتي أهمية التحكم في هذا الممر التجارى. ولمزيد من إيضاح أهمية طروادة إبان العصر الموكيني نشير إلى أنه بعد أن أسس الإغريق مستعمرات لهم على الهيلليسيونطوس والبحر الأسود في العصور التاريخية. فقدت طروادة أهميتها وأصبح بمقدور السفن الإغريقية أن تبحر دون الحاجة لمياه نهر سكماندروس العذبة وأخذ الإذن من مملكة طروادة. لقد كان وادى طروادة هو نقطة الالتقاء الطبيعية بين تجارة البحر الأسود وتجارة جزر بحر إيجه.

لكننا من معطيات "الإلياذة" لا نستطيع الإجابة عن السؤال المطروح: من هم الطرواديون؟ هل هم شريقيون ينتمون لحضارات الشرق القديم؟ فهذا ما لا نستطيع تأكيده من خلال "الإلياذة" التي تعطيهم أسماء إغريقية وتنسب إليهم عادات وتقاليد إغريقية. بل إن الطرواديين في "الإلياذة" يتعبدون لآلهة الإغريق أنفسهم مثل زيوس وأفروديتى وأبوللون وغيرهم. وبعض هذه الآلهة ينحاز إليهم ضد الإغريق وبصفة خاصة أفروديتى ربة الجمال والحب والتناسل التى أنجب منها أنخيسيس أحد الأبطال الطرواديين المرموقين أى آينياس. بل إن الطرواديين في "الإلياذة" يحملون الأسماء نفسها التى يحملها الإغريق مثل أخيلأوس فهو اسم لطرودادى فى الكتاب الثامن (بيت ٢٥٧) واسم لإغريقى فى الكتاب الحادى عشر (بيت ٣٠٢). بل إن بودارجوس يرد اسماً لحصانين فى "الإلياذة" أحدهما لهيكتور (الكتاب الثامن بيت ١٨٥)، والثانى لمينيلاؤس (الكتاب الثالث والعشرون بيت ٢٩٥). ومن المدهش أن لاؤديكى هو اسم بنت أجاممنون (الكتاب التاسع بيت ١٤٥ و ٢٨٧) وهو فى الوقت نفسه اسم بنت عدوه اللدود برياموس (الكتاب الثالث ١٢٤ والكتاب السادس ٢٥٢).

فإذا قال قائل إن الطرواديين شريقيون عندئذ سنضع أيدينا على ما يسمى بالخلط الزمنى anachronism. وهو خلط لا يقتصر على الزمن بل يشمل كل شىء. وهو أمر لا ينفرد به هوميروس - الذى يخلط بين معطيات زمنه وزمن الأحداث التى يتحدث عنها - بل هو شائع فى الأعمال الإبداعية منذ القدم وإلى

شكسبير^(٢٢) بل وإلى يومنا هذا، ونجده على سبيل المثال فى مسرحية "الفرس" لأيسخولوس المعروضة عام ٤٧٢ ق.م حيث يتعبد الفرس فى هذه المسرحية لزيوس وسائر آلهة الأوليمبوس مثل الإغريق تمامًا، بل إن الجو العام فى القصر الفارسى يكاد لا يختلف عن الجو العام فى قصر ملكى إغريقى. فهل تصور "الإلياذة" الطرواديين على هذا النحو نفسه؟^(٢٣). وتزداد صعوبة الإجابة على التساؤل المطروح من هم الطرواديين؟ إذا لاحظنا أن هوميروس كان واعياً بالفروق اللسانية بين المتحاربين. فهو يميز بين الطرواديين وحلفائهم متعددى اللغات ويقول (الكتاب الثانى، أبيات ٨٠٣-٨٠٦) على لسان إيريس مخاطبة هيكتور:

"كثيرون هم الحلفاء فى مدينة برياموس العظيمة، وكثير هو اختلاف اللغات بين هؤلاء الرجال المنتشرين خارج المدينة. فليتحدث كل (زعيم) منهم إلى المجموعة التى يرأسها . وليتقدم كل منهم بعد أن ينتهى من ترتيب صفوف رجال مدينته".

فأهل آسيا الصغرى بلغاتهم الشرقية مشاركون فى الحرب. ومع أن الاحترام متبادل بين الإغريق والطرواديين بصفة عامة إلا أن المرء يحس بانحياز هوميروس الدفين للإغريق. فهل ينم هذا الموقف عن أن الطرواديين ينتمون إلى الآخر فى "الإلياذة"؟

رابعاً: الكلمات المجنحة بالوزن السداسى

ومن المقطوع به أنه من المحال الوصول إلى تصور حقيقى "للإلياذة" الأصلية، ومدى حجم الإضافة والحذف التى عانت منهما عبر العصور منذ ثلاثة آلاف سنة. إنها على أية حال أول صورة فنية للسلاطة التى تعرف الآن بالسلاطة الهيلينية. وإذا كان ماتيو أرنولد Matthew Arnold يعرف الشعر على أنه "نقد الحياة" فقد تكون هذه هى نصف الحقيقة فقط، لأن الشعر فى أسمى تجلياته هو

(٢٢) أحمد عثمان: الكلاسيكية فى مسرح عصر النهضة والتراث المتجدد فى مسرحيات شكسبير وراسين. القاهرة ١٩٩٩، ص ٢٦٣-٢٧١.

(٢٣) يمكن للقارئ أن يعود للمعجم الأسطورى الملحق ليأكد من أن "الإلياذة" بالفعل تضم أسماء مشتركة كثيرة جداً. ولكن أسماء الملوك والأمراء ليست مشتركة. فأجاممنون وأخيلئوس ومينلاؤس وبرياموس وهيكتور كل منها اسم لشخص واحد فقط. فالأبطال الهوميرون آحاد لا يشاركونهم الأسماء والثراء والأبهة والعظمة أحد آخر.

تفسير للحياة، بل هو تفعيل الحياة. وهذا بالضبط ما تمثله "الإلياذة" و "الأوديسية" فهما من أنصع آيات الفن المعبر بصدق عن الروح الهيلينية في بكارتها.

وسنحاول في السطور التالية معالجة الجوانب الفنية في "الإلياذة" التي تجسد هذا الدور. فمن الملامح الفنية البارزة في "الإلياذة" التشبيهات والخطب. وسنعود للحديث المفصل عن التشبيهات، أما الخطب فيقول عنها جيب Jebb صاحب أهم الدراسات في فن الخطابة الإغريقية :

"لا توجد خطبة واحدة في التراث القديم الذي وصلنا تقترب من النموذج المثالي للخطبة مثلما تفعل خطب هوميروس. ويكمن السبب في ذلك أن الخطب الواردة في "الإلياذة" تتبع بصورة طبيعية من مناظرة ما، وأعظمها يأتي ردًا (على خطبة أخرى)"^(٢٤).

ولا يملك المرء وهو يقرأ "الإلياذة" إلا أن يعبر عن بالغ دهشته وإعجابه بحس هوميروس ووعيه بدقائق النفس الإنسانية، وكذا بقوته ولينه ووضوح رؤيته وسعة أفقه، وسلامة تأملاته في الإنسان والطبيعة. إنه أروع مثال للفنان العظيم. إنه ينظم الشعر وعينه على الموضوع لا على الأسلوب، كما يفعل أغلب الشعراء المحدثين، حيث يولون الأسلوب جل اهتمامهم وإليه ينقلون أو يترجمون موضوعهم. فالزخرف في أسلوب هوميروس لا نحس به، لأنه لا يأتي وكأنه ملحق مصنوع يستهدف توسيع الموضوع، بل هو جزء طبيعي وعضوي في نسيج الموضوع ذاته.

يقول جلبرت موري G. Murray عالم الكلاسيكيات الأشهر وصاحب الدراسة المتعمقة في الشعر الإغريقي الملحمي إننا ينبغي أن نقرأ الأشعار الملحمية القديمة بشيء من الخيال والتعاطف، فبدونهما تصبح هذه الملاحم القديمة كتبًا صماء. لقد نجح هوميروس شاعر "الإلياذة" في أن يخلق الخيال والتعاطف اللازمين لأي معاصر يحاول قراءته الآن^(٢٥).

يتمتع هوميروس شاعر "الإلياذة" بما يمكن أن نسميه البساطة السامية والمباشرة الصريحة، فهو ليس غامضًا البتة. قد يكون حزينًا ولكن حزنه ليس فجًا

R.C. Jebb, The Attic Orators. Reprinted, New York 1962, p. cvii. (٢٤)

Murray, Rise of Greek Epic, p. 231. (٢٥)

غليظاً، وإنما هو حزن ينم عن فخامة وأبهة. وهو سار ومفرح كالحياة نفسها فى مسراتها وأفراحها الطبيعية. إنه يعبر عن آمال البشرية ومخاوفها، سقطاتها وتطلعاتها. ولمن يريد أن يطلع على هذه الجوانب مجتمعة فليقرأ مشهد وداع هيكتور لزوجته أندروماخي (الكتاب السادس)، أو مشهد نصائح ساربيدون لجلاوكوس (الكتاب الثانى عشر)، أو النهاية الدرامية المذهلة أى لقاء برياموس مع أخيلئوس، حيث ذهب الملك الطروادى الطاعن فى السن يقدم الفدية فى مقابل تسلّم جثة ابنه الصنديد هيكتور (الكتاب الرابع والعشرون).

قد تكون غضبة أخيلئوس موضوعاً من الدرجة الثانية، وقد لا تصلح لعمل شعرى كبير، ولكن مؤلف "الإلياذة" المبدع صنع منه ملحمة شعرية رائعة. غضب أخيلئوس عندما انتزعت منه محظيته بريسيئيس وهذا أمر لا يصنع ملحمة، ولكنه صب جام غضبه أيضاً على هيكتور عندما قتل صديقه الحبيب باتروكلوس، وهذا الغضب يصلح لعمل شعرى. فكيف صاغ هوميروس من هذه الغضبة ملحمة "الإلياذة" التى تصور الحرب الطروادية فى إطار كوني؟

يتسم أسلوب هوميروس بأربع صفات أساسية: فهو متدفق، واضح الفكر، بليغ العبارة، وسامٍ فى كل شىء. وهذا الجمع الفريد بين تلك الصفات الأربع كان بمثابة الصخرة التى تحطمت عليها جهود كبار مترجمى هوميروس ومقلديه عبر كافة العصور. فقد فشل كووبر Cowper، فى أن يكون متدفقاً، وفشل ألكسندر بوب Pope فى أن يكون بليغ العبارة. أما تشابمان Chapman فلم يكن واضح الفكر فى ترجمته، رغم أنه الأقرب إلى هوميروس من حيث بلاغة الكلمة وطزاجتها والقوة والتدفق. وسنعود لأصدقاء أسلوب هوميروس فى الآداب العالمية.

يتميز أسلوب هوميروس فى "الإلياذة" بأنه غنائى مزخرف بصفة عامة، ولكن التنوع هو السمة الرئيسية. خذ على ذلك مثلاً وصفه لجروح الأبطال وموتهم، فلو كان يتبع أسلوباً واحداً لمل المتلقى لأن المشهد متكرر فى "الإلياذة" من أولها إلى آخرها. ولكننا نكتشف تنوعاً فريداً يميز بين جرح بطل وآخر. وكيفية الانتقال إلى العالم السفلى أى الموت تختلف فى كل مرة عن سابقتها ولاحتقتها، فهذا ينكفى على بطنه ويعض الأرض، وذاك يطرح أرضاً على ظهره وتفيض روحه، وآخر يصارع الموت ويقاومه، وآخر يخفى بطريقة غامضة، وهكذا. وينطبق هذا المعيار نفسه على مشاهد المعارك والمبارزات الفردية، التى هى الموضوع الرئيسى

المتكرر. فلا نجد معركة مثل أخرى ولا تتشابه المبارزات الفردية. ويبدو وصف المعارك في "الإلياذة" وكأنه واقعي، أى كأن الشاعر يرى معركة حقيقية ويصفها لنا. ومع ذلك فهو ليس وصفاً تاريخياً. إنه وصف يبدو وكأنه يسرد وقائع وحقائق مع الإيحاء سلفاً بالنتيجة الحتمية لكل معركة^(٢٦). وذلك بفضل تنوع الأسلوب والدقة كذلك فى رسم الشخصيات والخلفيات^(٢٧).

ويقول كيرك Kirk إن لغة هوميروس مزيج مصطنع جاء من أماكن متفرقة وأزمنة مختلفة، لأنها نتاج الموروث الملحمى الشفوي، حيث كان كل منشد يبتدع مختلف التراكيب والأشكال اللغوية التى تتواءم مع قدراته وبيئته. وقد نسب ب. شانترين P.Chantraine بعض هذه التراكيب والأشكال إلى فترة ما بعد هوميروس، ولكن العالم الأسترالى G.P. Shipp أثبت أن معظم ما كان ينسب إلى ما بعد هوميروس فى هذه الأساليب اللغوية يعود أصلاً إلى الموروث الملحمى أى ما قبل هوميروس^(٢٨).

Alberto Camerotto, "Aristeia Azioni e tratti tematici delleroe in battaglia", (٢٦) Aevum Antiquum N.S.I (2001) pp. 263-308.

M.M. Willcock, "The Fighting in the Iliad", Spondes ston omero, (Apo ta practika tou 18th Synedriou 8 yia ten Odysseia 2-5 sept. 1990). Kentro Odysseiakon Spoudon. (Ithaki 1993), pp. 141-147.

H. Erbse, Typical Battle Scenes in the Iliad, Hermes Einzelschriften 21. Wiesbaden 1968.

(٢٧) عن رسم الشخصيات فى "الإلياذة" انظر: أحمد عثمان: الأدب الإغريقي، ص ٦٦-٨٠ وراجع:

J. Griffin, Homer on Life and Death. Clarendon Press. Oxford, Reprint 1986, pp. 50-80.

وعن رسم شخصية ملياجروس وأخيلوس وفوينيكس ودرره فى وحدة بناء "الإلياذة" راجع:

Andreou I. Boskou Meleagros – Achilleus kai Phoinix: (Symbole eis ten ereunan tes enotetes tes Iliados. (Meleagros – Achilleus and Phoinix. A Contribution to the Study of the Unity of the Iliad) Ph.D. Thesis Leukosia – Cyprus 1974.

P. Chantraine, Grammaire Homerique I. Paris 1958. pp. 15 ff., 44-47. (٢٨)

If. Kirk, Homer and the Epic. Cambridge. Reprint 1996, pp. 141 ff.

B. B. Powell, op. cit., passim.

أما عن آراء شيب فراجع:

G.P. Shipp, "Mycenaean Evidence for the Homeric Dialect." Essays in Mycenaean and Homeric Greek. Melbourne: (1961), pp. 1-14.

Idem: Studies in the Language of Homer, Transactions of the Cambridge Philological Society 8. Cambridge 1953.

Idem : Studies in the language of Homer, 2nd ed. Cambridge 1972.

بذلت جهود شتى لتأريخ هوميروس بناء على الدرس اللغوى المنهجي "للإلياذة" و "الأوديسية" وكذا اللهجات الأيولية والأيونية وتطورهما. ولكن النتائج لم تكن مرضية، وإن أسهمت هذه الدراسات فى فهم المزيج العجيب لمكونات اللغة الهومرية. فبالحصر تم اكتشاف عدة طبقات فى لغة هوميروس دون الوصول إلى تاريخ محدد لكل طبقة منها ولا للطبقة الأحدث. ولا يمكن الجزم سوى بتاريخ هو الحد الأقصى أى ٧٣٠-٧٠٠ ق.م وهو التاريخ الأرجح لهيسودوس، وبعبارة أخرى ينبغى أن يكون هوميروس قد عاش قبله *terminus ante quem*.

وعلىنا أن نتذكر رحلة نص "الإلياذة" عبر العصور منذ إنشادها شفويًا وجمعها فى عصر الطاغية بيبسيستراتوس ثم نقدها وتحقيقها فى العصر السكندري^(٢٩). فى كل تلك المراحل مر النص بسلسلة من الحذف والإضافة والتغيير والتبديل فيما بين اللهجات الإغريقية الأيولية والأيونية والأتيكية. وسنعود للحديث عن رحلة نص "الإلياذة" إلينا.

ولكن لا مفر من الإشارة هنا إلى أن الكلام عن لغة هوميروس أمر تكتنفه الكثير من التساؤلات والشكوك. ولعل هذا ما أضاف إلى ملحمة "الإلياذة" مسحة من الغموض وصل بالبعض إلى الاعتقاد أنها لغة سماوية مقدسة.

يرى ريتشارد مارتن **Richard Martin** أن الدرس المقارن لتراث الشعر الملحمى الشفوى فى أفريقيا وأيسلنده وغيرها يوضح أن الأبطال كانوا بمثابة لاعبي أدوار **performers** ملحميين يتبعون أساليب فنية واعية سواء فى الفعل أو القول. وهذه هى النتيجة التى يمكن أن نصل إليها بتحليل الخطب التى يلقيها الأبطال فى

(٢٩) عن التقية الشفوية فى "الإلياذة" وتأثيرها فى طبيعة اللغة المستخدمة راجع:

M.N. Nagler, *Spontaneity and tradition; a study in the oral art of Homer*. Berkeley 1974.

M. Finkelberg, "A Creative Oral Poet and the Muse" *AJPh* 111 (1990) pp. 293-303.

R. Finnegan, *Oral Poetry*. Cambridge 1977.

Richard Bauman, *Story, Performance, and Event: Contextual Studies of Oral Narrative*. Cambridge University Press 1986.

Claude Calame, "Entre oralité et écriture: Énonciation et énoncé dans la poésie grecque archaïque" *Semiotica* 43, (1983) pp. 245-73.

D. Gary Miller, *Improvisation, Typology, Culture, and "The New Orthodoxy": How Oral is Homer ?*. Washington, D.C.: University Press of America 1982.

"الإلياذة". فهي خطب صيغت بعناية فائقة لتظهر المجد البطولي والبراعة القولية لكل بطل على حدة، مع رسم خلفية اجتماعية مميزة له^(٣٠). فكل بطل في "الإلياذة" يؤدي دوراً ملحماً، ومن ثم فإن لكل بطل لغته المميزة ينفرد بها ويتميز عن غيره، حتى إنه يمكن الحديث عن "لغة أخيليوس"^(٣١). و "لغة هيكتور" وهكذا^(٣٢).

بالدرس اللغوي المتخصص ثبت أن هناك فروقاً بينة في المفردات والتراكيب والأساليب فيما بين الأجزاء السردية والخطب أو الأحاديث المباشرة على لسان الشخصيات نفسها في "الإلياذة". وهذا ما يضع المزيد من المشكلات المعقدة أمام النظرية الشفوية للملاحم الهومرية. بل هناك ما يميز لغة كل بطل عن الآخر في "الإلياذة"^(٣٣).

أما الوزن السداسي **hexametron** نفسه أداة الشعر الملحمي القوية في "الإلياذة" فهو جزء من تركة الحضارة الموكينية على ما يبدو. فما كان ليصل إلى هذه القوة والعظمة والسلاسة، كما هو عند هوميروس، لولا أنه كان قد مر بفترة طويلة من التطوير والصلق. إنه وزن يقوم على التقسيم الكمي لا الكيفي، أي لا يقوم على النبرة بل على الحروف والمقاطع بمقدار طولها وقصرها، أي على الزمن الذي يأخذه كل منها في النطق. ومع أن الشعر الأوروبي المعاصر يقوم أساساً على النبرة، فإنه من الراجح أن التقسيم الكمي كان هو الأصل وهو المتبع في لغات الأسرة الهند أوروبية بصفة عامة. فهو موجود في السانسكريتية والفارسية على سبيل المثال. وهو نظام أكثر طواعية واستقراراً من النظام القائم على النبرة.

Richard P. Martin, *The Language of Heroes. Speech and Performance in the Iliad*. Cornell University Press 1990, pp. 80-145. (٣٠)

Gordon M. Messing, "On Weighing Achilles' Winged Words". *Language* 57, (1981) pp. 888-900.

Ibid. pp. 146 ff. (٣١)

عن المزيد حول اللغة والأسلوب في "الإلياذة" راجع: (٣٢)

Steven Nimis, "The Language of Achilles: Construction vs. Representation". *Classical World* 79, (1986), pp. 217-25.

M.D. Reeve, "The Language of Achilles", *CQ* 23 (1973), pp. 193-5.

Stephen Scully, "The Language of Achilles: The OXΘHEΑΣ Formulas", *TAPhA* 114, (1984) pp.11-27.

Jasper Griffin, "Homeric Words and speakers", *JHS CVI* (1986) pp. 36-57. (٣٣)

G. Horrocks, *Greek: A History of the Language and its Speakers*. Longmann 1997, pp. 17 ff.

لأن الأول يقوم على مبدأ ثابت وهو أن الحرف أو المقطع الطويل عند النطق يأخذ من الوقت ضعف ما يأخذه الحرف أو المقطع القصير. وكل مقطع يأخذ حجمه الطبيعي، كما تحسب الحروف المتحركة والساكنة في العملية كلها. واصطاح الناس على أن هذه الحروف طويلة وتلك قصيرة وتركوا بعضها محايداً، أى يمكن أن يكون طويلاً أو قصيراً^(٣٤).

يتكون الوزن السداسى من ستة أقدام، وكل قدم مكون من داكيتيلون أى مقطع طويل متبوع بأخرين قصيرين (U U —)^(٣٥). ويمكن أن يستبدل بأى قدم من الأقدام الستة الداكتيلون قدم سبوندى أى مقطعان طويلان (— —). بل إن القدم السادس يمكن أن يقتصر على مقطعين أحدهما طويل والآخر قصير (U —).

ولا نعرف أين اخترع الوزن السداسى، فلا مثيل له فى الشعر السامى أو الحيثى القديم. وقيل إنه جاء من جزيرة كريت المينوية، ولكننا لا نعرف عن لغة هذه الحضارة ما يكفى للتثبت من ذلك. الأرجح إذن أنه اختراع إغريقى قائم على التقسيم الكمى المعروف فى أسرة اللغات الهند أوروبية. ولقد ساعدت طبيعة اللغة الإغريقية نفسها على اختراع هذا الوزن، فهى تتناغم معه تماماً. وعلى أية حال فإن هذا الوزن قد عاش فيما بين ٤٠٠ ق.م. تقريباً وحتى آخر ملاحم العصر القديم فى القرن الخامس الميلادى. وقد ينازعه أى وزن آخر فى طول البقاء، ولكنه يقف بلا منازع من حيث إنه لم يفقد شيئاً من كيانه الأساسى طوال حياته مع حدوث تطور لغوى وفكرى ضخم، بل ومع تنوع الموضوعات التى صيغت فيه من الملاحم مسرفة الطول إلى الأغاني القصيرة للغاية^(٣٦).

(٣٤) عن تقنيات هومروس الشعرية راجع:

A.J.B. Wace & F.H. Stubbings (edd.), *A Companion to Homer* (Macmillan 1962), pp. 19-214 (By J.A. Davison).

وقارن أحمد عثمان: "الوزن الساتورى والأصول المحلية للأدب اللاتينى" مجلة الشعر القاهرية عدد ١٨ (أبريل ١٩٨٠) ص ٥٠-٥٧.

(٣٥) العلامة — تعنى حرفاً أو مقطعاً طويلاً والعلامة U تعنى حرفاً أو مقطعاً قصيراً وهى علامات متداولة ومعروفة فى علم العروض الإغريقى. وعن الأوزان بشكل مبسط راجع:

D.S. Raven, *Greek Metre. An Introduction*. Faber and Faber, London 2nd ed. 1968.

(٣٦) للمزيد عن تقنيات "الإلياذة" الشعرية راجع:

H. Erbse, *Epic verse before Homer*. Amsterdam 1981.

W.S. Allen, *Vox Graeca The Pronunciation*. 3rd edition. Cambridge 1987.

خامساً: العالمان المتوازيان والتوجه الشعري في التشبيهات

ومن بين التقنيات الشعرية المميزة في "الإلياذة" تبرز التشبيهات. وقد سبق لنا أن تناولنا التشبيهات الهوميرية وموقعها في إطار الفن الملحمي^(٣٧). وقد يكون من المفيد هنا ونحن بصدد التقديم للنص الهومري المترجم أن نسلط الضوء على بعض النواحي في هذه التشبيهات التي بلغت حوالي ١٨٠ تشبيهاً مفصلاً في "الإلياذة"، وسنورد بعد قليل قائمة بهذه التشبيهات. والملاحظة الأولى عليها أنها منتسعة الأفق ومتنوعة. والتشبيهات الهوميرية^(٣٨) إما قصيرة جداً وعابرة وإما مطولة تستهدف أن تطبع في نفوس سامعيها أدق التفاصيل. ويستخدم هوميروس كلا من النوعين بصفة مستمرة. وهو أحياناً يستطرد في التشبيهات المطولة إلى حد أنها تبدو للوهلة الأولى منفرطة أو مفككة الأوصال. بيد أننا إذا دققنا النظر يمكن أن نعتبر هذا التطويل أو التمديد شيئاً ملائماً للسياق الذي ورد فيه. والانطباع العام الذي يخرج به السامع أو القارئ لملاحم هوميروس هو الانطباع نفسه الذي يحس به المرء عندما يشاهد بعض لوحات الرسم، حيث يحرص مبدعوها على أن يضيفوا - إلى جوار الموضوع الرئيسي الذي تسلط عليه الأضواء - ما يسمح لنا بإلقاء نظرة من نافذة جانبية صغيرة على مشهد طبيعي ساحر ومرسوم بعناية فائقة. وهو منظر يعكس الحياة الرعوية الوديعية. وبعض المشاهد الهوميرية موروث وقديم يمكن أن نعود به إلى العصر الموكيني. وبعضها أصيل مبتدع، أو بالأحرى مستمد من الحياة اليومية لعصر هوميروس نفسه. وكأن هوميروس الذي أدرك فظائع الحرب التي يصف أحداثها ويغوص في تفاصيل أهوالها يعوض مستمعيه بهذه المناظر الجانبية الوديعية. فهو مثلاً يصف رجلاً يقع من فوق عربته الحربية على رأسه وتظل هذه الرأس مغروزة في الرمال! وفي مكان آخر يصيب حجر مقذوف عين أحد الرجال فيخلعها وتسقط العين على التراب تحت قدميه أو قدمي عدوه!! وفي مقابل ذلك يقدم هوميروس صورة رومانسية لطفلة صغيرة تجرى وراء أمها وبعينين مغرورقتين بالدموع ترفع يديها إليها لكي ترفعها إلى أحضانها وتأخذها معها أنى ذهبت. وهذه

(٣٧) أحمد عثمان: "الأدب الإغريقي"، ط ٣، ص ٥٥-٥٧.

(٣٨) C. Moulton, "Similes in the Homeric Poems", Hypomnemata XLIX Göttingen 1977.

ونشرت حديثاً بالعربية الدراسة التالية: منيرة كروان، "التشبيهات في الإلياذة بانوراما للحياة والسماء والطبيعة". مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، المجلد ٦١ عدد (١) (يناير ٢٠٠١) ص ٥١٥-٥٥٩.

الأمر الصغير الجانبية هي التي ترسم الخلفية الرقيقة والشفافة للأحداث الملحمية الضخمة. وبالطبع استخدم هوميروس لغة تتناغم مع كل لون من هذين اللونين في ملحمة - والحياة بصفة عامة - سواء هذا اللون الوديح أو ذلك الفطيع في قناتمه وعنفه. وقد لا نجد في الأدب الإغريقي كله ما يفوق رقة هوميروس شاعر الملاحم والمعارك وهو يصور مشهد الغرام بين زيوس وزوجته هيرا التي أغوته وتقول له (الكتاب الرابع عشر، أبيات ٣٣٠-٣٤٠):

" يا أكثر نسل كرونوس هولاً، أى قول هذا الذى نطقت به !

إذا كنت حقاً تهفو الآن لمضاجعتى هنا، فوق قمة إيدا ؛

فإن كل شيء هنا مكشوف للعيان. ماذا لو أن أحدًا من الآلهة الخالدة

رآنا نحن الاثنين مضطجعين، وذهب وفضح الأمر للآلهة جميعاً ؟

حينئذ لن أعود إلى مقرك ثانية

بعد النهوض من مضجعى، سيمنعنى الحياء.

لكن إذا كانت بك رغبة ويسعد قلبك أن تشبعها،

فئمة غرفة بناها لك ابنك العزيز

هيفايستوس، وقد ثبتت أبواباً منبوعة على قوائمها

فهيأ نذهب إلى هناك، ونتحاب، طالما أن العشق بغيتك "

وفى العادة يأخذ هوميروس مادة تشبيهاته من حياة البسطاء، وهو بذلك يخفف من حدة العنف الذى يسود أحداث ملحمتيه. حقا إن بعض تشبيهاته مستمد من الموروث الملحمى القديم، إلا أن الأغلبية - لاسيما التشبيهات الطويلة والمعتنى بها - من ابتداعه هو وجاءت لترسم ما يراه حوله. وفيها نجد امرأة تهش الذباب عن طفلها، وأخرى تصبغ قطعة من العاج لتصنع سرجاً للحصان. وفيها نجد الرجال يحصدون الشعير، والصبية يضربون حماراً قد انفلتت يجرى أمامهم على غير هدى فى حقول الغلال. وفيها أيضاً نلمح طفلاً يبني قلاعاً فى الرمال، ورجالا يسقطون شجرة من عليائها ليصنعوا من أخشابها ألواحاً للسفن. وها هى امرأة تغزل الصوف وتبيع من غزلها ما تعول به أولادها وتصد عنهم مغبة الفاقة. وينطلق بنا التشبيه الهومرى أحياناً إلى البرارى مع الرعاة الذين هبطوا يصطادون أسداً بلييل وفى ضوء المشاعل. وأحياناً أخرى نشعر بالراحة والبهجة مع الأطفال الذين شفى أبوهم

من مرض عضال. وتتابع رجلاً يقرب الشواء على النار حتى ينضج. وتتردد مع مسافر يتوقف هنيهة ليتدبر أمره ويفكر في اختيار الطريق الذي سيسلكه بعد هذه الراحة القصيرة ! ونشاهد صانع الفخار يصنع إناءً مستديرًا مستخدمًا العجلة. وقد يصيبنا الهلع لرجل يفرع أشد الفزع ويقفز إلى الخلف من شدة الهول أمام ثعبان يتلوى. وقد نبكى مع والد يبكى بالدموع أمام محرقة ابنه الصغير الذي دفنه توا. هذه أمثلة قليلة من تشبيهات هومرية لا حصر لها متعددة الألوان وتعكس في مجموعها حياة البسطاء. ويستطرد هوميروس أحياناً في تفاصيل أحد التشبيهات مما قد لا يتطلبه الموقف الملحى، أو حتى مما قد يتعارض معه كما يبدو في ظاهر الأمر. ولكن هذا الاستطرد نفسه يشى بعمق الإحساس وطول معاشة الشاعر لما يصف. وهكذا تكمل التشبيهات الهومرية الحدث الملحى، لأنها توحى بأن العالم البطولى ليس كل شيء عند هوميروس. فمعنى هذا العالم الضخم لا يمكن استيعابه إلا إذا قارناه بعالم آخر بسيط ومتواضع للغاية. فالتشبيهات الهومرية إذن وسيلة من وسائل الشاعر لعقد مقارنة بين العالمين. وبعدها يبرز العالم البطولى الملحى أبقي تأثيراً وأبقى تصويراً من ذى قبل. ولنقرأ هذا التشبيه المطول نسبياً من الكتاب الرابع (أبيات ٤١٩-٤٢٧):

"قال ذلك وقفز من عربته الحربية إلى الأرض بكل

اندفاع، فكان دوى ارتطام الحلية المعدنية على صدر هذا

الأمير مرعباً. فحتى أعتى قوة ارتعدت لهذا الدوى المفزع

وكما يحدث على شاطئ تتردد منه الأصداء وقد أثارته

عاصفة الرياح الغربية (زيفيروس) مدوية فتثير سطح البحر

موجة بعد موجة، تبدأ من بعيد فوق أعماق البحر بإثارة ذؤابة

الموجة، وبعدها يعلو زئيرها وهي تتكسر على الشاطئ، وهي

تعلو كل الصخور النائثة والمنتاثرة على الشاطئ في منحنى

قوى وقد قذفتها بالزبد المملح. هكذا سارت موجة بعد أخرى

دون توقف صفوف الدانائيين نحو الحرب."

ذلك أنه يلذ لهوميروس أن يقدم الموضوع الواحد بعدة صور شعرية سريعة ومتتالية. وعلى سبيل المثال نجده في ٢٢ بيتاً (الكتاب الثانى ٤٥٥-٤٧٦) يورد

خمسًا من الصور الشعرية المتتالية. وفي سياق السرد الملحمي تأتي هذه التشبيهات بمثابة التوهج التلقائي لجذوة القص الشعري، أو هي استجابات طبيعية لمتطلبات السرد الملحمي الجذاب.

يقول جيب **Jebb** إن هذه التشبيهات ليست مجرد زخرف، فهي تستخدم لتقديم شيء ما يريد الشاعر أن يكون أكثر تأثيرًا مثل نظرة معينة، صوت ما، لحظة من الحدة أو العجب أو الخوف أو الشفقة، وفي كلمة واحدة يقدم شيئًا فريدًا. فهذه التشبيهات إذن استجابات من قبل الشاعر الراوي لمطالب تفرضها الرواية الملحمية نفسها ويتطلبها إلحاح الذوق العام لدى مستمعيه^(٣٩).

(٣٩) R.C. Jebb, *Homer: An Introduction to the Iliad and the Odyssey*. Glasgow. Sixth Edition 1898, pp. 26-7.

قائمة بالتشبيهات الواردة في "الإلياذة"

رقم الأبيات	أركان التشبيه
ك١ (*)	
٤٧	مجيء أبوللون مثل هبوط الليل
١٠٤	عينا أجاممنون مثل اللهب المتأجج
ك٢	
٩٣-٨٧	الجيش المحتشد مثل سرب النحل
١٤٩-١٤٤	إثارة الحشود المجتمعة مثل الريح تعصف بالغلال.
٣٩٧-٣٩٤	صيحات الأرجيين مثل زئير مياه البحر على الشاطئ
٤٨٣-٤٥٥	جمع الحشد مثل تجمع الأوز في المراعى ومثل سحابة مسن الذباب، وابن أتريوس مثل ثور يفود قطيعاً
ك٣	
١٤-٢	تقدم الطرواديين إلى المعركة مثل طيور الكركى وهم أيضاً مثل الضباب الذى يغطى التل
٣٧-٢١	القتال بين مينيلأوس والكسندروس مثل أسد يلاحقه صائد أو مثل ثعبان يراه مسافر
٦٣-٦٠	صلابة هيكتور مثل بلطة نجار السفن
١٥٢-١٤٨	برياموس ومستشاروه مثل الجدجد أو صرار الليل
ك٤	
٧٨-٧٥	تهبط أثينة إلى الأرض كما تهوى النجوم
١٣١، ١٣٠	تحمى أثينة مينيلأوس كما تدافع أم عن ابنها
١٤٧-١٤١	يشبه جرح بقطعة عاج لطختها بقعة قرمزية
٢٨٢-٢٧٥	يتقدم الجيش الإغريقى وكأنه عاصفة هوجاء هبت على صفحة البحر
٤٥٦-٤٢٢	يشبه تصادم الإغريق بالطرواديين بتلاطم الأمواج وتداخل تيارات المياه الجارفة، أما صرخات الطرواديين المضطربة فمثل ثغاء الأغنام
٤٨٩-٤٨٢	يشبه سقوط محارب بسقوط شجرة

أركان التشبيه	رقم الأبيات
	ك ٥
ألمعية ديوميديس الإلهية مثل النجم البازغ	٨-٤
تشبهه هجمة ديوميديس بتيار جارف هيخته العاصفة	٩٤-٨٥
تشبهه غضبة ديوميديس الجنونية بهجوم أسد على قطيع من الأغنام	١٤٣-١٣١
يثير الجيش الآخى المتقدم الغبار كما تذر الرياح القش	١٦٤-١٦١
المحاربون الواقفون يشبهون السحب فوق قمة الجبل	٥٠٥-٤٩٩
يسقط الضحايا بسلاح آينياس كما يسقط الأسود بضربات الصيادين	٥٢٧-٥٢٢
يتراجع ديوميديس أمام آريس مثلما يتراجع المسافر أمام نهر فياض	٥٦٣-٥٥٤
تقاس قفزة خيول هيرا كما يقاس الأفق	٦٠٠-٥٩٦
يصعد آريس إلى السماء فى سحابة سوداء مثل ارتفاع الأمواج أمام عاصفة هوجاء	٧٧٢-٧٦٧
يجف الجرح بسرعة ويندمل كما تخثر الإنفحة اللبن	٨٦٧-٨٦٤
	ك ٦
حياة البشر مثل أوراق الشجر	١٤٩-١٤٦
يشبه دخول باريس إلى المعركة بانطلاق حصان إلى الوادى بعد أن تغذى جيداً فى الحظيرة	٥١٤-٥٠٣
	ك ٧
جاء دخول هيكتور وباريس إلى المعركة بالنسبة للطرواديين مثل هبوب ربح مواتية للسفن والبحارة	٧-١
يشاهد الآلهة والبشر المعركة فالآلهة مثل النسور والبشر مثل الرياح الغربية زيفيروس تهيج صفحة المحيط	٦٦-٥٤
	ك ٨
يضغط هيكتور على الآخيين كما يطارد كلب الصيد حيواناً مفترساً	٣٤٢-٣٣٦
تشبه المشاعل الموقدة للمنتصرين بالنجوم فى ليلة ذات سماء صافية	٥٦١-٥٥٣

رقم الأبيات	أركان التشبيه
٩ك ١٦-١	يشبه الآخيون في حزنهم بالأمواج التي تضربها الرياح، أما دموع أجامنون فهي كالمياه المتدفقة على صخرة
١٠ك ١٠-١ ١٨٨-١٨١ ٣٦٤-٣٥٨	تتردد أنات أجامنون مثل ومضات البرق يشبه القادة الإغريق في يقظتهم بكلاب الحراسة حول قطيع يشبه الذين يلاحقون دولون بكلاب الصيد تطارد فريستها
١١ك ٧٣-٦٢ ١٢١-١١٣ ١٥٩-١٥٥ ١٧٨-١٧٢ ٢٩٨-٢٩٢ ٣٠٩-٣٠٤ ٣٢٦-٣٢٤ ٤٢٠-٤١١ ٤٨٦-٤٧٣ ٤٩٧-٤٩٢ ٥٦٥-٥٤٤	يشبه هيكتور بالنجم سيربوس (الشعري اليمانية)، أما المتحاربون فهم كالحاصدين في حقل الحصاد يقتل ولدا برياموس على أيدي العدو كما يقتل أسد الأيلة يتقدم أجامنون مثلما تلتهم النار غابة يشتت أجامنون شمل الطرواديين كما يمزق الأسد فريسته يشبه هيكتور بحيوان مفترس، أما اندلاع المعركة فمثل انطلاق العاصفة يفر الأعداء أمام هيكتور مثلما تسوق الرياح الغربية الغيوم يشبه أوديسيوس وديوميديس بحيوانين مفترسين في غار يشبه أوديسيوس بدب وحشى يحيط به الصيادون وكلابهم يلاحق الطرواديين أوديسيوس كما يلاحق ابن آوى غزالاً، أما أياص الذى أسرع لنجدته فمثل الأسد الذى فر أمامه ابن آوى قوة أينايس مثل قوة مجرى مائى ينحدر من فوق الجبل يتراجع أياص ببطء أمام العدو مثل أسد أرغمه المزارعون على الانسحاب أو مثل حمار عنيد أراد الصبية أن يبعده عن حقل الغلال
١٢ك ٥٠-٤١	هيكتور مقتحماً الخندق الإغريقى مثل أسد يتدافع حوله الصيادون وكلابهم

رقم الأبيات	أركان التشبيه
١٣٦-١٣١	حراس البوابة مثل أشجار البلوط غائرة الجذور
١٧٢-١٤٥	المحاربان عند البوابة مثل دب مندفع وتتساقط القذائف من الجانب الإغريقي والطروادى مثل عاصفة تلجية. ويشبه الأبطال الآخيون بالنحل المدافع عن خليته
٢٨٧-٢٧٨	تساقط القذائف مثل تساقط الثلج فى يوم بلا رياح
٣٠٨-٢٩٨	يهاجم ساربيدون الحائط الإغريقي كما يهاجم أسد جائع مزرعة
٤٣٦-٤٢١	التحصينات التى تقصل بين طرفى القتال مثل حائط يفصل جارين متنازعين، ويقف الآخيون مثل امرأة ماهرة تمسك بالميزان
١٣ ك	
٦٥-٦٢	يشبه رحيل بوسيدون بانقضاض الصقر على فريسته
١٠٦-٩٩	يشبه فرار الطرواديين بهروب الغزلان أمام الحيوانات المفترسة
١٤٦-١٣٦	يشبه تصدى الإغريق لهجوم هيكتور بجمود صخر يتدحرج على التل ويستقر على سطح الوادى
١٨١-١٧٨	يشبه سقوط إمبريوس بسقوط شجرة البلوط الجبالية إذ قطعها جامع الأخشاب
٢٠٢-١٩٨	حمل الثنائى أياس جثمان إمبريوس كما يحمل أسدان عنزة
٢٤٥-٢٤١	يسرع إيدومينيوس لتقديم النجدة كأنه وميض البرق الذى يرسله زيوس من فوق الأوليمبوس
٣٠٥-٢٩٨	يتسلح ميريونيس وإيدومينيوس للمعركة كأنهما آريس وابنه فوبوس (الخوف)
٣٣٧-٣٣٤	التقاء الطرواديين والإغريق مثل التقاء سحابتين من الغبار المثار
٣٩٢-٣٨٩	سقوط آسيوس الضخم مثل سقوط شجرة باسقة على تل وقد قطعها نجار السفن
٤٧٧-٤٧٠	يترقب إيدومينيوس قدوم آينياس كما يترقب الدب الوحشى الصيادين وكلابهم
٤٩٥-٤٩١	يقود آينياس شعبه كما يقود الكباش قطيعاً إلى نبع الماء

رقم الأبيات	أركان التشبيه
٥٧٣-٥٧٠	يشبه صراع أداماس مع الموت بمقاومة ثور صغير للرعاة الذين شددوا القبضة عليه
٥٩٢-٥٨٨	يشبه بريق السهم في أسلحة مينيلأوس ببريق القش الذي تذروه المدراة
٧٠٨-٧٠١	يشبه الثنائي أياس في تحركهما عبر الحشد دون تذبذب بثورين يجران سهم المحراث في أرض مراحة
٨٠١-٧٩٥	تشبه الهجمة الطروادية بانطلاقة العاصفة الرعدية التي تجتاح البر والبحر
ك ١٤	
٢١-١٦	عقل نيسطور يتردد بين خطتين مثل مياه البحر تظل ساكنة حتى تهب الريح فتحركها وفق هواها
٢٩١-٢٨٦	إله النوم هيبنوس يجثم على شجرة مثل بومة ليلية
٤٠١-٣٩٣	صخب المعركة بين الجيشين مثل تلاطم الموج على الشاطئ
٤١٨-٤١٤	ومثل زئير غابة تحترق ومثل صفير الريح بين الأشجار يشبه هيكتور الذي ضرب بحجر فوق على الأرض بشجرة بلوط اقتلعت من جذورها ببلطة زيوس نفسه
ك ١٥	
٨٣-٨٠	تسرع هيرا من إيدا إلى الأوليمبوس فتشبه في سرعتها بوجع الحنين يطراً على قلب المسافر العائد
١٧٢-١٦٨	تسرع إيريس لتبلغ رسالة زيوس فتشبه بقطع الثلج الطائرة في هواء ثلجي
٢٣٨-٢٣٦	يهبط أبوللون من إيدا كصقر ينقض على فريسته
٢٨٠-٢٧١	يفزع الإغريق لظهور هيكتور المفاجيء كما يفزع الصيادون عند ظهور الأسد فجأة
٣٢٧-٣٢٣	يرعب أبوللون الإغريق ويبعثرهم كما تتبعثر الأغنام عندما تباغتها الحيوانات المفترسة ليلاً

رقم الأبيات	أركان التشبيه
٣٦٦-٣٦١	يدمر أبوللون الحائط الإغريقي كما يدمر طفل قصرًا كان قد بناه من الرمل على شاطئ البحر
٣٨٤-٣٨٢	يتدفق الطرواديون على الحائط الإغريقي كما تتدفق الأمواج على جانب السفينة
٤١٣-٤١٠	معركة متوازية ومتساوية بين الطرفين تشبه بقطعة من الخشب سواها النجار
٥٨٩-٥٧٩	تشبيه مزدوج ففي الجزء الأول يشبه أنتيلوخوس وهو ينقض على ميلانيبوس بكلب شرس ينقض على ظبي. وفي الجزء الثاني يشبه أنتيلوخوس المسرع تجنبًا لهيكتور بحيوان مفترس بعد أن قتل ضحيته وفر انتقاء للملاحقة
٦٠٦-٦٠٥	تشبه غضبة هيكتور بغضبة إله الحرب آريس أو بنار تلتهم أجمة على جنب التل
٦٣٨-٦١٧	مجموعة تشبيهات متتالية: هجمة هيكتور على الإغريق تشبه بزبد البحر المرتد من ظهر صخرة، وتشبه كذلك بموجة عارمة تضرب سفينة في عاصفة، ثم تشبه بهجمة أسد على قطع من الأغنام تهرب جميعًا فيما عدا ما قدر لها أن تقع ضحية
٦٩٣-٦٧٩	يقفز آياس على ظهر السفن الإغريقية كلاعب أكروبات ماهر يقفز من ظهر جواد إلى آخر (*)
ك ١٦ ١١-٢	يؤنب أخيليوس باتروكلوس لأنه يبكي مثل طفلة صغيرة تجرى بجوار أمها ناظرة إلى أعلى بعينين مغرورتين بالدموع لكي ترفعها أمها بين ذراعيها وتأخذها معها أنى ذهبت
١٦٦-١٥٦	تجمع الميرميدونيين مثل تجمع الذئاب، بعد قتل غزاة، حول نبع مائي لكي تروى ظماها
٢١٤-٢١١	تماسك حشود الميرميدونيين وكثافتها مثل حائط متين البنيان
٢٦٧-٢٥٩	تدافع الميرميدونيين من سفنهم مثل الزنابير التي انطلقت من أوكارها عندما استفزها أحد الصبية

(*) من المدهش أنه تم العثور على رسم جداري يعود لحضارة كريت المينوية ويصور مشهدًا مماثلًا.

أركان التشبيه	رقم الأبيات
يشبه انفلات الإغريق من الطرواديين فجأة بانبلاج الضوء بين السحب	٣٠٢-٢٩٧
يهاجم قادة الإغريق الطرواديين كما تهاجم الذئاب قطعان الأغنام التي لا حارس عليها	٣٥٧-٣٥٢
يطرد الطرواديون من السفن كما يطرد الضباب من فوق جبل	٣٦٦-٣٦٤
يندفع الطرواديون في اضطراب وخوف كما يضطرب الماء المنجرف من فوق جبل إلى البحر	٣٩٣-٣٨٤
يجر باتروكلوس ثيستور من فوق عربته كما يسحب الصياد سمكة من البحر	٤٠٩-٤٠٦
يهجم ساربيدون وباتروكلوس على كل منهما الآخر بصيحات مدوية وكأنهما صقران	٤٣٠-٤٢٨
تشبيه مزدوج حيث يشبه موت ساربيدون بسقوط شجرة قطعها جامع الأخشاب، ويشبه كذلك بسقوط ثور هاجمه أسد	٤٩١-٤٨٢
يندفع باتروكلوس إلى الأمام وكأنه صقر يهاجم سرباً من الطيور	٥٨٣-٥٨٢
يولى الطرواديين الأدبار أمام الإغريق وكأنهم سهم مقذوف	٥٩٢-٥٨٩
النزاع بين المتحاربين على جثة ساربيدون مثل النزاع بين قاطعي الأخشاب في غابة	٦٤٤-٦٣٣
يتصارع هيكتور وباتروكلوس على جثة كبير يونيس كما يتصارع أسدان على جثة غزالة	٧٧١-٧٥١
يسقط باتروكلوس مقتولاً على يد هيكتور كما يسقط حيوان مفترس هاجمه أسد	٨٢٨-٨٢٣
	ك ١٧
يدافع مينيلائوس عن جثة باتروكلوس كما تدافع بقرة عن وليدها	٦-٤
يشبه سقوط يوفوربوس بسقوط شجرة زيتون أطاحت بها الرياح العاصفة وبثور مزقه أسد وحشى	٦٩-٥٣
ينسحب مينيلائوس أمام هيكتور مثل أسد يلاحقه الصيادون وكلابهم	١١٣-١٠٦

رقم الأبيات	أركان التشبيه
١٣٧-١٣٢	يحمى أياس جثة باتروكلوس كما يحمى الأسد أشباله
٢٦٦-٢٦٣	يشبه الصياح الموابك للهجمة الطروادية بزئير أمواج النهر في تدافعها إلى البحر عند المصب
٢٨٥-٢٨١	يمزق أياس صفوف الطرواديين كما يمزق دب وحشى شمل جماعة الصيادين
٣٩٥-٣٨٩	يشبه الصراع بين الفريقين المتحاربين على جثة باتروكلوس بشد جلد الثور بين فريقين متنازعين
٤٣٧-٤٣٤	تحزن خيول أخيليوس على موت باتروكلوس فتقف ساكنة وكأنها عمود أقيم فوق مقبرة
٥٢٣-٥٢٠	يسقط أرييتوس ميئاً كما يسقط ثور بضربة من فأس الجزار
٥٥٢-٥٤٧	تنشع أثينة بضباب أسود كما ينشع قوس قزح بسحابة قرمزية
٥٧٣-٥٦٩	الشجاعة التي بثتها أثينة في مينيلأوس تشبه جسارة ذبابة عنود
٦٦٦-٦٥٦	يتراجع مينيلأوس كرها كأسد أنهك بعد تكرار هجمات الصيادين والكلاب عليه
٦٨١-٦٧٣	يبحث مينيلأوس عن أنتيلوخوس بنظرات ثاقبة كصقر يبحث عن فريسته
٧٥٩-٧٢٢	مجموعة صور شعرية متتالية: يرفع الثنائى أياس جثة باتروكلوس وبيتعدان بها فيهما جمهما الطرواديون وكأنهم كلاب صيد تطارد دباً جريحاً. ثم تشبه هجمة الطرواديين بالنيران التي اندلعت فجأة في مدينة مكتظة بالسكان. ومن جهة أخرى يشبه حاملو جثمان باتروكلوس ببغال تجر حملاً ثقيلاً في طريق جبلى وعر. أما أياس السذى يصد المهاجمين فهو كالصخرة التي تحول مجرى مياه جارفة. أما هجمة آينياس وهيكتور على الإغريق فمثل هجمة الحدأة على صغار الطير
ك ١٨ ١٦٤-١٦١	لا يمكن الهجوم على هيكتور، فهو كالأسد لا يمكن للرعاة أن يصدوه عن أغنامهم

رقم الأبيات	أركان التشبيه
٢٠٥-٢١٤	يشبه البريق الصادر من فوق رأس أخيليوس بالشفعة من تحت الدخان المنبعث من مدينة محاصرة
٢١٩-٢٢١	صيحة أخيليوس فوق الخندق مثل صوت البوق
٣١٨-٣٢٣	حزن أخيليوس على فقدان باتروكلوس مثل حزن أسد عاد إلى عرينه فلم يجد أشباله فتيقن من اختطافها
٥٩٩-٦٠١	تشبه دائرة الرقص بعجلة صانع الفخار
١٩ ك	
٣٤٩-٣٥١	يشبه هبوط أثينة من السماء بهبوط نسر من أجواز الفضاء
٣٥٧-٣٦٣	يشبه بريق خوذات المحاربين ببريق قطع الثلج الهابط من السماء
٣٧٣-٣٧٩	يشبه البريق المنبعث من درع أخيليوس بنار مشتعلة فوق الجبل
٢٠ ك	
١٦٤-١٧٥	تشبه الحالة النفسية لأخيليوس وهو يتأهب لملاقاة آينياس بالأسد الذي يستنفر قواه لملاقاة الأعداء
٤٠٣-٤٠٦	يشبه زئير هيبوداماس وهو يحتضر بخوار الثور على المذبح
٤٩٠-٤٩٩	تشبيه مزدوج فأخيليوس يشبه نارًا تلتهم غابة، أما خيوله التي تدوس الموتى فهي كالثيران التي تدرس الغلال
٢١ ك	
١٢-١٦	يطرد الطرواديون إلى النهر كما يطرد الجراد
٢٢-٢٦	يهرب الطرواديون أمام أخيليوس كما يهرب السمك أمام الدولفين
٢٥١-٢٦٤	يفر أخيليوس أمام إله النهر الذي يطارده بإصرار كما تفر المياه في مجراها أثناء الري
٣٤٦-٣٤٨	يجفف هيفايستوس إله النار الوادي كما تجفف الرياح الشمالية الكرمة أثناء الخريف
٣٦٢-٣٦٥	تغلى مياه النهر سكاماندروس كما تغلى المياه في مرجل
٤٩٣-٤٩٦	تفر أرتميس من هيرا كما تفر حمامة من حدأة تطاردها

أركان التشبيه	رقم الأبيات
الأسى الذى يسببه أخيلئوس للطرواديين يشبه الدخان الذى ينبعث من مدينة محكوم عليها بالفناء	٥٢٥-٥٢٢
تشبه شجاعة أجنور شجاعة النمر الذى يستدير لمواجهة ملاحقيه	٥٨٠-٥٧٣
	ك ٢٢
يشاهد برياموس من فوق أسوار طروادة أخيلئوس (وهو يطارده ابنه هيكتور) فيلمع سلاحه مثل نجم أوريون (الكلب)	٣٢-٢١
ينتظر هيكتور هجمة أخيلئوس عليه كما ينتظر ثعبان وحشى عند مدخل جحره رجلا يهاجمه	٩٧-٩٣
يلمع سلاح أخيلئوس فوق هيكتور كشعلة النار أو كإشراق الشمس، ويجهز أخيلئوس على عدوه كما ينقض الصقر على حمامة	١٤٤-١٣١
السباق حول المدينة بين هيكتور الفار أمام ملاحقة أخيلئوس مثل سباق الخيول فى سباق العربات	١٦٦-١٥٧
لا زالت الملاحقة حول أسوار طروادة مستمرة فيشبه هيكتور بطبى صغير يلاحقه كلب ضارى، ثم يتبع ذلك تشبيه مأخوذ من حلم، حيث لا يستطيع الحالم أن يتبين ملامح من يجرى أمامه	٢٠١-١٨٩
يشهر هيكتور سيفه ويهجم على أخيلئوس مثل صقر يهجم على طبى صغير	٣١١-٣٠٨
يشبه سهم أخيلئوس المشهر بنجم المساء فى زهوته	٣٢٠-٣١٧
	ك ٢٣
يشبه بكاء أخيلئوس على موت باتروكلوس ببكاء أب فقد ابنه	٢٢٥-٢٢٢
يسبق أنتيلوخوس مينيلأوس بقدر ما يسبق القرص من قذفه	٤٣٣-٤٣١
يقرب مينيلأوس من أنتيلوخوس بقدر ما تقترب عجلة العربة من ذيل الحصان	٥٢٢-٥١٧
يزوب غضب مينيلأوس كما تذوب قطرات الندى	٦٠٠-٥٩٦
يقذف بيوربالوس كما تقذف الريح بسمكة على الشاطئ	٦٩٤-٦٩٢

رقم الأبيات	أركان التشبيه
٧١٣-٧١١	يشبه مصارعان بعارضتين خشبيتين تستند كل منهما على الأخرى
٧٦٣-٧٥٩	يلحق أوديسيوس منافسه فى الجرى كما تمسك امرأة مغزلها بالقرب من صدرها
٨٤٧-٨٤٤	يقذف بوليبيوتيس كتلة الحديد (القرص) كما يهوى الراعى بعصاه على أغنامه.
ك ٢٤	
٤٤-٤١	يشبه اندفاع أخيلئوس باندفاع أسد ضارى
٨٢-٧٧	يشبه غوص إيريس فى أعماق البحر بغوص شخصية متقلبة بالرصاص فى الماء
٤٨٣-٤٨٠	ينظر أخيلئوس باحترام وعطف إلى برياموس كما لو كان لاجئاً جريحاً من بلد أجنبى

تبدو بعض هذه التشبيهات وكأنها "جاهزة" وليست وليدة اللحظة، فهي مأخوذة من المخزون التقليدى الموروث. خذ على ذلك مثلاً بأكثر التشبيهات شيوعاً ونعنى الأسد. فليس من الضرورى أن يرى شاعر أو منشد "الإلياذة" أسداً، ولكنه عرف من الموروث الشفوى ماذا يفعل الأسد الجوعان أو الشبعان، وماذا يفعل عندما يهاجم الحظيرة أو يعود منها، وما رد فعله عندما يجرح أو عندما ينتصر. كلها تشبيهات جميلة وحية ولكنها تبدو مثل قطع الغيار الجاهزة، والتي يمكن أحياناً إساءة تركيبها أو وضعها فى مكان غير ملائم^(٤٠).

وتتكرر التشبيهات فى "الإلياذة" كما تتكرر الصفات^(٤١). ويتميز هوميروس بتكرار العبارات الملحمية المألوفة والموروثة التى - مع ذلك - تخلق انطباعاً بالأصالة والواقعية. فكما أن تكرار هذه العبارات والحوادث هو نتاج طبيعى لتراكم

(٤٠) Murray, The Rise of the Greek Epic, p. 245-9.

(٤١) عن تكرار الصفات وارتباط ذلك بالقية الشفوية راجع:

Paolo Vivante, The Epithets in Homer: A Study in Poetic Values. New Haven: Yale University Press 1982.

وقارن أحمد عثمان: الأدب الإغريقى، ص ٤١-١٠٢.

الرواية الشفوية^(٤٢)، فإنه عند هوميروس بصفة عامة يعمل على طبع هذه الحوادث والعبارات في ذهن الراوى والسامع معاً. يورد الشاعر تفاصيل كثيرة ودقيقة توحى بأن الشاعر كما لو كان يشاهد أحداثاً فعلية ومناظر طبيعية ويصفها لنا بدقة متناهية على سبيل المثال: زينة الخيول، وسلاح المحاربين، وأحداث المعارك، وسقوط الأبطال بدءاً بجراحهم وحتى انتقالهم للعالم الآخر. كما يتسم الأسلوب الملحمى النمطى عند هوميروس بالحيادية، أى أنه يترك الجمهور يحس بنفسه ولنفسه. وهذا أسلوب يدفع هذا الجمهور إلى تركيز الانتباه فى كل صغيرة وكبيرة مما يروى عليه. وهناك تشبيهات حيرت النقاد مثل ذلك التشبيه فى الكتاب الثالث عشر بيت ٧٥٤ حيث يشبه هيكتور بطل المقاومة الطروادية وقائد الهجوم على السفن الإغريقية وحرقتها بأنه مثل الجبل الثلجى ! فحتى لو قلنا إنما هى إشارة للتبهور أو التدهور الجبلى المفاجيء والمدمر يظل التشبيه غريباً.

وجدير بالذكر أن التشبيهات فى "الإلياذة" ليست سوى جزء يسير من كل أكبر، ونعنى لغة المجاز بصفة عامة. إذ تكتسب لغة المجاز فى "الإلياذة" أبعاداً أوسع وأعمق بفضل الأسطورة التى تدخل فى نسيج الملحمة شكلاً ومضموناً. إذ نجد الأشياء مثل الأحياء تتحرك وتتفاعل مع الأحداث وتؤثر فيها. ومن ثم تأتى التشبيهات فى هذا الخضم المجازى والأسطورى متناغمة مع الجو العام. فمن الملاحظ على سبيل المثال أن الكثيرين من أبطال "الإلياذة" عندما يتحدثون يطلقون "كلمات مجنحة" *epea pteroenta* (الكتاب الأول ٢٠١، الكتاب الثالث ١٥٥، الرابع ٦٩ إلخ) وكذلك توصف السهام بأنها مجنحة (الكتاب الرابع ١١٧) فالكلمات مثل السهام فى "الإلياذة" باعتبارها أداة من أدوات الحرب الطروادية^(٤٣).

(٤٢) W.C. Scott, *The Oral Nature of the Homeric Simile*. Leiden 1974.

(٤٣) للمزيد عن التشبيهات ولغة المجاز فى "الإلياذة" راجع:

Claude Calame, *op. cit.*, pp. 245-73.

George Calhoun, "The Art of the Formula in Homer - ΕΠΙΕΑ ΠΤΕΡΟΕΝΤΑ"
Ph. 30, (1935) pp. 215-27.

M.W. Edwards, *Homer and Oral Tradition: The Type Scene*. *Oral Tradition* 7
(1992), pp. 284-330.

R. Finnegan, *Oral Poetry*. Cambridge, 1977.

وعن تأثير التشبيهات الهومرية فى الآداب الأوروبية راجع:

G. Hight, *The Classical Tradition. Greek and Roman Influences on Western Literature*. Oxford at the Clarendon Press 1949, pp. 155 f.

سادسا: وحدة الحدث الملحمي

قبل فقهاء الإسكندرية - لاسيما زينودوتوس وأريستارخوس - بعض الأبيات في "الإلياذة"، ورفضوا البعض الآخر على أساس أنها منتحلة. ووصلتنا الآلاف من الأبيات من "الإلياذة" الهومرية على أوراق البردى. وهناك نقول لا حصر لها في الأعمال الأدبية الإغريقية واللاتينية. ولازالت هناك فجوات كثيرة ومشكلات عويصة في بنية النص وقواعده النحوية، ومشكلات أكثر بالنسبة للوزن السداسي التي نظمت فيه. ولكن على القارئ أن ينسى كل تلك المشكلات وهو يقرأ الترجمة التي نقدم لها. وعليه أن ينسى أيضًا المشكلة الهومرية بكل تفاصيلها.

هناك بعض المثالب في "الإلياذة"، أولها الموضوع أى غضبة أخيليوس كما سبق أن ألمحنا، فهي لا توفر مادة شعرية ملحمية. وما وجه الملحمية في أخيليوس العبوس مقطب الجبين في خيمته بعيدًا عن ميدان المعركة؟ وشخصية أخيليوس بصفة عامة ليست تلك الشخصية التي تكسب تعاطفنا دون تحفظ. حقًا إنه بليغ في خطابه، يثير الإعجاب بشجاعته وقوته التي لا تقهر وسرعة قدميه، ولكن معظم القراء في الأغلب لن تجذبهم كبرياؤه القاسية وعنفه الوحشي وذاتيته المفرطة وعدم خضوعه لعاطفة الحب، يستثنى من ذلك حزنه العميق على موت صديقه الحبيب باتروكلوس، واستقباله الودود لبرياموس.

وفي "الإلياذة" توجد بعض التناقضات وبعض نقاط الضعف، فمثلًا الحائط الإغريقي قيل لنا في نهاية الكتاب الثالث عشر إنه بنى في السنة العاشرة من الحرب، ولكن يرد في الكتاب نفسه بيت ٣١ أنه بنى في بداية الحرب. ويقال في الكتاب الثاني عشر بيت ١٠-٣٣ إنه لا يزال صامدًا وإنه ظل كذلك حتى نهاية الحرب وحتى غمره الفيضان. وعلى النقيض من ذلك يرد في الكتاب الخامس عشر بيت ٣٦١ قبل موت باتروكلوس أن أبوللون اجتاحه، ودمره كما يدمر طفل قلعة من الرمال بناها على الشاطئ. ودمرت أبراجه في الكتاب الثاني عشر بيت ٣٩٩. ويرد كذلك أن البطل هيكتور كان أول من اجتاحه، ويرد نفس المعنى بالنسبة لساربيدون وبنفس الكلمات (قارن الكتاب الثاني عشر ٤٣٨ و الثالث عشر ٥٥٨).

ويهاجم الطرواديون هذا الحائط في طريقهم إلى السفن الإغريقية، أما في انسحابهم المضطرب فلا وجود لهذا الحائط. ويبدو الأمر كما لو أن الرواية الشفوية المتداولة كانت تتضمن عدة اختيارات، وكان المنشد الملحمي يختار منها ما يشاء أو ما يتوارد على ذهنه، أي أن هذا التناقض يندرج تحت تجليات الرواية الشفوية.

تبلغ "الإلياذة" في طبعة أكسفورد ١٥٦٩٣ بيتاً بالوزن السداسي، تتوزع على الكتب الأربعة والعشرين على النحو التالي:

٧٦١	السابع عشر	٧١٣	التاسع	٦١١	الأول
٦١٧	الثامن عشر	٥٧٩	العاشر	٨٧٧	الثاني
٤٢٤	التاسع عشر	٨٤٨	الحادي عشر	٤٦١	الثالث
٥٠٣	العشرون	٤٧١	الثاني عشر	٥٤٤	الرابع
٦١١	الحادي والعشرون	٨٣٧	الثالث عشر	٩٠٩	الخامس
٥١٥	الثاني والعشرون	٥٢٢	الرابع عشر	٥٢٩	السادس
٨٩٧	الثالث والعشرون	٧٤٦	الخامس عشر	٤٨٢	السابع
٨٠٤	الرابع والعشرون	٨٦٧	السادس عشر	٥٦٥	الثامن

ونلاحظ أن الكتاب الأول: بسيط وطبيعي وينقسم إلى ثلاثة أجزاء. الجزء الأول ١-٤٣٠ عن الحرب وأسبابها. الجزء الثاني ٤٣٠-٤٩٢ فاصل زمني تتم في أثنائه عودة خريستيس إلى منزلها. الجزء الثالث ٤٩٣-٦١١ تشاور بين الآلهة.

تبدأ الأحداث الملحمية "للإلياذة" في السنة العاشرة من حصار الإغريق لطرودة. يرسل أبوللون الطاعون على الإغريق استجابة لدعوة من كاهنه خريستيس، الذي أخذت ابنته خريستيس سبية على يد أجامنون ملك موكيناى. وندراء هذا الطاعون كان على أجامنون أن يردها لأبيها، ففعل. ولكنه عوضاً عنها أخذ محظية أخيليوس وهي بريستيس. وكان أخيليوس على وشك أن يهاجم أجامنون، لولا أن تدخلت أثينة وكبحت جماح غضبه، فاعتزل الحرب وعكف في خيمته. ووعد زيوس أمه الإلهة ثيتيس أن المصائب ستحيق بالإغريق بسبب الحيف في معاملة ابنها بطل الأبطال. وأعطى الإسكندريون للكتاب الأول عنوان: "الطاعون Loimos" و "الغضبة Menis".

ويقع الكتاب الثاني في جزئين رئيسين: الأول ١-٥٤٥ تفقد الجيش الآخى، والجزء الثاني ٤٥٥-٨٧٧ قائمة السفن. إذ يرسل زيوس حلمًا إلى أجاممنون ليقتعه بقيادة الجيش إلى المعركة. ويمر أجاممنون بالفعل على القادة والجنود ويستحثهم على القتال، وعقد اجتماعًا للأمرء ثم للحشد كله وقص عليهم حلمه. ولكن ظهر أن هناك ميلاً عامًا لفك الحصار حول طروادة والعودة للوطن. ويفلح أوديسيوس واسع الحيلة في تغيير الدفة ويوقع عقابًا مريبًا على ثيرسيتيس، الذى تجاسر على الملك أجاممنون. ويستمتع الجميع لنصائح الملك الهرم والحكيم المحنك نيستور ويستعد الجميع للنزال. وفي هذا الكتاب يرد ما تعارف على تسميته "قائمة السفن" *Katalogos ton neon* (أبيات ٤٥٥-٨٧٧) وهو الجزء الذى يعتبره بعض النقاد دخيلًا أو مقحمًا على "الإلياذة". وأعطى السكندريون للكتاب الثانى عنوان: "الحلم *Oneiros*" و "بويوتيا أو قائمة السفن *Boiotia e Katalogos ton neon*".

ويثير الكثير من النقاد الشكوك حول "قائمة السفن" وهناك من يحذفها باعتبارها منتحلة مع مالها من تأثير ضخم فى الأجيال التالية من الشعراء. إذ نشأ ما يمكن أن نسميه أدب القوائم حيث تنسب لهيسودوس قصيدة "قائمة النساء" على سبيل المثال وعرفت لأرسطو عدة قوائم منها قائمة بالعروض المسرحية الأثينية (*didaskaliai*) وهناك قائمة الفائزين المنتصرين فى الألعاب الأولمبية وغيرها الكثير، ثم ازدهرت القوائم فى العصر الهيلينى وفى الأدب السكندرى^(٤٤).

(٤٤) أحمد عثمان: الأدب الإغريقى، ص ١٢٧ وفى أماكن أخرى متفرقة.

قائمة السفن المحاصرة لطرودة وعددها ١١٨٦

عدد السفن	القادة	السلالة والموطن
٥٠	بينيلوس، ليثيوس، أركيسيلوس، بروثونور، كلونيوس	البويوتيون (٢٩ مدينة): هيريا، أوليس، سخوينوس، سكلوس، إيتيونوس، ثيسيا، جرايا، ميكاليسوس، هارما، إيليسيون، إريثراي، إيليون، هولي، بيتيون، أوكاليا، ميديون، كوباي، إيوترسيس، ثيسبي، كورونيا، هاليارتوس، بلاتايا، جليساس، هيبوثيبي، أونخستوس، أرني، ميديا (Midea)، نيسا، أنثيدون
٣٠	أسكالافوس، يالمينوس	ميثيوس، أوركومينوس، أسبليدون
٤٠	ستديوس، إبيستروفوس	الفوكيون: كيبارسوس، بيثون، أنيموريا، كريسا، داوليس، بانويوس، ليلايا، هيامبوليس
٤٠	أياس بن أوليوس	اللوكريون: كينوس، أوبوئيس، كالياروس، بيستا، سكارفي، أوجياي، تارفي، ثرونتون
٤٠	إيفينور	الأياتيون (في يوبويا): خالكيس، إيريتريا، هيسايا، كيرينثوس، ديون، كارستوس، ستيرا
٥٠	مينيسثيوس	الأثينيون: أثينا
١٢	أياس بن تيلامون	أهل سلاميس: سلاميس
٨٠	ديوميديس، ستينيلوس، يوربالوس	الأرجيون: أرجوس، تيرنس، هرميون، أسيني، ترويزن، إيونيس، إبيداوروس، أيجينا، ماسيس

عدد السفن	القادة	السلالة والمواطن
١٠٠	أجاممنون	الموكينيون: موكيتاي، كورنثة، كليوناي، أورنياي، أرايثريا، سيكيون، هيريسيا، جونوايسا، بيليني، أيجيون، إيجيالوس، إليكي
٦٠	مينيلاوس	اللاكيدايمونيون (الإسبرطيون): فارس، اسبرطة، ميسى، بريسييا، أوجياي، أميكلاي، هيلوس، لاس، أويتيلوس
٩٠	نيستور	أهل بيلوس: بيلوس، أرني، تريون، أبيي، كيبارسيس، أمفيجينا، بتيلوس، هيلوس، دوريون
٦٠	أجابينور	الأركاديون: فينوس، أورخومينوس، ريبى، ستراتيا، إنيسى، تيجا، مانتينا، ستمفالوس، باراسيا
٤٠	أمفيماخوس، ثالبيوس، ديوريس، بوليكسينوس	الإبيون (إليس): بوراسيون، إليس، هيرمينا، ميرسينوس، أولينا بيترا، أليسيون
٤٠	ميجيس	الدولخيون: دولخيون، إخيناي
١٢	أوديسوس	الكيفالينيون: إيثاكي، نيريتوس، كروكيليا، أيجيبس، زاكينثوس، ساموس
٤٠	ثواس	الأيوليون: بليورون، أولينوس، بيليني، خالكيس، كاليدون
٨٠	إيدومينوس، ميريونيس	الكريتيون: كنوسوس، جوريس، ليكتوس، ميليتوس، ليكاستوس، فايستوس، ريتيون
٩	تليبوليموس	الروديون (الروديون): رودس، ليندوس، إيليسوس، كاميروس

عدد السفن	القادة	السلالة والموطن
٣	نيريوس Nireus	السيميون Symioi : سيمي
٣٠	فيديبوس، أنتيفوس	أهل الجزر الاثني عشر Dodekanesioi : نيسيروس، كراباثوس، كاسوس، كوس، جزر كاليدناى
٥٠	أخيلوس	الميرميدونيون: أرجوس البلاسجية، هالوس، ألوبي، تريخيس
٤٠	بروتيسلاؤس	فيلاكي، بيراسوس، إيتون، أنترون، بتيلوس
١١	يوميلوس	فيراي، بويبي، جلافيراي، ياولكوس
٧	فيلوكتيتيس (ميدون)	ميثوني، ثوماكيا، ميليبويا، أوليزون
٣٠	ماخاؤن، بوداليريوس	تريكي، إيثومي، أويخاليا
٤٠	يوريبيلوس	أورمينيون، هيريأكريني، أستيريون، تيتانوس
٤٠	بوليبوبتيس، ليونتيوس	أرجيسا، جيرتوني، أورثي، إيلوني، أولوؤسون
٢٢	جونبوس	الإينيون Enienes = البيرايبيون Perraiboi : كيفوس، دودوني، منطقة تيتاريسيون
٤٠	بروثوؤس	الماجنيثيون: بيليون، منطقة بينيون

ومن الملاحظ لأول وهلة في هذه القائمة أنها تشمل كافة أنحاء بلاد الإغريق مما أيد شكوك البعض، حيث قالوا إنها من وضع الأجيال المتتالية حيث حاولت كل سلالة أن تضيف اسمها إلى هذه القائمة. وهل هي حرب "قومية" ضد "قومية" أخرى؟ وهل كان الإغريق آنذاك ينتظمون في قومية واحدة؟ هذه الأسئلة وغيرها

الكثير تثار حول "قائمة السفن". وتذكرنا بالسؤال المطروح سلفاً من هو الآخر فى "الإلياذة"؟

ويستعد الجيشان فى الكتاب الثالث للالتحام، ولكن هيكتور يقترح تفادى إسالة الدماء بمنازلة فردية بين كل من باريس ومينيلأوس، بحيث تحسم نتيجة هذه المباراة الحرب نهائياً. وتم الاتفاق على ذلك ودعت إيريس هيلينى لمشاهدة هذه المباراة بين باريس الذى خطفها وتقيم معه الآن فى طروادة زوجة من جهة، ومينيلأوس زوجها السابق الذى جاء مع الجيش الإغريقى ليستردها من جهة أخرى. وجلست هيلينى مع برياموس ملك طروادة وشيوخها وأمرائها يشاهدون المباراة من فوق أسوار المدينة. ويستفسر برياموس منها عن قادة الإغريق واحداً بعد الآخر. وتشرح هيلينى له كل ما يتصل بهم وبمدنهم فيما يشبه استكمالاً لقائمة السفن فى الكتاب السابق. ويُهزم باريس وتنفذه أفروديتى من الهلاك المحقق فتلفه فى سحابة وتحمله إلى القصر حيث تستدعى هيلينى لكى ترعاه وتضمد جروحه. ويطالب أجاممنون الطرواديين بإرجاع هيلينى وفقاً لما تم الاتفاق عليه بين الطرفين. وأعطى السكندريون للكتاب الثالث عنوان: " الهدنة، القسم أو العهد Orkoi، مباراة باريس ومينيلأوس Paridos kai Menelaou monomachia، النظر أو المشاهدة من فوق الأسوار Teichoskopia".

وفى الكتاب الرابع يعقد الآلهة مجلسهم للتشاور، وفى نهايته يرسل زيوس أثينة من السماء لكسر الهدنة بين الطرفين المتحاربين حول طروادة. فتغرى بانداروس لكى يصوب سهماً إلى مينيلأوس، فيصيبه بالفعل ويحدث به جرحاً فيعالجه الطبيب ماخاؤن. ويهاجم الطرواديون الإغريق الذين يقود أجاممنون حشودهم ويستحث أمراءهم ويلتحم الجيشان، ويقع الكثيرون من الطرفين موتى وجرحى.

وفى هذا الكتاب يرد حديث مطول عن عبادة التوام كاستور وبوليديوكيس (أبيات ٢٣٦-٢٤٤). ويربط بعض الدارسين بين فكرة التوام الإلهى المذكور بعبادة التوام الإلهى المؤنث ويشيرون بصفة خاصة لهيلينى وكليتمسترا ابنتى ليدا .

وكانت هيليني^(٤٥) قد وصفت في الكتاب الثالث بيت ٤٢٦ على أنها "بنت زيوس لابس الدرع أيجيس"، مما يشي بأن هاتين الأختين كانتا في الأصل بمثابة "توأم إلهي". وأعطى السكندريون للكتاب الرابع عنوان: "كسر الهدنة *Orkion synchysis* وجولة أجاممنون النقدية *Agamemnonos epipolesis*".

وفي الكتاب الخامس يتمكن ديوميديس بمساعدة أثينة باللاس من إلحاق هزيمة فادحة بالطرواديين، فيجرحه بانداروس وتداويه أثينة وتحذره من الدخول في نزاع ضد القوى الإلهية فيما عدا أفروديتي. فيدخل آينياس المعركة وتتعرض حياته للخطر فتتقذه أمه أفروديتي التي أصابها ديوميديس بجرح دامي. فيسرع أبوللون لمساعدتها ويتم نقل آينياس إلى داخل طروادة لعلاج. ثم يعود لساحة الوغى التي تشهد مقتل العديد من المحاربين. وبينهم تليولييموس. وتدفع أثينة باللاس ديوميديس لمهاجمة آريس إله الحرب الذي يصاب بالجروح فينقل إلى السماء. وأعطى السكندريون للكتاب الخامس عنوان: "بطولات ديوميديس" *Diomedous aristeia*^(٤٦).

يقرر الآلهة في الكتاب السادس ترك ميدان الحرب وعدم التدخل لصالح أي طرف من الطرفين، فترجح كفة الإغريق. وفي الجانب الطروادي يأمر هيلينوس العراف هيكتور أن يعود إلى المدينة ويقوم بطقوس معينة يتضرع بها إلى أثينة أن تسحب ديوميديس من ساحة الوغى. ويتأهب كل من ديوميديس وجلاوكوس اللئكي للمنازلة. وقبل أن يلتحما يكتشفان أنهما صديقان بالوراثة فينصرف كل منهما عن

(٤٥) يبدو أن اسم "هيليني" نفسه ليس إغريقيا صميما - كما هو الحال بالنسبة للكثير من أسماء الآلهة والإلهات والأبطال في الأساطير الإغريقية - وهناك دلائل كثيرة على أن هيليني كانت في الأصل إلهة ترتبط بعبادتها بفكرة الخضرة والخصوبة في الطبيعة. وعرفت هكذا في بلاد الإغريق فيما قبل الغزو الدوري. وتعد من الأمثلة القليلة في الأساطير الإغريقية على نزول قوة إلهية من مرتبة الألوهية إلى مرتبة البشر العادية أو على الأقل إلى مرتبة الأبطال. كانت هيليني في الأصل تعبد بوصفها إلهة حامية للأشجار وتحمل لقب "ربة الشجر" *Dendritis*. وقيل إن شجرة ما في إسبرطة كانت تسمى "شجرة هيليني" المقدسة. هذا وهناك رواية أسطورية أخرى تقول إن نماية هيليني كانت عنيفة، إذ شنت فوق شجرة تماما كما حدث بالنسبة للخادامات الخائفات في قصر أوديسيوس في "الأوديسية". وربطت الأساطير كذلك هيليني بالطيور، فقيل إن زيوس أبها كان قد تنكر في هيئة طائر البجع ليتصل بأمها ليدا. وقيل في رواية أخرى إن هيليني ولدت من بيضة. ولما كانت الحضارة المينوية في كريت مليئة بشخصيات إلهية على هيئة الطيور، فإن ذلك قد يشي بأن هيليني جاءت إلى بلاد الإغريق عبر كريت من بلاد الشرق وتراثه الأسطوري العريق.

(٤٦) *Alberto Camerotto, op. cit., pp. 263-308.*

وقارن حاشية رقم ٢٦ التي سبقت.

الآخر في مودة. وفي أثناء وجود هيكتور بالمدينة يعرج على أخيه باريس ويأمره بالعودة للقتال كما يفعل الرجال تاركًا أحضان هيليني^(٤٧). ويودع هيكتور زوجته أندروماخي وداعًا حارًا وهو في طريقه إلى المعركة. وأعطى السكندريون للكتاب السادس عنوان: "لقاء (هيكتور) وأندروماخي *Andromaches omilia*".

ويركز هوميروس انتباهه في الكتاب السابع على المعركة بين أياس وهيكتور. في البداية تنزل أثينة من قمة الأوليمبوس منزعة وتلتقي بأبوللون عند بوابة سكاياي الطروادية. ويتفان على أن تتأجل المعركة العامة، وأن ينازل هيكتور أحد أبطال الإغريق في مبارزة فردية تحسم الحرب. ويتم ضرب القرعة بالفعل ويكون من نصيب أياس ملاقاته هيكتور. ويلتحم البطلان ويسفر اللقاء عن نتيجة غير محسومة، فينصرف كل إلى موطنه. وينصح نيستور الإغريق بدفن قتلاهم وتحصين معسكرهم. وفي مجلس للأمرء الطرواديين يقترح أنتينور إعادة هيليني للإغريق وإنهاء الحرب، فيرفض باريس. ويتفق الطرفان، الإغريق والطرواديين، على عقد هدنة لدفن القتلى. ويقضى الجيشان الليل في مرح وولائم، ولا يعكر الصفو في الجانب الطروادي سوى صواعق زيوس وعوده. وأعطى السكندريون للكتاب السابع عنوان: "مبارزة هيكتور وأياس" *Hektoros kai Aiantos monomachia* و "دفن الموتى" *Nekron anairesis*.

يجمع زيوس كافة الآلهة فوق الأوليمبوس في الكتاب الثامن ويأمرهم متوعدًا ومهددًا بالآلات يتدخلوا في سير الحرب مع هذا الطرف أو ذاك. وينزل زيوس من السماء إلى قمة جبل إيذا المطل على منطقة طروادة بأكملها. ويمنح الطرواديين بعض المزايا، إذ يزج الإغريق بصواعقه وعوده. ويدخل نيستور الملك المسن غمار المعركة بمفرده ويصمد، إلا أنه في النهاية يتعرض لخطر حقيقي لولا تدخل ديوميديس البطل القوي لإنقاذه. وتحاول هيرا عبثًا أن تغري بوسيدون بعصيان أوامر زيوس والتدخل لمعاونة الإغريق. ويدخل تيوكروس المعركة ويحقق بعض الإنجازات الكبيرة، إلا أن هيكتور يصيبه بجرح خطير فينقل بعيدًا عن ساحة القتال. وعندما تتأهب كل من هيرا وأثينة لتقديم العون للإغريق ينهرهما زيوس في رسالة تبلغها لهما إريس. وأعطى السكندريون للكتاب الثامن عنوان: "انقطاع

(٤٧) Ann C. Suter, *Paris/Alexandros: A Study in Homeric Techniques of Characterization*. Ph.D. diss., Princeton University 1984.

الآلهة عن المعركة أو "سيف المعركة المبتور" *Kolos maches* "(٤٨)."

ويروى الكتاب التاسع كيف أن أجامنون، الذى شعر بالخزى إزاء تقهقر الإغريق، عرض الآن على أتباعه العودة للوطن. فباعتراض عليه بشدة كل من ديوميديس ونيسطور. ويعقد مجلس تشاورى حول الموقف، ويقترح نيسطور إرسال وفد إلى أخيلئوس على أمل أن يلين ويعود إلى المعركة ضد الأعداء. ويتكون الوفد من أوديسئوس وأياس والشئخ المسن فوينئكس^(٤٩). ويتحرك الوفد لئلاً قاصداً خئمة أخئلئوس، الذى يستقبلهم بحفاوة بالغة، فئبلغونه رسالة الجيش الإغرىقى وكئف أن أجامنون يعرض أن يصلح أخطاءه بما فى ذلك إرجاع برئسئئس إلى أخئلئوس. ولكن الأخرئ ىرفض العرض وئحتفظ بفونئكس فى خئمته، فى حئن يععود أودئسئوس وأئاس وقد خاب سعئهما. وئسلم الجمئع أنفسهم للنوم. وأعطئ السكندرىون للكتاب التاسع عنوان: "وفد إلى أخئلئوس" *Presbeia pros Achillea*.

وبئالم أجامنون فى الكتاب العاشر لفشل الوفد فى إقتناع أخئلئوس بالعودة للحرب. ولم يذق طعم النوم طوال اللئل وئمر بالمعسكر وئوقظ القادة وئعقد مجلساً للحرب ىقرر فئه إرسال جواسئس لاستكشاف ما ىجرئ فى معسكر الأعداء. وئقع الاختئار على أودئسئوس وديومئدئس للقيام بهذه المهمة الصعبة. فئصادفان فى الطرىق محارباً طروادئاً هو دولون، الذى أرسله هئكتور لنفس الغرض. فأجبراه على الإءلاء بالمعلومات التى ىرغبان فئها وقتلاه. ووصل إلى حئث معسكر الطراقئئن حلفاء الطروادئئن، فقتلا قائدهم ومئلكهم رئسوس وأخرئن كئثرئن، وسلبا خئول هذا الملك الشهئرة، وعادا إلى المعسكر الإغرىقى سالمئن غانمئن.

وئشكك فقهاء كئثرون فى هذه الحادثة، بل وفى الكتاب العاشر برمته

(٤٨) حرفئاً السئف المبتور أو ما ىبقى من الذئل أو القرن بعد بتره.

(٤٩) بطرىقة أو بأخرئ ىذكرنا هذا الاسم بالفئئقئئ والأصول الشرقئة للملاحم الهومرىة. ولقد عرفت الأسطورة الإغرىقىة شخصئئئ بهذا الاسم. الأول هو المعنى هنا أى ابن أمئتور ملك هئلاس (القئدئمة) دب الخلاف بئنه وئبن أبه الذى اتخذ عشئقة على زوجه الغئور أم فونئكس، فأغرئت الأخرئة ابنها ىاغواء عشئقة الأب، وبذلك تخلصت منها. ولكن الأب الأشئب دعا على ابنه بعدم الإنجاب. ذهب فونئكس إلى فئنا، وصار مربئاً لأخئلئوس. واتبع ىورئئدئس فى مسرحئته المفقودة "فونئكس" الرواية القائلة بأن أمئتور فقاً عئنى ابنه فونئكس فعالجه خئرون. أما فونئكس الأخر فهو شقئق كادموس الذى أرسل مثله للئحت عن أختئها ىوروى (ىوروبا). ولما لم ىجدها لم يعد إلى صور وإنما أسس السلالة الفئئقىة. وعن شخصئة فونئكس فى "الإلياذة" راجع: Andreou I. Boskou, op. cit., passim وقارن أعلاه حاشئة رقم ٢٧.

ويعتبرونه مقمماً على "الإلياذة" أى منتحلاً. وأول من أثار هذه المشكلة يوستاثيوس Eustathios فقيه القرن الثاني عشر الميلادى، حيث قال فى تعليقه على ملحمة هوميروس إن هذا الكتاب قد أضيف إلى "الإلياذة" على يد بيسيستراتوس طاغية أثينا فى القرن السادس ق.م. ويسخر كثير من الدارسين من حادثة دولون على اعتبار أنها هزلية^(٥٠) صارخة لا تتواءم مع الروح الهومرية الصارمة والجو الملحمى العام. فمحاربان قويان ومرعبان بأسران ويقتلان شخصاً رعيدياً. ولكن نقاداً آخرين كثيرين يرون فى هذه الحادثة براعة فنية، إذ جاءت بعد هزيمة الإغريق الفادحة وبأسهم، وهذا ما تم التركيز عليه فى نهاية الكتاب السابق أى التاسع. وأعطى السكندريون للكتاب العاشر عنوان: "قتل دولون" Doloneia و "تضرعات" Litai.

ويواصل هوميروس الخط نفسه فى الكتاب الحادى عشر حيث يقود أجامنون جيشه فى المعركة، فيطارد الطرواديين أمامه، ولاسيما أن زيوس كان قد أمر هيكتور بالانسحاب من المعركة إلى حين يصاب أجامنون بجرح. ولما وقع ذلك بالفعل عاد هيكتور للقتال، فتصدى لهجمته إلى حين كل من أوديسيوس وديوميديس، ولكن بعد إصابة الأخير صار أوديسيوس وحيداً ومعرضاً لخطر محقق. فيتدخل مينيلائوس وأياس وينقذاه.

ويتعرض ماخاؤون الطبيب للإصابة على يد باريس، فيحمله نيستور بعيداً عن ساحة القتال. ويهجم هيكتور على أياس الذى يظهر بسالة نادرة. ويأتى باتروكلوس صديق أخيلئوس الحبيب للسؤال عن ماخاؤون بأمر من أخيلئوس نفسه. فيزور نيستور الذى يفصل القول فى بطولاته أيام الشباب، ولكنه يشرح لباتروكلوس مأزق الإغريق المؤسف فى الوقت الراهن. وأعطى السكندريون للكتاب الحادى عشر عنوان: "بطولات أجامنون Agamemnonos aristeia".

يتراجع الإغريق إلى داخل تحصيناتهم فى الكتاب الثانى عشر ويحاول هيكتور أن يستدرجهم إلى خارجها، ولكن الخندق المحفور يقف حائلاً أمام عبور

(٥٠) لاحظ النقاد وجود عناصر كوميديية فى الملاحم الهومرية ولاسيما "الإلياذة" فى جانب العنصر الذى نتحدث عنه هناك "خدعة هيرا" فى الكتاب الرابع عشر وراجع:

Andreas G. Katsoures, Omerika Schemata Komodias. University Studio Press. Thessaloniki 1998, passim.

العربات الطروادية. ويبدأ الطرواديون فى هجوم على الأقدام. وفجأة يظهر فى السماء نسر يحمل ثعباناً بين مخالفه ويأتى على يسار الطرواديين، فيؤخذ على أنه نذير شؤم. وبعد محاولات متكررة يفلح الطرواديون بقيادة ساربيدون فى اقتحام تحصينات الإغريق. ويدخل هيكتور المعسكر عنوة ويرغم الإغريق على الهروب إلى سفنهم. وأعطى السكندريون للكتاب الثانى عشر عنوان: "معركة الحائط" (الإغريقى) "Teichomachia".

فى الكتاب الثالث عشر انشغل زيوس عن وادى طروادة، فانتهاز بوسيدون الفرصة واتخذ هيئة العراف كالخاس وزرع الحماس والإحساس بالقوة فى قلوب الإغريق، حتى إنهم نجحوا فى إيقاف الهجمة الطروادية. وبرزت الأعمال البطولية التى قام بها إيدومينيوس الكريتى، ولكنه ينسحب أمام آنياس وديفوبوس الطرواديين. وبعد جهود قتالية خارقة من الجانبين تفهقر الطرواديون فى الجانب الأيسر، وإن ظل هيكتور صامداً أمام الثنائى آياس. وفى النهاية ينعقد مجلس حرب إغريقى بتوصية من بوليداماس، ويعقد هيكتور اجتماعاً على الجانب الطروادى يوبخ فيه باريس ويسرعان معاً إلى وسط الجبهة، حيث يتحدى آياس البطل الطروادى هيكتور. وأعطى السكندريون للكتاب الثالث عشر عنوان: "المعركة فوق السفن" *Mache epi tais nausin*.

وكان نيسطور فى الكتاب الرابع عشر يتناول الطعام مع ماخاؤون عندما سمع ضوضاء بالخارج، فهرع إلى حيث وجد أجامنون بصحبة أوديسيوس وديوميديس. وحاول ثلاثتهم على الرغم من جروحهم أن يبتوا الشجاعة والبسالة فى قلوب أفراد الجيش الإغريقى. وفى تلك الأثناء حاكت هيرا مليكة السماء خطة خداع تستولى بها على زيوس، فأخذت الحزام السحرى من أفروديتى، وطلبت مساعدة إله النوم هيبنوس، واستدرجت زيوس للنوم فوق جبل إيدا. وعندما علم بوسيدون بذلك حث الإغريق على إشعال نار معركة فاصلة. وواجه هيكتور آياس فجرح الأول وحمل بعيداً عن المعركة إلى داخل طروادة، وطرده الطرواديون إلى الخلف إلى ماوراء التحصينات الإغريقية. وأعطى السكندريون للكتاب الرابع عشر عنوان: "مخادعة زيوس" أو "التحايل على زيوس" *Dios apate*.

ولم يستيقظ زيوس كبير الآلهة المخدوع من نومه اللذيذ إلا فى الكتاب الخامس عشر حيث يعاتب هيرا ويؤنبها، فتلجأ إلى مجمع الآلهة وتحاول تأليبهم

ضد زوجها زيوس. فتحرض آريس وتصل به إلى حد جنون الغضب. أما أثينة فتحاول أن تهدئ من غضبه. ويطيع كل من أبوللون وإيريس أوامر والدهما زيوس فتطلب هيرا من بوسيدون أن ينسحب من أرض المعركة الطروادية فينصاع كارهاً مرغماً. وبأمر من زيوس يحاول أبوللون أن يقوى من عزيمة هيكتور، ومن ثم تدب الروح في الجيش الطروادى الذى يجدد ويشدد الضغط على السفن الإغريقية التى يدافع عنها آياس ببسالة. وعندما يشعر باتروكلوس بالانزعاج لموقف الجيش الإغريقى الحرج يحاول أن يقنع أخيلئوس بالعودة للقتال. وفى تلك الأثناء يحمل الطرواديون المشاعل ويشعلون النار فى السفن الإغريقية. وأعطى السكندريون للكتاب الخامس عشر عنوان: "صد (الطرواديين) عن السفن Palioxis para ton neon".

أما ما جرى فى الكتاب السادس عشر فيعد نقطة تحول أساسية فى الحدث الملحمى "للإلياذة". فهو يتعلق بالمحور الذى حوله تدور كل الأحداث والأحداث بالملحمة. إذ إن تحولاً مصيرياً سيطراً على الملابس المحيطة بالبطل أخيلئوس. وذلك حين يتدخل باتروكلوس الصديق الحبيب لإنقاذ الإغريق من المأزق الحرج. فيعطيه أخيلئوس أسلحته ليحارب بها، وبموته يزول غضب أخيلئوس ضد أجاممنون أو ينسى فى خضم الحزن العارم لفقده، ويبدأ الحدث الملحمى مساره نحو النهاية. يصور الكتاب بسالة باتروكلوس الذى قتل ساربيدون بن زيوس نفسه، وطرده الطرواديين من السفن ولاحقهم حتى داخل المدينة ناسياً نصيحة أخيلئوس ألا يفعل ذلك. فيضعفه أبوللون ويجرحه يوفوربوس، وفى النهاية يقتله هيكتور، ويجرده من سلاحه وهو فى الأصل سلاح أخيلئوس الذى لا يقهر.

وقد يذهل القارئ وهو يطالع هذا الكتاب، فيقول إن هذا أروع كتاب فى "الإلياذة"، ولا أريد أن أحول بين القارئ الكريم والتعبير عن رد فعله الطبيعى والواعى، ولكننى فقط أنبهه أن كتباً أخرى (سابقة ولاحقة فى "الإلياذة") قد انتزعت مثل هذه العبارة من أفواه نقاد نوى فطنة وحنكة. وأعطى السكندريون للكتاب السادس عشر عنوان: "مقتل باتروكلوس Patrokleia".

ويدافع مينيلائوس عن جثة باتروكلوس فى الكتاب السابع عشر ويقتل يوفوربوس الذى يتعرض له. ويعوق كل من مينيلائوس وآياس تقدم هيكتور، الذى يجدد المعركة بعد أن ارتدى أسلحة باتروكلوس التى هى فى الأصل

- كما ألمحنا - أسلحة أخيلئوس. وتبكى خيول باتروكلوس موت صاحبها. وفى نفس الوقت ينجح أوتوميدون فى الفرار بعربة أخيلئوس على الرغم من محاولات آبنياس وهكتور المستميتة للاحتفاظ بها. ويلف زيوس جثة باتروكلوس فى غلالة من الضباب الكثيف. واستجابة لتضرعات آياس يبدد زيوس الضباب ليتمكن المحاربون من الالتحام فى وضح النهار. ويرسل مينيلائوس أنتيلوخوس إلى أخيلئوس ليخبره بموت باتروكلوس. فيعود بطل الأبطال إلى أرض المعركة بصحبة ميريونيس. ويعاونه الثنائى آياس فى العودة بجثمان باتروكلوس إلى السفن. وأعطى السكندريون للكتاب السابع عشر عنوان: "بطولات مينيلائوس Menelaou aristeia".

وينقسم الكتاب الثامن عشر إلى جزءين رئيسين. الأول هو تأثير موت باتروكلوس على قلب أخيلئوس^(٥١). أما الجزء الثانى فيدور حول ملابسات صنع هيفايستوس إله النار والحدادة سلاحاً جديداً لأخيلئوس. والعنصر الرابط بين الجزئين هو تدخل الإلهة ثيتيس أم أخيلئوس فى الجزئين. فعند سماع أخيلئوس نبأ قتل باتروكلوس فى المعركة صرخ صرخة مدوية سمعتها أمه فى أعماق البحر فهرعت إليه تواسيه. وفى الوقت نفسه استعرت المعركة بين الطرفين حول جثمان باتروكلوس. وبأمر من هيرا ظهرت إيريس لأخيلئوس تطلب منه الظهور فى الميدان لحسم الموقف. ويعقد الطرواديون مجلساً حربياً ويقررون الأخذ بتوصية هكتور أى الصمود فى المعركة. ويبكى أخيلئوس صديقه الحبيب باتروكلوس. وأخيراً تسرع ثيتيس إلى إله النار والحدادة هيفايستوس وتقنعه بصنع سلاح جديد لابنها. ونرى دقائق مهارة الصناعة الإلهية التى يقوم بها هيفايستوس. ويعتبر النقاد وصف درع أخيلئوس الجديد إحدى روائع هوميروس فى "الإلياذة" من حيث الشكل والبناء العام والتدفق الشعرى. فالعناصر الزخرفية لهذا الدرع تعكس طبيعة الفن الذى عاصره الشاعر ورآه بعينيه، ولكن كثرة الصور الشعرية والعناية الفائقة بها تتعدى كل ما وصلنا من فنون تلك الفترة. ومن ثم فعلينا أن نلجأ للخيال المبدع والتصور الأسطورى المرتبط بصناعة إله الصناعة. والخطة العامة لهذا الزخرف هى وجود مساحة مركزية تمثل الكون تحيط بها أربعة مجموعات. المجموعات

(٥١) عن طبيعة العلاقة بين أخيلئوس وباتروكلوس راجع:

W. M. Clarke, "Achilles and Patroclus in Love", *Hermes* 106 (1978) pp. 381-95.

الداخليتان تنقسمان بدورهما إلى ستة موضوعات. أما المجموعتان الخارجيتان فتصوران على التوالي رقصة جماعية والأوكيانوس (المحيط) الذي يحيط بكل شيء. علمًا بأن المناظر الداخلية مأخوذة كلها من الحياة اليومية.

ومثل هذا الترتيب الزخرفي يتشابه مع ما وجد على آنية فينيقية عثر على بعضها في قبرص وبعضها الآخر في إيطاليا. ومع أن الأثريين لا يعودون بها إلى أكثر من القرن السادس ق.م بيد أنها تعكس أسلوبًا فنيًا أقدم. وحتى موضوعات الزخرفة على الدرع نجد لها ما يقابلها على الآنية الفينيقية، إلا أن الخيال المبدع لهذا الزخرف إنما يعكس الروح الإغريقية بلا جدال. وهذه كلها عناصر يستند إليها من ينادون بالأصول الشرقية "لإلياذة" هوميروس كما سبق أن ألمحنا.

ومع ذلك فجدير بالملاحظة أن الزخرف على درع أخيليوس يمثل الكون والحياة الجارية في أرجائه. وتبلغ دقة الوصف حدًا مذهلاً، مما يجعلنا نشعر وكأننا نلامس الواقع، حتى إن كل ما وصلنا من فنون عصر هوميروس وتمتلىء به المتاحف يبدو وكأنه شذرات من ذلك الإبداع الهومري^(٥٢).

ولقد أثارت زخرفة "درع أخيليوس" الكثير من الجدل والمناقشة في كتب التاريخ والأدب والفن. صنع الدرع من خمس طبقات جلدية تغطيها طبقة برونزية مطعمة بأربعة معادن أخرى. يمثل الإطار الخارجي الأوكيانوس أي المحيط، أما المساحة المركزية فتضم الأرض والأجرام السماوية. أما المشاهد الأخرى فهي كما يلي:

١. حفلة زفاف: أبيات ٤٩٠ - ٤٩٦
٢. مشهد قتل: أبيات ٤٩٧ - ٥٠٨
٣. الحصار: أبيات ٥٠٩ - ٥١٢
٤. الهجمة على مدينة محاصرة: أبيات ٥١٣ - ٥٤٠
٥. حرث الحقول: أبيات ٥٤١ - ٥٤٩
٦. الحصاد: أبيات ٥٥٠ - ٥٦٠
٧. جنى الكروم: أبيات ٥٦١ - ٥٧٢

R.R. Hardie, "Imago Mundi: Cosmological and Ideological Aspects of the Shield of Achilles" JHS 105 (1985) pp. 11-31. (٥٢)

٨. الأسود تهاجم قطعان الماشية: أبيات ٥٧٣ - ٥٨٦

٩. حظائر الأغنام: أبيات ٥٨٧ - ٥٨٩

١٠. الرقص: أبيات ٥٩٠ - ٦٠٦

وأعطى الإسكندريون للكتاب الثامن عشر عنوان: "صنع أسلحة

(أخيلوس) Hoplopoia".

فى الكتاب التاسع عشر تحمل ثيتيس الدرع الجديد الذى صنعه هيفايستوس بإتقان شديد إلى ابنها أخيلوس وتأمّره بأن يعقد اجتماعاً للجيش ويعلن تخليه عن الغضب ضد أجامنون. وبالفعل يتم عقد الصلح بين القطبين الرئيسيين أمام الحشد الإغريقى. ويعبر أخيلوس عن رغبته الجامحة فى النزول إلى ساحة القتال، فينصحه أوديسيوس بالتمهل ريثما يتمكن أفراد الجيش من أخذ كفايتهم من الطعام والشراب. وتحمل الهدايا التى كان أجامنون قد وعد بها إلى خيمة أخيلوس، بما فى ذلك بريستيس التى تبكى باتروكلوس بمرارة عندما علمت بموته. ويمسك أخيلوس عن الطعام والشراب حزناً على صديقه الحبيب. ولكن أثينة بأمر من زيوس تشبعه بالطعام الإلهى الأمبروسيا. ويتسلح أخيلوس استعداداً للمعركة، وعندما توضع الخيول فى عربته يتحدث الحصان كسانثوس بصوت بشرى، ويتنبأ بمصير أخيلوس الحزين، ومع ذلك يندفع البطل للقتال فى جموح وجنون وهو على يقين من أنه بقتله هيكتور يقترب من نهايته المحتومة. فالبطولة فى الفكر الإغريقى تدمر نفسها بنفسها.

وقد أثار حديث الحصان كسانثوس قريحة الكثيرين من الأدباء والشعراء والنقاد المحدثين، ولاسيما أن أخيلوس دخل فى حوار مع صاحبه. وتدور أغلب التعليقات حول العبقرية الهومرية فى بناء الشخصية والحدث الملحميين. فنحن على وشك أن نشاهد أخيلوس ينفجر غضباً وجنوناً وقتلاً فى أعدائه. لقد أفقده الحزن على موت صديقه الحبيب القدرة على التحكم فى غضبه الجنونى، فانفلت الزمام من يده ووصل إلى حد القسوة والوحشية. وتخف حدة هذا العنف الدموى وتتزيا بزى مأساوى قشيب عندما نتذكر ما قاله كسانثوس له - وما قالت له أمه ثيتيس أيضاً - من أنه يرسل قتلاه إلى هاديس مبشرين بقدومه هو أيضاً إلى نفس المصير. فكل فعل عنيف يرتكبه أخيلوس هو خطوة مؤكدة نحو موته. إنه بعبارة أخرى بشر فإن يقتل بشراً فأنين، وسيأتى موته عما قريب، مما يجعل من غضبه وجنونه أفعالاً مأساوية،

ولاسيما أنه هو نفسه يشعر بذلك فى أعماقه. فكلما اشتد غضبه وجنونه اقترب من مصيره المحتوم أى الموت، وتلك هى نواة المأساة البشرية وذروتها فى آن واحد. وجدير بالذكر أن هوميروس يعمد إلى هذا التصوير المأساوى للأحداث والشخصيات ويبرزه كلما سنحت له الفرصة، فهو القائل فى الكتاب السادس عشر (بيت ٦٩٢-٦٩٣) تعليقا على عريدة باتروكلوس فى قتل الطرواديين:

فمن، إذن، كان أول من قتلت، ومن كان الأخير يا باتروكلوس،
عندما كانت الآلهة تناديك إلى الموت".

جاء ذلك عندما بلغ باتروكلوس أقصى النصر والنشوة بقتل الأعداء، وبذلك يسبق هوميروس كتاب التراجيديا فى تصوير المأساة الإنسانية، التى نحاها جميعا نحن البشر. ولعلنا هنا نفهم ما قاله أيسخولوس خالق التراجيديا الإغريقية فى عبارة شهيرة، إذ نسب إليه القول "ما مسرحياتى إلا فتات مائدة هوميروس الحافلة"^(٥٣). وأعطى السكندريون للكتاب التاسع عشر عنوان: "التخلى عن الغضبة".

ويواصل الكتاب العشرون تعميق المأساة. فبعد عودة أخيلوس للمعركة يعقد زيوس مجلسا للآلهة ويسمح لهم بالمشاركة فى الحرب. فيتوجهون إلى ساحة القتال بعضهم يقف مع الإغريق، والبعض الآخر مع الطرواديين. يستحث أبوللون آينياس أن يواجه أخيلوس، ويبتعد الآلهة قليلا لمشاهدة اللقاء. ويلتحم أخيلوس وآينياس الذى ينقذه بوسيدون بأعجوبة من الموت. ويهاجم أخيلوس بشراسة الطرواديين وكاد أن يفتك بهيكتور نفسه. وكان الأخير قد اشتعل غضبا لموت أخيه الأصغر بوليدوروس. ولم ينقذ هيكتور سوى أبوللون الذى لفه فى سحابة ورفع بهيدا عن ساحة الوغى. ويواصل أخيلوس الفتك بالطرواديين. وأعطى السكندريون للكتاب العشرين عنوان: "المعركة بين الآلهة Theomachia".

ويرتفع بنا هوميروس فى الكتاب الحادى والعشرين إلى آفاق كونية عليا، حيث يصور معركة أخيلوس مع إله النهر سكاماندروس (يعرف هنا النهر فى

(٥٣) أحمد عثمان: الأدب الإغريقى، ص ٢٤٩-٣٠٢. وعن مفهوم البطولة فى الأدب الإغريقى راجع:

تركيا الحديثة باسم منديريه (Menderé). فيكتسب السرد الملحى مزيداً من الحيوية والتدفق وعنفوان الخيال المبدع، ويصل إلى شأو قلما وصل إليه الشعر بعد هوميروس. فالطرواديون الهاربون أمام أخيلئوس يلجأون إلى المدينة وإلى النهر سكاماندروس. ويظل أخيلئوس يطاردهم ويعمل القتل فيهم ويحتفظ باثنى عشر نبيلاً منهم أحياءً لكي يقدمهم قرباناً على قبر باتروكلوس. وعندما يصادف لئكأون يستعطفه الأخير بكل وسيلة، ولكنه لا يرحمه ويقتله ويقذف بجثته إلى النهر. ثم يهجم على أستئروبايوس ويقتله. وعندما شعر إله النهر سكاماندروس أن الجثث قد ملأت مجراه وربما تسد المياه ثار غضباً وشرع يهاجم أخيلئوس، الذى يتمتع بعون بوسيدون وباللاس أثئنة. وينضم إله النهر سئموئئس إلى رفيقه وصديقه سكاماندروس. وعندئذ تطلب هئرا من هئفائستوس إله النار أن يجفف مياه الأنهار، وتدور اشتباكات عنيفة فيما بين الآلهة حتى إن أثئنة جرحت إله الحرب آريس.

إنها حرب كونية إذن تشارك فيها كل عناصر الطبيعة، الأرض والسماء، النار والماء، البشر والآلهة، ناهئك عن الأمطار والبروق والرعود.

وفئ الوقت نفسه يواصل أخيلئوس القتال ويطارد الناجئين إلى داخل طروادة. ولم يقف فى وجهه سوى أجئنور الذى كاد أن يقتل هو أيضاً، لولا أن أنقذه أبوللون وأبعده عن ساحة القتال. ولكن أبوللون خدع أخيلئوس متخذاً هئئة أجئنور وفر أمام أخيلئوس، الذى ظل يطارده. وقد استدرجه هكذا الإله إلى مكان بعيد. وبذلك استطاع الطرواديون الهاربون أن يدخلوا مدينتهم. وأعطى السكندريون للكتاب الحادئ والعشرئن عنوان: "المعركة على النهر Mache parapotamios".

ويرى بعض النقاد أن الكتاب الثانئ والعشرئن يمثل ذروة الحدث الملحئ فى "الإلياذة". ويقول جبب Jebb إنه لا يوجد كتاب مثله فى "الإلياذة" من حيث الشمولية^(٥٤) وسعة الأفق وتدفق الحدث. و يسرد هذا الكتاب مقتل هئكتور ويمثل فى حد ذاته ذروة ملحمة، ولا يوجد كتاب آخر فى ملحمتئ هومئروس يضارعه فى شمولىته وشاعرئته وتدفقه وسموه. ويعد هذا الكتاب جامعاً لكل الخصائص الهومرية المميزة مثل رسم الشخصئيات الدقئق بوسئلة أفعال هذه الشخصئيات وأحادئتها وكذا تأملاتها المسموعة. ومن هذه الخصائص أيضاً تمازج الفعل البشرئ

مع الفعل الإلهي^(٥٥). ويصاحب كم هائل من التشبيهات الرائعة المستمدة من الطبيعة هذا التوهج الشعري، وتتم مقاطعة الحدث الرهيب والفعل الوحشي بمشاهد غاية في الرقة من الحب الأسرى أو الأسى الإنساني. ويمكن إجمال السمات الأساسية في هذا الكتاب على النحو التالي:

- الدقة في رسم ملامح الشخصية.
- المزج بين الحدث البشري والتدبير الإلهي.
- تكثيف استخدام تقنية التشبيهات.
- براعة هوميروس في تطوير العنف الوحشي إلى نوع من الترويح بتقديم مشاهد غاية في الإنسانية والرحمة، وذلك برسم مشاهد الحياة الأسرية العذبة والحب الأسر بين أفرادها وكذا الحزن الجياش بالمشاعر.

ذلك أن الطرواديين قد أكملوا انسحابهم وتدفقوا إلى داخل أسوار طروادة فيما عدا هيكتور الذى ظل أمام الأسوار ليلاقي أخيلوس. وعبثاً حاول والداه المسنان أن يثنيه عن ذلك. وعندما تقدم إليه أخيلوس لم يستطع هيكتور الوقوف، إذ خانته شجاعته وفر أمام أخيلوس الذى ظل يلاحقه حول أسوار المدينة دورات ثلاث متتالية^(٥٦). وفي ميزان ذهبي وضع زيوس أقدار البطلين، فظهر أن هيكتور على وشك الموت، فهجره الإله أبوللون^(٥٧)، ونزلت أثينة لتساعد أخيلوس. ويقتل أخيلوس هيكتور ويسحب جثته بعربته إلى السفن تحت أنظار والديه البائسين والطرواديين جميعاً. وتسمع أندروماخي الصرخات فتهرع إلى الأسوار وعندما ترى جثمان زوجها الحبيب يغمى عليها، وعندما تفيق تنخرط في العويل والبكاء. وأعطى الإسكندريون للكتاب الثاني والعشرين عنوان: "مقتل هيكتور Hektoros anairresis".

(٥٥) عن العلاقة بين الفعل البشري والتدبير الإلهي في ملاحم هوميروس راجع: "ناسوتية الآلهة والوهية البشر"، أحمد عثمان: الأدب الإغريقي، ص ٨٠-٨٩.

Paolo Vivante, *The Homeric Imagination: A Study of Homer's Poetic Perception of Reality*. Indiana University Press 1970, pp. 35-71.

(٥٦) S.E. Bassett, "The Pursuit of Hector", *TAPhA* 61 (1930) pp. 130-149.

(٥٧) يحكى بلوتارخوس أن الإله هجر أنطونيوس عندما هزم لهانياً في الإسكندرية. وصاغ شاعر الإسكندرية المحدث كفافيس رائعته قصيدة: "الإله يهجر أنطونيوس" مستلهماً هذه الفكرة راجع: أحمد عثمان: "كليوباترا وأنطونيوس". دراسة في فن بلوتارخوس وشكسبير وشوقي" أميجيوس القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٩٠، ص ١٢١ وما يليها مع الحواشي.

أما الكتاب الثالث والعشرون فيحمل مفاجأة هومرية أخرى. ذلك أنه كان قد ساد اعتقاد في العالم القديم بأن الألعاب الرياضية نشأت أصلاً من مراسم دفن الموتى. وتؤكد ذلك عبر العصور التاريخية حيث نظمت ألعاب رياضية في مناسبات عديدة احتفالاً بموت بعض العظماء مثل ميلتياديس وليونيديس (بطل ممر ثرموبيلاي) وبراسيداس وتيموليون (منقذ سيراكوساى أى سراقوسة في صقلية) وغيرهم. وبعد معارك تاريخية كثيرة أقام الإغريق الألعاب الرياضية تمجيداً للبطال الذين ماتوا أثناءها. وهذا تقليد مازال يتبع إلى يومنا هذا في بعض البلدان.

وقد كرس هوميروس الكتاب الثالث والعشرين لوصف احتفال أخيليوس بدفن صديقه الحبيب باتروكلوس، ولاسيما الألعاب الرياضية. فبعد الوليمة الجنائزية^(٥٨). يظهر شبح باتروكلوس لأخيليوس عندما كان يستلقى على شاطئ البحر، طالباً سرعة الدفن لجثمانه. وبعد حرق الجثمان على محرقة وتقديم الضحايا بما في ذلك اثني عشر نبيلاً أسيراً طروادياً. تبدأ الألعاب الرياضية التي يسهب هوميروس في وصفها. وهذه أول شهادة أدبية تصلنا عن الألعاب الرياضية في العقليّة الإغريقيّة والتي ستترى بزى جديد فيما نعرفه جميعاً اليوم باسم الألعاب الأولمبية والروح الأولمبية... إلخ. وأعطى السكندريون للكتاب الثالث والعشرين عنوان: "ألعاب رياضية جنائزية تكريماً لباتروكلوس Athla epi Patroklo".

هكذا كرم باتروكلوس وشفى غليل أخيليوس، وبقي أن يرد هوميروس الاعتبار لهيكتور البطل المدافع عن طروادة، والذي مات فداءً للوطن. وهذا هو موضوع الكتاب الرابع والعشرين. إذ كان أخيليوس يجر جثمان هيكتور يومياً حول قبر باتروكلوس، فأمر زيوس إيريس بالذهاب إلى برياموس وحثه على الذهاب إلى أخيليوس مفتدياً ابنه بفدية كبيرة ومتوسلاً للبطل الإغريقي. وفي نفس الوقت تنكر هيرميس في هيئة أمير إغريقي شاب واقتاد برياموس حتى خيمة أخيليوس. فاستقبل الأخير برياموس بمودة وقبل الفدية وتناولوا العشاء معاً. وفي الصباح الباكر قاده هيرميس في طريق العودة إلى طروادة مع جثمان ابنه هيكتور، الذي بكاه كل من أمه وزوجه وهيليني وكافة الطرواديين، وبذلك تنتهي الإلياذة. وأعطى السكندريون

(٥٨) راجع: Elena Marino, "Il lutto a banchetto (Iliade 24- Odissea 4), pp. 15-39 in *Materiali e discussioni per l'analisi dei testi- Classici 43* Istituti Editoriali e Poligrafici Internazionali Pisa- Roma 1999.

للكتاب الرابع والعشرين عنوان: "قديسة هيكتور Hektoros Lytra".

وبعد الاستعراض السريع للحدث في الكتب الأربعة والعشرين لزام علينا أن نتأمل سر الإبداع الهومري في السرد الملحمي، إذ لا يحفل هوميروس بأن يحكى في ملحمة ما حدث فقط، ولكنه يحفل أكثر بتقديم كنه ما حدث وتصوير العالم الذى وقع فيه هذا الحدث. فنجد الأحداث تغطى الكون من فوق جبل الأوليمبوس - السماء - الثلجية إلى أعماق البحر الهائج والغابات المحترقة، بل وأعماق النفس الإنسانية ذاتها فى كافة أحوالها من السراء والضراء. وتغطى الأحداث كذلك الآلهة والبشر ومملكة الحيوان والطيور. فنحن إذن إزاء تصوير لحالة وجودية كونية لا حدث فردى عابر. نحن إزاء نظام متكامل تتفاعل فيه كل السمات ومختلف مقومات الأحياء والأشياء، بحيث نحصل فى النهاية على استكشاف شعري للكون ونظام عمله.

تحمل إپريس رسالة من زيوس كبير آلهة الأوليمبوس، فتتزل من علياء السماء إلى أعماق البحر فتجد ثيتيس حزينة على مصير ابنها أخيليوس بطل الأبطال الإغريق حول طروادة فتبلغها رسالة زيوس. ثم تصعد ثيتيس من أعماق البحر إلى خيمة أخيليوس فى طروادة لتبلغه أوامر زيوس. وهذه لقطة واحدة من "الإلياذة" (الكتاب الرابع والعشرون)، تجد فيها كل عناصر الكون مشاركة فى الحدث الملحمي.

وهذا ما يفسر لنا كثرة الاستطرادات التى عاقت بعض النقاد عن إدراك طبيعة وحدة الحدث الملحمي عند هوميروس، فهذه الوحدة تتعدى مجرد التسلسل الزمنى المترابط، لأن هناك دائماً قضية ما ينبغى استيفائها وشرحها وتفسيرها. فهذا هو الأهم من التسلسل الزمنى المطرد. فإن أطول استطراد أسطوري ورد فى الكتاب التاسع (أبيات ٥٤٣-٥٩٠) ويدور حول أسطورة ملياجروس ويرويها فوينيكس، كان الهدف منه إقناع أخيليوس بالعودة للمعركة لأن ملياجروس عانى أيضاً من الغضب المدمر. والاستطراد حول أسطورة نيسوى (الكتاب الرابع والعشرون أبيات ٦٠٢ وما يليه)، يرويها أخيليوس نفسه لبرياموس الذى ذهب ليستجديه تسليم جثة ابنه هيكتور، كان الهدف من هذا الاستطراد ليس فقط إيجاد معادل أسطوري للحزن الفتاك، بل أيضاً التمهيد لدعوة برياموس لأن يجلس إلى وليمة العشاء مع أخيليوس. وفى كل من الاستطرادين نجد القضية المطروحة تحتل

المكانة الأولى بالرعاية. في الاستطراد الأول تطرح قضية الغضب وضرورة كبح جماحه. وفي الاستطراد الثاني يتم سبر أغوار الحزن وضرورة تخطيه. والمشاركون في الاستطراد أو في تلقيه هم جميعاً متورطون بنفس الدرجة في القضية المطروحة^(٥٩).

يعتمد جانب كبير من وحدة الحدث الملحمي في "الإلياذة" على الثنائيات المتقابلة. فأخيلئوس بطل الأبطال الإغريقي يقابله هيكتور بطل الأبطال الطرواديين. الأول بطل الهجوم والحصار، والثاني بطل الصمود والمقاومة. يبدأ البيت الأول في الملحمة كلها بغضبة أخيلئوس المدمرة، أما البيت الأخير في الملحمة فقد فاز به هيكتور الميت حيث يقول الشاعر: "وكانت تلك هي مراسم دفن هيكتور مروض الخيول". وعلاوة على أن الوحدة الملحمية تتجلى في الربط بين البيت الأول الذي يقدم السبب والبيت الأخير الذي يحمل النتيجة. فإن موضوع دفن هيكتور يحتل أهمية خاصة في بناء الملحمة، بل بصفة عامة يصور الفكرة الإغريقية بأن المصير بعد الموت جزء مكمل للحياة على الأرض، ونتيجة مباشرة لها.

يمتدح أرسطو هوميروس لأنه يجمع بين الوحدة والتنوع، وهو ممتاز في كل من القول والعاطفة، إنه يختفي وراء أشعاره ويقدم شخوصه بأقوالهم وأفعالهم المباشرة ويرسم شخصياتهم جيداً، وهو يتمتع بخيال إبداعى رائع، فهو يستخدم بجرأة غير المحتمل والخارق - وهو ما تتسع له الملحمة أكثر من التراجيديا - ولكنه يستخدمهما ببراعة فائقة. وهوميروس بالنسبة لأرسطو هو أول الشعراء وأكثرهم نضجاً. هذا مع العلم بأن أرسطو فضل التراجيديا على الملحمة لأنها تؤدي نفس الوظيفة ولكن في حجم أقل^(٦٠).

يضيف أرسطو أن الملاحم - مثل المسرحيات - تصنف بين "بسيطة" *haple* ومركبة *peripeplegmene*. فيقول إن "الإلياذة" بسيطة مثل "بروميثيوس مقيداً" لأيسخولوس، فلها حدث واحد مطرد ونهاية واحدة. أما "الأوديسية" فهي مركبة لأنها

(٥٩) N. Austin, "The Function of Digressions in the *Iliad*", GRBS. 7 (1966) pp. 295-312.

Cf. Andreas G. Katsoures, "To Mythologiko Paradeigma Ston Omero" Dodone 31 (2002) pp. 167-206.

(٦٠) Aristotle: The Poetics. ed. W. Hamilton Fyfe, Loeb Classical Library, reprint 1973, 1459b. 4-10.

تتضمن سلسلة من التعرف والتحول (*peripeteia*) ولها نهايتان، نهاية سيئة للأشعار ونهاية سعيدة للأخبار. ويقول أرسطو كذلك إن "الإلياذة" ملحمة عاطفية انفعالية *pathetike*، فغضبة أخيليوس من أجاممنون وحزنه المفجع على موت باتروكلوس صديقه الحبيب ورغبته الجامحة في الانتقام هي ينبوع الأحداث كلها. في حين إن "الأوديسية" ملحمة أخلاقية *ethike* بمعنى أن سلوك الشخصية الرئيسية (*ethos*) أي أوديسيوس وحيله هي المحرك الأساسي للأحداث^(٦١). ويقول أرسطو إن هوميروس برع في رسم أحداث ملحتمته، كما أن أشعاره تفوق سائر الأشعار في القول *lexis* والفكر *dianoia*^(٦٢).

ومن براعة هوميروس في حبك الوحدة الملحمية أن أخيليوس لم يظهر إلا في أحد عشر كتاباً: (١، ٩، ١١، ١٦، ١٨-٢٤) مع أن غضبة أخيليوس هي التي تعطي "الإلياذة" الوحدة الملحمية، فانسحابه من المعركة يجعل كفتي الحرب والبطولة متعادلتين فيما بين الإغريق والطوراديين. وهكذا تستمر المعارك ولا يحسم الموقف. ومن ثم يمكن القول إن الحدث الملحمي يمر بثلاث مراحل رئيسة: الأولى تنتهي في الكتاب التاسع عندما يرسل الإغريق وفدًا إلى أخيليوس فيرد على أعقابه خاسماً خاسراً. وتنتهي المرحلة الثانية بالكتاب الثامن عشر حيث ينتهي اعتزال أخيليوس للحرب. أما المرحلة الثالثة فتشمل الكتب من التاسع عشر إلى الرابع والعشرين وتتوج الحدث الملحمي. ولعل هذا مما دعا ويتمان C.H. Whitman أن يصف بناء "الإلياذة" بأنه هندسي (*Geometric Structure*)^(٦٣).

تجرى أحداث "الإلياذة" فيما وراء حدود التاريخ، فهي أحداث درامية يغوص أبطالها في الأسطورة التي لا علاقة لها بالحادثة الفعلية، ولا بشخصيات هذه الأحداث الدرامية في لحظة وجودية مطلقة. إذ نسي ماضيهم، أما مصيرهم فهو على المحك ويمر بمرحلة حرجة. لم يحفل ساربيدون بأنه ابن زيوس ولا يعنّب المستقبل في شيء، إذ يقول لجالوكوس (الكتاب الثاني عشر بيت ٣٢٢ وما يليه).

يا صديقي العزيز ، لو كان الهروب من هذه

Ibidem 1459b- 2-3. (٦١)

Ibidem. (٦٢)

C.H. Whitman, *Homer and the Heroic Tradition*. Harvard University Press (٦٣)
1958, pp. 249-284.

الحرب يجعلنا نعيش للأبد ونصبح خالدين ،
 ما كنت لأحارب في طليعة الصفوف
 وما كنت لأبعث بك إلى الحرب التي تجلب المجد للأبطال.
 أما الآن ، فإتني أرى ما لا حصر له من حالات الموت
 تحيط بنا، بحيث لا يمكن لبشر أن يهرب منه أو يتجنبه.
 لذلك فلنذهب للحرب ولنبتهل للآلهة أن تمنحنا المجد .

إنها لحظة حيوية ومصيرية، فلا بد من عمل شيء ما ولا بد من الالتزام بقيم الخير والفعل المجيد. فأبطال هوميروس أطفال الآلهة يعيشون على الأرض ويلامسون ترابها، إنهم من البشر، ولكنهم لم ينخرطوا تمامًا في مجرى التاريخ العام. إنهم يعيشون بين عالمين عالم الألوهية والخلود الذي يتطلعون إليه، وعالم البشرية الفانية الذي يكابدون أهواله ويصنعون أمجاده. هكذا يسعى هيكتور للدفاع عن طروادة فيسعى بذلك لنهايته. بل هكذا أخيلوس نفسه يغضب ويحزن ويندفع لقتل هيكتور، الذي يعرف أنه مقدمة لموته هو أيضًا. فأبطال هوميروس رجال على وشك الفناء. بل يساورهم إحساس بالضعف البشري وتلفهم هالة من المجد الإلهي^(٦٤).

سابعاً: أسماء "الإلياذة" في الآداب العالمية

أ- رحلة "الإلياذة" إلينا:

يرجع وجود "الإلياذة" بصفة عامة إلى ما بين ٧٥٠ و ٥٥٠ ق.م كما أسلفنا، ولكن "النص المعتمد" لا يبدأ تاريخه إلا على يد طاغية أثينا بيسيستراتوس في القرن السادس ق.م كما رأينا. وظلت "الإلياذة" موضع اهتمام وتعليق وشرح من الفقهاء والنقاد منذ ذلك التاريخ وإلى يومنا هذا^(٦٥).

ومن المعروف أن إنشاد ملاحم هوميروس في احتفالات عامة ظل سائدًا في كافة المدن الإغريقية عبر مختلف العصور. فيشير إليها هيرودوتوس^(٦٦). إذ يقول

(٦٤) Vivante, op. cit. pp. 120-209.

قارن أحمد عثمان: الأدب الإغريقي، ص ٤٢-٦٦، ٨٠-٨٩.

(٦٥) M.M.Willcock, A Companion to the Iliad. The University of Chicago Press 1976, p. 277-8.

(٦٦) Herodot., V 76.

إن كليستينيس طاغية سيكيون (٦٠٠-٥٧٠ ق.م) المعادى لأرجوس قد ألغى منافسات إنشاد ملاحم هوميروس، لأنها تمجد أرجوس والأرجيين في كل أجزائها. وفي هذا ما يؤكد دور أشعار هوميروس من حيث التأثير في الاتجاهات السياسية والرأى العام ببلاد الإغريق.

وفي جزيرة خيوس كانت هناك أسرة من المنشدين تحمل لقب "أبناء هوميروس" (Homeridai). وتدور محاوراة أفلاطون "إيون" Ion حول المنشد الملحمى الجوال الذى ولد في إفيسوس، وكان قد شاهد احتفالات الإنشاد في إبيداوروس والباناثينايا في أثينا. ويدل كل هذا على أن هوميروس كان لا يزال يحرك مشاعر كافة الإغريق في القرن الرابع ق.م. ونفهم من محاوراة أفلاطون "بروتاجوراس"^(٦٧) أن تلاميذ المدارس كانوا يتدربون على قراءة هوميروس. وسماه أفلاطون في محاوراة "الجمهورية"^(٦٨). "معلم هيلاس". وفي "مأدبة" (Symposion) كسينوفون يقول أحد الحاضرين "لقد أراد أبى أن يجعلنى رجلاً طيباً فأمرنى بقراءة أشعار هوميروس كلها، وأنا الآن أحفظ عن ظهر قلب كل "الإلياذة" و "الأوديسية"^(٦٩).

ويقول إيسوكراتيس إن هوميروس يجسد الروح الهيلينية^(٧٠) ويروى بلوتارخوس أن الكبياديس ذهب إلى إحدى المدارس وطلب من ناظر المدرسة نسخة من هوميروس، فلما أجابه الناظر أنه لا توجد أية نسخة لهوميروس بالمدرسة انهال عليه ضرباً مبرحاً. وهناك إشارات متعددة في مسرحيات أريستوفانيس لهوميروس باعتباره رمز "التعليم القديم" في مقابل "التعليم الحديث" الذى أفسد الشباب وجعلهم مخنثين^(٧١).

وكانت كل طبعة من الطباعات التى صدرت لهوميروس في العصر الهيلينى وفي مكتبة الإسكندرية تحمل اسم صاحبها من الفقهاء. وكانت "الطبعة الأولى" التى سمعنا عنها من عمل أنتيماخوس من كلاروس (في أيونيا حوالى ٤١٠ ق.م).

Plato, Prot. 326A. (٦٧)

Idem. Rep. 606 E. (٦٨)

Xenoph., Symp. (٦٩)

Isocr., Panegyrikos, أحمد عثمان: الأدب الإغريقى، ص ٤٩٦-٤٩٩، ٥١١ وما يليها وانظر (٧٠)

Plutarch., Alcib. 7. (٧١)

وهناك طبعات تنسب إلى المدن، فهناك طبعة ماساليا وخيوس وأرجوس وسينوبى وقبرص وهى التى عاد إليها فيما بعد أريستارخوس. بالإضافة إلى طبعات شعبية عامة غير دقيقة (Koinai, demodeis).

أما الدراسات الهومرية بالإسكندرية فقد بلغت شأواً عظيماً فيما بين ٢٧٠ و ١٥٠ ق.م. وارتبطت بأسماء ثلاثة من كبار الفقهاء هم زينودوتوس وأريستوفانيس وأريستارخوس.

جاء زينودوتوس من إفيسوس وجعله بطلميوس فيلادلفوس (٢٨٥-٢٤٨ ق.م) أميناً لمكتبة الإسكندرية وأصدر طبعة لهوميروس ومعجماً لغويًا (Homerikai glossai). ثم جاء أريستوفانيس البيزنطى (حوالى عام ٢٠٠ ق.م) تلميذ زينودوتوس وخليفته أميناً للمكتبة. ونشر طبعة جديدة لهوميروس مبنية على طبعة أستاذه مع شىء من التحسينات.

أما أريستارخوس الساموطراقى فكان تلميذ أريستوفانيس وخليفته أميناً للمكتبة إبان النصف الأول من القرن الثانى ق.م (حوالى عام ٦٠ ق.م). وله ثلاثة إسهامات، الأول بعنوان Syggrammata (دراسات فى بعض المسائل الهومرية) والثانى بعنوان تعليقات على نص هوميروس Hypomnemata، والثالث بعنوان "طبقات" ekdoses، حيث نشر نصوص هوميروس مع استخدام نظام من العلامات الدالة على الأبيات المشكوك فيها أو فى ترتيبها على سبيل المثال. وكان أريستارخوس بلا شك أعظم الفقهاء دارسى هوميروس فى العالم القديم. وبلغ من الدقة فى تحقيق "الإلياذة" إلى حد أنه قد وضع خريطة طبوغرافية لمنطقة طروادة والمعسكر الإغريقى هناك. وهو الذى فرق بين "أرجوس البلاسجية" فى ثيساليا و "أرجوس الآخية" فى البلوبونيسوس. وإليه (أو إلى أريستوفانيس أو زينودوتوس) تنسب فكرة تقسيم "الإلياذة" و "الأوديسية" إلى ٢٤ كتاباً يحمل كل منها حرفاً من حروف اللغة الإغريقية. وهو النظام المتبع إلى يومنا هذا حتى فى أحدث الطبقات، حيث توضع الحروف الكبيرة ترقيمًا للإلياذة" والحروف الصغيرة "للأوديسية".

ولا يتسع المجال لتتبع جهود ديديموس Didymos السكندرى (حوالى ٨٠-١٠ ق.م) ومعاصره الأصغر أريستونيكوس Aristonikos السكندرى (الذى عاش فى العصر الأوغسطى) ولا آيليوس هيروديانوس Aelius Herodianos (حوالى ١٦٠م) ووضع دراسة عن النظام الصوتى "للإلياذة". أما نيكانور Nikanor

(ازدهر ١٣٠م) فقد ألف كتابًا عن الترقيم في أشعار هوميروس.

وفيما بين ٢٠٠ و ٢٥٠م وضع أحد تلامذة الفقهاء الأربعة ديديموس وأريستونيكوس وهيروديانوس ونيكانور ملخصًا للإلياذة Epitome. وفي القرن العاشر الميلادي كتب ناسخ "الإلياذة" هذا الملخص على هامشها. وهذا هو محتوى مخطوط فينيسيا الشهير Codex Venetus A رقم ٤٥٤ الموجود إلى اليوم بمكتبة سان مارك في فينيسيا.

ولا تفوتنا الإشارة السريعة إلى ديميتريوس Demetrios من سكبسيس Skepsis بمنطقة طروادة (ولد حوالي ٢١٤ ق.م) الذي ساعد في وضع طبوغرافيا "الإلياذة". حيث ألف ستين كتابًا تعليقًا على "قائمة السفن" الواردة بالكتاب الثاني "بالإلياذة" والتي أسلفنا الحديث عنها. ولا ننسى كذلك أسقف نيسالونيكي يوستاثيوس Eustathios الذي جمع أقوالاً وشروحًا ومقتطفات من هوميروس في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي وسبق أن ألمحنا إليه.

وبصفة عامة يمكن القول إن النص الهومري المتداول الآن "للإلياذة" هو الذي حققه أريستارخوس بعد الاطلاع على طبعات سابقة له قد تعود للقرن السادس ق.م. وهو الذي وصل بعد قدر من التعديلات والتصويبات عبر مخطوطات عدة إلى ناشري الطبعات الحديثة.

ومازالت الدراسات الهومرية متواصلة وستواصل تجددتها مع الزمن. ويرجع الفضل في ذلك جزئيًا على الأقل إلى رمال مصر التي ماقتت تمدنا بشذرات بردية من "الإلياذة" و "الأوديسية" تدعم النص الذي بأيدينا أو تصححه وتغير وتبدل فيه. ونضرب لذلك مثلاً بالبرديات التالية المكتشفة في مصر وتحمل شذرات من "الإلياذة".

Manfredo Manfredi, Papiri dell' Iliade, a cura di Manfredo Manfredi, Istituto Papirologico G. Vitelli. Firenze 2000.

وباليونان أنشئ "مركز دراسات الأوديسية" في إيثاكي موطن أوديسيوس وعقد عدة مؤتمرات دولية نشرت أعمالها في مجلدات تملأ المكتبات. ويعقد مهرجان سنوي بعنوان "الهوميديات" يتمحور حول جزيرة خيوس. أما إذا نظر المرء في الدوريات المتخصصة وكذا إصدارات دور النشر عبر العالم كله وشبكة

المعلومات الدولية (إنترنت) فلن يستطيع أن يحصى بسهولة فيض الدراسات المنهمة بكل لغات العالم عن هوميروس^(٧٢).

ب- "الإلياذة" ينبوع الإلهام الشعري قديماً وحديثاً:

واعتبر هوميروس في العصور الإغريقية التالية له مصدرًا للديانة والطقوس بل مرجعًا للتاريخ وحجة في المنازعات. فعندما تصارع الأثينيون والميجاريون حول ملكية الجزيرة الصغيرة سلاميس استشهد الأثينيون بالبيت رقم ٥٥٨ من الكتاب الثاني حيث وضع آياس من سلاميس سفنه جنبًا إلى جنب مع السفن الأثينية (في الجزء المعروف باسم قائمة السفن)^(٧٣). ويقول بريكليس في الخطبة الجنائزية التي حفظها لنا ثوكيديديس إن أثينا وأمجادها لا تحتاج حتى لمديح هوميروس^(٧٤)، مما يعني أن كافة المدن الإغريقية كانت تبنى اعتزازها القومي وفخارها بالماضي العريق على ما جاء عند هوميروس. ومن هنا أيضًا تأتي الشكوك حول الانتحال.

فهوميروس هو ينبوع الأدب الإغريقي الذي انبثق جارفًا من قمة شاهقة فسالت منه الأنهار هنا وهناك، ونهل منه كل من جاء بعده في الأدب الإغريقي والروماني ثم الأوروبي والعالمي. صارت أشعار هوميروس بمثابة كتابات مقدسة توجز جوهر المعرفة الإنسانية وتجسد التفوق البشري. يقول أفلاطون إن من تتسنى له فرصة فهم هوميروس يهيمن على أساليب الفنون جميعًا هيمنة تامة^(٧٥). ويعتبر هيراكليتوس أشعاره منجمًا لا ينضب معينه من الورع الديني والحكمة الفلسفية^(٧٦).

(٧٢) عن الدراسات الهومرية راجع:

R. Pfeiffer, *History of Classical Scholarship. From the beginnings to the End of the Hellenistic Age*. Oxford 1968.

Anton Powell ed. : *The Greek World*. Routledge. London and New York 1995.

D.W. Packard – T. Meyers, *A bibliography of Homeric scholarship 1930-1970*, preliminary ed. Malibu, Calif. 1974.

R.W. Lambertson– J. Kenney: (edd.) *Homer's Ancient Readers, the Hermeneutics of Greek Epic's Earliest Exegetes*. Princeton 1992.

أحمد عثمان: الأدب الإغريقي، ص ٥٢٥ وما يليها.

Aristotle, *Rhet*, I 15. (٧٣)

Thucyd. II 414. (٧٤)

Plato., *Ion*. 359 d. (٧٥)

Herakleitos, *Homerika Problemata (Quaestiones Homericae)*, Teubner 1910; (٧٦)

cf. H.J. Rose, *A Handbook of Greek Literature from Homer to the Age of*

Lucian. Methuen, London 1965. pp. 15, 355.

ولم يقتصر تأثير هوميروس على الشعر^(٧٧) بل امتد إلى فنون النثر، لأن الناثرين تعلموا منه كيف يسردون قصة طويلة في أسلوب أدبي شيق، حتى إنه يمكن اعتبار تاريخ هيرودوتوس وكأنه ملحمة نثرية. وهكذا صار هوميروس بمرور الزمن في نظر معجبيه من الإغريق والرومان الشاعر الذي لا يخطئ. إذ لا بد دائماً من البحث عن المعنى الخفي الذي لم نعيه أو نستوعبه، ولا مناص في النهاية من أن يكون هو الصائب ونحن المخطئون. وفي العصور الوسطى أصبح هوميروس (وفرجيليوس) منبعاً لكل فتوى ومصدراً لكل حكمة ودرساً في كل فن، فلا مفر من إيجاد سند قوى من أشعاره إذا أراد أي إنسان أن يثبت حجته أو يدعم رأيه في أية مسألة مطروحة علمية كانت أم فلسفية، دنيوية أم لاهوتية.

تعتبر "الإلياذة" و "الأوديسية" - إذا قورنتا بالملاحم الأوروبية الحديثة^(٧٨) مثل "الفردوس المفقود"^(٧٩) لميلتون - ملحمتين ملهمتين بمعنى أنهما من الشعر الملحمي النابع مباشرة من أفعال بطولية بصورة تلقائية. ومثل هذا الشعر الملحمي الشفوي كان موجوداً حتى قبل هوميروس كما سبق أن ألمحنا، وكما يرد في "الإلياذة" (الكتاب التاسع بيت ١٨٦ وما يليه)، حيث يذهب وفد آخى إلى أخيلوس المعتكف في محاولة لاسترضائه فيجدونه يعزف على قيثارته متغنيا بأمجاد الرجال أي منشدا شعراً ملحمياً. وهدف مثل هذا الغناء الملحمي عملي ونفعي، لأنه يعطى تسجيلاً

(٧٧) عن تأثير هوميروس في الشعر الغنائي عامة وفي أشعار بنداروس خاصة راجع:

Gregory Nagy, *Pindar's Homer: The Lyric Possession of an Epic Past*. The Johns Hopkins University Press 1982.

Bernard Fenik, *Homer and the Nibelungenlied: Comparative Studies in Epic Style*. Cambridge: Harvard University Press 1986. (٧٨)

Jeffrey Tigay, *The Evolution of the Gilgamesh Epic*. Philadelphia: University of Pennsylvania Press 1982.

Ronald Barnett, *Comparative Studies in Homeric Epic and other Heroic Narrative, Especially Sanskrit and Celtic*. Ph.D. diss., University of Toronto 1978.

وأما بشأن البحث عن هوميروس في أفريقيا ومقارنة ملاحم هوميروس بالتراث الملحمي شرقاً وغرباً راجع: Muhammed Dalhatu, "Bakandamiya: Towards a Characterization of the Poetic Masterpiece in Hausa". In *Oral Poetry in Nigeria*. Ed. U. Abalogu, 1981, pp. 57-70. Lagos: Nigeria Magazine.

Jan. Knappert, *Epic Poetry in Swahili and other African Languages*. Leiden Brill 1983.

أحمد عثمان: الأدب الإغريقي، ص ٨٩-١٠٢

Hight, op. cit., pp. 150 ff.

(٧٩) عن تقليد ميلتون هوميروس راجع:

شعريا وحيًا للبطولات، كما يتمتع كلا من المشاركين في الغناء والمستمعين إليه. وهو شعر يصف عالما حقيقيا لا خياليا صرفا، ولو أن غلالة طقسية وسحرية قد تلف عملية الغناء الملحمي برمتها. ولكن هذا ما نلاحظه حتى في ملحمة أوروبية حديثة مثل "أغنية رولان" *Chanson de Roland* التي تتغنى بأعمال بطولية خارقة، ومع ذلك يشعر المرء بأن هذه القصيدة تقوم على أساس وصف حادث فعلى.

هناك نوع آخر من الملاحم يختلف عن ملحمتي هوميروس، ملاحم تعالج أحداثا أسطورية تتفاعل في ذهن الشاعر ومع خياله. وهذا ما حدث بالنسبة لشاعر الإسكندرية أبوللوونيوس الرودسي (أى الرودى) وهو ينظم ملحمة "الأرجونوتيكا" (أى "رحلة السفينة أرجو"). إنه يتبع الخطوط العريضة للأسطورة كما وردت عند شعراء التراجميديا الإغريقية، ولكنه يخترع شخوصا وأحداثا جديدة يرويها بالطريقة التي تروق له. فشخصية ميديا مثلا في الكتاب الثالث يرسمها أبوللوونيوس بوعى "سيكولوجى" عميق، كما أن لحظة الشك التي تتابها (بيت ٦٤٥ وما يليه) مقنعة لأقصى حد. بيد أننا نلاحظ أن مغامرات بحارة السفينة أرجو عند أبوللوونيوس الرودسي في نهر الدانوب والبو والرون من اختراع الشاعر نفسه، وتعكس سعة اطلاعه واهتماماته الجغرافية وهى سمة مميزة لعصره أى العصر الهيلينى أو السكندرى^(٨٠).

ما يهمنا الآن هو أن ملحمة أبوللوونيوس الرودسي قد نظمت فى سعة من الوقت وروجعت وصححت أكثر من مرة. وهى تخاطب جمهورا قارئا بصمت - أو حتى بصوت مسموع - على النقيض من ملاحم هوميروس الإنشادية التى تلقى على جمهور منصت. ومن ثم يمكن القول عن ملحمة أبوللوونيوس إنها ملحمة أغلبها من صنع الخيال، أو على الأقل غير واقعى، وتخاطب الذهن أكثر مما تخاطب الوجدان. وهذا أمر ينطبق على ملحمة "الإنيادة" لفرجيليوس وسائر الملاحم الرومانية الأخرى و "الفردوس المفقود" لميلتون. فعالمها جميعا من صنع الخيال والدرس الواعى، وهو شئ ينبغى ألا نتوقعه من هوميروس الشاعر أو المنشد الملمهم. تدور ملاحم أبوللوونيوس وفرجيليوس وميلتون وغيرهم فى الأغلب حول موضوعات تجريدية. ورب قائل يقول إن "غضبة أخيلوس" التى تقوم عليها "الإلياذة" - مثلا - فكرة تجريدية أيضا. وقد يكون هذا صحيحا بيد أننا فى الملحمة

(٨٠) أحمد عثمان: الأدب الإغريقى، ص ٥٤١-٥٧٤.

نفسها لا نرى هذه الغضبة إلا فى إطار وصف أحداث ووقائع، محسوسة وتشكل أساسا فنيا وواقعا للإنبشاد الملحمى. أما فى "الإنيادة" لفرجيليوس على سبيل المثال فالموضوع الرئيسى هو عظمة روما، وكذا فى "الفردوس المفقود" لميلتون فالهدف هو وصف سقوط الإنسان، بيد أن الملحمتين تضمان الكثير من الحوادث والتفاصيل الإضافية التى قصد بها على وجه العموم تأكيد الموضوع الرئيسى، ولكنها فى مجملها لا ترتبط عضويا بالحبكة الفنية للملحمة. مثال ذلك الاستعراض التنبؤى لتاريخ روما الذى يقدمه لنا أنخيسيس فى العالم السفلى بالكتاب السادس من "الإنيادة"^(٨١). لقد وضع فرجيليوس من البداية هدفا واضحا نصب عينيه ويسعى إليه بكل الطرق وبكل الوعى - أى تمجيد أو غسطنس - مما أفقد ملحمة دفع العفوية وطلاوة التفائنية المتدفقة. وأصبح بطله آينياس وعاء ممثلا من الفضائل الرومانية، وبذلك أخرج من نطاق البشرية. وشتان بين هذا البطل وأخيليوس أو أوديسيوس الهومريين ! أما ملاحم العصر الفضى فى الأدب اللاتينى فهى تقلد مقلدى هوميروس السكندريين، وتبتعد تماما عن الأصول الشفوية للشعر الملحمى^(٨٢).

صفوة القول إن هوميروس يمثل الشعر الملحمى الأصيل والقائم على تقنية الشعر الشفوى لا الأدب المكتوب. وهى تقنية تتجلى فى عدة جوانب أهمها جميعا الحبكة الملحمية القائمة على وحدة الموضوع والجو النفسى العام مهما وقع من تكرار أو استطراد. ونتيجة أخرى يمكن أن نستنبطها من دراستنا للتقنية الملحمية الهومرية وهى أن التفكير الدرامى صفة مميزة للعقالية الإغريقية منذ البداية. وهذا ما يفسر لنا مقولة أيسخولوس سالفة الذكر "ما مسرحياتى إلا فئات مائدة هوميروس الحافلة".

كان هوميروس أول من فجر قضية جوهرية لا تزال تشغل كل المهتمين بالأدب والفنون إلى يومنا هذا، أى قضية التعامل مع التراث. فموضوع هوميروس ليس الماضى فقط بل الحاضر أيضا، فهو يتعامل مع أساطير الأبطال القدامى، ولكنه يصور حياة معاصريه. وبذلك ضرب المثل الذى حذا حذوه كل الأدباء

(٨١) أحمد عثمان: "الأدب اللاتينى ودوره الحضارى حتى نهاية العصر الذهبى"، (الطبعة الثانية، دار المعارف ١٩٩٥)، ص ٢٤٤-٢٨٠.

(٨٢) أحمد عثمان: الأدب اللاتينى ودوره الحضارى العصر الفضى. أيجيتوس ١٩٩٠، ص ١٣٤ ومايلها.

والشعراء الإغريق من بعده. بل لعلنا لا نتجاوز الحقيقة إذا قلنا إن الآداب الحديثة كلها لازالت تتبع هذا النموذج الهومري وهي تتعامل مع التراث الموروث عن الماضي البعيد. إذ ما هي الفائدة المرجوة من إحياء التراث - أى تراث - إن لم يكن يهدف إلى خدمة الحاضر وتصوير أحواله وتسلط الضوء على آماله وآلامه ؟

فى قصيدة بترارك الملحمية "أفريقيا" نجد الشاعر اللاتينى الملحمى إنيوس رفيق سكيبيو أفريكانوس فى حملته الإفريقية يحكى أنه فى رحلة العودة إلى روما رأى فيما يرى النائم هوميروس الذى أخبره أنه سيصبح "هوميروس الآخر" أو "الثانى" *alter Homerus* ^(٨٣). ووجه بترارك الذى حاول مراراً أن يتعلم الإغريقية أربعة من رسائله - وهى الأطول - إلى هوميروس.

فى عام ١٣٥٤ وصل نيكولاس سيجيروس *Nicholas Sigeros* مبعوث الإمبراطور البيزنطى إلى البلاط البابوى فى أفينيون *Avignon* وقدم له نسخة من "الإلياذة" فاحتضنها البابا بحماس، ولكنه اعترف "هوميروس هديتك لى سيظل عندى صامتاً، كم كنت أتمنى أنى قد سمعتك!".

"Homerus tuus apud me mutus... quam cupido te audirem".

وكان على بترارك أيضاً أن ينتظر أربع أو خمس سنوات لىسمع هوميروس يتحدث فى ترجمة لاتينية حرفية أنجزها ليونترزيو بيلاتو *Leonzio Pilato*، وكان قد ولد فى كالابريا لأم يونانية. وكان قد ترجم بالفعل خمس كتب من "الإلياذة" قبل أن يقنعه بترارك وبوكاسثيو فى فلورنسا أن يتم ترجمة ملحمتى هوميروس.

وبىدين مرتعتين أمسك الشيخ المسن بترارك ترجمة الملحمتين وعلق عليهما حتى وصل إلى الكتاب الثانى من "الأوديسية" بيت ٢٤٢. حيث مات فى ٢٣ يوليو ١٣٧٤ قبل أن يتم التعليق على "الأوديسية"، ولكنه أنجز تدوين ملاحظاته على "الإلياذة".

وكان بوكاشيو هو الذى دعى بيلاتو إلى فلورنسا لىتعلم على يديه اللغة الإغريقية، بل استضافه فى منزله - رغم أنه لم يكن غنياً أو ذا نفوذ - طيلة ثلاث سنوات لىتم ترجمة هوميروس إلى اللاتينية، وهى أول ترجمة من نوعها فى فترة الانتقال من العصور الوسطى إلى عصر النهضة.

كان بوليتسيانو **Poliziano** أو كما هو شائع بوليتيان شاعرًا وناقذًا ولد عام ١٤٥٤ وصار في شبابه صديقًا للورنزو دي ميديتشي. وبدأ يتعلم الإغريقية في سن العاشرة، وفي سن السادسة عشر نظم شعرًا بها، وفي الثامنة عشر ترجم الكتب من الثالث إلى الخامس من "الإلياذة" في شعر لاتيني رائع بالوزن السداسي. لقد كان أول عالم غربي ينافس المهاجرين اليونان في معرفة اللغة الإغريقية القديمة. وهو أول من حاول تصحيح المخطوطات الإغريقية القديمة ويملاً الفجوات فيها بكلمات إغريقية صحيحة. حاضر في هوميروس (وهيسيوودوس وثيوكريتوس) وكانت مقدماته لهذه المحاضرات قصائد بالوزن السداسي أطلق عليها اسم "البستان" **Silvae** إحياءً لذكرى شاعر الملاحم اللاتيني الفضى ستاتيوس^(٨٤). ولم يمهل الموت ليصدر طبعة كاملة لهوميروس.

نقل لورنزو فالالا **Lorenzo Valla** (١٤٠٧-١٤٥٧) عام ١٤٢٨-١٤٢٩ أربعة كتب من "الإلياذة" إلى لغة لاتينية نثرية بسيطة وواضحة. وفي عام ١٤٤٢-١٤٤٣ كان قد وصل إلى ما يقرب من ثلثي الملحمة. وبعد موته أكمل عمله تلميذه فرانثيسكو أريتينو **Francesco Aretino**.

وظهرت أول ترجمة فرنسية لهوميروس عام ١٥٣٠، وهي ترجمة جان سامكسون **Jehan Samxon** النثرية "للإلياذة" والتي هي في الواقع منقولة عن ترجمة فالالا اللاتينية مع إضافات من روايات أخرى للحرب الطروادية سادت في العصور الوسطى ستعرض لها بعد قليل. وبعدها ترجم سائليل **H.Salel** عشرة كتب من "الإلياذة" عام ١٥٤١ شعرًا ونشرت ١٥٤٥. وأكملها أماديس جامين **Amadis Jamyn** عام ١٥٧٧. ثم جاءت مدام داسيه **Mme Dacier** (١٦٥٤-١٧٢٠) بترجمة "الإلياذة" ١٧١١ و "الأوديسية" ١٧١٦ فأذهلت الجميع وغطت على كل الترجمات السابقة، ولا تزال ترجمتها تقرأ إلى يومنا هذا. أما أبوها ليفيفر **Tanaquil Lefevre** فقد كان محررًا واسع الثقافة وناشرًا للعديد من النصوص الإغريقية واللاتينية.

نقل تشابمان **George Chapman** "الإلياذة" ١٦١١ و "الأوديسية" ١٦١٤ والأنشيد ١٦١٦ من اللغة الإغريقية إلى الإنجليزية مباشرة وشعرًا. ولطالما تفاخر

(٨٤) أحمد عثمان: الأدب اللاتيني الفضى، ص ١٤١-١٥٠، ١٦٠-١٦٤.

تشابمان بأنه أنجز ترجمة النصف الثانى من "الإلياذة" (الكتب ١٣-٢٤) فى أقل من أربعة شهور ! ووصف الشاعر كيتس Keats هذه الترجمة بأنها عالية الصوت وجريئة (Loud and Bold). إنها أول ترجمة شعرية كاملة لهوميروس ومن الإغريقية مباشرة فى لغة أوربية حديثة.

هذا وإن سيقته بعض المحاولات الجادة مثل الترجمة الشعرية الإيطالية لأوديسية" التى قام بها لودوفيكو دولشى Lodovico Dolce عام ١٥٧٣، وكذلك ترجمة الكتب السبعة الأولى من "الإلياذة" فى شعر مرسل أنجزها جيرولامو باتشيللى Girolamo Bacelli عام ١٥٨١-١٥٨٢. ومن ثم يمكن القول إن ترجمة تشابمان رائدة ولم يسبق لها مثل.

وفى مسرحية شكسبير "ترويلوس وكريسيدا" (Troilus and Cressida) الإغريقية الموضوع أيضاً يستعير الشاعر الإنجليزي بعض الشيء من "الإلياذة" هوميروس. مثال ذلك المباراة بين هيكتور وأياس وحديث أوديسيوس^(*) (ف ١ م ٣ ب ٧٨ ومايليها) وكذلك شخصية ثيرسييتيس^(٨٥) سالفة الذكر، التى لم تظهر فى الروايات الشائعة للحرب الطروادية إبان العصور الوسطى، وهذا ما سنتناوله بالتفصيل فى حينه. يهمنى الآن أن نشير إلى أن كل الدلائل تثبت أن شكسبير قد قرأ ترجمة تشابمان "للإلياذة"، ولاسيما الكتاب الأول والثانى والكتب من السابع إلى الحادى عشر، حيث ظهرت عام ١٥٩٨. ومع ذلك نجد مسرحية "ترويلوس وكريسيدا" ليست فقط منافية لروح البطولة الإغريقية، ولكنها أيضاً تمثل كاريكاتيرا غير مقنع لبلاد الإغريق وحضارتهم.

وعرضت مسرحية شكسبير "ترويلوس وكريسيدا" عام ١٦٠٢/١٦٠١. ويعنى الاسم ترويلوس أو طرويلوس "الطروادى الصغير". وقد ورد فى الروايات الأسطورية الإغريقية على أنه اسم الابن الأصغر لبرياموس ملك طروادة من هيكاى ملكتها. وتقول الأساطير أيضاً إنه قد قتل على يد أخيلوس وهو الذى يبكيه ملك طروادة برياموس - بين أبنائه الآخرين المفقودين فى الحرب ("الإلياذة" الكتاب الرابع والعشرون، بيت ٢٥٧). وبغض النظر عن هذه الأساطير الإغريقية الكلاسيكية، هناك قصة أخرى شاعت فيما بعد العصر الإغريقى الرومانى، وتعزى

(*) ف = فصل، م = مشهد، ب = بيت.

(٨٥) عن هذه الشخصية وعلاقتها بأبطال هوميروس راجع: أحمد عثمان: الأدب الإغريقى، ص ٥١ ومايليها.

إلى الشاعر الغنائى بينوا دى سانت مور، الذى عاش إبان القرن الثانى عشر تحت رعاية وحماية هنرى الثانى ملك إنجلترا. إذ كان هذا الشاعر قد ألف "قصة طروادة" (Roman de Troie) معتمدا على داريس الفريجى Dares Phrygius - والفريجى تعنى الطروادى^(٨٦)، وديكتيس كريتينسيس Dictys Cretensis (أى ديكيتيس الكريتى). والأول هو فى الأصل شخص يرد اسمه فى "الإلياذة" (الكتاب الخامس بيت ٩)، على أنه كاهن الإله هيفايستوس فى طروادة. وفى العصور الوسطى نسب إليه وضع عمل لاتينى، قيل إنه ترجمة للوصف الذى أعطاه هو بنفسه بوصفه شاهد عيان لتدمير موطنه طروادة، وحمل عنوان "عن الخروج من طروادة" (De Excidio Trojae). ويرجع بعض الدارسين ظهور هذا المؤلف المترجم إلى القرن الخامس الميلادى. أما ديكيتيس كريتينسيس (الكريتى) فقد نسب إليه أيضاً وضع عمل مماثل يسجل أحداث الحرب الطروادية وكتب باللغة الإغريقية^(٨٧). ثم شاعت ترجمته اللاتينية على يد لوكيوس سيبتيميوس (Lucius Septimius) إبان القرن الرابع الميلادى. ولاقت هذه الترجمة قبولا وذبوعا فى العصور الوسطى التى حفظتها من الضياع، حتى وصلت إلى أيدى الدارسين المحدثين. ومن مقدمة هذه الترجمة علم أن ديكيتيس من مواليد مدينة كنوسوس (تسمى الآن هيراكليون) بجزيرة كريت، وأنه هو الذى اصطحب إيدومينيوس - حفيد الملك الأسطورى للجزيرة أى مينوس - إلى الحرب الطروادية.

وهاتان الروايتان الأسطوريتان الشائعتان فى العصور الوسطى أصبحتا المصدر الرئيسى لأى عمل أدبى عن الحرب الطروادية إبان عصر النهضة الأوروبية. فعليهما اتكأ جويدو دا كولونا أو ديللى كولونى (Guido da Colonna أو G.delle Colonne) الكاتب الصقلى الذى عاش إبان القرن الثالث عشر ومؤلف القصص باللغة اللاتينية وصاحب "التاريخ الطروادى" (Historia Troiana). وهى

(٨٦) ساد الاعتقاد لدى الكتاب الإغريق بعد هوميروس بأن الطرواديين جاءوا من سلالة الفريجيين، ولكن الأمر غير ذلك عند هوميروس نفسه ولقد سلف أن تساءلنا: من هم الطرواديين؟ راجع أعلاه.

(٨٧) H.J. Rose, *Outlines of Classical Literature for the Students of English*. London Methuen 1959, pp. 216-217.

حيث يذكر المؤلف أنه عثر مؤخرا على بردية فى تيبونيس Tebtunis (أى أم البرجات على الحدود بين الفيوم وبني سويف) وتحوى شذرة إغريقية من مؤلف ديكيتيس هذا، ويرجح أن تاريخها يعود إلى القرن الثانى الميلادى.

فى الواقع نسخة نثرية لـ ("قصة طروادة") للمؤلف الشاعر بينوا دى سانت مور، مع أن جويدو نفسه لا يعترف بذلك. ولقد ترجمت قصة جويدو نفسها فيما بعد إلى أشعار تنسب إلى كل من جون باربور John Barbour (١٣١٦-١٣٩٥) الشاعر الإسكتلندى، وجون ليدجيت John Lydgate (١٣٧٠-١٤٥١؟) راهب بيورى سانت إدموندز (Bury St.Edmonds). فالأول نظم قصيدة "أسطورة طروادة" (Legend of Troy)، وقيل إنها ترجمة لقصة جويدو التى أصبحت تعرف بعنوان جديد هو "قصة تدمير طروادة" (Historia Destructionis Troiae). أما الثانى فهو صاحب "كتاب طروادة" (Troy Book) الموضوع فيما بين ١٤١٢ و ١٤٣٠ والمطبوع عام ١٥١٣. وهو فى الواقع عبارة عن قصيدة تقع فى خمسة كتب، ونظمت بناء على طلب الأمير هنرى - أى الملك هنرى الخامس فيما بعد - وتقص "القصة العظيمة" (noble storye) لطروادة، وتعد بصورة أو بأخرى مدخلا تمهيديا لقصة "الاستعمار" الطروادى لإنجلترا على يد بروتوس حفيد آينياس الطروادى^(٨٨) - الذى أسس حفيده رومولوس وريموس مدينة روما - طبقا لما ورد عند جيوفرى من مونموث Geoffrey of Monmouth أو باللاتينية جوافريدوس

(٨٨) حاولت بعض الدول الأوروبية الحديثة أن تنهج نهج روما القديمة فتدعى لنفسها نسبا طرواديا. فكما أشاع الرومان - واعتقدوا - أنهم من نسل آينياس الطروادى حاولت هذه الدول أن تبحث لنفسها عن أصول طروادية. ولم تك قصة بروتوس أو بروث (Brut) مؤسس السلالة البريطانية موضوعا خياليا صالحا للأدب والفن فحسب، بل صارت شبه واقعة تاريخية يؤمن الناس بصحتها. فنذ ليامون (Layamon) - أو لومون (Lawemon) ويعنى اسمه "رجل القانون" (Lawman) - الذى ازدهر حول عام ١٢٠٠م وألف كتاب "بروت" وهو تاريخ لإنجلترا منذ وصول بروتوس الأسطورى إلى الجزيرة البريطانية وحتى عهد كادوالادار Cadwalladar (٦٨٩م) والذى اعتمد المؤلف فيه بصورة مباشرة أو غير مباشرة على نسخة ويس Wace الفرنسية لـ "تاريخ ملوك بريطانيا" لجيوفراى من موغوث مع إضافات أخرى. وتضمن مؤلف ليامون لأول مرة تاريخ ملوك مثل لير وسيميلين وشخصيات أخرى ظهرت فى الأدب الإنجليزي بعد ذلك. ولكن قصة بروت (بروتوس) قبلت أيضا كما سبق القول على أنها تاريخ حقيقى إلى الحد الذى دفع بوشانان (Buchanan) فى الكتاب الثانى من مؤلفه "تاريخ الإسكتلنديين" (Historia Scotorum) إلى أن يتقد هذا الاعتقاد بشدة. على أية حال لقد حاول البريطانيون بخلق هذه الأسطورة أن يربطوا نشأة دولتهم بأصل طروادى ضاربين عرض الحائط بالصعوبة اللغوية الكامنة فى حقيقة أن اسم البطل الطروادى الذى وقع عليه اختيارهم أى "بروتوس" كان لاتينيا وليس إغريقيا أو طرواديا! وذهب بعض البريطانيين إلى حد أن جعلوا لغة هذا البطل ويلشية (Welsh)! وقيل كذلك إن الاسم الأصلى للعاصمة البريطانية هو "طروى نوفانت" أى "طروادة الجديدة" (Troynovant). ولكن هذا الاسم قد يكون مشتقا من الاسم القبلى فى بريطانيا "ترينو بانيس" (Trinobantes) والذى ورد عند يوليوس قيصر وتاكيتوس. وما يذكر فى هذا الصدد أن الحرف b و v قد أصبحا شيئا واحداً ويمكن أن يجعل الواحد منهما محل الآخر أبان العصور الوسطى فذلك ما حدث بالنسبة للحرف الإغريقى "بيتا" (B) الذى أصبح ينطق "فيتا". أما المقطع Tri فمن اليسر تحويره إلى Troia وبذلك يصح اسم العاصمة البريطانية الأصلى - مثل اسم روما القديمة - هو "طروادة الجديدة" أو "طروى نوفانت" !

مونيموتينسيس *Gaufridus Monemutensis* (؟١١٠٠-١١٥٤) في كتابه "تاريخ ملوك بريطانيا" (*Historia Regum Britanniae*).

وفي الكتاب الثالث من قصيدة ليدجيت، وهو الذى يعالج قصة ترويلوس وكريسيدا، يقدم الشاعر تحية مستطابة إلى أستاذه (maister) تشوسر (حوالى ١٣٥٤-١٤٠٠)، الذى سبق أن تناول الموضوع فى قصيدته "ترويلوس وكريسيدا" (*Troilus and Cryseyde*)، التى نظمت فى الفترة ما بين عام ١٣٧٢ و١٣٨٦ والتى يعتبرها الدارسون مرحلة التأثير الإيطالى فى إنتاج هذا الشاعر الإنجليزى القديم. فلقد تأثر تشوسر فى هذه المرحلة بدانتى (١٢٦٥-١٣٢١) ويوكاشيو (١٣١٣-١٣٧٥)، الذى كتب قصيدة بعنوان "فيلوستراتو" (*Filostrato*) عن قصة ترويلوس وكريسيدا. أما عن الآخرين الذين كتبوا عن ترويلوس وكريسيدا قبل شكسبير فنذكر منهم الشاعر الإسكتلندى، الذى يعد من أتباع مدرسة تشوسر فى الشعر، إنه روبرت هنريسون أو هندرسون *Robert Henryson* أو *R.Henderson*. الذى عاش تقريبا فيما بين ١٤٣٠ و١٥٠٦، وكتب قصيدة "عهد كريسيدا" (*Testament of Cresseid*) التى كانت تنسب إلى تشوسر حتى عام ١٧٢١، بالرغم من أنها كانت مطبوعة تحت اسم مؤلفها هنريسون منذ عام ١٥٩٣^(٨٩).

ومن المعروف أن ملحمة هوميروس الخالدة "الإلياذة" تتخذ من غضبة أخيلئوس موضوعا رئيسياً لها، كما سبق أن ألمحنا. ولقد وقعت غضبة بطل الأبطال الإغريق بسبب الإهانة التى لحقت به من أجامنون ملك الملوك. ذلك أن طاعونا كان قد داهم المعسكر الإغريقى إبان الحرب الطروادية فأعلن العراف كالكاس أنه لا علاج ولا دواء يدرأ هذه الكارثة سوى أن يسلم أجامنون محظيته العذراء الجميلة خريستيس إلى أبيها كاهن أبولو. فقبل أجامنون أن يفعل ذلك على مضض، وبشرط أن تسلم إليه أولاً عوضاً عن محظيته الجميلة محظية أخيلئوس وتدعى بريستيس. ولكن بريستيس هذه أصبحت فى قصة جويدو بريسيديا

(٨٩) الجدير بالذكر أن درايدن (١٦٣١-١٧٠٠) نشر عام ١٦٧٩ مسرحية "ترويلوس وكريسيدا" فافتقدتها جورج سينتزبرى (*George Saintsbury*) فى كتابه "رجال الأدب الإنجليزى" (*English Men of Letters*) قائلاً: "إنه كان من الأفضل بكثير ألا يحاول المؤلف تناول هذا الموضوع". وجدير بالتنويه أن درايدن جعل كريسيدا تتحرر عندما أثرت الشكوك حول إخلاصها لترويلوس. أما الأخير فيقتل ديوميديس ثم يقتل بدوره على يد أخيلئوس وهذا حل شائع لعقدة القصة.

(Briseida) بنت العراف كالكاس التي أحبها على التوالي كل من ترويلوس وديوميديس، ثم تحول اسمها في قصيدة بوكاشيو إلى جريسيدا (Griseida). وعلى يد تشوسر أصبح الاسم كريسيد (Cryseyde). ولقد ضمت قصيدة تشوسر حوالي ٨٢٠٠ بيتاً، وأثرى المؤلف القصة التي نقلها عن بوكاشيو بإضافة عنصر الحيوية والسخرية لشخصية بانداروس (Pandarus)، الذي توسط بين ترويلوس وكريسيدا، وكذلك بتطوير شخصية الأخيرة فجعلها امرأة رزينة جادة متأنية تضع في عين الاعتبار سمعتها ومصالحها من ناحية، ومتعتها من ناحية أخرى. أما شخصية كريسيديا في مسرحية شكسبير فهي فتاة طائشة مستهترّة وأنثى متهورّة متقلبة وقعت في حب ترويلوس وهجرته بعد ذلك دون سبب حقيقي. يعالج تشوسر بطلته بلطف وتعاطف ظاهرين ويرسمها لنا أرملة صغيرة جذابة ومرنة، ولكنها تذوب حياءً وبكياسة بارعة تجنب تشوسر أن يقدم أي شرح أو تفسير مباشر لخيانتها التي وقعت، ولكنه أوحى لنا أنها تحولت إلى حب ديوميديس لا بدافع الشهوة الحسية الرخيصة، وإنما لأنها شعرت بالوحدة الفتاكة والاعتزاز القاتل في المعسكر الإغريقي. كما أنها بطبعها - كما نفهم من معطيات تشوسر - لا تقوى على المقاومة طويلة النفس أمام غواية الحب. أما كريسيديا شكسبير فهي امرأة غير متزوجة مغناج بطبعها شهوانية في سلوكها، أي أنها أبعد ما تكون عن براءة كريسيديا تشوسر ونقاها الداخلي. فهي عند شكسبير تتورط في الخيانة بدافع الشهوة الحسية. وهنا ينبغي أن نتذكر حقيقة أن قصيدة تشوسر قد كتبت في عصر الحب البلاطي وفي ظل سلوك الفروسية، الذي وضع قالباً معيناً أو نمطاً مقدساً لكياسة العشاق من الفرسان النبلاء. فساد مبدآن مهمان في قانون الحب الفروسي غير المكتوب، أولهما السرية. فعلى العاشق الفارس أن يحفظ سر عشقه في مكنون صدره، ولا يسمح له بالخروج من أعماق القلب كيلا يشيع أمره بين الناس، ويفضح المحبوبة ويسيء إلى سمعتها وتلوك سيرتها كل الألسنة. أما المبدأ الثاني فهو الإخلاص التام أو قل التفاني في المحبوب. ولم يتضمن دستور الحب الفروسي العلاقة الزوجية، لأن هذا الحب لم يكن يهدف إلى هذه النهاية السعيدة، فلا أمل للعاشق الفارس سوى أن يفنى في خدمة ورعاية عشيقته، ولو لم يحصل منها على مبتغاه. نعم قد تقوم علاقة جسدية بين العشيقين الفروسيين، ولكن ذلك أمر يرجع في المقام الأول إلى المحبوبة ورضاها أو قل تعطفها على العاشق الولهان. فالعلاقة الغرامية الفروسية مقضى عليها بالفساد إذا تسرب أمرها إلى أذن أو ألسنة الناس

من ناحية، وإذا دخلها شيء من الحسية أو الشهوانية البذيئة من ناحية أخرى.

أما شكسبير الذى كتب مسرحيته بعد قرنين من الزمان فيخاطب مجتمعا آخر، تغيرت فيه الأعراف والتقاليد. فالكاتب الإليزابيثى يرى أن النهاية الصحيحة للحب هى الزواج. فإذا وضعنا فى اعتبارنا حقيقة أخرى، وهى أن كتاب عصر شكسبير لم يحفلوا كثيرا بالزنا إلا فى إطار الكوميديا الهزلية، تبينا قدر الصعوبة البالغة التى واجهت شكسبير وهو يعالج قصة ترويلوس وكريسيدا معالجة تراجيدية. كان ترويلوس أنموذج العاشق المخلص من ناحية، ولكنه لم يتزوج كريسيدا فى أى مصدر من مصادر شكسبير من ناحية أخرى. ولقد استطاع شكسبير على أية حال أن يحتفظ بمبدأ السرية المطلوبة، كما عمل على ألا يثير موضوع الزواج بطريقة مكشوفة قدر الإمكان. وذهب بعض النقاد إلى اعتبار لقاء العاشقين فى حضرة أحد الشهود نوعا من الزواج، ولكن هذه الفكرة لا تتواءم مع الانطباع العام الذى نخرج به من المسرحية برمتها، والتى يحيط بها - على أية حال - قدر كبير من الغموض. بقى أن نشير إلى أن شكسبير وتشوسر كانا أكثر تقاربا وتشابها فى رسمهما لشخصية ترويلوس، إذ اتفقا فيما بينهما على القدرة العسكرية لهذا البطل الذى لم يتفوق عليه أى بطل طروادى آخر سوى هيكتور وهو بطل الأبطال الطرواديين ونظير أخيلوس الإغريقى. ويتفق الشاعران كذلك فى أن ترويلوس عند كل منهما يتميز بالإخلاص فى الحب إلى ما لانهائية، كما أنه قد حاول أن ينسى حبه أثناء القتال، بل وتمنى أن يموت فى ميدان الحرب ليكسب الحب. ومع ذلك فىمكن القول بصفة عامة إن الجو السائد فى مسرحية شكسبير جد مختلف عنه فى قصيدة تشوسر. فمسرحية شكسبير ومعطياتها ليست فقط منافية للبطولة (antiheroic)، ولكنها إلى حد ما تعد كاريكاتيرا بعيدا فى روحه عن الروح الإغريقية التى يجهلها أو يتجاهلها.

ولقد سبق لنا أن أشرنا إلى ظهور شخصية ثيرسيتيس فى مسرحية شكسبير. ولما كانت هذه الشخصية غير موجودة فى الروايات الشائعة إبان العصور الوسطى كما رأينا، فإن ذلك يدل على أن شكسبير قد قرأ ترجمة تشابمان "للإلياذة" ولأسيما الكتاب الأول والثانى والكتب من السابع إلى الحادى عشر حيث ظهرت عام ١٥٩. وفى الواقع هناك ثلاث أو أربع إشارات أسطورية يمكن إرجاعها إلى نفس ذلك المصدر (قارن "ترويلوس وكريسيدا" ف ٣ م ٣ ب ١٩٠ على سبيل المثال).

أما عن هوميروس في بقية الدول الأوروبية الناهضة فلا يتسع المقام هنا لتتبع كل الترجمات ولا كل التأثيرات التي مارسها هوميروس في فنون الأدب ونكتفى بالإشارة إلى بعض الأمثلة، ففي إسبانيا ترجم خوان دي مينا Juan de Mena (١٤١١-١٤٥٦) "الإلياذة" نثرًا ثم صدرت نسخة موجزة للترجمة ١٤٤٠، ولكن هذه الترجمة ومن باب أولى الموجز ابتعدا كثيرًا عن نص هوميروس.

وفي ألمانيا قام سبرنج Spreng من أوجسبرج Augsburg بترجمة "الإلياذة" شعرًا إلى الألمانية. واكتسب كريستيان توبيلي دم Ch.T. Damm (١٦٩٨-١٧٧٨) لقب "الأكثر هومرية" Homerikotatos لأنه كان يحب اللغة الإغريقية أكثر من أي شيء آخر، ونشر قاموسًا اشتقاقياً لهوميروس وترجمة "للإلياذة" و "الأوديسية" في نثر ألماني عام ١٧٦٧.

وكان إرازموس عالم الكلاسيكيات الأشهر قد كرس جهوده لترجمة "العهد الجديد" ولم يترجم هوميروس. فلما سئل قال إن "الكتاب المقدس scriptura sacra" مثلما كان قد قيل عن هوميروس - يترجم نفسه بنفسه "sui ipsius interpres" (٩٠).

وفي أوائل القرن الثامن عشر ترجم الكسندر بوب Alexander Pope (١٦٨٨-١٧٤٤) "الإلياذة" ١٧٢٠ و "الأوديسية" (١٧٢٥-١٧٢٦) وقال بنتلي - وسنعود إليه - عن هذه الترجمة "إنها قصيدة جميلة جدًا... ولكن ينبغي ألا يسميها هوميروس". ولكن تعليقات بوب وشروحه كانت ضخمة ومدققة وأعيد طبعها عدة مرات، وكان بنتلي نفسه يعد طبعة لهوميروس عام ١٧٣٢ وقيل إنه كان منهمكًا في العمل بها عام ١٧٣٤ ولكنها فيما يبدو لم تخرج للوجود.

ولطالما عقد النقاد مقارنات بين هوميروس وأغاني البطولة الشعبية ballads في الدول الأوروبية إبان العصور الوسطى وبدايات عصر النهضة. وفي هذا الصدد علينا أن نضع في الاعتبار أن هذه الأغاني ليست من التطور والنضج كما مثل ملاحم هوميروس. لم تصلنا الأغاني الفولكلورية السابقة لهوميروس، والتي ربما كانت - في حالة وصولها - ستكون هي الأقرب إلى وضعها في المقارنة مع الأغاني الشعبية البطولية الأوروبية. وأهم من كل ذلك أنه ليس لدينا في الشعر

(٩٠) حول إرازموس وجهوده في إحياء التراث الكلاسيكي ودوره في النهضة راجع: أحمد عثمان: الكلاسيكية في مسرح عصر النهضة، ص ١٣٩-١٤٩.

الأوروبي الحديث هوميروس آخر.

ومن جهة أخرى وضع مؤلفو الملاحم الأدبية الحديثة ملاحمهم وهم على دراية تامة بالملاحم التي سبقتهم وبالمراجع التاريخية والأسطورية التي وضعت قبلهم. إنهم مثقفون يخاطبون جمهوراً مثقفاً يقرأ ملاحمهم ولا تنتشد لهم شفاهة. وهذا ما ينطبق على دانتي الليجيري وتشوسر وميلتون وجيمس جويس وكازانزاكيس. ولدايدين Dryden أبيات مشهورة في كتب النقد حيث يقول:

**Three poets, in three distant ages born,
Greece, Italy, and England did adorn:
The first in loftiness of thought surpassed;
The next in majesty; in both the last.
The force of Nature could no further go;
To make a third she joined the former two.**

ثلاثة شعراء في ثلاثة عصور متباعدة زينوا جبين بلاد اليونان وإيطاليا وإنجلترا، الأول (هوميروس) تفوق في سمو الفكر، وتفوق الثاني (فرجيليوس) في الأبهة، وتفوق الثالث (ميلتون) في كليهما. ففوة الطبيعة لم تستطع أن تذهب أبعد من ذلك، فلكى تصنع شاعراً ثالثاً جمعت بين الاثنين السابقين.

فمؤلف الملاحم الأدبية لا يستطيع أن يهرب من عصره فهو يعكسه ويعكس أحواله، ومن ثم ما أبعد عن البداوة والتلفائية الهومرية. يعطى دايدن لهوميروس المكانة الأعلى في السمو وفرجيليوس في الأبهة ولميلتون قصب السبق في الجانبين. هذه وجهة نظر دايدن التي أثارت الكثير من الجدل. فهناك من يرفضون فكرة المقارنة بين هوميروس وكتاب الملاحم الأدبية كما سبق أن أشرنا. ويمكن عقد مقارنة بين هوميروس وولتر سكوت Walter Scott (1771-1832) الذي أعاد صياغة الأغاني الشعبية البطولية كما فعل هوميروس مع أشعار التراث الموكيني الذي سبقه فأحيا البطولات الآخية. ولكن ماتيو أرنولد Matthew Arnold (1822-1888) يقول عن أسلوب سكوت "إنها محاولة عالية المستوى للوصول إلى أسلوب ملحمي غير شرعي a bastard epic style". يتحدث ألفريد تينسون Alfred Tennyson (1800-1892) عن موسيقى هوميروس قوية الأجنحة

The strong-winged music of Homer.

تعجب ريتشارد بنتلي **R. Bentley** (١٦٦٢-١٧٤٢) من مقولة كولنز **Collins** الفضفاضة وفحواها أن هوميروس نظم أشعاره للخلود ليمتع ويعلم البشرية وبضيف قائلاً "اسمع كلامي لم يكن لدى هوميروس المسكين **poor Homer** مثل هذه الأفكار الطموحة. لقد نظم سلسلة أغاني ورايسوديات يغنيها هو نفسه في مقابل أجر زهيد ومتعة عظيمة في الاحتفالات والمناسبات السارة. وضع الإلياذة للرجال والأوديسية للجنس الآخر. هذه الأغاني المتفرقة لم تجمع في شكل قصيدة ملحمية حتى عصر بيسيستراتوس...".

وتحدث الشاعر الملحمي الفرنسي بيير رونسار **Pierre de Ronsard** (١٥٢٤-١٥٨٥) عن السلسلة الهوميرية الطبيعية "**La naïve facilité**" في مقابل الاجتهاد والمثابرة **la curieuse diligence** من جانب فرجيليوس^(٩١). أما دانتى فقد قال عن هوميروس في الكوميديا الإلهية إنه الشاعر ذو الهيمنة **Omèro poeta sovrano**^(٩٢).

ثامناً: وبعد ... فأما قبل!

فبعد هذه الجولة المحدودة في آفاق "الإلياذة" اللانهائية نرى أن يركز القارئ على النص الهومري المترجم، وأن يحيل كل ما أثير حوله إلى الخلفية. ولقد حاولنا قدر المستطاع أن نلتزم بالنص الهومري، وأن ننقل جوهره ومعناه وروحه إلى لغة عربية مستساغة. ويحتاج كل بيت في "الإلياذة" إلى تعليقات وشروح ومناقشات، سواء بالنسبة للمحتوى أو لأبعاده الأسطورية والتاريخية والاجتماعية وما إلى ذلك. ورأينا أن نترك ذلك لدراسات تخصصية مفصلة يمكن أن تستوجبها هذه الترجمة فيما بعد، وهذا ما نتوقعه بالفعل. ففي الوقت الراهن لا نريد للقارئ الكريم أن ينشغل كثيراً بغير متعة القراءة والتأمل. على أننا وضعنا الأسس للدرس المفصل بداية بالمقدمة وانتهاءً بالمعجم الأسطوري الكشاف، الذي يضبط شكل الاسماء من جهة ويساعد الباحث على تتبع اسم معين أو أسطورة ما في النص من أوله لآخره. ولدينا آمال عريضة بأن الترجمة التي نقدم لها قادرة على أن تمنح القارئ

(٩١) Ronsard, Oeuvres Completes, ed. P.Laumonier xvi (1950) p. 5, cf. Quintil. x 86.

(٩٢) للمزيد حول تأثيرات هوميروس في الآداب الأوروبية راجع:

Hight, op. cit., pp. 270-274, 574f and passim.

الفرصة كاملة لتذوق الفن الهومري بالعربية. ونطمح كذلك أن تفتح هذه الترجمة آفاقاً جديدة للبحث والدرس المعمق.

قائمة مختارة من المراجع

أولاً: طبعات "الإلياذة"

MONRO (D.B.) – ALLEN (Th.W.): *Homeri Opera, Recognoverunt brevique adnotatione critica instruxerunt. Tomus 1: Iliadis Libros I-XII, Tomus II: Iliadis Libros XIII-XXIV, Oxonii e Typographeo Clarendoniano. Oxford University, Reprint 1978.*

MURRAY (A.T.): *Homer. Iliad, Vols 2. With an English Translation by. A. T. Murray, revised by W.F. Wyatt, L.C.L. 2nd edition. Harvard University Press 1999.*

ثانياً: مراجع باللغة العربية

أحمد عثمان : الأدب الإغريقي تراثاً إنسانياً وعالمياً. الطبعة الثالثة. القاهرة ٢٠٠١.

: الكلاسيكية في مسرح عصر النهضة والتراث المتجدد فى مسرحيات شكسبير وراسين. القاهرة ١٩٩٩.

ثالثاً: مراجع بلغات أخرى

ALLEN, (W.S.) : *Accent and Rhythm. Prosodic Features of Latin and Greek. A Study in Theory and Reconstruction. Cambridge 1973.*

Idem : *Vox Graeca The Pronunciation of Classical Greek. 3rd edition Cambridge 1987.*

AUSTIN (N.) : "The Function of Digressions in the *Iliad*", *GRBS* 7 (1966) pp. 295-312.

BARNETT (Ronald) : *Comparative Studies in Homeric Epic and Other Heroic Narrative, Especially Sanskrit and Celtic. Ph.D. diss., University of Toronto 1978.*

BASSETT (S. E.) : "The Pursuit of Hector", *TAPhA* 61 (1930) pp. 130-149.

- Idem** : "Dismissing the Assembly in Homer". CJ 26 (1931) pp. 458-60.
- BAUMAN (Richard.)** : Story, Performance, and Event: Contextual Studies of Oral Narrative. Cambridge University Press 1986.
- BEYE (C.R.)** : *The Iliad, the Odyssey and the epic tradition*. London 1968.
- CALAME (Claude)** : "Entre oralité et écriture: Enonciation et énoncé dans la poésie grecque archaïque", *Semiotica* 43, (1983) pp. 245-73.
- CALHOUN (George)** : "The Art of the Formula in Homer - επεα πτεροεντα" Ph. 30, (1935) pp. 215-27.
- CAMEROTTO (Alberto)**: "Aristeia Azioni e tratti tematici dell'eroe in battaglia", *Aevum Antiquum* N.S. 1 (2001) pp. 263-308.
- CANTILENA (M.)**: "Il cantore riprende", *QU* 55 (1997) pp. 141-154.
- CHANTRAINE (Pierre)** : *Grammaire Homerique*. Vols 2, Paris 1958, 1963.
- CLARKE (W. M.)** : "Achilles and Patroclus in Love", *Hermes* 106 (1978) pp. 381-95.
- CULLER (J.)** : *The Pursuit of Signs: Semiotics, Literature, Deconstruction*. Ithaca: Cornell University Press 1981.
- CUNLIFFE (R.J.)** : *A Lexicon of the Homeric Dialect*. Oxford Reprint 1992.
- DALHATU (Muhammed)**: "Bakandamiya: Towards a Characterization of the Poetic Masterpiece in Hausa". In *Oral Poetry in Nigeria*. Ed. U. Abalogu, 1981. pp. 57-70. Lagos: Nigeria Magazine.
- DARAKI (M.)** : "Le héros à μενος et le héros δαιμονι ισος" Une polarité homérique", *ASPEN* 10 (1980) pp. 1-24.
- DAVIDSON (Olga M.)** : "Indo-European Dimensions of Herakles in

- Iliad* 19. 19-133", *Arethusa* 13 (1980) pp. 197-202.
- DETIENNE (Marcel) : *The Creation of Mythology*. Transl. by M. Cook. University of Chicago Press 1986.
- EDWARDS (M.W.) : "Convention and Individuality in *Iliad* 1", *HSCPh* 84 (1980) pp. 1-28.
- Idem : "Homer and Oral Tradition: The Type Scene", *Oral Tradition* 7 (1992) pp. 284-330.
- Idem : "The Conventions of a Homeric Funeral" in *Studies in Honour T.B.L. Webster*, ed. By J.H. Betts, J.T. Hooker, and J.R. Green (Bristol 1986) pp. 84-92.
- Idem : "Homer and Oral Tradition: The Formula", Part 1. *Oral Tradition* 1, (1986) pp. 171-230.
- Idem : "On Some Answering Expressions in Homer". *Ph.* 64. (1969) pp. 81-87.
- Idem : *Homer: Poet of the Iliad*. Baltimore: Johns Hopkins University Press 1987.
- EDWARDS (R.B.) : *Kadmos the Phoenician: A Study in Greek Legends and the Mycenaean Age*. Amsterdam 1979.
- ERBSE (H.) : "Ettore nell' *Iliade*", *Studi classici e orientali* 28 (1978) pp. 13-34.
- Idem : "Stylization and Variety: Four Monologues in the *Iliad*" in *Homer: Tradition and Invention*, ed. By B. Fenik, (Leiden 1978) pp. 68-90.
- Idem : *Epic Verse Before Homer*. Amsterdam 1981.
- Idem : *Typical Battle Scenes in the Iliad*, *Hermes Einzelschriften* 21. Wiesbaden 1968.
- FENIK (Bernard) : *Homer and the Nibelungenlied: Comparative Studies in Epic Style*. Cambridge: Harvard University Press 1986.

- FINKELBERG (M.)** : "A Creative Oral Poet and the Muse", *AJPh* 111 (1990) pp. 293-303.
- FINNEGAN (R.)** : *Oral Poetry*. Cambridge 1977.
- FRONTISI – DUCROUX (F.)**: *La Cithare d'Achille*. Rome 1986.
- GAISSER (J.H.)** : "Adaptation of Traditional Material in the Glaucus-Diomedes Episode" *TAPhA* 100 (1969) pp. 165-176.
- GERNET (L.)** : *Anthropologie de la Grèce antique*. Paris 1968.
- GIORDANO (M.)**, : *La supplica rituale, istituzione sociale e tema epico in Omero*. Napoli 1999.
- GRIFFIN (Jasper)** : *Homer on Life and Death*. Clarendon Press. Oxford, Reprint 1986.
- Idem** : "Homeric Words and Speakers", *JHS* CVI (1986) pp. 36-56.
- HARDIE (R.R.)** : "Imago Mundi: Cosmological and Ideological Aspects of the Shield of Achilles", *JHS* 105 (1985) pp. 11-31.
- HELD (George F.)** : "Phoenix, Agamemnon and Achilleus: Parables and Paradeigmata", *CQ* 37 (1987) pp. 245-61.
- HERINGTON (John.)**: *Poetry into Drama: Early Tragedy and the Greek Poetic Tradition*. Berkeley: University of California Press 1985.
- HIGHET (G.)** : *The Classical Tradition. Greek and Roman Influences on Western Literature*. Oxford at the Clarendon Press 1949.
- HORROCKS (G.C.)** : *Space and time in Homer*. New York 1981.
- Idem** : *Greek: A History of the Language and its Speakers*. Longman London – New York 1997.
- HUXLEY (G.L.)** : *Greek Epic Poetry: From Eumelos to Panyassis*. London 1969.
- JEBB (R.C.)** : *Homer: An Introduction to the Iliad and the*

- Odyssey*. Glasgow Sixth Edition 1898.
- JONG (de I.J.F.)** : *Narrators and Focalizers, The Presentation of the Story in the Iliad*. Amsterdam 1987.
- KIRK (G.S.), ed.,** : *The Language and Background of Homer. Some Recent Studies and Controversies*. Cambridge 1964.
- Idem** : *The Iliad: A Commentary*. Cambridge 1990.
- Idem** : *Homer and the Epic*. Cambridge, Reprint 1996.
- Idem** : *Homer and the Oral Tradition*, Cambridge, 1978.
- KNAPPERT (Jan.)** : *Epic Poetry in Swahili and other African Languages*. Leiden Brill 1983.
- KRISCHER (T.)** : "Arcieri nell'epica omerica. Armi, comportamenti, valori, in Omero. Gli aedi, I poemi, gli interpreti", a c. di F. Montanari. Firenze (1998) pp. 79-100.
- KULLMANN (Wolfgang)**: "Oral Poetry Theory and Neoanalysis in Homeric Research", GRBS 25 (1984) pp. 307-23.
- LAMBERTON (R.W.) – KENNEY (J), (edd.)**: *Homer's Ancient Readers, the Hermeneutics of Greek Epic's Earliest Exegetes*. Princeton 1992.
- MESSING (Gordon M.)**: "On Weighing Achilles' Winged Words". *Language* 57 (1981) pp. 888-900.
- MILLER (D. Gary.)**: *Improvisation, Typology, Culture, and The New Orthodoxy: How Oral is Homer*. Washington, D.C.: University Press of America 1982.
- MORRIS (I.) – POWELL (B.)**: (edd.) *A New Companion to Homer*. Leiden 1997.
- MOULTON (C.)** : *Similes in the Homeric Poems, (Hypomnemata 49)* Göttingen 1977.
- MUHLY (J.D.)** : "Homer and the Phoenicians", Berytus 19

- (1970) pp. 19-64.
- MURRAY (G.)** : **The Rise of the Greek Epic. Fourth Edition, Oxford 1934.**
- NAGLER (M.N.)** : **Spontaneity and tradition; a study in the oral art of Homer. Berkeley 1974.**
- NAGY (Gregory)** : **The Best of the Achaeans. Baltimore: Johns Hopkins University Press 1979.**
- Idem** : **Homeric Questions. Austin 1996.**
- NIMIS (Steven)** : **"The Language of Achilles: Construction vs. Representation", Classical World 79 (1986) pp. 217-25.**
- PACKARD (D.W.) - MEYERS, (T.):** **A bibliography of Homeric scholarship 1930-1970, preliminary ed. Malibu, Calif 1974.**
- PAGE (D.L.)** : **History and the Homeric *Iliad*. Berkeley 1959.**
- PARRY (M.)** : **The Making of Homeric Verse, ed. A. Parry. Oxford 1971.**
- PATZER (H.)** : **Die Formgesetze des homerischen Epos. Stuttgart 1996.**
- PAVESE (C.O.)** : **"L'inno rapsodico: analisi tematica degli Inni omerici, in L'inno tra rituale e letteratura" Atti di un colloquio, Napoli 21-24 ottobre, AION 13, (1991) pp. 155-178.**
- Idem** : **L'inno rapsodico: indice tematico degli Inni omerici, AION 15, (1993) pp. 21-36.**
- PFEIFFER (R.)** : **History of Classical Scholarship from 1300 to 1850. Clarendon Press Oxford, Reprint 1999.**
- Idem** : **History of Classical Scholarship: From the Beginnings to the End of the Hellenistic Age. Oxford 1968.**
- POWELL (Anton) ed.** : **The Greek World. Routledge. London and**

New York 1995.

- POWELL (Barry B.):** *Homer and the Origin of the Greek alphabet.* Cambridge University Press. First Paperback edition 1996.
- PUCCI (Pietro)** : *Odysseus Polutropos: Intertextual Readings in the *Odyssey* and the *Iliad*.* Ithaca: Cornell University Press 1987.
- REDFIELD (J.M.)** : *Nature and Culture in the *Iliad*.* Chicago 1975.
- REEVE (M.D.)** : "The Language of Achilles", *CQ* 23 (1973) pp. 193-5.
- ROMILLY (de, Jacqueline):** *Perspectives actuelles sur l'épopée homérique.* Paris: Presses Universitaires de France 1983.
- SCOTT (W.C.)** : *The Oral Nature of the Homeric Simile.* Leiden 1974.
- SCULLY (Stephen)** : "The Language of Achilles: The OXΘΗΣΑΣ Formulas", *TAPhA* 114 (1984) pp.11-27.
- SHIPP (G.P.)** : "Mycenaean Evidence for the Homeric Dialect." *Essays in Mycenaean and Homeric Greek.* (Melbourne 1961) pp. 1-14.
- Idem** : *Studies in the Language of Homer,* Transactions of the Cambridge Philological Society 8. Cambridge 1953.
- SKAFTE (Jensen, M.):** *The Homeric Question and the Oral-formulaic Theory.* Copenhagen 1980.
- STANLEY (K.)** : *The Shield of Homer: Narrative Structure in the *Iliad*.* Princeton 1993.
- SUTER (Ann C.)** : *Paris / Alexandros: A Study in Homeric Techniques of Characterization.* Ph.D. diss., Princeton University 1984.
- TIGAY (Jeffrey.)** : *The Evolution of the Gilgamesh Epic.*

- Philadelphia: University of Pennsylvania Press
1982.
- TRYPANIS (C.A.)** : The Homeric Epics. Warminster 1977.
- VERMEULE (E.)** : Aspects of Death in Early Greek Art and Poetry. Berkeley- Los Angeles 1979.
- VERNANT (J.P.)** : Figure, idoli maschere. Milano 2000.
- VIVANTE (Paolo.)** : The Epithets in Homer: A Study in Poetic Values. New Haven: Yale University Press 1982.
- Idem** : The Homeric Imagination. Indiana 1970.
- WEBSTER (T.B.L.)** : From Mycenae to Homer. London 1958.
- WEES (Van H. van)** : "Homeric Warfare", in I. Morris and B. Powell (edd.), A New Companion to Homer, Leiden (1997) pp. 668-693.
- WHITMAN (C. H.)** : Homer and the Heroic Tradition. Harvard University Press 1958.
- WILLCOCK (Maleolm M.)**: A Companion to the *Iliad* based on the Translation by Richmond Lattimore. The University of Chicago Press 1976.
- WRIGHT (John), ed.:** Essays on the *Iliad*: Selected Modern Criticism. Bloomington: Indiana University Press 1978.

والله ولى التوفيق

أحمد عثمان

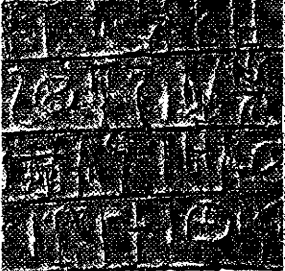
القاهرة أغسطس ٢٠٠٣

هوميروس

الليساذه



الكتاب الأول



ترجمة لطفى عبد الوهاب يحيى

عَن لى يارية الشعر عن غضبة أخيلئوس بن بئليوس المدمرة،
اللى ألحقت بالأخئيين^(*) مأسى تفوق الحصر، ودفعت إلى العالم
الأخر (هادئس)^(**) بأرواح الكئئيرئين من المقاتلئن البواسل، بئئما
جعلت من أجسادهم لقمة سائغة للكلاب وكل أنواع الجوارح
- وهكذا تحققت مشئئة زئوس. عَن ممن جاءت هذه
الغضبة بادئة من حئث أخذ الشقاق يدب بئن (أجاممنون)،
ملك الرجال، ابن أترئوس، وبئن أخئليوس شئبه الآلهة^(***)
من من بئن الآلهة هو ذاك الذى دفع بهذئن الاثنئن إلى
الصراع فئما بئئهما؟ إنه (أبوللون) بن لئئو وزئوس. فهو الذى
أدى غضبه إلى انتشار الطاعون المشئوم بئن صفوف المقاتلئن
وإلى هلاك الرجال، لأن ابن أترئوس ألحق بكاهنه خرئسئس
إهانة بالغة. فقد أتى الكاهن إلى سفن الأخئئئن السريعة لئحرر
ابنته (خرئسئس)، وهو يحمل معه فدية تفوق العد، وكان يمسك
بأكالئل أبوللون، الذى يسدد سهامه بعئذا، (وقد لفها) حول
صولجان من الذهب، وراح يتوسل إلى كل الأخئئئن، وكان أكثر
توسله إلى ابئئ أترئوس^(****)، راعئ جموع الرجال
"يا ابئئ أترئوس، وئاجمئع الأخئئئن المزودئن جئذا بواقئات
الأرئل ! لئمنحك الآلهة اللئى تتخذ مقامها فوق جبل

(*) الأخئون: إحدى التسمئات اللئى كان يعرف بها الإغرىق فى العصور المبكرة الأولى قبل أن يستقروا على تسمية واحدة وهئ "اهلئئون". وقد أطلق الشاعر عليهم، إلى جانب هذه التسمية، تسمئئن أخرئئ هما: الدانائون وأهل أو شعب أرجوس (الأرئون). وقد جاء استخدامهما للتسمئات الثلاث بشكل مترادف. (هذا وترد تسمية "اهلئئئن" وهم شعب متحالف مع الأخئئئن وئسكون فى جزء من ئئساليا فى الكتاب الثانئ: بئت ٥٣٠.

(**) اللفظة اللئى يستخدماها الشاعر هئ: Aïdés وهئ صورة شعرئة للفظه Hadés أو Haidés (وفئ لهجة الدورئئن Aidas). وهئ تسمئات لأحد ابئاء كرونوس أول آلهة الإغرىق. وقد أصح لها للعالم السفلى، ثم أصبحت تطلق بشكل عام على العالم الأخر.

(***) بوجد صدى لهذه الأبئات فى مقدمة مسرحئة يورئئدئس "هئلئئ" (أبئات ٣٨-٤١) كما قدمت الملحمة المفقودة "القبرصئة" تفسئرا لأصل الحرب الطروادئة (الحرر).

(****) هما أجاممنون ملك موكئئائى وسئد الأخئئئن وأخوه مئئلاؤس ملك إسرطة الذى فرت زوجته هئلئئ مع بارئس (ألكسندروس) بن برئاموس ملك طروادة، فكان هذا، فئما بقول الشاعر، سببا فى إشعال الحرب بئن الأخئئئن والطروادئئن.

٢٠ الأوليمبوس، القدرة على إسقاط مدينة برياموس (طروادة)، ولتقدر لكم العودة سالمين إلى وطنكم^(*). و(كل ما أطلبه إليكم هو) أن تطلقوا سراح ابنتى الحبيبة (خريستيس) وأن تقبلوا الفدية بحق ابن الإله، أبوللون، الذى يطلق سهامه إلى بعيد".

عند ذلك صاح الأخيون جميعا معلنين موافقتهم ومنادين باحترام الكاهن وقبول الفدية القيمة. ولكن هذا الأمر لم تسعد به نفس أجاممنون بن أتريوس فطرد الكاهن شر طردة، أمراً إياه فى خشونة.

٢٥

"حذار أيها الشيخ الأشيب أن أجدك متلئناً بين السفن المجوفة^(**) الآن أو عائداً إليها بعد الآن، وإلا فإن صولجانك وإكليل الإله لن يحمياك (منى). أما هذه (الفتاة خريستيس) فلن أطلق سراحها قبل أن تدهمها

٣٠ الشيوخوخة فى بيتنا فى أرجوس بعيدا عن مسقط رأسها، وهى تذهب (فى عملها) أمام المنول وتقدم لى المتعة فى الفراش. أغرب عن وجهى وحاذر أن تغضبى حتى يمكنك الانصراف فى أمان".

هكذا تحدث، بينما استبد الخوف بالشيخ وانصاع لأمره ثم

٣٥ مضى فى صمت على شاطئ البحر الهادر. وبعد أن ذهب بعيداً صلى فى خشوع للسيد أبوللون، الذى ولدته ليتو ذات الشعر الأشقر مبتهلاً:

"لتستمع إلى دعائى ياذا القوس الفضى، الذى يرعى خريسى وكيللا

(*) قارن ما يرد عند هوراتيوس (Sat. ii 3.191).

Maxime regum.

Di tibi dent capta classem reducere Troia.

يا أعظم الملوك !

لتمحك الألهة بعد سقوط طروادة أن تستعيد أسطولك. (الحرر)

(**) توصف سفن الإغريق بأنها مجوفة koilai لأن الواحد منهم، كما يقال، كان يعمد، فى المرحلة البدائية إلى جذع شجرة فيجوفه ثم يتخذ منه سفينة صغيرة. ثم ظلت هذه التسمية مستمرة حتى بعد أن كبر حجم السفن وتطورت صناعتها. والأقرب من هذا إلى المعنى هو أن شكل السفينة فى عمومها يوحي بالتجويف، أو أن مكان وضع وحفظ السلع أو المعدات فى السفينة يكون بالضرورة مكانا مجوفاً - وهى التسمية التى أصبح يوصف بها هذا المكان فى فترة لاحقة من تاريخ الإغريق.

- المقدسة، ياسيد تينيدوس^(*)، (يارب) سمنثيوس^(**). (إنى أبتهل إليك)
- ٤٠ كلما أشرفت على إقامة محراب يحظى برضاك، وكلما قدمت القطع المشوية الدسمة من أفخاذ الثيران أو الماعز قربانا لك، أن تستجيب لدعائى هذا: لتنتقم بسهامك من الدانائيين لقاء ماذرفت من الدموع.
- هكذا ابتهل فى صلاته، وسمعه فوييوس (الوضاء)^(***)
- ٤٥ أبوللون، فأسرع بخطواته من أعالى الأوليمبوس وقد تمكن الغضب من قلبه، بينما حمل على كتفيه قوسه وجعبة سهامه المغطاة. وقد كانت السهام تصلصل على كتفى الإله الغاضب وهو يتحرك، وكان مجيئه مثل الليل، ثم جلس بعيدا عن السفن وأطلق سهما فأحدث الصوت الفضى رنيانا رهيبا. لقد انقض (سهمه) على البغال فى البداية، ثم على الكلاب السريعة، ولكنه ما لبث أن سدده سهامه (الحادة) اللاذعة إلى الرجال أنفسهم. وهكذا توالى ضرباته بينما ظلت محارق الموتى تشتعل فى كثافة.
- وقد استمرت سهام الإله تنطلق تسعة أيام على حشد المقاتلين. وحين حل اليوم العاشر دعا أخيليوس الرجال إلى ساحة الاجتماع، بعد أن كانت الإلهة هيرا ذات الذراع الأبيض قد أوعزت إليه بذلك. إذ إنها بدأت تشفق على الدانائيين حين شهدت ما أصابهم من هلاك. وحين جمعهم اللقاء نهض من بينهم أخيليوس سريع القدم قائلا:
- ٦٠ "يا ابن أتريوس ! يبدو أننا سننهزم ونعود (إلى حيث أتينا) دون

(*) تقع خريسي وكيلا فى منطقة طروادة أما تينيدوس (تقابل الآن Bodscha Ada) فهى جزيرة صغيرة على بعد بضعة أميال من ساحل طروادة. (المترجم)

(**) فى الأصل Smintheus (أى الإسمثى)، نسبة إلى مدينة سمنثوس Sminthos أو Sminthè، وهى مدينة فى منطقة طروادة، وهى تشير إلى معنى "إله الفئران" لأن كلمة sminthos تعنى الفأر وهو لقب وصف به الإله أبوللون لأنه خلص هذه المدينة الصغيرة من وباء فئران الحقل، وهكذا تصيح التسمية معبرة عن معنى "المخلص من طاعون الفئران". وقد تكون هذه العبارة جزء من الطوطمية راجع:

Frazer, Golden Bough, vol ii pp. 427-8.

(المحرر)

(***) فوييوس Phoibos، لقب من ألقاب أبوللون ويعنى الساطع أو الوضاء. (المترجم)

- أن ننجز شيئاً، هذا إذا أفلتتا (أساساً) من الموت، فالطاعون والموت
كفيلان بالقضاء على الآخيين. تعال، إذن، ولنسأل عرافاً أو كاهناً،
نعم، أو مفسراً للأحلام، فالحلم، هو الآخر، (وحى) من عند
زيوس^(*)، فربما نعرف منهم الأمر الذى جعل فويبوس أبوللون
يستشيط غضباً على هذا النحو سواء أكان هذا وعداً (أخلفناه)
٦٥ أو قرباناً من مائة ثور (لم نقدمه)، مؤمّلين أن يتقبل منا طعم الخراف
والماعز التى بلغت قمة نموها، فيفكر أن يصد عنا الطاعون".
ثم جلس (أخيليوس) بعد أن ختم حديثه على هذا النحو،
٧٠ فنهض من بين المجتمعين كالحاس بن ثيستور، وهو خير
العرافين، فهو يعرف كل ما وقع من أحداث، كما يعلم بتلك التى
سوف تقع، وتلك التى تسبقها (فى الحاضر)، وهو الذى أرشد
سفن الآخيين إلى إليوس بفضل عرافته التى أضفاها عليه
فويبوس أبوللون. لقد خاطب جمعهم بنية خالصة قائلاً:
"أى أخيليوس، حبيب زيوس، إنك تطلب إلىّ أن أعلن (ما
٧٥ أعرفه) عن غضب أبوللون السيد الذى يطلق سهامه بعيداً. وعلى هذا
فإنى سأتكلم، ولكن على أن تصغى إلى ما سأطلبه. لنقسم بنية
صادقة على أن تسرع بالدفاع عنى قولاً وفعلاً لأنى، على ما أعتقد،
سوف أغضب رجلاً يحكم كل حشود أرجوس ويطيعه الآخيون،
إذ إن الملك يزداد عنفه حين يغضبه رجل أقل منه مرتبة.
٨٠ ومن هنا فإنه قد يكظم غيظه ليوم واحد، ولكنه يظل طاوياً صدره
على غضبه حتى يأتى الوقت الذى يُصَفَّى فيه حسابه
(مع من أغضبه). فلنفكر إذن إذا كنت ستقوم بحمايتى".
وهنا رد عليه أخيليوس سريع القدم قائلاً:

(*) عن الحلم بوصفه وحياً من الإله؛ قارن ميلتون "الفردوس المفقود" (الكتاب ١٢ بيت ٦١١).

"For God is also in sleep, and dreams advise"

(المحرر)

- ٨٥ "لا تخف ! وتحدث عن أية نبوءة (أنت على علم بها)، فبحق أبوللون الحبيب إلى زيوس الذى تصلى له يا كالخاس والذى تعلن باسمه نبوءاتك للدانائيين، إنه طالما أنا على قيد الحياة، وطالما لازلت أرى وجه الأرض، فإن أحدا لن (يجرؤ على أن) يضع عليك يديه الثقيلتين (بسوء) بجوار السفن المجوفة، من بين كل الدانائيين، حتى لو كنت تعنى بحديثك أجاممنون الذى يعلن أنه خير الأخيين على الإطلاق".
- ٩٠ عندئذ تشجع العراف النبيل وتحدث قائلاً :
- "إن الإله لا ينحى باللائمة لا من أجل عهد (نكصتم به)، ولا من أجل قربان من مائة ثور (لم تقدموه)، وإنما من أجل الكاهن الذى نال أجاممنون من شرفه حين لم يطلق سراح ابنته (خريستيس) أو يقبل الفدية، ولهذا فإن الإله الذى يطلق سهامه بعيداً قد صب المأسى فوق رعوس الدانائيين وسوف يستمر فى ذلك ولن يبعد عنهم الطاعون الممقوت حتى يعيدوا الفتاة ذات العيون البراقة إلى أبيها دون أن يشتريها أو يدفع فدية عنها، وحتى
- ٩٥ نقدموا محرقة من الذبائح فى خريسى، حينئذ قد نفلح فى تهدئة غضب الإله ونوصل إلى إرضائه".
- ١٠٠ وعندما انتهى من حديثه على هذا النحو عاد إلى مجلسه. وهنا نهض المحارب ابن أتريبوس، أجاممنون الذى يمتد سلطانه على أراضٍ شاسعة، وقد ظهر على وجهه الضيق الشديد وامتلاً قلبه عن آخره بالغضب الأسود، بينما بدت عيناه كاللهب المتأجج، فوجه فى البداية إلى كالخاس حديثاً ينبئ بالعواقب الوخيمة:
- "يانذير الشؤم ! إنك لم تتحدث معى بالخير حتى الآن، فنبوءات الشر هى الحبيبة إلى قلبك دائماً، أما الكلمة الطيبة فإنك لم تأت بها قولاً أو فعلاً حتى الآن. وها أنت تنطق
- ١٠٥ بنبوءاتك بين الدانائيين المجتمعين وتعلن أن الإله الذى يطلق
- ١١٠

- سهامه بعيدا قد جلب إليهم المأسى من أجل السبب (الذى ذكرته)
بالذات، وهو أنى لم أقبل الفدية القيمة فى مقابل (إطلاق سراح) الفتاة
خريستيس، ابنة خريسيس، لأنى أنوى الاحتفاظ بها فى منزلى.
فلتعلموا إذن أتى أفضلها على كليتمنسترا - زوجتى. فالفتاة ليست
أقل منها شكلا أو قدًا أو فكرًا أو أداء لأية صنعة من الصنائع. على
أنى مستعد رغم ذلك أن أعيدها، إذا كان الخير فى هذا، لأنى أفضل
سلامة الرجال على هلاكهم. ولكن عليكم (فى مقابل ذلك) أن تعدوا
لى غنيمة على الفور، حتى لا أكون الوحيد بين حشود أرجوس الذى
لم يحصل على غنيمة. إذ من غير اللائق أن تشاهدوا جميعا
غنيمتى وهى تنتقل من حوزتى إلى مكان آخر".

- عندئذ رد عليه أخيليوس، الإلهى سريع القدم :
"يا بن أتريوس، يا أمجد الناس وأكثر الناس طمعا فيما ليس من
حقه، كيف يتسنى للأخيين ذوى القلوب الكبيرة أن يقدموا لك
غنيمة ؟ إننا لا علم لنا بأية ثروة محفوظة (تحت طلبنا) فى
مخزن عام للغنائم، ولكننا قسمنا أسلابنا من المدن بين الجميع،
ولا يجوز أن نعود فنأخذها من الرجال، نعم، عليك أن تطلق
سراح الفتاة حسب مشيئة الإله، وسنعوضك، نحن الآخيون،
عن ذلك ثلاثا أو أربعا، إذا أكرمنا زيوس وأسقطنا طرودة
ذات الأسوار الحصينة".

- بعدها رد عليه أجاممنون السيد:
"أى أخيليوس، ياشبيه الآلهة ! إنك لن تخدعنى بفطنتك. ومهما
كان لديك من شجاعة أو من أصل نبيل فإنك لن تفوقنى فى الدهاء أو
فى الإقناع. أطلب إلى أن أتنازل عن غنيمتى وأن أبقى هنا صفر
اليدين حتى تستبقى أنت غنيمتك؟ إن هذا لن يكون إلا إذا قدم لى
الآخيون ذوى القلوب الكبيرة سبية أرى فيها بديلا مساويا لغنيمتى. أما
إذا لم يفعلوا ذلك فإنى سأحضر بنفسى وأستولى على غنيمتك أو

- غنيمة أياس أو أوديسيوس وأعود بها، وليكن ما يكون من
غضب ذلك الذى سأحضر إليه ! ولكن على
١٤٠ أية حال سوف يكون هناك وقت للتدبر فى هذا الأمر لاحقاً
أما الآن فلتنزل إلى البحر اللألاء سفينة سوداء نجمع
فيها عددًا كافيًا من المجدفين والحيوانات المقدمة للتضحية،
ولتنزل بها خريستيس، ذات الخدود الجميلة نفسها، وليقم
على قيادة السفينة أحد من ذوى الرأى، أياس أو ايدومينيوس
١٤٥ أو أوديسيوس، الإلهى، أو أنت ابن بيليوس الذى يخشاه الرجال
أكثر من أى شخص آخر، حتى تقدم الأضاحى وتهدى من
غضب ذلك الذى يطلق سهامه بعيداً".

عندئذ نظر إليه أخيلئوس، سريع القدم، نظرة غاضبة كالحة
ووجه إليه الحديث قائل:

- ١٥٠ "آه، يامن ترتدى رداء عدم الحياء ! أيها الطماع المحتال ! كيف
تنتظر من أى من الأخيين أن يقدم عن طيب خاطر على تنفيذ ما
تطلبه إليه من المشاركة فى غارة أو القتال ببسالة مع المحاربين.
إنى لم آت هنا من أجل (الانتقام من) حاملى الرماح من محاربى
طروادة، فهم لم يسيئوا إلىّ قط. إنهم لم يتحرشوا على أية صورة
بأبقارى أو بخيلى، لا ولم يخرّبوا محصول الحبوب فى أرض فثيا
١٥٥ الخصيبة، منجبة الأبطال، فهناك الكثير الذى يفصل بينهم
وبيننا، جبال داكنة وبحر هادر. ولكننا تبعنالك إلى هنا
لنرضيك ! نعم يامن لا يعرف الخجل، حتى تسترد أنت
١٦٠ ومينيلأوس ما فقدتماه على يد الطرواديين - وهو الأمر الذى
تتجاهله ولا تدخله فى اعتبارك. والآن تهددنى، أنت بالذات،
بالاستيلاء على غنيمتى التى بذلت الكثير من الجهد فى سبيل
الحصول عليها، فمنحنى إياها أبناء الأخيين. ومع ذلك فإنى لم
أحصل قط على غنيمة مثل الغنائم التى كنت أنت تحصل

- عليها كلما أسقط الآخيون مدينة مأهولة من مدن الطرواديين.
- ١٦٥ إن وطأة الحرب كانت تقع على عاتقى أنا، أما عند تقسيم الغنائم فقد كان لك النصيب الأكبر، بينما أعود أنا إلى السفن ومعى ما حصلت عليه بنفسى مهما كان ضئيلاً، بعد أن يكون القتال قد أخذ منى كل مأخذ. أما الآن فأنى سأعود إلى فثيا، فإنه لأخف وطأة على النفس أن أعود إلى الوطن فى سفنى ذات المقدمات المعقوفة، من أن أتحمل الإهانة هنا بينما أجمع لك الثروة وأسباب الرفاهية".

وهنا رد عليه أجاممنون، ملك الرجال :

- "قلتهرب من المعركة إذا طاوعتك نفسك. إنى لا أرجو منك أن تبقى هنا من أجلي، فألى جانبى يقف آخرون ممن سيشرفوننى (بأدائهم)، ومعى، فوق الجميع، زيوس رب التدبير الحكيم. إنك أبغض إلى من كل الملوك الذين يرعاهم الإله، فأنت تعشق الخصام والعنف والقتال. وماذا لو كنت عظيم الشجاعة ! إن إلهًا، فيما أحسب، هو الذى وهبك ذلك. ارحل إلى بلادك أنت وسفنك ورفاقك وأقم نفسك سيدًا على الميرميدونيين، فأنا لن أهتم بك بعد اليوم ولم أعد أعبأ بغضبك. على أنى أحذرك: إذا كان فوييوس أبوللون سيأخذ منى خريستيس فأنى سأرسلها فى سفينة من سفنى ومع رجال من رجالى، ولكنى سأتى بنفسى إلى خيمتك لآخذ (بدلا منها) سبيتك بريستيس، ذات الخدود الجميلة، حتى تعلم جيدًا كم أنا أرفع منك قدرا، وحتى يرتدع كثيرون غيرك عن أن يعلن أى منهم فى حضورى أنه ندُّلى".

هكذا تحدث (أجاممنون)، فابتأس لذلك ابن بيليوس، وفى داخل

- ١٩٠ صدره ذى الشعر الكث كان يتنازع قلبه أمران، إما أن يستل سيفه القاطع من جانب فخذة فيفرق الجميع ويذبح ابن أتريوس، أو أن يكظم غيظه ويتحكم فى نفسه. وبينما كان يقلب الرأى بين ما يدعو إليه كل من قلبه وعقله، وهو يستل سيفه الكبير

- من غمده، هبطت الإلهة أثينة من السماء. وكانت الإلهة
 ١٩٥ هيرا ذات الذراع الأبيض قد أرسلتها لأنها كانت تكن للملكين
 الحب من كل قلبها وتهتم بأمر كل منهما بالقدر ذاته. وقد
 اتخذت أثينة موقفها خلف ابن بيليوس^(*)، وأمسكت بشعره الأشقر
 بحيث تتجلى له وحده بينما لا يراها الآخرون. وقد استحوزت
 الدهشة على أخيليوس فاستدار وتعرف في التو على أثينة باللاس^(**)
 ٢٠٠ ببريق عينيها الرهيب، وتحدث إليها بكلمات مجنحة،
 "لماذا عدت يا ابنة زيوس لابس الدرع أيجيس؟ هل جئت
 لعلك ترين صفاقة أجاممنون بن أتريوس؟ إذن سأخبرك، وفي
 ٢٠٥ تصورى أن ما أقوله سيتم فعلا. إنه سيدفع حياته عما قريب ثمنا
 لاستعلائه المفرط".
 عندئذ أجابته الإلهة أثينة ذات العينين الزرقاوين^(***)،
 "لقد هبطت من السماء لكى أهدئ من غضبك، إذا استمعت إلى
 ما سأقوله. وقد أرسلتني الإلهة هيرا ذات الذراع الأبيض
 لأنها تحب كلا منكما من قلبها بالقدر ذاته وتهتم بأمركما.
 ٢١٠ فلنكف إذن عن الصراع ولا تجعل يدك تشهر سيفك. وجّه إلى
 (أجاممنون) من ألفاظ التأنيب ما يخطر على بالك. فهأنذا أقوله
 لك، وسوف يتحقق ما أقوله: إنك سوف تحصل، بسبب هذه
 الإهانة، على ثلاثة أمثال ما كنت ستفوز به. فلتحجم إذن (عما
 كنت تتوى القيام به) وضع ثقتك فى قولنا (أنا والإلهة هيرا)".
 ٢١٥ وهنا رد عليها أخيليوس سريع القدم:
 "أيتها الربية، من الواجب على المرء أن يراعى كلا منكما
 بغض النظر عما يعتمل فى قلبه من غضب، فإن هذا هو الأفضل،

(*) هذا المشهد هو بالقطع الذى استوحاه سوفوكليس فى مسرحيته "أيباس" (٧٢٩ وما يليه) (المحرر).
 (***) أحد ألقاب الإلهة أثينة، ويروى أنه كان اسما لإحدى صديقاتها، ثم قتلها الإلهة عن طريق الخطأ، فأقامت
 معبدا على اسمها، هو البالاديون، تخليدا لها.
 (***) للتأكد من أن glaukopis تعنى ذات العيون الزرقاء راجع: Pausanias I 14. 6 (المحرر).

لأن الذى يطيع الآلهة تستجيب له بالكامل".

٢٢٠

وهكذا تحدث بينما أطبق بيده الثقيلة على المقبض الفضى
للسيف الكبير دافعا إياه فى غمده دون اعتراض على ما قالته أثينة.
ولكنها كانت حينذاك قد انطلقت إلى الأوليمبوس حيث مقر الإله
زيوس، لابس الدرع أيجيس، لكى تلتقى بالآلهة الآخرين.

ولكن ابن بيليوس خاطب ابن أثريوس من جديد بألفاظ عنيفة

٢٢٥

دون أن يزايله غضبه على أى وجه :

"أيها المخمور، يا من له عينا كلب (شرس) وقلب غزال
(جبان). إنك لم تواتك الشجاعة مرة واحدة أن تتسلح للمعركة إلى
جانب رجالك، أو تتقدم لتصنع كميناً مع زعماء الآخيين، فذلك يبدو
لك كأنه الموت^(*) ذاته. بل إنك فى الحقيقة تجد خيراً من ذلك كثيراً،

٢٣٠

وسط جيش الآخيين الجرار، أن تستولى على غنيمة من
يتحدث على غير هواك. أيها الملك المقترس لشعبه ! لا بد أنك
تحكم رجالا لا قيمة لهم، وإلا فإنك يابن أثريوس تكون قد
ارتكبت آخر وقاحاتك اليوم. ولكنى سأعلن كلمتى (مدوية) إليك
وأقسم عليها قسماً رهيباً. بحق هذا الصولجان الذى لن

٢٣٥

تتبت فيه أوراق أو براعم بعد أن انفصل (الغصن الذى
صنع منه) عن جذعه لأول مرة بين الجبال، والذى لن يعود
إليه اخضراره مرة أخرى بعد أن نزع (المنجل المصنوع من)
البرنيز أوراقه ولحاءه، والذى يحمل (مثله) الآن (سادة القوم)
من أبناء الآخيين وهم يصدرون أحكامهم ويحافظون على
القوانين باسم الإله زيوس، وسيكون هذا قسماً عظيماً بالنسبة

(*) اللفظة الموجودة فى الأصل هى ker، مفرد keres التى تعنى الأرواح التى تجلب البلاء بأنواعه المختلفة: العمى، الشيخوخة، الحظ السيئ، فقدان البصرة، الموت. وفى أغلب استخداماتها تظهر باعتبارها لفظاً عادية بمعنى الموت أو جالية (جاليات) الموت، وإن كانت فى بعض الأحيان، حسبما يستدعى النص، تترجم بمعنى القدر (الإلياذة، الكتاب التاسع ٤١١) وفى بعض الأحيان يترأخ معناها بين القدر والموت (الكتاب الثالث، ٢٢٠). وقد ترجمتها أحيانا بلفظة "الموت" أو "شبح الموت"، وأحيانا بلفظة "القضاء" حسب المعنى الذى تراءى لى من السياق.

- ٢٤٠ لكم: ليأتين اليوم الذى يفتقد فيه ابناء الآخيين جميعا أخيلوس !
وفى ذلك اليوم لن يكون بوسعك بأية حال أن تمد لهم يد العون
مهما بلغ بك الأسى، حين يتساقط الكثيرون أمام هيكتور قاتل
الرجال. ولكن قلبك سوف يتمزق ندمًا لأنك لم تعامل خير
الآخيين بما يستحقه من تبجيل".
- ٢٤٥ هكذا تحدث ابن بيليوس. ثم قذف على الأرض بصولجانه
المرصع بمشابك ذهبية وعاد إلى جلسته، بينما ظل ابن أتريوس
ينفث غضبه من مكانه بالجانب المقابل. بعد ذلك قام بينهم نيستور،
سيد الكلمة العذبة وخطيب أهل بيلوس، ذو الصوت النقى، الذى
ينطق لسانه بكلام أحلى من العسل. لقد شهد نهاية جيلين من الرجال
الذين ولدوا وشبوا فى بيلوس المقدسة، وها هو يحكم الجيل الثالث.
- ٢٥٠ و (الآن) خاطب الجمع وهو مفعم بالنوايا الطيبة قائلاً:
"يالأسى ! إن بؤسًا كبيراً يخيم على أرض
الآخيين. كم سيبتهج برياموس (ملك طروادة) هو وابناؤه،
وكم ستسعد قلوبهم وقلوب بقية الطرواديين إذا سمعوا قصة
الشقاق بينكما أنتما الاثنين، سيدى الدانائيين أحدكما فى الرأى
والآخر فى الحرب. ولكن انصتا إلى ! إنكما أصغر منى سنا،
وقد رافقت قبل الآن رجالا خيرا منكما، ولم يقلل أحد منهم من
شأنى أبداً. إنى لم أر بعدهم من يماثلهم ولن أرى من يماثلهم.
هكذا كان بيريثوؤس ودرياس راعى الشعوب وبوليفيموس شبيه
الآلهة، كايبيوس وإكسادبوس وثيسبوس بن آيجيوس، نظير الخالدين.
- ٢٦٥ لقد كان هؤلاء أقوى ابناء الأرض من الرجال، وقد قاتلوا أقوى
الرجال، بل لقد حاربوا الفيريس^(*) الذين سكنوا الجبال، وقضوا

(*) اللفظة المستخدمة هنا: Féres، واللفظة المرادفة لها Kentauroi كانت تطلق على قوم شرسين يعيشون حياة برية كانوا يعيشون فى نيساليا بين مدينتى بيلون Pelion و أوسا Ossa. وقد اقتلعوا من هذه المنطقة على يد شعب مجاور فى فترة مبكرة. وعند الشعراء المتأخرين نجدهم يظهرن على شكل كائنات، الواحد منها نصفه العلوى إنسان ونصفه السفلى حصان. وواضح أن هوميروس كان يعنى المعنى الأول لأن التصور الثانى لم يكن قد ظهر بعد.

- عليهم بلا شفقة أو رحمة. نعم، لقد كنت رقيقاً لهؤلاء الرجال حين قدمت (إليهم) من بيلوس من الأرض البعيدة، وكانوا هم أنفسهم الذين وجهوا الدعوة إليّ (لألحق بهم). أما فى حومة الوغى فلم أكن تابِعاً لأحد. إن أحدا ممن يعيشون الآن على وجه الأرض لا يقوى على قتال (الفيريس)، ومع ذلك فقد كانوا يستمعون إلى رأيي ويقدرّون مشيئتي، وإنى أهيب بكما أن تستمعا إلى المشورة، فالاستماع إلى المشورة خير. أنت (يا ابن أتريوس) لا تحاول رغم مالك من مكانة سامية، أن تستولى على الفتاة، ولكن دع الأمر على ما كان عليه حين أعطاه أبناء الأخيين إياها غنيمة له. وأنت يا ابن بيلوس، لا تفكر فى مقارعة ملك، قوة فى مقابل قوة، مهما كان لك من شأن، فإن مجد الملك الذى منحه زيوس الصولجان ليس مجداً عادياً.
- ٢٧٠
- ٢٧٥
- ٢٨٠
- ٢٨٥
- وإنك رغم ما أنت عليه من شجاعة من حيث إن إلهة هى التى أنجبتك، فإنه هو الأكثر قوة طالما هو ملك على رجال أكثر عدداً. (وأنت) يا ابن أتريوس ! إنى أهيب بك أن تهدئ من ثأرتك وأن تتخلى عن غضبك على أخيلئوس لأنه سند هائل للأخيين جميعاً فى هذه الحرب المدمرة."

وهنا رد عليه أجاممنون، سيد القوم:

- "نعم ياسيدى الشيخ (الحكيم). لقد تحدثت بما فيه الحق فعلاً، ولكن هذا الرجل لا يفكر إلا فى السيطرة وفى أن يصبح سيد الجميع وأن يفرض سلطته على الآخرين، بينما أعتقد أنا أن أحداً لن يطيعه فيما يسعى إليه. وحتى إذا كانت الآلهة قد جعلته بارعاً فى القتال بالرمح، هل أعطوه بذلك الحق فى التفوه بهذه الإهانات؟"
- ٢٩٠
- وهنا قاطعه أخيلئوس، الإلهى، قائلاً:

- ٢٩٥ "ليكونن اسمى هو الجبان الذى لا قيمة له إذا رضخت لك فى كل شىء، حسبما تريد. افرض أوامرك على الآخرين إذا شئت، ولكن لا تصدر

- إلى آية أوامر، فقد عقدت العزم على ألا أطيعك بعد الآن. ثم هناك شيء، آخر أود أن أقوله لك، وعليك أن تأخذه مأخذ الجد. إنى لن أصارع فى سبيل الحصول على الفتاة، سواء أكان ذلك معك أو مع الآخرين، طالما أنك عدت فأخذت منى ما كنت قد أعطيتنى إياه فى البداية. ولكن حذار أن تأخذ شيئاً مما أملك من أشياء موجودة فى سفينتى السوداء. نعم حاول أن تجرب ذلك حتى يعلم الجميع (ماذا سيصيبك): إن دمك الأسود سيندفع ليسيل فوق رمحى على الفور".
- ٣٠٠
- ٣٠٥
- وحيث انتهى الاثنان من معركتهما اللفظية العنيفة نهضاً وفضاً الاجتماع الذى كان معقوداً إلى جوار سفن الأخيين. فأخذ ابن بيليوس طريقه إلى حيث سقيفته وسفنه الأنيقة، وقد اصطحب معه (باتروكلوس) بن مينيوتيس ورفاقه، أما ابن أتريوس فقد دفع سفينة سريعة إلى البحر واختار عشرين مجدفاً وساق إلى ظهر السفينة الحيوانات التى سيضحى بها للإله. كما أحضر خريستيس، ذات الخدود الجميلة، بينما صعد أديسيوس الواسع الحيلة^(*) إلى السفينة ليتسلم قيادها. وحين اعتلى الجميع متن السفينة أقبلوا فى مسالك البحر. أما ابن أتريوس فقد طلب إلى جميع الأخيين أن يتطهروا، فتطهر الجميع وقذفوا إلى البحر بكل ما لحق به الدنس. بعدها قدموا، قرباناً إلى (الإله) أبوللون، ذبائح كافية من الثيران والماعز على شاطئ البحر التواق^(**). وتصاعدت
- ٣١٠
- ٣١٥

(*) المعنى الدقيق للفظ اليونانية *polymetis* هو: ذو الحيل الكثيرة أو ذو الآراء المتعددة، وهو معنى قد يوحى فى العربية بتصور سئ لشخصية أديسيوس، علماً بأن المعنى المقصود يوحى بالتصور الحسن، وعلى ذلك فقد فضلت صفة: الواسع الحيلة، وهى تقدم التصور الحسن المقصود بدقة.

(**) اللفظة فى الأصل اليونانى هى صيغة المضاف إليه من صفة *atrugetos* بمعنى: الذى لم يؤت ثماراً أو حصاداً. وقد ترجمها ريو (*Rieu: Homer, the Iliad, Penguin*) بصفة: الذى لم يحصد ثماره أحد، وأجدها شديدة التقيد بالمعنى الحرفى عند هوميروس. دون أن توضح لنا شيئاً ملموساً، كذلك ترجمها هاينرخ فوس: (*H.Voss, Homer, Ilias, Goldmans Gelbe Taschenbuecher*) بمعنى: المهجور، وهنا أجد الترجمة تقترب نسبياً من الأصل اليونانى ولكنها تعارض مع الحركة والانهماك اللذين لا يبدأهما صاحباً تقديم القرايين بما فيه من ذبح عدد من الثيران والماعز ورائحة الشواء ودوامه الدخان. كذلك ترجمة مورى (*Murray: Homer, The Iliad, Loeb*) بمعنى: الذى لا يهدأ، وأجد فى هذه الترجمة تجاوزاً لا يؤدى إلى معنى يتصل بالسياق. وفى تصورى أن الشاعر يريد أن يصور جو الموقف الذى يكون فيه البحر وكأنه يشاهد الأحداث التى تقع بين أجاثون وأخيليس ولكنه لا يزال يترقب نتائجها دون أن يصل إلى معرفة ماستسفر عنه، وهو فى ذلك يشبه الحقل الذى لم يؤت حصاده أو ثماره بعد.

رائحة الشواء إلى عنان السماء في دوامة من الدخان.

انشغل الرجال في معسكرهم. ولكن أجاممنون لم يكن قد تخطى

- ٣٢٠ بعد عن نزاعه الذي كان قد بدأه بتهديد أخيلئوس. وهكذا استدعى كلا من تالشيبيوس وبوريباتيس، رسولييه ورجليه اللذين كانا يقومان على تلبية مطالبه قائلاً لهما:

"أذهب إلى سقيفة أخيلئوس بن بيلئوس واستوليا على بريسيئس ابنة

- ٣٢٥ بريسيوس، ذات الخدود الجميلة، واقتادها إلى هنا. فإذا لم يسلمها لكما، سوف أذهب بنفسى مع مجموعة أكبر وأستولى عليها، وسيكون ذلك شيئاً أسوأ".

وبعد أن فرغ من كلامه أرسلهما تحت الأوامر المشددة.

وذهب الاثنان على مضض (متخذين طريقهما) بطول شاطئ

البحر المتلاطم الأمواج حتى وصلا إلى معسكر الميرميدونيين

- ٣٣٠ وسفنهم، فوجدا أخيلئوس إلى جانب سقيفته وسفينته السوداء.

على أنه وهو فى جلسته، لم يكن سعيدا بمرآهما. وهنا انتابهما

الخوف والرهبه من الملك، فتوقفا دون أن يجترأ على أن ينبسا

بكلمة، أو على أن يلقيا عليه سؤالاً. ولكنه أدرك فى دخيلة

نفسه ما قدما من أجله فبادرهما بالحديث قائلاً:

- ٣٣٥ "مرحبا أيها الرسولين، رسولى زيوس والبشر، اقتربا. إنكما فى

نظرى لم تقترفا إثماً، ولكن أجاممنون (هو الذى فعل ذلك)، فهو الذى

أرسلكما من أجل الفتاة بريسيئس ابنة بريسيوس. ومع ذلك تعال

يا باتروكلوس، يا سليل زيوس، ولتحضر

معك الفتاة لتعطيها إياها حتى يأخذها إلى هناك. وليكن هذان

- ٣٤٠ الاثنان شاهدين (على ذلك) أمام الآلهة المباركة وأمام البشر

الفانين، بل وأمامه هو، ذلك الملك الذى لا يعرف الرحمة - إذا

حدث فى المستقبل أن كانت هناك حاجة إلى لكى أذفع الكارثة

المخزية عن المقاتلين. حقا، إنه فى سورة غضبه المدمر لا

يعرف كيف ينظر أمامه أو خلفه (ليتدبر الأمور) حتى يتمكن
 ٣٤٥ من حماية أتباعه الآخيين وهم يقاتلون بجوار السفن".

هكذا تحدث، وقد استمع باتروكلوس إلى ما قاله رفيقه
 الحبيب، فقاد بريسيثيس، ذات الخدود الجميلة، إلى خارج السفينة
 وأعطاهما إياها ليعودا إلى سفن الآخيين. فذهب الرجلان
 وذهبت معهما المرأة على غير رغبة منها، بينما انفجر
 أخيليوس باكيا وانسحب بعيدًا عن رفاقه، وجلس على شاطئ
 ٣٥٠ البحر الرمادى محملقًا فى أعماقه الزرقاء الداكنة. ثم بسط يديه
 موجها دعاءه إلى أمه الحبيبة، (ثيتيس، عروس البحر):

"أماه ! طالما أنك حملت بي حتى ولو كان ذلك لفترة قصيرة،
 فقد كان على زيوس، سيد الأوليمبوس ومطلق الرعد أن يمنحني
 قدرًا من الاعتبار. ولكنه لم يقدم لى (من ذلك) حتى النزر
 اليسير. بل لقد أساء ابن أتريوس، أجامنون ذو السلطان العريض،
 ٣٥٥ إلى شرفى. فانتزع منى غنيمتى واستولى عليها ظلمًا وعدوانًا!".

هكذا تحدثت باكيا، فسمعتة أمه العظيمة وهى جالسة فى قاع
 البحر إلى جانب أبيها الشيخ (نيريوس). وبسرعة ظهرت من
 البحر الرمادى فى هيئة ضبابية وجلست بعد ذلك مباشرة فى
 ٣٦٠ مواجهته وهو لا يزال منخرطًا فى بكائه. ثم ربتت عليه بيدها
 وقالت له وهى تدعوه باسمه:

"لماذا تبكى. يا ولدى ؟ أى أسى قد مس قلبك ؟ تحدث بصدق
 مفتوح ولا تخف عنى ما يدور بذهنك، حتى أشاطرك معرفة
 (ماتقاسيه)".

عند ذلك تحدث إليها أخيليوس سريع القدم وهو يتنهد فى
 ٣٦٥ زفرات عميقة:

"إنك تعلمين (ما أقاسيه)، فلماذا أذكر لك قصتى وأنت تعلمين كل

- شئ،. لقد ذهبنا إلى ثيبى^(*)، مدينة إيثيون المقدسة واستولينا عليها
ودمرناها وأحضرنا إلى هنا كل الغنائم فاقترسها الآخيون فيما بينهم
بالعدل، ولكنهم اختاروا لابن أتريوس، خريستيس ذات الخدود
الجميلة إلا أن خريستيس، كاهن أبوللون الذى يطلق سهامه بعيدا،
جاء إلى السفن السريعة، سفن الآخيين الذين يلبسون البرونز، ليشتري
(حرية) ابنته وقد أحضر معه فدية تفوق العد، حاملا فى يديه
إكليل الغار الخاص بأبوللون الذى يطلق سهامه بعيدا،
حول صولجان من ذهب، وتوسل إلى جميع الآخيين.
وكان أكثر توسله إلى ابني أتريوس اللذين كانا يتزعمان
الحشود. وهنا عبر بقية الآخيين عن موافقتهم بالصياح،
معربين عن احترامهم للكاهن وقبولهم للفدية القيمة. على أن
ذلك لم يلق قبول لدى أجامنون فرفضه بخشونة موجهة إليه
كلامًا باترًا. وهكذا عاد الشيخ وقد تملكه الغضب، وكان
أبوللون قد استمع إلى ابتهالاته لما كان له من معزة لديه،
فأطلق على حشود أرجوس أحد سهامه التى تجلب البلاء،
وهنا أخذ الرجال يموتون بكثرة وبسرعة. ثم انطلقت سهام الإله
فى كافة أرجاء معسكر الآخيين المتسع. وأخيرا فإن عرافًا على
علم ببواطن الأمور أعلن لنا عن نبوءة الإله الذى يطلق سهامه
بعيدا، فوفقت أنا فى التو ونصحت الآخيين أن يسترضوا الإله.
ولكن الغضب استبد على أثر ذلك بابن أتريوس فوجه إلى كلمة
تهديد تم الآن تنفيذها، فإن أبناء الآخيين ذوى العيون التى لا
تهدأ، ومعهم الفتاة فى سفينة سريعة، فى طريقهم الآن إلى
خريسى وهم يحملون القرابين للإله. أما الفتاة الأخرى، بريستيس،
فإنه جعل رسله يأخذونها من سقيفتى بعد أن كان

(*) ثيبى (Thebe) (غير طيبة Thebai) وهى مدينة تقع على حدود ميسيا Mysia فى آسيا الصغرى على بعد أميال قليلة إلى الشمال الشرقى من أدراميتيوم Adramyttium. (المحرر)

- الآخيون قد أعطوها لى. والآن. إذا كنت تملكين أية قوة فإن عليك أن
 ٣٩٥ تحمى ابنك. اذهبي إلى الأوليمبوس وابتهلى إلى زيوس
 إذا كنت (يوما ما) قد أسعدته بكلمة أو بفعل. فلطالما سمعتك
 تفخرين فى بيت أبى بأنك كنت الوحيدة بين الخالدين، التى
 أنقذت ابن كرونوس، سيد الغمام القاتم، فى ذلك اليوم حين كان
 ٤٠٠ الآخرون من ساكنى الأوليمبوس يودون أن يضعوه فى
 الأغلال: هيرا وبوسيدون وباللاس أثينة، ولكنك أتيت، أيتها
 الإلهة، وخلصتني من أغلاله حين استدعيت إلى جبل
 الأوليمبوس الشاهق، (الوحش) ذا المائة يد، الذى تسميه الآلهة
 برياريوس بينما يدعوه كل البشر أيجايون^(*) لأنه أقوى حتى من
 ٤٠٥ أبيه. لقد جلس إلى جانب ابن كرونوس متهلل فى مجده،
 فاستولى الخوف على الآلهة المباركة فلم يجرؤ أحد منهم على تقييد
 زيوس بالأغلال. أعيدى الآن ذلك إلى ذاكرته، واجلسى إلى جانبه
 وضعى يدك حول ركبتيه، على أمل أن ينقذ الطرواديين. أما
 أولئك الآخرون، الآخيون، فعلى أمل أن يدفع بهم إلى مؤخرات
 ٤١٠ سفنهم بينما يحاصرهم البحر (من كل جانب) ثم يُعمل فيهم
 القتل حتى يحصدوا نتيجة انصياعهم لملكهم، وحتى يدرك
 ابن أتريوس، أجاممنون ذو السلطان العريض، مدى انعدام بصيرته
 حين لم يقدم لمن هو أفضل الآخيين ذرة مما يستحقه من تشريف".
 وهنا أجابته ثيتيس وهى تذرف الدموع:
 ٤١٥ "ياالحظى العائر! ولداه! أمن أجل هذا (الوضع المحزن) كانت
 تنشئ،تى إياك. لقد أصابك سوء الطالع وأنا حامل بك. لكم تمنيت أن
 يتركوك وشأنك بجانب السفن دون دموع أو أسى، ولكن قدرك هو
 الموت السريع والتعاسة أكثر من كل البشر. هل حملت

(*) أحد الوحوش الذين كان لكل منها مائة يد hecatoncheires والذين أنجبتهم الأرض من السماء ورعتهم ثيتيس Thetis عروس البحر لتدافع بهم عن زيوس ضد مكائد عدد من الآلهة، وقد ساعدوا زيوس فى صراعه مع العمالقة.

- بك في قاعات بيتنا من أجل هذه النهاية الحزينة؟ ومع ذلك
فلكى أذكر ما طلبت إلى أن أذكره لزيوس المتمتع بإطلاق
الرعود فسوف أذهب بنفسى إلى الأوليمبوس الذى تغطيه
٤٢٠ الثلوج على أمل أن ينصت إليّ. ولكنى أهاب بك أن تبقى إلى
جانب سفنك السريعة التى تجوب البحار، ولتستمر فى عضبك
الشديد على الآخيين ولتمسك تماما عن المشاركة فى المعركة،
لأن زيوس قد ذهب بالأمس إلى النهر المحيط (بالأرض) (*)
٤٢٥ ليشارك فى مأدبة مع الإثيوبيين الشرفاء، وقد تبعه فى ذلك كل
الآلهة. ولكنه سيعود بعد اثنى عشر يوما إلى الأوليمبوس،
وحينئذ سأذهب إلى بيته ذى العتبة البرونزية وسوف احتضن
ركبته بين يدي وأنا ابتهل إليه. وإنى أعتقد أنه سيستمع إلى دعائى".
وعندما انتهت من حديثها ذهبت فى طريقها تاركة أخيليوس
٤٣٠ وقد ملأ الحنق قلبه من أجل المرأة ذات النطاق الجميل، التى
أخذوها منه رغما عنه. فى أثناء ذلك كان أوديسيوس ورجاله
قد وصلوا إلى خريسي ومعهم أضاحى القربان المقدس. وعندما
وجدوا أنفسهم فى مياه الميناء العميقة لفوا الشراع ووضعوه فى
السفينة السوداء ثم جذبوا الصارى إلى أسفل من الحبلين اللذين
٤٣٥ يصلان بين رأسه وبين مقدم السفينة حتى استقر على دعامته.
بعد ذلك جذفوا بالسفينة بسرعة حتى وصلوا إلى المرسى ثم
قذفوا بحجارة الإرساء (***) (فى العمق) وثبتوا حبال مؤخرة
السفينة وذهبوا إلى شاطئ البحر، فأنزلوا أضاحى القربان
المقدم إلى أبوللون الذى يطلق سهامه بعيدا، بينما نزلت ابنة
خريسيس كذلك من السفينة التى تجوب البحار. بعد ذلك قادها

(*) اللفظة المستخدمة فى الأصل هى Okeanos . وكان اليونان القدماء يعتقدون أنه فمر يحيط بالعالم تقيم عند روافده مجموعة من القبائل والشعوب.

(**) "حجارة الإرساء" eunai هى مجموعة من الحجارة كانت تربط فى نهاية حبل (أو مجموعة من الحبال)، مثبتة بالسفينة، ثم تلقى هذه الأحجار فى الماء حتى لا تتحرك السفينة من مكانها.

أوديسيوس الواسع الحيلة إلى المذبح حيث سلمها إلى أبيها
الحبيب مخاطبا إياه:

"أى خريسيس، إن أجاممنون، ملك الرجال، قد أرسلنى لأعيد إليك
ابنتك ولأقدم إلى فوبيوس (أبوللون) باسم الدانائيين قربانا مقدسا حتى
نستطيع بذلك أن نسترضى (الإله) السيد، الذى جلب على أهل
أرجوس حتى الآن كثيرا من المأسى".

٤٤٥

ولم يلبث، بعد أن قال ذلك، أن قدم الفتاة إلى أبيها الذى تلقاها
بفرحة كبيرة. أما مرافقوه فقد أسرعوا بصف أصحابى القربان
المقدس المقدم للإله حول المذبح الجيد البناء، ثم غسلوا أيديهم
وأخذوا حبوب الشعير المعدة لهذا الطقس. وهنا رفع خريسيس
يديه وصلى من أجلهم بصوت مرتفع:

٤٥٠

"استمع إلىّ (فى دعائى) يا صاحب القوس الفضى، يا حامى (مدينتى)
خريسى وكيللا المقدسة، أيها السيد الأعلى لتينيدوس ! إنى
أهيب بك: كما استمعت إلى ابتهالاتى من قبل فأنصفتنى وضربت
على أيدى الآخيين، فإنى أبتهل إليك الآن أن تحقق مطلبى فترفع
عن الدانائيين هذا الطاعون الممقوت".

٤٥٥

هكذا تحدث فى صلاته، وقد استمع فوبيوس أبوللون إلى
دعائه. وحين فرغ الجميع من صلاتهم نثروا الشعير المقدس
وبدأوا بدفع رءوس الأضاحى إلى الخلف ثم حزوا رقابها

٤٦٠

وسلخواها. بعد ذلك قطعوا الأفخاذ ولفوها بطبقة مزدوجة من
(رقائق) الدهن ثم وضعوا فوقها قطعاً من اللحم النيئ وقد قام
الشيخ بشيها على (وقود) من حزم الخشب بعد أن سكب عليها
خمرا أشعلت أسنة اللهب، بينما اصطف حوله الشباب وهم
يحملون شوكات خمسة الأصابع. وحين فرغوا من شئى الأفخاذ
تماما وتذوقوها من الداخل، قطعوا بقية

٤٦٥

أجزاء الذبائح وأدخلوا فيها الأسياخ وقاموا بشيها بعناية ثم

- نزعوها من أسياخها. وبعد أن فرغوا من مهمتهم وأعدوا
 الوليمة أقبلوا على احتفالهم بشهية مفتوحة وتمتعوا بالوليمة
 جميعاً على السواء. ثم بعد أن أخذوا حظهم من الطعام
 ٤٧٠ والشراب، ملأ الشباب الكؤوس حتى حوافها بالخمير (المقدسة)
 وأداروها على الجميع بعد أن سكبوا من كل كأس قطرات للمباركة.
 بعد ذلك قضوا اليوم كله وهم يحاولون استرضاء الإله (أبوللون)
 بترانيم الشكر بينما كان فتیان الأخيين يقدمون الأناشيد للإله الذى
 يطلق سهامه بعيداً.. وقد سعد (أبوللون) وهو يستمع إليهم.
- ٤٧٥ وعندما غابت الشمس وحل الظلام استلقى الجميع للراحة
 عند حبال مؤخرة السفينة. وحين بدت بشائر الفجر (أيوس) ذى
 الأصابع الوردية ألقوا ماضين إلى المعسكر الكبير للأخيين، بينما
 أرسل لهم أبوللون، الذى يعمل بعيداً، ريحاً مواتيية، فرفعوا الصارى
 ٤٨٠ ثم نشروا الشراع الأبيض فملأت الريح بطن الشراع وارتفع
 صخب الموجة الداكنة(*) عند مقدمة السفينة التى كانت تمضى
 مسرعة فوق الموج. ولما وصلوا إلى معسكر الأخيين
 ٤٨٥ المتسع سحبوا السفينة السوداء على الشاطئ فوق الرمال المرتفعة
 ووضعوا السنادات الطويلة تحتها ثم تناثروا بين الخيام والسفن.
 على أن الابن الذى حملت به الإلهة من بيليوس، أخيليوس سريع
 القدم بقى إلى جانب سفنه السريعة وهو يلوك غضبه الشديد،
 ٤٩٠ فلم يذهب إلى الاجتماعات حيث تتحقق الشهرة للرجال، كما لم
 يشارك فى المعركة وإنما أسلم نفسه للضياح ببقائه حيث كان،
 بينما كان (فى داخله) يتوق إلى صيحة الحرب والمعركة.
- ٤٩٥ وحين أنبلج صباح اليوم الثانى عشر بعد ذلك، عاد الآلهة
 الخالدون إلى الأوليمبوس، وكان زيوس يقود الطريق. ولم

(*) لفظه porphyreos تعنى عند الكتاب الذين جاءوا بعد عصر هوميروس، اللون الأرجوانى أو اللون الأحمر القانى. ولكنها فى شعر هوميروس لا تشير إلى أكثر من معنى: الداكن.

- تكن ثيتيس قد نسيت مطلب ابنها، فظهرت من بين أمواج البحر،
ثم صعدت فى الصباح الباكر إلى السماء العريضة ووصلت
إلى الأوليمبوس. وهناك وجدت ابن كرونوس الذى يمتد
بصره إلى الآفاق بينما كان يجلس وحده بعيدا عن الآخرين على
القمة العليا من الأوليمبوس المتعدد القمم. وهكذا جلست أمامه
وأمسكت بركبتيه بيدها اليسرى ووضعت يدها اليمنى تحت ذقنه
٥٠٠ ثم تحدثت بابتهاال إلى سيد الكون، زيوس بن كرونوس:
"أبانا زيوس ! إذا كنت، من بين الخالدين، قد ساعدتك يوماً بالكلمة
أو بالفعل، فلتستمع إلى هذا الدعاء: أسألك أن ترد الاعتبار لابنى
الذى سيكون قدره أن يلقى الموت أسرع من أقرانه. ذلك أن
٥٠٥ أجاممنون، سيد الرجال، قد وجه إليه إهانة بالاستيلاء على
غنيمته واستبقائها لديه ظلماً وعدواناً. إنى أهيب بك أن ترد إليه
شرفه (المسلوب)، أى زيوس، صاحب التدبير فوق
٥١٠ الأوليمبوس، امنح الطروديين القوة إلى أن يرد الأخيون إلى
ابنى الاعتبار الواجب، وعوضه تعويضاً كبيراً".
- هكذا تحدثت، ولكن زيوس، جامع السحب، لم يرد عليها
بكلمة واحدة، وإنما أخذ فى جلسته إلى صمت طويل. على أن
ثيتيس التى كانت ممسكة بركبتيه ظلت على ما هى عليه واقتربت
منه أكثر وطلبت إليه ثانية:
- ٥١٥ "عدنى مخلصاً بهذا الأمر بأن تومئ برأسك،
وإلا فافرض ما طلبته إليك، فإنك لن تخشى بذلك شيئاً سوى أنى
سأعرف أنى أشغل أقل موقع بين الآلهة".
- وهنا قال لها زيوس، جامع السحب، وقد ظهر عليه القلق،
"إن هذا سيكون عملاً يدعو إلى الأسى، لأنك تجعليننى بذلك أقدم
على صراع مع الإلهة هيرا التى سوف تثير غضبى بألفاظها
٥٢٠ الجارحة فإنها، حتى فى الوقت الراهن وأمام الآلهة الخالدة تصب

على جام غضبها معلنة أنى أقدم المساعدة للطرواديين فى
 المعركة. ومع ذلك فلتغادري المكان الآن حتى لا تلحظ هيرا أى
 شىء، وسوف أدبر الأمر حتى أحقق ما ترغيبين. هلمى الآن،
 وسوف أومئ برأسى من أجلك حتى تكونى على ثقة من ذلك،
 فهذه من جانبى هى إشارة الوعد المؤكد بين الخالدين،
 ٥٢٥ إذ ليست هناك كلمة أرجع عنها أو كلمة مخادعة أو
 كلمة لا أحققها طالما أمأت برأسى".

٥٣٠ هكذا تحدث ابن كرونوس خافضا حاجبه الداكن (الشعر)
 علامة على الموافقة فتموجت إلى الأمام خصلات السيد فوق رأسه
 الخالد، واهتز الأوليمبوس العظيم^(*).

ثم افترق الاثنان بعد أن تبادلوا الرأى على هذا النحو. أما
 هى فقد ففرت على الفور من الأوليمبوس الساطع إلى أعماق
 البحر (القائمة)، وأما زيوس فقد ذهب إلى مقره الخاص. وهنا
 ٥٣٥ نهض الآلهة جميعا من مقاعدهم قبل أن يطل عليهم وجه أبيهم،
 لم يجرؤ أحد منهم على (أن يظل جالسا فى) انتظار مجيئه،
 ولكنهم نهضوا جميعا ليكونوا فى استقباله. وهكذا جلس هناك على
 عرشه. ولكن هيرا كانت قد لمحت ما حدث ولم يفتها أن تبتيس
 ذات الأقدام الفضية، ابنة شيخ البحر، كانت تتبادل
 معه المشورة الحميمة، فوجهت حديثها على الفور إلى زيوس بن
 ٥٤٠ كرونوس وهى تقول فى كلمات ساخرة:

"من هى من بين الآلهة، أيها المخادع الكبير، تلك التى كانت تبادل
 المشورة الحميمة. إنك تفعل دائما ما يروق لك من خلف ظهري ثم

(*) يبدو أن هذه الأبيات كانت فى ذهن ميلتون وهو يقول فى "الفردوس المفقود" (الكتاب الثانى، ٣٥١-٣٥٣).

So was His will

Pronounced among the gods, and by an oath

That shook Heaven's whole circumference confirmed.

"هكذا كانت مشيئته المعلنة فى حضرة الآلهة وبالقسم تأكدت حيث ارتجت لها أركان السماء".
 وقارن "الإبيادة" لفرجيليوس (الكتاب التاسع ١٠٦)، وكاتوليلوس (٦٤، ٢٠٤، ٢٠٦). (المحرر)

تصدر أحكامك التى فكرت فيها فى الخفاء، ولم تحاول مرة واحدة أن تطلعننى على الأمر الذى تنتويه".

٥٤٥

وهنا أجابها أبو البشر والآلهة:

"أى هيرا ! لا تؤملى إطلاقاً فى أن تعرفى كل ما أقرره، فإن ذلك سوف يكلفك من أمرك عسراً، حتى ولو كنت زوجتى. إن ما أجد من الملائم أن تسمعيه لن يعرفه قبلك أحد من الآلهة أو البشر، ولكنى حين أفكر فى أن أقدم على أمر دون أن أرجع فيه إلى الآلهة، فليس لك أن تسألينى عنه بالمرّة!".

٥٥٠

وهنا ردت عليه هيرا ذات العيون الواسعة (كالمها) (*)

والسمت العظيم:

"أى ابن كرونوس، يامن يرهبه الجميع ! ما هذا الذى تقوله ؟

٥٥٥

حقاً إنى لم أكن أعمد فى الماضى إلى أن أسألك أو استقصى منك عن شىء، ولكنك كنت تدبر ما تشاء كما تشاء. على أن الخوف ينتابنى الآن أن تكون ثيتيس ذات الأقدام الفضية، ابنة شيخ البحر، قد ضللتك بخداعها، فقد كانت تجلس إلى جوارك عند تباشير الفجر وتضم ركبتيك بين يديها. وأعتقد أنك أومأت برأسك لها فى إشارة واضحة إلى أنك سترد إلى أخيلوس اعتباره و سوف تتسبب فى موت الكثيرين بجوار سفن الأخيين".

٥٦٠

ولكن زيوس، جامع السحب، رد عليها قائلاً:

"أيتها السيدة الإلهية البائسة (**)، إن أحوالك لغريبة حقاً، فأنت

تتخيلين الأشياء تخيلاً، ولا تفتأين تلاحقيننى (بسبب ما يجول فى خيالك)، ولكنك لن تستطيعى أن تحققي بذلك شيئاً إلا أن تتردى بعداً عن قلبى، وسيكون هذا أسوأ ما تجنيه يدك. وإذا كان هذا الأمر

(*) الكلمة اليونانية المستخدمة boopis تعنى "عيون البقرة" أو "عيون المها" وهو ما يذكرنا بالديانات الأقدم مثل الديانة المصرية التى كانت فيها الآلهة تتخذ أشكالاً من مختلف الحيوانات والطيور. (الحرر)
(**) لفظة daimonié تعنى فى الأصل أيتها النصفة بالصفة الإلهية، ولكن استخدامها هنا يشير (كما هو واضح) إلى شىء، من الازدراء وتقليل الشأن.

٥٦٥ (الذى ذكرته) كما تقولين فإن هذا من شأنى (وحدى). أما الآن فلتجلسى ولتصغى إلى ما أقوله، وإلا فإن أيا من الآلهة الذين يقطنون الأوليمبوس لن ينفحك إذا أطبقت عليك بيدي اللتين لا يستطيع أحد أن يقاومهما".

هكذا تحدث، وعندها استبد الفرع بالإلهة هيرا ذات العيون الواسعة والسمت العظيم فجلست فى صمت متحكمة فيما يجيش به صدرها. هنا خيم جو الابتئاس على الآلهة السماويين فى أرجاء مقر زيوس، وكان أول من تحدث بينهم هو هيفايستوس، إله الصناعة الشهير، مسانداً أمه هيرا ذات الذراع الأبيض.

"حقاً إنه سيكون أمراً مؤسفاً ولا يمكن احتمالاه بعد الآن، إذا كنتما أنتما الاثنان ستظلان على تشاحنكما من أجل (البشر) الفانين وتثيران الفتنة بذلك بين الآلهة، إذ لن يكون هناك ابتهاج على أى نحو فى الاحتفال طالما كان الذى يسوده هو أسوأ الأجواء. إنى لأشير على أمى. رغم كل ما تتحلى به من حكمة، أن تسترضى أبانا الحبيب حتى لا يوبخها مرة أخرى ويشبع بذلك جو القلق والارتباك فى احتفالنا. إذ لو شاء رب

٥٨٠ الأوليمبوس، سيد البرق والصواعق، لعصف بنا من فوق مقاعدنا، فهو الأقوى بين الجميع. إنى أهيب بك (يا أماه) أن تحدثيه حديثاً لينا حتى يغمرنا رب الأوليمبوس بسماحة نفسه".

وما أن قال ذلك حتى أسرع فوضع الكأس ذات المقبضين

٥٨٥ فى يد أمه الحبيبة مخاطباً إياها:

"هونى عليك يا أماه وتحملى أساك من أجل الجميع، فأنت عزيزة على ولا أود لعينى أن ترياك وقد نزل بك العقاب. لأنه لن يكون فى مقدورى آنذاك أن أمد لك يد الغوث رغم كل ما سوف يصيبنى من حزن، فإن رب الأوليمبوس خصم عنيد إذا وقف فى طريقه أحد.

٥٩٠

نعم ! ففي مرة سابقة، حين كنت أحاول الدفاع عنك، أمسكني من قدمي وقذف بي من عتبة السماء فاندفعت في الفراغ يوماً بأكمله قبل أن أسقط عند غروب الشمس في ليمنوس^(*) بعد أن كدت أفارق الحياة، حيث أسرع السنينيتيون برعايتي".

٥٩٥

هكذا تحدثت فابتسمت هيرا الإلهة ذات الذراع الأبيض وهى تأخذ الكأس من يد ابنها، ثم أخذ يصب النيكثار لكل الآلهة من اليسار إلى اليمين، أخذاً إياه من طاس الرحيق الحلو الإلهي. وقد ضج الآلهة بالضحك وهم يرون هيفايستوس يلهث في أرجاء (بهو) القصر.

٦٠٠

هكذا احتفل الآلهة طوال اليوم حتى غروب الشمس بقلوب مفعمة كلها بالمتعة التى لم ينتقص منها شىء، سواء من الوليمة أو من موسيقى الربابة^(**) الجميلة التى كان يحملها أبوللون أو من الغناء الذى كانت تتبادله ربات الفنون (الموساى)^(***) بأصوات عذبة.

٦٠٥

ولكن حين غرب قنديل الشمس المنير، ذهب كل منهم إلى حيث يقيم ليأخذوا قسطاً من الراحة، إذ كان الإله هيفايستوس ذو الذراعين القويتين قد بنى بمهارة فائقة قصرًا لكل منهم. أما زيوس، رب الأوليمبوس وسيد البرق، فقد اتجه إلى مخدعه

(*) ذكرت جزيرة ليمنوس في "الأوديسية" (الكتاب الثامن ٢٨٤) وقارن أوفيدوس (الأعياد) الكتاب الثالث ٨٠) وأعاد ميلتون صياغة هذه الفقرة في "الفردوس المفقود" (الكتاب الأول ٧٤٠ وما يليه). (الخر).

(**) اللفظة في الأصل هي phormynx وترجم أحياناً بالقيثارة. ولكني آثرت ترجمتها بالربابة لأنها كانت أولى الآلات الوترية (البداية بالضرورة) التي استخدمها اليونان في العصر المبكر وكانت تحمل باليد. أما القيثارة kithara بالتحديد فقد وجدت عند اليونان وكانت آلة مثقلة الشكل ذات سبعة أوتار وتوضع واقفة على الأرض.

(***) يناجي هوميروس ربة الشعر موسا أو ربات الشعر موساى. وفي العصر الهيلينستي أصبح عدد ربات الفنون تسعة لكل منها فن بعينه ترعاه. أنجبهن زيوس كبير الآلهة من عشيقته منيموسى إلهة الذاكرة: أورانيا (Ourania) ربة الفلك، وكليو (Klio) ربة التاريخ، يوتروبي (Euterpe) ربة الموسيقى، تيربسيخورى (Terpsichore) ربة الرقص، ملبوميني (Melpomene) ربة التراجيديا، إيراتو (Erato) ربة شعر الحب والبكائيات والمرائي، بوليهمنيا (Polyhymnia) ربة الشعر الغنائي، كاليوبي (Kalliope) ربة الشعر الحماسي أى الملحمي، وثاليا (Thalia) ربة الكوميديا ولا تختلف بالموساى كثيراً عن الخوريات أو عرائس البحر والغابات... إلخ، واتخذن صورة البشر واتصفن بالحكمة والإمام بكافة القصص وإلهام من يخترنه لروايتها وإلهام الشعراء بما ينظمون من شعر وهكذا أصبحن راعيات لفروع الفنون والأداب وسادت عبادتهن في أماكن كثيرة خاصة في منطقة بيريا قرب جبل الهليكون والأوليمبوس. (الخر)

- ٦١٠ حيث كان يأخذ راحته دائما حين يراوده (خَدَرَ) النوم اللذيذ، ثم
٦١١ صعد إليه، وإلى جواره كانت هيرا ذات العرش الذهبى.

الكتاب الثاني



ترجمة لطفى عبد الوهاب يعقوب

- هجع الآلهة والرجال المزودون بالخيل^(*). جميعا طوال الليل، إلا أن زيوس لم يخلد إلى النوم العميق، لأنه كان يتدبر الطريقة التي يرد بها إلى أخيليوس اعتباره، وهي التي سوف يسقط من جرأتها كثير من الآخيين صرعى بجوار سفنهم وقد بدا له أن خير طريقة هي أن يرسل إلى أجامنون بن أتريوس حلما مدمراً يجلب عليه الهلاك. وهكذا تحدث مخاطباً الإله الحلم (أونيروس) بكلمات مجنحة.
- ٥ "قم يا إله الحلم (أونيروس) المدمر واذهب إلى سفن الآخيين السريعة، وحين تصل إلى خيمة أجامنون بن أتريوس، أعد عليه كل كلامي كما كلفتك به دون تغيير. اطلب إليه أن يسلم رجاله الآخيين ذوى الشعور الطويلة بسرعة فائقة، ففى مقدوره الآن أن يستولى على مدينة الطرواديين ذات الطرق العريضة، إذ إن الآلهة الخالدين الذين يتخذون مساكنهم فوق الأوليمبوس لم يعد ثمة خلاف بينهم فى
- ١٠ الرأى، بعد أن حزموا أمرهم بفضل توصلات (الإلهة) هيرا إليهم، وهكذا باتت نذر الويل تخيم على الطرواديين".
- ١٥ هكذا تحدث زيوس، وعندما استمع إله الحلم (أونيروس) إلى ذلك لم يتوان فى الوصول إلى حيث سفن الآخيين السريعة، وشق طريقه إلى أجامنون بن أتريوس فوجده فى خيمته مستغرقاً فى نوم إلهى. وهنا اتخذ موقفه عند رأسه فى هيئة ابن نيلبوس، نيبستور، الذى كان أجامنون يكن له من الاحترام أكثر مما كان يكن لأى من الكبار الآخيين، واضعاً ياه فى منزلة مساوية لمنزلته. ثم تحدث إله الحلم (أونيروس):
- ٢٠

(*) هذه هى الترجمة الحرفية للفظة الأصلية: hippokorystai وقد آثر فرى أن يترجمها: سادة المعجلات الحربية، وهى ترجمة لها قيمتها، إذ إن العجلة الحربية كانت هى الأداة الحربية المهمة بين اليونان آنذاك. ومع ذلك فالالتزام الحرفى هنا يتضمن كذلك معنى المعجلات الحربية التى كانت تجرها الخيول بالضرورة.

- "إنك تخذل إلى النوم يا ابن أتريوس ذى الفكر الصائب
 ٢٥ ومروض الخيول. ولكن النوم طوال الليل ليس من شيم
 حامل مسئولية الرأى (الفاصل)، فإليه يُرجع فى أمر المقاتلين،
 وعلى كاهله تقع تبعات كبار. والآن، فلتُصنغ إلى دون إبطاء
 لأنى رسول زيوس إليك، فهو، رغم ما يفصل بينكما من
 مسافات شاسعة، إلا أنه يوليك اهتماماً كبيراً كما أنه يُشفق
 عليك. إنه يطلب إليك أن تسلمح الآخيين ذوى الشعور الطويلة
 ٣٠ بسرعة فائقة، ففى مقدورك الآن أن تستولى على مدينة
 الطرواديين ذات الطرق العريضة، إذ إن الآلهة الخالدين الذين
 يتخذون مساكنهم فوق الأوليمبوس لم يعد ثمة
 بينهم خلاف فى الرأى بعد أن حزموا أمرهم بفضل
 توسلات هيرا إليهم. وهكذا باتت نذر الويل تخيم
 على الطرواديين بمشيئة زيوس. والآن، لتحتفظ بهذا فى
 صدرك ولا تُسلم نفسك إلى النسيان حين تفتيق من نومك الذى
 ٣٥ له مذاق العسل".
- هكذا تحدث أونيروس (الحلم) إلى أجاممنون، ثم عاد
 تاركاً إياه يقلب الرأى ملياً فى أمور لم يكن مقدراً لها أن
 تتحقق، بعد أن اعتقد حقاً أنه سيستولى على مدينة برياموس
 فى اليوم ذاته. ألا ما كان أحمقه ! إنه لم يكن يدرى ما كان
 ٤٠ يدبره زيوس من أمور وما كان ينتوى أن يسوق إلى
 الطرواديين والدانائيين على السواء من الولايات والأئين من
 خلال قتالهم الشرس. ثم أفاق (أجاممنون) من سباته بينما كان
 الصوت الإلهى لا يزال يطن فى أذنيه، فجلس وقد انتصب
 ظهره ولبس قميصه اللين الجديد وقد لف فوقه عباءته
 العظيمة وفى أقدامه الناصعة ربط خفه الأنيق. ثم وضع حول
 ٤٥ كتفيه سيفه (ذا المقبض) المرصع بالأزرار الفضية وأمسك

سيف آبائه الخالد، وأخذ طريقه بمحاذاة سفن الأخيين ذوى الدروع البرونزية.

والآن سعدت إلهة الفجر إيوس إلى جبل الأوليمبوس فى عليائه لتعلن بزوغ الضياء إلى زيوس وبقية (الآلهة) الخالدين.

- ٥٠ وهنا طلب (أجاممنون) إلى المنادين ذوى الأصوات النقية الرنانة أن يدعوا الأخيين ذوى الشعور الطويلة إلى ساحة الاجتماع، فبلغوا الدعوة واجتمع الرجال على جناح السرعة. وقد بدأ (أجاممنون) بالشيوخ من ذوى الرأى فجعلهم يجلسون إلى جوار سفينة الملك نيستور الذى ينحدر من مدينة بيلوس وكان حين دعاهم إلى الاجتماع قد دبر فكرة مأكرة، وقال:

"أنصتوا إلى أيها الأصدقاء ! لقد جاءنى أونيروس،

فيما يرى النائم، حلم من السماء فى أثناء الليل مضمخ بعطر الآلهة. وكان أقرب ما يكون من نيستور، شبيه الإله، سواء فى هيئته أو فى قوامه أو فى بنيته واتخذ موقفه عند رأسى وحدثنى

- ٦٠ قائلاً: إنك تخذل إلى النوم يا ابن أتريوس ذى الفكر الصائب، ومروض الخيول. ولكن النوم طوال الليل ليس من شيم حامل مسئولية الرأى (الفاصل) بين الرجال، فإليه يُرجع فى أمر المقاتلين، وعلى كاهله تقع تبعات كبار. والآن فلتصغ إلى دون إبطاء لأنى رسول زيوس إليك، فهو، رغم ما يفصل بينكما من مسافات شاسعة، إلا أنه يوليك اهتماماً كبيراً. كما

- ٦٥ أنه يشفق عليك. إنه يطلب إليك أن تسلمح الأخيين ذوى الشعور الطويلة بسرعة فائقة، فى مقدورك الآن أن تستولى على المدينة ذات الطرق العريضة التى يقطنها الطرواديون، إذ إن

(الآلهة) الخالدين الذين يتخذون مساكنهم فوق الأوليمبوس لم يعد ثمة خلاف بينهم فى الرأى بعد أن عزموا أمرهم بفضل توسلات هيرا إليهم،

- وهكذا باتت نذر الويل تخيم على الطرواديين بمشيئة زيوس.
- ٧٠ والآن، لتحفظ هذا فى صدرك ولا تسلم نفسك إلى النسيان حين تفيق من نومك اللذيذ^(*). هكذا تحدث (أونيروس) الحلم ثم طار بعيداً، بينما تركنى النوم العميق. هلموا الآن ولنحاول بأية وسيلة أن نسلح أبناء الآخيين، ولكنى قبل ذلك سأحدث إليهم حسبما تقضى التقاليد. وسأحاول أن أطلب إليهم الفرار بسفنهم ذات المجاديف الكثيرة^(**). أما أنتم فحاولوا أن تحدثوهم وأن تحثوهم بكافة الطرق على البقاء.
- ٧٥ ثم جلس (أجاممنون) بعد أن فرغ من حديثه، فنهض من بينهم نيبستور ملك بيلوس ذات الأراضى الرملية ووجهه إلى جمعهم حديثاً نابعا من القلب:
- "أيها الأصدقاء من زعماء وأمراء الأرجيين! ^(***) لو كان الذى قص علينا هذا الحلم شخصاً آخر من بين الآخيين لا اعتبرنا ما قال أمرا زائفاً ولم نلق إليه بالاً. ولكن طالما أن الذى رآه فى منامه هو أعظم وأنبل الآخيين، فلنقدم إذن ولنسلح أبناء الآخيين بكل الوسائل".
- ٨٠ هكذا تحدث ثم قاد الطريق خارجاً من المجلس، فوقف الملوك ذوو الصولجانات وقد اقتنعوا بما ذكره لهم راعى الجموع، بينما تسارعت حشود الرجال، تماماً كما يحدث عندما تخرج أسراب النحل من شقوق الأحجار الغائرة هنا وهناك، متدافعة فى طيرانها فى مجموعة تلو الأخرى نحو أزهار
- ٨٥

(*) التكرار سمة هومرية وتعيد هذه الفقرة رواية الحلم - الرسالة الإلهية - للمرة الثالثة (راجع أبيات ٢٣-٣٤) ولذلك قيل إن زيودوتوس Zenodotos قد كشف هذه الفقرة إلى بيتين فقط ويفعل بعض المترجمين المحدثين نفس الشيء، ولكننا رأينا أن تتبع النص كما جاء فى طبعة أكسفورد. (المحرر).

(**) لفظة polykleisi فى الأصل اليونانى تعنى: ذات مقاعد المحدثين الكثيرة. وقد ترجمها قرى بتعبير: ذات المقاعد الكثيرة، وترجمها فوس: ذات المجاديف الكثيرة. ورغم أن الترجمة الأولى أقرب حرفياً للأصل، إلا أن الترجمة الثانية أقرب فى رأيى إلى السياق الذى يقدمه الشاعر، فالشاعر هنا يتحدث عن "فرار" الآخيين بسفنهم، وكثرة المجاديف توحى بالسرعة التى تلازم معنى الفرار. ولذلك تبيت هذه الترجمة الأخيرة.

(***) تستخدم كلمة "الأرجيون" عند هوميروس للدلالة على الإغريق جميعاً، وليس فقط أهل أرجوس. (المحرر).

- ٩٠ الربيع، تارة هنا وتارة هناك. هكذا تدفق الرجال من السفن والخيام المقابلة للشاطئ المنخفض متقدمين في فصائلهم العديدة إلى ساحة الاجتماع على شاطئ البحر العريض، وقد انتشرت بين جموعهم أوساً "الشائعة الإلهية" مرسله من زيوس. كما تنتشر النار (في الهشيم) وهي تحتمهم على الذهاب (إلى المعركة) - حتى التأم شملهم جميعاً. وكانت الجموع تضطرب بالحياة والأرض تنن تحتهم والطين يعلو، بينما كان تسعة من المنادين يحاولون بأصواتهم المرتفعة أن يعيدوهم إلى الهدوء حتى يخف صخبهم ويلقوا السمع إلى ملوكهم الذين شبوا على يدى زيوس. وفي النهاية تم بالكاد التوصل بهم إلى الجلوس فى أماكنهم بعد أن تخلوا عن ضجيجهم.
- ٩٥ وهنا نهض فى وسطهم أجاممنون السيد، حاملاً فى يده الصولجان الذى بذل هيفايستوس جهداً كبيراً فى صناعته. وكان هيفايستوس قد قدمه إلى زيوس بن كرونوس ثم قدمه هرميس إلى بيلوبس سائق الخيل وقدمه بيلوبس بدوره إلى أتريوس راعى الشعب، وتركه أتريوس لدى موته إلى ثيستيس صاحب قطعان الغنم الثرى، ثم تركه ثيستيس بدوره إلى أجاممنون حتى يكون بذلك سيدياً على جزر كثيرة وعلى كل أرجوس. اتكأ أجاممنون عليه وألقى كلمته بين جموع الأرجيين:
- ١٠٠ "أصدقائى، أيها الأبطال الدانائيون المحاربون^(*) سدة آريس. إن زيوس العظيم ابن كرونوس قد أوقعنى فى مأزق من سوء تقدير الأمور أضيق به كثيراً. إن هذا الإله القاسى قد وعدنى من قبل، وأوماً تأكيداً لوعده، بأنى لن

(*) فى الأصل therapontes Areos أى القائمون على خدمة آريس، إله الحرب، وهى تسمية أطلقها الشاعر على المحاربين.

- أعود إلى أرض الوطن قبل أن أكون قد أسقطت إليون
 ذات الأسوار المنيعة. ولكنه (على ما يبدو) قد
 ١١٥ خطط الآن لخداع قاسٍ. فهو يطلب إليّ أن أعود بلا مجد إلى
 أرجوس، بعد أن أكون قد فقدت أعدادًا كبيرة من الرجال. هذه
 فيما أظن مشيئة زيوس القدير الذى أحنى من قبل رؤوس مدن عديدة
 ١٢٠ وسوف يُحنى بعدُ رءوس مدن أخرى، فإن قدرته هى الأعلى.
 إنه لمن العار أن يقع على مسامع ذريتنا أن حشدًا من الآخيين
 الطيبين يمثل هذه العظمة قد حارب دون أن يحصل على
 غنيمة، وأنه قاتل رجالاً أقل منه عددًا دون أن تظهر حتى الآن
 أية نتيجة لذلك. لأنه لو أننا أردنا، آخيين وطرواديين، أن
 ١٢٥ نُقسم يمينا مقدسة وأردنا أن يحصى كل من الطرفين
 أعدادهم، ولو أن الطرواديين جمعوا معًا كل من يقيمون
 بمدينتهم وقسمنا نحن الآخيين أنفسنا إلى جماعات تضم كل
 منها عشرة أفراد، ثم اختارت كل جماعة منا رجلا من
 الطرواديين ليصب نبيذها، فإن عددًا كبيرًا من هذه الجماعات
 ١٣٠ لن يجد من يصب لهم نبيذهم - إلى هذا الحد يتفوق أبناء
 الآخيين فى العدد على الطرواديين الذين يقطنون بالمدينة^(*).
 على أن لهؤلاء حلفاء من مدن أخرى كثيرة، وهم رجال
 يجيدون استخدام الحراب ويقفون فى مواجهتى ويحولون دون
 أن أسقط مدينة إليون الحصينة الأهلة بالسكان. لقد مرت حتى الآن تسع
 من سنوات زيوس العظيم لقد تهرأ خشب سفننا بينما تراخت حبال
 ١٣٥ الأشرعة والصواري، وأحسب أن نساءنا وأولادنا الصغار
 ينتظروننا فى قاعات بيوتنا، ومع ذلك فإن مهمتنا التى جاءت
 بنا إلى هنا قد بقيت دون أن تتحقق على الإطلاق. وإذن

(*) يقدر بعض الدارمين المحدثين عدد الإغريق المحاربين حول طروادة بـ ١٢٠.٠٠٠ فإذا أخذنا بما يقوله هومروس بأن نسبة الطرواديين كانت العشر تقريبًا فإن عددهم يكون ١٢.٠٠٠ يمكن أن نضيف إليهم ٣٨.٠٠٠ من الحلفاء فيصل مجمل عددهم إلى ٥٠.٠٠٠ رجلًا. (الخرر)

١٤٠ فلتتفدوا جميعا ما أطلبه إليكم. دعونا نقفل عائدين فى سفننا إلى أرض آبائنا الحبيبة. فليس أمامنا أى أمل فى أن نستولى على طروادة ذات الطرق العريضة".

هكذا تحدث (أجاممنون) فانتفضت الأفئدة فى الصدور فى

صفوف الجمع ممن لم يسمعوها ما دار فى اجتماع الشيوخ،

١٤٥ وانتشرت الحركة فى الحشود كما تتور الأمواج فى عرض البحر الإيكارى حين تثيرها الريح الشرقية (بوروس) أو الريح الجنوبية (نوتوس) عندما تندفع إليها من السحب التى

يجمعها الأب زيوس. وكما تحرك الريح الغربية (زيفيروس)

فى أثناء هبوبها، السنابل التى تتحنى أمامها فى حقل القمح

المنخفض - هكذا تحرك جمعهم وقد علا صياحهم وهم

١٥٠ يهرولون إلى السفن، بينما ثار الغبار من تحت أقدامهم وهم يتنادون فيما بينهم ليمسكوا بالسفن ويسحبوها إلى البحر

الصافى. ثم أقدموا على إخلاء مسارات دفع السفن إلى البحر

(من العوائق) وارتفع صياحهم إلى عنان السماء - إلى هذا

الحد كان ابتهاجهم بحديث العودة إلى بلادهم، وهكذا بدأوا

١٥٥ يسحبون الدعامات من تحت السفن.

والآن لقد كانت حشود الأرجيين على وشك الشروع فى العودة

التي لم يكن مقدراً لها أن تتحقق، لولا أن هيرا تحدثت إلى أثينة قائلة:

"يا للخرى يابنة زيوس، لابس الدرع أجبس أثينة أتريتونى !

هل قدر على الأرجيين أن يقفلوا عائدين إلى أرض آبائهم الحبيبة

على متن البحر العريض وأن يتركوا لبرياموس

١٦٠ وللطرواديين ما يفخرون به، هيلينى، ابنة أرجوس التى هلك

من أجلها كثير من الآخيين على أرض طروادة، بعيدا عن

أرض آبائهم الحبيبة. ألا فلتذهبى ولتطوفى بحشود المقاتلين

من الآخيين ذوى الدروع البرونزية وبحديثك العذب حاولى

١٦٥ أن تَوَقَّى اندفاع الرجال حتى لا يسحبوا (إلى البحر) سفنهم ذات الصفوف المتقابلة من المجاديف" (*).

هكذا تحدثت (هيرا) ولم تتوان أثينة ذات العيون الزرقاء فى طاعتها. وهكذا انطلقت من قمم الأوليمبوس

١٧٠ ووصلت دون إبطاء إلى سفن الأخيين السريعة. وهناك وجدت أوديسيوس، نظير زيوس فى الرأى الشديد، واقفا. لم يكن أوديسيوس يعتمد بيديه على سفينته السوداء ذات المجاديف الكثيرة (**)، لأن الأسى كان يثقل قلبه. فوقفت أثينة ذات العيون الزرقاء إلى جواره وقالت.

"أى ابن لائيرتيس، يا سليل زيوس، أى أوديسيوس الواسع

الحيلة ! هل ستقفزون حقيقة فى سفنكم ذات المجاديف الكثيرة وتفرون

١٧٥ إلى أرض آبائكم الحبيبة ؟ هل ستتركون لبرياموس وللطرواديين ما يفخرون به، هيلينى ابنة أرجوس، التى هلك من أجلها الكثير من الأخيين فى طروادة بعيدا عن أرض آبائهم الحبيبة ؟ لتذهب فى هذه اللحظة بين جموع الأخيين دون أن تقيّد نفسك

١٨٠ (بالصمت) بعد الآن. وإنما هدىء بكلماتك الرقيقة من اندفاع كل منهم ولا تدع الرجال يسحبون سفنهم ذات الصفوف المتقابلة من المجاديف".

هكذا تحدثت أثينة، وقد تعرف (أوديسيوس) على صوت

الإلهة حين كانت تتحدث، فانطلق راکضاً بعد أن رمى بعباءته

من على جسده فالتقطها رسوله يوريباتيس الذى ينحدر من

١٨٥ إيثاكي والذى كان يقوم على خدمته. أما هو نفسه فقد ذهب فى

(*) amphielissas (فى حالة المفعول به) فى الأصل تعنى بشكل مباشر: التى تجدف من ناحيتين متقابلتين. وقد تعنى: مدوّر، إذا أخذت من جذر لغوى آخر. وقد استخدم قرى وريو المعنى الثانى، واستخدم فوس المعنى المباشر. وأجد أن المعنى المباشر أنسب للسياق العام، فهو يوحى بالأعداد الكبيرة من الجدفين. وهذا يتسق مع المعنى الذى يقدمه الشاعر، وهو أن الأخيين هرعوا أو اندفعوا إلى السفن يجرونها إلى البحر. وعلى هذا فقد تبينت فى ترجمتى المعنى المباشر للفظّة.

(**) اللفظة eusselmos فى الأصل، تعنى (المركب) المجهزة جيّداً بمقاعد الجدفين الكثيرة.

التوّ إلى أجاممنون بن أتريوس وأخذ منه صولجان أبائه الذى لا يفنى
 وذهب به فى طريقه إلى سفن الأخيين ذوى الدروع البرونزية
 و (هناك) كان يقترب من كل من كان يصادفه من الملوك ومن
 الرجال البارزين ويحاول أن يهدىء من اندفاعه بكلمات رقيقة قائلاً:

١٩٠

"ياسيدى الفاضل، إنه لا يليق بك أن تستسلم

(هكذا) لليأس كما لو كنت جباناً، ولكنى أهيب بك أن تجلس
 أنت نفسك وأن تطلب إلى رجالك أن يجلسوا (كذلك)، لأنك
 لا تعرف بوضوح ما يُكنه ابن أتريوس فى قرارة نفسه. إن
 هذا هو مجرد اختبار. ولكنه سيسدد ضربة عاجلة إلى (من
 يحاول الفرار) من أبناء الأخيين. ألم نسمع جميعاً ما قاله فى
 المجلس؟ حذار من أن يثور غضبه فيوجه الأذى إلى أبناء
 الأخيين. ذلك أن الاعتزاز بالنفس يملأ قلوب الملوك الذين
 انحدروا من السماء. لأن شرفهم من شرف زيوس، ولأن
 زيوس، إله الرأى، يكن لهم (كلّ) المحبّة".

١٩٥

أما حين كان (أوديسيوس) يرى رجلاً من العامة يثير اللغظ (حول
 هذا الأمر) فإنه كان يضربه بصولجانه ويوجه إليه ألفاظ التقرّيع قائلاً:

٢٠٠

"أيها البائس! ابق فى مكانك دون أن تتحرك، واصغ
 إلى كلمات الآخرين ممن هم خير منك. أيها الجبان الرعديد
 الذى لا اعتبار له فى الحرب أو فى الرأى. إننا، نحن الأخيين،
 لن نكون جميعاً ملوكاً هنا، وإنه لشىء سيء حقاً أن تكون هناك
 جموع من السادة! ليكن هناك سيد واحد، ملك واحد، خصه
 بالصولجان والحكم (زيوس) بن كرونوس ذو الدهاء^(*). وذلك

٢٠٥

(*) اللفظة ankylomeres فى الأصل معناها الماكر أو ذو الدهاء الذى لا يظهر كل ما لديه من أفكار، وإنما يظهر بعضها ويخفى البعض الآخر. كذلك من معانيها: المتورى أو المخادع. وقد تبنى المعنى الأخير كل من قرى وريو، وهو معنى يوحى بصفة سيئة عند الإله. وهو لا يتفق مع سياق الحديث الذى يرمى فيه زيوس (بن كرونوس) الملوك الذين يقدمون الرأى لشعوبهم. كذلك ترجم فوس اللفظة بمعنى: الخفى، ويقصد به الذى يخفى بعض الأشياء (حسبما يوحى به سياق الترجمة)، وهو معنى جزئى يورد نصف المعنى الحقيقى. وأفضل أنا المعنى المباشر للفظه وهو: ذو الدهاء، فهو يجمع بين الإيماءات المذكورة جميعاً.

- حتى يكون صاحب الأمر فى رعاية النظام بين الناس".
وقد تناول (أوديسيوس) الأمر بين المقاتلين بحزم جعلهم
يسرعون ثانية من سفنهم وخيامهم إلى مكان الاجتماع فى
جلبة تحاكي صوت موجة من أمواج البحر الهادر، تتردد
كالرعد بطول الشاطئ، بينما يزار البحر من الأعماق. أما
٢١٠ الآخرون فقد جلسوا وظلوا فى أماكنهم، ولم يبق مستمرا فى
ثرثرته إلا ثرسيتيس الذى لا ينتهى حديثه والذى يعشش فى
ذهنه قدر كبير من اللغة البذيئة التى يتناول بها على الملوك
فى ألفاظ تافهة، لا رابط بينها، وإنما تبدو له وكأنها تثير
الضحك بين الأرجيين. كان هذا الرجل هو أبأس من أتى
إلى إليون وأكثرهم مدعاة للكراهية، مقوس الساقين، أعرج
فى إحدى قدميه، تكاد كتفاه تلتقيان أمام صدره بينما يعلوهما
رأس محدودب نمت فوقه بضع شعيرات قصيرة^(*)، كما كان
يمتته فوق كل شىء كل من أخيليوس وأوديسيوس لأنه كان
٢٢٠ ينزع إلى توجيه السباب إليهما. ولكنه الآن، مرة أخرى،
كان يوجه السباب بصوته الحاد إلى أجاممنون، شبيه الآلهة. هذا
بينما يثير سخط الأخيين ويملاً قلوبهم الغضب منه.
وأيا كان الأمر فإنه وجه الخطاب إلى أجاممنون مقترنا بالتوبيخ،
٢٢٥ "يا ابن أثريوس ! ما الذى يدعوك إلى السخط من
جديد ؟ وماذا ينقصك ؟ إن خيامك مليئة بالبرونز كما هى مليئة
بالنساء. وهى غنائم مختارة تعطيك إياها قبل الآخرين كلما
استولينا على مدينة محصنة. أم أنك لا تزال تريد، إلى جانب
ذلك، ذهابا قد يأتى به إليك، من إليون، رجل من بين

(*) فى شخصية ثرسيتيس يتجسد النقيض الشارح لفكرة أن الجمال هو جمال الشكل والمضمون معاً، ولا يمكن أن يكون الإنسان المثالى أو الخير والفاضل Kalos k'agathos إلا جميل المظهر لأنه رائع الجوهر. وثرستيس هو الشخص الوحيد من عامة الناس أو الدهماء الذى يذكر بشىء من الوضوح والتركيز فى "الإلياذة". (المحرر)

- ٢٣٠ الطر واديبين يفتدى به ابناً له قد أكون أنا أو قد يكون غيرى من الأخيين الذى قيده واقتاده من هناك؟ أم أنك تريد فتاة أخرى تمارس معها الحب وتبتغى أن تحتفظ بها لنفسك؟ حقا إنه لا يليق بشخص هو قائد أبناء الأخيين أن يعرضهم للهلاك. يالكم من ضعفاء مختلين^(٥).
- ٢٣٥ إنكم (حقاً) كائنات دنيئة تجلب العار. ياتساء أخايا، فأنتم لم تعودوا رجالاً أخيين. دعونا نلق بسفننا إلى بلدنا، أما هذا (الشخص) فلنتركه هنا فى أرض طروادة لينعم بغنائمه وليدرك كذلك إذا كنا ذوى نفع له أم غير ذلك؟ لقد أساء إلى شرف أخيلئوس الذى هو خير منه بكثير، فقد سلبه سبيته ظلماً وعدواناً. ولكن يبدو من المؤكد أن أخيلئوس لم يعضب لذلك. نعم، إنه لم يتحرك على الإطلاق وإلا، يا ابن أتريوس، لكنت هذه آخر مرة تقدم فيها على مثل هذه الإساءة".
- هكذا تحدثت ترسيثيس موجهة نقده اللاذع إلى راعى الشعب. أجاممنون ابن أتريوس، وما أن فرغ من حديثه حتى كان أوديسئوس إلى جواره، وقد انطلقت من عينيه نظرة داكنة، معنفاً إياه فى كلمات خشنه:
- ٢٤٥ "أى ترسيثيس! ياذا الحديث الذى ينضح حمفاً. إنك قد تكون خطيباً مفوها ذا حديث رنان، ولكن حذار، ولا تكن أنت وحدك الذى يجابه الملوك، إذ لا يوجد فى اعتقادى رجل أحقر منك من بين كل من أتوا مع ابنى أتريوس. إلى إلبون. ولذا فليس لك أن تلوک أسماء الملوك فى حديثك موجهة إليهم أنواع التقريع دون أن يكون لك من هدف سوى العودة إلى الوطن. إننا لا نعرف على الإطلاق ما الذى ستكشف عنه الأمور وهل سنعود نحن أبناء الأخيين بما هو خير لنا أم ستكون عودتنا بالبلاء والوبال، بينما لا يشغلك أنت إلا أن توجه إلى أجاممنون بن

(٥) قارن فرجيلئوس "الإبيادة" الكتاب التاسع (٦١٧).

- ٢٥٥ أترىوس قائد الرجال، البذاءات بصفة مستمرة، لأن الدانائيين يقدمون إليه الهدايا الكثيرة، وإلا أن تستمر فى هذا الخطاب اللاذع. ولكنى سأوجه لك الآن كلاماً وهو ليس تهديداً أجوف: إذا وجدتكم مرة أخرى تردد حماقاتك كما تفعل الآن، فلتفصل رأس أوديسيوس عن كتفه. ولينكر الناس أبوتى لتيليامخوس بعد الآن إذا لم أمسك بك وأجردك من ثيابك، قميصك وعباءتك، التى تغطى عورتك، وأطردك من ساحة الاجتماع مولولا إلى حيث توجد السفن بعد أن أكون قد أشبعتك ضرباً".

- ٢٦٥ هكذا تحدث (أوديسيوس) ثم ضرب (ثرسييتيس) بصولجانه على ظهره وكتفيه، بينما انكمش هذا مذعورا وسقطت (من عينيه) دمعة كبيرة، كما تفجرت من ظهره قطرات الدماء تحت (أزرار) الصولجان الذهبى. بعد ذلك جلس وقد تملكه الذعر وزاغ بصره بينما كان الألم يلسعه وهو يمسح دموعه. أما أولئك الذين كانوا حوله. فرغم ابتئاسهم العميق، إلا أنهم ضجوا بالضحك منه. وهكذا كان الواحد منهم يقول: ياغربا (ما أقدم عليه ثرسييتيس) ! حقاً إن أوديسيوس قد قام قبل الآن بالعديد من الأعمال الجليلة، سواء أكان يدلى برأيه الحكيم أم كان يعد العدة للمعركة. ولكن ما فعله الآن هو خير ما قام به بين الأرجيين، من حيث إنه وضع حداً للسباب الذى يقذف به هذا الثرثار. إن (ثرسييتيس)، فيما أظن، لن يكون بعد الآن فى عجلة من أمره ليقذف الملوك بالألفاظ النابية.

- ٢٧٥ هكذا تحدث الجمع قبل أن ينهض أوديسيوس، مدمر المدن، وفى يده الصولجان، وإلى جواره الإلهة أثينة، ذات العيون الزرقاء، وقد اتخذت هيئة الرسول. ثم طلب إلى الجمع أن يصمتوا حتى يستطيع أمناء الآخيين. سواء منهم

أقرب الناس من مكانة أو أكثرهم بعدًا عنه، أن يستمعوا إلى كلماته وأن يأخذوا بنصيحته. ثم تحدث إلى الجميع بنية صادقة قائلاً:

"يا ابن أتريوس، إن الآخيين يريدون جميعاً أن

٢٨٥

يجعلوا منك أيها الملك أحقر الناس أجمعين، وألا يفوا بوعدهم الذى قطعوه على أنفسهم أمامك لدى قدومهم من أرجوس، حيث مراعى الخيل: وهو ألا تعود إلى أرض الوطن قبل أن تدمر

٢٩٠

إليون ذات الأسوار القوية. وذلك لأنهم مثل الأطفال الصغار أو النساء الأرامل، يولول كل منهم للآخرين وقد غلبه الحنين للعودة إلى أرض الوطن. حقيقة لقد كان الجهد المرهق هنا كفيلاً بأن يجعل الرجل منا يعود وقد خبت همته، ذلك لأن

٢٩٥

من يقضى شهراً واحداً بعيداً عن زوجته فى سفينته المزودة بالمقاعد الكثيرة لابد أن ينتابه الأسى بعد أن تكون قد ابتعدت به أنواء الشتاء والأمواج المتلاطمة. أما بالنسبة لنا، فإن السنة

٣٠٠

التاسعة تكاد تنتهى ونحن ها هنا بعد قابعون. ولهذا فإنى لا أعيب على الآخيين أن ينتابهم الضيق وهم إلى جوار سفنهم المعقوفة الأطراف. ومع ذلك فإنه لمن العار أن نغيب (عن الوطن) كل هذا الوقت ثم نعود خاليى الوفاض. تحملوا أيها الأصدقاء وخذوا وقتكم حتى نعرف إذا ما كانت نبوءة

كالخاس ستصدق أم تخيب. فما عرفناه لا يزال مستقراً فى قلوبنا حتى الآن وكلكم، ممن لم يذهب به قضاء الموت، شهود على ذلك.

لقد كان ذلك كأنه بالأمس أو أول أمس حين تجمعت سفن

الآخيين فى أوليس وهى تحمل الولايات لبرياموس

٣٠٥

والطرواديين. وكنا نحن حول النبع نقدم الأضاحى الناضجة

فوق المذابح المقدسة قرابين للآلهة الخالدة حتى يتحقق الخير

لنا. وكان ذلك تحت شجرة دلب نضرة تجرى من تحتها المياه

- المتألّفة. وهنا ظهرت لنا بشارة عظيمة. ذلك أن ثعبانا ضخما
 بشعاً، لون ظهره فى حمرة الدماء، دفعه رب الأوليمبوس
 ٣١٠ (من جحره) إلى الضياء، فزحف من تحت المذبح وانطلق
 إلى شجرة الدلب. وقد كانت فوق هذه الشجرة أفراخ لعصفورة،
 وكانت هذه الأفراخ لم تزل بعد صغاراً لا حول لها، وقد
 انكششت تحت الأوراق على أعلى فرع فى الشجرة، وكان
 عددها جميعاً ثمانية وتاسعتهم أهمهم التى أفرختهم. وهنا التهم
 الثعبان الأفراخ جميعاً وهى تزقزق زقزقة صاحبة تدعو
 ٣١٥ للشفقة، هذا بينما كانت الأم ترفرف حول الأفراخ وهى
 تولول من أجل صغارها المحبوبين. غير أن الثعبان التف
 حول نفسه وعض على جناحها بينما كانت تصرخ من
 حوله. ولكن بعدما التهم الثعبان أفراخ العصفورة ومعها أمها،
 رأينا الإله الذى كان قد أخرجته إلى الضياء يحول كيانه
 بحيث لم يعد يرى - ذلك أن ابن كرونوس ذا الدهاء كان قد
 أحاله إلى كتلة من الحجر، بينما وقفنا نحن نعجب لما حدث.
 ٣٢٠ وحين ظهرت هذه الآية المخيفة حيث كانت توجد أضاحى
 الآلهة قدم كالكاس نبوءته مباشرة وخاطب جمعنا قائلاً:
 لماذا يخيم عليكم الصمت أيها الآخيون ذوو الشعور
 الطويلة؟ إن زيوس صاحب الرأى قد أطلعنا على هذه الآية
 ٣٢٥ العظيمة: لقد انتظرنا مجيئها طويلاً وسوف يتأخر تحقّقها كثيراً،
 ولكن ذكرى ذلك اليوم لن تختفى أبداً. فكما أن هذا الثعبان
 الضخم قد افترس أفراخ العصفورة وافترسها معهم، وكانوا
 ثمانية وكانت الأم التى أفرختهم هى التاسعة، فإننا كذلك
 سنخوض الحرب هنا سنين بالعدد نفسه، ولكننا سوف نستولى
 فى السنة العاشرة على المدينة ذات الطرق العريضة.
 ٣٣٠ هكذا ألقى (كالكاس) كلماته الحكيمة، والآن فإن ما ذكره يتحقّق

- بالفعل. اصمدوا إذن في أماكنكم أيها الأخيون المزودون جيداً
بواقيات الأرجل حتى نستولى على مدينة برياموس العظيمة".
- هكذا تحدث (أوديسيوس). وهنا أخذت حشود الأرجيين تتصارع
بصوت مرتفع، ومن حولهم رددت السفن صيحات الأخبين في روعة
مدهشة، وهم يثنون على كلمات أوديسيوس شبيهة الآلهة.
- ٣٣٥ وهنا تحدث نيستور، الفارس الجيريني:
- "يا للعجب ! حقا إنكم تتصرفون في اجتماعاتكم كما لو
كنتم صغاراً لا يهتمون بإنجازات الحرب. ماذا إذن سيؤول إليه
ما اتفقنا عليه وأقسمنا على تنفيذه؟ فلنلق إذن في النار بكل
الأراء وبكل خطط الرجال (المحاربين) وبكل ما سكبنا من قرابين
الشراب (لتكريس القسم)، وبكل ما تعاهدنا بالمصافحة
على القيام به. فما نحن نتجادل بالكلمات دون جدوى، ودون
أن نجد وسيلة ناجعة (للوفاء بكل ذلك) مهما طال مقامنا في
هذا المكان. يا ابن أتريوس ! ابق على رأيك الذى كنت عليه
من قبل دون أن تهتز إرادتك وقد الأرجيين خلال المعارك
الشرسة، وإذا كان من بين الأخبين فرد أو اثنان قد اتفقا في
الخفاء على أن يعودا إلى أرجوس - فلن يجنى هؤلاء سوى الإحباط -
فدعهم يذهبون إلى الهلاك قبل أن يتبين لنا ما إذا كان
ما وعدنا به زيوس، لابس الدرع أيجيس، أمراً صادقاً أم غير صادق.
- ٣٤٥ أما أنا فإني أعلن أن ابن كرونوس، القادر على كل شيء، قد
أعطانا وعداً بإيماءة من رأسه في ذلك اليوم حين اعتلى أبناء
أرجوس سفنهم السريعة حاملين الموت والقدر إلى الطرواديين،
لأنه جعل النور عن يميننا وأظهر لنا آيات الخير. وإذن فلا
نتعجلوا في العودة إلى أرض الوطن قبل أن يضاجع كل منكم
امرأة من زوجات الطرواديين، وبذلك يكون قد أخذ ثأره لكل
٣٥٥ ما انتابه من عناء وأسى بسبب ما حدث لهيليني. ومع ذلك

- فإذا كان هناك من هو متعطش للرحيل إلى الوطن، فليضع
 يده على سفينته السوداء ذات المجاديف الكثيرة. وسيلقى
 أمامنا جميعا نهايته وقدره. أما الآن، أيها الملك فتدبر الأمر
 ٣٦٠ ملئًا واستمع لرأى الآخرين ولا تأخذ ما أقوله ببساطة. قسم
 رجالك يا أجاممنون إلى القبائل والعشائر (التي ينتمون إليها)،
 حتى تساعد كل عشيرة الأخرى، وحتى تشد كل قبيلة من أزر
 الأخرى. إنك إن فعلت ذلك والتزم به الأخيون، فإنك سوف
 ٣٦٥ تعرف من هم الجبناء من بين قادتك ورجالك، كما ستعرف
 من هم الشجعان لأن كل عشيرة ستقاتل من أجل كيانها،
 وعندئذ سوف تعرف ما إذا كانت إرادة الآلهة هي التي تحول
 دون أن تستولى على المدينة أم أن ذلك يعود إلى جبن
 الرجال وقلة خبرتهم بالحروب".
- وهنا رد عليه الملك أجاممنون قائلاً:
- ٣٧٠ "حقاً أيها الشيخ (الحكيم) إنك تتميز في الحديث، مرة
 أخرى، على كل الآخرين. لكم أتمنى، أى زيوس الأب، ويا
 أيتها الإلهة أثينة، ويا أيها الإله أبوللون أن يكون لدى عشرة من
 الآخيين يقدمون هذا النوع من المشورة. عندئذ سوف تحنى مدينة الملك
 برياموس رأسها بعد أن نكون قد استولينا عليها ودمرناها.
- ٣٧٥ ولكن ابن كرونوس، زيوس الذى يلبس الدرع أيجيس، قد
 جلب لى الأسى حين وضعنى وسط صراعات ومشاحنات غير
 ذات جدوى. فقد نشبت الخصومة بينى وبين أخيليوس بكلمات
 عنيفة حول فتاة، وكنت أنا الذى ثار فى البداية،
- ٣٨٠ ومع ذلك فلو اتفقنا فى الرأى فلن يكون للطرواديين نجاة من
 البلاء بالمرّة. ولكن على أية حال فلنذهبوا الآن جميعاً لتناول طعامكم
 حتى نستطيع أن نخوض معاً معركة أريس، وليشخذ كل منكم رمحه
 ويعد ترسه إعداداً حسناً، ولتزدوا بالطعام خيلكم راکضة

- الخطو، وليتم (أصحاب العجلات الحربية) كل على
 ٣٨٥ عجلته من كل جانب وليركز كل منكم ذهنه في القتال حتى
 نستطيع أن نقاتل طوال اليوم معركة أريس البغيضة، إذ لن
 تكون هناك لحظة راحة قبل أن يفرق الليل بين عنف
 المتقاتلين. إن أربطة الدروع التي تحمي الرجال ستكون
 مبللة بالعرق، وستكون يد المقاتل حول الرمح قد أصابها الكلال
 وسيكون حصانه قد نضح بالعرق وهو يجر عجلته الحربية
 ٣٩٠ المصقولة. على أنى إذا أبصرت بأحد يتلكأ عند السفن
 المعقوفة الطرفين، فلن تكون هناك بارقة أمل في أن تقلت
 جثته من الكلاب والجوارح".
- هكذا تحدث (أجاممنون)، فارتفع صياح الأرجيين كأنهم
 ٣٩٥ موجة تهدر عند شاطئ مرتفع عندما تأتي ريح الجنوب
 نوتوس، فتزيد من حجمها وهي ترتطم بنتوء صخرى
 لا ينجو من الأمواج التي تتقاذفها الرياح حين تهب مرة من
 هنا ومرة من هناك. وهنا نهض الجميع وأسرعوا، متناثرين
 بين السفن، ثم أشعلوا (مواقد) النار داخل خيامهم وتناولوا
 الوجبة (*). وقدّم كل منهم القرابين لإلهه (المفضل)،
 ٤٠٠ واحدًا لهذا وآخر لذاك، ومعها دعاء بأن ينجو من الموت
 ومن عناء القتال. أما أجاممنون، ملك الرجال، فقد ذبح لابن
 كرونوس، الأعلى في قدرته، ثورًا ذا خمسة أعوام، ودعا
 شيوخ القوم وزعماء كل الآخيين. نيستور في المقدمة
 ٤٠٥ والملك إيدومينيوس ثم الثنائى أياس (**). وابن تيديوس (***)،
 وكان سادسهم هو أوديسيوس نظير زيوس في الرأى. أما

(*) لفظة *deipnon* الموجودة في الأصل تعني الوجبة الرئيسية، سواء أكانت في الصباح أم في الظهر أم في المساء. ولكن المعنى الواضح هو وجبة الصباح في ضوء ما ذكره أجاممنون سابقا (بيت ٣٨٥) وهو يخاطب الآخيين قائلا: حتى نستطيع أن نقاتل طوال اليوم ... الخ.

(**) أى أياس بن تيلامون وأياس بن أوليوس *Oileus*. (البحر)

(***) أى ديوميديس. (البحر)

- مينيلاؤس (أخو أجاممنون)، الشجاع عند سماع صيحة الحرب
فقد حضر دون دعوة، إذ كان يعرف ما يشغل أخاه من مهام.
٤١٠ ثم التقوا حول الثور وأخذوا حبوب الشعير (اللازمة لتقديم
القربان). بعدها ارتفع صوت أجاممنون، سيد الجمع، بالدعاء:
"أى زيوس، الأمد والأعظم، رب السحب ورب
السموات ! فلنكن مشيئتك ألا تغرب الشمس وبزحف علينا
الظلام قبل أن أكون قد انقضضت مدمرا قصر برياموس،
٤١٥ بعد أن يكون الدخان قد كساه بالسواد، وقبل أن أكون قد
أحرقت أبوابه وأضرمت فيها النيران وشققت قميص هيكتور
من على صدره بسيفى البرونزى، وليسقط رفاقه من حوله
فى الرغام وهم يعضون الأرض".
- هكذا تحدث (أجاممنون)، ولكن ابن كرونوس لم تكن
٤٢٠ مشيئته قد انعقدت بعدُ على الاستجابة لدعوته. لقد قبل القربان
ولكنه دفع فى طريق (أجاممنون) بالمزيد من المعاناة. ولما
انتهوا من صلاتهم ونثروا حبوب الشعير قاموا فى البداية
بدفع رعوس الأضحى إلى الخلف وقطعوا رقابها ثم سلخواها.
بعد ذلك قطعوا أفضاها قطعًا غطوها بطبقة مزدوجة من
الدهن ومن فوق هذه قطع (أخرى) من اللحم، ثم قاموا بشى كل
٤٢٥ ذلك على عيدان من الأغصان الجافة نزعوا عنها أوراقها.
أما الأجزاء الداخلية للذبائح فقد شكوها بأسيخ أمسكوا بها
فوق نيران هيفايستوس. وحين أتموا إنضاج قطع الأفضاد
وتذوقوا الأجزاء الداخلية، قطعوا ما تبقى من
٤٣٠ الذبائح وشكوا القطع فى أسيخ (كذلك) وشووها بعناية ثم
نزعوا القطع من على الأسيخ. وحين توقفوا عن عملهم هذا
وجهزوا الطعام، احتفلوا بالوليمة التى أخذ كل منهم نصيبه
منها على الشواء. وحين شبعوا من الطعام ارتووا من الشراب

- كان أول من تحدث بينهم هو نيستور، الفارس الجبريني فقال:
- ٤٣٥ "أيها الأمجد، يا ابن أتريوس أى أجاممنون ياملك
الرجال ! لا تدعنا نبقي ها هنا مجتمعين أو تؤجل العمل الذى
عهد به إلينا الإله. بل تقدم ودع منادى الآخيين ذوى الدروع
البرونزية يقومون بإعلان الأمر عليهم ويجمعون الحشد من
حول السفن، لنذهب جماعة إلى المعسكر العريض للآخيين
٤٤٠ حتى نتمكن من دفع حركة الحرب على جناح السرعة".
هكذا تحدث (نيستور)، ولم يتوان ملك الرجال،
أجاممنون، عن أن يوليه أذناً صاغية. وهكذا طلب إلى
المنادين ذوى الأصوات الرنانة أن يجمعوا للمعركة
الآخيين ذوى الشعور الطويلة، وقد قام المنادون بالإعلان
(المطلوب) واجتمع المقاتلون بسرعة فائقة. وهنا أسرع
٤٤٥ الزعماء، (ملوك المدن)، الذين رعاهم زيوس والذين كانوا
حول ابن أتريوس يجمعون حشود المقاتلين، وفى وسطهم
كانت تقف (الإلهة) أثينة ذات العيون الزرقاء وقد ارتدت
الدرع أيجيس الذى لا يقدر بثمن والذى لا يبلى ولا يعرف الفناء،
وقد تدلت منها مائة شرابة من خيوط الذهب،
نسجت بمهارة فائقة وتصل قيمة كل منها إلى ما يساوى مائة
٤٥٠ ثور. وما لبثت الإلهة أن أسرع متألقة خلال صفوف
الآخيين تحنهم على التقدم، وتبعث العزم على القتال فى قلب
كل رجل بلا توقف، (وظلت هكذا) حتى غدت الحرب أكثر
٤٥٥ عذوبة لديهم من أن يعودوا بسفنهم إلى أرض الوطن الحبيب.
وكما تضطرم النار المدمرة فى غابة شاسعة على قمة
جبل بحيث يرى وهجها عن بعد، هكذا كان ينبعث الوميض
المبهر من عتادهم البرونزى الذى لا حصر له، وهم
يتقدمون، ليصل إلى عنان السماء. وكما تفعل المجموعات

- ٤٦٠ العديدة من الطيور المرفرفة. من الإوز البرى والكراكى
والبجع ذات الرقاب الطويلة فوق المرج الآسيوى عند
روافد نهر كاوستريوس، وهى تطير مختالة بأجنحتها القوية،
ثم وهى تحط (على الأرض) خلف طبيعتها المتقدمة - هكذا
كانت تندفع العشائر العديدة للرجال وهى تندفق من السفن
والخيام إلى الأمام فى سهل سكامانديوس، بينما كانت
- ٤٦٥ الأرض تردد الأصداء الرهيبية تحت وقع (أقدام) الرجال
و(سنابك) الخيل، وهكذا توقف الجمع عند المرج المزهر بجوار
النهر فى أعداد تفوق الحصر تحاكى وفرة الأوراق والزهور
فى موسم ازدهارها. ومثل أسراب الذباب العديدة التى تطن
غادية رائحة فى حركة دائبة فى حظائر الرعاة فى موسم
- ٤٧٠ الربيع عندما تمتلئ الدلاء بالحليب، هكذا اصطف الآخيون
ذوو الشعور الطويلة فى الوادى فى مواجهة الطرواديين، وهم
متعطشون إلى أن يمزقوهم إربًا.
ومتلما يفعل الرعاة فى حالة القطعان المتناثرة من
الماعز، حين يفرقونها دون صعوبة عندما تختلط فى المرعى،
- ٤٧٥ هكذا فعل الزعماء حين جمعوا الرجال ونظموهم هنا وهناك
ليخوضوا المعركة. هذا بينما كان يقف فى وسطهم سيد القوم
أجاممنون، (وقد بدت) عيناه ورأسه مثل زيوس حين يطلق الصاعقة،
وخصره مثل خصر آريس وصدرة مثل صدر بوسيدون. وكما يقف
الفحل وسط أفراد القطيع رئيسًا سيدًا للجميع مقدما على القطيع،
- ٤٨٠ هكذا فعل زيوس بابن أتريوس فى ذلك اليوم، مقدما على الكثيرين
ومبرزًا بين المحاربين.
والآن، أخبرتنى يا ربات الفن (الموساى) يا من تقطن
- ٤٨٥ الأوليمبوس، فأنتن إلهات تساعدن الجميع وتعرفن كل
شئ، بينما ما نسمعه نحن هو محض شائعات، ولا نعرف

شبيهاً على الإطلاق: من كان زعماء الدانائيين
ورؤساؤهم^(*)؟ أما العامة فإنى لن أعرفهم أو أعرف أسماءهم
حتى لو أوتيت عشرة ألسن وعشرة أفواه وصوتاً لا يكل،
وحتى لو كان القلب الذى فى صدرى قد صبّ من البرونز،
٤٩٠ ما لم تتشأ ربات الفن الموساى، المقيّمات فوق الأوليمبوس،
بنات زيوس الذى يلبس الدرع (أيجيس)، أن تُعذّنَ إلى ذاكرتى
كل من قدم إلى إليون. والآن سأذكر لكم قادة السفن ثم أذكر
السفن جميعاً.

٤٩٥ من البويوتيين كان هناك من الزعماء بينيليوس وليئيتوس
وكذلك أركيسيلائوس وبروثونينور وكلونيبوس. وقد كان
هؤلاء (البويوتيون) يقيمون فى هيريا وأوليس ذات الطبيعة
الصخرية وسخوينوس وسكولوس وإتيونوس ذات التلال العالية
وثيسبيا وجرايا وميكاليسوس الفسيحة. ومعهم كان أولئك
الذين كانوا يقيمون حول هارما وإريثراى وإيليسيون، والذين
كانت فى أيديهم مدن إيليون وهولى وبيتيون وأوكاليا
٥٠٠ وميديون ذات المباني المتقنة^(**) وكوباي ويوتريسيس وثيسبى،
حيث يتجمع اليمام. ومع هؤلاء جميعاً كان أولئك الذين
قدموا من كورونيا وهاليارتوس حيث الحشائش التى تنبت
بوفرة وأولئك الذين كانت فى أيديهم بلاتايا والذين كانوا
يقيمون فى جلساس. والذين كانت بأيديهم ثيبى السفلى ذات
٥٠٥ المباني المتقنة وأونخيستوس المقدسة، وغيضة بوسيدون
الباهرة والذين كانت بأيديهم أرنى الغنية بالكروم، وميديا

(*) هذا الجزء ٤٨٤-٨٧٧ كان يعرف باسم بويوتيا أو قائمة السفن Boiotia e katalogos ton neon وتحذفه كثير من الطبقات على اعتبار أنه مقحم أو متحلل. ولكننا نتبع طبعة أكسفورد التى أوردته وشرحنا فى المقدمة أهمية هذا الجزء. (المحرر)

(**) لفظة euktimenos ترجمة ريو بمعنى النقطة الحصينة وترجمها مرى بمعنى الحصن المتقن البناء. ولكن معنى الحصن لا يأتى كصفة للمدينة إلا إذا اقترنت المدينة بما يفيد معنى الارتفاع، وهو غير متوفر فى هذا البيت، وعلى هذا فقد فضلت فى ترجمتى المعنى المباشر للفظه وهو: المتقنة البناء أو ذات المباني المتقنة.

ونيسا المقدسة وأنثيدون المظلة على البحر. من هؤلاء
(جميعاً) جاءت خمسون سفينة على متن كل منها مائة
وعشرون من رجال البويوتيين.

٥١٠

وأولئك الذين كانوا يقيمون في أسبليدون
وأورخومينوس بلد المينائيين، الذين كان يقودهم أسكالافوس
وبالمينوس ابنا (الإله) آريس اللذين حملت فيهما أستيوخي،
الفتاة الرقيقة في قصر أكتور بن أزيوس من آريس القوى
الجبار بعد أن صعدت إلى غرفتها في الطابق العلوى حيث
ضاجعها الإله في الخفاء. ومع هؤلاء كانت هناك ثلاثون سفينة
مجوفة.

٥١٥

وعلى رأس الفوكيين كان سخيديوس وإبيستروفوس ابنا
إفيتوس ذى الهمة العالية ابن ناوبيلوس. وكان هؤلاء
(الفوكيون) هم مواطنى كيباريسوس وبيثو (ذات الأرض)
الصخرية وكريسا المقدسة وداوليس وبانوبيوس. و (كذلك)
الذين كانوا يقيمون حول أنيموريا وهيامبوليس، والذين كانوا
يعيشون حول النهر المقدس كيفيسوس، والذين كانت بأيديهم
لياليا عند منابع كيفيسوس. ومع هؤلاء كانت هناك أربعون
سفينة سوداء. وقد نشط رؤساء الفوكيين فى جمع صفوفهم
واستعدوا للمعركة، (وكان موقعهم) إلى يسار البويوتيين
مباشرة.

٥٢٠

٥٢٥

أما اللوكريون فقد كان يقودهم الابن العداء لأوليبيوس،
وهو أياس الأقل شأناً فهو لا يصل بأى حال إلى قدرة أياس
التيلامونى، وإنما يقل عن ذلك كثيراً، وكان صغيراً فى حجمه
يشتمل بمشد من الكتان. ومع ذلك فقد كان يفوق فى رمى
الرمح كل مقاتلى الهلليين والآخيين. هؤلاء (اللوكريون) هم
الذين كانوا يقطنون كينوس وأبوبيس وكالياروس وبيسا

٥٣٠

- وسكارفى وأوجياى الجميلة وتارفى وثرونيون حول روافد
نهر بوأجربوس. وقد جاءت مع أياس أربعون سفينة سوداء
٥٣٥ (من سفن) اللوكريين الذين يقيمون مقابل (جزيرة) يوبويا المقدسة.
وكان هناك الأبانتيون الذين ينفثون الغضب، وقد كانت
بأيديهم يوبويا وخالكيس وإيريتريا وهستيايا، الغنية بالكروم،
وكيرينثوس المطلّة على البحر ومدينة ديون المحصنة
الشاهقة الارتفاع، والذين كانت بأيديهم كاريستوس وأولئك الذين
٥٤٠ يقطنون ستيرا. وكان يقود هؤلاء (جميعا) إليفينور، سليل
أريس، والذي كان ابناً لخالكودون زعيماً للأبانتيين ذوى
الروح العالية. وقد تبعه الأبانتيون السريعو الخطى ذوو الشعر
الطويل على ظهورهم، حاملو الحراب المتحمسون، وقد شرعوا
رماحهم الرمادية وهم متعطشون لأن يمزقوا بها
٥٤٥ المشدات التى أحاط بها أعداؤهم صدورهم. وقد جاءت
مع قائدهم أربعون سفينة سوداء.
وأولئك الذين كانت بأيديهم أثينا، المدينة الحصينة البناء،
مدينة إريخثيوس ذى القلب الكبير، الذى رعته فى قديم الزمان
الإلهة أثينة، ابنة زيوس، حين حملت به الأرض المنتجة
للحبوب، والذى جعلته (الربة) يقيم فى محرابها الخاص (ذى
٥٥٠ المذبح) الدهنى الملمس (من وفرة الأضاحى)، حيث يحاول
الشباب الأثينيون على مر السنين أن يحصلوا على رضاه بتقديم
القرابين من الثيران والكباش. هؤلاء كان يقودهم مينيسثيوس
بن بيتيوس الذى لا نظير له على وجه البسيطة فى تنظيم
(فصائل) العجلات الحربية والمحاربين من حملة التروس،
٥٥٥ فيما عدا نيستور لأنه كان أكبر منه سناً، وقد جاءت معه
خمسون سفينة سوداء. كذلك قاد أياس اثنتى عشر سفينة
من سلاميس وصفهم حيث كان يوجد الأثينيون.

- ٥٦٠ أما من كانت بأيديهم أرجوس وتيرينس التى اشتهرت بأسوارها وهرميونى وأسبنى اللتان تطوقان الخليج العميق، وترويزين وإيوناي وإبيداوروس التى تغطى أرضها الكروم وشباب الآخيين الذين كانت بأيديهم أيجينا وماسيس، فقد كان على رأسهم ديوميديس الذى تميز بإطلاق صيحة الحرب وستينيلوس، الابن المحبوب لكابانيوس صاحب الأمجاد. وكان ثالثهم الذى جاء معهم هو يوريالوس، المحارب الشبيه بالآلهة، ابن الملك ميكستيروس بن تالاؤس. على أن قائدهم جميعاً كان ديوميديس الذى يجيد إطلاق صيحة الحرب. وقد جاءت مع هؤلاء ثمانون سفينة سوداء.
- ٥٧٠ أما الذين كانت بأيديهم موكيناي، المدينة الحصينة البنيان وكورنثة الغنية وكليوناي ذات المباني الرائعة وأورنياي وأرايثيريا الجميلة وسيكيون التى كان أدرستوس أول ملوكها، والذين كانت بأيديهم هيبيريسيا وجونوثيسا التى تقع على مرتفع شديد الانحدار وبيلليني وأولئك الذين يقطنون حول أيجيون وفى كل أرجاء أيجيالوس وحول هيليكى المترامية الأطراف. كل أولئك كان يرأسهم سيد القوم، أجاممنون بن أتريوس ومعه مائة سفينة. وكان الذين تبعوه هم خيرة الرجال وأكثرهم عددًا. أما هو فكان يقف بينهم بسلاحه البرونزى اللامع، ملكاً مجيداً ومقدمًا على المقاتلين جميعاً، فقد كان أكثرهم نبلاً كما كان يقود أكثر القوات عددًا.
- ٥٨٠ ثم أولئك الذين كانت بأيديهم أغوار لأكيدايمون التى تكثر فيها الوهاد الضيقة المنحدرة. وفاريس وإسبرطة وميسى حيث يتجمع اليمام، وبرويسياى وأوجياى الجميلة، وكذلك الذين كانت بأيديهم أميكلاى وهيلوس، المدينة المحصنة التى تقع على ساحل البحر، وأولئك الذين كانت
- ٥٨٥

- بأيديهم لآس، والذين كانوا يقيمون حول أوبتيلوس. هؤلاء
 (جميعا) كان على رأسهم أخو أجاممنون، مينيلائوس الذى
 يجيد صيحة الحرب ومعه ستون سفينة. وقد تم تجميع هؤلاء
 (فى موقع) على حدة. أما هو فقد كان يتحرك بينهم وهو
 واثق من شجاعته. كما كان يحثهم على المعركة، إذ لم
 يكن بين كل الآخرين من تهفو روحه أكثر منه لينتقم
 ٥٩٠ لنفسه بسبب ما أصابه من عناء وأنين من جرأ هيلينى.
 كذلك كان هناك أولئك الذين كانوا يقيمون فى بيلوس
 وأرىنى الجميلة وثرىون حيث يسهل عبور نهر الألفيوس وفى
 آيبى ذات التأسيس الجميل، وأولئك الذين كانوا يقيمون فى
 كياريسينيس وأمفيجينيا وبتيلوس وإيلوس ودورىون حيث كانت
 ٥٩٥ ربات الفنون الموساى قد قابلن تاموريس الطراقى ووضعن
 حدًا لغناؤه وهو بسبيل سفره من أويخاليا، من بيت يوريتوس
 الذى ينحدر من أويخاليا، وذلك لأنه كان يفخر بثقته الكاملة فى
 الفوز (فى أية مباراة للغناء) حتى لو كانت ربات الفنون
 الموساى هن اللاتى يغنين فى مواجهته - وهن بنات زيوس
 لابس الدرع أيجيس. وقد أغضبهن هذا فأصبنه بالعمى
 ٦٠٠ وعاقبنه بأن سلبنه نعمة الغناء الجميل وأسنينه فن العزف
 على القيثارة. كل هؤلاء كان يقودهم الفارس نيسطور الجيرينى،
 وقد اصطفت معه تسعون سفينة مجوفة.
 ثم أولئك الذين كانت بأيديهم أركاديا عند سفح الجبل
 المرتفع فى كيلينى بجوار مقبرة أيبوتىوس حيث يحارب
 المقاتلون فى مواجهة متلاحمة (مع الأعداء)، وأولئك الذين
 ٦٠٥ كانوا يقيمون فى فينيوس وأورخومينوس الغنية بقطعان
 الغنم وريبى وستراتيا وإنيسبى التى تهب عليها الرياح
 الشديدة. والذين كانت بأيديهم تيجيا ومانتينيا الجميلة والذين

- كانت بأيديهم ستيμφالوس، والذين كانوا يقيمون في باراسيا.
- ٦١٠ لقد كان هؤلاء (جميعاً) تحت قيادة ابن أنكاوس أجابينور السيد (ومعه) ستون سفينة، على متن كل منها مجموعة كبيرة من رجال الأركاديين الذين تميزوا بالمهارة في القتال، لأن ملك الرجال، أجامنون بن أتريوس، قام بنفسه بإعطائهم السفن الكثيرة المجاديف. ليعبروا بها البحر الذى له لون الخمر الداكنة، إذ لم تكن لهم دراية بأمور البحر .
- ٦١٥ أما عن أولئك الذين كانوا يقطنون بويراسيون وتلك المنطقة من أرض إيليس الرائعة، التى كانت تحتضنها هيرمينى وميرسينوس الواقعتان على ساحل البحر (من جانب) وصخرة أولينيا وأليسيون من الجانب الآخر. هؤلاء، مرة أخرى، كان على رأسهم أربعة قواد تتبع كلا منهم عشر سفن سريعة كان يعتلى سطحها عدد كبير من الإيبينيين.
- ٦٢٠ إذ كان يقود بعض هذه السفن أمفيماخوس وثالببيوس، الأول ابن كتياتوس والآخر ابن يوريتوس وكلاهما من نسل أكتور. أما البعض الآخر فكان يقود عدداً منه ديوريس ذو المقدره الفائقة من نسل أمارينكيوس، وأما المجموعة الرابعة فكانت تحت قيادة شبيهه الآلهة، ابن الملك أجاستنيس بن أوجياس.
- ٦٢٥ ثم أولئك الذين قدموا من دوليخيون وإيخيناى، الجزر المقدسة التى تقع عبر البحر فى مواجهة إيليس. وكان على رأس هؤلاء، مرة أخرى، ميغيس نظير الإله أريس، وهو ابن فيليوس، (الابن) الذى أنجبه الفارس فيليوس، الذى يحبه زيوس، والذى كان قد ذهب فى الزمن الماضى ليقيم فى دوليخيون حين كان حانقاً على أبيه. و(مع ميغيس) جاءت أربعون سفينة سوداء.
- ٦٣٠ وقد قاد أوديسيوس الكيفالينيين ذوى الهمة العالية،

الذين كانت بأيديهم إيثاكي ونيريتون ذات الغابات التي
تتموج (أمام الرياح)، والذين يقيمون في كروكيليا وأيجيليبس
الصخرية ومواطنى زاكينثوس وكذلك الذين يقيمون حول
٦٣٥ ساموس ومواطنى القسم الرئيسى من الأراضى والشواطئ
المقابلة للجزر. كل هؤلاء كان يقودهم أوديسيوس، نظير
الإله زيوس فى الرأى وقد جاءت معه اثنتا عشر سفينة
لونت مقدماتها باللون القرمزى.

أما الأيتوليون فقد كان يقودهم ثواس بن أندرايمون،
٦٤٠ وكان هؤلاء يقيمون فى بليورون وأولينوس وبيلىنى.
وخالكيس المطلة على البحر وكاليدون الصخرية. وذلك
لأن أبناء أوينيوس ذى الهمة العالية لم يكونوا على قيد الحياة،
وكان هو الآخر قد مات. وكان قد فارق الحياة كذلك
ملياجروس ذو الشعر الذهبى الذى كانت الأوامر قد صدرت
بأن يقود كل الأيتولين. وقد جاءت مع ثواس أربعون
٦٤٥ سفينة سوداء.

وكان قائد الكريتيين هو إيدومينيوس، الذى اشتهر
باستخدام الرمح. وكانت بأيدي هؤلاء كنوسوس وجورتين
التي ذاع صيتها بسبب (متانة) أسوارها وليكتوس وميليتوس
وليكاستوس التي يكسوها الحجر الطباشيرى بالبياض،
وفايستوس وريتيون اللتان تقطنهما أعداد غفيرة. ثم الآخرون
الذين كانوا يقيمون فى كريت ذات المائة مدينة. كل هؤلاء
٦٥٠ كان يقودهم إيدومينيوس الذى اشتهر باستخدام الرمح ومعه
ميريونيس، نظير إنياليوس قاتل الرجال. وقد جاءت معهما
ثمانون سفينة سوداء.

وهناك تليبوليموس بن هيراكليس (هرقل)، رجل

شجاع كبير الجسم. وقد قاد من رودس تسع سفن عليها

- مجموعات من الرودسيين المعتدين بأنفسهم، الذين يقيمون
 ٦٥٥ فى رودس مقسمين إلى ثلاثة أقسام، فى ليندوس ويليوسوس
 وكاميروس التى يكسوها بياض الحجر الطباشيرى. هؤلاء
 كان يقودهم تليبوليموس، الذى اشتهر باستخدام رمحه، وهو
 الذى حملت فيه من هيراكليس البالغ القدرة، أستيوخيا التى
 ٦٦٠ كان قد اقتادها من إفيرى ونهر سيلليثس بعد أن دمر عددا
 من مدن (المقاتلين) الأشداء الذين كان يرعاهم زيوس. ولكن
 حين بلغ تليبوليموس مبلغ الرجال فى القصر الذى تحيط به
 الأسوار القوية، قام على التو بقتل ليكيمنيوس، العم الحبيب
 لأبيه ذاته، وسليل آريس وكان قد بدأ يتقدم فى
 السن آنذاك. وهكذا بدأ تليبوليموس يبني لنفسه سفناً، وحين
 ٦٦٥ جمع عدداً كبيراً من الناس هرب إلى البحر لأن أبناء وأحفاد
 هيراكليس البالغ القدرة قد هددوه. ولكنه وصل فى تجواله
 إلى رودس بعد عناء كبير، وهناك استقر شعبه فى ثلاثة
 أقسام حسب قبائلهم التى كانت تتمتع بحب زيوس، ملك الآلهة
 والبشر. وقد أنعم ابن كرونوس عليهم بثناء عريض.
 ٦٧٠ وإلى جانب ذلك قاد نيريوس ثلاث سفن رائعة المظهر
 من سومى. وكان نيريوس ابناً لأجلايا والملك خاروبس. إنه
 نيريوس، أوسم من وصل إلى أسوار إليوس من الدانائيين،
 ٦٧٥ وذلك بعد ابن بيليوس، الذى لا نظير له. على أن نيريوس
 كان رجلاً تنقصه القوة ولم يتبعه إلا عدد قليل من الرجال.
 أما أولئك الذين كانت بأيديهم نيسوروس وكراباتوس
 وكاسوس وكوس، مدينة يوربييلوس، والجزر الكاليدونية
 (كاليدناى)، فقد كان يقودهم فيدييوس وأنتيفوس، ابناً الملك
 ٦٨٠ نيسالوس، ابن هيراكليس الملك - وكان معهم ثلاثون سفينة مجوفة.
 هذا وكل أولئك الذين كانوا يقيمون فى أرجوس،

- المدينة البلاسية، والذين كانوا يقيمون فى أوس وأوبى
وتراخيس، والذين كانت بأيديهم فثيا وهيلاس التى اشتهرت
بجمال نساها - وكانوا يدعون الميرميدونيين والهلينيين
والأخيين. كل أولئك كان أخيلوس يقود سفنهم الخمسين.
على أنهم لم يعودوا يفكرون الآن فى الحرب
البعيضة، إذ لم يكن هناك من يُعدّ صفوفهم للقتال، فقد كان
أخيلوس النبيل سريع القدم، يرقد بين السفن لا يفعل
شيئاً وقد غلبته الهموم من جراء الفتاة بريستيس ذات الشعر
الجميل التى كان قد سبها (لنفسه) من ليرنيسوس بعد عناء
شديد دمر خلاله ليرنيسوس وأسوار ثيبى وصرع كلا من
مينيس وإبيستروفوس، من رجال الرمح العتاة وأبناء الملك
إوينوس بن سيليبوس. هكذا كان أخيلوس، فى حزنه الشديد
أخرى. عليها، يرقد دون أن يفعل شيئاً ولكنه كان سينهض مرة
أما أولئك الذين كانت بأيديهم فيلاكى وبيراسوس
المزهرة، مدينة ديميتير، وإيتون ذات قطعان الغنم
وأنترون المتاخمة للبحر وبتيليبوس التى تحتضنها الحشائش
الوفيرة هؤلاء كان يقودهم بروتيسيلأوس، المحارب الشديد المراس
عندما كان على قيد الحياة قبل أن يرقد تحت الأرض السوداء
أما زوجته التى مزقت خدودها (نواحا عليه) فقد
تركها (الآن) وراءه فى فيلاكى، كما ترك بيته يفتقد السيد
والخلف^(*)، فقد ذبحه رجل دارداتى بينما كان (بروتيسيلأوس)
يقفز من سفينته قبل كل الأخيين. على أن رجاله لم يستمروا

(*) تعبير domos hemiteles يعنى: البيت الذى لم يكتمل بناؤه، وقد ترجمه ريو بهذا المعنى الحرفى. كذلك ترجمه مرى بالمعنى الحرفى ولكنه أضاف فى الحاشية أنه يعنى أن البيت خال من الابن، على اعتبار أن الزوج القتل لم يترك أبناً. أما فوس فقد اكفى بأن يترجمه: البيت الخالى. ويترك للقارىء تصور هذا المعنى المجازى. وقد رأيت أن أترجمه: البيت الخالى من السيد والخلف. على أساس أن الزوج (سيد البيت) قد قتل، وأنه، لو كان قد ترك خلفاً لما ذكر هومروس أنه لم يكتمل، حيث إن الابن يخلف الأب ويصح هو رجل البيت فيكتمل البيت بذلك.

- ٧٠٥ دون قيادة رغم افتقارهم إياه، فقد خلفه على تنظيم صفوفهم بوداركيس سليل أريس وحفيد فيلاكوس وابن أفيكولوس، صاحب قطعان الغنم الكثيرة. كما كان أخوا بروتيسيلأوس ذى الهمة العالية. كان هو الأخ الأصغر بينما كان (بروتيسيلأوس) هو الأخ الأكبر وهكذا لم تفتقر قواتهم إلى قائد رغم أنهم كانوا يفتقدون الرجل النبيل الذى فقدوه. وقد جاءت مع بوداركيس أربعون سفينة سوداء.
- ٧١٠ ثم أولئك الذين كانوا يقيمون فى فيراى بجوار بحيرة بويبئيس وفى بويى وجلافيراي وأولكوس الحصينة البنيان. وكان يقودهم الابن الحبيب لأدميتوس ومعه إحدى عشر سفينة، وهو يوميلوس الذى أنجبته من أدميتوس، سيدة النساء ألكيستيس، أنبل بنات بيلياس.
- ٧١٥ أما أولئك الذين كانوا يقيمون فى ميثونى وثاوماكيا وفى ميليبويا وأوليزون الوعرة، فقد كان يقودهم، هم وسفنهم السبع، فيلوكتيتيس الذى يجيد الرماية. وقد كان فى كل سفينة خمسون مجدفا تمرسوا فى القتال بالقوس. ولكن فيلوكتيتيس كان يرقد فى جزيرة وقد ألمت به آلام موجعة، إذ تركه أبناء الآخيين (مضطرين) وهو يعانى من جراح جرح أصابه به ثعبان مميت من ثعابين البحر. على أنه لم يمضى وقت طويل قبل أن تتذكر جموع أرجوس الملك فيلوكتيتيس وهم بجوار سفنهم. وحقيقة أنهم افتقدوا قائدهم إلا أنهم لم يظنوا بلا قائد. فقد أعد ميدون صفوفهم للمعركة، وهو الابن الذى حملت به رينى سفاحاً من أوليوس مدمر المدن.
- ٧٢٠ ثم أولئك الذين كانت بأيديهم تريكى وإيثومى ذات المنحدرات الصخرية وأويخاليا، مدينة يوريتوس الأويخالى.
- ٧٢٥ هذه المدن كان يقودها ابنا أسكليبيوس، وهما الطبيبان
- ٧٣٠

الماهران بوداليريوس وماخاؤون، ومع هؤلاء كانت هناك

٧٣٥

ثلاثون سفينة مجوفة.

أما أولئك الذين كانت بأيديهم أورمينيوس ونبع هيبيريا، والذين كانت بأيديهم أستيريون والقمم البيضاء لتيتانوس، فقد كان يقودهم يوريبيلوس، الابن المجيد ليوأيمون، وكانت معه أربعون سفينة سوداء.

٧٤٠

ثم أولئك الذين كانت بأيديهم أرجيسا والذين كانوا

يقطنون جورتونى وأورثى والونى ومدينة أولوؤسون

البيضاء. وكان يقودهم بوليبيوتيس، المحارب القدير ابن

بيريثوؤس الذى أنجبه زيوس الخالد والذى حملت به

هيبوداميا المجيدة من بيريثوؤس فى اليوم الذى انتقم فيه

من الكنتوروى^(*). نوى الشعر الأشعث وطردهم من

بيليون ثم دفع بهم إلى أيدى الأيثيكين. هذا ولم يكن

٧٤٥

(بوليبويوتيس) وحده، بل كان معه ليونتيس، سليل آريس

وحفيد كايينيوس وابن كورونوس ذى الهمة العالية وكانت معهما

أربعون سفينة سوداء.

٧٥٠

كذلك كان جونيوس يقود اثنين وعشرين سفينة من

كوفوس. وقد تبعه الإينينيون والبيرايبيون، وهم مقاتلون

أشداء، كانوا قد أقاموا مساكنهم فى دودونى ذات الطقس

الشتوى وعاشوا على فلاحه الأرض حول (نهر) تيتاريسيوس

الذى تتوق النفس إلى رؤيته، والذى تتدفق مياهه فى سلاسة

(*) اللفظة فى الأصل: Feres. وترجمها فوس: الوحشون المسوخون. ويكفى ريو بترجمتها: رجال البرارى، بينما يترجمها مورى: مخلوقات الكنتوروى، وهى مخلوقات نصفها الأعلى حتى أسفل الجذع على هيئة نصف بشر أما بقية الجسم فهو بقية جسم حصان، والترجمة بهذا الشكل قوية ففى ملحمة "الأوديسية" الكتاب الأول، بيت ٢٩٥ وما بعده إشارة إلى علاقة بين بيرثوس وهذه الكائنات. وقد رأيت أن الترجمة الأولى (الوحشيين المسوخين) غير كاملة المعنى لأنها لا تشير إلى النصف البشرى من هذه المسوخ كما رأيت أن ترجمة: رجال البرارى لا تستند على أصل لغوى أو أسطورى، وفى رأي أن ترجمة: مخلوقات الكنتوروى هو الأقوى بين الترجمات الثلاث وذلك استنادا إلى ما ذكره الشاعر فى ملحمة "الأوديسية" على نحو ما سبق. ولكن خوفا من أن يكون بعض القراء على غير معرفة كافية بماهية مخلوقات الكنتوروى، نشير إلى أنها مخلوقات نصفها الأمامى على هيئة بشر ونصفها السفلى على هيئة حصان. (راجع "الأوديسية" مرة أخرى، الكتاب الحادى والعشرون، آيات ٣٠١-٣٠٣، حيث ترد كلمة الكنتوروى بمعنى الحيوان البرى أو المتوحش).

- فى (نهر) بينيوس، ومع ذلك لا تلتقى بالدوامات الفضية لنهر بينيوس وإنما تجرى فوق مياهه كما يسيل الزيت، إذ إنه يتفرع من مياه (نهر) ستيكس، نهر القسم (الرهيب)^(*).
- ٧٥٥ ثم هناك الماجنيتيون الذين كان يقودهم بروثوؤس بن تنثريدون. وكان هؤلاء يقيمون حول بينيوس وبيليون التى تغطيها الغابات التى تتماوج (أوراقها تحت الرياح). لقد كان بروثوؤس هو قائد هؤلاء. وقد جاءت معه أربعون سفينة سوداء.
- ٧٦٠ وكان أولئك قادة الدانائيين وسادتهم. ولكن حدثينى ياربة الفن والحكمة: من كان الأفضل بينهم، سواء من أولئك (الرجال) أو من الخيل، ممن تبعوا ابنى أتريوس.
- لقد كانت فرسا ابن فيريس، من بين الخيل، هما الأفضل كثيراً، وهما اللتان كان يسوقهما يوميلوس، سريعتين كالطير ولهما نفس لون الجلد وذات السن. أما ظهراهما فكانا فى استوائهما كخير ما يمكن أن يصل إليه الخط الذى يحدد مدى الاستواء. لقد كان الإله أبوللون ذو القوس الفضى هو الذى رعى هاتين الفرسين اللتين تثيران الهلع. أما من بين الرجال فقد كان الأفضل هو أياس التيلامونى طالما كان أخيليوس لا يزال على غضبه، ذلك أن أخيليوس كان أقدرهم بشوط طويل، هو والخيل التى كان يسوقها (هو نفسه)، ابن بيليوس الذى لا نظير له. ولكنه كان يقيم (آنذاك) بين سفنه ذات المقدمات المعقوفة والتى تمخر عباب البحر، وقد استبد به الغضب على أجاممنون بن أتريوس، راعى حشود المقاتلين، بينما كان رجاله يمشون وقتهم على شاطئ البحر فى رمى القرص والرمح والرمية بالقسى والسهام. أما خيولهم فقد كانت تقف فى تراخ، كل
- ٧٧٥

(*) Styx: هو نهر فى أركاديا (بلاد اليونان) له صلة فى الميولوجيا اليونانية بالعالم الآخر، وكان أهل أركاديا وكذلك الآلهة عند هومروس يقسمون عنده (هيروdotوس، الكتاب السادس، بيت ٧٤).

- منها إلى جانب عجلته الحربية، وهى تقضم اللوتس ونبات
المقدونس من الأرض الموحلة، وبينما كانت عجلات
الزعماء معدة ومغطاة بعناية فى داخل خيامهم، كانوا هم،
فى غمرة افتقادهم لقائدهم الحبيب، يتجولون فى تراخ
فى أرجاء المعسكر دون أن يشاركوا فى القتال.
- ٧٨٠ هكذا تقدم (بقية) الرجال كما لو كان السهل قد اكتسحته
النيران وقد أنت الأرض تحت وطأتهم كما تئن تحت وطأة
زيوس حين يقذف بصاعقة الرعد فى لحظة غضبه ليجلد
بها الأرض حول تيفويوس^(*)، فى منطقة الأريبيين التى
يقولون إن بها مخدع تيفويوس. هكذا كانت الأرض تئن
تحت أقدامهم عندما أتوا وهم يخترقون السهل فى سرعة فائقة.
أما عن الطرواديين فقد ذهب إلههم إيريس^(**) بخطواتها
التي تحاكي سرعة الريح، ومعها رسالة محزنة من زيوس
لابس الدرع أيجيس، بينما كان هؤلاء يعقدون اجتماعهم أمام بوابة
برياموس، وقد التأم جمعهم فى مجلس واحد، الشباب منهم
والشيوخ. لقد وقفت إيريس سريعة الخطى على مقربة منهم
وتحدثت إلههم وجعلت صوتها شبيها بصوت بوليتيس، بن
برياموس، الذى كان يجلس، وكأنه حارس يحمى الطرواديين،
فوق قمة الرابية التى تعلو مقبرة أيسينيتيس الشيخ المسن، واثقا
فى سرعة قدميه، منتظرا حين يبدأ الآخيون التقدم بعد
أن يغادروا سفنهم. وبعد أن جعلت نفسها شبيها له تحدثت
إيريس ذات الخطى الخفيفة إلى برياموس:
- ٧٩٠ "سيدى الشيخ ! إن الأحاديث التى لا تنتهى لا تزال حبيبة إلى

(*) وحش أنجته الأرض من أحد المعالقة له مائة رأس على هيئة رأس التنين ومائة يد ومائتا قدم (وفى رواية أخرى مائتا زوج من الأيدي والأقدام) ذات حجم هائل.

(**) إلهة قوس قزح، وكانت مهمتها أن تقوم بدور الرسول لكبار الآلهة. وربما كان السبب فى نسبة هذا الدور إليها هو أن قوس قزح حين يظهر يبدو وكأنه يمتد عبر السماء ويلمس الأرض عند طرفيه، فكانه يصل ما بين السماء والأرض أو ما بين طرفى الأرض.

- قلبك كما كان الحال فى أيام السلام، ولكن الحرب التى لا يهدأ أوارها
أصبحت (الآن) على الأبواب. وفى الحق فإنى قد خضت قبل الآن
حروبًا كثيرة ضد المقاتلين، ولكن لم أر قبل الآن حشدًا من
المقاتلين بمثل هذا الحجم الكبير، فإنهم (بيدون) بعدد أوراق
٨٠٠ الشجر وحبّات الرمل، وهم يتقدمون نحو السهل ليحاربوا ضد
المدينة. ياهيكتور ! إنى أطلب إليك قبل أى شخص آخر أن
تعمل بما سأقوله. كثيرون هم الحلفاء فى مدينة برياموس
العظيمة، وكثير هو اختلاف اللغات بين هؤلاء الرجال
المنتشرين خارج المدينة. فليتحدث كل (زعيم) منهم إلى
المجموعة التى يرأسها . وليتقدم كل منهم بعد أن ينتهى من
ترتيب صفوف رجال مدينته".
- ٨٠٥ هكذا تحدثت، ولم يخف على هيكتور صوت الإلهة بأية حال،
فضض الاجتماع لساعته وانطلق الجميع ليأخذوا أسلحتهم وفتحت كل
الأبواب على مصاريعها وأسرع الرجال، سواء منهم المشاة أو راكبو
العجلات الحربية، بينما ارتفع الضجيج.
- ٨١٠ هذا، وهناك أمام المدينة، وعلى مسافة بعيدة منها، تقوم
رابية على شىء من الانحدار ، تحفها الأرض الفسيحة من
هنا ومن هناك. ويطلق الرجال على هذه الرابية اسم باتيئيا،
بينما يسميها الآلهة الخالدون رابية ميرينى ذات الخطى
الخفيفة. هناك قسّم الطرواديين والحلفاء حشودهم.
- ٨١٥ وكان يقود الطرواديين هيكتور ذو الخوذة اللامعة، ابن
برياموس، وكانت قد انتظمت معه أعظم القوات وأفضلها،
ملوحين بالرماح فى شجاعة.
- ٨٢٠ وكان يقود الداردانيين الابن الشجاع لأنخيسيس، وهو
آينياس الهمام الذى حملت به الإلهة أفروديتى الجميلة من
أنخيسيس على أحد نتوءات جبل إيدا حين ضاجعت الإلهة هذا

الرجل من بنى البشر. ولم يكن وحده (على رأس الداردانيين)، وإنما كان معه إينا أنتينور: أرخيلوخوس وأكاماس، المتمرسان فى كل ضروب القتال.

٨٢٥ أما أولئك الذين كانوا يقيمون فى زيليا عند أدنى سفوح جبل إيدا، وهم عشيرة طروادية من أهل الثراء، يشربون المياه السوداء^(*). من نبع أيسيبوس، فقد كان يقودهم الابن المجيد لليكائون، بانداروس الذى أعطاه أبوللون نفسه القوس. ثم أولئك الذين كانت بيديهم أدراسيا وأرض أبايوس،

٨٣٠ وأولئك الذين كانت بأيديهم بيتويا وجبل تيريا الشديد الانحدار. وكان يقودهم أدراستوس وأمفيوس ذو المشد الكتانى، وهما ابنا ميرويس الذى ينتمى إلى بركوتى والذى كان أمهر القوم فى العرافة. ولم يكن (ميرويس) يريد لولديه أن يخوضا الحرب المدمرة للرجال. ولكن الأخوين لم يصغيا لرأيه على الإطلاق لأن أشباح الموت كانت تغريهما بالذهاب إلى قدرهما.

٨٣٥ أما أولئك الذين كانوا يقطنون حول بركوتى وبراكتيوس، والذين كانت بأيديهم سيستوس وأبيدوس وأريسبى الجميلة، فقد كان يقودهم ابن هيرتاكوس، أسيبوس، وهو زعيم (بطبيعته) للرجال، أسيبوس بن هيرتاكوس، الذى جاءت معه من أريسبى عند

٨٤٠ نهر سيللئيس خيوله الكبيرة التى تتشع بريقا. هذا، وقد قاد هيوثوؤس قبائل البلاسجيين المتمرسين فى استخدام الرماح، والذين كانوا يقيمون فى لاريسا ذات التربة العميقة. لقد كان يقودهم هيوثوؤس وببليوس، سليل آريس، وهما ابنا ليثوس البلاسجى ابن تيوتاموس.

٨٤٥ أما أكاماس والمحارب البطل بيروؤس فقد كانا على

(*) المياه السوداء ترد عند هوميروس صفة لمياه الينابيع العميقة (على سبيل المثال، "الأوديسية": الكتاب الرابع سطر ٢٥٩) التى لا يصل النور إلى عمقها فبدر سوداء الجدران، أو التى تترلق على صخرة مكسوة بالقع السوداء (الإلياذة، الكتاب السادس عشر، بيت ٤ وما بعده).

رأس الطراقيين الذين يحيط بأرضهم بحر الهيليسبونطوس
ذو المياه المتدفقة.

كذلك كان يوفيموس قائدا لحاملى الرماح الكيكونيين،
وهو حفيد كياس وابن ترويزينوس الذى يرعاه زيوس.

٨٥٠

أما بيرايخميس فقد كان يقود البايونيين ذوى الأقواس
المشدودة والذين أتوا من بلاد بعيدة، من أميدون ومن
(ضفاف) أكسيوس، النهر الواسع المتدفق، أكسيوس الذى تجرى مياهه
فى سلاستها كما لا تجرى أى مياه أخرى على وجه البسيطة.

ثم هناك البافلاجونيون الذين كان على رأسهم

بيلايمينيس ذو الرجولة الخشنة^(*)، وقد أتى بهم من أرض

الإينيتيين حيث توجد مجموعة إناث البغال البرية. إنهم أولئك

٨٥٥

الذين كانت بأيديهم كيتوروس والمناطق الواقعة حول
سيساموس وكانت تقوم مساكنهم الشهيرة حول نهر بارثينيوس
وحول كرومنا وأيجيالوس وإريثيني ذات الموقع المرتفع.

وكان يقود الهاليزونيين كل من أوديوس وإبيستروفوس

اللذين جاءا من منطقة بعيدة، من أليبي حيث مصدر الفضة.

أما عن الميسيين، فقد كان يقودهم خروميس وإنوموس

العراف (الذى يتنبأ عن طريق مراقبة حركات الطير وأصواته)

الذى لم يستطع - رغم كل تنبؤاته وعرافته - أن يتخلص

٨٦٠

من قدر الموت الأسود، فقد ذبحه ابن أياكوس، (أخيلئوس)

العداء ذو القدم السريعة، الذى كان يشيع الدمار بين

(*) التعبير فى الأصل *lasion ker*. والمعنى الحرق (على غرابته) هو: القلب الأشعث أو الخشن. وعلى هذا
فإننا نأخذ التعبير بالمعنى المجازى بمعنى الصدر الأشعث الشعر أو الخشن الشعر (على أساس أن الصدر
يجوى القلب)، وإما أن نأخذه بمعنى القلب الشديد الذى لا يهاب (ويقابله فى العامية المصرية: القلب
الجامد). والترجمتان تشير كل منهما إلى معنى الرجولة الشديدة (أمثلة فى الإلياذة، الكتاب الأول،
بيت ١٨٩، الكتاب السادس عشر، بيت ٥٥٤). وقد ترجم مرى هذا التعبير: القلب الأشعث وهى ترجمة
غير مألوفة، كما ترجمة ريو: ذو الصدر المغطى بالشعر الأشعث. أما فوس فقد ترجمه: ذو القلب العنيد.
وقد رأيت أن أترجمه: ذو الرجولة الخشنة، فهى تجمع، فى تصورى، بين المعنى الحرق والمعنى المجازى بشكل
أكثر قبولا وأقرب إلى الدقة فى الوقت ذاته.

الطرواديين ولدى الآخرين (*).

وقد كان فوركييس يقوم هو وأسكانيوس، ذو القوام الإلهي، بقيادة الفريجيين الذين أتوا من منطقة بعيدة، من أسكانيا، والذين كانوا يتحرقون شوقاً إلى خوض المعركة.

٨٦٥

وكان على رأس المايونيين كل من ميسثلئيس وأنتيفوس، ابنا تالاييمينيس الذي كانت أمه عروس بحيرة جيجايا - كانا على رأس المايونيين الذين ينتمون إلى سفح (جبل) تمولوس. كذلك كان ناستئيس يقود الكاريين الذين يتحدثون لغة

٨٧٠

غير مألوفة (**). وكانت بأيديهم ميليتوس وجبل فنيريس الذى تكسوه الأشجار المورقة، وروافد (نهر) المايانديروس وقمم ميكالى الشديدة الانحدار. وكان يقود هؤلاء كل من أمفيماخوس وناستئيس، ناستئيس وأمفيماخوس هما ابنا نوميون المجيدان وكان قد أتى إلى الحرب متزيناً بالذهب كما تتزين الفتاة، ياله من أحمق ! ولكن ذهبه لم يُجد شيئاً فى دفع النهاية التعيسة عنه، فلقد لقي حتفه ذبحاً على يدي ابن أياكوس، (العذاء) ذى القدم السريعة، فى النهر وقد

٨٧٥

قام أخيليوس (بن أياكوس)، الذى كان يفكر بعقلية المحارب (***)، بالاستيلاء على الذهب.

و(أخيراً) كان هناك ساربيدون وجلاوكوس الذى لا

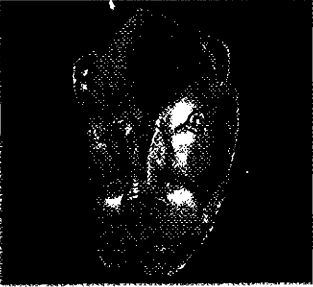
(*) فى الأصل: الآخرون، ولكننا نفهم أن الآخرين هم "الحلفاء، وذلك بالرجوع إلى آيات ٨٠٣-٨٠٥ من هذا الكتاب، حيث يتحدث هومروس عن الحلفاء الكثيرين، الموجودين فى داخل المدينة وأولئك الذين تختلف لغاتهم والمتناثرين خارج المدينة كما تعرف منه فى آخر هذه الآيات أن هؤلاء جميعاً سوف يحاربون إلى جانب طروادة.

(**) barbarophonoi تعنى حرفياً ذوى اللغة البربرية. ولكن اليونان يطلقون لفظة البربرى على كل من يتحدث لغة غير يونانية (وليس بالضرورة من هم أقل منهم تحضراً)، لأن أية لغة غير يونانية كان صوتها، بالنسبة لهم، كأنه تكرر مستمر لصوت: بربر.

(***) daiphron تعنى فى الأصل أحد معنيين، الأول هو: الذى يفكر بعقلية المحارب، والثانى هو: العاقل أو الحكيم. وقد اختار مرى معنى الحكيم القلب، واختار فوس: العظيم، واختار ريو معنى: العبد النظر، وكلها تدور حول المعنى الثانى. ولكنى وجدت أن المعنى الأول أنسب وهو: الذى يفكر بعقلية المحارب. ففى الحرب يصبح ما يملكه المغلوب ملكاً لمن يغلب. وقد تغلب أخيليوس وقتل خصمه فأصبح ذهب الخصم ملكاً لأخيليوس.

نظير له، وكانا يقودان الليكيين الذين أتوا من منطقة بعيدة،
من ليكيا ونهر كسانثوس ذى الدوامات الكثيرة.

الكتاب الثالث



ترجمة لطفى عبد الوهاب يحيى

- حين تم تجميع الحشود وقادتها، أقدم الطرواديون صاخبين
متصايحين مثل أسراب الطير، تماما كما يرتفع صخب طيور الكركى
إلى عنان السماء حين تفر أمام عواصف الشتاء والأمطار التى لا حد لها
وتطير فى صخبها نحو روافد النهر المحيط الأوكيانوس جالبة
٥ معها القتل والهلاك لمجتمعات البيجميين الأقرام^(*)، وهى
تنقض عليهم فى معركة شرسة مع بدايات الفجر. ولكن
الآخيين كانوا يتقدمون فى صمت وهم ينفثون غضبهم وكلهم
حماس لأن يساعد كل رجل رفيقه .
١٠ ومثلما تنتشر ريح الجنوب (نوتوس). الضباب على قمم الجبال،
وهو ضباب لا يحبه راعى الأغنام وإن كان لدى اللص خيرا
من (ظلام) الليل، ولا يرى فيه الرجل أبعد من رمية حجر،
هكذا ارتفعت سحابة الغبار الكثيفة من تحت أقدامهم وهم
١٥ ذاهبون (إلى المعركة) وقد تقدموا فى سرعة فائقة عبر السهل.
وعندما اقترب الرجال حين تقدم كل من الجيشين فى مواجهة الآخر،
تقدم (صفوف) الطرواديين زعيمهم ألكسندروس شبيه الآلهة، وهو يحمل
فوق كتفيه جلد الفهد إلى جانب قوسه وسيفه، ثم أخذ يلوح
بحربتين ذات رأسين من البرونز وهو يتحدى أقدر من فى
الأرجيين أن يقاتله وجها لوجه فى معركة شرسة حاسمة.
٢٠ وحين شعر به مينيلائوس، الحبيب إلى آريس، وهو
يتقدم بخطى واسعة أمام الحشد، كان فى مثل فرحة الأسد حين
يعثر على فريسة كبيرة، غزال ذى قرون كبيرة أو عنزة
برية، بعد أن يكون قد نال منه الجوع، فيلتهمها بشراسة غير

(*) أوكيانوس، هو النهر الذى يحيط بالعالم، حسب تصور اليونان القدماء (راجع الكتاب الأول)، وكان من بين روافده نهر ستيكس (راجع الكتاب الثانى: بيت ٧٥٥). وعند هذه الروافد كانت تسكن مجموعات من قبائل المخلوقات المتوحشة وعدد من الشعوب غير المألوفة بالنسبة لليونان، من بينهم الأثيوبون والأقرام. ويذكر بعض الكتاب القدامى هذه القبائل أى البيجميون على أنها فى وسط أفريقيا Pausanias I xii 4 (المحرر)

- ٢٥ عابىء بالكلاب السريعة أو بالشباب المتعطش (لصيده) وهم يطاردونه - (مثلما يكون هذا الأسد) كان مينيلأوس سعيدا عندما رأى بعينيه ألكسندروس شبيه الآلهة، إذ إنه اعتقد أنه سيأخذ بثأره من المعتدى. وفى لمح البصر كان قد قفز
- ٣٠ بسلاحه وعتته من عجلته الحربية إلى الأرض.
- على أن ألكسندروس، شبيه الآلهة، حين شعر به عندما ظهر بين الزعماء، ارتجف قلبه وتراجع بين مجموعة رفاقه تجنباً للهلاك. ومثلما يقفز رجل إلى الخلف حين يباغته ثعبان عند وهدة بغاية فى جبل فترتعد أطرافه ويلتف بحسمه ليعود مسرعاً إلى حيث أتى وقد امتقع وجهه،
- ٣٥ هكذا استبد الخوف بألكسندروس شبيه الآلهة من ابن أتريوس، فقفز إلى الخلف بين الطرواديين المعتدين بأنفسهم.
- ولكن هيكتور شاهده وقرعه بألفاظ شائنة،
- "أى باريس، المنحوس ! (*) إنك (قد) تملك الوسامة الفائقة فى أعين من ينظر إليك، أيها المجنون بالنساء وياغواهن، (ولكن) لبتك لم تولد، ولبتلك لقيت حتفك قبل أن تتزوج. نعم ! إنى أتمنى لو كان ذلك قد حدث، فهو خير من أن تكون موضع خزى لنا وأن ينظر إليك الرجال باحتقار.
- ٤٠ إن الأخيين ذوى الشعور الطويلة سيضحكون ملء أشداقهم حقاً حين يرون أننا نعتبر أميرنا زعيماً، لمجرد أن لك قواماً ممشوقاً، بينما لا تملك القوة أو الشجاعة. هل كنت (حقيقة)
- ٤٥ على هذا القدر (الضئيل) من القوة حين أقلعت إلى ظهر البحر فى سفنك التى اعتادت الإبحار، بعد أن جمعت رفاقك من أهل الثقة، ثم وصلت إلى شعب غريب وجئت من بلاد بعيدة

(*) باريس هو اسم آخر لألكسندروس. ويأتى هذا الاسم البديل ضمن لفظة واحدة هى: Dysparis بمعنى باريس المنحوس، (قارن: Ovid. Her xiii 43: Dyspari Priamide). (البحر)

- ٥٠ بامرأة جميلة، ابنة رجل يجيد استخدام الرمح، ولكنها لعنة بالنسبة لأبيك ولمدينتك ولكل الشعب - فهي فرحة لأعدائك ولكنها خزي لك أنت. ألا تريد حقيقة أن تتصدى لمينيلائوس، حبيب أريس؟ إنك (لو فعلت) ستعرف أى نوع من المحاربين هو ذلك الرجل الذى سلبته زوجته، وحينئذ لن تتفعل قيثارتك أو هدايا أفروديتى. أو خصلات شعرك أو وسامتك حين تمرغ فى التراب. ولكن الطرواديين ذوو قلوب لينة وإلا لرجموك^(*) حتى الموت قبل الآن جزاء وفاقاً على ما أقدمت عليه من شرور.

وهنا رد عليه ألكسندروس، شبيه الآلهة قائلاً:

- ٦٠ "أى هيكتور! إنك توبخنى بما أستحقه وبما لا يتجاوز الحق، وإن قلبك لا يعرف الرضوخ أبداً، مثله مثل البلطة التى تدفعها إلى قلب عرق الخشب على يد نجار ماهر وهو يشكل عارضات السفن فيزيد ذلك من قوته (على تشكيل تلك العارضات) - هكذا روحك الصامدة دوماً وهكذا دائماً قلبك الذى لا يعرف الخوف. ولكن لا تعيرنى بالهدايا الجميلة التى قدمتها إلى أفروديتى الذهبية، فالهدايا القيمة التى تقدمها الآلهة، دون أن نسألها إياها، لا يجوز أن يرفضها المرء أو يفرط فيها، رغم أنه قد لا يختارها إذا ترك لإرادته. ولكنك إذا أردت منى الآن أن التحم فى معركة، فلتدع الطرواديين الآخرين يجلسون وكذلك الآخيين، وأدفع بى أنا ومينيلائوس،

- ٧٠ حبيب أريس، إلى ما بين الجمعين لنتبارز فى سبيل هيلينى وكل ممتلكاتها، ومن ينتصر منا نحن الاثنين ويثبت أنه الرجل الأقوى، فلتكن من نصيبه الممتلكات والمرأة، وليأخذها جميعاً ويعود بها إلى بيته. أما الآخرون فليقسموا على الصداقة

(*) كان الرجم بالحجارة عقوبة معروفة لدى الشعوب السامية القديمة. (الحرر)

والثقة (المتبادلة) وليقدموا القرابين على ذلك، أنتم تقيمون
 فى طروادة ذات التربة العميقة، وهم يحرون إلى أرجوس
 ٧٥ حيث مراعى الخيول وإلى آخايا، أرض النساء الجميلات".
 هكذا تحدث (باريس). وقد ابتهج هيكتور كثيرا حين
 سمع كلماته، ثم تقدم إلى ما بين الجمعين وأوقف عن الحركة
 حشود الطرواديين بإشارة من رمحه التى كان يقبض بيده
 على وسطها، فجلسوا جميعا. أما الآخيون ذوو الشعور
 الطويلة فقد كانوا يحاولون طوال الوقت أن يصوبوا سهامهم
 ٨٠ نحوه وأن يسددوا إليه ضرباتهم وأن يقذفوه بالحجارة. ولكن
 أجامنون، ملك الرجال، صاح فيهم:

"أوقفوا ذلك، ولا تصوبوا بعد الآن يا شباب الآخيين، فإن هيكتور،
 ذا الخوذة اللامعة، يبدو وكأنه يود أن يقول شيئا".

٨٥ هكذا تحدث فتوقفوا عن هجماتهم وأخذوا إلى الصمت
 فى سرعة فائقة ثم تكلم هيكتور بين الجيشين:

"استمعوا منى أيها الطرواديين وأنتم أيها الآخيون
 المزودون بواقيات الأرجل، إلى ما يقوله ألكسندروس، الذى
 نشب الصراع من جراء ما قام به. إنه يدعو كل الطرواديين
 الآخرين وكل الآخيين أن يضعوا عدتهم وسلاحهم الرائع
 ٩٠ فوق الأرض السخية، حتى يتبارز هو ومينيلأوس فى البقعة
 الواقعة بين الجيشين من أجل هيلينى وكل ممتلكاتها، وأى من
 الطرفين تكون له الغلبة ويثبت أنه الرجل الأصلى تكون من
 نصيبه الممتلكات والمرأة ويعود بها (جميعا) إلى بيته، أما
 نحن الآخرون فلنتعاهد على الصداقة ولنقسم على الثقة
 (المتبادلة) مقدمين القرابين فى سبيل ذلك".

٩٥ هكذا تحدث (هيكتور) فخيم الصمت عليهم جميعا
 وأمسكوا عن القتال. ثم تحدث مينيلأوس البارع فى صيحة الحرب:

- ١٠٠ "أنصتوا إليّ الآن كذلك. فإن قلبي مفعم بالأسى أكثر من الجميع. إنى أرى أن يتفرق الأرجيون والطرواديون الآن بعد أن تحملتم قدرا كبيرا من الولايات بسبب النزاع الذى كانت بدايته بينى وبين ألكسندروس. فمن منا كان الموت هو قدره، فلنتركه للموت. أما أنتم الآخرون، فابتعدوا الآن بكل سرعة ولتحضروا (أيها الطرواديون) خروفيين: كبشاً أبيض ونعجة سوداء (قربانا) للأرض (جى) والشمس (هيلبوس) وسنحضر نحن (قربانا) آخر للإله زيوس،
- ١٠٥ واطلبوا حضور (الملك) برياموس حتى يقوم هو بنفسه بتأدية اليمين مصحوبا بالتضحية طالما أن ابنه يتسمان بالتعالى وعدم الالتزام بالعهد، وذلك حتى لا يُقدّم أحد، نتيجة عدم الالتزام، على عمل عنيف يسيء إلى قسم زيوس، فإن قلوب الشباب لا تستقر دائما على رأى ثابت. أما إذا شارك (فى العهد) من هو أكبر سنا فإنه يقلّب الأمر على كافة جوانبه، السابقة منها واللاحقة (فينظر إلى الأمام وإلى الخلف)^(*)،
- ١١٠ حتى يرى ما فيه أقصى الخير لكل من الطرفين".
- هكذا تحدث (مينيلاؤس)، فسّر بحديثه الآخيون والطرواديون على حد سواء، إذ قدر الجانبان أنهما فازا بالراحة من الحرب المليئة بالولايات فأوقفوا عجلاتهم الحربية فى أماكنها ونزلوا منها ونزعوا عدتهم وسلاحهم وألقوا بها على الأرض، كل مجموعة إلى جانب الأخرى لا يفصل بينها سوى فاصل ضيق. ثم أرسل هيكتور رسولى المدينة على

(*) هكذا يقول النص الهومرى الأصلي وقارن Plato, Cratylus 428D. وقول شكسبير فى "هاملت" (الفصل الرابع مشهد ٤ بيت ٣٧):

"He that made us with such large discourse,
Looking before and after.

وقارن شيللى "إلى طائر القبرة" "To a Skylark"

We look before and after
And pine for what is not

- وجه السرعة ليحضروا الخراف وليطلبوا إلى برياموس
المجىء. أما أجاممنون فقد أرسل تالشيبيوس إلى السفن المجوفة
١٢٠ وطلب أن يقوم بإحضار خروف. وقد أصغى هذا إلى
أجاممنون، شبيه الإله (وشرع في تنفيذ ماطلبه).
ولكن (الإلهة) إيريس ذهبت رسولاً إلى هيليني
ذات الأذرع البيضاء في صورة أخت زوجها، زوجة ابن
أنتينور، التي اتخذها السيد هيليكائون ابن أنتينور زوجة له،
١٢٥ وهى لاؤديكى، أجمل بنات برياموس وقد وجدت هيليني في
البهو وهى تنسج شالا مزدوج العرض وقد ظهر فوقه تطريز
يمثل معارك كثيرة بين الطرواديين مروضى الخيول
والأخيين ذوى الدروع البرونزية والذين تحملوا فى سبيلها
الكثير على أيدى آريس. وقد تقدمت إيريس إليها فى خطى سريعة
١٣٠ وتحذرت إليها قائلة:
- "هيا أيتها العروس العزيزة^(*)، حتى يمكنك أن تشاهدى الأعمال
الغريبة التى يُقدم عليها الطرواديون مروضو الخيول والآخيون ذوى
الدروع البرونزية. إن أولئك الذين كانوا مستعدين فى الماضى لأن
يخوضوا فوق سهل آريس حرباً شرسة فيما بينهما وقد استقر عزمهم
على معركة دامية، أخذوا الآن إلى الصمت وتوقفوا عن إشعال
١٣٥ نار الحرب وهم يتكئون (الآن) على تروسهم بعد أن غرسوا
حولهم حراهم الطويلة فى الأرض. ولكن ألكسندروس
ومينيلأوس، حبيب آريس، ستدور المعركة بينهما
بحراهما الطويلة من أجلك، ومن يحالفه النصر منهما
١٤٠ ستصبحين زوجته الحبيبة".

(*) اللفظة التى يستخدمها الشاعر وهى: *nymphe*، تعنى المرأة الصغيرة المتزوجة أو المرأة المتزوجة على الإطلاق أو الفتاة المقبلة على الزواج. وواضح هنا أن لاؤديكى كانت تريد أن تدلل هيليني وتكون رقيقة معها حتى تستطيع أن تسميها لما تريد أن تقوله له. ومن هنا استخدمت لفظة عروس التى تماشى مع هذه الرقة وهذا التدليل.

هكذا تحدثت الإلهة، وملأت (بحديثها) قلب هيليني
 بالحنين إلى زوجها السابق وإلى مدينتها وإلى أبويها فوضعت
 على رأسها غطاء من الكتان الفضى وخرجت من غرفتها^(*)
 وقد انهمرت الدموع من عينيها. ولم تكن وحيدة فقد تبعتها
 وصيفتاها كذلك، وهما آيترا ابنة بيتيثيوس وكليميني ذات
 العيون الواسعة، ووصل الجميع بسرعة إلى حيث توجد
 البوابات سكاياي.

١٤٥

١٥٠

١٥٥

أما الذين كانوا حول برياموس وبانتوس وثيرمويتيس
 ولامبوس وكليتيوس وهيكتاؤون، سليل آريس، وأوكاليجون
 وأنتينور، وهم من أصحاب الرأي - فقد جلسوا بوصفهم
 شيوخ المدينة فوق بوابات سكاياي. لقد كان هؤلاء
 قد توقفوا عن المشاركة في الحرب بعد أن تقدمت بهم السن،
 ولكنهم كانوا متحدثين متميزين. وكما تعمد الجنادب إلى
 شجرة في الغابة وترسل من هناك صغيرها النقي الناصع
 كان زعماء الطرواديين يتحدثون وهم يجلسون فوق
 سور المدينة. وحين رأوا هيليني تصعد إلى أعلى السور.
 تهامسوا فيما بينهم بصوت خافت وكلمات مجنحة:

١٦٠

"(حقاً) إننا لا يمكن أن نلوم أحداً إذا عانى الولايات كل من
 الطرواديين والآخيين المزودين بواقيات الأرجل في سبيل امرأة كهذه.
 إنها تشبه إلى حد العجب الرباب المقدسة لمن ينظر إليها.
 ومع ذلك ورغم كل ما هي عليه (من جمال) دعوها تغادر إلى
 السفن (حتى تعود إلى وطنها) ولا تبقوا عليها هنا حتى لا
 تصبح (بوجودها) مصدر لعنة تحل بنا وبابنائنا من بعدنا".
 هكذا تحدث (الزعماء)، ولكن برياموس نادى هيليني قائلاً:

(*) يبدو أن غطاء الرأس كان متبعا عند ظهور المرأة في مجتمع الرجال فهل هذه عادة طروادية شرقية أم
 إغريقية كذلك؟. (المحرر)

- "تقدمى يا صغيرتى الحبيبة واجلسى هنا أمامى حتى
تستطيعى أن ترى زوجك السابق وأقاربك وشعبك. إنه لا
لوم عليك البتة فى نظرى، إنما يقع اللوم فى رأى على
الآلهة، فهم الذين أثاروا الآخيين للحرب الرهيبة. ولتخبرينى من هو
١٦٥ ذلك الآخى الظاهر فى بسالته، الفارع فى طوله. حقيقة أن هناك من
يفوقه طولاً بفارق رأس، ولكن عينى لم تقع قط على من هو أكثر منه
١٧٠ وسامة أو عظمة. إن له سمت الملوك".
- وهنا ردت عليه هيلينى الحلوة الشمائل بين النساء:
"إنك لتبعث فى نفسى الاحترام والهيبة، أى حماى
وموضع إعزازى، لكم تمنيت لو كنت قد اخترت الموت بأئسة
قبل أن أحضر فى ركاب ابنك إلى هنا، تاركة ورائى بيت
زوجيتى وأهلى وطفلتى (*) الوحيدة الحبيبة (**). ورفيقات الصبا
١٧٥ - ولكن هذا لم يكن مقدراً له أن يكون. ومن أجل هذا فإنى
أتلاشى الآن فى دموعى. ومع ذلك فإنى سأجيبك عما تتساءل
عنه. إن هذا الرجل هو ابن أتريوس، أجامنون، الذى
يسيطر على بلاد مترامية الأطراف، فهو ملك ومن رماة
١٨٠ الرمح البواسل وكان أخاً لزوجى، أنا التى لم تعرف الحياء،
إذا كان هناك حقاً أحد بهذه الصفات".
- هكذا تحدثت (هيلينى) فتملك الإعجاب الشيخ وقال:
"يا ابن أتريوس، أيها السعيد المحفوظ المبارك، إنى
أرى الآن الأعداد الهائلة من شباب الآخيين الذين يخضعون
١٨٥ لحكمك. لقد سافرت فى الماضى إلى أرض فريجيا (***)

(*) المقصودة هنا هى هوميون (قارن "الأوديسية" الكتاب الرابع ١٤) ومن الملاحظ أن هيلينى تقدم هنا فى الإلياذة على أنها ليست زوجة صغيرة مدللة ومضللة لأن هوميون الصبية (ما بين ١٣ و ٢٠ سنة) توحى

بأن هيلينى فى الثلاثينيات من عمرها على الأقل. (الخرى)

(**) لفظة telygete الواردة فى النص صفة للطفل الوحيد أو الطفل الحبيب. فرأيت أن أجمع بينهما.

(***) كما هو واضح يفرق هوميروس فى "الإلياذة" بين الفريجيين والطوراديين ولكن فيما بعد هوميروس صار هذا التمييز غير واضح أو بالأحرى تلاشى، وراجع المقدمة. (الخرى)

الغنية بالكروم وشاهدت الفريجييين المتمرسين فى ركوب الخيل ذات الجلد البراق، قوم أوترىوس ومجدون، نظير الآلهة، الذين كانوا يعسكرون على ضفاف نهر سانجارىوس لأنى، أنا الآخر، بوصفى حليفاً لهم، كنت أعد واحدا منهم حين جاءت (نساء) الأمازونات، نظيرات الرجال. ومع ذلك فحتى هؤلاء (الفريجيون) لم يكونوا بكثرة الأخيين نوى العيون البراقة".

١٩٠

بعد ذلك وقعت عينا الشيخ على أوديسىوس فسأل (هيلينى) عنه: "والآن خبرينى، يا صغيرتى الحبيبة، عن هذا الرجل، من هو؟ إنه أقصر بمقدار رأس عن أجامنون بن أترىوس، ولكنه (بيدو) لمن ينظر إليه أعرض منكبين وصدرًا. إن عدته الحربية ملقاة على الأرض السخية بينما يطوف هو مثل الكبش الذى يتزعم القطيع بين صفوف المفاتلين. إنه بيدو لى مثل الكبش، الكبش ذى الصوف السميك وهو يتابع الخطو خلال قطيع كبير من النعاج البيضاء".

وقد أجابته هيلينى، سلية زيوس:

١٩٥

"هذا هو ابن لائيرتيس، أوديسىوس الواسع الحيلة، الذى شب فى أرض إيثاكي الوعرة. ومع ذلك فهو على قدر كبير من الدهاء ومتمرس فى دهايلز التحايل الماكرة".

وهنا أردف أنتينور، الرجل الحكيم:

٢٠٠

"إن ما ذكرته (الآن) هو عين الحقيقة، فقد جاء أوديسىوس، شبيه الآلهة إلى هنا فى الماضى فى مهمة تخصك، هو ومينىلاؤس حبيب آريس. وقد كنت أنا الذى يحتفى بهما فى أبهاء (قصرى) واستطعت أن أتعرف على شكلهما وقوامهما وحيلهما الماكرة. وحين تقابلا مع الطرواديين واختلطا بهم عندما اجتمع الطرفان، كان مينىلاؤس، وهو واقف، يفوق أوديسىوس

٢٠٥

٢١٠

- بمنكبيه العريضين، ومع ذلك فحين كان الاثنان يجلسان كان
أوديسيوس هو أبرزهما من حيث السمات الملكى. ولكن
عندما بدأ يدبجان الحديث ويقدمان الرأي فى حضور الجميع،
٢١٥ تحدث مينيلأوس بكلمات قليلة حقاً ولكن فى وضوح كامل،
إنه لم يكن رجل الأحاديث المطولة أو الخروج عن لب الموضوع
مع أنه كان أصغر الرجلين سناً. ولكن أوديسيوس الواسع الحيلة كان،
حين ينهض (من مجلسه)، يقف وينظر إلى أسفل مركزاً نظراته على
الأرض دون أن يحرك عصاه إلى الأمام أو الخلف، وإنما يقبض
عليها كما لو كان رجلاً تنقصه القدرة على الفهم، حتى إنك لتظنه
٢٢٠ رجلاً فظاً غليظاً غارقاً فى البلاهة. على أن صوته الضخم حين كان
ينطلق من صدره وتتساب كلماته مثل نَدَفِ الثلج فى يوم من
أيام الشتاء، حينئذ كان لا يجارى أوديسيوس أحد من بنى
البشر الفانين. وحين كنا ننظر إلى طلعة أوديسيوس آنذاك لم
٢٢٥ تعد تخدعنا ظواهر الأمور".
وكان ثالث من رآهم الشيخ هو أياس، فسأل (هيلينى):
"ومن إذن هو هذا الرجل الآخى الباسل الضخم الذى يقف
شامخاً بين الأرجيين برأسه ومنكبيه العريضين؟".
وهنا أجابته هيلينى ذات الرداء الطويل وذات الشمائل
الحلوة بين النساء:
٢٣٠ "هذا هو أياس، الرجل العملاق والسند الرئيسى للأخيين. وعلى
الجانب المقابل يقف إيدومينيوس مثل الإله بين الكريتيين، وحوله
يلتف زعماء الكريتيين. وقد كان مينيلأوس، حبيب آريس،
يحرص على أن يحتفى به فى بيتنا كلما أتى من كريت.
والآن فإنى أرى باقى الأخيين ذوى العيون البراقة، الذين أتبينهم جيداً
٢٣٥ وأذكر أسماءهم ولكن اثنين من بين من قاموا بتنظيم الجيش لا
أراهما، وهما كاستور مروض الخيول، والملاكم النبيل بوليديوكيس،

- وهما أخواى اللذين حملت بهما أمى. فإما أنهما لم يتبعا (المقاتلين)
 ٢٤٠ من لاكيدايمون الساحرة، وإما أنهما، بعد أن حضرا إلى هنا فى سفنهم التى تمخر عباب البحر، يتجنبان دخول معركة المقاتلين تفاديا للفضيحة والإهانات التى ارتبطت بشخصى".
- هكذا تحدثت (هيلينى) ولكنها لم تكن تدرى أن الأرض
 ٢٤٥ واهبة الحياة كانت قد احتوتهما فى لاكيدايمون، وطنهما الحبيب. وفى خلال ذلك كان الرسل يحملون فى طرف المدينة قرابين الأيمان المقدسة (التي أقسموها) إلى الآلهة: خروفين وقربة للخمر مصنوعة من جلد الماعز وفاكهة الأرض التى تتعش القلب. وكان الرسول إيداىوس يحمل طاساً لامعة وكئوساً من الذهب، فذهب إلى جوار الشيخ قائلاً:
- "قم يا ابن لاؤميدون، فإن زعماء الطرواديين مروضى الخيول
 ٢٥٠ و(زعماء) الأخيين ذوى الدروع البرونزية يطلبون إليك أن تنزل إليهم فى السهل حتى تقسم أيمان الثقة مصحوبة بتقديم القرابين، فإن ألكسندروس ومينيلأوس، حبيب آريس، سيتبارزان بالرماح الطويلة من أجل المرأة، وأى من الاثنين يكون النصر حليفاً له فلتتبعه المرأة وما تملك. أما فيما يخص الآخرين، فبعد القسم على الصداقة وتقديم أيمان الثقة مصحوبة بتقديم القرابين، نقيم نحن فى طروادة ذات التربة العميقة، بينما يغادرون هم إلى أرجوس حيث مراعى الخيول وإلى آخايا، أرض النساء الجميلات".
- هكذا تحدث (إيداىوس) فارتجف الشيخ، ولكنه طلب إلى
 ٢٦٠ رفاقه أن يشدوا وثاق الخيل (إلى عجلته الحربية)، فنفذوا ما أمر به بسرعة، وارتقى برياموس (العجلة) وأمسك بالعنان ثم صعد أنتينور إلى جواره فى العجلة الجميلة، وساق الاثنان الحصانين السريعين من خلال بوابات سكاياى إلى السهل.

- ٢٦٥ ولكنهما حين وصلا إلى حيث يوجد الطرواديون
والآخيون، نزلا من العجلة على الأرض السخية وذهبا إلى
(البقعة التي تقع) ما بين الطرواديين والآخيين. وعلى الفور
نهض أجاممنون ملك الرجال وأوديسيوس واسع الحيلة. بعدها
أحضر الرسل، ذوو السمات النبيل، القرابين التي كانت
ستصاحب الأيمان المقدسة للآلهة، و (صبوا) الخمر فى
٢٧٠ الطاس وخطوها(*) ثم سكبوا الماء على أيدي الملوك
والزعماء، بعدها سحب ابن أتريوس بيده السكين التي كان يعلقها دائما
إلى جوار غمد سيفه الكبير ثم قطع شعرا من رعوس الخراف وقسمه
الرسل بين زعماء الطرواديين والآخيين، وفى وسطهم رفع ابن أتريوس
يديه وأطلق دعواته بصوت مرتفع:
- ٢٧٥ "أبانا زيوس الذى يحكم (الكون) من (جبل)
أيدا، أيها الأُمجد الأعظم، وأنت أيتها الشمس (هيليويس) التي
ترى كل شيء وتسمع كل شيء، وأنت أيتها الأنهار ويا أيتها
الأرض والقوى الإلهية الموجودة تحت الأرض(**)،
٢٨٠ يامن ينتقمون من الذين فارقوا هذه الحياة بعد أن حنثوا بأيمانهم!
لتكونوا (جميعا) شهودا ولترعوا أيمان العهد. إذا قتل
ألكسندروس مينيلائوس فليحتفظ بهيلينى وكل ما تملكه وسنعود
نحن فى سفننا التي تمخر عباب البحر. أما إذا قتل مينيلائوس
ذو الشعر الأشقر ألكسندروس، فليعد الطرواديون
٢٨٥ هيلينى وكل ما تملكه، وليدفعوا للأرجيين، ردا للاعتبار،
التعويض الملائم الذى سوف يتحدث به رجال لم يوجدوا بعد(***)
أما إذا رأى برياموس وأبناء برياموس ألا يدفعوا لى

(*) الخمر المستخدمة فى القسم وإبرام العهد لا تخلط بالماء والمقصود هنا هو خلط الخمر الطروادية مع نظيرها الإغريقية. (الحرر)

(**) المقصود هنا هاديس وبرسيفونى. (الحرر)

(***) فى الأصل: من سوف يكونون essomenoisi، ويقصد بذلك الأجيال القادمة.

- ٢٩٠ التعويض إذا قتل ألكسندروس، فإنى سوف أحارب عند ذلك لأحصل على التعويض، وسوف أظل هنا حتى أصل بهذه الحرب إلى نهايتها". وبعد أن تحدث (أجاممنون) حز رقاب الخراف بالنصل البرونزى الذى لا يعرف الرحمة ووضعها على الأرض وهى تشهق باحثة عن الأنفاس الضائعة، لأن النصل البرونزى قد
- ٢٩٥ حرمها من قوتها. بعد ذلك ملأوا كئوسهم خمرا من الطاس وسكبوها (على الأرض) وصلوا للآلهة الخالدة. وهكذا كان أى (رجل) من الآخيين أو من الطرواديين يقول، "أى زيوس، أيها الأجد الأعظم، وأنت أيتها الآلهة الخالدة الأخرى إذا بدأ أى من الجمعين بالشر حنتا بالإيمان والعهود، فلترق أمخاهم على الأرض مثل هذه الخمر، وأمخاخ ابنائهم (من بعدهم)، ولتصبح نساؤهم إماء عند الآخرين".
- ٣٠٠ هكذا تحدثوا ولكن (زيوس) بن كرونوس لم يكن قد شاء بعد أن يحقق ما تعاهدوا عليه. بعد ذلك تحدث فى وسطهم برياموس ابن داردانوس قائلا:
- ٣٠٥ "أنصتوا إلىّ أيها الطرواديين وأيها الآخيون المزودون بواقيات الأرجل. إنى سأأخذ طريقى عائداً إلى إليون التى تتناوبها الرياح، لأنى لن أستطيع بأية حال أن أتحمل رؤية ابنى الحبيب وهو يبارز مينيلأوس، حبيب أريس. ولكنى أعتقد أن زيوس وحده هو والآلهة الخالدة يعلمون من من الاثنين قد كتب عليه الموت".
- ٣١٠ هكذا تحدث الرجل نظير الآلهة وأمر بوضع الخراف فى عجلته الحربية وأمسك بالعنان وصعد أنتينور بجواره فى العجلة الرائعة وعاد الاثنان إلى إليون. ولكن هيكتور بن برياموس وأوديسيوس، شبيه الآلهة، قاسا مسافة (بين الغريمين) فى أول الأمر ثم أخذوا علامات الاقتراع ووضعها فى
- ٣١٥

- الخوذة البرونزية ليعرفوا أيًا من الاثنين سيكون له حق البدء بالرماية برمحه البرونزى، ثم قامت الجموع بالدعاء ورفعوا أيديهم (ابتهالا) إلى الآلهة. وهكذا كان أى (رجل) من الآخيين أو من الطرواديين يقول، "أبانا زيوس الذى يحكم (الكون) من إيدا، أيها الأجد الأعظم، فلتنك مشيئتك، إذا كان أى من الاثنين هو الذى تسبب فى هذا العناء، أن يكون الموت نصيبه وأن يدخل مقر هاديس، بينما تكون الصداقة وعهود الثقة (المتبادلة) من نصيبنا".
- ٣٢٠ هكذا كانوا يتحدثون، بينما كان هيكتور العظيم ذو الخوذة اللامعة يهز الخوذة (التي بها علامات الاقتراع) وهو ينظر إلى الخلف (حتى لا يراها)، وفى التوقف علامة باريس إلى المقدمة. فجلست الجموع فى صفوف حيث كانت توجد الخيل ذات الخطو المرتفع الخاصة بكل منهم، وحيث كان قد وضع عدته الحربية المرصعة. أما هو فقد وضع عدته الأنيقة حول منكبيه، ألكسندروس، زوج هيلينى ذات الشعر الجميل. ثم بدأ بتثبيت الواقيات حول رجليه. لكم كان هذا جميلا وقد نُتبت بأسفله قطعتان فضيتان عند الكعبين. بعدها لف صدره بمشد أخيه ليكاون بعد أن أحكمه ليلانم حجم (صدره)، ثم علق على منكبه سيفه البرونزى^(*) الذى رصع (مقبضه) بالأزرار الفضية. بعد ذلك أعد ترسه الكبير القوى، وفوق رأسه الضخم وضع الخوذة المتقنة الصنع تعلوها خصلة من شعر الخيل. أما الريشة (المثبتة بها) فقد كانت تهتز من أعلى إلى الأمام بشكل مخيف، ثم أخذ رمحا ملائما لقبضته. وبالطريقة ذاتها أعد مينيلائوس، المعرم بالحرب، سلاحه وعدته.
- ٣٣٠
- ٣٣٥
- ٣٤٠
- وحيثما انتهيا من التسلح على جانبي الحشدين، خطا

(*) هذه الصفة تأتي فى نهاية الجملة فى الأصل وتقع فى بداية بيت ٣٣٥، ولكن كان لابد من تقديمها فى الجملة العربية المترجمة إلى البيت السابق، ٣٣٤.

- كل منهما خطوات واسعة إلى المسافة الموجودة بين
الطرواديين والآخيين، وكل منهما يرمق الآخر بنظرات
مخيفة، بينما علت الدهشة أوجه الذين كانوا يشاهدونها من
الطرواديين مروضى الخيول والآخيين المزودين بواقيات
الأرجل. ثم وقفا على مقربة من بعضهما فى المساحة
المحددة وكل منهما يهز رمحه فى غضب نحو الآخر. وفى
البداية رمى ألكسندروس رمحه البعيد الظل(*) فأصاب
ضربته ترس ابن أتريوس، المتوازن الاستدارة ولكن
الرمح البرونزى لم يخترق الترس وإنما التوى سنه على ظهر
الترس السميك. بعد ذلك أسرع برمحه البرونزى ابن
أتريوس، مينيلأوس، مقدما الدعاء للأب زيوس:
- ٣٤٥ "أى زيوس، ملكنا، فلتكن مشيئتك أن أنتقم ممن كان البادىء
بايذائى، ألكسندروس شبيه الإله، ولتجعله يجثو تحت يدى حتى
يرتجف رجال سوف يولدون، إذا حاول أحدهم أن يسبب الأذى
لمضيفه الذى أكرم وفادته".
- ٣٥٥ وبعد أن قال ذلك وازن فى يده رمحه البعيد الظل ثم
صوبه فأصاب ضربته ترس ابن برياموس، المتوازن
الاستدارة، فاخترق الرمح الترس اللامع ثم نفذ من خلال
الدرع فى اندفاعه القوى حتى مزق قميصه عند خاصرته،
ولكن ألكسندروس انتشى بجسمه فأفلت من الموت الأسود. بعد
- ٣٦٠ ذلك استل ابن أتريوس سيفه المرصع (مقبضه) بالأزرار الفضية،
وارتفع بنفسه عاليا فهوت ضربته على حافة خوذة (ألكسندروس)،
ولكن سيفه تحطم إلى ثلاث قطع إن لم يكن أربعا. عندها أطلق ابن
أتريوس صرخة مليئة بالمرارة وهو ينظر إلى السماء:
- ٣٦٥ "أبانا زيوس، إنه لا يوجد إله آخر فى مثل

(*) كناية عن طول الرمح.

قدرتك على التدبير. لقد اعتقدت أنى انتقمت من ألكسندروس بسبب ما أوقعه بى من أذى، ولكن سيفى تحطم فى يدى، بينما سددت رمحى بلا طائل دون أن أصيب (غريمى).
قال ذلك ثم انقض عليه وأمسك به من خوذته ذات الخصلة

٣٧٠

السميكة من شعر الخيل ثم دار به عدة دورات وسحبه نحو الآخيين المزودين بواقيات الأرجل، وهنا كاد (ألكسندروس) أن يختنق بالشريط الجلدى المطرز بسخاء أسفل حلقه اللين والذى كان مشدودا بإحكام تحت ذقنه حتى يضبط الخوذة فى مكانها. وقد كان بإمكان مينيلأوس أن يفوز بالمجد الذى لا نزاع فيه لولا أن ابنة زيوس، أفروديتى، لمحت بسرعة

٣٧٥

ما حدث فقطعت، لفرط أسفه، الشريط المصنوع من جلد ثور ذبيح، إلى قطعتين، وهكذا انخلعت الخوذة الفارغة فى يده القوية، فقذف بها بشدة إلى جمع الآخيين المزودين بواقيات الأرجل ليتلقفها رجاله المخلصون. أما هو فقد قفز مرة أخرى،

٣٨٠

وكله حماس ليقتل غريمه بالرمح البرونزى، ولكن أفروديتى جذبت (ألكسندروس) بعيداً بسهولة فائقة لا تستطيعها إلا إلهة، وأحاطته بضباب سميك ثم وضعته فى غرفته المعطرة ذات العقود بينما ذهبته هى لكى تستدعى هيلينى، فوجدتها فوق

٣٨٥

السور العالى وقد أحاطت بها مجموعات من الطرواديات. فأمسكت الإلهة بردائها العطر وجذبتة قليلا وتحدثت إليها فى صورة سيدة مسنة، ماشطة للصوف، كانت تقوم بتمشيط الصوف الجميل عندها حين كانت (لاتزال) فى لاكيدايون، وكانت محبوبة لديها. فى صورة

٣٩٠

هذه الماشطة تحدثت أفروديتى:

"تعالى إلى هنا، إن ألكسندروس يدعوك إلى الذهاب إلى بيتك، إنه هناك فى غرفته وفوق سريره المزركش يشع وسامة ونضارة، لن يخطر على بالك أنه قد أتى إلى هناك من

- مبارزة خصم، بل (ستعتدين) أنه ذاهب إلى (حفلة) رقص أو
 ٣٩٥ أنه يجلس (على سريره) وكأنه شخص أتى لتوه من (حفلة) رقص".
 هكذا تحدثت (أفروديتي) فاضطرب قلب هيليني وحين
 رأته عنق الإلهة الجميل وصدرها الساحر وعيونها
 البراقة. تملكته الدهشة فوجهت حديثها إليها قائلة:
 "أيتها الإلهة غريبة الأطوار ! لماذا تريدان أن تضلليني على
 هذه الصورة ؟ حقا إنك كنت ستقودينني إلى أبعد من هنا،
 ٤٠٠ (ربما) إلى إحدى المدن الأهلة بالسكان في فريجيا أو مايونيا
 الجميلة، إذا كان هناك، مرة أخرى، شخص من البشر حبيب
 إليك، بعد أن انتصر مينيلائوس على ألكسندروس شبيه
 الآلهة، ويريد الآن أن يأخذني، أنا المكروهة إلى بلده.
 ٤٠٥ إنك أتيت إلى هنا لهذا السبب بفكر مخادع، فلتذهبي
 الآن ولتجلسي إلى جوار (ألكسندروس)، ولتبتعدى عن طريق
 الآلهة ولا تجعلي قدميك تقودانك بعد الآن إلى الأوليمبوس،
 بل ظلي منشغلة به وأحرسيه حتى يتخذك زوجة
 ٤١٠ له أو ربما أمًا له. ولكني لن أذهب إلى هناك لكي أشاركة
 مخدعه، فهو شيء مشين. إن كل الطرواديات سوف يوجهن
 إلى اللوم بعد ذلك، وأنا لذي من الهموم ما يتقل روحى بلا حدود".
 وقد أغضب ذلك (الكلام) الإلهة أفروديتي، فردت عليها:
 ٤١٥ "لا تثيريني أيتها المرأة الطائشة وإلا غضبت عليك
 وتخليت عنك وكرهتك بقدر ما أحبك الآن حبا جمًا، وقمت
 بإثارة الكراهية بين الجانبين، الطرواديين والداناتيين، وبذلك
 يكون قدرك هو النهاية البائسة".
 هكذا تحدثت فتملك الخوف هيليني، سليلة زيوس،
 ٤٢٠ وذهبت وهى ملتفة بردائها اللامع فى صمت دون أن تلحظها
 الطرواديات، بينما كانت الإلهة تقود الطريق.

- وحين وصلا إلى قصر ألكسندروس الرائع، بدأت خادמות
القصر أعمالهن. ولكن السيدة حلوة الشمائل ذهبت إلى الغرفة
ذات السقف العالى. وهناك أخذت الإلهة أفروديتى، الضحوك
٤٢٥ كرسيا وضعتة فى مواجهة ألكسندروس، فجلست عليه هيلينى ابنة
زيوس لابس الدرع أيجيس وعيناها تنظران شزراً، وعنفت زوجها قائلة:
"لقد عدت من القتال، وباليك كنت هلكت هناك بعد أن
انتصر عليك رجل باسل هو زوجى السابق. لقد كنت تفخر فى
الماضى بأنك أفضل من مينىلاؤس، حبيب أريس، سواء
فى قوة يديك أو فى تسديد الرمح. فلتذهب إذن ولتتحد
مينىلاؤس، حبيب أريس، للمبارزة وجها لوجه! ولكنى
أنا نفسى أدعوك ألا تقدم على ذلك وألا تندفع إلى مينىلاؤس
ذى الشعر الأشقر لتبارزه، فقد تسقط صريع رمحه".
٤٣٥ وهنا رد عليها بريس بهذه الكلمات:
"لا تعنفى قلبى أيتها السيدة بكلمات الإهانة الجارحة.
لقد هزمنى مينىلاؤس هذه المرة بمساعدة (الإلهة) أثينة، ولكنى
سأنتصر عليه فى مرة قادمة، فهناك آلهة تقف إلى جانبنا
ولكن تعالى (الآن)، ولنأخذ حظنا من البهجة والسعادة
بممارسة الحب معاً، فإن روحى لم تستشعر مثل هذه الرغبة
الجارفة من قبل، حتى حين انتزعتك فى البداية من (أرض)
لاكيدايون الجميلة وأبحرت معك على سفنى التى تمخر
٤٤٥ عباب البحر، ولا حتى فى جزيرة كراناى^(*). حين داعبتك
فوق مخدع الحب - (إن روحى لم تستشعر ذلك) كما أحب
الآن ولا كما تسيطر على الرغبة اللذيذة (فى هذه اللحظة)".
وحين انتهى من حديثه قاد الطريق إلى الفراش وتبعته

(*) "كراناى Kranae يقول البعض إنما ماراتونيسى Marathonisi (جزيرة ماراتون = جيثيون Gythion الحديثة ميناء إسبرطة وتقع على بعد ٢٧ ميلاً منها ويقول آخرون إنما جزيرة هيلينى Hellene بالقرب من ساحل أتيكا. (البحر)

- زوجته، وهكذا رقد الاثنان على السرير الخشبي الجيد الصنع.
- ٤٥٠ أما ابن أتريوس فقد هاج وماج وسط الجمع كأنه حيوان متوحش،
 وراح يبحث عن ألكسندروس، شبيه الآلهة، فى كل مكان. ولكن أحدا
 من الطرواديين أو من حلفائهم ذوى الصيت الذائع لم يكن بمقدوره أن
 يدل مينيلائوس، حبيب أريس، عليه، ولم يكونوا يودون إخفاءه لحب
 يكونه له، فقد كان الجميع يبغضونه كما يبغضون الموت الأسود.
- ٤٥٥ عند ذلك تحدث بينهم ملك الرجال، أجاممنون، قائلاً:
 "أنصتوا إلى أيها الطرواديين والداردانيون والحلفاء. إن النصر
 الآن بكل تأكيد فى جانب مينيلائوس، حبيب أريس. وعلى هذا
 فلتتلخوا عن هيلينى التى تنحدر من أرجوس و عما تملكه،
 وعليكم أن تدفعوا التعويض الملائم الذى سيبقى فى أذهان
 الرجال الذين سوف يولدون".
- ٤٦٠ هكذا تحدث ابن أتريوس فتعالى صياح كل الأخيين تأييداً له.
- ٤٦١

الكتاب الرابع



ترجمة أحمد عثمان

- كان الآلهة يجلسون في حضرة زيوس يتباحثون ويتحدثون على الأرضية الذهبية^(*). وعليهم تدور هيبى وتصب لهم النيكثار في كنوس ذهبية. تبادلوا أنخاب العهد الوثيق فيما بينهم، وألقوا نظرة من عليانهم على مدينة طروادة. وفجأة هب ابن كرونوس زيوس يداعب هيرا بكلمات موحية، إذ قال ساخرًا :
- ٥ "اثنان من الإلهات تساعدان مينيلائوس، هيرا الأرجية وأثينة الحارسة الالكومينية"^(**). ولكنهما فيما يبدو لى تجلسان جانبًا وتستمعان بالمشاهدة، بينما أفروديتي الضحوك تقف دومًا بجوار بطليها المحبوب تدفع عنه عائلة المصير المحتوم. والآن تروا أنفذته من موت محقق، وإنى لعلى يقين تام أن النصر حليف مينيلائوس حبيب آريس. وعلينا نحن إذن أن ننظر فيما يمكن أن تنتهى إليه هذه الأعمال، هل سنثيرها من جديد حربًا ضروسًا وصراعًا مريرًا، أم نزرع الحب والسلام بين الطرفين. فإذا راق لكم جميعًا ما ندع مدينة الملك برياموس تظل عامرة بأهلها ويعود مينيلائوس بهيليني الأرجية إلى وطنهما".
- ٢٠ قال ذلك بينما كانت أثينة وهيرا يتتهامسان فى تمللم وتبرم. كانتا تجلسان ملتصقتين تضرمان الشر للطرواديين. صامته كانت أثينة، فلم تنبس بكلمة، عابسة تقطب الجبين لو الدها زيوس، حيث استولى عليها غضب وحشى. أما هيرا فلم يستطع صدرها أن يحتوى غضبها فانفجرت صارخة فى وجهه:
- ٢٥ "يا ابن كرونوس، أيها المرعب، ما معنى هذا الذى تقوله ؟ كيف تضيع جهدى وتجعله عبثًا، جهدى الطويل وعرقى يوم أجهدت جوادى الاثنين وأنا أجمع الناس وأعلنها لعنة وخرابًا على برياموس

(*) سادت فى العصور القديمة فكرة تعدد من الخزعبلات فحواما أن هذا الكتاب إذا وضع تحت الرأس رقى صاحبه من وباء حتى اليوم الرابع quartan ague. (اغور)

(**) نبة إلى مدينة صغيرة فى بويوتيا (Pausanias, IX 33.5) وكان لأثينة معبد صغير هناك ويعنى الاسم "الحارسة".

- وذريته ؟ امض في طريقك واعمل ما تشاء ! ولكن اعلم عن
يقين أن كل الآلهة الآخرين لا يوافقونك ."
- ٣٠ عندئذ رد عليها زيوس جامع السحب وقد تميز غيظاً
"أيتهما الشريرة! أي ذنب اقترف برياموس وابناؤه في حقك
حتى تصرين هكذا في عناد على تدمير قلعة إليون الحصينة ؟
إنك لو تصادف ومررت عبر أبواب طروادة إلى داخل
أسوارها الطويلة لابتلعت برياموس وابناءه - هكذا لحماً
٣٥ نيناً - مع كل الطرواديين، وعندئذ فقط يمكن أن تخمدى سورة
غضبك. افعلنى ما تشائين! ولكن لا تدعى ذلك يحدث، أى
أن يصبح الأمر سبباً لنزاع كبير بيننا، بينى وبينك. ولأضف
كلمة واحدة تعيها جيداً، عندما أرغب أنا في تدمير مدينة يقطنها
٤٠ أناس تحبينهم، لا تعترضى طريق غضبى، بل دعيه يأخذ مجراه
فالיום قد لببت لك طلبك ليس كرها بل بمحض
إرادتى، فمن بين كل المدائن المعمورة بالبشر وتحتل مكاناً
تحت الشمس والسماء ذات النجوم لا تحتل واحدة منها ما
تحتله إليوس المقدسة من مكانة فى قلبى، هى ومليكتها برياموس
٤٥ ذو الرمح المتين وشعبه. فمذبحى هناك لا تنقصه اللواتم ولا
قرايين الشراب ولا الأضاحى، فهذا هو للتكريم الواجب ويستحقه اسمى".
- ٥٠ فأجابته المليكة هيرا ذات العيون الواسعة كعيون المها:
"أما بالنسبة لى فأحب المدن ثلاث: أرجوس وإسبرطة
وموكيناى ذات الطرقات الواسعة. دمرها إذا ما داخلك حقد عليها!
فأنا لا أقف فى وجهك دفاعاً عنها، لا ولن أنازعك بشأنها.
٥٥ فحتى إذا عن لى أن أنازعك هذه المدن فأنى لى أن أقاوم يدك المدمرة ؟
لن أكسب شيئاً فأنت الأقوى منى بكثير، ومع ذلك فينبغى ألا تقصد
على جهدى المبذول، فأنا أيضاً من منبت إلهى وجنت من نفس السلالة
مثلك، بل أنجبني كرونوس ذو التدبير المراوغ الملتو قبلك مما يزيدنى

- شرفاً. فيفضل سنى الأكبر، ولأننى أدعى زوجتك ولأنك سيد كل الآلهة
 ٦٠ الخالدين دعنا إذن نستسلم لبعضنا البعض، أنا لك وأنت لى،
 وعندئذ سيبتعنا بقية الآلهة الخالدين.
- فعليك إذن أن تصدر الأمر فوراً لأثينة أن تسرع الخطى نحو
 ميدان المعركة بين الطرواديين والآخيين وتحاول أن تدفع الطرواديين
 ٦٥ للإساءة إلى الآخيين الأماجد بنقض الهدنة".
 هكذا أنهت حديثها ودون أن يجيبها أبو البشر والآلهة
 وجه مباشرة إلى أثينة كلماته المجنحة:
- "أسرعى إلى ميدان المعركة بين الطرواديين والآخيين وحاولى أن
 ٧٠ تدفعى الطرواديين للإساءة إلى الآخيين الأماجد بنقض الهدنة"^(*).
 بهذه الكلمات حث زيوس أثينة التى طالما تلهفت على
 هذه المهمة وقفزت من علياء الأوليمبوس كنجم أرسله ابن
 كرونوس ذو التدبير المروغ لتكون نذيراً للبحارة والجيوش
 ٧٥ المتحاربة كانت تلمع متوهجة وتطير منها سنابل النور بلا
 عدد، هكذا هبطت باللاس أثينة إلى الأرض فيما بين الجيوشين.
 فذهل الجميع، الطرواديون مروضو الخيول البارعون
 والآخيون لابسو دروع الساق القوية، ذهلوا عندما رأوها
 ٨٠ وصار كل واحد منهم يحث جاره "انظر ستشعل الحرب
 المدمرة والمعركة الوحشية ثانية"، أو "هل زيوس موجه نفة
 الحروب بين البشر، سيزرع الحب بيننا؟".
 هكذا كان لسان حال الطرواديين والآخيين يلهج
 بالحديث. تنكرت الإلهة وشقت طريقها عبر الجمع متكررة
 ٨٥ فى هيئة لاؤدوكوس بن أنتينور ذلك المحارب المغوار، باحثة
 عن بانداروس شبيه الآلهة عساها أن تجده أينما وجد. ووجدت
 ابن ليكاون يقف ساكناً وسط الجمع، إنه محارب باسل وعتيذ،

(*) الحان ٧١-٧٢ تكرر حرفى للبين ٦٦-٦٧.

- وحوله يتحلق لفيف من صفوف لابسى الدروع الأقوياء من
 ٩٠ بنى شعبه الذين جاءوا معه من حيث مجرى نهر أيسيبوس^(*).
 بجانبه وقفت الإلهة هامسة بكلماتها المجنحة:
 "أى ابن ليكاون، الحكيم، أرجو أن تسمعني! كن شجاعاً
 وأطلق سهمًا خاطفًا على مينيلأوس، وهكذا تفوز برضا الطرواڤيين
 ٩٥ وتحوز الشهرة بينهم سترضى وقبل كل شيء ألكسندروس أمير
 طروادة حقًا. فمعه، دون الآخرين، ستلتقى الهدايا الملكية إذا رأى
 مينيلأوس الشجاع بن أتريوس يسقط بسهمك صريعًا فوق
 كومة الدفن المفجعة. اذهب الآن وصب سهامك على
 مينيلأوس ذائع الصيت وأندر لأبوللون، سليل الذئب (ابن الضوء)^(**)
 ١٠٠ الشهير بقوسه أنك ستقدم له قربان الذبائح الفخم من بكور الكباش.
 عندما تعود سالمًا إلى وطنك مدينة زيليا المقدسة"
 هكذا قالت أثينة وأقنعت قلب هذا الرجل فى حمقه (بانداروس)،
 وعلى الفور نزع الغطاء عن قوسه الصقيل المصنوع من قرن
 ١٠٥ الوعل الوحشى، الذى هو نفسه كان قد طعنه فى الصدر تحت القلب
 عندما انطلق من فوق صخرة، وحيث كان بانداروس يخبئ فى
 مكمن مترصدًا إياه. وقد وقع الوعل الوحشى على ظهره إلى
 الخلف فوق الصخرة. وكانت قد نمت فوق رأسه ستة عشر قرنًا
 كاملة فى طول جريد النخيل. فأخذها صانع الحدادة الماهر فطوعها
 ١١٠ وصبها جميعا فى كتلة واحدة، ولما صقلها صقلًا أنيقًا صنع من
 هذه الكتلة عرقا مذهبًا ذا طرف مدبب.
 عندئذ أسند (بانداروس) القوس على الأرض وشده وبعناية فائقة
 أعده، بينما وضع رفاقه الأقوياء الدروع على أجسامهم
 خشية أن يشرع أبناء أخايا المحاربون فى القذف، أو أن يصاب

(*) نهر أيسيبوس Aisepos يصب مياهه فى بحر مرمره.

(**) Lykegenes لقب من ألقاب أبوللون.. وقد يعنى "ابن الذئب" أو "ابن الضوء" فهذان العنصران مرتبطان به فى الأسطورة.

- ١١٥ مينيلائوس بن أتريوس وحبيب آريس.
 عندئذ نزع غطاء جعبته، والنقطة سهمًا مجنحًا لم يسبق
 إطلاقه من قبل، إنه حقًا حامل الآلام السوداء! وبسرعة
 خاطفة شد القوس وابتعد لإطلاق السهم ونذر لأبولون بن
 الذئب (أو الضوء) المجيد بقوسه أنه سيقدم قربان الذبائح الفخم
 من يكور الكباش عندما يعود إلى وطنه مدينة زيليا المقدسة.
- ١٢٠ عندئذ أمسك بمقبض السهم ووتره القوى معًا وأطلقه
 وكان قد ألصق وتر السهم بصدره وقرب طرف السهم من القوس،
 وعندما كان قد أتى القوس القوى إلى نصف دائرة أطلق القوس
 صغيرًا مدريًا وانطلق الوتر بعناء صاخب وانقض السهم ذو الرأس
 المدببة بحدّة ملهوفًا على هدفه وقد اخترق صفوف الحشد.
- ١٢٥ ولكن الآلهة الخالدين المباركين لم يغفلوا عنك يامينيلاوس،
 ولاسيما ابنة زيوس جالبة الأسلاب أثينة التي وقفت أمامه وتفادت
 ضربة السهم الشرسة. وحالت بينه وبين أن يصيب لحمه،
 وأبعدته مسافة قصيرة كما تبعد الأم ذبابة عن طفلها حين يرتع
 في نوم لذيذ. فبيديها قادت السهم إلى حيث تلتقى مشابك الحزام بأطرافه.
- ١٣٠ لقد أصاب السهم القاسى الحزام المربوط جيدًا عند الحلية المعدنية
 واخترق الحزام المزخرف بالحلقات المعدنية ونفذ منه، وكان صاحبه
 قد ارتداه لينتقى ضربات السهام. وثبت أنه اتخذ أقوى وسائل
 الدفاع عن نفسه. ومع ذلك فقد نفذ السهم إلى اللحم، لقد خدش
 السهم سطح جلده، ومن الجرح انهمر الدم القاني غزيرًا متدفقًا.
- ١٣٥ وكما تخلص امرأة ما من مايونيا أو كائيرا الصبغة
 العاجية ناصعة البياض بالصبغة القرمزية لكي يصنعوا
 العذار (غطاء الوجنة) لحصان ما يرقد في الحظيرة، ويتلف
 الكثير من الفرسان على امتطاء صهوته، ولكنه هو ما يزهر
 به ينتظر ملكًا ما يزين بالعدار حصانه، وهو مايزهو به سانق العربية،

- ١٤٥ هكذا أرى، أي مينيلأوس، فخذبك الممتلئين وركبتيك وكعبيك وقد غطاها الدم.
عندئذ انتفض أجاممنون ملك الرجال، عندما رمقت عيناه
الدم القاني يتدفق من الجرح. وانتفض أيضًا مينيلأوس نفسه
حبيب آريس. ولكنه عندما لاحظ أن نصل السهم نفسه وشوكاته
١٥٠ خارج اللحم، استجمع قواه وشجاعته. بيد أن أجاممنون الملك أمسك
بيد مينيلأوس وزأر في أنين وسط صيحات الرفاق من حوله:
"أيها الأخ الحبيب ! كأننى بالقسم على الهدنة وبوضعك فى
١٥٥ مقدمة صفوف الأخيين لمحاربة أبناء طروادة كنت
أدبر لموتك ! فالطرواديون قد أصابوك وداسوا بأقدمهم العهد
ولكن لا... لن يذهب سدى قريان القسم ولا دماء الكباش
المذبوحة، ولا قرايين الشراب الطاهرة المسكوبة، ولا يماننا التى أعطينا
١٦٠ بها عهدنا. فمع أن سيد الأوليمبوس لم ينجز على الفور انتقامه
ولكنه من المؤكد أنه سيأذن به ولو آجلاً. وسوف يسدد
المعتدون دينهم بثمن باهظ، بحياتهم، بنسائهم وأطفالهم. فأنا
أعرف جيدًا ما يستقر سرًا فى أعماق قلبى سيأتى اليوم
الذى تهلك فيه إليوس المقدمة وبرياموس وشعب برياموس
١٦٥ بسهمه الرمادى^(*). عندما سيهز زيوس نفسه، على العرش
ابن كرونوس ساكن الأثير، درعه المرعب (الأيجيس) فوقهم
مرة واحدة وللأبد نعمة من خداعهم. بالقطع لن نترك هذه الأمور
دون أن تتجز، ولكن حزنى سيكون أليما عليك يامينيلأوس إذا مت
١٧٠ ولقيت أجلك المحتوم وسيلحقتى العار المشين حين أعود إلى أرجوس
العطشى. فهلاكك سيذكر الأخيين بوطن الآباء، وسنترك هيلينى
الأرجية يتباهى بها برياموس والطرواديون، وستنوب عظامك

(*) هذان البيتان ١٦٤-١٦٥ اكتسبا شهرة واسعة بعد أن ردهما سكيو أفرىكانوس على أنقاض قرطاجنة
موجًا بمصر روما نفسها. وورد فى "الفردوس المفقود" ليلتون (2-441 XI).
"And over them triumphant Death his dart shook".

- ١٧٥ في تراب طروادة حيث ترقد ميتاً دون أن تتجز واجبك !
وقد يصبح أحد الطرواديين المتكبرين وهو يقفز فوق
قبر مينيلأوس المجيد: دع أجاممنون يصل بغضبه إلى
عنان السماء، فلن يجنى من وراء ذلك سوى ماجناه عندما
أحضر إلى هنا الجيش الآخى عبثاً، وعاد إلى أرض وطنه
١٨٠ الحبيب بسفن فارغة، تاركاً مينيلأوس الطيب هنا.
هكذا يوماً ما سيجرى الحديث على ألسنة الناس عندئذ
لتقفر الأرض الفاه وأسعا وتبتلعنى"
عندئذ أجابه مينيلأوس الأشقر مهدباً روع أخيه:
"تشجع ولا تزعج الشعب الآخى. فإن نصل السهم الحاد
١٨٥ لم ينفذ إلى جزء قاتل بل بلغ فقط واستقر عند حلبة الحزام المعدنية
وما تحتها عند الخصر حيث الثنيات بأيدى صانعى الدروع".
فأجابه أجاممنون الملك:
١٩٠ "عزيزى مينيلأوس ! حسناً إن الأمر كان هكذا، ولكن هذا الجرح
يحتاج إلى طبيب ليضع البلمس عليه، ويخفف آلامك الفظيعة".
قال ذلك والتفت إلى تالتيبيوس الرسول الإلهى قائلاً:
١٩٥ "تالتيبيوس على جناح السرعة أحضر إلى هنا ماخاؤن
لين أسكليبيوس، ذلك الطبيب الشهير والإنسان النبيل، ليرى
مينيلأوس بن أتربوس، حبيب أريس، حيث أصيب بسهم
صوبه قواس داهية من الطرواديين أو الليكيين فحقق لنفسه
مجداً، ولنا حزناً بالغا"
٢٠٠ هكذا تحدث وأنصت إليه الرسول وانصاع لأمره
واستدار مخترقاً جموع الآخيين المسلحين بحثاً عن ماخاؤن
البطل. ولمحه واقفاً فى الوسط تحيط به صفوف من الأشاوس
حاملى السهام، أولئك الذين جاءوا معه من تريكى^(*). مربية

(*) مدينة على حدود نيساليا.

- الخيل. ووقف الرسول لصيقاً بجانبه ونطق بكلماته المجنحة:
- ٢٠٥ "هيا يا ابن أسكليبيوس، فالملك أجامنون يدعوك لفحص
المحارب مينيلأوس أحد قادة الأخيين، الذي أصابه سهم
صوبه أحد الرماة الحاذقين - سواء أكان من الطرواديين أو
الليكيين - فأصاب مجداً، وسبب لنا المأ".
- قال الرسول ذلك فحرك روح ماخاؤون وقلبه،
٢١٠ فشقاً طريقهما سريعاً بين الجموع، عبر الحشد الأخرى.
ولكن عندما وصلا في النهاية إلى حيث يرقد مصاباً ذو
الشعر الأشقر مينيلأوس، وحيث يلتف حوله في دائرة أشجع
القادة إلى الوسط دخل ماخاؤون البطل شبيه الألهة ووقف إلى جانبه.
وعلى الفور نزع السهم من الحزام الملتصق بجسد مينيلأوس،
٢١٥ وعندما خرج السهم تكسرت أطرافه الحادة وسقطت للخلف،
وعندئذ فك عقدة الحزام والثنيات الموشاة بأيدي صانعي الدروع.
فلما رأى موضع الجرح الذي سكن فيه السهم للمرير صفى الدم منه،
وبراعة وضع البلمس على الجرح. كما كان قد فعل خيرون^(*)،
طيب القلب والطوية، مع أبيه.
- ٢٢٠ وبينما كانوا منهمكين في العناية بمينيلأوس البارح في
صيحة الحرب تقدمت جموع الطرواديين من حملة السهام،
ومرة أخرى استعاد المحاربون الأخيون حماسهم، وعاودتهم اللفهة
على متعة القتال الوحشية.
- وقد ترى أجامنون الإلهي لا يهجع ولا يتردد ولا
٢٢٥ يحجم عن النزال، بل هو مندفع نحو المعركة جالبة المجد

(*) خيرون Cheiron: ابن كرونوس و فيلوا؛ كما تقول الأساطير من سلالة الكنتوروي فله رأس آدمي وجسد جواد. اشتهر بعلمه الغزير بالموسيقى والرماية والطب. وقد علم البشر استخدام الأعشاب الطبية، كما أشرف على تربية وتعليم أعظم أبطال عصره. مثل أخيليس ونيوس وبيوس واسكليبيوس وهيراكليس وغيرهم. أصيب ركبته بجرح من أحد السهام المسمومة التي أطلقها هيراكليس أثناء مطاردته للكنتوروي، وعندما اكتشف هيراكليس ذلك هب لمساعدته، غير أن عمق الجرح كان أخطر من أن يعالج، ونظراً لشدة آلامه عرض على زيوس أن يحرمه من الخلود حتى يخلصه من عذابه، فاستجاب له كبير الألهة وضمه إلى مجموعات النجوم تحت اسم كوكبه (القوس والرامي Sagittarius).

- والشهرة للرجال. لقد ترك خيوله وعربته المرصعة بالبرونز
فقد كان تابعه يوريميديون بن بطلميوس بن بيرايوس قد نحي
جانباً الخيول وهي تصهل في إباء. وقد أمر الملك تابعه أن
يكون على أهبة الاستعداد مع خيوله، إذا ماتسرب الإعياء إلى
أقدام الملك، وهو يتفقد الحشود الهائلة، وسار على قدميه
٢٣٠ يتفقد جيئةً وذهاباً الصفوف. فإذا لقي أحداً من الدانائيين نوى الخيول
السريعة متحزفاً للحرب كان يقترب منه ويحثه بحماس قائلاً:
"أيها الأرجيون لا تتخلوا عن شيء من قوتكم الفياضة،
فزيوس لن يعين الكذابين أولئك الذين حنثوا بأيمانهم.
٢٣٥ حقاً فالرجال منهم ستتغذى الجوارح على لحومهم الطرية،
أما الحرائر من نساءهم وأطفالهم الناعمين فسنأخذهم أسرى
فوق سفننا، بعد أن تكون قد استولينا على مدينتهم".
أما إذا لقي متخاذلاً متقاعساً عن الحرب الكريهة
٢٤٠ وبخه الملك أجاممنون بكلمات حادة قائلاً:
"أيها الأرجيون، محبى القوس يارجال العار ألا تفكرون
في الكرامة؟ لماذا تفقون هكذا مذهبين كالطباء التي أنهكها الجرى
٢٤٥ سريعاً عبر الوادى جيئةً وذهاباً فوقفتم بلا روح؟
هكذا تفقون مذهبين ولا تحاربون؟ أتراكم تنتظرون أن يقترب
الطرواديون إلى حيث ترسوا سفنكم المتينة عند شاطئ البحر الهادر
تتطلعون إلى زيوس بن كرونوس لعله يمد يد العون لكم لينقذكم؟"
٢٥٠ هكذا سار الملك أجاممنون يتفقد صفوف المحاربين.
فجاء إلى حيث كان الكريتيون، وتحرك وسط حشودهم.
كان أيومينيوس شجاع القلب وحاشيته منهمكين في ترتيب الصفوف
وهم في كامل عدتهم. وقف أيومينيوس في صفوف المحاربين الأولى
فهو قوى البنية كالخنزير البرى، بينما كان ميريونيس يحث الجنود في
الصفوف الخلفية. فلما رأهما أجاممنون ملك الرجال انفرجت أساريره،

- ٢٥٥ وعلى الفور حيا إيدومينيوس بكلمات الود:
 "أى إيدومينيوس، إنى أشيد بك أكثر من كل الدانائيين ذوى
 الخيول السريعة، أشيد بك سواء فى ميدان الوعى، أو فى كل عمل
 شاق من أى نوع، وفى الوليمة حين يتبادل أنبل نبلاء
 الأرجيين فى ولائم الاحتفالات كنوس الخمر المتوهجة.
- ٢٦٠ فبينما الآخرون من الأخيين ذوى الشعر الطويل يشربون قدرًا
 محدودًا، فإن كأسك يظل دومًا إلى جانبك مترغًا يفيض
 بالخمر، مثل كأسى، ليطرد كل ما قد يعكر صفوك. ولكن ما
 أن تحين ساعة الجد حتى تهب للمعركة وتظهر نفسك كما كنت
 دومًا مفخرة للجميع".
- ٢٦٥ فرد عليه إيدومينيوس قائد الكريتيين:
 "يا ابن أتريوس، اعلم علم اليقين أننى سأكون لك نعم الصديق،
 وكما أقسمت لك بالقسم المقدس منذ البداية، بل استنفر الأخيين
 ذوى الشعر الطويل أن تسرع بالحرب فى أقرب وقت، حيث إن
 الطرواديين هم الذين نقضوا موافقتهم فلمهم الأحران والموت
 من الآن فصاعدًا بما أنهم كانوا سباقين فى الخيانة والحنث بالقسم".
- ٢٧٠ وهكذا تحدث إيدومينيوس ومضى ابن أتريوس فى
 طريقه مسرورًا. وبعد ذلك وصل إلى حيث أتباع الثنائى أياس
 فتحرك وسط جموعهم. كان كل من الاثنين يضع الخوذة على رأسه
 وتتبعهما سحابة من المحاربيين. وكما يلاحظ راعى المعيز
 من فوق صخرة سحابة تزحف فوق البحر، تسوقها الرياح
 الغربية (زيفيروس). ولأنه يقف بعيدًا تبدو السحابة أكثر اسودادًا
 من القار وهى تسافر عبر البحر وتسوقها عاصفة هوجاء.
 فعندما رآها راعى المعيز ارتعدت فرائسه وأسرع
 بقطعانه إلى الكهف. هكذا كانت سحابة^(*) الصفوف الكثيفة
- ٢٨٠

(*) قرأ: Lucretius vi 256 ff, Tennyson "Princess", vii.

- من المحاربين الأشداء المتحركين مع الثنائي أياش نحو المعركة
النارية متأهبين بالدروع والسهام، وبرؤية هذا المشهد اتفرجت
أسارير الملك أجاممنون وتحرك لسانه بكلمات مجنحة:
- ٢٨٥ "أى أياش وسميه، أنتما الاثنان قائدا الأرجيين لابسى البرونز
لا يصح أن أحتكما، فلا مزيد من الحض لكما، أنتما بنفسكما تقودان
بعزم قوى شعبكما للقتال بحماس. أى زيوس الأب وأنت أثينة
وأبوللون كم أتمنى أن تكون مثل هذه الروح فى صدور كل الرجال !
فعدنذ أعتقد أن مدينة الملك برياموس ستسقط على الفور فتدمرها
ونستولى عليها بأيدينا"
- ٢٩٠ بهذه الكلمات تركهما وذهب نحو الآخرين. فوصل إلى
حيث نيسطور القائد الخطيب الفصيح زعيم أهل بيلوس الذى
كان ينظم صفوف أتباعه ويحثهم على الدخول فى المعركة
تحت قيادة بيلاجون وآلاستور وخروميوس وهاميون السيد
- ٢٩٥ النبيل، وكذا بياس راعى الحشود. فى المقدمة وضع نيسطور
الفرسان بخيولهم وعرباتهم وخلفهم المشاة كثيرى العدد
والشجعان ليكونوا درع المعركة برمتها. وعندئذ وضع
الضعفاء فى الوسط حتى يضطر كل واحد منهم رغماً عن
أنفه للدخول فى الحرب. فى البداية أصدر أوامره للفرسان،
- ٣٠٠ أمرهم أن يشددوا قيضتهم على خيولهم وحتى لا تعوقها
الحشود فصاح قائلاً:
- "لا تدع أحدا معتمداً على فروسيته الفائقة، أو قوته
البالغة يسعى للقتال ضد الطرودايين بمفرده مستبقاً الآخرين،
ولا تدعه ينسحب، وإلا فسكونون فريسة أسلس استسلاماً.
- ٣٠٥ أى واحد منكم يحارب من عربته ويستطيع أن يدرك عربات
العدو دعه يصوب سهامه نحوها من مسافة بعيدة. هكذا كان
يفعل أبائنا، فهذه قاعدة موروثه، إذ دمروا الأسوار والمدن. وهم

متماسكون عقلاً وقلباً".

- ٣١٠ هكذا كان المحارب الهرم المحنك في ميدان الوغى يسحثهم
فعدما لمح الملك أجاممنون انفرجت أساريره وحياه بكلماته المجنحة:
"أيها الشيخ ليت عضلات جسمك وركبتك توازي قوة
قلبك، وليت قوتك لا تهتز ! ولكن الشيخوخة التي تصيب
الجميع سواء بسواء قد أثقلت حملها عليك، ليت أحداً آخر هو
الذي بلغ هذه السن المتقدمة، أما أنت فلتعد بين الشباب".
فرد عليه نيسطور فارس جيريني:
"يا ابن أتريوس فعلاً كم كنت أتمنى أنا نفسي أن أعود كما كنت
يوماً ما، عندما قتلت إريوثاليون الإلهي. ولكن الآلهة لا تهب كل شيء
للبر بشر دفعة واحدة. لقد كنت شاباً عندئذ، والآن بلغت أرذل العمر،
لا بأس، سأظل، متخذاً مكاني بين الفرسان وسأحثهم بنصائحي
وكلماتي، فهي ثمرة من ثمرات السن المتقدمة. ولكن الشباب
الأكثر استعداداً للخدمة مني سيتسلحون بالسهم ويثقون في قوتهم".
٣٢٥ هكذا كان حديث نيسطور، فمضى ابن أتريوس وقد
انفرجت أساريره، فوجد مينيسثيوس ضارب الخيل (بالسوط)
ابن بيتيوس، يقف ساكناً وحوله يتجمع الأثينيون البارعون في صيحة
الحرب. وبالقرب منهم يقف أوديسيوس واسع الحيلة
ومعه على الجانب الآخر تصطف صفوف محاربي
كيفالينيا الأشاوس، فهم لم يسمعوا بعد صيحة القتال
ويرون أنه قد تأخر تحرك أسراب الطرواديين
٣٣٠ مربي الخيول والآخين نحو اللقاء في أرض المعركة. ومن
ثم فهم لم يستنفروا أنفسهم، بل ينتظرون حتى تبدأ صفوف
الآخين في اتخاذ الخطوة الأولى لمهاجمة الطرواديين
فيبدأون الحرب فلما رآهم أجاممنون ملك الرجال ناداهم بصوت
٣٣٥ جهورى محيياً بكلماته المجنحة:

- أنت يا ابن بيتيوس، أيها الملك سليل زيوس، وأنت
يا أوديسيوس الماهر في الحيل الماكرة، أية خطة داهية تختبئ في
ذهنك؟ من المؤكد أنه ينبغي أن تغف في المقدمة، لتكون أول
من يواجه هجمة العدو. وأتمنى أن تكونا أنتما الاثنان أول
من يتلقى دعواتنا عندما نقيم نحن الأخيين الوليمة لكبار القوم!
وستسرون جداً بأكل اللحم المشوى واحتماء كؤوس الخمر
الطوة كالعسل، تشربون منها ماتشاءون قدر طاقتكم.
أما الآن فقد لا يكون سروركما أقل، عندما ترون صفوف
الأخيين العشرة يحاربون أمامكم بنصل سيوف لا ترحم"
فرد عليه أوديسيوس واسع الحيلة بنظراته الصارمة:
"يا ابن أتريوس! أي حديث هذا الذي تفوهت به؟ كيف
تقول إننا نتلكأ في القتال حين يهب الأخيون للحرب
الفاصلة ضد الطرواديين مربى الخيول؟ ستري بنفسك
أن أبا تيليماخوس سيشتبك مع مقدمة جيش الطرواديين مربى
الخيول، إن كلماتك حقيقة فارغة مثل الهواء"
رد عليه الملك أجاممتون مبتسماً، فقد لاحظ غضبه وأراد
أن يسحب كلامه:
"يا ابن لائيرتيس ولسليل زيوس أي أوديسيوس واسع الحيلة!
أنا لا أوبخك كثيراً ولا أمرك، فأنا أعرف أن الروح داخل صدرك
تدرك الأفكار النبيلة. إنك تملك عقلاً يشبه عقلي.
على أية حال دعنا الآن نكفر عن أية كلمة مسيئة قد تكون خرجت
من أفواهنا، فياليت السماء تمحو كلماتي وتحيلها عدماً".
بهذه الكلمات تركهم حيث كانوا وانتقل نحو الآخرين.
فوجد بعد ذلك ديوميديس بن تيديوس سامى الروح يقف
فوق عربته الحربية بخيولها وقد زركشت تماماً. وبجواره
كان يقف سثينيلوس بن كابانيوس. فلما رآه صاح الملك

أجاممنون يناديه ويحييه بكلماته المجنحة:

- ٣٧٠ " ويحي ! يا ابن تيديوس يا مروض الخيول الحكيم لماذا تتواري؟ لماذا تتفاضى عن الخطوط الفاصلة في المعركة؟ لم يكن تيديوس فيما أعتقد، يتواري هكذا، بل حارب العدو وهو في مقدمة أقرانه. ومع أنني لم ألتق به قط ولم أره ولكن يقول الناس - ممن شاهدوه في قلب المعركة - إنه فاق الجميع حقاً.
- ٣٧٥ لقد جاء إلى موكتيناي ذات مرة - ضيفاً لا عدواً - مع بولينيكيس شبيه الآلهة ليحشد جيشاً. لقد كانوا آنذاك عازمين على الحرب حتى ضد الأسوار المقدسة لطيبة، ومن ثم توجهوا إلى موكتيناي (وملكها ثيستيس) برجاء حار أن تمنحهم حلفاء أمالجد. لقد كانوا متلهفين على مثل هذه المساعدة من موكتيناي ووافقوا على مطالبها، ولكن زيوس عطل خطتهم بأن أظهر علامات التثؤم.
- ٣٨٠ وعندما رحلوا وكانوا بالفعل على طريق الرحيل، ووصلوا إلى أسوبوس الذي كان يفيض مجراه على الجانبين وتحيط به مستنقعات موحلة، أرسل الأخيون تيديوس رسلاً (إلى طيبة) فلما وصل إلى هناك ووجد الكثيرين من الكادميين (أهل طيبة)، يجلسون إلى الوليمة في منزل إتيوكليس القوى. فلم يتردد تيديوس مروض الخيول رغم أنه غريب ووحيد بين كادميين كثيرين، بل تحداهم في مباراة للمصارعة وتفوق عليهم جميعاً، فقد منحته الربة أثينة العون.
- ٣٩٠ عندئذ استشاط الكادميون غضباً وهم البارعون في نخس الخيول بالمهماز فنصبوا كميناً مكثفاً في طريق عودته. كان الكمين من خمسين محارباً يقودهم التوأم مايون بن هايمون قرين الآلهة الخالدة وبوليفونتييس بن أوتوفونوس ذى القلب الصلب. ومع ذلك فقد جلب عليهم تيديوس مصيراً مخزياً، لقد قتلهم جميعاً ماعداً واحداً سمح له بالعودة إلى بلده سليماً. لقد أرسل

- ٤٠٠ مايون على الطريق، وقد انصاع تيديوس لنذر السماء. هذا هو تيديوس الأيتولى. أما فيما يتعلق بابنه الذي أنجبه فهو بالقطع محارب أشد خطرًا وأكثر بلاغة".
- هكذا كان حديثه. ولكن ديوميديس الصنديد لم يرد عليه بكلمة واحدة، فلقد شعر بالحرص إزاء توبيخ الملك الذي يحترمه. وعندئذ أجاب ابن كابانيوس النبيل (سثينيلوس) قائلاً:
- ٤٠٥ "يا ابن أتريبوس لا تقل الكذب وأنت تعرف كيف تقول للصدق حقاً، فنحن نفخر بأننا نفوق آباءنا، نحن الإثنان استولينا على طيبة المدينة ذات السبعة أبواب، رغم أننا كنا نقود جيشاً صغيراً أمام أسوارها المنيعه، لأننا أطعنا نذر السماء وبعون من زيوس حققنا ذلك. أما أبائنا فقد ماتوا بفعل جنونهم. ومن ثم لا أسمح لك أن توجه قدرًا من التكريم لأبائنا مثل ما توجه لنا"
- ٤١٠ عندئذ وينظرة صارمة أردف ديوميديس الصنديد:
- "كفاك! والزم جانب السلامة وسمع كلامي. لا أنكر على أجاممنون وهو راعي الشعب أن يحث الأخيين المسلحين بالدروع جيدًا للحرب. فعليه كما أعتقد تقع المسئولية وينتظره الشرف والمجد إذا سحق الأخيون الطروديين وأسروا إلبون المقدسة. وعليه سيهبط عبء الحزن إذا هزم الأخيون. ولكن امض في طريقك الآن (يا أجاممنون) ودعنا نفكر في أمر قوتنا الهائجة".
- قال ذلك وقفز من عربته الحربية إلى الأرض بكل اندفاع، فكان دوى ارتطام الحلية المعدنية على صدر هذا الأمير مرعبًا، فحتى أعتى قوة ارتعدت لهذا الدوى المفزع وكما يحدث على شاطئء تتردد منه الأصداء وقد أثارته عاصفة الرياح الغربية (زيفيروس) مدوية فتثير سطح البحر موجة بعد موجة، تبدأ من بعيد فوق أعماق البحر بإثارة ذوابة
- ٤٢٠

- الموجة، وبعدئذ يعلو زئيرها وهي تنكسر على الشاطين وهي
 ٤٢٥ تعلو كل الصخور النائية والمتناثرة على الشاطئ في منحى
 قوى وقد فذقتها بالزبد المملح. هكذا سارت موجة بعد أخرى
 دون توقف صفوف الدانائيين نحو الحرب.
 كان كل قائد يقود رجاله ويتبعهم الآخرون في
 صمت - في صمت لا يسمح بتصور أن جيشاً جراراً في
 ٤٣٠ الطريق إلى المعركة - وفي سكون خشية من أولئك الذين
 يقودونهم. ويلقهم جميعاً في أثناء سيرهم بريق أسلحتهم.
 أما الطرواديين فكانوا كالمقطعان يقفون في أعداد لا
 حصر لها وهم في حوزة صاحبها الثرى، بينما يهلب اللين
 ٤٣٥ الأبيض منها يعلو تغازهم ولا يتوقف وهم يسمعون كباشهم.
 هكذا كان دوى الضوضاء في الجانب الطروادى حيث ساد
 عبر كل جموعهم، فلم يكن واحداً الحديث الدائر بينهم، ولم
 يكن واحداً صوتهم، بل كان صوتهم مختلطاً وكانت أصوات
 محاربيهم تسمع من بعيد.
 ٤٤٠ كان يستنقروهم آريس وأثينة ذات العيون الزرقاء،
 ومعهم سارت القوى الإلهية الرعب (ديموس) والخوف
 (فوبوس) والنزاع (إريس)^(*). التي لا تشبع من جنونها.
 "النزاع" (إريس) أخت آريس الفتاك وحببيته. إنها وهي ذات
 قوام صغير، ولكنها عندما انتصبت واقفة وصلت رأسها إلى
 السماء، بينما وضعت قدمها على الأرض. وإذا تتجول عبر
 الحشود غرست شجرة النزاع بالتساوى فيما بين الفريقين

(*) إريس Eris: هي ربة النزاع والشقاق وشفقة آريس إله الحرب. وقد بدأت أحداث الحرب الطروادية عندما أرسلت إريس النفاحة الذهبية إلى الربيات الفلات، ولكن هيسودوس في قصيدته "الأعمال والأيام (بيت ١١ وما يليه) "يوحى بوجود شكلين مختلفين من ربة النزاع: واحدة خيرة والأخرى شريرة وتسبب ربة النزاع الشريرة في إشعال الحروب والصراعات. وأتباعها هم العار والحداد والجنس والشيخوخة الفاتلة. وقد أنجبت الحب والنسيان والجماعة والألم وكافة أشكال الموت العنيف والتجارات والتمرد والجنون. بينما نجد أن إريس الحيرة تدفع حتى الشخص الكسول مثل بيريس شقيق هيسودوس إلى بدل الجهد حتى يحقق ثروة مثل الآخرين.

- ٤٤٥ مضاعفة بذلك أحزان البشر .
- وعندما التقى الجمعان في مكان واحد، عندئذ فإن البرونز
الذي يغطي أجساد المحاربين من الطرفين قد اصطدم وأحدث
دويًا، الترس ضد الترس، والسهم مع السهم، والدروع
المحدودة مع الدروع، وارتفع الصياح إلى الأعلى. فهنا
٤٥٠ وهناك اختلطت الصرخات والتضرعات الصادرة من الرجال،
القتلة والمقتولين وفاضت الأرض بالدماء .
- وكما يحدث في النهرات التي تفيض بمياه أمطار الشتاء
فتنفع من التلال نحو الوديان، وتلتقي مع مياه أخرى تقذف بها
التيابيح الكبيرة عبر الصخور المجوفة، وهناك بعيدًا بين
٤٥٥ الجبال يسمع الراعي خريز المياه المتدفقة، هكذا كان صخب
ورعب الجموع التي اشتبكت في المعركة .
- في البداية قتل أنتيلوخوس رجلًا من الطرواديين
محاربًا قويًا في كامل عدته كان في المقدمة. إنه إخيولوس
بن ثاليسوس، كان أول من ضربه (أنتيلوخوس) فوق قرن
٤٦٠ خوذته ذات العرف من شعر الخيل لقد رشق السهم تمامًا في وجهه،
فاخترق رأس السهم البرونزي العظام وغطى الظلام عينيه،
وسقط كأنه قلعة هوت في ميدان المعركة الوحشية .
- وبعد أن هوى على الأرض فإن الأمير إليفينور القائد الهمام
نلابانتيس بن خالكودون وضع قدمه عليه وجره جانبًا حرصًا على أن
٤٦٥ يسبه عدته بأقصى سرعة ممكنة. ولكن اندفاعه كان طيشًا لأن أجيونور
ذا الهمة العالية رآه وهو يجر الجثة فأصابه بالرمح البرونزي
وسبب له جرحًا في جنبه، فلما انحى زحزح عن نفسه جزءًا
من الدرع وأسلم أعضائه جسمه للموت .
- ٤٧٠ هكذا انتزعت الحياة من جسد إليفينور، بينما كان
عمل الطرواديين والآخيين محزنًا وثقيلًا على الطرفين. كانوا

- كالذئاب التي تنهاجم بعضها بعضًا، فكل محارب يلتحم مع نده.
عندئذ ضرب أياس بن تيلامون الشاب سيموثيسوس بن:
أنثيميون، وهو في زهرة العمر . كانت أمه فيما مضى في
٤٧٥ طريقيها من جبل إيدا وعندما كانت ترعى الغنم مع والديها رقدت
عارية على ضفاف سيموثيس . فحملت به ولذا أطلقوا عليه إسم
سيموثيسوس ولكنه لم يكن قد سدد لوالديه العزيزين شيئاً
من دينه مكافأة على تربيتهما له، كانت حياته قصيرة وسريعة،
لقد سقط صريعاً بسهم أياس ذى الهمة العالية. فما أن جاء
٤٨٠ إلى الصفوف الأمامية فى المعركة حتى ضربه عند صدره
بجوار حلمة الندى اليمنى. واخترق السهم البرونزى مباشرة
إلى الكتف، لقد مال وسقط فى التراب كما تسقط شجرة الحور
التي نمت على حافة مستنقع ضخم فريت وأورقت أغصانها
عند القمة، والآن يسقطها النصل البراق، يسقطها صانع العربة
٤٨٥ لكى تستخدم أخشابها فيما بعد إطاراً لعجلة فى عربة ما مجيدة.
منتصرة ترقد الشجرة الآن على ضفاف المجرى المائى، كما يردد
ابن أنثيميون سيموثيسوس وقد قتله أياس بن زيوس.
عندئذ حاول ابن برياموس، أنتيفوس ذو الأسلحة اللامعة أن
٤٩٠ يصوب سهمًا حادًا إلى أياس من بين جموع الأخيين. أخطأ
التصويب وأصاب السهم ليوكوس صديق أوديسوس الصدوق
عند أعلى الفخذين عندما كان بجر الجثة جانبًا. فسقط فوق
الميت وأفلتت الجثة منه، واستشاط أوديسوس غضبًا عندما
رأى صديقه ميتًا. لخرق صفوف المقدمة وقد برقت عليهم
٤٩٥ جميعًا عدة الحرب اللامعة. فاقترب ووقف، وبعد نظرة فاحصة
حولته صوب سهمًا لامعًا، ولكن الطرواديين ولوا الأدبار
أمام هجمة البطل. ومع ذلك لم يذهب هذا السهم عبثًا بل
أصاب ديموكوزن بن برياموس غير الشرعى، الذى جاء

- ٥٠٠ من أبيدوس حيث كان يقوم على تربية الخيول السريعة. ولقد ضربه أوديسيوس بسهم في جبهته وقد تملكه الغضب من أجل صديقه. فاخترق رأس السهم البرونزي صدغيه وغطى الظلام عينيه وسقط صريعاً، فكان ارتطامه بالأرض مدوياً وكذا تكومت عنده الحربية فوق جسده وأحدثت ضجيجاً.
- ٥٠٥ عندئذ فقط اضطر هيكتور المجيد أن يتراجع عن قليل من الأرض مع الصفوف الأمامية. فصاح الأرجيون صيحة عالية وسحبوا الموتى وضغطوا بشدة زاحفين إلى الأمام. ولكن عندما نظر إليهم أبوللون من فوق قلعة طروادة برجاموس امتلاً بالحنق ونادى الطرواديين بصوت مدوٍ واستحثهم: "انهضوا أيها الطرواديون مروضى الخيول لا تستسلموا للأرجيين وهم في نشوة القتال الوحشية. فأجسادهم ليست من حجر ولا من حديد، ولا يمكن أن تقاوم حد السهم النافذ عندما يصابون به. لا .. ولا يحارب الآن معهم أخيليوس بن نيتيس ذات الخصلات الجميلة، ولكنه يقبع بجوار السفن يجتر غضبه الموجع لقلبه".
- هكذا تحدث الإله المرعب من القلعة للشاهقة في نفس الوقت
- ٥١٥ كانت بنت زيوس تريتوجينيا الإلهة المجيدة تتحرك بين الحشود مستنهضة الهمم عندما رأتهم مترددين. وبعد ذلك سرعان ما أصاب القدر ديوريس بن أمارونكيوس، فلقد ضرب بحجر خشن في قصبه الساق اليمنى عند الكعب. كان قائداً طراقياً هو الذى رمى هذا الحجر إنه
- ٥٢٠ بيروس بن إمبراسوس الذى جاء من أينوس (*). لقد مزق هذا الحجر القاسى العضلات والعظام تمزيقاً كاملاً. فسقط إلى الخلف فى التراب ماذا يديه لرفاقه المحبوبين

(*) مدينة تقع على بحر هيرس في طراقيا.

- وهو بلفظ أنفاسه الأخيرة. عندئذ أجهز عليه - من سبق
 أن قذفه بالحجر - بيروس فجرحه بالسهم الحاد عند السرة،
 ٥٢٥ فتفجرت كل أمعائه إلى خارج بطنه، وغطى الظلام عينيه.
 عندئذ أسرع ثواس الأيتولى وضربه بسهم عند الصدر
 فوق حلمة الثدي، فثبت رأس السهم البرونزية في الرئة. واقترب
 ثواس من الجنة، ونزع السهم القوي من صدره واستل سيفه
 الحاد وضربه ضربة نجلاء عند المعدة ففضى على حياته
 ٥٣٠ قضاءً ميرماً. ولكنه لم يسلب الميت أسلحته إذ وقف حوله
 أصدقاؤه المقربون الطراقيون بخصلات شعرهم العنقودية،
 وقد أمسكوا بسهام طويلة في أيديهم، فعلى الرغم من قوته
 وقامته ومظهره النبيل حال هؤلاء بينه وبين أسلحته
 فاستدار وعاد أدرجه إلى الوراء. وجنباً إلى جنب كان يرقد
 ٥٣٥ هذان الائثنان القائدان، أحدهما من الطراقيين والآخر من
 الإيبينين لابسى البرونز وكثيرون آخرون رقدوا موتى حولهم .
 وعندئذ لم يستطع أحد أن يستخف بهذه المعركة ولا أن
 يشتبك في مزيد من القتال. فإذا كان هناك من لم يصب
 ٥٤٠ بضربة ولم يجرح برمح فتاك، فإنه كان يتحرك وسط الحشود
 تقوده باللاس أثينة التي كانت قد أمسكت بيده وهي تدفع عنه جانباً
 الضربات القوية. لأنه حقا في ذلك اليوم كثير من الطرواديين
 ٥٤٤ وكثير من الأخيين سقطوا صرعى فوق الرمال جنباً إلى جنب.

الكتاب الخامس



ترجمة أحمد عثمان

- وهبت باللاس أثينة ديوميديس بن تيديوس القوة واليسالة،
لكي يبرز كل الأرجيين ويحرز الشهرة المجيدة. فقيست من خوذته
٥ ودرعه نارًا لا يخمد أوارها، مثل نجم الحصاد (= سيريوس)
الذي يتلألأ بأنواره أكثر من أي نجم آخر، عندما يبرز
مغتسلًا بالأوكيانوس (المحيط). لقد أوقدت الإلهة هذه الشعلة
من رأسه وكتفيه؛ وأرسلته إلى القلب من حشد الرجال.
- ١٠ وكان داريس بين الطرواديين رجلًا ثريًا لا نظير له، كاهن
هيفايستوس؛ وكان له ابنان: فيجيوس وإيدايوس، وكانا بارعين
في كافة فنون القتال. تركا صفوف الجيش وتقدما لمواجهة ديوميديس،
وكانا يمتطيان عربتهما، بينما كان هو يهرول بقدميه على الأرض.
- ١٥ وعندما اقتريا وتقدم كل منهما من الآخر، أطلق فيجيوس
رمحه الخاطف، فكاد سن الرمح أن يلامس الكتف
الأسير لابن تيديوس دون أن ينال منه. وعلى الفور أطلق
ابن تيديوس رمحه البرونزي، ولم ينطلق الرمح سدى
٢٠ إذ أصاب عدوه في صدره بين الحلمتين، وأطاح به من فوق العربة.
أما إيدايوس فقد قفز إلى الخلف متحليًا عن عربته رائعة الجمال، ولم
يطعنه، ولم يجرؤ على الزود عن أخيه المقتول،
بل إنه هو نفسه ما كان ليتملص من مصيره الأسود، لولا أن
نجاه هيفايستوس وأنقذه. إذ لفه في غلالة من الظلام، حتى لا يأتي
الحزن على والده الكاهن المسن. وبالنسبة للخيل فإن ابن تيديوس
٢٥ الجسور قد أدن لرفاقه أن يسوقوها نحو السفن المجوفة.
فلما رأى الطرواديين اليواصل ولدى داريس على هذه الحال،
أحدهما يولى الأدبار والآخر يركد صريعًا بجوار عربته، أصاب
٣٠ الهلع قلوبهم جميعًا. وأمسكت أثينة ذات العينين الزرقاوين
بأرياس المجنون قائلة:

- "أريس، أريس، يا لعنة على البشر اللغافين، يا محطم الأسوار، أيها الملتخ بالدماء ! دع الطرواديين والآخيين يتقاتلون. لنرى لأي من الطرفين يشاء زيوس الأب أن يهب المجد؟ وعلينا نحن الاثنين أن ننسحب تجنباً لسورة الغضب من قبل زيوس".
- ٣٥ هكذا قالت وقادت أريس المجنون بعيداً عن ساحة الوغى، حيث أجلسته فوق رمال ضفة نهر سكامندروس، فأجبر الدانائيون الطرواديين على أن يولوا الأدبار مدحورين. إذ قتل كل قائد الرجل الذي يواجهه؛
- ٤٠ ففى البداية قتل ملك الرجال أجاممنون أوديبوس العظيم قائد الهاليزونيين فى عربته، فعندما استدار ليولى الأدبار صوب رمحه إلى ظهره بين كتفيه، غرس الرمح وغاص به حتى صدره؛ فخرّ صريعاً فى صوت مكتوم تحت درعه.
- ٤٥ وقتل إيدومينيوس فايستوس بن بوروس المايونى الذى جاء من أرض تارنى^(٩) الخصيبة. إذ كان يمتطى عربته مرتدياً درعه، فأصابه إيدومينيوس بطعنة من رمحه الطويل حيث اخترق كتفه الأيمن؛ فسقط عن عربته واحتواه ظلام الموت الكريه. ثم جرده أتباع إيدومينيوس من أسلحته.
- ٥٠ وأما سكاماندريوس بن ستروفوس البارح فى فنون الصيد فقد قتله مينيلأوس بن أتريوس برمحه المسنون ، مع أنه كان صياداً عتيذاً، إذ دربته أرتميس بنفسها على التصويب وإصابة كافة وحوش الغابات فوق الجبال. بيد أن أرتميس رامية القوس لم تغده الآن بشيء ولم تنفعه مهارته الفائقة فى رامية القوس، والتي بزّ فيها الجميع من قبل. طعنه مينيلأوس بن أتريوس الشهير برمحه بهذا الرمح فى ظهره بين كتفيه قبل أن يولى الأدبار أمامه، وغرس رمحه ليبلغ صدره

(٩) مدينة فى ليديا عرفت فيما بعد باسم سارديس. (المحرر)

فانكفا على وجهه وسقط درعه فوقه.

- وقتل ميريونيس فيريكوس بن تكتون بن هارمون، ذا اليدين
 الماهرتين في صنع كل شيء دقيق؛ وكانت باللاس
 أثينة تحبه أكثر من أى شخص آخر. وكان هو الذى بنى لألكسندروس
 السفن الجميلة متبع الشرور والخراب لكل الطرواديين وله هو
 نفسه، لأنه لم يكن يعرف شيئاً البتة عن نبوات الآلهة. طارده
 ميريونيس فلما أدركه طعنه على يمين مؤخرته وغاص سن الرمح
 تحت عظامه إلى مثانته؛ فسقط على ركبتيه وهو يئن وطواه الموت.
 ثم قتل ميغيس بيدايوس بن أنتينور، والذى كان فى الحقيقة
 ابنا غير شرعى، ولكن ثيانو الطيبة ربته وتولته بالرعاية
 كأحد ابناتها إرضاء لزوجها. فاقترب منه
 ابن فيليوس (ميجيس)^(*) الشهير برمحه وطعنه بهذا الرمح
 المسنون فى وتر رأسه؛ فغاص الرمح حتى وصل إلى أسنانه
 عند جذور لسانه، فسقط فى التراب وهو يعض الرمح البارء بأسنانه.
 وقتل يوريبيلوس بن يوايمون هيبسينور بن دولوبيون الطيب
 سلمى الروح، وقد كان كاهنا لإله النهر سكاماندروس، وكان الناس
 يبجلونه وكأنه إله. فقد اندفع نحوه يوريبيلوس بن يوايمون العظيم
 بسيفه بينما كان يولى الأدبار أمامه، فأصابه فى كتفه فقطع
 نراعه الثقيلة حيث سقطت على الأرض وغرقت فى الدماء،
 وغيب الموت المظلم والقدر القهار نور عينيه.
 وهكذا أجهدوا أنفسهم فى الاقتتال؛ أما ابن تيديوس
 فلا تستطيع أن تقول مع أى الفريقين كان يحارب،
 هل كان يحارب فى صف الطرواديين أم الأخيين.
 فقد صال وجال فى السهل كله كأنه سيل شتوى عارم
 يكتسح السدود بفيضانه الجارف؛ فلا تصده

(*) قارن الكتاب الثانى بيت ٦٢٧. (المحرر)

- ٩٠ السدود المحكمة، ولا تستطيع حوائط بساتين الكروم المثقلة بالأعنان
أن توقف هجمته المباغتة عندما تسوقه
عاصفة زيوس؛ فتتداعى أمامه التحصينات التي أنجزها
البشر. هكذا اندحرت فرق الطرواديين على كثرتها ولم تصمد
- ٩٥ أمام هجمات ابن تيديوس. ولكن ما أن رآه ابن ليكاون العظيم
وهو يجتاح السهول ويلاحق فلول فرق الطرواديين المنحدرين، حتى
صوب قوسه المعقوف إلى ابن تيديوس أثناء اندفاعه فأصابه
في كتفه الأيمن أعلى درع الصدر؛ فاخترق الرمح القاتل
صدره وتدفقت منه الدماء غزيرة وغطت الدرع.
- ١٠٠ وعندئذ صاح ابن ليكاون العظيم قائلاً:
"انهضوا أيها الطرواديون العظام، مروضو
الخيول؛ فقد سقط أفضل الرجال بين الأخيين،
وأرى أنه لن يحتمل طويلاً طعنة الرمح القوية؛ فأنا في الواقع
مبعوث الملك ابن زيوس (أبوللون)، حين انطلقت من ليكيا".
هكذا قال في زهو بالغ، بيد أن الرمح
- ١٠٥ الحاد لم يغص تماماً في جسد خصمه، الذي ارتد للوراء ووقف أمام
خيوله وعربته، وخاطب سثينيلوس بن كابانيوس قائلاً:
"أقبل يا ابن كابانيوس الطيب،
وانزل من العربة، لكي تسحب السهم الحاد من كتفي".
هكذا قال فقفز سثينيلوس من عربته إلى الأرض
- ١١٠ ووقف بجانبه وسحب السهم الحاد من كتفه،
فانهمر الدم وغطى رداءه ذا الطيات. وشرع
ديوميديس البارح في صيحة الحرب في الابتهاال قائلاً:
"اسمعيني يا أثينة أتريتوني، يا ابنة زيوس، يا ذات الدرع
(أجيس)، يا من لا يصيبك الوهن! يامن وقفت بكل
عناية إلى جانب أبي في خضم حومة الوغي، فافعلني
- ١١٥

- ذلك الآن يا أثينة واشملينى أنا أيضا برعايتك.
 إنى أستعين بك لكى أفضى على ذلك الرجل الذى أصابنى
 فاجعليه فى مرمى رمحى. إنى أبغضه، إذ يتنجح
 معلناً هزيمتى وأنى لن أرى شمس النهار الساطعة".
- ١٢٠ هكذا قال فى ابتهاج، وسمعه باللاس أثينة فلملمت أوصاله
 وقوت قدميه ويديه، وأقربت منه وهمست إليه بكلمات مجنحة قائلة:
 "كن شجاعاً الآن يا ديوميديس لكى تقاثل الطرواديين،
 فقد وضعت فى صدرك قوة أبليك القوى المقدم،
 قوة تيديوس الفارس لابس النرع الأشهر. وقد
 أزلت الغشاوة عن عينيك حتى تميز الإله من الإنسان.
 ١٢٥ فإذا أتاك إله ما مبتلياً، فلا تقاثل الخالدين وجها لوجه
 إلا إذا دخلت أفروديتى ابنة زيوس
 المعركة، فعليك أن تطعننا بسيفك البتار".
- ١٣٠ وانصرفت أثينة ذات العينين الزرقاوين بعد أن قالت ذلك
 وعاد ابن تيديوس لينضم من جديد إلى مقدمة المقاتلين؛ وكان
 يتلطف من كل قلبه لمنازلة الطرواديين، إذ تملكه الغضب ثلاث
 مرات الآن. وكأنه أسد استفزه للغضب راع فى الحقل يحرس أغنامه
 ذات الصوف الغزير، وهو يقفز فوق أسوار حظيرة الأغنام، ولم
 ١٤٠ يخدم الغضب الذى استثاره بقوة، ولكنه تخلى عن الدفاع وراح يهاجم
 وسط مبانى المزرعة، فتبعثرت الأغنام هنا وهناك فى فلول هاربة.
 ويستشيط الأسد غضباً ويقفز فوق أسوار الحظيرة العالية.
 ١٤٥ هكذا ويمثل هذا الغضب يقاثل ديوميديس العظيم الطرواديين.
 قتل أستينووس وهيبايرون راعى شعبه، ضرب أحدهما فى صدره
 بطعنة من رمحه البرونزى، وضرب الآخر بسيفه البتار
 بجانب كتفه فى عظمة الترقوة، ففصل الكتف عن الرقبة والظهر.
 ثم تركهما وأسرع ليلحق أباس وبولينيديوس بن بوليداماس

- ١٥٠ الشيخ المسن مفسر الأحلام، فلم يرجعنا إلى أبيهما الشيخ ليفسر
لهما أحلامهما، فقد قتلتهما ديوميديس. ثم لاحق كسانثوس وثوون
ابنى فاينوبس الحبيبين. وكان أبوهما يعانى من أرذل العمر
ولم يرزق بابن آخر يرث أملاكه ويرعاها. قتلتهما ديوميديس
وانتزع منهما الحياة الغالية. ولم يترك لأبيهما سوى الحزن والحسرة
١٥٥ حيث لم يرهما ليرحب بعودتهما إليه؛ واقتسم الأقربون ممتلكاته.
وبعد ذلك أسر إخبمون وخروميوس ابنى برياموس بن
داردانوس، وكانا كلاهما فوق عربة واحدة، فكان كاسد قفز فى قلب
القطيع، فهشم رقبة عجل أو بقرة كانا يرعيان فى المرعى وسط الغاية.
١٦٠ هكذا فعل ابن تيديوس، حيث أنزلهما مرغمين بقسوة وعنف مؤلم
من عربتهما وجردهما من السلاح، وأسلم خيولهما لرفاقه ليقتادوها
إلى السفن. ولمحه آينياس وهو يمزق صفوف المحاربين ويخوض
١٦٥ المعركة فى غمار قعقة الرماح بحثاً عن بانداروس شبيه الآهة
عسى أن يعثر عليه هنا أو هناك. فوجد ابن ليكاون، القوى العتيد
الذى لا نظير له، ووقف أمامه وخاطبه قائلاً:
١٧٠ "أين قوسك الآن يا بانداروس؟ وأين سهامك المجنحة
بل وأين شهرتك المجيدة؟ لم يكن هناك قط
على ظهر الأرض من يقف فى وجهك، ولم يكن هناك فى ليكيا
من يزعم بز هو أنه افضل منك. تعال الآن
١٧٥ وارفع يديك مبتهلاً لزيوس، واطلق رمحا على
هذا الرجل أيًا كان ذلك الذى انتصر هكذا وأوقع
الكثير من الأذى بالطرواديين، وقتل الكثيرين من النبلاء؛
إن هو إلا إله ما قد أضمر الغضب على الطرواديين
لسبب يتعلق بالقرايين، فكم هو ثقيل غضب الإله على البشر^(*).

(*) قارن ما قاله سييكا عن بطش الإله:

Gravis ira regum est; quanto magis dei, qui rex regum!

"ثقل هو غضب الملوك، وأثقل منه بكثير غضب الإله فهو ملك الملوك."

- ١٨٠ فرد عليه ابن ليكاون المجيد قائلاً:
 "أى آينياس، يا مرشد الطرواديين ذوى الدروع البرونزية،
 إنى أراه شبيه ابن تيديوس محب القتال شجاع القلب وأعرفه بدرعه
 وخودته المجنحة وحين أنظر إلى خيوله؛ ولكنى لا أعرف يقينا
 ما إذا كان إلهاً. وعلى أية حال إذا كان إنساناً، ذلك الرجل الذى أظنه،
 فإن ابن تيديوس طيب القلب ما كان لينزل كل هذا الغضب دون عون
 من أحد الآلهة، فهناك أحد الخالدين يقف بجانبه دوماً وتحيط بكتفيه
 سحابة هى التى ضللت رمحى السريع بعيداً عنه. فقد
 أطلقت عليه رمحا بالفعل أصاب كتفه الأيمن فاخترق
 صدره؛ وحسبت أنى شيعته إلى آيدونيوس، ولكن
 هيهات فلم أستطع القضاء عليه. إنه حقا إله غاضب.
 ولم تكن لدى عربية ولا خيول أمتطيها مع أن
 هناك إحدى عشرة عربية جديدة مجهزة ومطهمة
 فى ساحة ليكاون؛ تجر كلاً منها خيول تأكل الشعير الأبيض
 والحنطة. حقا عندما انطلقت للمعركة من
 قصر ليكاون المنيع عهد إلى ذلك المحارب الأشيب بمهام جمة،
 إذ أمرنى أن أمتطى سهوة الحصان والعربية،
 وأن أهاجم الطرواديين فى معارك طاحنة.
 ولكنى لم أطعه. وكان من الأفضل كثيراً لو فعلت
 لقد تركت الخيول خشية أن يعوزها العلف ولا أجد
 ما يشبعها فى حومة الوعى. وجئت على
 قدمى إلى إليوس واضعاً كل ثقتى فى قوسى؛
 ولكنه لم ينفعنى. وقد أطلقت رمحا أصاب بالفعل
 الزعيمين ابن تيديوس وابن أتريوس فأسال دماءً غزيرة منهما
 ولم أجن من ذلك سوى المزيد من غضبهما.
 لقد كان من سوء الطالع أنى استليت قوسى المعقوف من جعبتى

- ٢١٠ فى ذلك اليوم. وقدت رجالى من الطرواديين إلى إليوس الجميلة
من أجل إرضاء هيكتور المجيد.
- ولكن إذا عدت إلى بيتى لألقى نظرة على بلدى وزوجتى
وقاعات قصرى العالى فليفصل أحد الغرباء رأسى عن رقتى
- ٢١٥ إذا لم أنزع بنفسى هذا القوس وألقه بيدى فى لهب النار
فهو كقبض الريح لا ينفعنى فى شئ"
فرد عليه آينياس قائد الطرواديين قائلاً :
- "لا، لا تتحدث هكذا فلن يتحسن الموقف إذا لم
نقد أنا وأنت خيولنا وعربتنا لصد هذا الرجل
ونبتليه بالقتال. بل هيا امتط عربتى لترى من أى نوع
٢٢٠ خيول طروس، البارعة فى الركض هنا
وهناك عبر الوديان سواء فى الكر أو الفر.
وسيعود الجوادان بنا سالمين إلى
- ٢٢٥ المدينة، إذا منح زيوس المجد لديوميديس بن تيديوس
مرة أخرى. هيا أقبل وخذ السوط والعنان اللامع وسأنزل
أنا للقتال؛ وإلا فعليك أن تصد هجمته، لأعتنى أنا بالخيول"
فرد عليه ابن ليكاون المجيد قائلاً :
- ٢٣٠ "أى آينياس لتمسك أنت العنان ولتقد أنت الخيول
التي ستجر العربة المحوفة على نحو أفضل؛
فمن الأنفع لها أن تجر العربة بقيادة سائقها المعتاد، إذا كان
لايد لنا من الفرار هرباً من ابن تيديوس. أما أنا
فلن أستطيع قيادها، وفى غياب صوتك قد تجفل وتحرن
ولا تخرج بنا من المعركة فينقض علينا ابن تيديوس
٢٣٥ القوى ويقتلنا معاً ويسوق خيولنا ذات الحافر الواحد أسلاباً.
فلتكن أنت قائد عربتك وخيولك، وسأتصدى أنا لهجمة
هذا الرجل برمحي المسنون".

- تبادلا هذا الحديث تم امتطيا العربية المزركشة وقادا الخيول
 ٢٤٠ السريعة ضد ابن تيديوس. فلما لمحهما سثينيلوس بن كابانيوس
 المجيد قال:
 "ديوميديس، يا ابن تيديوس، يا حبيب قلبي، إني ألمح محاربين
 باسليين مهرولين في لهفة لقتالك، ولا حدود لقرتتهما. أحدهما بارع
 في رمى القوس إنه بانداروس الذى يزهر بأنه ابن ليكاون؛
 ٢٤٥ أما الثانى آينياس، فيفخر أنه من نسل أنخيسيس الذى لا نظير له،
 وأمه أفروديى. تعال نمطى العربية ونمضى، أتوسل إليك، ولا تتدفع
 هكذا فى الصف الأول بين المحاربين الأشارس كيلا تهلك."
 ٢٥٠ فرد عليه ديوميديس العظيم بنظرة حانقة قائلاً:
 "لا تحدثنى عن الفرار، فلا أظن أنك ستقنعنى.
 وليس من شيمتى أن أتسلل منسجياً من حومة الوعى
 ٢٥٥ أو أن أجبن. فلا تزال قوتى عتيده. لا نية عندى أن أمتطى
 عربية، بل سأتقدم كما أنا لمواجهتهما؛ فتخالذى أمر
 لا تسمح به باللاس أثينة. أما هذان فإن خيولهما
 السريعة لن تعود بهما سالمين من هنا، حتى ولو فر أحدهما
 ٢٦٠ أو الآخر. ولأصاح قلبك بشيء آخر: إذا أرادت (باللاس) ذات
 النصائح الكثيرة أن تمنحنى هذا المجد
 بأن أقتل كليهما، فلتبق أنت ممتطيا الخيول السريعة
 هنا واربط العنان إلى إطار العربية،
 ولا تنس أن تسرع إلى خيول آينياس ولتأخذها من
 الطرواديين ولتقدّها إلى حشود الآخيين لابسى الدروع.
 ٢٦٥ فهذه الخيول من السلالة التى عوض بها زيوس
 ذر الصوت المدوى فى الأفاق، طروس عن ابنه جانيميديس،
 لذا فهى أفضل خيول تحت أشعة الفجر والشمس. وقد سرق
 أنخيسيس ملك الرجال عدداً من هذه السلالة وهجن بها فرسانه

- ٢٧٠ دون علم صاحبها لأوميدون. فولدت له ستة خيول في قصره من هذه السلالة، احتفظ بأربعة لنفسه ورباها في حظيرته، وأعطى الاثنين الباقين مسبى الذعر لأينياس. فإذا أخذنا هذين الحصانين لأحرزنا مجداً عريضاً".
- ٢٧٥ هكذا جرى الحديث بينهما واقتربا (من ديوميديس) وهما يقودان الخيول السريعة. وكان ابن ليكاون المجيد البادىء بالحديث: "يا ابن تيديوس العظيم، يا ذا القلب الجسور الشغوف بالحرب، حقا إن سهمي المرير السريع لم يصبك؛ والآن سأجرب رمحي فلعلى أصيبك".
- ٢٨٠ قال ذلك وأعد رمحه طويل الظل وأطلقه فأصاب درع ابن تيديوس؛ فاخترق البرونز حتى حزام الخصر. فصاح به ابن ليكاون المجيد قائلاً: "لقد أصبت بطنك مباشرة وأظن أنك لن تحتمل طويلاً وقد منحتني مجداً عظيماً".
- ٢٨٥ فرد عليه ديوميديس المجيد دون أية بادرة من خوف وقال: "بل أخطأت فلم تصبني. وأرى أن كليكما لن تكفا حتى يسقط أحدكما أو الآخر صريعا فينخم بدمه أريس المحارب ذا الدرع المحكم".
- ٢٩٠ هكذا كان يصيح وهو يصوب رمحه، ووجهت أنينة الرمح إلى أنف (ابن ليكاون) بجانب عينه، فاخترق أسنانه البيضاء. أصاب الرمح لسانه عند المنبت فبرزت أسنانه أسفل الذقن. فسقط عن العربية ومن فوقه درعه، وارتعدت الخيول السريعة، وتحتت جانبا، وهناك خارت قواه وفاضت روحه. أما أينياس فقد قفز بدرعه وأمسك برمحه الطويل متأهبا، خشية أن يسحب الأخيون جثة الميت منه.
- ٢٩٥ ووقف فوق الجثمان كأنه أسد شديد الثقة في قوته، ممسكا بدرعه ورمحه بثبات وتوازن، متلهفاً لقتل كل من تسول له نفسه أن يتقدم ليخطف الجثة، وأخذ

- يطلق الصيحات الرهيبة. لكن ابن تيديوس
 أمسك بحجر - لا يستطيع رجلان رفعه،
 ٣٠٥ ومع ذلك فقد سيطر عليه بمفرده - ياله من عمل خارق!
 وأصاب به آينياس أعلى الفخذ حيث يلتقى الفخذ
 بالموخرة - أي عند "الكأس" كما يقول الرجال.
 فهشم عظمة الكأس وحطم أيضًا عظام الحوض،
 ومزق الحجر جلده. فانكفأ المحارب على ركبته متكئاً على يديه،
 ٣١٠ وأطبق ظلام الموت الدامس على عينيه.
 كاد آينياس ملك الرجال أن يهلك لولا أن أسرعت أفروديتى ابنة زيوس
 التى أنجبته لأنخسيس وهو يرعى قطعانه. ففتحت
 ذراعها البيضاء لابنها الحبيب وغطته
 ٣١٥ بثنية من رداؤها ليكون له درعاً يحميه من
 القذائف، خشية أن يصيبه أحد الدانائيين
 ذوى الخيول السريعة برمح برونزى فى صدره
 فيهلكه. ثم حملت ابنتها الحبيب بعيداً عن
 حومة الوغى. لكن ابن كابانيوس (ستينيلوس) لم ينس
 ٣٢٠ الأوامر التى كلفه بها ديوميديس البارع
 فى صيحة للقتال. فأبعد جواده ذا الحافر
 الواحد عن المعركة، وربط العنان إلى إطار
 العربة وهرع إلى خيول آينياس وأخذها
 ٣٢٥ من الطرواديين إلى حشود الأخيين وسلمها لدايبيلوس رفيقه
 العزيز الذى هكذا فضله بالتكريم على كل رفاق شبابه، إذ كان
 مقرّباً إلى نفسه؛ وأمره بالإسراع
 إلى السفن المجوفة. ثم امتطى المحارب عربته
 وأمسك بالعنان اللامع وقاد خيوله سعياً
 ٣٣٠ إلى ابن تيديوس. الذى مضت فترة وهو يبحث برمحه

- البرونزى الذى لا يرحم عن كيبريس (القيصرية)^(*) مدركاً أنها
إلهة ضعيفة وليست من الإلهات المحاربات التى تسود
فى المعارك؛ فهى ليست أثينة ولا إنيو^(**)
محطمة المدن. فلما عثر عليها بعد لأى
٣٣٥ فى خضم الحشود، رماها ابن تيديوس المجيد
برمحه الحاد وثب إليها، وجرح سطح يدها الرقيقة، فمزق الرمح
رداءها الأمبروسى (الإلهى) الذى صنعتها لها إلهات الرشاقة
الثلاث الخاريتين، واحترق الرمح الجلد عند رسغها
٣٤٠ فوق راحة اليد فسال الدم الإلهى من الإلهة، كما يتدفق
فى الآلهة المباركين؛ فهم لا يأكلون الخبز ولا يشربون
النبيذ. لذا فلا تجرى فى عروقهم اللماء العادية ويسمون بالخالدين.
صرخت صرخة مدوية وتركت ابنها يسقط،
فالتقطه فويبوس أبوللون بين ذراعيه وأنقذه فى
٣٤٥ سحابة داكنة خشية أن يطعنه أحد الدانائيين
برمحه برونزى فى صدره فيودى بحياته.
بيد أن ديوميديس البارح فى صيحة الحرب صاح فيها قائلاً:
"أبتعدى يا ابنة زيوس عن ساحة الحرب والضرب
ألا تكفيك غواية النساء الضعيفات ؟
أما إذا اقتربت من ساحة الحرب فتذكرى أنك ستصابين
٣٥٠ بالهلع من مجرد سماع اسمها ولو من بعيد".
هكذا قال، فانصرفت يركبها الفرع والحزن؛ فأخذتها
إيريس ذات القدمين السريعتين كالريح بعيداً
عن الحشود. كانت تتألم وقد غطى الدم جلدها حتى اسودّ لونه.

(*) منذ بداية "الإلياذة" هذه أول مرة يذكر لقب أفروديتي هذا "القيصرية" (كيبريس) مما جعل بعض النقاد يورخون هذا الكتاب بفترة زمنية تالية لتأليف بقية الكتب. وقارن الكتاب الخامس عشر ٦٣٨. (الغرر)
(**) إنو Enyo هى التى اعتبر الدارسون إلهة الحرب الرومانية القديمة بيللونا Bellona مقابلاً لها واعتبرها بعض الشعراء المتأخرين أم آريس. (الغرر)

- ٣٥٥ وسرعان ما صادفت آريس الثائر يقف على يسار
أرض المعركة، وكان رمحه ينكئ على سحابة،
ممسكا في يده بعنان جواده السريعين.
فجئت على ركبتيها وأخذت تتوسل وتطلب
من أخيها خيوله المغطاة جبينها بعصابات ذهبية قاتلة :
- ٣٦٠ "أنقذني يا أخي الحبيب وأعطني خيولك عسى أن أصل بها إلى
الأوليمبوس حيث مساكن الخالدين. إذ يعترضني الألم من جرح أصابني
به رجل فإن هو ابن تيديوس، الذي قد يشعل حرباً على زيوس
الأب نفسه".
- هكذا قالت فقدم لها آريس جواده وعليهما العصابات الذهبية؛
- ٣٦٥ فامتطت العربية بقلب مضطرب وركبت بجانبها إپريس،
وأمسكت بالعنان في يديها وضربت الجياد بالسوط حتى تتحرك،
فركض الجوادان حتى بلغا مقر الآلهة فوق الأوليمبوس الشاهق؛
- ٣٧٠ وهناك أوقفت إپريس ذات القدمين السريعتين كالريح
الجوادين وفكت قيودهما عن العربية، ووضعت أمامها
العلف الأميركي؛ وجئت أفروديتي الجميلة على ركبتي أمها
ديوني^(*). التي احتضنت ابنتها بين ذراعيها وربتت
عليها بيدها وقالت لها :
- "من من أبناء السماء يا طفلي الحبيبة أساء إليك على
هذا النحو، كما لو أنك ارتكبت منكرًا أمام أعين الجميع؟"
- ٣٧٥ فردت عليها أفروديتي صاحبة الابتسامة الجميلة قائلة:
"جرحني ديوميديس بن تيديوس، لأني كنت أحمل ابني الحبيب،
آينياس أحب البشر لدى، بعيدًا عن ساحة الوغى. فلم تعد الحرب حربًا
بين الطروديين والأخيين؛ إذ يقاتل الآن الداناتيون الخالدين".
- ٣٨٠ فردت عليها ديوني الإلهة الجميلة قائلة :

(*) لم تذكر ديون Dione عند هومروس إلا في هذا الموضع. (الغرر)

- "هدنى من روعك يا ابنتى، وصبراً على كل ما تعانين؛
فكم عانى كثير منا نحن آلهة الأوليمبوس على أيدي البشر
وهم يجلبون الآلام لبعضهم البعض .
- ٣٨٥ فهكذا عانى آريس عندما قام أوتوس وإفيالتيس
العظيم ولدا أليوبوس بحبسه فى الأصفاد القاسية. وظل
راقداً فى إناء نحاسى لمدة ثلاثة عشر شهراً. وهكذا
أوشك آريس المتعطش للحروب على الهلاك، لولا أن
جاءت إيريبويا الجميلة زوجة الأب
- ٣٩٠ وأنبأت هرميس؛ فأخذ آريس خلسة وكان فى حزن
شديد لأن الأصفاد كانت أقوى منه. وهكذا أيضاً عانت
هيرا عندما أصابها ابن أمفيتريون العظيم (هرقل) فى صدرها
الأيمن بسهم ذى ثلاث شوكات؛ ثم أصابها أيضاً ألم
لم يهدأ أبداً. وهكذا عانى هاديس المتوحش من بقية
- ٣٩٥ سهم مسموم عندما أصابه هذا الرجل هيراكليس (هرقل) نفسه
ابن زيوس لابس الدرع أيجيس فى بيلوس وسط
الموتى وتركه للآلام. ولكنه ذهب إلى مقر زيوس وإلى
الأوليمبوس الشاهق بالحزن فى قلبه والآلام فى جرحه؛ فقد
- ٤٠٠ اخترق الرمح كتفه القوى فأصاب روحه بالحزن. لكن بايون نثر
عليه عشباً مدارياً فشفاه؛ فهو لم يكن من سلالة الفانين.
الطائش مرتكب العنف هو الذى لا يتوقف
عن أعماله الشريرة، فهو بسهامه يثير حنق
- ٤٠٥ الآلهة صاحبة السيادة على الأوليمبوس. وعليك أطلقت الإلهة
أثينة ذات العيون الزرقاء هذا الرجل الأحمق؛
فعقل ابن تيديوس لا يدرك أن الفانى لا يحتمل قتال
الخالدين لمدة طويلة، ولا أبناؤه يثرثرون عند
قدميه عندما يعود من الحرب والنزال المميت.

- ٤١٠ والآن دعى ابن تيديوس مهما كان باسلاً
دعیه یقاتل من هو أقوى منك، أخشى أن توقظ أيجيالیا زوجته ابنة
أدرستوس كل أهل بيتها من نومهم
بالعويل الطويل والنحيب الحزين على زوجها أفضل
٤١٥ رجال الأخيين، زوجها ديوميديس مروض الخيول".
هكذا قالت ثم بكلتا يديها أزلت الدم من فوق الذراع،
فشفى الذراع وهذأت حدة الآلام. ولكن أثينة وهيرا
بعد أن شاهدتا ما حدث استنارتا غضب زيوس بن كرونوس
٤٢٠ بساخر الكلام. وكانت أثينة ذات العيون الزرقاء هي البادئة بالقول:
"أبى زيوس، هل ستغضب على بسبب ما أقول؟
يبدو أن كيريس (القبرصية) هي التي أغوت إحدى نساء الأخيين
على اللحاق بالطرواديين الذين تحبهم الآن
٤٢٥ إلى أقصى حد؛ وبينما هي تغوى إحدى نساء أخايا ذات الرداء الجميل
وتضرب بيديها على ديوسها الذهبى خدشت يدها الرقيقة".
هكذا قالت، لكن أبا البشر والآلهة ابتسم ونادى أفروديتى
الذهبية قائلاً:
"لم تعهد إليك يا طفلى شؤون الحرب؛
وعليك متابعة أمور الزواج المحببة،
٤٣٠ أما كل تلك المهام فهى من شأن آريس السريع وأثينة".
هكذا تحدث كل منهم إلى الآخر، أما ديوميديس البارع فى صيحة
الحرب فقد انقض على آينياس، مع علمه أن أبوللون نفسه
كان يحميه بذراعيه؛ إلا أنه لم يكن يهرب حتى هذا الإله الكبير،
٤٣٥ وكان لا يزال يتلطف على قتل آينياس وسلب أسلحته المجيدة.
وهاجمه مرات ثلاث وكاد أن يفتك به وصدّه أبوللون بدرعه اللامع
ثلاث مرات. ولكن عندما هاجمه للمرة الرابعة كأنه إله،
توجه إليه أبوللون بصيحة رهيبة دوت أصدائها من بعيد:

- ٤٤٠ "تعقل يا ابن تيديوس، وامض بعيداً ! لا تظن أنك ستصير مثل الآلهة. فليس هناك ما يوحد بين سلالة الآلهة الخالدين وسلالة البشر الذين يمشون على الأرض".
هكذا خاطبه فترجع ابن تيديوس إلى الخلف ليتحاشى أن يصيبه غضب أبوللون من بعيد.
- ٤٤٥ ثم عزل أبوللون آينياس عن الحشد وذهب به إلى برجاموس المقدسة التي بنى فيها معبده. وهناك قامت ليتو وأرتميس ربة القوس بعلاجه فى المعبد الفسيح ومنحاه المجد؛ لكن أبوللون صاحب القوس الفضى صنع طيفاً على شاكلة آينياس ودرعا على
- ٤٥٠ شاكلة درعه؛ وحول هذا الطيف شرع الطرواديين والآخيون شبيهو الآلهة يضرب كل منهم على صدر الآخر، وعلى التروس المستديرة والمصنوعة من جلد الثور وعلى الدروع المتطايرة بشدة.
ثم تحدث فوييوس أبوللون إلى أريس السريع قائلًا:
- ٤٥٥ "أى أريس، يا أريس أنت يا مهلك البشر، أيها المنطخ بالدماء العاصف بالأسوار، أن تدخل ساحة المعركة لكى تسحب منها هذا الرجل، ابن تيديوس الذى على وشمك أن يحارب زيوس الأب نفسه؟ فهو بداية أصاب كيبريس (القبضعية) بجرح فى راسها فى التحام مباشر، ثم شرع يهاجمنى أنا نفسى وكأنه إله".
هكذا قال ثم أجلسه بنفسه على قمة برجاموس وتسلل أريس الفتاك
- ٤٦٠ إلى وسط صفوف الطرواديين، وأخذ يحثهم متخفياً فى هيئة أكاماس الشجاع قائد الطراقيين. واستدعى أبناء برياموس الذين رباهم زيوس وقال :
- "يا أبناء برياموس الملك ربيب زيوس، إلام تتركون الآخيين يقتلون حشودكم ؟ هل سيظل الأمر كذلك إلى أن يقاتلونا عند بواباتنا المحكمة ؟

- إن رجلاً نكرمه كما نكرم هيكتور الباسل
يعانى، إنه آينياس بن أنخيسيس المغوار.
هلموا ننفذ رفيقنا النبيل من مأزق الصراع.
٤٧٠ بهذا القول رفع عاليًا روح كل رجل وقواها
فهب ساربيدون يوبخ هيكتور الإلهي بشدة قائلاً:
"أين ذهبتي القوة التي كانت لك
من قبل يا هيكتور؟ كنت قد قلت من قبل إنك
بدون الحشود والحلفاء ستدافع عن المدينة وتصد
٤٧٥ وحدك بعون من أزواج شقيقاتك وإخوتك؛ ولا أجد أحدًا
من هؤلاء الآن، فهم يتقاعسون كما تتقاعس الكلاب
حول الأسد. نحن الذين نقاتل، ونحن مجرد حلفاء لكم.
وما أنا إلا حليف جاء من بعيد؛ من ليكيا
عند كسانثوس الفياض، حيث تركت زوجتي الحبيبة
٤٨٠ وابني الرضيع وثروتى الكبيرة التي يطعم فيها كل
إنسان. ومع ذلك فأنى أستتفر أهل ليكيا، وأنا
نفسى أتلهف على قتال العدو، مع أنه ليس لى هنا ما أملكه
مما يطعم الأخيون فى سلبه ونهبه؛ أما أنت فلا تتحرك ولا حتى تحض
٤٨٥ حشودك على الصمود والدفاع عن زوجاتهم.
فاحذر لنفسك ولهم، كيلا تقعوا
فى خيوط الفخ المحبوكة جيدًا لتسقطوا فرانس وغنائم
فى أيدى أعدائكم؛ وسيحطمون فورًا مدينتكم العامرة
٤٩٠ بمسكانها. ينبغي أن يكون هذا شغلكم الشاغل ليل نهار. وينبغى أن
نتوسلوا إلى قادة حلفائكم الأماجد لكي يثبتوا فى مواقعهم
ويصمدوا دون خوف عليكم، وبذلك تتجنبون التائب العنيف".
هكذا قال ساربيدون، وأصاب كلامه قلب هيكتور فى الصميم.
٤٩٥ فقفز بدرعه من عربته إلى الأرض، وأخذ يلوح برمحيه المسنونين،

- وهو يجرى فى كل اتجاه وسط الحشود ويحث الرجال على القتال
فأتار صخب المعركة. إذ احتشدوا وأخذوا مواقعهم
ولوا وجوههم صوب الأخيين؛ وصمد الأرجيون أمام
هجمتهم فى حشود كبيرة ولم يفروا. وكما تسوق الريح
قش الغلال إلى أرض الحصاد المقدسة، عندما
٥٠٠ يذروها الرجال فى وجه الريح،
فتفصل ديميتير ذات الشعر الذهبى الحبوب عن
القش وسط هبات الريح القوية، وتعلو
أكولم الغلة البيضاء وتزايد. هكذا الأخيون أنفسهم
تزداد رءوسهم وأكتافهم بياضاً تحت سحابة الغبار التى تثيرها
٥٠٥ حوافر الخيل بين المحاربين لتصل إلى عنان السماء البرونزية.
لقد اشتبك الجمعان مرة أخرى، وأدار سائقو العربات عجلاتهم.
مشددين قبضة أيديهم على العنان، وغطى أريس السريع
أرض المعركة بضباب كثيف لمساعدة الطرواديين
المنذفين فى كل اتجاه؛ وبذلك حقق وصية قوبيوس
أبوللون ذى السيف الذهبى الذى أمره بتقوية روح الطرواديين
٥١٠ عندما رأى باللاس أثينة ترحل، فقد
كانت هى التى تمد يد العون للدانائيين. وقام أبوللون
نفسه بإرسال آينياس من معبده الثرى
ونفث الشجاعة فى صدره باعتباره راعى الحشود. وأخذ
آينياس موقعه وسط رفاقه المحاربين ففرحوا حين
٥١٥ رأوه قادماً لينضم إليهم حياً وسليماً مفعماً بالشجاعة. ولكنهم لم
يسألوه عن شىء فقد شغلتهم متاعب من نوع آخر، أى تلك
التي أثارها صاحب القوس للفضى وأريس مرعب
للغانين، وإلهة الشقاق إريس التي انطلقت دون أن يعوقها عائق.
٥٢٠ وعلى الجانب الآخر كان الثنائى أيلاس وأوديسوس وديوميديس

- يحرصون الدانائيين على القتال؛ فيهم لم يرهبوا عنف الطرواديين
وهجماتهم، بل صمدوا فكانوا مثل السحب
التي جمعها ابن كرونوس ثابتة بلا حراك فوق قمة الجبل
حيث الجو ساكن، حين تبدأ قوة ربح الشمال بورياس، وتهجع
الريح الثائرة الأخرى التي تهب وتزمر فتتفرق السحب
الظليلة هنا وهناك. وصمد الدانائيون للطرواديين ولم يهربوا.
وجال ابن أتريوس بين الجموع مردداً أوامره قائلاً:
"كونوا رجالاً يا أصدقائي، ولتتسجع قلوبكم، وليستح كل منكم
من الآخر في هذه المعركة الطاحنة. فأغلب الرجال ذوى الحياء
ينجون ولا يهلكون، أما من دأبوا على الفرار فلا يرجى منهم مجد
ولا دفاع".
- قال ذلك ثم صوب رمحه فأصاب محارباً في المقدمة، أحد
رفاق آينياس الهمام، إنه ديكوؤن بن برجاسوس الذى يبجله
الطرواديين كما يبجلون أبناء برياموس لسرعته في
القتال في المقدمة. أصابه أجامنون الملك برمحه في درعه الذى لم
يصد الرمح، بل نفذ من البرونز إلى أسفل البطن مخترقاً الحزام؛
فهوى وهو يصرخ صرخة مكتومة وسقط درعه فوقه.
- ثم فتنك آينياس باتنين من أبطال الدانائيين هما كريثون وأورسيلوخوس
ولدا ديوكليس الذى كان يقيم في فيرى^(*) المنبوعة، كان ثرياً منحدرًا
من نسل إله النهر ألفيوس ذى المجرى العريض عبر أرض البيليين،
أنجب ألفيوس أورسيلوخوس ليكون ملكاً على رجال
كثيرين. وأنجب أورسيلوخوس ديوكليس
سامى الروح، وولد لديوكليس توأم من الإبناء
هما كريثون وأورسيلوخوس (أورتيلوخوس)^(**)، وهما بارعان

(*) تقع فيرى Phere في ميسينا Messene.

(**) يرد هذا الاسم أحياناً على هيئة أورتيلوخوس Ortilochos. كما ورد عند زينو دوتوس. (الغرر)

- في كل فنون القتال. والآن عندما بلغ الاثنان مبلغ الرجال، جاء
مع الأرجبيين على السفن السوداء إلى إليوس الشهيرة بخيولها سعياً وراء
الفوز بتكريم ولدى أتريوس أجامنون ومينيلأوس؛ إلا أن الموت
المشئوم طواهما على تلك الأرض. كانا مثل أسدين يريضان على قمة
٥٥٥ الجبل ربتهما أمهما في غابة كثيفة؛
كانا يفتنسان الماشية والأغنام وينشران
الدمار في المزارع، حتى قتلا بسيوف برونزية بتارة،
٥٦٠ هكذا فتك أينياس بالتوأم فسقطا مثل شجرتي الصنوبر الشاهقتين.
حزن مينيلأوس المحب للقتال عليهما وقد سقطا على أرض المعركة،
فاخترق مقاتلي الصفوف الأولى شاهراً سيفه
البرونزي البتار وملوحاً برمحه؛ وقوى آريس شديد البأس
٥٦٥ روح هذا البطل حتى لا يقتل على أيدي أينياس. لكن أنتيلوخوس
بن نيسطور المقدم رأى فشق طريقه بين
مقاتلي المقدمة؛ فقد كان يخاف على راعي الحشود
خشية أن يناله مكروه، فيحبط كل جهودهم.
كان الاثنان يرفعان أيديهما بالرمح
٥٧٠ الواحد ضد الآخر، وكانا على وشك الالتحام؛ فاقترب
أنتيلوخوس من راعي الحشود. ولم يصمد أينياس طويلاً،
مع أنه كان محارباً هماماً، عندما رأى الاثنين يقفان بثبات
جنباً إلى جنب؛ بل سحب الجثتين (كريتون وأورسيلوخوس)
نحو حشود الآخيين ووضعاهما في أيدي
٥٧٥ رفاقهما ثم عادا ليقاتلا وسط الصفوف الأولى.
ثم قتلا بيلامينيس ند آريس وقائد لابسى الدروع
البافلاجونيين الأثاوس. كان يقف راسخاً فطعنه مينيلأوس
بن أتريوس الشهير برمحه، حيث أصاب الرمح عظمة الترقوة.

- ٥٨٠ وصبوب أنتيلوخوس رمحه على حامل
دروعه وسائق عربته ميدون ابن أنيمينوس
القوى، عندما كان يقود الخيول ذات الحافر الواحد.
فأصابه بحجر في كوعه؛ فسقط العنان الأبيض العاجي
٥٨٥ من يده على الأرض في التراب . انقض أنتيلوخوس
عليه وطعنه بسيفه في صدغه فسقط من عربته المحكمة
على رأسه وكنتيه وهو يلفظ أنفاسه في التراب.
وظل كذلك لمدة طويلة راقداً فوق حفرة رملية
إلى أن ركلته الخيول وألقت به إلى
التراب؛ ضربها أنتيلوخوس بالسوط وقادها إلى حشود الأخيين.
٥٩٠ وعندما لمح هيكتور المحاربين من وسط الصفوف أسرع
نحورهم وهو يصيح صيحات مدوية وتبعته فرق الطرواديين
القوية، يقودها آريس وإنيو^(*) الرهيبية حيث جاءت
ومعها صخب الحرب (كيدويموس)، بينما أمسك آريس في يده
٥٩٥ برمح ضخم وأخذ يحوم أمام هيكتور ووراءه. وعندما لمح
ديوميديس الباراع في صيحة الحرب أصابه الهلع؛ كان مثل رجل
يعبر وادياً فسيحاً توقف في فزع عند النهر جارف
التدفق نحو البحر، حيث رآه يرغى بالزبد
فبدأ يتراجع. حتى ابن تيديوس تراجع الآن وقال للحشود :
٦٠٠ "انظروا يارفاقي كيف كنا أقرب إلى التغلب على هيكتور الإلهي
وكنا نظنه رجلاً محارباً بالرمح لا خوف منه، ولكن إلهاً ما يقف بجانبه
ويصد عنه الهلاك؛ إنه آريس على هيئة بشرى فان. فترجعوا إلى
٦٠٥ الوراء ووجهكم نحو الطرواديين دون أن نندفع في الحرب ضد الآلهة"
بعد أن قال ذلك اقترب الطرواديين منهم بشدة، فقتل هيكتور
اثنتين من المقاتلين شديدي المراس في النزال، وهما

(*) فارذ أعلاه بيت ٣٣٣. (المحرر)

- مينيسثيس وأنخيالوس. وكانا يمتطيان عربة واحدة.
- ٦١٠ فلما قُتلا حزن عليهما أياس بن تيلامون فافترب منهما وأصاب برمحه المتألق أمفيوس بن سيلاجوس من سكان بايسوس. إنه رجل ذو مال وفير وله من حقول الغلال الكثير؛ لكن القدر
- ٦١٥ ساقه حليفاً لبرياموس وابنائه. أصابه أياس التيلاموني في خصره واستقر الرمح طويل الظل في أسفل بطنه، فسقط وهو يصرخ صرخة مكتومة. وأسرع إليه أياس المجيد ليجرده من أسلحته، ولكن الطرواديين
- ٦٢٠ قَدَفوه برماحهم المسنونة ذات البريق وصد درعه الكثير منها. ولكنه ثبت قدمه على الجثمان وسحب الرمح البرونزي، ولكنه لم يستطع نزع بقية سلاحه من الكتفين، حيث تلقى الكثير من القذائف. كما أنه كان يخشى المدافعين الطرواديين، فقد حاصره حشد من
- ٦٢٥ أشاوسهم برماحهم المشهورة، ومع أنه طويل القامة قوى البنيان، إلا أنهم دفعوه للخلف؛ وتراجع إلى الوراء وتقهقر. كان القتال على أشده وساق القدر العنيد تليبوليموس بن هيرالكليس (هرقل)، وهو رجل باسل طويل القامة، لملاقاة ساربيدون شبيه الآلهة.
- ٦٣٠ وعندما اقتربا وتقدم كل منهما نحو الآخر، ابن زيوس جامع السحب وحفيده، كان تليبوليموس الباديء بالحديث فقال :
- "أى ساربيدون يا مسدى المشورة بين أهل ليكيا، ما الذى أتى بك إلى هنا إلى أرض المعركة وأنت لا تتقن فن الحرب؟ كذابون من يقولون إنك من نسل زيوس حامل الدرع أيجيس. إذ أراك اليوم أقل شأنًا من أولئك المحاربين الذين أتجبهم زيوس في

- الزمن القديم. يقولون إن هيراكليس (هرقل) المجيد أبي
كان نوعاً آخر من الرجال، قوياً في القتال، له قلب
٦٤٠ أسد. وجاء إلى هنا ذات مرة طلباً لخيول
لاؤميدون، ولم يكن معه سوى ست سفن
وعند أقل من الرجال، ولكنه دمر مدينة إليوس
وخرّب طرقاتها. أما أنت فجبان القلب
وقليل حشذك. مجيئك من ليكيا لتدافع
٦٤٥ عن أهل طروادة بلا طائل، فأنت لست قويا، بل
سأفهرك لتعبر بوابات هاديس".
فأجابه ساربيدون قائد الليكيين قائلاً:
"أى تليبوليموس، حقا إن أباك ذلك البطل الأشهر دمر إليوس
المقدسة بسبب رعونة سيدها لاؤميدون الذي
٦٥٠ أغلظ القول لمن قدم له جميلاً معروفاً
ولم يعطه الخيول التي كان قد جاء من أجلها من بعيد.
أما فيما يتعلق بك أنت، فأظن أن موتك ذلك المصير الأسود سيكون
على يدي، وهزيمتك برمحي ستمنحني المجد
٦٥٥ ومسترحل روحك إلى هاديس ذى الخيول الأصيلة".
هكذا قال ساربيدون، وشهر تليبوليموس رمحه عاليًا، وانطلقت
الرماح الطويلة من أيدي كل منهما صوب الآخر في لحظة واحدة.
فأصابه ساربيدون في رقبته واخترقه الرمح
وغطى ظلام الليل الحالك نور عينيه وأحاط به.
أما تليبوليموس فضرب ساربيدون في فخذه الأيسر
٦٦٠ برمحه الطويل، ونفذ الرمح إلى العظم؛ لكن أباه
كان لا يزال يصد عنه الموت. ثم قام رفاقه الطبيون
بحمل ساربيدون شبيه الآلهة بعيداً عن ساحة الوغى،
وكان الرمح الطويل يتقله، لكن لم يلحظه أحد

- من الرجال فى عجلتهم، ولم يفكر أحد فى سحب الرمح من فخذ
 ٦٦٥ لكى يقف على قدميه؛ فقد استغرقتهم العناية به.
 وعلى الجانب الآخر، حمل الأخيون لابسو الدروع المتينة
 تليبوليموس بعيداً عن أرض المعركة، ولما علم أوديسيوس الإلهى
 ذو الروح الصبور بالأمر ثارت روحه بالغضب
 ٦٧٠ فى داخله، وقلب فى قلبه وروحه الفكرة ما إذا
 كان عليه أن يلاحق ابن زيوس مرسل الرعد المدوى،
 أم عليه أن يحصد أرواح المزيد من الليكيين،
 فلم يكن من العسير على أوديسيوس المغوار أن يقتل ابن زيوس
 ٦٧٥ الصنديد بسيفه البرونزى البتار؛ فحولت أثينة انتباهه
 إلى حشود الليكيين. ففكك بكل من كويرانوس والأسطور وخروميوس
 وألكاندروس وهاليوس ونوثيمون ويريتانيس؛
 وكان بوسع أوديسيوس الإلهى أن يقتل
 ٦٨٠ المزيد من الليكيين، لكن هيكتور العظيم ذا الخوذة اللامعة
 رأى ذلك فشق طريقه نحو مقاتلى
 الصفوف الأولى المدججين بالسيوف البراقة
 فألقى الرعب فى قلوب الدانائيين، وفرح ساربيدون
 بن زيوس بقومه وقال له كلمات تثير الشفقة :
 ٦٨٥ يا ابن برياموس، لا تتركنى راقداً هنا فريسة للدانائيين، بل
 مد لى يد العون واحملنى بعيداً؛ وبعد ذلك إن أملت الضرورة دع روحى
 تغارقنى فى مدينتك، فلا أظن أننى سأعود
 إلى بلادى وإلى أرضى لأدخل السرور على
 زوجتى الحبيبة وطفلى الرضيع".
 ٦٩٠ هكذا قال، لكن هيكتور ذا الخوذة اللامعة لم يرد عليه، بل انطلق
 فى لهفة وبكل سرعة ليطعن الأرجيين ويحصد
 أرواح الكثيرين منهم. ثم قام الرفاق الطيبون بمساعدة

- ساربيدون شبيهه الآلهة على الجلوس تحت شجرة
بلوط من أشجار زيوس حامل الدرع أيجيس؛
٦٩٥ وسحب بيلاجون القوى والرفيق الحبيب الرمح من فخذة، فلم
تتحمل روحه وحط الضباب على نور عينيه.
ولكنه عاود التنفس مرة أخرى،
حيث هبت نسمة من ريح الشمال بورياس عليه وبعثت فيه الحياة
من جديد بعد أن كان قد لفظ روحه على نحو حزين.
٧٠٠ لم يول الأرجيون الأديار نحو السفن السوداء، أمام هجمة آريس
وهيكتور المدججين بالبرونز ولم يصمدوا في المعركة،
بل تراجعوا إلى الوراء عندما أدركوا أن آريس كان مع الطرواديين.
من كان أول من قتل ومن كان الأخير على يد هيكتور
٧٠٥ بن برياموس وآريس لابن البرونز؟ تيوتراس شبيه الآلهة،
وبعد أوريستيس قائد الخيول، وتريخوس رماح آيتوليا، وأويناموس
وهيلينوس بن لوينوس، وأوريسيبيوس الذي كان يسكن في هولى على
بحيرة كيفيسيس^(٢) يرعى ثروته. وكان يسكن معه
البويوتيون الآخرون ذوو الأرض الغنية.
٧١٠ وحين علمت هيرا الإلهة ذات الذراع الأبيض بهم وبما
أحدثوا من خراب بين الأرجيين في القتال الطاحن،
خاطبت أثينة بكلمات مجنحة :
"يا ابنة زيوس لابس الدرع أيجيس، أي أتريتوني ! حقا كان
٧١٥ سدى أن أعطينا كلمتنا لمينيلاؤس ألا يعود إلى بلاده حتى يدمر
إليوس منيعة الأسوار، إذا سمحنا هكذا لآريس اللعين
أن يعربد في غضبه المجنون. لنفكر نحن الاثنتين في عمل شجاع".
هكذا قالت ولم تتوان الإلهة أثينة ذات العيون الزرقاء
٧٢٠ في تلبية رغبتها. ثم راحت هيرا، الملكة ابنة كرونوس ذى الجلال،

(٢) كيفيسيس Kephisis كان الاسم القديم لبحيرة كوبايس Kopais في بوبوتيا. (المحرر)

- تطوف هنا وهناك لتجهز الخيول ذات العصابات الذهبية،
 ووضعت هيبي بهمة العجلات البرونزية المقوسة
 ذات الثمانية برامق على محور العربة الحديدى.
 وكانت الحلقة المستديرة حول العجلة ذهبية لا تصدأ ولا تبلى
 ٧٢٥ يغطيها إطار برونزى، هكذا كان منظرها أعجوبة.
 أما صرر العجلات فضضية تلف على هذا الجانب وذاك؛
 وكان هيكل العربة مطليًا بالذهب وعروق الفضة،
 وتحيط به حافظان مزركستان. ومن الهيكل خرج عمود فضى،
 ٧٣٠ ربطت هيبي في طرفه النير الذهبى الجميل، ولقت حوله
 الأحزمة الذهبية البهيجة؛ وشدت هيرا
 الخيول السريعة إلى نير العربة، وكانت تواقفة إلى
 القتال وصيحات الحرب .
- أما أثينة ابنة زيوس حامل الدرع أيجيس فقد تركت طيات رداؤها
 الفضفاض الناعم المطرز تتدلى على عتبات أبيها،
 ٧٣٥ ذلك الرداء الذى حاكته ببديها. وارتدت عباءة زيوس جامع السحب،
 وحشدت الحشود ذات الدروع متأهبة لخوض معركة فتاكة
 وضعت على كتفيها الدرع (أيجيس) ذا الذؤابات،
 إنه درع رهيب رسم عليه إله اللرب (فوبوس)
 ٧٤٠ وربة التفاق إريس، وإلهة القوة ألكى، وربة الهجوم بوكى
 التى تجمد الدم فى العروق. وعليه رسم رأس
 الجورجونة(*) الرهيب معجزة زيوس حامل الدرع أيجيس.
 وضعت على رأسها الخوذة ذات القرنين، وبها
 أربع عقد من الذهب وعليها رجال مدججون بالسلاح

(*) الجورجونة (Gorgo(n):

ومعناها الحرق "الشجيمة". وتحدث هيسودوس عن ثلاث جورجونات هن: يوريسال (Euryale) وسينو (Stheino) وميدوسا (Medusa) والأخيرة هى أشهرهن، وهى المفروسة على درع أثينة ، وكانت تحول من ينظر إليها إلى حجر.

- من مئة مدينة. ثم امتطت العربية النارية
 ٧٤٥ وأمسكت برمجها الطويل القوي الضخم، الذى
 به تشتت صفوف المحاربين ممن
 تصب جام غضبها عليهم، فهى ابنة الإله الجبار.
 لمست هيرا الخيول بالسوط وصرخت فى حارسات
 بوابت السماء هوراي القائمان على حراسة مدخل
 ٧٥٠ السماء الأونيوس، حيث يفتحن السحب الكثيفة
 أو يغلقنها. وقادت هيرا وأئينة خيولهما المدفوعة بالمنخاس
 عبر البوابت التى تتحرك ذاتياً وتصدر صريراً. وجدت الإلهتان ابن
 كرونوس جالسا فى خلوة بعيداً عن سائر الآلهة على قمة جبل
 ٧٥٥ الأوليموس كثير القمم. فأوقفت هيرا الإلهة ذات الذراع الأبيض
 الخيول وسألت زيوس الأعلى ابن كرونوس قائلة :
 "أى زيوس الأب، ألا تغضب على آريس بسبب أفعاله
 العنيفة المشينة ؟ لقد حطم الكثيرين من الأخيين دون هوادة ودون توقف
 فسبب الحزن الشديد لى. وفى نفس الوقت فإن كيريس (القبرصية)
 ٧٦٠ وأبوللون ذا القوس القضى جلسان فى هدوء ويمتعتان
 وقد تركا هذا المجنون يعيث قتلاً ودون مراعاة لأية أصول
 وقواعد. أى زيوس الأب، ألن تغضب منى إن طعنت آريس
 طعنة مؤلمة وأبعدته عن أرض المعركة ؟"
 فرد زيوس جامع السحب قائلاً :
 ٧٦٥ "لا، بل ثورى عليه يا أئينة يا جالبة الأسلاب
 فأنت وحدك التى تنزلين به العقاب الموجع".
 هكذا قال ولم تتوان هيرا الإلهة ذات الذراع
 الأبيض فى الاتصياح لأمره. ولمست خيولها بالسوط؛ فطارت فيما بين
 الأرض والسماء ذات النجوم. وخيول الآلهة ذات الصهيل
 ٧٧٠ المدوى تتطلق إلى أبعد مما تراه عين إنسان يجلس على صخرة

- ويحملك في بحر لجى مظلم، هكذا طارت خيول
السماء رافعة رعوسها وراكضة بخطى واسعة.
فلما وصلت إلى أرض طروادة وحيث يلتقى النهران المتدفقان سيمونيس
وسكامندروس، أوقفت هيرا الإلهة ذات الذراع الأبيض خيولها
وفكتها من العربة بينما صنع سيمونيس الأميروسيا وألقاه
غذاء طيباً عند أقدامها، وألقت هيرا عليها ضباباً كثيفاً.
٧٧٥ ثم تقدمت الإلهتان مثل حمامتين رعاشتين في لهفة لتقديم
العون للمحاربين الأرجيين. وعندما وصلتا
إلى حيث يلتف أقوى الرجال وأشجعهم حول
ديوميديس العتيد مروض الخيول، كأنهم
أسود ضارية أو خنازير برية لا تضعف قوتها، وقفت هيرا الإلهة
ذات الذراع الأبيض وصاحت كأنها ستنتور
المفوار ذو الصوت النحاسي الذي يعلو صوته
٧٨٥ على صوت خمسين رجلاً وقالت :
"العار عليكم أيها الأرجيون، فأنتم جديرون بالتوبيخ، إذ تبدون
الجمال في الظاهر فقط ! طالما كان أخيلئوس الإلهي يخوض للحرب
بشغف لم يتقدم الطرواديين إلى خارج البوابة الداردانية،
فهم يخشون رمحه الجبار؛ وأما الآن فهم يقاتلون بعيداً
٧٩٥ عن المدينة، في السفن المجوفة نفسها".
هكذا قالت فقوت الروح داخل كل رجل.
وظهرت الإلهة أثينة ذات العيون الزرقاء
إلى جانب ابن تيديوس. حيث كان ذلك الملك بجانب
خيوله وعربته يضمم الجرح الذي أصابه به بانداروس
٧٩٥ بسهمه. وكان العرق يضايقه تحت حزام
درعه المستدير؛ تضايق من ذلك وشعر بالإرهاق في نراعه،
لذا فقد كان يرفع الحزام ليمسح الدم الداكن. فشددت

الإلهة عنان جواديه وخاطبته قائلة:

- ٨٠٠ "حقاً لقد أنجب تيديوس ابناً قصير القامة مثله. كان تيديوس
قصير القامة، لكنه كان محارباً عنيداً وحتى حين لم أمره أن
يقاثل أو يتفوق على غيره، عندما أتى وحده دون أن يصحبه
أى آخى إلى طيبة رسولا وسط حشود الكادميين - حيث
٨٠٥ أفضت له وليمة في قاعاتهم ليتناول الطعام في أمان - كان بروحه
الوثابة يتحدى شباب الكادميين ويفلبهم
في كل شيء بسهولة؛ لذا كنت في عونه دائماً. أما أنت
فإنى أقف بجانبك وأحميك وبكل قلبى أمرك بقتال الطرواديين،
فإما أن تكون أوصالك قد أنهكت من الهجمات الكثيرة
وإما أن يكون الرعب قد تملكك فأنت رعديد.
٨١٠ أنت لست من نسل تيديوس بن أوينيوس الصنديد".
رد ديوميديس قائلاً :
"أنا أعرفك يا ابنة زيوس لابس الدرع أيجيس؛
٨١٥ لذا فإنى سأكشف لك عن مكنون قلبى ولن أخفى عنك شيئاً.
فلا الخوف يملكنى ولا التفاعس يقعدنى، ولازلت
على المهمة التى عهدت بها إلى محافظاً. فما
كنت لتسحق لى أن أقاتل وجها لوجه
٨٢٠ الآلهة المباركين الآخرين. ولكن أفروديتى ابنة زيوس
دخلت المعركة فكان على أن أصيبها بسيفى المسنون
لذا فقد تراجعت الآن وأمرت بقية
الأرجيين بالتجمع هنا؛ حيث علمت
أن آريس يسيطر على ساحة الوغى."
٨٢٥ ردت الإلهة أثينة ذات العيون الزرقاء قائلة :
"أى ديوميديس بن تيديوس، يا حبيب قلبى،
لا تحش آريس ولا أحداً آخر من الخالدين، فما جنت إلا فى عونك

- انهض وقد خيولك ذات الحافر الواحد لتواجه آريس، التحم معه وأصبيه.
 ٨٣٠ لا تخف من آريس المجنون في غضبه مثير الرعب هنا،
 إنه حقاً مجنون وغير مأمون. إذ سبق أن تحدثت إليّ أنا وهيرا
 ووعد بأن يحارب الطرواديين وأن يؤيد الأرجيين،
 ٨٣٥ إلا أنه يتحالف مع الطرواديين مخلفاً وعده".
- هكذا قالت وجذبت بيديها سثينيلوس وأطاحت به من فوق العربة
 إلى الأرض، فزحف هارباً على وجه السرعة؛ وامتنطت العربة
 بجانب ديوميديس الإلهي؛ إلهة تتلطف إلى خوض القتال. وأحدث
 محور العربة المصنوع من خشب البلوط صريراً عالياً تحت وطأة
 ٨٤٠ هذا النقل الإلهي، فقد كان يحمل إلهة رهيبة ومحارباً هو أفضل الرجال.
 وقبضت باللاس أثينة على السوط والعنان وقادت على وجه السرعة
 الخيول ذات الحافر الواحد صوب آريس.
- وكان آريس قد قتل بيريفاس الضخم ابن أوكسيوس
 وقد كان أنبل أهل آيتوليا، كان آريس الفتاك ينزع عنه الأسلاب.
 ٨٤٥ وضعت أثينة على رأسها غطاء هاديس حتى لا يراها آريس شديد
 البأس. وعندما أدرك آريس مهلك البشر القانين وجود
 ديوميديس الإلهي ترك بيريفاس الضخم يرقد حيث كان،
 قد قتله، وانتزع منه الروح، وتوجه إلى ديوميديس
 ٨٥٠ مروض الخيول. وعندما اقترب كل منهما من الآخر،
 كان آريس البادئ بمهاجمة نير الخيول وعنانها برمحه
 البرونزي ليقضى على حياة الآخر. بيد
 أن الإلهة أثينة ذات العيون الزرقاء أمسكت
 الرمح المقذوف بيدها، وألقت به من فوق العربة ليذهب بعيداً وسدى.
 ٨٥٥ ثم هجم ديوميديس البارح في صيحة الحرب على آريس برمحه
 البرونزي، وأمدته باللاس أثينة بالمزيد من السرعة في انطلاقه
 إلى أسفل بطنه المطوق بالأحزمة.

- فأصابه الريح وهتك جلده الجميل وغاص .
صرخ آريس الرهيب صرخة مدوية تعادل صرخة تسعة
٨٦٠ آلاف أو عشرة آلاف محارب ملتحمين
في معركة إله الحرب الشرسة. حينئذ ارتعد
الأخيون والطرواديون على حد سواء
وتملكهم الخوف. هكذا صرخ آريس، الذي لا يشبع أبداً
من خوض الحرب، صراخاً مدوياً.
ومتلما يحدث عندما تبدو بقعة ظلام أسود بين السحب حيث
٨٦٥ هبت ريح عاتية بعد شدة الحر،
هكذا ظهر لديوميديس بن تيديوس، أن آريس الرهيب
بين السحب نحو السماء العريضة. وسرعان ما بلغ
مقر الآلهة فوق الأوليمبوس الشاهق،
وجلس بجوار زيوس بن كرونوس حزينا وعرض عليه
٨٧٠ الدم الإلهي للنازف من جرحه، وخطبه باكيناً بكلمات مجنحة فقال :
"أى زيوس أبل، ألا ينير حنقك أن ترى هذه الأفعال الشنيعة ؟
فنحن الآلهة نقاسى الويلات من تدبير بعضنا
ضد بعضنا الآخر في حين نسدئ للبشر كل معروف
٨٧٥ نحن جميع الآلهة في حرب عليك، لأنك أنجبت هذه البنات المجنونة
المدمرة التي تفكر دوماً في أفعال مخلة بالقانون.
نحن كل الآلهة الآخرين فوق الأوليمبوس نطيعك ونخضع لك،
أما هي فلا تعترض عليها لا بالقول ولا بالفعل؛
٨٨٠ بل تشجعها لمجرد أن هذه الفتاة المدمرة هي ابنتك.
والآن ها هي قد أطلقت ديوميديس بن تيديوس الجسور
لكي يصب جام غضبه على الآلهة الخالدين . فأصاب
كبيريس (القبرصية) أولاً بطعنة في يدها عند الرسغ في
التحام مباشر. ثم هاجمنى أنا نفسى وكأنه إله

- ٨٨٥ ولولا أن قدمي السريعة حملتني بعيداً عنه
لطالت معاناتي وسط أكداس الموتى، أو
لعثت للأبد جريحاً بسبب طعنات رماحه".
فألقي زيوس جامع السحب بنظرة غاضبة عليه قائلاً :
'لا تجلس إلى جواري وتبكي أيها المارق.
- ٨٩٠ فأنا أمقتك أكثر من أي واحد من آلهة الأوليمبوس،
أنت تحب القتال والحروب والنزال أكثر من أي شيء آخر،
فك روح أمك هيرا؛ المتسلطة والتي لا تحتمل، فلا
أسطيع أن أكبح جماحها بكلامي إلا
بالكاد. ويبدو لي أنك تعاني ما تعاني بسبب ما تشير هي به عليك
ومع ذلك فلن اسمح بعد الآن أن تتألم
فأنت ولدي، وحملت بك أمك من أجلي أنا،
ولو كنت ابن أي إله آخر وارتكبت ما ارتكبت من
أفعال مأكرة لطرديك إلى مكان آخر أدنى من مقر الآلهة"
- ٩٠٠ هكذا قال وأمر بايون بعلاج إصابته؛ فنثر بايون
عليها أعشاباً تقتل الألم وشفاه، فهو بحق من الخالدين . فشفي
أريس الثائر بسرعة كما تجعل عصارة التين اللبن
يزداد كثافة، وسرعان ما يتخثر
- ٩٠٥ بتقليبه. وقامت هيبى بغسل جسده وكسته بثياب
جميلة وأجلسته بجانب زيوس بن كرونوس
فرحا بمجده. ثم أسرعت هيرا الأرجية
وأثينة الأكمينية إلى قصر زيوس العظيم
٩٠٩ بعد أن أوقتا أريس مهلك البشر الفانين عن قتل البشر

الكتاب السادس



ترجمة أحمد عثمان

- هكذا ترك الآلهة ساحة القتال الفتاك بين الطرواديين والآخيين،
وكثيراً ما مالَت كفة المعركة على الوادى لهذا الجانب أو ذاك.
حيث صوب كل من الطرفين رماحه برونزية الأسنة إلى
الطرف الآخر، فيما بين النهرين سيمونيس وكسانثوس.
وكان أياس بن تيلامون حصن الآخيين أول من اخترق
فرقة من الطرواديين، وأتى بنور الخلاص لرفاقه. فقد
أصاب أفضل رجل بين الطراقيين، أكاماس بن يوسوروس،
وهو رجل باسل طويل القامة. أصابه فى قرن خوذته
ذات الذؤابة الخصلة من شعر الحصان، فاخترق الرمح جبينه
بل نفذ السن البرونزى مخترقاً العظام، وهبط الظلام على
نور عينيه. وقتل ديوميديس البارح فى صيحة الحرب
أكسيلوس بن تيوتراس الساكن فى أريسيى المحكمة البناء،
وهو رجل ثرى يحبه كل الناس؛ فكان يسكن بيتاً على الطريق
وأظهر كرم الضيافة للجميع.
لكن من هؤلاء لم يظهر أحد أمامه ليصد عنه العدو ويحميه
من الموت المفجع. فسلب ديوميديس حياة اثنين، حياة الرجل نفسه
وحياة تابعه كالميسوس قائد العربية، فطوت الأرض كليهما.
ثم قتل يوربالوس دريسوس وأوفيلتيوس
وظل يلاحق آيسيبوس وبيداسوس اللذين حملت بهما
أبارباريى عروس الماء من بوكوليون، الذى لا
قرين له. إذ إن بوكوليون هو الابن البكر للملك الجليل لأوميدون،
حيث حملت به أمه دون زواج. فبينما كان بوكوليون يرعى
قطعانه فوق التلال طارح عروس الماء عذب الغرام، فحملت
وولدت التوام (أيسيبوس وبيداسوس). وقام الآن ابن
ميكبستيس بإخضاع مفاصلهما القوية والمجيدة للموت

ونزع الدرع عن كتفیهما.

- ٣٠ . وقتل بوليبيوتيس المحارب العتيد أستياؤوس .
 وفي تلك الأثناء قتل أوديسيوس برمحه
 البرونزي بيدوتيس من بركوئي^(*). وقتل نيوكروس
 أريتاؤن الإلهي. وقتل أنتيلوخوس بن نيسطور برمحه اللامع
 أبليروس. وأما ملك الرجال أجامنون فقتل إلاتوس الساكن
 في بيداسوس المنحدرة على ضفاف سانتنيؤيس جارف المجري
 ٣٥ وقتل البطل ليثيوتوس فيلاكوس وهو يولى الأدبار أمامه،
 وقتل يوريبيلوس ميلانثيوس.

- أما أدراستوس فقد أسره حيا مينيلأوس البارغ في صيحة الحرب.
 ذلك أن خيوله التي كانت تطير بوحشية فوق السهل
 ٤٠ تعثرت في فروع شجرة الطرفاء، وتحطمت العربية
 المفوسمة عند طرف العمود، ثم مضت الخيول مسرعة في
 اتجاه المدينة كما كان يفعل الآخرون، وقد أصابهم جميعا الهلع.
 لكن صاحبها قذف به من العربية، فانكفاً على وجهه فوق التراب
 بجوار العجلة. فاقترب منه مينيلأوس بن أتريوس
 ٤٥ ووقف بجانبه شاهراً رمحه طويل الظل. ثم احتضن
 أدراستوس ركبتيه وتوسل إليه قائلاً :
 "لتأسرنى حيا يا ابن أتريوس، ولتأخذ فدية ضخمة؛
 ففي قصر أبي الثرى خزائن المال الوفير :
 برونز وذهب وحديد مطروق في عدة أشكال.
 سيدفع لك أبي منها فدية لا تعد بمجرد أن يسمع بأني
 ٥٠ لازلت على قيد الحياة فوق سفن الآخيين".

هكذا كانت توسلاته محاولاً أن يستدر العطف من قلب الآخر،

(*) مدينة على بحر مرمرية أي هيليسينطوس. (الغرر)

- وأوشك بالفعل مينيلائوس أن يسلمه لتابعه ليسوقه إلى سفن الآخيين السريعة، لولا أن جاء أجاممنون يجرى وصرخ قائلاً :
- ٥٥ "أى مينيلائوس ذا القلب الرهيف، لم تعباً هكذا بأمر الرجال ؟ هل كان الطرواديون يتصرفون بنبل هكذا فى بيتك ؟ لا تدع أحداً منهم يفلت من الهلاك التام، ولا حتى الجنين فى بطن أمه، لا تدعه يفلت من أيدينا الفئাকে. بل دعمهم جميعاً أبناء إليوس يهلكون معاً، ويختفون للأبد دون عزاء أو رثاء".
- ٦٠ هكذا قال البطل فأقنع أخاه بالتخلى عن عزمه، فقد نصحه بالجزاء الوفاق، فدفع المحارب أدراستوس بيده، ورددنذ طعنه أجاممنون السيد فى جنبه فسقط أدراستوس على ظهره، وداس ابن أتريوس بقدمه على صدره وسحب الرمح الرمادى.
- ٦٥ ثم أطلق نيسطور صيحة مدوية ونادى على الأرجبيين قائلاً : "أحبائى المحاربين الدانائيين سدنة آريس، لا تدعوا أحدكم يتخلف إلى الوراء طمعاً فى الغنائم، لكى يعود إلى السفن حاملاً أنفسيها. لا، دعونا الآن نقتل الرجال؛ وبعد ذلك ستجمعون الأسلاب من الجثث الملقاة فوق الوادى".
- ٧٠ هكذا كان حديثه، فبث القوة فى روح كل رجل. وكاد الطرواديون يدحرون مرة أخرى على يد الآخيين، أعباء آريس، إلى إليوس، كادوا يهزمون بسبب ضعف إقدامهم،
- ٧٥ لولا أن جاء هيلينوس بن برياموس أفضل من يتكهن بالمستقبل إلى آينياس وهيكاتور وقائلاً:
- "أى آينياس وهيكاتور إن عبء هذه الحرب يقع على عاتقكما أكثر من الطرواديين الآخرين والليكيين، فأنتما الأفضل فى الحرب وفى الرأى. فتمسكا بموقعكما وطوفا هنا وهناك بين الحشود، ثبوتا الصفوف أمام بوابات المدينة، لكى لا يرتدى
- ٨٠

- رجالنا في أحضان زوجاتهم ويمسحوا أضحوكة أمام أعدائهم.
 أما إذا غرستم الشجاعة في كل فرقنا، سنصمد
 ونقاتل الدانائيين، وإن أنهكنا القتال. فالضرورة
 تملئ علينا ذلك. أما أنت يا هيكتور فاذهب إلى المدينة
 ٨٥ وتحدث إلى أمك وأمي (هيكابي) واطلب منها أن تجمع
 الزوجات العجائز في معبد أثينة ذات العيون الزرقاء في
 داخل القلعة، وعندما تفتح أبواب المعبد المقدس، ستجد
 رداءً يبدو أنفـس وأجمل شيء في القاعة، فلتضعه على ركبة
 ٩٠ أثينة جميلة الشعر، وتندّر نذراً بأن تذبح في معبدها اثني عشر
 عجلاً عمرها سنة واحدة، ولم يلمسها مهماز بعد، إذا أسفقت الإلهة
 على المدينة والطرواديات وأطفالهن الصغار. لنتوسل إليها
 ٩٥ أن تبعد ابن تيديوس الرهيب حامل الرمح الوحشي
 أعتى المحاربين الأخيين، ليباعد عن إليوس المقدمة.
 فحتى أخيلئوس مسيد الرجال الذي يقال إنه ابن إلهة لا نخشاه
 بالقدر نفسه، فهذا للرجل يعيث غضبا بما يفوق الحد، ولا
 ١٠٠ أحد يباريه في القوة".
- هكذا أنهى حديثه ولم يتوان هيكتور في الأخذ بنصائح أخيه.
 فعلى الفور قفز من عربته إلى الأرض بكامل عدته
 وشاهراً رمحيه المسنونين، وطاف هنا وهناك في كل
 اتجاه عبر الحشود محرضاً على القتال؛
 ١٠٥ فزاد المعركة صخباً. نكتلوا واتخذوا مواقعهم ولوا
 وجوههم شطر الأخيين، فتقهقر الأرجيون وأمسكوا
 عن القتل؛ وقد ظنوا أن أحد الخالدين
 هبط من السماء ذات النجوم، ليقدّم
 ١١٠ للطرواديين المدد. لذا فقد اشتد هجومهم. وأطلق هيكتور صيحة
 مدوية وحث الطرواديين قائلاً :

- "أيها الطرواديين الأشاوس وأيها الحلفاء ذائعي الشهرة،
كونوا رجالاً يا أحبائي، وفكروا في عنفوان قوتكم الهادرة،
إني ذاهب في التو إلى إليوس للقاء الكبار أصحاب المشورة،
وكذا زوجاتنا لكي يتضرعن للآلهة بتقديم نذور الأضحيات الفخمة".
- ١١٥ هكذا تحدث، ومضى هيكتر ذو الخوذة اللامعة
فلامس درعه المصنوع من جلد الثور الأسود كاحله،
وكذا لامسته عند العنق الحافة المحيطة بالدرع.
- ١٢٠ اشتبك جلاوكوس بن هيبولوخوس مع ابن تيديوس فيما
بين الجمعين، إذ كان كل منهما مثلهما على الفزال. وعندما تقدم
كل منهما من الآخر وتقاربا، كان ديوميديس البارع في
صيحة الحرب البادئ بالحدِيث صائِحاً:
- " من أنت بين البشر الفاتنين أيها المحارب القوي ؟
- ١٢٥ فأنأ لم أراك قبل اليوم قط في معركة، حيث يصيب
الرجال الشهرة، وأراك الآن وقد تفوقت على الجميع
جرأة وإقداماً، فها أنت تصمد لرمحي طويل الظل. وبالهم
من تعساء أولئك الآباء الذين يواجه بناؤهم قوتي. أما
إذا كنت أحد الخالدين وهبطت علينا من السماء، فلا قبل
لني بقتال آلهة السماء. حتى ليكورجوس بن درياس الجبار
لم يعيش طويلاً، إذ دخل في صراع مع آلهة السماء. حيث
- ١٣٠ طارد ذات مرة مرضعات ديونيسوس مجنوناً فوق نلال
جبل نيسا المقدس؛ فسقطت الأغصان - الصولجانات
المقدسة من أيديهن على الأرض، بعد أن أصابهن
ليكورجوس قاتل الرجال بمهماز الثور. بيد أن ديونيسوس
- ١٣٥ قد لاذ بالفرار وغاص تحت لجة البحر، فتلقفته ثيتيس
بالأحضان. كانت فرائصه ترتعد، حيث تملكه الهلع

- بفعل صيحات ليكورجوس. فغضبت الآلهة المقيمة دومًا
 في النعيم على ليكورجوس، وأصابه ابن كرونوس بالعمى.
 ١٤٠ ولم يعيش طويلاً حيث صار كريهاً لدى جميع الآلهة الخالدين.
 لذلك لا أدخل في صراع مع الآلهة المباركين. أما إذا كنت
 من البشر آكلٍ ثمار الأرض فلتقترب، حتى تدخل على
 وجه السرعة سرايب الفناء"
 فرد عليه ابن هيبولوخوس المجيد قائلاً :
 ١٤٥ "يا ابن تيديوس ياسامى الروح، لم تسأل عن نسبي ؟
 فأجيال البشر مثل أجيال أوراق الشجر. تعصف الرياح ببعض
 الأوراق وتلقيها على الأرض، ولا تلبث الغابة أن تزهر
 وتبتت غيرها بحلول موسم الربيع. كذلك البشر، يزدهر
 جيل ويتوارى جيل آخر. ومع ذلك فلتسمع إن شئت،
 ١٥٠ فلعلك تعرف شجرة نسبي حق المعرفة؛ وكثيرون يعرفونها.
 هناك مدينة إفيرى فى ركن من أرجوس، مرعى الخيول
 ومرتعها، وبها يسكن سيسيفوس أبرع الرجال، سيسيفوس
 بن أيولوس؛ وقد أنجب ولداً هو جلاوكوس؛ الذى بدوره
 أنجب بيلليروفونتييس وهو من لا تشوبه شائبة. وقد وهبته
 ١٥٥ الآلهة الحسن والرجلة المرغوبة؛ لكن برويتوس كان
 يضمه له فى قلبه شراً حيث اعتبر نفسه الأقوى منه
 بكثير، وطرده من أرض الأرجيين، لأن زيوس كان
 قد أخضعهم لسلطانه. وكان بيلليروفونتييس قد شغف أنتيا - زوجة
 ١٦٠ برويتوس رائعة الجمال - حباً إلى حد الجنون، واشتهت أن تقيم
 معه علاقة عشق سرية. لكنها لم تستطع أن تغوى بيلليروفونتييس،
 إذ كان قلبه مستقيماً. فحاكت مكيدة وقالت للملك برويتوس:
 "إما أن تموت أنت يا برويتوس أو تقتل بيلليروفونتييس، لأنه كان
 ١٦٥ يريد أن يخال منى غصياً".

هكذا قالت فاستبد الغضب بالملك لسماعه

- القصة، ولم يشأ قتل بيليروفونتيس، لأن قلبه لم يطارعه في ذلك.
ولكنه أرسله إلى ليكيا وأعطاه علامات مميتة، رموزاً محفورة على لوح
مطوى وأمره بعرضها على والد زوجته (أنتيا) لعله يهلك. شق طريقه ١٧٠
إلى ليكيا بصحبة الرعاية الإلهية التي لا نظير لها. فلما بلغ ليكيا
ونهر كسانثوس، أكرمه ملك ليكيا الشاسعة، واستضافه
بسخاء لمدة تسعة أيام وذبح له تسعة ثيران.
١٧٥ فلما طلع الفجر الوردى العاشر، سأله وطلب منه أن يريه
العلامة التي حملها معه من زوج ابنته أي برويتوس. وعندما
تسلم منه العلامة الشريرة أمره أولاً بقتل خيمايرا التي
لا تقهر. وهي من سلالة إلهية لا بشرية، فالجزء الأمامي
منها على هيئة أسد والخلفي أفعى والأوسط عنزة أو ١٨٠
خيمايرا، تنفث فيخرج زفيرها نيراناً مرعبة.
قتلها بيليروفونتيس بناءً على توجيهات الآلهة.
وبعد ذلك شن حرباً على السوليمينين^(*) للمتوحشين
فكانت - على حد قوله - أشرس معركة خاضها. أما
١٨٥ المغامرة الثالثة فهي أنه قتل الأمازونات، الشرسات أنداد
الرجال. وفي رحلة العودة من هذه المغامرات، دبر الملك
له خدعة أخرى مأكرة، فاختار من ليكيا الشاسعة أقوى
رجالها فنصبوا له كميناً. لكن هؤلاء لم يعودوا إلى ديارهم،
فقد قضى عليهم عن آخرهم بيليروفونتيس الذي لا ند له. ١٩٠
وعندما أدرك الملك أنه من نسل إلهي، حرص على أن
يستبقه هناك ورهبه ابنته زوجاً، واقتسم معه مناصفة أبهة
الملك. وما كان من الليكيين إلا أن منحوه ملكية أرض

(*) السوليمون Solymoi يقال إنهم مجوار ليكيا وعند هيرودوتوس (1. 173) يبدو أنهم من الأمم التي اختضت.

- ١٩٥ شاسعة بها كروم وأرض محروثة تحمل ثمار الفاكهة. وولدت الزوجة لبيليروفونتيس ثلاثة أطفال هم إيساندروس وهيبولوخوس ولاؤداميا. وضاجع زيوس صاحب الرأي السديد ابنته لاؤداميا، فأنجبت له ساربيدون شبيه الآلهة المحارب لابس الدرع البرنزي. عندئذ صار لبيليروفونتيس موضع حسد جميع الآلهة، فهام على وجهه وحيداً شريداً في وديان أليا يلتهم روحه كمداً، مجتنباً طريق البشر. وقتل ابن إيساندروس على يد آريس الذي لا يشبع من القتال، إذ شن حرباً على السوليميين المتوحشين.
- ٢٠٠ وقتلت أرميس ذات الأعنة الذهبية ابنته لاؤداميا تقمة عليه. وأنجبنى هيبولوخوس، وإنى لأعلن أنى من صلبه؛ وهو الذى أرسلنى إلى طروادة وكلفنى أن أبز كافة المحاربين الآخرين إستيمالاً وقتالاً، وألا أجلب العار على سلالة آبائى، وقد كانوا أفضل الرجال فى إفيرى وليكيا الشاسعة.
- ٢١٠ هذا هو النسل والدم الذى أعلن أنى أنحدر منهما".
- هكذا قال وسر ديوميديس البارع فى صيحة الحرب. فغرس رمحه فى الأرض الثرية بنباتاتها وبكلمات ودودة خاطب راعى الشعوب قائلاً:
- ٢١٥ "حسناً فأنت كما أرى الآن صديق لبيت الآباء من قديم الزمان. لقد أكرم أوينيوس الإلهى ذات مرة ببيليروفونتيس الذى لا قرين له فى قاعاته واستبقاه عشرين يوماً. كما تبادلنا هدايا الصداقة الجميلة، فقدم له أوينيوس حزاماً لامعاً باللون القرمزى، وأعطاه ببيليروفونتيس كأساً ذهبياً
- ٢٢٠ ذا مقبضين، تركته فى قصرى عندما رحلت إلى هذا المكان. ولكنى لا أتذكر تيديوس جيداً، فقد كنت مجرد طفل صغير عندما رحل، حين هلك جيش الأخيين فى طيبة. لذا فلأكن

- مضيفاً وصديقاً ودوداً لك في قلب أرجوس، ولتكن أنت
 بالنسبة لي في ليكيا كذلك في أي وقت قد أصل فيه
 ٢٢٥ إلى أرض هؤلاء القوم. لذا دع كل منا يتجنب رمح الآخر
 حتى وسط هذا الجمع؛ فلدئى الكثيرون المرموقون من الطرواديين
 وحلفائهم لكي أقتلهم، إذا ما مكنتى الإله وقدمائى
 منهم. وهناك كثرة من الآخيين قد تقتلهم أنت بقدر ما تملك
 ٢٣٠ من قوة. دعنا نتبادل أسلحتنا حتى يعلم الناس جميعاً أننا
 أحيينا وأعلننا صداقتنا الموروثة منذ أيام الآباء".
- وما أن انتهيا من الحديث حتى نزلا من العربات وتصافحا
 وتعهادا على الوفاء. وعلى هذا النحو يكون زيوس بن كرونوس
 قد حرم جلاوكوس حسن التقدير، لأنه تبادل الأسلحة
 ٢٣٥ مع ديوميديس بن تيديوس، فأخذ البيرونز مقابل الذهب
 واستبدل ما يساوى تسعة ثيران بما يساوى مئة ثور.
- فلما وصل هيكتور إلى بوابات سكاياى وشجرة البلوط
 أقبلت عليه زوجات الطرواديين وبناتهم يسألن عن ابنائهن
 وإخوتهن وأحبائهن وأزواجهن. فأمرهن بالابتهاال
 ٢٤٠ للآلهة كل بدورها. ولكن سحابة الحزن غطت كثرة منهن.
 فلما بلغ قصر برياموس الجميل بأبهائه ذات الأعمدة الصقيلة
 وبه خمسون حجرة بنيت بالحجر المصقول وكل حجرة
 ٢٤٥ بجوار الأخرى، حيث إعتاد أبناء برياموس أن يناموا بجوار
 زوجاتهم. وعلى الجانب الآخر كانت اثنتا عشر
 حجرة بنيت بالحجر المصقول كل حجرة بجوار الأخرى؛
 حيث كان أزواج بنات برياموس ينامون مع زوجاتهم ذوات
 ٢٥٠ الحياء. أقبلت أمه وافرة العطاء لتقابله وفي معيتها لاوديكي
 أجمل بناتها وأكثرهن بهاءً؛ احتضنته بيدها وخاطبته بقولها:

- لم تركت المعركة حامية الوطيس يا ولدى وجئت إلى
هنا ؟ لا بد أن أبناء الأخيين - ملعونى الاسم - يضيّقون
عليك الخناق إذ يشعلون الحرب حول مدينتنا، فحدثك قلبك
٢٥٥ أن تأتى هنا لكى ترفع يد الضراعة لزيوس من فوق القلعة.
انتظر فسأحضر لك نبيذاً معسولاً لكى تسكبه فى البداية
٢٦٠ قرباناً لزيوس الأب والخالدين، ثم إن النبيذ سيكون مفيداً لك
إذا رشقت منه، إذ يستعيد للرجل قواه إذا ما أنهكه التعب.
فأنت مرهق، إذ تخوض غمار الحرب دفاعاً عن ذويك"
فرد عليها هيكتور البطل العظيم ذو الخوذة اللامعة قائلاً:
"لا... لا تحضرى النبيذ المعسول يا أمى المبهجة، فقد
٢٦٥ تجعلينى أقعد، فأنتقاعد وأنسى قوتى وبأسى، ثم إننى أتورع
أن أسكب النبيذ المتوهج قرباناً لزيوس بيدى غير المغسولة.
ولا يليق أن يبتهل المرء لابن كرونوس جامع السحب السوداء
٢٧٠ وقد دنسه الدم والقتل. فلتذهبي أنت بالقرايين إلى معبد
أثينة جالبة الغنائم، ولتأخذى معك الزوجات العجائز.
وضعى الرداء الذى ترين أنه الأجمل والأوسع فى القاعة
والأعز لديك، ضعيه على ركبة أثينة ذات خصلات
الشعر الكثيف والجميل. وانذرى لها أن تذبحى فى معبدها
٢٧٥ اثنى عشر عجلًا لم يلمسها مهماز بعد، إذا أشفقت على طروادة
وزوجات الطرواديين وأطفالهن الصغار، وأبعدت ابن تيديوس
ذلك المحارب الشرس عن إليوس. فاذهبى إلى معبد أثينة جالبة
الغنائم وسأذهب أنا بحثاً عن باريس لكى استدعيه، فلعله يسمع
٢٨٠ كلامى هذه المرة عن طيب خاطر. فلكم أتمنى أن تتشق الأرض
وتبتلعه ! فقد رباه سيد الأوليمبوس ليكون وبالاً على الطرواديين
وعلى برياموس سامى الروح وعلى أبناء برياموس.
وكم أتمنى أن أراه وهو يهبط إلى مقر هاديس

- عندئذ قد أقول إن قلبي قد نسي أجزائه تماماً".
- ٢٨٥ هكذا كان حديثه، فذهبت هي إلى القاعة، وأمرت وصيفاتها أن يجمعن الزوجات العجائز من أرجاء المدينة. أما الملكة نفسها فقد نزلت إلى خزانة الكنوز ذات القباء حيث أودعت ملابسها فاحشة التطريز والثراء، إذ أتقنت صنعها نساء صيدا اللاتى كان ألكسندروس (= باريس) نصف الإله قد جلبهن من صيدا حين مخر عياب البحر الشاسع في رحلة عودته (إلى طروادة) بهيليني رفيعة النسب. انتقت هيكابى واحدا منها وقدمته قرباناً لأثينة؛ كان هو الرداء الأجل في تطريزه والأوسع، كما كان يقع خلف كل الثياب. وكان يلمع كأنه نجم في الظلماء. التقطته وانطلقت، وحشد الزوجات العجائز في أعقابها. فلما بلغن معبد أثينة فوق القلعة، فتحت الأبواب لهن ثيانو ذات الخدود الجميلة - ابنة كيسييس وزوجة أنتينور مروض الخيول - وكان الطرواديون قد انتقوا كاهنة لأثينة. رفعت كل النساء أيدي الضراعة بالابتهالات لأثينة. وتناولت ثيانو ذات الخدود الجميلة الرداء وبسطته على ركبتى أثينة ذات خصلات الشعر الكثيف والجميل وابتهلت وقدمت النذور لابنة زيوس ذى الجلال قائلة :
- ٣٠٥ "سيدتى يا صاحبة الجلالة أثينة، يا من تحرسين مدينتنا، أينها الإلهة المبجلة، اكسرى سيف ديوميديس، دعيه هو نفسه يسقط صريعا عند بوابات سكاياى؛ لكى تتمكن على الفور من تقديم قرباننا إليك فى معبدك، اثنى عشر عاجلاً لم يمسهامهم بعد، إذا ما أشفت على طروادة وزوجات الطرواديين والأطفال الرضع".
- ٣١٠ هكذا كان ابتهالها، لكن باللاس أثينة لم تتقبل الابتهال.

- بينما كانت النسوة يتضرعن لابنة زيوس المجيد
كان هيكتور قد ذهب إلى مقر ألكسندروس، ذلك
القصر الجميل الذى كان هو نفسه قد أقامه مع رجال
كانوا عندئذ أبرع البنائين فى طرّوادة خصيبة التربة.
٣١٥ إذ شيدوا له حجرة وقاعة وفناء بجوار قصرى برياموس
وهيكتور فوق القلعة. دخل هيكتور حبيب زيوس،
ممتشقا فى يده رمحا طوله أحد عشر ذراعا،
ومن سنه البرونزى المسنون يمتد البريق، وتحيط به
حلقة من الذهب. فوجد باريس فى حجرته حفيّا
٣٢٠ بأسلحته الجميلة ودرعه ودرع الصدر، قابضا على قوسه
المعقوف. وكانت هيلينى الأرجية جالسة بين وصيفاتها
تحدد لهن أعمالهن اليدوية الرائعة. فلما رأى هيكتور أخاه
وبخه بكلمات مخجلة:
- ٣٢٥ "أيها التمس، لا يليق بك أن تكتم هذا الغضب فى قلبك.
وأهالك بهلكون وهم يحاربون حول المدينة وأسوارها
المنحدرة، وبسببك اندلعت صيحة المعركة واشتعلت
٣٣٠ الحرب حول هذه المدينة. وكان الأخرى بك أن تصب
جام غضبك على أى محارب تراه يتقاعس عن الحرب
الكريهة. انهض الآن قبل أن تلتهم نيران الأعداء مدينتنا"
فرد عليه ألكسندروس شبيه الآلهة بقوله:
"هيكتور، حيث إنك تؤنبنى بحق ولا تتعدى
إلى ما وراء الحق، فلك أشرح موقفى، وعليك أن تصغى
٣٣٥ وتتمعن فيما أقول. فلم يكن سبب قعودى فى حجرتى
الغضب والنقمة على الطرواديين، بل أسلمت نفسى للأسى.
وسعت زوجتى أن تغير موقفى بكلمات ودودة

وتحضنى على الحرب، وكنت أنا نفسى أظن ذلك أفضل؛
فالنصر دوار يتداوله الأبطال المحاربون، فهو مرة لهذا
وأخرى لذاك. والآن تعال وانتظرنى قليلاً حتى أرتدى
٣٤٠ عدة الحرب؛ وإلا فامض أنت فى سبيلك وسأتبعك، وسألحق بك".
هكذا قال فلم يرد عليه هيكتور ذو الخوذة اللامعة،
بل خاطبته هيلينى بكلمات ودودة قائلة:

" واخجلاه ! فأنا مدبرة الشر جالبة الأذى. باليئتى يوم
٣٤٥ ولدتنى أُمى قد عصفت بى ريح هوجاء فقذفت بى إلى
جبل أو إلى لجة البحر المتلاطم فجرفنى الموج بعيداً
قبل أن تقع هذه المصائب. لكن حيث إن الآلهة هى التى
شاعت هذه الشرور، فياليئتى كنت زوجة لرجل أفضل
٣٥٠ من هذا، يشعر بنقمة الرفاق وتوبيخهم. ولكن قدرة زوجى هذا
على الفهم لم تعد على ما يرام، ولن تكون كذلك من بعد أبداً. لذا فإنى
أرى أنه سيجنى مر الثمار حصيلة أفعاله. ولكن تعال الآن، ادخل
واتخذ لك مجلساً، فقد نال قلبك مانال من المتاعب أكثر من الآخرين.
٣٥٥ كل ذلك بسببى أنا التعيسة، وبسب حمق ألكسندروس،
الذى أنزل به زيوس سوء المصير. فقد نصبح مع مرور الزمن
أمثلة ترددها الأجيال القادمة فى أغانيهم".

ورد هيكتور العظيم ذو الخوذة اللامعة قائلاً:
٣٦٠ "لا تطلبى منى الجلوس يا هيلينى، فلن تقنعينى برغم تردك.
فقلبى الآن متلهف على الوقوف إلى جانب الطرواديين
الذين يفتقدوننى فى غيابى. ولكن دعى زوجك ينهض
ويسرع ليلحق بى مادمت داخل المدينة. فسوف أذهب
٣٦٥ إلى بيتى عسى أن أرى أهلى: زوجتى الحبيبة وطفلى
الرضيع؛ فلا أدرى ما إذا كنت سأعود إلى بيتى لأراهم

مرة أخرى، أم ستقهرني الآلهة على أيدي الأخيين".

هكذا قال وأسرع هيكتور ذو الخوذة اللامعة

إلى بيته المحكم البناء. فلم يجد أندروماخي ذات الذراع
الأبيض في قاعاته؛ إذ كانت هي، مع طفلها ووصيفتها
ذات الرداء الجميل، قد ذهبت ووقفت تبكي فوق أحد
الأبراج. فلما لم يجد هيكتور زوجته التي لا مثيل لها
في البيت، توقف عند العتبات وقال للخادמות :

"تعالين أيتها الخادמות وأخبرتنني بحقيقة الأمر، إلى أين

ذهبت أندروماخي ذات الذراع الأبيض بعد أن تركت

القاعة ؟ هل ذهبت إلى بيت أي من أخواتي أو زوجات

إخوتي ذوات الثياب الجميلة، أم تراها ذهبت إلى معبد
أثينة مع نساء طروادة ذوات الجذائل الجميلة
ليستدررن عطف هذه الإلهة الرهيبة".

فقال له خادمة منمكة في أعمال البيت:

"هيكتور، بما أنك تأمرنا بإصرار أن ننبئك بالحقيقة، فإنها لم

تذهب إلى بيت أي من أخواتك أو زوجات إخوتك ذوات

للثياب الجميلة، ولا إلى معبد أثينة حيث ذهبت نساء طروادة
ذوات الخصلات الجميلة لاستدرار عطف الإلهة الرهيبة. بل ذهبت
إلى برج إليوس الكبير، حيث كانت قد سمعت أن الطرواديين
يمرون بمائق حرج حين ظهرت عليهم قوة الأخيين، عندئذ جن
جنونها وأسرعت إلى السور تصحبها المرضعة وهي تحمل صغيرها".

هكذا قالت الخادمة، فأسرع هيكتور من البيت وعاد أدراجه من

الطريق نفسه عبر الممرات المحكمة البناء. وبعد أن قطع المدينة

الكبيرة وبلغ بوابة سكاياي، حيث كان ينوي الخروج إلى ساحة

المعركة، أقبلت زوجته وافرة العطاء تجرى للقاتنه،

أندروماخي ابنة إيثيتيون الباسل الساكن في ثيبى
 (طيبة) بجوار بلاكوس الكثيفة الأشجار. وكان سيدًا على
 ٣٩٥ شعب كيليكيا، إذ تزوج ابنته هيكتور ذو الدرع البرونزي.
 ها هي تلتقي به ومعها خادمة تحمل على صدرها الطفل
 الجميل ابن هيكتور اللطيف. فكان على صدرها كأنه نجم
 ٤٠٠ يتلألأ. وكان هيكتور يحب أن يسميه سكامانديروس،
 لكن الآخرين كانوا ينادونه أستياناكس، لأن هيكتور وحده
 كان حامى حمى إليوس. فابْتَسَم هيكتور في صمت
 ٤٠٥ عندما رأى طفله، لكن أندروماخي اقتربت منه وهي
 تذرف الدمع متعلقة بيديه ومخاطبة إياه:

"آه يا زوجي! قوتك هي التي سنقضى عليك، إذ لا ترحم
 طفلك الرضيع، ولا ترحمنى أنا، حيث عما قريب سامسى
 ٤١٠ أرملة، بعد أن يجهب عليك الآخيون ويفتكون بك. ومن
 الخير لى أن أهبط تحت الأرض قبل أن تضيع منى، فلا
 راحة لى بعدك إذا حان أجلك، ولن يبقى لى شىء سوى
 الألام بعد أن فقدت أبى وأمى الملكة. أبى قتله أخيلئوس
 الإلهى، بعد أن دمر مدينة كيليكيا المنبوعة وثيبى
 ٤١٥ ذات البوابات الشاهقة. قتل إيثيتيون ولكنه لم يسلب أسلحته،
 إذ حالت الرهبة دون ذلك الفعل. ولكنه أحرقه مع أسلحته
 رائعة الزينة وكدس فوقه الركام؛ ومن حوله غرست عرائس
 الجبل بنات زيوس حامل الدرع أيجيس، أشجار الدردار.
 ٤٢٠ أما إخوتى السبعة الذين كانوا يعيشون فى قاعاتنا، فقد
 رحلوا جميعًا إلى مقر هاديس فى يوم واحد، قتلهم جميعًا
 أخيلئوس الإلهى سريع القدمين، قتلهم وهم يمشون الهوينى
 يرعون أغنامهم ذات الصوف الأبيض. أما أمى التى كانت
 ٤٢٥ ملكة فى بلاكوس الكثيفة الأشجار فقد جاء بها (أخيلئوس)

- إلى هنا مع بقية الغنائم، ولكنه بعد ذلك أطلق سراحها
 فى مقابل فدية لا حصر لها، ثم قتلتها أرمىس ربة القوس
 فى دار أبيها. فأنت لى يا هيكتور الأب والأم الرؤوم،
 ٤٣٠ أنت لى الأخ، وأنت الزوج الهمام. فلتنك عندك رحمة
 بى، وابق هنا عند البرج، لكى لا تحيل طفلك يتيما وتترك
 زوجتك أرملة. أما حشدك فليتحصن بجوار شجرة التين
 البرية، فهناك مكان لحماية المدينة، إنها أسهل نقطة
 للاختراق وانطلاق هجوم الأعداء. وسبق أن جاء إلى
 ٤٣٥ هذا الموقع الثنائى أياس وإيدومينيوس الأشهر وولدا
 أتريوس وأبن تيديوس الياسل ثلاث مرات، وحاولوا
 الاختراق، سواء بناءً على مشورة أحد العرافين البارعين
 أو كما دلتمهم قلوبهم".
- ٤٤٠ فرد عليها هيكتور العظيم ذو الخوذة اللامعة:
 " يا زوجتى، لقد فكرت مثلك فى كل ذلك، ولكنى استحى من
 الطرواديين وزوجاتهم ذوات الثياب الطويلة، إذا تقاعست
 عن المعركة كالجناء. وقلبي لا يحتمل، لأنى تربيت على
 البسالة دائما، وأن أقاتل فى مقدمة الطرواديين
 ٤٤٥ لأصون مجد أبى العظيم ومجدى. وأنا على يقين بقلبي
 وعقلي أن إليوس المقدسة ستقع لا محالة، وسيقع برياموس
 وقوم برياموس للرمح الرماذى. ولكن لا مصائب الطرواديين،
 ٤٥٠ ولا فجيرة هيكابى، ولا أحزان الملك برياموس أو إخوتى
 الكثيرين للنبلاء الذين سيمرغون فى التراب بأيدي أعدائهم،
 ليس كل هذا هو الذى يفزعنى، بل فجيعةك أنت إذا ما ساقك
 أحد الآخيين المسلحين بالبرونز بعيدا، وسلبك الحربة وأنت
 ٤٥٥ تولولين، ثم تعملين على النول فى أرجوس بأمر إحدى السيدات،
 أو تحملين الماء كرها من نبع ميسيئيس أو هيبيريا، أو تنقل

- كاهلك ضرورة أو أخرى لا تحتمل. وقد يقول قائل وهو يراك
٤٦٠ تيكين : هذه زوجة هيكتور الذى بز فى القتال كل الطرواديين
مروضى الخيول، يوم التقى الأبطال فى القتال حول
إليوس. قد يقول قائلهم ذلك وتزداد فجيعتك، إذ تفندين
رجلاً مثلى يصد عنك غائلة يوم العبودية. فدعيني أموت، ودعى
٤٦٥ ركام التراب يغطيني، ولا أسمع صراخك وهم يسوقونك
إلى ذل الأسر".

- هكذا قال هيكتور المجيد ثم مدّ كلنا يديه إلى ابنه، لكن الطفل
صرخ وغاص فى صدر مرضعته ذات النطاق الجميل خوفاً من
٤٧٠ مظهر أبيه الحبيب ومن البرونز ومن ذؤابة خصلة شعر الحصان
وقد رآها وهى تهتز بعنف مخيف على قمة الخوذة.
فقهقه أبوه الحبيب وأمه الملكة. ونزع هيكتور الخوذة
عن رأسه ووضعها ببريقها على الأرض، وقبل ولده
٤٧٥ المحبوب وهدده بين يديه وابتهل لزيوس والآلهة
الآخرين قائلاً:

- "أى زيوس، ويا أيتها الآلهة، ليكن ابنى هذا مثلى مبرزاً
بين الطرواديين، بأسلاً فى القتال، قوياً فى حكم إليوس.
٤٨٠ وليقل قائلهم يوماً ما أثناء عودته من ساحة الوغى: إنه أكثر
بسالة من أبيه. ليكن من نصيبه أن يقتل أعداءه ويعود
للوطن بالأسلاب المخضبة بالدماء ليسعد قلب أمه".

- هكذا قال ووضع طفله بين ذراعى زوجته الحبيبة،
٤٨٥ فضمته إلى صدرها الحنون وهى مبتسمة وباكية بالدموع؛
وعندما رمقها زوجها أشفق عليها وداعبها بيديه
وسماها باسمها قائلاً:

"رجائى ألا تسرفى فى الحزن داخل قلبك من أجلى

- يا زوجتى الحبيبة. فلن يبعث بى أحد إلى هاديس إن لم
 يكن هذا هو قدرى، ولا أحد يتملص من قدره المحتوم،
 ٤٩٠ نبيلاً كان أم وضيعاً، هو قدر مرسوم للمرء منذ ولادته.
 عودى إلى بيتنا، واعتنى بشئونك من نول ومغزل،
 ومرى وصيفاتك أن يقمن بواجباتهن، أما شئون الحرب
 فللرجال، لكل للرجال، ومن شأنى أنا قبل جميع من يقمون
 ٤٩٥ فى إليوس".
- هكذا قال هيكتور المجيد والتفت خوذته ذات الذؤابة من خصلة
 شعر الحصان؛ وعادت زوجته إلى بيتها وبين الحين والحين كانت
 تنظر خلفها، وظلت تذرف الدموع مدارراً. فلما بلغت القصر
 ٥٠٠ متين البناء، قصر هيكتور قاتل الرجال، وجدت وصيفاتها الكثيرات
 فأتارت بينهن الشجن والنحيب. فشرعن يولولن على هيكتور
 فى قصره، مع أنه كان لا يزال على قيد الحياة، إذ كن يتوجسن
 خيفة ألا يعود أبداً من المعركة، فلا هو يقادر على أن يتحاشى
 القتال، ولا أن يفلت من أيدي الأَخيين.
- ٥٠٥ ولم ينتظر باريس طويلاً فى قصره الشاهق، بل
 أقبل فى درعه البرونزى الرائع وهول عبر المدينة وانقا
 فى سرعة قدميه. كان مثل حصان أخذ كفايته من طعام مزوده،
 وكسر قيوده، وركض عبر السهل، وقعقت حوافره، مدوية على
 الأرض، وسعى حثيثاً إلى أن يرمى نفسه فى النهر سلس التدفق
 ٥١٠ منتشياً ورافعاً رأسه عالياً، ويمواج شعر لبدته على كتفه،
 يتبختر مزهواً بعظمته، تحمله ركبته إلى مرعى الفرسات.
 هكذا كان باريس بن برياموس،
 فقد هبط من قمة برجاموس الشاهقة بدرعه اللامع
 كالشمس الساطعة، تضحك أسارير وجهه بالبهجة، وتطير
 ٥١٥ به قدماه السريعتان. وعلى الفور لحق بأخيه هيكتور

الإلهي، الذي كان للتو عائداً من حيث قابل زوجته.

وخطبه ألكسندروس شبيه الألهة قائلاً:

"لاشك يا أخى أننى بتلكزى الطويل تسببت فى تأخرك،

وربما لم أصل فى الوقت الملائم كما أمرتتى". ٥٢٠

فرد عليه هيكتور ذو الخوذة اللامعة:

"يا أخى الطيب، ما من رجل عاقل يستطيع أن يستخف

بما تقوم به فى الحرب، فأنت باسل؛ ولكنك تتكاسل

بمزاجك ولا تبالى. لذا فإن قلبى فى داخلى يأسف عندما

أسمع كلمات مشينة عنك تتردد بين الطرواديين، الذين

من أجلك عاتوا الكثير من الأهوال. ولكن دعنا نواصل ٥٢٥

مسيرتنا وسنعالج هذه الأمور مستقبلاً، إذا سمح لنا زيوس

أن نسكب من نخب الحرية فى قصرنا قرباناً لألهة السماء

الخالدين، بعد أن نطرد الآخيين المزودين بالدروع جيداً

من أرض طروادة". ٥٢٩

الكتاب السابع



ترجمة منيرة كروان

- هكذا قال هيكتور المجيد، واندفع خارجًا من البوابة
 وخرج معه شقيقه ألكسندروس، وهما يتحرقان شوقًا
 في قرارة نفسيهما للحرب والقتال.
- وكما يرسل الإله ريحًا مواتية للبحارة الذين
 طالت لهفتهم ونالهم التعب
- ٥ من التجديف في البحر بالمجاديف جيدة الصقل، وارتخت أطرافهم
 من الإرهاق، هكذا ظهر هذان المحاربان للطرواديين المتحمسين.
 وعندئذ قتل أحدهما ابن الملك أريثوؤس،
 المسمى مينيسثيوس، والذي كان يسكن في أرني.
- ١٠ وكان أريثوؤس صاحب الصولجان قد أنجبه من جميلة العينين
 فيلوميدوسا. وضرب هيكتور إيونيوس برمح حاد الطرف
 في عنقه، أسفل خوذته المصنوعة من البرونز القوي، فقتله.
 وضرب جلاوكوس، بن هيبولوخوس، قائد الليكيين
 إفينوؤس، بن ديكسيوس، بالرمح، أثناء احتدام
 القتال، بينما كان يسرع خلف جياده السريعة
- ١٥ فأصابه في كتفه وسقط من فوق الجياد على الأرض جثة هامدة.
 ولكن الربة أثينة، زرقاء العينين، شعرت بهم
 وهم يدمرون الأرجبيين في قتال عنيف
 فنزلت مسرعة من قمة الأوليمبوس
- ٢٠ واتجهت إلى مدينة إليون المقدسة. وأسرع أبوللون لملاقاتها
 فقد كان ينظر لأسفل من برجاموس. وكان يرغب أن يكون
 النصر من نصيب الطرواديين. وبجانب شجرة البلوط التقى كل
 منهما بالآخر وبادرها الملك أبوللون، بن زيوس، بقوله :
- "لماذا يا ابنة زيوس العظيم تسرعين في لهفة
 من الأوليمبوس، ولأى غرض عظيم أتيت ؟"
- ٢٥

- هل لكى تمنحى الدانائيين النصر الحاسم فى القتال
وتحققى لهم الفوز ؟ حيث أنك لا تشعرين بالشفقة على
الطرواديين الذين يهلكون. ولكن سوف يكون من الأفضل لو
استمعت لنصيحتى. دعينا الآن نوقف الحرب والصراع
اليوم، وفيما بعد سوف يستأنف القتال، حتى يتموا
القضاء على إليون. حيث إن قلوبكن أيتها الرباب
تجد متعة فى تدمير تلك المدينة والقضاء عليها."
عندئذ أجابته الربة أثينة، زرقاء العينين، قائلة :
- " ليكن ما تريد، يا من تصيب من بعيد، فبهذه الفكرة نفسها
أتيت أنا أيضاً من الأوليمبوس إلى الطرواديين والآخيين.
ولكن كيف نوقف الحرب بين الرجال قل لى ؟ "
فأجابها الإله أبوللون، بن زيوس بدوره قائلاً :
- " دعينا نستحث حمية هيكتور، مروض الخيول،
حتى يتحدى واحداً من القادة الدانائيين للنزال فيتبارزا رجلاً لرجل
فى معركة فردية شرسة وسوف يتحمس الآخيون، المسلحون جيداً
بالدروع البرونزية، لمانزلة هيكتور، شبيه الآلهة".
هكذا قال، ولم تخالفه الربة أثينة، زرقاء العينين
ولكن هيلينوس، الابن الحبيب لبرياموس، سمع الخطة
التي تدور فى عقليهما من خلال محاورتهما،
فذهب إلى شقيقه هيكتور، ووقف بجانبه ثم خاطبه قائلاً :
- " هيكتور، يا ابن برياموس، يا شبيه الآلهة فى النصح
هلا أصغيت إلى، فأنا شقيقك ؟ فلتدع الطرواديين الآخرين وجميع
الآخيين إلى الجلوس معاً، ولتتحد أنت واحداً من أفضل الآخيين

- لنتنازله فى معركة فردية شرسة
 فلم يحن بعد قدرك وأجلك المحتوم.
 هذا على وجه اليقين ما سمعت بنفسى من الآلهة الخالدين ".
 هكذا قال، فغمر السرور قلب هيكتور لسماعه ذلك.
- ٥٥ وذهب إلى وسط فرق الطرواديين وكبح جماحها،
 وأمسك برمحه من المنتصف، فجلسوا جميعاً.
 وكذلك أمر أجامنون الآخيين، لابسى الدروع، بالجلوس.
 وجلس أبوللون، الإله ذو القوس الفضى، وكذلك أثينة
 على هيئة طائرين جارحين
- ٦٠ فوق شجرة البلوط العالية، المقدسة للأب زيوس، لابس الدرع
 أيجيس واستمتعا برؤية الرجال، الذين اصطفت صفوفهم
 المتلاحمة مدججين بالدروع والخوذات والرماح.
 ومثلما يثور سطح البحر بسبب هبوب الرياح
 الغربية (زيفيروس)، ويسود موج البحر من تحتها.
- ٦٥ هكذا جلست صفوف الآخيين و الطرواديين
 فى السهل، وخاطبهم هيكتور قائلاً :
- " أيها الطرواديين وأيها الآخيون لابسو الدروع
 لتسمعونى حتى أقول لكم ما يأمرنى به قلبى الكائن فى صدرى.
 إن زيوس ابن كرونوس رفيع العرش، لم يحقق وعوده
 ولكنه ينوى الشر لكلا الجانبين.
- ٧٠ فإما أن تستولوا على طروادة، ذات الأبراج الحصينة
 أو أن تهلكوا بجوار سفنكم ماخرة عباب البحار.
 وبما أنه يوجد بينكم الآن أفضل قادة الآخيين كافة

- فليتقدم من يأذن له قلبه بمنازلتي.
- ٧٥ وليأت هنا أفضلكم جميعًا لمنازلة هيكتور الإلهي.
- وإنني أعلن أيضًا ما يلي، وليكن زيوس شاهدًا عليّ،
إذا ما قتلني ذلك المحارب بسلاحه البرونزي حاد النصل
فليجردني من سلاحى وليحمله إلى سفنكم المجوفة.
- ولكن يجب عليه أن يعيد جثتي إلى منزلى مرة أخرى، حتى
٨٠ يتمكن رفاقى من الطرواديين والطرواديات أيضًا أن يحرقوا
جثتي. أما إذا تمكنت من قتله، وليمنحني أبوللون هذا المجد،
فسوف أجرده من سلاحه وأحمله غنيمة إلى إليون المقدسة.
وهناك سوف أعلقه على معبد أبوللون، رب القوس،
ولكننى سوف أعيد جثته إلى سفنكم، ذات المجاديف المتينة
حتى يتمكن الآخيون، ذوو الشعر الطويل، من دفنه
٨٥ وبناء مقبرة له بجوار شاطئ الهلليسيونطوس.
فذات يوم، رب قائل من الأجيال القادمة،
عندما يبحر بسفينته، كثيرة المجاديف فى البحر القاتم بلون الخمر
يقول : هذا قبر رجل قتل منذ زمن بعيد.
- ٩٠ إذ قتله، وهو فى عنفوان قوته، هيكتور المجيد .
هكذا ذات يوم قد يقول أحدهم فلا يخبو مجدى أبدًا ".
هكذا قال، واستمع إليه الجميع فى صمت
فقد كانوا يخلجون من رفض تحديه، ولكنهم كانوا يخشون قبوله.
وبعد وقت طويل، قام مينيلائوس وخاطبهم
٩٥ وهو يئن ويتوجع من أعماق قلبه، وعنفهم بشدة وهو يزار قائلًا :
" أيها الجبناء يا من لا يملكون سوى الجعجة، أيتها الأخيات ولا
أقول الآخيين سوف يكون من العار، بل سوف يكون عارًا شنيعًا
إذا لم يقف أحد الدانائيين الآن ويقبل تحدى هيكتور

- لنتحولوا جميعًا إلى ماء وطين،
 ١٠٠ إذ يجلس كل منكم هكذا مجللاً بالعار والجبن.
 حسنًا، سوف أتلح أنا نفسي و أنازله. ومن عل،
 من لدن الآلهة الخالدين، سوف تأتي فرص النصر."
 وما أن قال ذلك، حتى وضع على جسده أسلحته الرائعة.
 وكان من الممكن أن تكون هذه نهاية حياتك يا مينيلأوس
 ١٠٥ على يد هيكتور، حيث إنه يفوقك قوة بمراحل،
 لو لم ينهض ملوك الآخيين بسرعة ويمسكون بك.
 فقد قام أجاممنون، بن أتريوس، واسع الملك،
 وأمسك بيدك اليمنى وخاطبك بقوله :
- " هل أصابك الجنون يا مينيلأوس، يا من رباك زيوس، إن مثل
 ١١٠ هذا التهور لا يليق بك، ويجب عليك أن تتراجع، رغم أن هذا
 يؤلمك ولا تفكر في منازلة رجل أقوى منك،
 هيكتور بن برياموس، الذي يخشاه الأبطال الآخرون.
 إن أخيليوس نفسه يخشى لقاءه في المعركة
 التي تجلب المجد للرجال، رغم أن أخيليوس يفوقك كثيرًا في القوة.
 فلنذهب وتتخذ لنفسك مجلسًا الآن مع مجموعة رفاقك
 ١١٥ وسوف يقدم الآخيون محاربًا آخر ينازله،
 وحتى لو كان (هذا المحارب) شجاعًا ولا يشبع من القتال
 فإنني أعتقد أنه سوف يجلس في سعادة، إذا أمكنه،
 الإفلات من الحرب المدمرة والقتال البشع".
- و عندما نطق البطل بهذه الكلمات، أقنع شقيقه
 ١٢٠ فقد قدم نصيحته بحكمة، فأقنعه. عندئذ
 شعر أتباعه بالسعادة وهم ينزعون أسلحته من فوق أكتافه.
 وبعد ذلك وقف نيستور بين الأرجيين وخاطبهم قائلاً :

" آه ثم آه، لقد حل بأرض آخايا حزن عظيم.

١٢٥

وسوف يئن وينتحب الفارس الأشيب بيليوس
ذلك الخطيب البارع، ناصح الميرميديين الشجاع
الذى سألتنى ذات مرة وأجبتة فى منزله، وملأت نفسه بالسعادة
عندما عرف منى نسب جميع الأرجيين وأصلهم.
فإذا سمع الآن أنهم يرتعدون خوفاً ويهربون أمام هيكتور

١٣٠

فسوف يرفع يديه الغاليتين ويتضرع للخالدين
أن تنسل روحه من أعضائه وتذهب إلى مقر هاديس
ليبتى، يا أبانا زيوس ويا أثينة وأبوللون،
كنت شاباً مثلما كنت، عند نهر كيلادون سريع الجريان،
عندما احتشد البيليون والأركاديون المشهورون برماحهم، للقتال،

١٣٥

تحت أسوار فيا، بشأن مياه نهر ياردانوس.
عندما وقف إريوثاليون، بظلمهم شبيه الآلهة
واضعاً حول كتفيه أسلحة الملك أريثوؤس،
أريثوؤس الشجاع، الذى كان يلقب بحامل الصولجان.
فقد اعتاد الرجال واعتادت النساء، ذوات الأحزمة الجميلة،

١٤٠

تسميته بذلك لأنه لم يكن يحارب بالقوس ولا بالرمح الطويل،
وإنما كان يشنت جموع المحاربين (المعادين) بصولجان حديدى،
وقد تمكن ليكورجوس من قتله بالمكر، وليس بالشجاعة،
فى ممر ضيق، ولم يكن معه صولجانه الحديدى
ليدفع الموت عن نفسه، فأسرع ليكورجوس

١٤٥

وضربه برمخ فى وسطه، فسقط على ظهره أرضاً،
فجرده من أسلحته التى منحها له الإله آريس، ذو الدرع
البرونزى. ثم استخدم ليكورجوس نفسه هذا الصولجان بعد ذلك

- في القتال. وعندما بلغ ليكورجوس المشيب في قصره،
أعطاه لتابعه المفضل إريوثاليون، والذي
كان في إمكانه تحدى أقوى الرجال عند استخدامه،
١٥٠ وأصبحوا يخافونه ويخشونه بشدة، ولم يجازف أحدهم بمنازلته
ورغم ذلك، فقد حثتني روى الثائرة على القتال
واستفرت شجاعتي. رغم أنني كنت أصغر الموجودين سناً
كنت أنا من تصدى له، ومنحتني الربة أثينة المجد.
١٥٥ وكان أضخم وأقوى رجل قتلته فوق على الأرض
فاقد الوعي تماماً منبطحاً كجذع شجرة ضخمة تمددت
ذات اليمين وذات اليسار. ليتنى أعود شاباً مرة أخرى، وليت قوتي
ظلت كما كانت، لكنك قد نازلت بسرعة هيكتور، ذا الخوذة
اللامعة، فمن بينكم، رغم أنكم أفضل الأخيين طراً،
لا يوجد من يتحمس للذهاب لمواجهة هيكتور."
١٦٠ هكذا وبخهم الشيخ المسن، فهب تسعة منهم
وكان أجاممنون، ملك الرجال أولهم جميعاً،
وتبعه ابن تيديوس الشجاع، ديوميديس.
وبعده قام الثنائي أياس، العتيدان
١٦٥ ثم تلاهما إيدومينيوس ورفيقه في القتال
ميريونيس، نظير إينواليوس، قاتل الرجال.
ثم يوريبيلوس بن يوايمون العظيم.
وبعده قام ثواس بن أندرايمون، ثم أوديسيوس الإلهي.
هبوا جميعاً يريدون منازل هيكتور شبيه الآلهة.
١٧٠ فخطبهم نيستور الفارس الجيريني، قائلاً:

"والآن لتجروا القرعة (*) بينكم لنحدد من سيقع عليه الاختيار

فإنه بحق سوف يفيد الأخيين، لابسى الدروع

كما أنه سوف يستفيد أيضاً، إذا ما تمكن من النجاة

من الحرب الشرسة والقتال الرهيب".

١٧٥

هكذا قال، فحمل كل منهم قرعته

وألقاها في خوذة أجامنتون، بن أتريوس.

وشرع الجميع في التضرع للآلهة وهم يرفعون أيديهم عاليًا

واتجه كل منهم ببصره للسماء العريضة قائلاً:

"يا أبانا زيوس، لتجعل القرعة من نصيب أياس

١٨٠

أو ابن تيديوس أو ملك موكيناي الغنية بالذهب".

هكذا تضرعوا، وقام نيستور، الفارس الجبريني

بهز الخوذة، فظهرت قرعة البطل الذى أرادوه:

أياس. فحملها أحد الرسل وطاف على الحشد

الذى يضم الأخيين جميعًا من اليسار إلى اليمين.

١٨٥

وعندما عرضها عليهم لم يتعرف واحد منهم عليها

ولكن عندما وصل، بعد أن حملها عبر الحشد كله، إلى

البطل الذى كتب العلامة ووضعها في الخوذة، أياس المجيد،

مد يديه، ووضعها الرسول الواقف على مقربة منه، في يده.

وعندما رأى أياس العلامة الموضوعة على القرعة تعرف عليها

١٩٠

وانشرح صدره، ثم ألقاها على الأرض وصاح قائلاً:

"أيها الأصدقاء هذه هي قرعتي، وقد سعدت بذلك

(*) القرعة κληρος كانت الطريقة المتبعة للاختيار فيما بين مجموعة من الرجال. ويحدد كل منهم علامة على شقافة أو قطعة من الحجر تدل عليه وتوضع العلامات جميعًا في خوذة أو إناء، ويتم السحب بطريقة عشوائية، ليفوز من تخرج علامته أو قرعته أولاً. كانت هذه الطريقة تستخدم في أثينا لاختيار من يتولى بعض المناصب.

- نفسى. فإننى أعتقد أننى سوف أهزم هيكتور شبيه الآلهة.
ولكن، بينما أضع أسلحتى على جسدى، هيا
لترفعوا الصلوات للملك زيوس، بن كرونوس
سرا فيما بينكم حتى لا يسمعكم الطرواديون.
١٩٥ أو حتى صلوا جهراً، فإننا لا نخشى أحدا على أية حال.
فإنه ما من شخص يستطيع أن يحملنى على الفرار رغماً عنى
سواء بالقوة أو بالحيلة، حيث أعتقد أننى لست إنساناً بسيطاً
وقد ولدت فى سلاميس وترعرعت فيها".
- ٢٠٠ هكذا قال، فتضرعوا للملك زيوس، بن كرونوس.
وقال كل منهم وهو يتطلع للسماء الفسيحة الأرجاء :
" أبانا زيوس، يا من تحمى جبل ايدا، يا أعظم الآلهة وأكثرهم
مجداً مكن أياس من إحراز النصر ونيل الشرف والمجد.
أما إذا كنت تحب هيكتور وتهتم بأمره
فلتمنحهما قوة ومجداً متساويين ".
٢٠٥ هكذا قال كل منهم متضرعاً، بينما كان أياس يرتدى سلاحه
البرونزى البراق. وعندما انتهى من وضع جميع أسلحته على جسده
انطلق مسرعاً، مثل أريس الضخم،
إلى القتال، وسط الرجال الذين حشدهم ابن كرونوس
ليشاركوا فى الحرب، التى تأكل القلوب غضباً.
٢١٠ هكذا اندفع أياس الضخم، حصن الأخيين،
وهو يضع ابتساماً خفيفة على وجهه المخيف، وأقدامه من تحته
تمشى بخطوات واسعة، وهو يلوح برمحه الطويل.
وصاح حشد الأرجيين فى سرور عند رؤيته،
بينما تملك الطرواديين خوف رهيب فكك أوصال كل منهم.
٢١٥

- وتسارعت دقات قلب هيكتور داخل صدره،
 فلم تعد هناك وسيلة للهرب أو التراجع
 أمام شعبه، فهو الذى دعا للنزال.
 واقترب أياس حاملاً درعه البرونزى
 الذى يشبه البرج والمصنوع من سبع طبقات من جلد الثور.
 ٢٢٠ وقد صنعه له تيخيوس، أفضل صانعى الجلود فى هولى، بمهارة
 فائقة. لقد صنع الدرع البراق من سبع طبقات
 من جلد الثيران السمينة، وصنع الطبقة الثامنة من البرونز.
 حمل أياس التيلامونى درعه أمام صدره
 ووقف على مقربة من هيكتور وهدده قائلاً :
 ٢٢٥ "هيكتور، سوف ترى الآن بوضوح، ونحن نقف رجلاً لرجل
 أى نوع من الرجال بقى بين قادة الدانائيين،
 حتى بعد غياب أخيلئوس، مشنتت صفوف المحاربيين، فى شجاعة
 قلب الأسد. حقاً إنه يرقد الآن فى سفنه المقوسة التى تمخر العباب
 إلى أبعد البحار بعد أن سيطر على نفسه غضب جامح ضد
 ٢٣٠ أجاممنون، راعى الشعوب. ولكن بقى بيننا كثيرون قادرون
 على منازلتك. فلتبدأ المعركة وليبدأ القتال."
 فأجابه هيكتور المجيد، ذو الخوذة اللامعة، قائلاً :
 " أياس، ياسليل زيوس، أيها التيلامونى، يا قائد الشعوب،
 ٢٣٥ لا تتعامل معى وكأننى غلام ضعيف
 أو امرأة لا تعرف فنون الحرب .
 فقد رأيت ما فيه الكفاية من الحروب وقتل الرجال
 وإننى لخبير فى التعامل بالدروع المصنوعة من جلد الثيران
 المجفف، فأنا أعرف كيف أديرها يميناً ويساراً، وأعرف كيف أشتبك فى

- ٢٤٠ حرب شرسة، كما أعرف كيف أندفع للقتال بخيولى السريعة،
وأعرف جيداً كيف أردد لأريس أنشودة الحرب الضروس.
ولكننى لا أقتل بطلاً مثلك، مترصدًا له
سرًا، ولكننى أنوى أن أطيح بك فى العلىن".
هكذا قال، وسحب رمحه الطويل وقذف
به درع أياس الرهيب المكون من سبع طبقات
من الجلد وتعلوه طبقة ثامنة من البرونز،
فمرق السهم البرونزى الذى لا يقهر من خلال الطبقات السبع
ووصل إلى الطبقة الثامنة من الدرع. وعندئذ
استل أياس، سليل زيوس، رمحه الطويل
و ضرب به درع ابن برياموس متين التوازن،
فنفذ الرمح القوى من خلال الدرع اللامع
ومرق خلال درع الصدر المزخرف بسخاء
ومزق عباءته بجوار ضلوعه مباشرة.
لكن (هيكتور) مال فتجنب الموت الأسود.
وفى نفس اللحظة سحب كل منهما رمحه الطويل بيده
وهجم كل منهما على الآخر، كما لو كانا أسدين ضاريين
أو خنزيرين بريين متوحشين لا تقهر قوتهما.
وبعد ذلك صوب ابن برياموس رمحه فى منتصف درع أياس
ولكن الرمح البرونزى لم ينفذ خلاله، فقد انثنى سنه.
فوثب أياس وطعنه فى درعه و نفذ الرمح
خلال الدرع، فترنح المحارب القوى من جراء الهجوم
وشق الرمح طريقه إلى عنقه، فقطعه وتدفق الدم الأسود.
ولكن هيكتور ذو الخوذة اللامعة لم يتوقف عن القتال

- ولكنه سحب حجراً أسود، ضخماً وحاداً مدبباً، كان ملقى
 ٢٦٥ في السهل ورفع به بيده الضخمة.
- وضرب به درع أياس الرهيب، المكون من سبع طبقات
 فجاءت الضربة في منتصف الدرع، فدوى صوت البرونز.
 عندئذ رفع أياس بدوره حجراً كبيراً جداً
 وقذفه بسرعة واضعاً فيه كل قوته
- ٢٧٠ وضرب الدرع بالحجر الذى يشبه حجر الطاحونة فمزقه،
 ثم سقط الحجر على ركبتى هيكتور الغاليتين فأصابهما. فسقط
 ممدداً تحت درعه المحطم. ولكن أبوللون رفعه فى الحال.
 وكادا أن يلتحما فى قتال بالسيوف،
 لولا وصول الرسل، مبعوثى زيوس والبشر.
- ٢٧٥ وكان أحدهما موفداً من قبل الطرواديين والآخر من الآخيين،
 لابسى البرونز. تالشيبيوس و إيدايوس وكان كل منهما ذا عقل راجح
 ووقفا بين المتحاربين وهما يمسكان بصولجانيهما. وصاح
 إيدايوس صاحب النصح السديد قائلاً :
- " لتكفا يا ولدى الحبيبين عن الصراع والقتال
 ٢٨٠ فإن زيوس، جامع السحب، يحب كلاً منكما
 وكل منكما يجيد استخدام الرمح كما نعرف جيداً.
 لقد أقبل الليل بالفعل ومن الخير أن تخضعا لحكمه ".
 فأجابه أياس التيلامونى بقوله :
- " إيدايوس، فلتأمر هيكتور بهذا القول
 فهو الذى كان قد دعى أفضل القادة جميعاً للنزال
 ٢٨٥ فليبدأ، وسوف أمتثل تماماً إذا ما فعل ".
 عندئذ أجابه هيكتور العظيم ذو الخوذة اللامعة قائلاً :

- "أياس، حيث إن الإله قد حباك بنعمة عظيمة سواء في القوة
أو في الحكمة، كما إنك أمهر الأخيين في استخدام الرمح
٢٩٠ فدعنا الآن نتوقف عن القتال
والنزال. على أن نستأنفه فيما بعد إلى أن يحكم الإله
فيما بيننا، ويمنح أحدنا النصر.
لقد أقبل الليل بالفعل. ومن الخير لنا الخضوع لحكمه.
حتى تتمكن من إسعاد جميع الأخيين الموجودين في السفن
وخاصة أقاربك ورفاقك الموجودين معك.
٢٩٥ أما أنا فسوف أسعد قلب الطرواديين والطرودايات، ذوات الثياب
الطويلة، في أنحاء مدينة الملك برياموس العظيمة.
الثلاثي سوف يدخلن معابد الآلهة ويصلين من أجلى.
ولكن دعنا نتبادل الهدايا(*) القيمة، أحدنا مع الآخر،
حتى يقول قائل من الأخيين أو الطرواديين:
٣٠٠ لقد تصارع الاثنان في قتال، يلتهم القلوب،
ولكنهما اتفقا بعد ذلك وافترقا صديقين ودودين".
هكذا قال، ثم أعطاه سيفه المرصع بالفضة،
ومعه غمده الذي يضعه فيه، وحمالاته الجلدية الجميلة.
٣٠٥ فأعطاه أياس بدوره حزاماً براقاً قرمزي اللون(**)
وافترق الاثنان. فذهب أحدهما إلى حشود الأخيين

(*) حول تبادل الهدايا بين الأعداء انظر "بنات تراخيس" و "أياس" لسوفوكليس وراجع:

Ahmed Etman, *The Problem of Heracles' Apotheosis*, pp. 108, 112, 118 n.3, 128, 162, 165, 185 n.3 etc.

(المحرر)

(**) اللون القرمزي أو الأرجواني في اليونانية يشتق من اسم الفينيقين Phoinikes لأن أقدم من اكتشف هذا اللون وأول من استخدمه هم الفينيقيون .

- بينما عاد الآخر إلى الطرواديين. فسعدوا
برؤيته وقد عاد إليهم حيًا وسالمًا مرة أخرى،
وبأنه قد أفلت من بأس أياس ويديه اللتين لا تقهران.
فقادوه إلى المدينة بعد أن كادوا يفقدون الأمل في نجاته.
٣١٠
- بينما قاد الآخيون لابسو الدروع أياس
إلى الناحية الأخرى، إلى أجاممنون المجيد، مزهواً بانتصاره.
وعندما وصلوا إلى خيام ابن أتريوس
ذبح أجاممنون، ملك الرجال، ثوراً لهم،
٣١٥ عمره خمس سنوات، قدمه قرباناً لابن كرونوس القوى
سلخوا جلده وأعدوه، وقطعوه إلى أجزاء
ووضعوا قطع اللحم في السفود بمهارة فائقة.
وقاموا بشوائها بعناية، ثم نزعوا السفود.
وعندما انتهوا من مهمتهم وأصبحت الوجبة جاهزة
أقاموا وليمتهم. فلا توجد نفس لا تهفو لوليمة جيدة.
٣٢٠ وكرم البطل ابن أتريوس أجاممنون، واسع الملك،
أياس وأعطاه ظهر الثور كله.
وعندما نالوا كفايتهم من الطعام والشراب،
وقبل الجميع، قام الشيخ المسن نيستور ليعلن نصيحته في حكمة،
فقد ظهر من قبل أن رأيه هو أفضل الآراء
٣٢٥ وأنه يجيد الحكم على الأشياء، فخطبهم قائلاً:
"يا ابن أتريوس، ويا زعماء الآخيين جميعاً
لقد لقي كثير من الآخيين ذوى الشعر الطويل حتفهم
لقد أسأل أريس القاسى دمهم القانى حول
نهر سكاماندروس سريع الجريان، ونزلت أرواحهم إلى هاديس.
٣٣٠ لذا يجب عليك أن تمنع الآخيين من الحرب

- ثم نتجمع لننقل جثث الموتى
 بالعربات التي تجرها الثيران والبغال ثم نحرقها
 على مقربة من السفن، حتى يتمكن
 كل فرد من حمل جثث ذويه
 ٣٣٥ إلى أولادهم، عندما نعود إلى أرض الوطن.
 ولنقم قبرًا واحدًا حول المحرقة
 يضم رفات الجميع في الوادي. ولنشيد بسرعة
 الأبراج العالية لتكون حصنًا لنا ولسفننا،
 ولنصنع فيها بوابات محكمة الغلق،
 ٣٤٠ حتى تكون طريقًا تعبر من خلاله عرباتنا.
 ومن الخارج، نحفر خندقًا عميقًا بالقرب منه
 ليمنع عنا هجوم الجياد والفرسان،
 حتى لا تتساقط علينا هجمات الطرواديين المتعالين".
 هكذا قال، ووافق جميع الملوك.
- ٣٤٥ بينما عقد الطرواديين في قمة مدينة إليون
 اجتماعًا صاخبًا ورهيبًا، بجوار بوابات برياموس.
 وكان أنتينور الحكيم أول من بدأ الحديث، وقال :
 " اسمعوني أيها الطرواديين والداردانيون
 وأيها الحلفاء، حتى أقول لكم ما يحدثني
 به قلبي الكائن في صدري،
 ٣٥٠ هيا بنا نعيد هيليني الأرجية وكل ممتلكاتها
 إلى أبناء أتريوس. فإننا نقاتل الآن.
 بعد أن ثبت حنثنا بعهودنا الموثقة، فلا مكسب

سوف يتحقق لنا، كما أتوقع، إذا لم نفعل ما أشير به "

وما إن قال هذه الكلمات حتى جلس. عندئذ وقف وسطهم

٣٥٥

ألكسندروس المبجل، زوج هيلينى جميلة الشعر.

فأجابه بكلمات مجنحة قائلاً :

" أنتينور إن ما نطقت به لايعجبني مطلقاً.

فأنت تعرف كيف تتطق بحديث أفضل من هذا.

ولكن إذا كنت جاداً بالفعل فيما تقول

٣٦٠

فلا بد أن الآلهة قد أثلفت عقلك.

والآن سوف أتحدث وسط الطرواديين، مروضى الخيول :

إننى أعلن بكل صراحة أنني لن أعيد زوجتى أبداً.

أما عن الممتلكات التى أحضرتها من أرجوس إلى منزلى،

فإننى أزمع ردها كلها وسوف أضيف إليها المزيد من ثروتى "

٣٦٥

وما إن قال هذا حتى جلس، ونهض من

وسطهم برياموس بن داردانوس، نظير الآلهة فى سداد الرأى

والنصح، وتحدث راجح العقل وخاطبهم قائلاً :

" لتسمعونى أيها الطرواديون والداردانيون ويا أيها الحلفاء،

حتى أقول لكم ما يحدثنى به قلبى الكائن فى صدرى.

٣٧٠

لنتناولوا الآن عشاءكم المعد فى أنحاء المدينة كسابق عهدكم،

وليتذكر كل منكم الحراسة، وليجلس منتبهاً.

وعند الفجر، ليذهب إيداىوس إلى السفن المجوفة

حاملاً لولدى أتريوس، مينىلاوس وأجاممنون،

حديث ألكسندروس، الذى تفجرت الحرب بسببه.

٣٧٥

وعليه أن يعلن هذه الكلمة الحكيمة: إذا ما أرادوا

لنوقف هذه الحرب الكريهة، حتى نتمكن من إحراق

الجثث. وبعد ذلك لنستأنف الحرب مرة ثانية، إلى أن يمنح أحد الآلهة النصر لأحدنا".

هكذا تحدث واستمعوا إليه باهتمام، ثم أطاعوا قوله.

٣٨٠ فتناولوا العشاء على هيئة جماعات في جميع أنحاء الجيش .

وعند بزوغ الفجر شق إيداويوس طريقه إلى السفن

المجوفة ووجد الدانائيين، سدنة آريس، مجتمعين،

على مقربة من مقدمة سفينة الملك أجاممنون. فوقف

الرسول في وسطهم وصاح عاليًا مخاطبًا جمعهم :

٣٨٥ " يا ابن أتريوس، ويا كافة قادة الأخيين الآخرين،

لقد أمرني برياموس وباقي الطرواديين النبلاء

أن أعلن لكم عرض ألكسندروس، الذي قامت الحرب

بسببه، عله يجد منكم قبولاً ورضاً.

إن كل الممتلكات والثروات التي أحضرها في سفنه المجوفة

٣٩٠ إلى وطنه طروادة، وليته هلك قبل وصوله إليها،

فإنه يرغب في ردها كلها وسوف يضيف إليها من ممتلكاته

الخاصة، ولكنه لن يرد تلك المرأة التي كانت زوجة

لمينيلائوس المبجل. رغم أن الطرواديين يحثونه على فعل ذلك.

كما أمروني أن أعلن لكم هذا الرأي أيضاً، فإذا ما رغبتُم

٣٩٥ فلنوقف هذه الحرب الكريهة حتى يتسنى لنا حرق

جثث الموتى. ولنستأنف الحرب فيما بعد حتى يحكم

أحد الآلهة بيننا، ويمنح النصر لأحدنا".

هكذا قال، واستمع إليه الجميع في صمت مطبق.

وبعد برهة، قال ديوميديس البارع في صيحة القتال :

٤٠٠ "لا تدعوا أحدًا منكم يقبل ثروة ألكسندروس،

ولا حتى عودة هيليني. فقد أصبح معروفاً، حتى لطفل لا يفهم،
أن مصير الخراب قد حل بالفعل على الطرواديين."

هكذا قال، فصاح أبناء الآخيين جميعاً

مستحسنين حديث ديوميديس، مروض الجياد.

٤٠٥ عندئذ رد الملك أجامنون على حديث إيداوس قائلاً :

" لقد استمعت بنفسك يا إيداوس إلى حديث الآخيين

وهذا ردهم على ما عرضت. وهو رد يسعدني.

أما بالنسبة لجثث الموتى، فإنني لا أعترض على حرقهم

فقد ماتوا وأصبحوا مجرد جثث،

٤١٠ ويجب ألا نبخل عليهم بوضعهم في المحرقة على جناح السرعة.

وليشهد زيوس، ذو الرعود الصاعقة، زوج هيرا على عهدنا."

هكذا قال، ثم رفع صولجانه تحيةً لجميع الآلهة.

وانطلق إيداوس عائداً إلى إليون المقدسة.

وكان الطرواديين والداردانيون جميعاً يجلسون

٤١٥ مجتمعين في انتظار عودة الرسول

إيداوس. وعندما عاد وقف في وسطهم

وأعلن لهم الرد على رسالتهم. فاستعدوا بمنتهى السرعة.

وانطلق بعضهم لإحضار الجثث، وانطلق البعض الآخر لإحضار

الأخشاب. وعلى الناحية المقابلة، انطلق بعض الأرجيين من

٤٢٠ السفن ذات المقاعد المتينة لإحضار الجثث، وانطلق البعض الآخر

لإحضار الأخشاب. وعادت الشمس لتسطع من جديد على الحقول

بعد أن بزغت من مياه المحيط (الأوكيانوس) العميقة هادئة

الجريان وارتفعت في السماء. وهنا تقابل الفريقان.

وكان من الصعب التعرف على شخصية القتلى،

- ٤٢٥ ولكنهم غسلوا الجثث بالماء لإزالة الدم المتخثر،
وذرفوا الدموع الساخنة عليها، ثم حملوها فوق العربات
ومنعهم برياموس المجيد أن يجهشوا بالبكاء بصوت عال. وفي
صمت وضعوا الموتى في أكوام على المحرقة وقلوبهم مفعمة
بالأسى. وبعد أن أشعلوا فيهم النيران عادوا إلى اليون المقدسة.
- ٤٣٠ ومن الناحية الأخرى، كان الأخيون لابسو الدروع
يضعون جثث موتاهم فوق المحرقة وقلوبهم مفعمة بالحزن
وبعد أن أضرموا فيهم النيران عادوا إلى سفنهم المجوفة.
وبينما كان الفجر لم يبرز بعد، وفي ظلمة الليل،
اجتمعت نخبة مختارة من الأخيين حول المحرقة
- ٤٣٥ وشرعوا في تشييد قبر واحد حولها
يضم الجميع، بإحضار التراب من الوادى. وعلى مقربة منه أقاموا
حائطاً زودوه بأبراج عالية، حماية لهم ولسفنهم.
وبنوا فى وسطه بوابات متينة
تصلح أن تكون طريقاً تعبر من خلاله العربات.
ومن الخارج حفروا خندقاً عميقاً
- ٤٤٠ كبير الحجم وعريضاً، وثبتوا فيه أوتاداً محكمة.
هكذا كان الأخيون، ذوو الشعر الطويل، يعملون
بينما جلس الآلهة حول زيوس، إله البرق، وهم ينظرون
بإعجاب لهذا الجهد العظيم الذى يبذله الأخيون، لابسو البرونز.
وبدأ بوسيدون، مزلزل الأرض، الحديث وخاطبهم قائلاً :
- ٤٤٥ "أبانا زيوس، هل يوجد واحد من البشر على الأرض التى
لانهاية لها لا يزال يخبر الآلهة الخالدين عما يدور فى عقله، وعن نيته

- المبيّنة ؟ ألا ترى أن الآخيين ذوى الشعر الطويل قد أقاموا
 مرة أخرى حائطاً من أجل حماية سفنهم، وحفروا
 ٤٥٠ حوله خندقاً، ولم يقدموا القرابين الفخمة للآلهة ؟
 وسوف تمتد شهرة هذا الحائط إلى حيث يسطع ضوء النهار
 وسوف يطوى النسيان ذلك الحائط الذى بنيناه أنا وأبوللون
 فويبوس (الوضاء) للبطل لاؤميدون، وتكبدنا مشقة بنائه ."
 فغضب زيوس جامع السحب، وأجابه قائلاً :
- ٤٥٥ " سحاً لك يا مززل الأرض، ما هذا الذى تقوله أيها القوى ؟
 قد يخشى إله آخر غيرك من هذا الشعور،
 إله أقل منك، أضعف فى القدرة والقوة.
 إن شهرتك تصل إلى كل مكان يشرق عليه ضوء النهار.
 فاذهب وانظر، فإذا ذهب الآخيون، ذور الشعر الطويل،
 ٤٦٠ ليعودوا بسفنهم ثانية إلى أرض وطنهم الحبيبة
 فحطم الحائط وبعثره فى جميع أنحاء البحر،
 ولتكسو الشاطئ الكبير بالرمال مرة أخرى،
 بعد أن ترى أن حائط الآخيين الكبير قد تحطم ."
 هكذا خاطب كل منهما الآخر
- ٤٦٥ حتى غربت الشمس وأتم الآخيون عملهم،
 فذبحوا الثيران فى جميع أنحاء المعسكر وتناولوا عشاءهم.
 وكانت السفن العديدة قد أحضرت الخمر
 من ليمنوس. فقد أرسلها إيونيوس بن ياسون،
 والذى أنجبته هيبسبيلى من ياسون راعى الشعوب.
 ٤٧٠ لقد أرسل ابن ياسون ألف مكيال من النبيذ
 لولدى أترىوس، أجاممنون ومينىلاؤس، وهدهما.

- وأشترى الآخيون ذوو الشعر الطويل حاجتهم من الخمر،
لقد اشتراه بعضهم بالبرونز، وبعضهم بالحديد اللامع
وآخرون مقابل الدروع المصنوعة من جلد الثيران، والبعض
الآخر بالثيران الحية، والبعض الآخر مقابل العبيد .
٤٧٥
ثم أقاموا مأدبة فاخرة. واستمر الآخيون ذوو الشعر الطويل
يحتفلون بالولائم طوال الليل، وكذلك فعل الطرواديون والحلفاء
في طروادة. وظل زيوس ذو المكر يدبر لهم المكائد
طوال الليل، ويرسل الرعد المخيف. فأصابهم الشحوب من شدة
٤٨٠
الخوف، وسكبوا الخمر على الأرض من الكنوس. ولم يجرؤ
واحد منهم. أن يشرب قبل أن يسكب الخمر تقريبًا لابن كرونوس القوى.
٤٨٢
ثم خلدوا بعد ذلك للنوم ليستمتعوا بهذه الهدية.

الكتاب الثامن



ترجمة منيرة كروان

- ونشرت إلهة الفجر، ذات الرداء الزعفراني، الضياء في أنحاء
الأرض. أما زيوس، المتمتع بالصاعقة، فقد عقد اجتماعا
للآلهة على أعلى قمة في الأوليمبوس، متعدد القمم.
وبينما كان جميع الآلهة يرهفون السمع تحدث زيوس قائلاً:
٥ "أيها الآلهة وأيتها الإلهات لتسمعوني
حتى أقول لكم ما يحدثني به قلبي الكائن في صدري.
لا يحاول أحدكم أبداً، إلهاً كان أم إلهة،
أن يعارض رأيي، ولتقوموا جميعاً
بالموافقة عليه، حتى أستطيع تحقيق هذه المهام بسرعة.
١٠ فإن من أشعر أنه ينفرد دون الآلهة ويرغب
في الذهاب لمساعدة الطروايين أو الداناتيين،
فسوف يعود إلى الأوليمبوس وقد عاقبته بقسوة،
أو سوف أمسك به وأقذفه إلى تارتاروس المظلمة
أسفل سافلين، في أعماق الأرض،
١٥ حيث توجد البوابات الحديدية والطريق البرونزي.
لهوة التي تبتعد عن هاديس بمقدار بعد السماء عن الأرض.
وسوف يعرف عندئذ أنني أقوى الآلهة أجمعين.
فهبوا حاولوا أيها الآلهة، وسوف تعرفون جميعاً
أنكم لو ربطتم حبلاً متيناً من الذهب، وأنزلتموه من السماء العالية
٢٠ وأمسكتم به جميعاً، آلهة وإلهات،
فلن تستطيعوا إنزال زيوس أحكم الحكماء،
من السماء إلى الأرض، حتى لو بذلتم أقصى ما في وسعكم.
ولكن إذا حاولت أنا أن أشده
فسوف أجركم ومعكم الأرض نفسها والبحر.
٢٥ وإذا ما لففت الحبل حول إحدى قمم الأوليمبوس
وربطته فيها، فسوف يظل الكون كله معلقاً.

- بهذا القدر أتفوق أنا على جميع الآلهة والبشر".
هكذا قال واستمع إليه الجميع في صمت
من فرط إعجابهم بحديثه، فقد كان يتحدث بثقة تامة.
وأخيراً تكلمت الربة أثينة، زرقاء العينين وقالت:
٣٠ "يا أبانا يا ابن كرونوس، يا أقوى الآلهة،
إننا نعرف تماماً أن قوتك لا تقهر.
ولكننا رغم ذلك نشعر بالحزن على الرماحين الدانائيين
الذين قد يكون من نصيبهم أن يهلكوا بعد أن فاض بهم الكيل من
سوء المصير. وسوف ننسحب من هذه الحرب، كما أمرتنا ،
٣٥ ولكننا سوف نقدم للأرجيين نصيحة قد تقيدهم،
حتى لا يهلكوا جميعاً بسبب غضبك عليهم".
فأجابها زيوس، جامع السحب، وهو يتنسم بقوله:
"لا تخافى ياطفلتى الحبيبة أثينة تريتوجينيا(*)، فأنا لا أتكلم
٤٠ الآن بصرامة، وإنما لأرغب أن أكون رقيقاً بك".
هكذا قال، ثم ربط إلى عربته خيوله سريعة الركض
ذات الحافر البرونزي والعرف الذهبي الطويل.
ووضع رداءه الذهبي على جسده، وأمسك بسوطه
الذهبي رائع الصنع، وأعتلى عربته
٤٥ وضرب الخيل بسوطه لتنتطق، فشرعت في الركض
وانطلقت بين الأرض والسماء المزينة بالنجوم.
فوصلت إلى جبل إيدا، كثير الينابيع، حاضن الوحوش،
إلى جارجاروس، حيث يوجد مذبحه المقدس الفواح بالعبير.

(*) يشر هوميروس هنا لأثينة بأحد أسمائها وهو (Τριτογενεια) وقد اختلفت وجهات النظر في تفسير معنى هذه الكلمة، فالبعض ينسبها لبحيرة (Τριτωνίς) بليبيا والتي ولدت الربة على مقربة منها، بينما ينسبها البعض الآخر للصفة (Τριτος) أي الثالث. فيقولون إنها ولدت في ثالث يوم من الشهر أو إنها ولدت بعد أبوللون وأرتميس فكانت الطفلة الثالثة.

- وهناك أوقف أبو البشر والآلهة جباهه
 وحل قيودها من العربة، ونشر حولها ضباباً كثيفاً. ٥٠
 وجلس فوق القمة، مزهواً بجلاله
 وهو ينظر إلى مدينة الطرواديين وسفن الآخيين.
 وتناول الآخيون ذوق الشعر الطويل عشاءهم
 في المعسكر على عجل، ثم وضعوا أسلحتهم على أجسادهم.
 وفي الجانب الآخر، كان الطرواديون يسلمون أنفسهم أيضاً في ٥٥
 أنحاء المدينة. كانوا أقل عدداً، بيد أنهم كانوا شديدي الحماس
 للقتال بسبب حاجتهم الملحة للدفاع عن أولادهم وزوجاتهم.
 وعندما فتحت البوابات كلها، اندفع شعب طروادة،
 مشاةً وفرساناً، وارتفعت جلبة شديدة.
 وعندما جاء الجيشان والتقيا في مكان واحد ٦٠
 تصادمت الدروع والرماح مع بعضها البعض، وثار غضب
 المحاربين لابسى الدروع البرونزية. وكانت الدروع ذات الصرة
 في المنتصف تتصادم مع بعضها البعض فتثير الصخب
 والضجيج. واختلطت أصوات النحيب مع صيحات النصر،
 والقائل بالقتيل، وتخضبت الأرض بالدماء. ٦٥
 وبعد الفجر ومع تقدم النهار المقدس ومرور الوقت
 ظلت الرماح تسقط بغزارة على الجانبين، وتوالى سقوط الرجال.
 وعندما صعدت الشمس إلى منتصف السماء،
 أمسك الأب (زيوس) بكفتي الميزان الذهبيتين
 ووضع فيهما مصيرين من الموت الرهيب ٧٠
 واحداً للطرواديين مروضى الخيول، والآخر للآخيين لابسى
 البرونز. وأمسك الميزان من منتصفه ورفع. فسقط يوم موت
 الآخيين، لقد سقطت أقدار الآخيين إلى الأرض وافرة الثمرات،
 بينما ارتفعت أقدار الطرواديين إلى السماء الفسيحة.

- ٧٥ عندئذ أردد (زيوس) بقوة وأرسل البرق من أيدي
 وأسقط نيرانه المشتعلة وسط الأخيين. فلما رأوا ذلك
 ذهلوا وأصابهم الخوف بالشحوب.
 عندئذ لم يجرؤ إيدومينيوس على البقاء، ولا أجامنون
 ولا البطلان الثنائي أياس، خادما أريس.
- ٨٠ وبقي نيسطور الجيريني، حارس الأخيين وحيداً.
 ولم يبق نيسطور برغبته، ولكن جواده كان قد أصيب بجرح
 عندما ضربه ألكسندروس النبيل، زوج هيليني جميلة الشعر،
 في مقدمة رأسه، حيث تنبت الشعيرات الأولى
 في أعلى جبهة الجواد، وهي المقتل.
- ٨٥ وقفز الجواد من الألم عندما دخل السهم في جبهته
 وأثار الارتباك وسط بقية الجياد وهو يتألم من طعنة السهم البرونزي.
 عندئذ ضرب الشيخ الطاعن في السن سيور الجواد الجلدية
 بسيفه فقطعها، ولكن خيول هيكتور السريعة
 جاءت وراءه حاملة قائدًا شجاعًا
- ٩٠ هو هيكتور نفسه. عندئذ كاد الشيخ المسن أن يفقد حياته
 لو لم ينبته إليه بسرعة ديوميديس البارع في صيحة القتال.
 فقد صاح في أوديسيوس بصوت مرعب، واستحثه قائلاً:
- " أوديسيوس يا ابن لائيرتيس، ياسليل زيوس ويا واسع الحيلة
 إلى أين تهرب وسط الحشود مولياً الأديار كالجبان.
- ٩٥ انتبه حتى لا يرميك أحدهم بسهم في ظهرك أثناء هروبك ولتنتظر
 معي حتى ندفع عن الشيخ الطاعن في السن عدوه الشرس بعيداً".
 هكذا قال، ولكن أوديسيوس الإلهي، شديد الجلد لم
 يصغ إليه واندفع مسرعاً إلى سفن الأخيين المجوفة.
 ولكن ابن تيديوس اندفع إلى الصفوف الأولى، رغم أنه كان
 بمفرده ووقف أمام عربة ابن نيلوس المسن
- ١٠٠

وصاح مخاطباً إياه بكلمات مجنحة:

- "أيها الشيخ، لقد ضيق عليك المحاربون الشبان الخناق،
وقد ضعفت قوتك، وتضغط عليك الشيخوخة
بشدة، كما أن تابعك ضعيف وجيادك بطينة.
١٠٥ فلتركب في عربتي حتى تعرف
كيف تكون الجياد الطروادية التي تعرف كيف
تكر وتفر هنا وهناك بسرعة كبيرة في السهل.
فهي التي استوليت عليها ذات مرة من آينياس، الذي يبعث الخوف
في النفوس. إن تابعي سوف يعتنيان بجيادك، ولكن دعنا
١١٠ نطارد بعربتي الطرواديين، مروضى الخيول، حتى يعرف
هيكاتور نفسه أن رمحي أيضاً قد يبلغ حد الجنون في غضبه."
هكذا قال، فأطاعه نيسطور الفارس الجيريني.
أما عن جياد نيسطور، فقد تولى أمرها خادماه
القويان، سثينيلوس ويوريميدون الشجاع
١١٥ بينما ركب اللطلان في عربة ديوميديس
وأمسك نيسطور ببديه أعنة الجياد اللامعة
وضرب الجياد بسوطه، فاقتربت بسرعة من هيكتور،
واندفع ابن تيديوس تجاهه وكله حماس، وصوب سهمه
تجاهه ولكنه أخطأه، وأصاب تابعه الذي يقود عربته
١٢٠ إنيوبوس، بن ثيبايوس، المقدم
والذي كان يمسك بأعنة الجياد، فأصابه في صدره بجوار ثديه.
فسقط من العربة وانحرفت الجياد
سريعة الأقدام جانباً، وفاضت روحه ومات في التو.
وأصاب قلب هيكتور حزن رهيب على سائق عربته،
١٢٥ ولكنه تركه راقداً، ورغم أن الألم كان يعتصر روحه
حزناً على رفيقه، فقد أسرع ليبحث عن سائق آخر شجاع.

- ولم يطل انتظاره، فسرعان ما عثر لجياده على سائق. فقد وجد بسرعة
 أرخبينوليموس، بن إفيثوس، الشجاع وجعله
 يمتطى ليقود جياده سريعة الأقدام، وأعطاه الأعنة في يديه.
 ١٣٠ عندئذ ساد الدمار وحدثت أحداث أليمة.
 وكادوا يحبسون في إليون كالأغنام
 لو لم يرهم أبو الآلهة والبشر بسرعة.
 فقد أرعد بعنف وأنزل أسنة البرق،
 فسقطت على الأرض أمام جياد ديوميديس.
 ١٣٥ واشتعلت أسنة اللهب التي بعث بها الإله بقوة
 فأصاب الرعب الجياد وانكشفت، وهي ترتعد تحت العربة.
 وأصاب الرعب نيمتور، فأفلتت أعنة الجياد اللامعة من يديه
 فأصاب الحزن قلبه، وصاح مخاطبًا ديوميديس
 " تعال يا ابن تيديوس ولتستدر بجيادك الأصيلة طلبًا للهروب.
 ١٤٠ ألا ترى أن زيوس لا يؤيدك بنصره، فإن زيوس بن كرونوس
 يهب اليوم مجده لهذا الرجل عدونا، وقد يمنحنا المجد فيما بعد
 إذا كانت هذه هي مشيئته. فلا يوجد بشر مهما بلغت
 قوته يمكنه أن يتحدى إرادة زيوس، فإنه أقوى الجميع ".
 ١٤٥ فأجابه ديوميديس الجارح في صيحة القتال قائلاً:
 " سيدى إن كل ما تقوله صحيح تمامًا.
 ولكن الحزن الرهيب يخيم على قلبي وروحي.
 لأن هيكتور سوف يقول ذات يوم وسط الطرواديين:
 لقد هرب ابن تيديوس، ذات يوم، إلى السفن خوفًا منى .
 ١٥٠ هكذا سوف يتفاخر ذات يوم. فلنبتلعنى الأرض الواسعة قبل ذلك "
 عندئذ أجابه نيمتور الفارس الجيريني قائلاً:
 " آه مما قلته يا ابن تيديوس الحكيم،

- فحتى إذا وصمك هيكتور بالجبن والضعف،
 فلن يصدق الطرواديين والداردانيون كلامه
 ١٥٥ ولا زوجات المحاربين الشجعان اللاني
 مرغت في التراب أزواجهم، وهم في عنفوان شبابهم".
- هكذا قال، ثم أدار جياده القوية وحيدة الحافر، لكي يهرب
 من خضم الاقتتال، بينما واصل الطرواديين وهيكتور
 قذفه يوابل من السهام الموجهة، وهم يصيحون في جلبة شديدة.
 ١٦٠ وخاطبه هيكتور العظيم، ذو الخوذة اللامعة، قائلاً بصوت عال:
 "يا ابن تيديوس لقد كان الدانائيون، ذوو الجياد السريعة،
 يكرمونك في مجالسهم، ويقدمون لك اللحوم والكنوس المترعة.
 أما الآن فإنهم سوف يحتقرونك. فإن شجاعتك لا تزيد عن
 شجاعة النساء. اذهب أيها النمية القميئة (الفناء للتافهة)، فلن
 ١٦٥ أستسلم ولن أدعك تعنتي أبراجنا، ولن تحمل نساءنا
 أبداً في سفنك، وسأرديك صريعاً في القريب العاجل".
- هكذا قال، فتردد ابن تيديوس بين أمرين:
 فإما أن يهرب بجياده أو يحاربه وجها لوجه.
 ثلاث مرات تردد عقله وترددت روحه،
 ١٧٠ ولكن زيوس المدير، أُرعد ثلاثاً من جبال ايدا. معطيًا إشارة
 للطرواديين بأن مجرى الأمور في القتال يسير لصالحهم.
 فصاح هيكتور في الطرواديين واستحثهم بصوت عال قائلاً:
 "أيها الطرواديين والليكيون وأيها المقاتلون الداردانيون
 كونوا رجالاً يا أصدقائي، وتذكروا شجاعتكم الفائقة،
 ١٧٥ فأبني أشعر أن ابن كرونوس يوميء لي بنية طيبة
 وسوف يمنحني النصر والمجد العظيم، والدمار للدانائيين.
 يا لهم من سذج، فقد شيدوا هذه الحوائط

- الضعيفة التي لا تستحق النظر إليها، والتي لن تصمد أمام قوتنا.
 إن خيولنا سوف تعبر بسهولة فوق خندقهم الذى حفروه.
- ١٨٠ ولكن إذا ذهبنا إلى حيث توجد سفنهم المحجوة
 فلا تنسوا إحضار شعلات النار الحارقة
 حتى أضرم النيران فى السفن، وأقتل هؤلاء
 الأرجيين عندما يقفون مشدوهين بجانب سفنهم بسبب الدخان".
- هكذا قال، ثم صاح فى جياده قائلاً:
- ١٨٥ " هيا يا كسانثوس ويا يودارجوس ويا أيترون ويا لامبوس القرى
 إنكم مدبنون لى على ما أوليته لكم من رعاية.
 فإن أندروماخى، ابنة إينيتيون الجسور،
 قدمت لكم بقلبها المعسول اللذيذ، ووضعت أمامكم
 الخمر الممزوجة لتشربوا منها، كلما هفت نفوسكم للشراب.
 أو تضعها أمامى، أنا الذى أزهو بأننى زوجها الهمام،
 ١٩٠ فلتسرعوا فى مطاردة نيبستور، حتى يمكننا أن نستولى
 على درعه، ذلك الدرع الذى بلغ صيته السماء
 والمصنوع كله من الذهب، حتى قضبانه واقية الذراع.
 وحتى نخلع عن كتفى ديوميديس، مروض الحجاد،
 ١٩٥ درع الصدر المزخرف الذى صنعه له هيفايستوس.
 فإذا ما أمكننا الاستيلاء عليه فسوف يراودنى الأمل
 فى أن الآخرين سوف يبحرون فى سفنهم السريعة هذه الليلة".
- هكذا قال بتفاخر، ولكن هيرا المبجلة كانت غاضبية،
 وكانت تهتز فى عرشها، فجعلت الأوليمبوس الشاهق يرتجف.
 ٢٠٠ ثم خاطبت الإله بوسيدون العظيم قائلة:
- " ويحى يا مزلزل الأرض يا واسع السلطان.
 ألا تتألم روحك داخل صدرك لمصير الدانائيين الذين يهلكون،

- رغم أنهم كانوا يحملون الهدايا إلى هيليكي وأيجاي^(٦) من أجلك،
هدايا كثيرة وجميلة، ألا تريد لهم النصر ؟
- ٢٠٥ فلو أمكننا، نحن الذين نناصر الدانائيين،
أن نطرد الطرواديين ونعرقل خطط زيوس، واسع الأفق،
لجلس وحيداً يبكي فوق جبل ايدا^(٧).
- فانزع مزئزل الأرض القوى من كلماتها ورد قائلاً:
" هيرا، ما هذه الكلمات الجريئة التي تتفوهين بها !
٢١٠ إننى لا أرب مهما كان الأمر فى شئ حرب ضد زيوس، بن
كرونوس. سواء نحن بمفردنا أو مع الآخرين، حيث إنه الأقوى ".
هكذا خاطب كل منهما الآخر.
- وكانت كل المسافة بين السفن والخندق مكتظة
بالجياذ والمحاربين على حد سواء
- ٢١٥ وقد حبسهم بداخلها شبيه الإله أريس،
هيكاتور بن برياموس الذى منحه زيوس المجد،
حتى كاد أن يضرم النيران الحارقة فى السفن، متينة الاتزان،
لو لم تلهم هيرا الميجلة عقل أجاممنون
أن ينهض ليحث الآخيين بسرعة.
- ٢٢٠ فذهب إلى حيث توجد خيام الآخيين وسفنهم
ويده القوية حمل عباءته الأرجوانية الفضفاضة،
ووقف بجوار سفينة أوديسيوس السوداء الضخمة،
والتي تقف فى المنتصف، حتى يصل صوته إلى كلا الاتجاهين،
إلى خيام أياس التيلامونى على هذا الجانب،
٢٢٥ وإلى خيام أخيلئوس على الجانب الآخر. فقد سحبوا سفنهم القوية
متينة الاتزان إلى أقصى الطرفين معتمدين على شجاعتهم

(٦) هيليكي وأيجاي مدينتان فى آخايا. (المعرد)

- وقوة أيديهما، وبصيحة شقت الفضاء صاح في الدانائين قائلاً:
- يا للعار ! عليكم اللعنة أيها الأرجيون يامن لا تملكون سوى
المظهر الحسن. أين ذهب تفاخركم عندما كنتم تعلنون أننا الأشجع
٢٣٠ مثلما كنتم تتفاخرون بزهو في ليمنوس:
- وانتم تلتهمون الكثير من لحم الثيران صغيرة السن،
وتشربون الكنوس المترعة بالخمير حتى حافتها،
وتدعون أن كل واحد منكم يعادل في القتال مائة أو مائتين
من الطرواديين. بينما لا تعادل جميعاً الآن رجلاً واحداً
٢٣٥ هو هيكتور، الذي سرعان ما سيضرم النيران الحارقة في
سفننا. أبانا زيوس، هل يوجد أحد من الملوك العظام
أغرقته في الحيرة وسلبته ملكه العظيم مثلي ؟
رغم أنني لم أمر مطلقاً بسفينتي ذات المقاعد الكثيرة
بأى من مذابحك الجميلة بأى مكان في الأرض
٢٤٠ إلا وأحرقت فيها من أفخاذ الثيران السمينة
متضرعاً أن تمكننا من تدمير طروادة، منيعة الأسوار .
فلتحقق لى يا زيوس هذا الرجاء
ولتمكنا أن نهرب وننجو بحياتنا.
ولا تسمح يا أبانا للطرواديين أن يقتلوا الآخيين بهذه الصورة ".
٢٤٥ هكذا قال، فشعر الإله الأب بالشفقة عليه، وهو يذرف الدمع
الغزير، فأوماً بالموافقة على إنقاذ شعبه حتى لا يفنى.
وفى الحال، أرسل نسرًا، علامة زيوس المؤكدة بين الطيور،
يمسك بمخالبه ظلياً صغيراً، وليد غزالة سريعة،
وأسقط النسر الظلي على مذبح زيوس فائق الجمال،
٢٥٠ حيث كان الآخيون يقدمون القرابين لزيوس، سيد كل النبوءات.
وعندما تأكدوا أن الطائر مرسل من لدن زيوس
هجموا بسرعة على الطرواديين وعاودهم الحماس للقتال.

- عندئذ، لم يستطع واحد من قادة الدانائيين، رغم كثرة عددهم، أن يتفاخر بأنه سبق جيباد ابن تيديوس السريعة
- ٢٥٥ في عبور الخندق وفي منازلة الأعداء وجهاً لوجه. وكان هو بالفعل أول من قتل أحد المحاربين الطرواديين، أجيلأوس بن فرادمون، الذي كان قد استدار بجياده طلباً للفرار، ولكنه ما كاد يستدير حتى غرس ابن تيديوس الرمح في ظهره في منتصف المسافة بين كتفيه. فنفذ الرمح إلى صدره
- ٢٦٠ وسقط من فوق عربته، وسقطت أسلحته فوقه وهي تجلجل. وجاء بعده أجاممنون ومينيلأوس، ولدا أتريوس
- ثم جاء البطلان الثنائي أياس وهما يتدثران بشجاعتهما. ربعهما إيدومينيوس، ورفيقه في الحرب
- ميريونيس، نظير إنيالبيوس، قاتل الرجال.
- ٢٦٥ وجاء بعدهم يوريبيلوس، بن يوايمون الشجاع وكان تساعهم تيوكروس الذي جاء رافعاً قوسه المعقوف، ووقف في حمى درع أياس التيلاموني.
- وكان أياس يرفع درعه للأمام عاليًا، بينما يقوم البطل باستطلاع الأمر ثم يصبو سهمه تجاه واحد
- ٢٧٠ من الأعداء فيسقط في الحال ويلفظ أنفاسه. ثم يذهب على الفور إلى أياس كطقل يرتدى في صدر أمه، فيحميه بدرعه اللامع.
- فمن أولاً بين الطرواديين قتل تيوكروس النبيل ؟
- لقد سقط أورسيلوخوس أولاً، ومن بعده أورمينوس، ثم أوفيلستيس،
- ٢٧٥ ثم دابتور، فخروميوس، ثم ليكوفونتيس، شبيهه الآلهة ، ثم أموباؤن بن بولنيأيمون، ثم ميلانيبيوس.
- لقد جعلهم تيوكروس جميعاً يتمددون على الأرض، كثيرة الخيرات. ولقد انشرح صدر أجاممنون، ملك الرجال، وهو يراء

- يشيع الفوضى في صفوف الطرواديين بقوسه العتيد.
 ٢٨٠ فاقترب منه ووقف بجانبه وخاطبه قائلاً:
 "أيها الحبيب إلى قلبي، تيوكروس بن تيلامون، قائد الشعوب
 واصل إطلاق سهامك هكذا، حتى يكون ثمة بارقة أمل للدانائيين
 ولو ذلك تيلامون، الذي رباك وأنت طفل صغير
 وكان يحملك، وقام بتسئتك في منزله رغم أنك كنت ابناً غير شرعي.
 ٢٨٥ فسوف تجلب له الشهرة رغم وجوده على مسافة بعيدة منك.
 إنني أعلن لك ما سوف يحدث،
 فإذا ما مكنتي زيوس، حامل الدرع أيجيس، وأثينة
 من تدمير مدينة إليون، مقبنة البنيان
 فسوف أضع جائزة الشرف بين يديك،
 ٢٩٠ التي قد تكون مقعداً ثلاثياً أو زوجاً من الجياد ومعهما عربية،
 أو امرأة تشاركك فراشك".
 فرد عليه تيوكروس النبيل بقوله:
 "يا ابن أتريوس صاحب الجلالة، لماذا تحتني على ما أنا
 متحمس له بالفعل؟ فإني لن أتراجع طالما بقيت قوتي
 ٢٩٥ فلم أتوقف عن القتال، منذ دفعناهم إلى داخل إليون
 ولم أترك فرصة واحدة لقتل الرجال بسهامي.
 فقد صوبت ثمانية سهام ذات رموس مدبية،
 أصابت كلها أجساد محاربين أقوياء يتميزون بالسرعة في
 الحرب. ولكنني رغم ذلك، لا أستطيع إصابة ذلك الكلب الهائج".
 ٣٠٠ هكذا قال، ثم قذف سهماً آخر من جعبة سهامه
 في اتجاه هيكتور، وقلبه يهفو لإصابته.
 ولكن السهم أخطأه وأصاب جورجيثيون الذي لا مثيل له،
 ابن برياموس النبيل، واستقر السهم في صدره.

- جورجيثيون الذى أنجبته أمه كاستيانيرا الجميلة، من مدينة
 ٣٠٥ أبيسمى والتي تشبه الرباط فى هيئتها بعد زواجها (من
 برياموس). وكما تضع زهرة الخشخاش، الموجودة فى الحديقة،
 رأسها على أحد الجانبين بسبب ثقل ما تحمله من ندى الربيع،
 هكذا مالّت رأسه جانبا بسبب ثقل خوذته.
 ومرة أخرى سدّد تيوكروس تجاه هيكتور
 ٣١٠ سهما من جعبة سهامه، فهكذا أمره قلبه.
 ولكنه أخطأ مرة أخرى. فقد جعل أبوللون السهم يحيد عن هدفه،
 فأصاب السهم أرخبيتوليموس، سائق عربة هيكتور الشجاع،
 فى صدره بجانب ثديه، وهو يسرع وسط معمعة القتال.
 فسقط من فوق العربة، وتراجعت الخيول
 ٣١٥ سريعة الأقدام. وفى الحال خارت قوته وفاضت روحه.
 وامتلاً قلب هيكتور بحزن موجع على سائقه،
 ولكنه تركه مسجى هناك رغم شدة حزنه عليه.
 وأمر شقيقة كيبيريونيس، الذى كان موجودا على مقربة منه،
 أن يمسك بأعنة الجياد، فأطاعه فور سماع أمره.
 ٣٢٠ أما هو فقد قفز من عربته اللامعة إلى الأرض.
 وصاح صيحة مرعبة. ثم أخذ بيده حجرا
 واندفع تجاه تيوكروس يريد مهاجمته.
 ولكن تيوكروس جذب سهما حادا من جعبة سهامه
 ووضعها على وتر قوسه، وبينما هو يسحب السهم للخلف
 ٣٢٥ ضربه هيكتور، ذو الخوذة اللامعة، فى كتفه، حيث تفصل عظمة
 الترقوة العنق عن الصدر، وحيث المقتل.
 لقد ضربه، أثناء اندفاعه تجاهه، بحجر مدبب
 ففطع الوتر، وأصيبت يده بالشلل من عند المعصم.
 فتوقف ثم سقط على ركبتيه، وسقط السهم من يده.

- ٣٣٠ ولم يكن أباس غافلاً عن سقوط أخيه،
فجرى وأحاطه بدرعه ليحميه
وقام اثنان من رفاقه المخلصين برفعه،
هما ميكيسنتيوس بن إخبوس وألاستور المجيد،
وحمله إلى السفن المجوفة، وهو يئن ويتوجع.
- ٣٣٥ عندئذ بعث الأوليمبي (زيوس) الحماس في نفوس
الطرواديين مرة أخرى، فدفعوا الآخيين في الحال في اتجاه الخندق
العميق. ووقف هيكتور في مقدمة المحاربين وهو يئنه زهوا
بقوته. ومثلما يطبق أحد الكلاب السريعة فكيه على خنزير برى
أو أسد ويغرس فيه أسنانه من الخلف، وهو يطارده بسرعة
ويمسك به من ردفه أو فخذيه وهو يراقبه عن كثب أثناء دورانه.
- ٣٤٠ هكذا كان هيكتور يتعقب الآخيين ذوى الشعر الطويل
ويقتل منهم من كان فى للمؤخرة، فيفرون منه مذعورين.
وكانوا يعبرون التحصينات والخندق
أثناء هروبهم، فقتل كثير منهم بأيدى الطرواديين.
- ٣٤٥ وبعد تراجعهم، مكثوا بجوار سفنهم
ينادى بعضهم البعض، ويصلى كل منهم
لجميع الآلهة رافعاً يديه فى ضراعة .
وكان هيكتور يجول هنا وهناك بجياده جميلة العرف
وهو ينظر بعيون أشبه بعيون الجورجونة. أو آريس مدمر
البشر. وعندما نظرت إليهم الربة هيرا، بيضاء الذراعين، أشفتت
عليهم وعلى الفور خاطبت أثينة بكلمات مجنحة قائلة:
- " يا للعار، ألا يجب علينا، يا ابنة زيوس حامل الدرع أحييس،
أن نفكر، ولو للمرة الأخيرة، فى الدانائيين
الذين يعانون من القدر القاسى وقد يهلكون الآن
بسبب هجوم رجل واحد، هو هيكتور بن برياموس
- ٣٥٥

- الذى يثور الآن بطريفة لا يمكن احتمالها
والذى ارتكب الكثير من الشرور". فأجابتها الربة أثينة،
زرقاء العينين، بدورها قائلة:
"حقاً، كم تمنيت أن يفقد قوته وروحه
فى أرض وطنه أو يموت بيد أحد الأرجيين.
ولكن أبى غاضب ولا يضمن (لاينوى) خيراً
فهو يخيب آمالى، كما أنه أثم وقاسى
ولا يتذكر أننى كثيراً ما أنقذت
أبنة (هرقل) من الأعمال القاسية
التي فرضها عليه يوريسثوس. فكثيراً ما كان
ينتخب وهو ينظر للسماء، فكان زيوس
يرسلنى من السماء، لمساعدته.
" ولو كنت قد أدركت ذلك بعقلى الحكيم
عندما أرسله إلى مملكة هاديس،
كى يخرج (يقود) كلب هاديس الكريه حارس البوابات من
إريبوس^(*). ما كان ليستطيع الهروب من نهر ستيكس شديد
الانحدار. ولكنه بكرهنى الآن، ويستجيب لرغبات تيتيس.
التي قبلت ركبته وأمسكت ذقنه بيدها
وتوسلت إليه أن يمنح المجد لأخيلوس، مدمر المدن.
و لكن سوف يأتى وقت ينادينى فيه مرة أخرى بحبيبتى زرقاء
العينين. والآن، فلتنجى جيانا السريعة (ذات الحافر الواحد)
حتى أدخل أنا إلى قصر زيوس، حامل الدرع أيجيس
وأتسلح بأسلحة الحرب، وسوف نرى عندئذ
إذا كان هيكتور، بن برياموس، ذو الخوذة اللامعة

(*) إريبوس Erebus: مكان يوجد فى ظلمة العلم السفلى . فرق هاديس ويستخدم فى التشبيهات للدلالة على الإظلام الشديد.

- سوف يُمَرّ بظهورنا عند خطوط القتال
 أم أن أحد الطرواديين سوف يملأ بطون الكلاب والطيور
 الجارحة باللحم والدهن، بعد أن يسقط صريعاً بجوار سفن الأخيين". ٣٨٠
 هكذا قالت، فأطاعتها الربة هيرا، بيضاء الذراعين.
 وأسرعت الإلهة المبجلة هيرا ابنه كرونوس العظيم
 وأعدت الجياد ذات الجبهة الذهبية.
 بينما كانت أثينة ابنة زيوس حامل الدرع أيجيس
 تدع طيات ثوبها الرقيق رائع الزينة تقع على عتبات والدها. ٣٨٥
 ثوبها الذى صنعته وطرزته بيدها،
 ثم وضعت على جسدها عباءة زيوس جامع السحب.
 وسلحت نفسها استعداداً للحرب، التى تُدْرَف فيها الدموع.
 ثم صعدت إلى العربة البراقة، وأمسكت برمحتها
 الثقيل، القوى والكبير، الذى قتل صفوفاً من الرجال
 الصناديد، إذا ما غضبت عليهم ابنة الأب الجبار. ٣٩٠
 وبسرعة ضربت هيرا الجياد بالسوط
 فانفتحت بوابات السماء من تلقاء نفسها البوابات التى كانت
 تحرسها الهوراي فقد عهد إليهن بحراسة السماء
 الفسيحة والأوليمبوس، وأن تفرق السحب الكثيفة، وأن تجمعها معاً. ٣٩٥
 وقادت الإلهتان خيولهما التى يحثها المهماز.
 ولكن الأب زيوس رأهما من فوق إيدا فتملكه غضب شديد،
 وأرسل إيريس، ذهبية الجناحين، لكى تبلغهما رسالته:
 " فلنذهبي، أيتها السريعة إيريس. ولتعديهما مرة أخرى
 ولا تجعليهما يأتیان لمقابلتى، فليس من المفيد أن نتعارك معاً. ٤٠٠
 ولتعلمى أن ما أقوله الآن سوف أجمعه يتحقق.
 فسوف أعيق جيادهما السريعة عن التحرك بالعربة،
 وسوف أذف بهما من فوق مقعديهما إلى خارج العربة

- ولن يكفى مرور عشر سنوات متوالية
 ٤٠٥ لشفاء الجروح التى سوف تسببها لهما الصواعق.
 حتى تعرف زرقاء العينين ماذا يعنى أن تدخل فى حرب مع
 أبيها. أما هيرا، فإننى لا أغضب منها، ولا أحنق عليها بالقدر نفسه،
 فقد اعتادت معارضتى دائماً وإجباط كل ما أنوى فعله".
 هكذا قال، فنهضت إيريس سريعة القدمين، حاملة رسالته
 ٤١٠ وذهبت منطلقة من إيدا إلى الأوليمبوس شاهق الارتفاع.
 وعند بوابات الأوليمبوس الأمامية، ذلك الجبل كثير الثنيات،
 التقت بهما فأوقفتهما، وأبلغتهما رسالة زيوس وقالت:
 "إلى أين تتدفعان؟ لماذا أصاب الجنون قلبكما داخل صدريكما؟
 إن ابن كرونوس لن يسمح بتقديم المساعدة للأرجيين.
 ٤١٥ لقد هدد ابن كرونوس بالآتى وسوف ينفذ وعيده،
 فسوف تعيق للهوراى جياذكما السريعة عن التحرك بالعربية
 ولن يكفى مرور عشر سنوات متوالية
 لكى تشفى جروحكما التى سوف تسببها لكما صاعقته
 ٤٢٠ حتى تعرف زرقاء العينين ماذا يعنى أن تدخل فى حرب مع
 أبيها. أما هيرا، فإنه لا يغضب منها، ولا يحنق عليها بالقدر نفسه
 فقد اعتادت معارضته دائماً وإجباط كل ما ينوى فعله.
 وسوف تكونين بشعة للغاية، أيتها الكلبة الوقحة، إذا ما
 تجرأت على رفع سهمك الضخم فى وجه زيوس".
 ٤٢٥ هكذا قالت إيريس سريعة القدمين ثم رحلت.
 فوجهت هيرا حديثها لأثينة قائلة:
 "ويحى يابنة زيوس، حامل الدرع أيجيس، فإننى لا أوافق
 مطلقاً على الدخول فى حرب ضد زيوس من أجل البشر.
 فليهلك هذا وليعيش ذلك،

- ٤٣٠ كل حسب حظه، وليحدد زيوس ما يشاء،
ما يقرره للطروانيين وللدانائيين، حسب ما يتلاءم معه."
هكذا قالت، ثم استدارت عائده بجيادها السريعة.
وفكت الهوراي لجام الجياد، جميلة العرف
وربطتها لتأكل من المعلق المليء بالطعام الإلهي الأمبروسيا.
- ٤٣٥ وأسندت العربة على الجدار الداخلي اللامع.
بينما جلست الربتان على عرشيهما الذهبي
وسط الآلهة الآخرين، وقلباهما مفعمان بالأسى؟؟
ومن إيدا قاد الإله زيوس عربته متينة العجلات وجياده
إلى الأوليمبوس، وعندما وصل إليه اتخذ مجلسه بين الآلهة.
- ٤٤٠ وقام مزلزل الأرض النبيل بفك الخيول من لجامها
ووضع العربة في مربطها ونشر فوقها الغطاء الكتاني،
بينما جلس زيوس بعيد النظر فوق عرشه الذهبي،
ومن تحت قدميه، كان الأوليمبوس الضخم يهتز.
وجلست أثينة وهيرا بمفردهما بعيدا عن زيوس،
- ٤٤٥ لم تتبادلا الحديث معه، ولم تسألاه عن شيء
ولكنه كان يدرك ذلك في قرارة نفسه، فخاطبهما قائلاً:
"ماذا يحزنكما هكذا يا أثينة وهيرا؟
من المؤكد أنكما لم تتعبا من القتال الرهيب،
ومن قتل الطرواديين، إذ إنكما تحقدان عليهما حقاً رهيباً.
- ٤٥٠ وعلى أية حال فطالما أملك القوة، وطالما بداي لا تقهران
فلن يثني عن عزمي جميع الآلهة الموجودين فوق الأوليمبوس،
على كثرتهم. لقد استولى الرعب على أطرافكما اللامعة
حتى قيل أن تريا الحرب وأعمالها المروعة.
ولذلك فإني أقول، وهو ما كنت سوف أنفذه،
إذا كانت الصاعقة قد أصابت عربتيكما
- ٤٥٥

لما أمكنكما العودة مرة أخرى إلى الأوليمبوس، مقر الآلهة".

هكذا قال، وتمتعت أثينة وهيرا،

اللذان كانتا تجلسان متجاورتين وهما تدبران المصائب

للطرواديين. وظلت أثينة صامتة ولم تنبس بكلمة

٤٦٠ رغم غضبها الشديد من أبيها زيوس.

أما هيرا فلم تشعر بمثل هذا الغضب في صدرها، فخاطبته قائلة:

"يا بن كرونوس، يا أكثر الآلهة مهابة، أى حديث هذا الذى تقوله

إننا نعرف جيداً أن قوتك لا تقهر.

ولكننا نشعر بالشفقة على الرماحين الدانائيين

٤٦٥ الذين يخرون صرعى ويلقون مصيراً سيئاً.

وسوف ننسحب من القتال، إذا كانت هذه هى أوامرك.

ولكننا سوف نمضى للنصح للأرجيين، ربما يستفيد به أحدهم،

فلا يهلكون جميعاً بسبب غضبك".

فأجابها زيوس، جامع السحب بقوله:

٤٧٠ "فى الصباح، سوف تشاهدين ابن كرونوس أقوى الجميع

ياعزيزتى هيرا ذات للعيون الواسعة (كعيون المها)، إذا ما

رغبت، وهو يفنى جيش المحاربين الأرجيين الكبير.

لن ينسحب هيكتور القوى من الحرب قيل

أن ينهض ابن بيلبوس سريع القدمين بجانب السفن،

٤٧٥ وفى اليوم نفسه سوف يدخلان، بالقرب من مقدمة السفن،

فى صراع رهيب حول جسد باتروكلوس بعد موته.

فهكذا قدرت الآلهة، ولن يزعجنى غضبك

مطلقاً، حتى لو ذهبت إلى أقصى حدود الأرض،

سواء على البر أو فى البحر، حيث يقم يابيتوس وكرونوس

٤٨٠ حيث لا يستمتعون بفجر هيلبوس هيبيريون

- ولا بالهواء (بالرياح). حيث يفهم ظلام تارتاروس السحيق.
فحتى لو ذهبت إلى هناك في تجوالك، فلن
أحفل بغضبك، فلا يوجد من هو أكثر خزيًا منك".
- هكذا قال، ولم ترد عليه هيرا بيضاء الذراعين.
٤٨٥ وسقطت أشعة الشمس اللامعة في المحيط (الأوكيانوس)
الذي أسدل الليل الأسود فوق الحقول الممطرة.
فاختفى ضوء النهار على غير رغبة الطرواديين، ولكنه لقي
ترحابًا من الأخيين، الذين صلوا ثلاث مرات لمجيء الليل المظلم.
- وعقد هيكتور المجيد اجتماعًا للطرواديين
٤٩٠ بعد أن قادم من السفن بجوار البحر الهادر.
إلى ساحة رحبة، حيث لا تتكس الجثث،
نزلوا من فوق خيولهم إلى الأرض واستمعوا إلى الحديث
الذي ألقاه هيكتور، حبيب زيوس. وفي يده
كان يمسك برمحه الذي يبلغ طوله أحد عشر ذراعًا، وأمامه
٤٩٥ كانت تلمع رأس الرمح البرونزي، الذي كانت تحيط به حلقة من
الذهب. وثبت هيكتور رمحه في الأرض وخاطب الطرواديين قائلاً:
"فلتسمعوني أيها الطرواديون والداردانيون والحلفاء،
لقد كنت أعتقد أننا سوف ندمر السفن وجميع الأخيين الآن
ونعود على الفور إلى إيون ذات الرياح العاصفة.
٥٠٠ ولكن ظلمة الليل هبطت. فأنقذت
الأرجبيين وسفهم للرأسية على شاطئ البحر.
فدعوتنا الآن نستسلم لليل المظلم
ولنجهز عشائنا. ولنحل قيود الجياد، جميلة العرف،
من العربات، ونضع أمامها الكثير من العلف.
٥٠٥ ولتحضروا من المدينة الثيران والأغنام السمينة

- بسرعة، ولتجلبوا النبيذ اللذيذ
والقمح من منازلكم، ولتجمعوا الكثير من الخشب
حتى تشعل النيران الكثيرة طوال الليل
إلى أن يظهر الفجر، ابن الصباح، وليصل لهب النيران إلى السماء
٥١٠ حتى لا يتمكن الآخيون، ذوو الشعر الطويل، أثناء الليل
من الهرب ويشرعون في الإبحار إلى عرض البحر.
فلا تدعوهم يركبون سفنهم دونما قتال
ولكن يجب أن ينال كل منهم رمية رمح
فيذهب إلى وطنه مصابًا بطعنة من رأس رمح حاد،
٥١٥ وهو يقفز إلى سفينته، حتى يحجم أى شخص آخر
أن يشن الحرب المؤلمة على الطرواديين، مروضى الخيول.
وليعلم المنادون، أحياء زيوس، فى أنحاء المدينة
أن على الشباب والشيوخ
أن يتخذوا مواقعهم فى الأبراج التى بنتها الآلهة حول المدينة.
٥٢٠ أما بالنسبة للأمهات المرضعات، فعلى كل واحدة منهن
أن تشعل نارًا عظيمة فى منزلها، وتكن الحراسة يقظة
حتى لا يدخل كمين إلى المدينة فى غياب المحاربين.
ليكن الأمر كما قلت أيها الطرواديون الشجعان.
ولئننى أمل أن يكون حنيثى الذى قلته الآن صحيحًا.
٥٢٥ وسوف أعلنه عند الفجر لبقية الطرواديين، مروضى الخيول.
وإننى أصلى متضرعًا لزيوس وللآلهة الآخرين
أن تطرد من أرضنا هؤلاء الكلاب
الذين سوف تحملهم أقدارهم فوق سفنهم السوداء
ومع ذلك سوف لا تغفل الحراسة طوال الليل
٥٣٠ وعند الفجر فى الصباح سوف نسلح أنفسنا
ونشن حربًا شرسة بجوار السفن المجوفة.

- وسوف أرى ما إذا كان ديوميديس، بن تيديوس، القوى
سوف يدفعني إلى الحائط بعيداً عن السفن، أم أنني
سوف أمزقه بسلاحى البرونزى وأسلبه أسلحته المملوطة بالدماء.
٥٣٥ سوف يحدد الغد مدى شجاعته وما إذا كان فى إمكانه
الصمود أمام، هجمة رمحى، أم أنه سوف يرقد،
كما أمل. جريحاً فى الصفوف الأولى وحوله العديد من رفاقه.
وذلك عندما تشرق شمس الغد. فليتنى أتيقن
من أنني سأكون خالداً ولن أعانى من الشيخوخة
٥٤٠ و أننى سوف أكون مبعثراً مثل أثينة وأبوللون
مثملاً أنا متأكد الآن أن الغد سوف يحمل البلاء للأرجيين".
- هكذا قال هيكتور، وصاح الطرواديين عالياً،
ثم رفعوا النير عن الجياد المبللة بالعرق،
وربطوا كل واحد منها بسيور جلدية إلى عربته.
٥٤٥ ومن المدينة جلبوا الثيران والأغنام السمينة
بسرعة، وأحضروا النبيذ اللذيذ
والقمح من منازلهم، كما جمعوا أخشاباً كثيرة.
ومن السهل رفعت الرياح رائحة شواء القرابين إلى السماء.
٥٥٠ وسهروا الليل بطوله، وهم يفكرون فى أمور عظيمة،
بجوار خنادق القتال، وأشعلوا الكثير من النيران أمامهم.
وكما تلمع النجوم المتأقّة حول القمر
فى السماء، عندما يكون الهواء عليلاً
٥٥٥ فتظهر قمم الجبال كلها والأراضى المرتفعة
والوديان كثيفة الأشجار، ومن السماء ينساب الأثير الرائع
فيرى المرء النجوم جميعها، ويتهلل قلب الراعى،
٥٦٠ هكذا أشعل الطرواديين، فيما بين السفن وروافد نهر كسانثوس،
الكثير من النيران التى كانت تتألق أمام إليون .

لقد أشعلت آلاف النيران في السهل، وبجانب كل
شعلة من النيران المتأججة، جلس خمسون رجلاً.
وكانت الجياد تأكل الشعير الأبيض والحبوب وقد وقفت ساكنة
بجوار العربات في انتظار ظهور ربة الفجر، ذات العرش والبهاء.

الكتاب التاسع



ترجمة منيرة كروان

- هكذا واصل الطرواديين الحراسة، ولكن الرعب
 الإلهي، رفيق الخوف الذي يجمد الأطراف، أصاب
 الأخيين، وتملك حزن يفوق الاحتمال جميع القادة.
 وكما تهب الرياح الشمالية (بورياس) والغربية (زيفيروس)،
 القادمة من طراقيا، على البحر الملىء بالأسماك،
 ٥ فتتهيج أمواجه وفي الوقت نفسه، تندفع موجة داكنة،
 على حين غرة وتجرف معها إلى الشاطئ الكثير
 من الأعشاب البحرية، هكذا هاجت روح الأخيين داخل
 صدورهم. وقد أصاب قلب ابن أتريوس ضيق عظيم،
 فكان يروح جيئة وذهابا، وأمر المنادين نوى الصوت
 ١٠ الواضح أن يدعوا كل فرد بالاسم لحضور الاجتماع،
 وألا يصيحوا بصوت عال. بينما تولى هو دعوة القادة.
 ويقلوب كسيرة جلسوا في الاجتماع، ونهض أجامنون
 وهو يذرف الدمع الغزير مثل نافورة
 ١٥ تصب مياهها قائمة اللون من فوق صخرة منحدرية،
 وخاطب الأرجيين وهو يئن بشدة قائلاً:
 " أيها الأصدقاء، يا زعماء الأرجيين وقادتهم
 لقد أوقعتني زيوس، بن كرونوس، ذلك القاسي، في حرج كبير
 فقد أعلن موافقته ووعدني بالأشق طريقى للوطن قبل تحطيم إليون
 ٢٠ الحصينة تماما. أما الآن فقد خطط لخيانة مخجلة، إذ يأمرني
 أن أعود إلى أرجوس مجللاً بالعار، لأننى حطمت
 شعوباً عديدة. رغم أن زيوس، أقوى الآلهة، يجد
 متعة فى ذلك، لقد حطم قلاع مدن عديدة من قبل،
 ٢٥ وسوف يحطم غيرها بالتأكيد، لأنه أقوى سلطة.

ولكن هيا بنا ولنحاول إقناع الجميع بما أقول،
فلنهرب بسفننا إلى أرض وطننا الحبيبة،
لأننا لن نستولى على طروادة، فسيحة الطرقات ، أبداً".
هكذا تحدث، واستمع إليه الآخرون فى صمت.

٣٠ وظل أبناء الآخيين فى صمتهم طويلاً بسبب حزنهم
الشديد. وبعد وقت طويل، تحدث نيوميديس، البارع فى
صيحة القتال، قائلاً:

" يا ابن أتريوس، سوف أجادلك أولاً فيما قلته من حماقة،
فلا تغضب يا سيدى، فذلك سنة مجلسنا.

٣٥ فى البداية، لقد سبق وأنكرت شجاعتى وسط جموع
الدانائيين، وادعيت أننى ضعيف وغير كفء للحرب.
إن الأرجيين جميعاً، صفارهم وكبارهم، يعرفون تماماً
أن ابن كرونوس، ملتوى للنصيحة، منحك إحدى الحسينين:
لقد منحك الصولجان لتكون مبعلاً بين الجميع،
ولكنه لم يمنحك الشجاعة، ولها السلطان الأكبر.

٤٠ سيدى المبعجل، أتعقد حقاً أن الآخيين ضعفاء
وغير أكفاء للحرب كما سبق وأعلنت ؟
إذا كنت متلهفاً على العودة، فلنذهب أنت،

فالطريق أمامك والسفن تقف فى انتظارك بجانب
الشاطيء العديد من السفن، إنها تلك التى أقلتك من
٤٥ موكيناي. أما الآخيون الآخرون ذوو الشعر الطويل
فباقون إلى أن نتمكن من تدمير طروادة تماماً. وإذا أرادوا
حتى هؤلاء فليعودوا إلى أرض وطنهم الغالية.
أما نحن الاثنين، أنا وستينيلوس، فنسئل نحارب
حتى ندمر إليون. لقد جمعنا مشيئة الآلهة".

- ٥٠ هكذا قال، وواصل كل أبناء الأخيين الصياح
مستحسنين حديث ديوميديس مروض الخيول.
عندئذ قام الفارس نيستور وخاطبهم قائلاً:
" يا ابن تيديوس، إنك بارع في الحرب
كما أنك تبرز أقرانك المتساوين معك سناً في إسداء
النصيحة، وما من أحد بين الأخيين سوف يلومك على
٥٥ حديثك، وما من أحد سوف يعارضك. ولكن شيئاً ما لم
تقل بعد. إنك صغير جداً، أصغر من أن تكون
كأخر ما جاءني من الولد. ولكنك تتطرق بالحكمة.
لقد حدثت النبلاء الأرجيين بطريقة صائبة،
ولكن، لأنني أكبرك في السن
٦٠ فسوف أتكلم وأحكي كل شيء. وما من أحد
سوف يستخف بحديثي، ولا حتى أجامنون سيدنا:
إن الذي يحب إشعال نيران الحروب بين أهله
وعشيرته، نكرهه عشيرته وينبذه القانون ويلفظه وطنه.
والآن، وما دمنا قد انتهينا من متاعب النهار
٦٥ دعونا نهز العشاء، وليمكث كل حارس
بجوار الخندق المحفور خارج المتاريس.
سوف أعلن هذه الأوامر للشباب. ولتتول أنت
بقية الأمور يا ابن أتريوس. ولأنك أكثر الملوك هيبة،
فلتقم مادبة تليق بك لكبار السن. فهذا من مهام
٧٠ منصبك. فالخيام مليئة بقنان الخمر، التي تحضرها
سفن الأخيين يومياً من طراقيا، وهي تجوب أنحاء
البحر الفسيح. أما كرم الضيافة فمن شيمك. وأنت سيد
الجميع. فإذا ما اكتمل الجمع، أطيعوا من يقدم

- ٧٥ النصيحة الأكثر حكمة. فالأخيون جميعاً
في أمس الحاجة للنصيحة الطبية الحصيفة. لقد أشعل
الأعداء حرائق كثيرة بالقرب من السفن. من الذى
يسعده ذلك ؟ سوف تشهد هذه الليلة تحطم أسطولنا أو إنقاذه".
هكذا قال، وبعد أن استمعوا إليه فى هدوء
- ٨٠ أطاعوا نصيحته، وأسرع الحراس كل إلى وظيفته بعد
أن نظموا أنفسهم وتجمعوا حول ثراسيميديس بن
نيستور، حامى الشعوب، وحول أسكالافوس وبالمينوس،
ولدى آريس، وحول ميريونيس وأفاريوس ودايبيروس،
وحول ليكوميديس الإلهى بن كريون.
- ٨٥ سبعة قادة للحرس، ذهب مع كل منهم مائة من
الشباب، ساروا شاهرين رماحهم الطويلة فى أيديهم،
واتخذوا مواقعهم فى منتصف المسافة بين الخندق
والحائط هنالك أشعلوا النيران وأعدت كل فرقة
عشاءها. بينما جمع ابن أتريوس حشداً من كبار
أعضاء مجلس الأخيين فى خيمته، وبسط أمامهم مائدة
٩٠ حافلة (نليق به). ومد للضيوف أيديهم إلى الطعام
الوفير المبسوط أمامهم. وعندما نالوا كفايتهم من الطعام
والشراب بدأ نيستور، قبل الجميع، ينسج خيوط
نصيحته، فقد كانت نصيحته دائماً الأكثر حكمة.
لقد قام ذو العقل الراجح واستحثهم قائلاً:
- ٩٥ "أجاممنون، يا ابن أتريوس، يا ملك الرجال وصاحب
الجلال، باسمك سيبدأ هذا الحديث وبه سوف
ينتهى. فأنت ملك العديد من الشعوب. وقد وضع زيوس
بين يديك الصولجان والقوانين، حتى تقدم

- ١٠٠ النصيحة للشعوب. لذلك يجب عليك أن تتحدث قبل الجميع، وواجبنا أن نستمع حتى تحقق للأخرين ما تتمناه قلوبهم. تحدث إلى القادة، فإن تحقيق رغباتهم يتوقف عليك. أما أنا فسأعلن الرأي الذي أراه أكثر حكمة، وما من أحد سوف يجد فكرة أفضل منه. فقد واصلت التفكير فيه منذ زمن بعيد وحتى هذه اللحظة. منذ اندفعت أنت يا سليل زيوس إلى خيمة أخيليوس الغاضب، وأخذت فتاته بريسيثيس رغم أننا لم نوافقك قط. لقد حاولت إقناعك بالعدول، حاولت جاهداً دون جدوى. فلأسف، لقد جعلتك روحك المتجبرة تهين أشجع الرجال، الذي تحترمه الآلهة نفسها وتبجله. لقد أخذت جائزة تكريمه. والآن فلنشاور كيف نصالحه ونقتعه ونستميله بالهدايا، وكيف نخاطبه بالكلمات الرقيقة^{*}
- ومرة أخرى رد عليه أجامنون، ملك الرجال قانلاً:
- ١١٥ "إنك لم تجاوز الحقيقة فيما قلت عن أخطائي، لقد تصرفت بحماقة. ولن أنكر ذلك أبداً. فمن يحبه زيوس من صميم قلبه يجعله يساوى عدداً كبيراً من البشر، مثلما يكرم الآن هذا الرجل ويدمر شعب الأخيين. لقد كنت أعمى، عندما خضعت لحماقتي، ولكي أصلح ما فعلته فسأقدم له قدية لا تعد ولا تحصى، وأعلن أمامكم هداياي: سبعة مقاعد ثلاثية لم تمسها النار، عشرة تالنتات^(*)

(*) لم تكن العملة تالنت Talanton قد عرفت في عصر هومروس وربما تشير العبارة إلى مجرد أوزان من الذهب. (المحرر)

- من الذهب، عشرين وعاء من النحاس اللامع،
 اثني عشر جوادًا من جياد السياق القوية التي
 تحصد الجوائز لسرعة أقدامها. لن يكون فقيرًا
 ١٢٥ أبدا من يحصل على هذه الأشياء، ولن يحتاج للذهب
 من يحصل على هذا الكنز، فقد أحرزت لي
 جيادى الأصيلة الكثير منه فى السباقات.
 وسوف أمنحه سبع نساء ماهرات لا نظير
 لهن جلبتهن من ليسبوس، جميلة المياني،
 ١٣٠ عندما فتحها هو نفسه، وكنت قد اخترتهن
 لجمالهن الفائق. سوف أقدمهن له،
 بالإضافة إلى الفتاة التي أخذتها منه
 ابنة بريسيوس. وأقسم بأغلظ الأيمان
 أننى لم أقفز إلى فراشها ولم أضمها فى أحضانى
 ولم تربطنى بها قط العلاقة المعتادة بين الرجل والمرأة.
 ١٣٥ كل هذه الأشياء سوف تكون ملكاً له فى الحال. وإذا ما
 قدرت لنا الآلهة أن نستولى على مدينة برياموس
 العظيمة، فسوف أجمعه بملأ سفينته بالذهب والبرونز،
 قبل أن نفتح نحن الأخيين المدينة، ونبدأ فى توزيع
 الغنائم. وسوف أدعه يختار لنفسه عشرين امرأة من
 الطروديات من بين أجمل النساء بعد هيلينى الأرجية.
 ١٤٠ وإذا ما وصلنا إلى أرجوس الأخية، أخصب
 الأراضين، سوف أعامله كابنى. وسوف أحبه مثلما
 أحب ابنى أوريسيتيس الذى ربيته فى رفاهية ونعيم لشدة
 حبنى له، ومن بين بناتى الثلاث الموجودات فى قصرى

- ١٤٥ الحصين، خريستيميس ولاوديكي^(٤) وإفياناسا
فليأخذ من تروق له إلى بيت بيلبوس،
دون أن يقدم هدايا الزواج، بل سوف أعطيها
أنا هدايا كثيرة قيمة. لم يقدمها أحد لابنته
من قبل قط. سوف أمنحه سبع مدن عامرة بالسكان:
- ١٥٠ كاردامولى وإنوبى وهيرى، كثيرة الأعشاب
وفيراي المقدسة، وأنثيا الغنية بالمروج
وآيبيا الجميلة، وأيضاً بيداسوس الغنية بجنات الأعناب.
وكلها قريبة من البحر وتقع على حدود بيلبوس
كثيفة الرمال. ويملك سكان هذه المدن الكثير
- ١٥٥ من الماشية والثيران، وسوف يجلبونه كما لو كان إلهاً
ويقدمون له الهدايا. وعندما يحكمهم
سوف يقدمون له فرائض الطاعة.
كل هذا سوف أقدمه له إذا ما تخلى عن غضبه
وأدعن، فإن هاديس فقط هو الإله الذى يتصف بالعناد الشديد
لذلك فهو من بين جميع الآلهة الخالدين كربه لدى كافة البشر
الفانين فليذعن لى، فأنا أقوى منه سلطاناً، وأنا أتوسل إليه،
رغم أننى أكبر منه سناً".
- فأجابه نيسطور، الفارس الجيرينى، قائلاً:
"سيدى المجلج أجامنون بن أتريوس، يا ملك الرجال
لا عيب مطلقاً فى الهدايا التى تقدمها لأخيلبوس لتكسب
وده، ولكن لنعجل بإرسال من نختارهم ليذهبوا
بأقصى سرعة إلى خيمة أخيلبوس بن بيلبوس.
لما الآن فليطع أوامرى من يقع عليه اختيارى

(٤) يرجح أن تكون لاوديكي هى البكترا. (الهرر)

- سوف يتولى القيادة، قبل الجميع، فوينيكس،
 حبيب زيوس، ثم يليه أباس العظيم، ويليهِ أوديسيوس
 ١٧٠ شبيه الآلهة، وليذهب معهم أوديوس ويوريباتيس رسلاً.
 أما الآن، فلتحضر الماء لتغسل أيدينا، ولنلتزم الصمت
 المقدس ولنترضع لزيوس بن كرونوس، كي يرحمنا".
 هكذا تحدث. وكان حديثه مصدر ارتياح للجميع.
 وفي الحال أحضر الرسل الماء وصبوه على أيدي
 ١٧٥ القادة. ثم ملأوا أباريق الخمر عن آخرها،
 وبعد أن وزعوها على الكنوس، سكبوا القرابين للآلهة.
 وبعد أن شرب كل منهم حتى ارتوى،
 اندفعوا خارجين من خيمة أجامنون بن أتريوس،
 بعد أن أصدر إليهم نيسطور، الفارس الجيريني، العديد
 ١٨٠ من الأوامر وهو ينظر إلى كل منهم، وخاصة إلى
 أوديسيوس. وأوصاهم أن يحاولوا إقناع ابن بيليوس،
 البطل المغوار. وسار الرفيقان بمحاذاة شاطئ البحر
 الهادر وتضرعا كثيراً (ليوسيدون) مزلزل الأرض
 والمحيط بها، أن يساعدهما في إقناع عقل سليل أياكوس
 ١٨٥ العنيد. وعندما وصلا إلى خيام الميرميدونيين
 وجدا أخيليوس يروح عن نفسه بالعزف على
 قيثارته الجميلة، التي تزينها الزخارف الدقيقة وكذا قضيب
 من الفضة. وكان قد أخذها ضمن الغنائم عندما اجتاح
 مدينة إنيثيون وكان يطيب له التغنى بأمجاد الأبطال.
 ١٩٠ وكان باتروكلوس يجلس في مواجهته صامتاً وحيداً،
 وكان يستمع إلى سليل أياكوس منتظراً أن ينتهي من
 غنائه. وعندما وصل الاثنان إليه، وكان أوديسيوس في

- المقدمة، وقفاً فى مواجهة أخيلوس الذى ترك مكانه وهب واقفاً من الدهشة وهو ما يزال يمسك قيثارته. وبالمثل هب باتروكلوس واقفاً عندما رأى الرجلين ورحب أخيلوس، سريع القدمين، بهما قائلاً:
- ١٩٥ مرحباً بكما أيها الصديقان العزيزان.
ما الأمر الملح الذى جاء بكما ؟ فرغم غضبى فأنتما أحب الناس إلى قلبى بين جميع الآخرين".
- ٢٠٠ هكذا قال أخيلوس النبيل وهو يقودهما حيث أجلسهما على المقاعد والمفارش الأرجوانية. وتوجه بالحديث لباتروكلوس الذى كان يقف على مقربة منه قائلاً:
- "والآن يا ابن مينوبتيوس، لتحضر لنا طامناً أكبر ولتمزج فيه الخمر الأقوى، ولتصب لهما الخمر فى الكؤوس، فهذان اللذان جاءا إلى خيمتى هما أعز الرجال لى".
- ٢٠٥ هكذا قال وأطاعه رفيقه الحبيب باتروكلوس ، الذى ألقى صحيفة ضخمة فى النيران المستعرة كان قد وضع فيها قطعة لحم من ظهر خروف سمين ، كما وضع بها قطعة من سلسلة ظهر خنزير سمين،
- ٢١٠ غنى بالدهون. وكان أوتوميدون يمسك اللحم بينما كان أخيلوس المبجل يقطعها. وبعد أن قطعها جيداً، ثبت قطع اللحم فى الأسياخ وأشعل ابن مينوبتيوس، شبيه الآلهة، ناراً ضخمة. وبعد أن هدأت النيران وسكن لهيبها قام بتسوية الجمرات ووزع الأسياخ فوقها
- ٢١٥ ونثر عليها الملح المقدس، ثم وضع قطع اللحم على النار. وعندما نضح الشواء تم وضعه على الموائد،

- ثم أخذ باتروكلوس الخبز ووزعه على الموائد،
بعد أن وضعه في سلال جميلة، بينما وزع أخيليوس
اللحم. ثم جلس في مواجهة أوديسيوس الإلهي
قريبًا من الحائط المقابل، وأمر رفيقة باتروكلوس
بتقديم القرابين للآلهة، فوضع نصيب الآلهة على
الذيران. ومدوا جميعًا أيديهم إلى الأطباق المصفوفة
أمامهم. وعندما نالوا كفايتهم من الأكل والشراب
أوماً أياس برأسه إلى فوينيكس. ولتقط أوديسيوس
المبجل الإشارة فملاً كأسه بالخمير وشرب نخب أخيليوس وهو يقول:
- ٢٢٠ "تسعد أخيليوس! ونحن حقًا لم نتقصنا الولائم
سواء في خيمة أجامنون بن أتريوس أو في هذه الوليمة
المصفوفة أمامنا فهي فاحشة الثراء.
ولكن الولائم المبهجة لم تعد نثيرنا
إذ يحتاج نفوسنا حزن عظيم، يا ربيب زيوس، عند
رؤية الكارثة. فنشعر جميعًا بالخوف، إذ تتوقف نجاتنا
أو هلاكنا على السفن ذات المقاعد القوية، إذا لم
نتزود بالشجاعة. لقد أقام الأعداء معسكرهم بالقرب من
السفن والحائط. لقد أشعل الطرواديون الأشاوس
وحلقاؤهم ذئور الصيت نيرانًا كثيرة في جميع أنحاء
المعسكر، يعتقدون أننا لن نستطيع الصمود وأننا
سوف نسقط هنا وسط السفن السوداء.
- ٢٢٥ كما أن زيوس بن كرونوس، يظهر لهم علامات فأله
الطيب ويرسل البرق، ويسطع نجم هيكتور مفعماً
بالقوة. لقد استبد به الغضب الشديد، ولأنه يعتمد على
تأييد زيوس، ولم يعد يحترم بشرًا ولا آلهة. لقد امتلأت

- ٢٤٠ نفسه بغضب مجنون، وهو يتضرع لربة الفجر (إيوس)
أن تسرع بالبروز متوعدًا أن يمزق الشارات
فوق سفننا وأن يشعل فيها النيران المدمرة، وأن يقتل
الآخيين بجوار السفن بعد أن يجبرهم الدخان على
الخروج. يرتجف قلبي خوفاً من هذا كله، خشية أن
تحقق الآلهة هذه التهديدات، ويصبح مقدرًا علينا
- ٢٤٥ أن نهلك هنا في طرودة، بعيدًا عن أرجوس، حيث
توجد مراعى الخيول، إلا إذا كنت ترغب في إنقاذ
الآخيين الذين يعانون من صخب الطرواديين. ولو أنك
قد تأخرت كثيرًا، وإلا فسوف يصيبك الحزن فيما بعد.
- ٢٥٠ ولن تجد علاجًا للكارثة بعد أن تكون قد وقعت
بالفعل^(٤). ففكر جيدًا كيف تجنب الدائيتين مغية هذا
اليوم العصيب. صديقي العزيز، لقد أمرك أبوك
بيليوس نفسه يوم أرسلك من فثيا لمساعدة أجامنون قائلاً:
يا بني، إن أثينة وهيرا ستمنحانك القوة
- ٢٥٥ إذا كانت هذه هي مشيئتهما، ولكن لتكبح جماح الغضب
داخل قلبك وإن كبر حجمه، فإن الحلم سيد الأخلاق.
واجتنب للشقاق جالب الفتنة يبجلك
الأرجيون جميعًا، صغارهم وكبارهم.
بهذا أمرك الشيخ المسن ولكنك أهملت نصيحته.
- ٢٦٠ والآن لتتوقف عن غضبك الذي يضرني قلبك، ولسوف
يمنحك أجامنون هدايا تليق بك إذا تخليت عن غضبك

(٤) يرد عند بداروس (الأوليمية الثانية بيت ٢٩ وما يليه مامعناه: "عندما يتم الفعل لا يستطيع الزمن نفسه، الأب الكون للأشياء، وليس بوسع، أن يغير نتائج ما تم فعله" وعن فكرة فوات الأوان في الأدب الإغريقي بصفة عامة راجع: أحمد عثمان، "الزمن المأساوي في الفكر الإغريقي". "الف، مجلة اللغاة المقارنة". عدد ٩ (الجامعة الأمريكية بالقاهرة ١٩٨٩) ص ١٧٣-١٨٨. (المحرر)

- تعال الآن هنا واستمع لى وأنا أعدد لك
الهدايا الموجودة فى خيامه والتي وعد أن يمنحك
إياها: (*) سبعة مقاعد ثلاثية لم تمسها النار، عشرة
٢٦٥ ثلاثيات من الذهب، عشرين وعاء من النحاس اللامع،
اثني عشر جوازاً من جياذ السباق القوية التي تحصد
الجوائز لسرعة أقدامها. لن يكون فقيراً أبداً من
يحصل على هذه الأشياء، ولن يحتاج للذهب من يحصل
على هذا الكنز، فقد أحرزت له جياذه الأصيله الكثير
٢٧٠ منه فى المسابقات. وسوف يمنحك سبع نساء ماهرات لا
نظير لهن، جليهن من ليسبوس، جميلة المباني، عندما
قمت أنت نفسك بفتحها، وكان قد اختارهن لجمالهن
الفائق، سوف يقدمهن إليك، بالإضافة إلى الفتاة التي
أخذها منك، ابنة بريسيوس. وهو يقسم بأغلظ الإيمان
٢٧٥ أنه لم يقفز إلى فراشها ولم يضمها إلى أحضانه ولم
تربطه بها قط، أيها الملك، العلاقة المعتادة بين الرجل
والمرأة. كل هذه الأشياء سوف تكون ملكك فى الحال
وإذا ما قدرت لنا الآلهة أن نستولى على مدينة
برياموس العظيمة فسوف يدعك تدخل وتملأ سفينتك
٢٨٠ بالذهب والبرونز، قبل أن نفتح نحن الآخيين المدينة
ونبدأ فى توزيع الغنائم. وسوف يدعك تختار لنفسك
عشرين امرأة من الطروديات من بين أجمل
النساء بعد هيليني الأرجية. وإذا ما وصلنا إلى أرجوس
الأخية، أخصب البلاد فسوف يعاملك كابنه. سوف
٢٨٥ يحبك مثلما يحب ابنه أوربستيس الذى رباه فى رفاهية

(*) هذه الأبيات مكررة قارن أعلاه بيت ١٢٠ وما يليه. (اغرر)

- وتعيم لشدة حبه له. ومن بين بناته الثلاث الموجودات
 فى قصره الحصين خريسوثيرميس ولاؤديكى وإفياناسا
 لتأخذ من تروق لك إلى بيت بيلوس. دون أن تقدم هدايا زواج،
 ٢٩٠ وسوف يعطيها هو هدايا كثيرة قيمة لم يقدمها أحد لابنته من قبل قط.
 وسوف يمنحك سبع مدن عامرة بالسكان:
 كاردامولى وانوبى وهيرى، كثيرة الأعشاب،
 وفيراي المقدسة، وأثيا الغنية بالمروج
 وآيبيا الجميلة وكذلك بيداسوس الغنية بجنت الأعناب
 ٢٩٥ وكلها قريبة من البحر وتقع على حدود بيلوس، كثيفة
 الرمال. ويملك سكان هذه المدن الكثير من المشاية
 والتيران، وسوف يبجلونك كما لو كنت إلهًا وسيقدمون
 إليك الهدايا. وعندما تحكمهم سوف يقدمون لك فرائض
 الطاعة. كل هذا سوف يقدمه لك إذا ما تخليت عن
 ٣٠٠ غضبك، حتى لو كنت تكره ابن أتريوس من كل قلبك،
 وتكره هداياه، فلترحم كافة الآخرين
 الذين أصابهم الحزن فى جميع أنحاء الجيش، فسوف
 يبجلونك كإله، وسوف تكون مكانتك رفيعة بينهم.
 والآن يجب عليك أن تقتل هيكتور، فقد يهاجمك
 ٣٠٥ فى نوبة جنون مدمرة، إذ يعتقد أنه يتفوق
 على جميع الدانائيين الذين أحضرتهم السفن إلى هنا".
 فرد عليه أخيلوس، سريع القدمين، قائلاً:
 "أوديسوس، يا كثير الحيل، يا ابن لائيرتيس. ياسليل
 زيوس هل يجب على أن أقول كلمتى دون تدبر
 ٣١٠ العواقب، ودون أن أمحص ما أفكر فيه وأرى كيف
 يتحقق، حتى لا تتكسوا من حولى بكلمات التملق.

- ابنى أكره الرجل الذى يخفى فى قلبه أمراً
ويعلن أمراً آخر^(*)، كراهيتى لبوابات هاديس.
ولكننى سوف أعلن ما يبدو أفضل الأشياء بالنسبة لى.
أعتقد أن أجاممنون، بن أتريوس، لن يستميلنى أبداً.
ولا جميع الداناتيين، فما من كلمة شكر قدمت لى،
عندما كنت أحارب الأعداء دون هوادة.
فمصير من يتكاسل ومن يحارب واحد
ويلقى الجبان والمقدم التقدير نفسه، فالذى
يكافح كثيراً، والذى لا يكافح مطلقاً يموتان الميتة نفسها،
وما جنيت فائدة قط من الصعاب التى تكابدها روحى،
والتي تربط حياتى بالخطر وإشعال الحروب.
مثل الطائر الذى يحمل بمنقاره كسرات الطعام
لصغاره قليلة الخبرة ويطعمها إياها، رغم أنه فى شدة
الحاجة إليها. هكذا أنا، فكم من ليالٍ مديدة وأيام عديدة
قضيتها دون نوم، تغطى الدماء جسدى فى ساحة
الوغي، أحارب مع من يحاربون من أجل زوجاتهم.
لقد دمرت اثنتى عشر مدينة بسفنى، وإحدى
عشر مدينة سيراً على قدمى عبر أراضى طروادة الخصيبة.
كثيرة هى وعظيمة تلك الكنوز التى غنمتها من هذه
المدن، والتي كنت أحملها كلها إلى أجاممنون بن أتريوس،
وأعطيها له. بينما يبقى هو فى الخلف بجوار
السفن ليستقبل ما أعطيه له، فيوزع القليل ويحتفظ
لنفسه بأكثرها، وعندما كان يعطى مكافأة للملوك

(*) قارن ما يقوله بيبكا "Turpe est aliud loqui, aliud sentire" (Epist. 14) "من العار أن تقول شيئاً وتضمّر شيئاً آخر". (الغرر)

- ٣٣٥ والنبلاء كانت يده لا تمتد إليها ثانية. ولكنه أخذ
محظيتي أنا من بين جميع الأخيين، وهو ينعم بقربها
الآن. ولكن لماذا ينبغي أن يحارب الأرجيون
الطرواديين؟ لماذا أبحر ابنا أتريوس
وحشدوا الجيوش هنا؟ من أجل هيليني جميلة الشعر،
٣٤٠ أليس كذلك؟ أم أن ابنا أتريوس هما فقط من بين
البشر اللذان يحبان زوجتيهما؟ إن الرجل النبيل الفطن
يحب زوجته ويهتم بأمرها، وكذا أحببت أنا
أيضا زوجتي، رغم أنني حصلت عليها بحد السيف.
فدعه لا يحاول الآن، وقد أخذ جالزتي وخذعني
٣٤٥ أن يستمليني ثانية، فأنا أعرفه جيدا، فلن أذعن له.
وليتشاور معك يا أوديسيوس ومع الملوك الآخرين
كيف يجنب السفن خطر نيران العدو، فقد قام بأعمال كثيرة بدوني،
فقد قام ببناء الحائط وأضاف إليه أيضا خندقا
كبيراً وعميقاً وأحاطه جيدا بالسياج الخشبية.
٣٥٠ فليبحث الآن كيف يصد هيكتور قاتل الرجال.
لم يجرؤ هيكتور أن يحارب بعيدا عن أسواره
طالما كنت أحارب أنا في صفوف الأخيين. ولم يذهب
مطلقا لأبعد من بوابات سكاياي وشجرة البلوط،
٣٥٥ لقد قاومتني مرة واحدة وأفلت من هجومي بصعوبة.
والآن، حيث إنني لا أرغب في قتال هيكتور، شبيه
الآلهة، فسوف أقدم القرابين غدا لزيوس ولجميع الآلهة.
وبعد أن أملا سفني بالعتاد الكافي سوف أبحر،
فإذا ما كانت لديكم الرغبة والاهتمام، سوف ترونني
٣٦٠ أبحر في الصباح الباكر إلى بحر هيليسبونطوس

- الملء بالأسماك، ومعى فى السفن رجالى الذين يجدفون
بحماس جارف، وإذا ما وفر لى بوسيدون المجيد،
مزلزل الأرض، رحلة طيبة فسوف أصل إلى فثيا الخصبة
فى اليوم الثالث. إننى أملك الكثير، وقد تركته خلفى
عندما أتيت إلى هنا للدمار. وسوف أحمل معى من هنا
الذهب والنحاس الأحمر والنساء اللاتى يتمنطقن جيداً
والحديد العتيق. وكانت كلها من نصيبى عند إجراء
القرعة. فهى غنيمتى التى أعطانى إياها الملك
أجاممنون بن أتريوس، ثم أهاننى وأخذها منى ثانية .
فلتعلوا على الملأ ما أمركم به حتى لا يتذمر الآخرون
الآخرون، إذا ما فكر فى خداح أحد الرفاق من الدانائيين،
فهو يتصف بالوقاحة دوماً ، ولكنه لن يجرو
على النظر فى وجهى، رغم أنه لا يعرف
الخدج، ولن أتشاور معه فى أمر، ولن أشاركه العمل
لأنه خدعنى وأساء إلى. لذلك فمن الآن فصاعداً
لن يخدعنى بكلماته. يكفينى منه ذلك، وليذهب هو
للحجيم كما يشاء. لقد سلبه زيوس، واسع الحكمة،
عقله. إننى أكره هداياه، وهى لا تساوى عندى شيئاً ،
حتى لو أعطانى عشرة أضعاف أو حتى عشرين ضعفاً
من كل ما يملكه الآن، وكل ما قد يحصل عليه من مكان
آخر، ولا كل ما يدخل إلى أورخومينوس أو إلى طيبة.
المصرية، حيث تمتلىء الخزائن بكل ما هو نفيس وقيم طيبة،
ذات البوابات المائة التى ينطلق من كل
منها مائتا بطل ومع كل منهم جياده وعربته.
إن أجاممنون لن يسيطر على روحى،

- حتى لو أعطاني هدايا بعدد حبات الرمال،
بسبب ما لحقني منه من إهانة.
- ولن أتزوج ابنة أجاسمون بن أتريوس، أبداً حتى لو
كانت تبارى أفروديتي ذهبية الشعر، جمالاً،
٣٩٠ أو لو كانت تقوم بما تقوم به أثينة، زرقاء العينين، من
أعمال. لن أتزوجها أبداً. فليختر لها شخصاً آخر من
بين الآخرين، شخصاً يتناسب معه ويكون أكثر سلطاناً مني.
- أما أنا، فإذا ما أنقذتني الآلهة وعدت إلي وطني سالماً
فإن بيليوس نفسه هو الذى سوف يختار لي زوجتي.
٣٩٥ ففي هيلاس وفي فثيا، توجد فتيات آخيات كثيرات
من بنات الملوك، الذين يحرصون على إنقاذ
المدن، ومن الأفضل أن أختار عروسي من بينهم.
- إن روحى الأبية تدفعنى دفعاً
إلى أن أتخذ لنفسى زوجة تتواءم معى، وأن أستمتع
٤٠٠ بما يملكه بيليوس الشيخ المسن من ثروة. فإننى أعتقد
أنه لا شيء يساوى روح الإنسان، ولا حتى الثروات
للضخمة التى يقال إن مدينة إليون العامرة كانت
تملكها وقت السلم، قبل مجيء الآخرين، ولا حتى
كل ما يوجد فى معبد أبوللون الوضاء (فوييوس)
٤٠٥ الذى يسيطر على معبد بيثو (دلفي) الصخرى.
- فمن الممكن أن يأخذ المرء غنائم من الثيران والماشية
السمينة، ومن المقاعد الثلاثية، وكذلك من الجباد الشقراء،
ولكن روح الإنسان لا تعود إليه مرة أخرى
إذا ما أزهقت وخرجت من بين أسنانه.
- ٤١٠ لقد أخبرتني أمى ثيبتيس، قضية القدمين أن مصيرى

- الذى يحمل لى الموت فى النهاية مقسم بين أمرين:
 فإذا ما اخترت البقاء فى مدينة طروادة لأحارب
 فلن تتاح لى العودة، وإن كنت سأنال شهرة لا تزول.
 أما إذا عدت إلى أرض وطنى الحبيب
 ٤١٥ فسأفقد سمعتى الطيبة، وإن كانت حياتى ستمتد طويلاً،
 إذ لن ألقى الموت سريعاً. ومن ثم فإننى سوف أحث الآخرين كذلك
 على الإبحار للوطن، حيث أنكم لن تشهدوا
 سقوط إليون المنيعه. لأن زيوس بعيد النظر،
 ٤٢٠ يحمى هذه المدينة ويؤيد أهلها.
 وحيث إنكم سوف تذهبون للقاء ملوك الأخيين
 فلتعلموا لهم رسالتى بصراحة، فتلك هى مهمة الشيوخ
 أن يعملوا عقولهم ويفكروا فى خطة أفضل تتخذ السفن
 وتتخذ شعب الأخيين الموجود فى السفن المجوفة حيث أن الخطة
 ٤٢٥ التى أعلنوها وهم لا جدوى منه، فإن غضبى لم يهدأ بعد.
 أما فوينيكس، فلتتركوه لينام هنا فى خيامنا
 حتى يبحر معى فى السفن إلى وطننا الحبيب فى
 الصباح الباكر. إذا كانت هذه رغبته، فإننى لن أصحبه مكرهاً "
 ٤٣٠ هكذا تحدث واستمع إليه الآخرون فى صمت
 مطبق، وقد أخذتهم الرهبة من حديثه. فقد كان رفضه
 عنيفاً للغاية. وبعد وقت طويل تحدث فوينيكس، الفارس الأشيب،
 ودموعه تنهمر مدراراً من شدة خوفه على سفن الأخيين وقال:
 "أخيلوس أيها الأمجد، إذا كنت قد حسمت أمرك
 ٤٣٥ وقررت العودة، ولم تعد تهتم مطلقاً بإبعاد خطر النار المدمرة
 عن السفن السريعة، حيث إن الغضب تمكن من
 روحك، فكيف أبقي أنا هنا بعيداً عنك، يا ولدى

- الحبيب، وأتركك وحيداً ؟ لقد أرسلنى إلى جانبك
 الفارس المسن بيليوس فى اليوم نفسه الذى أرسلك
 ٤٤٠ من فثيا لمساعدة أجامنون وكنت آنذاك غراً صغيراً،
 لا تعرف فن القتال ولا مهارة الحديث، وهى المهارات
 التى تتضح الرجال. من أجل ذلك استدعانى والدك كى أعلمك
 كيف تكون ماهراً فى القول وفى الفعل.
 لذلك يا ولدى الحبيب، لن أوافق بعد الآن على أن
 ٤٤٥ ابتعد عنك، حتى لو وعدنى الإله نفسه بأن يخلصنى
 من الشيوخوخة، وأعود إلى شرح الشباب مثلما كنت
 عندما تركت هيلاس، بلاد النساء الجميلات، وهربت
 بعد أن تشاجرت مع أبى أمينور، بن أورمينوس.
 فقد غضب منى غضباً شديداً بسبب محظيته جميلة الشعر.
 ٤٥٠ فقد شغف أبى بحبها، مهملاً زوجته، أمى،
 التى ركعت أمامى وتوسلت إلى أن أستبقه
 وأضاجع محظيته حتى تنفر من أبى المسن.
 فخضعت بالفعل لتوسلاتها، وفى الحال. شعر أبى بما حدث
 واستمطر اللعنات على، ونادى الإيرينيات^(*) البغيضات
 ٤٥٥ وتضرع إليهن ألا يجلس على قدميه ابن
 يخرج من صلبى. واستجابت الآلهة للعناته على.
 استجاب زيوس العالم الآخر (هاديس) وبرسيفونى الرهيبة.
 ٤٦٠ ولم يعد قلبى يحتمل أكثر من ذلك فى داخل صدرى ،
 ولم أعد أحتمل البقاء فى منزل أبى الغاضب .

(*) الإيرينيات (Eρινες) : الإيرينيات ربات يظهرن فى الأعمال الأدبية بدءاً من هوميروس كمنتمعات
 جبارات عادلوات ومنفذات للعات التى يصها المظلم وخاصة على أولئك الذين يرتكبون جرائم تقطع صلة
 الرحم، ومن ثم كن يصفين إلى لعنات الأمهات والآباء على أولادهم العاقين . لذلك استجبن للعات أمينور
 على ولده فوينكس كما طاردن أوريسيس ، بن أجامنون ، بعد أن قتل أمه كليمنسترا.

- وجاء العديد من رجال عشيرتى وابناء عمومتى
 ٤٦٥ وتضرعوا إلى محاولين إبقائى فى المنزل ،
 وظلوا يذبحون الكثير من الأغنام السمينة والثيران
 ذات القرون الملتوية والخنازير المليئة بالشحم والدهون،
 وقدموا الكثير منها قرابيناً على نيران الإله
 هيفايسترس. وشربوا حتى الثمالة من قوارير خمر
 ٤٧٠ أبى، وظلوا لمدة تسع ليال ينامون بالقرب منى،
 وتناوبوا الحراسة فيما بينهم، تسع ليال لم تنطفئ
 خلالها النيران فى فناء الدهليز المنيع
 ولا فى الفناء الآخر الموجود أمام مدخل الحجرة.
 ولكن عندما أرخت الليلة العاشرة أسدالها حولى
 ٤٧٥ نهضت وفتحيت باب حجرتى الموصد
 ومرقت للخارج، وقفزت من فوق سور الفناء، وأقلت
 بسهولة من الحرس، ومن رجال المنزل ونسائه.
 ثم هربت بعد ذلك بعيداً إلى هيلاس الفسيحة ووصلت
 إلى فثيا الخصيبة، موطن قطعان الماشية، حيث
 ٤٨٠ ذهبت إلى الملك بيليوس الذى استقبلنى بحفاوة بالغة،
 وأحبنى كما يحب الأب ابنه
 الوحيد، الذى أنجبه والذى سيرث ثروته الضخمة.
 فأغدق علىّ المال وجعلنى حاكماً على شعب كبير العدد.
 وعندما كنت أقيم فى أطراف فثيا، حكمت الدولوبيس.
 ٤٨٥ ولقد أحببتك يا أخيلئوس، يا شبيه الأكهة،
 من كل قلبى، فقد كنت ترفض الذهب
 إلى المآذب مع أحد غيرى، وكنت ترفض الأكل
 فى المنزل، إلا إذا أجلستك على ركبتي. وكنت

- أطعمك من اللحم حتى تشبع، وأقدم لك الخمر لتشرب
 ٤٩٠ وكم من مرة لوئثت صدر عباأتي
 وسكبت عليها الخمر في مشاكسة طفولية
 لقد تعبت من أجلك كثيراً وعانيت مصاعب جمة.
 وحيث إن الآلهة لم تمنحنى ولذا من صلبى،
 فقد اتخذتكَ أنت، يا أخيليوس يا شبيه الآلهة
 ٤٩٥ ولذا لى، حتى تدفع عنى الدمار المخيف. فلتنكظم
 يا ولدى أخيليوس غيظك الكبير، فلا يليق بك أن تملك
 هذا القلب، الذى لا يلين. فإن الآلهة ذاتها تلين، رغم
 أن فضيلتها ومكانتها وقوتها أكبر منا، فالبشر
 يجعلون الآلهة تلين، عندما يقدمون لها البخور والندور،
 ٥٠٠ وعندما يحرقون لها الذبائح، ويسكبون قرابين الشراب
 ويتضرعون وبذلك يتخلصون من غضب الآلهة عليهم،
 إذا ما أخطأوا أو أصابهم الغرور. الليئاي^(٢) هن بنات زيوس
 العظيم بحق، وهن عرجاوات، مجمعات الوجوه،
 تنظر عيونهن بارتباب. تمشى الليئاي خلف الخطيئة وتتبعها.
 ٥٠٥ الخطيئة قوية ورشيقة القدمين، لذلك فإنها
 تسقى الجميع، وهى تصل إلى جميع أنحاء الأرض،
 وتسبب سقوط البشر، ثم تصلحهم مرة أخرى.
 أما الذى يبجل بنات زيوس، عندما يحضرن إليه،
 يساعده كثيراً ويستجيب لتضرعاته.
 ٥١٠ ولكن من ينكرهن ويصرح بذلك جهراً
 يجعلهن يذهبن إلى زيوس بن كرونوس ويتضرعن إليه
 أن يجعل خطيئته تتبعه حتى يكفر عنها

(٢) الليئاي (Λιηαί): الليئاي هى تضرعات الاسعفار والوبة وقد جسدن الأساطير وجعلن بنات زيوس.

- وللتأكد يا أخيلئوس، أن من يتبع طريق بنات زيوس
ينال التقدير، مثلما يميل القلب بفطرته للأشياء الطيبة.
- ٥١٥ ولكن لو لم يكن ابن أتريوس قد أحضر الهدايا ولم يسع
وراعك، بل استمر في غضبه العنيف وغيه،
ما كنت سأنصحك بالتخلي عن غضبك
حتى من أجل إنقاذ الأرجيين رغم حاجتهم للمعون.
ولكنه يقدم لك الكثير الآن، ووعد بتقديم المزيد فيما بعد
- ٥٢٠ كما أرسل لك أفضل الرجال ليتوسلوا إليك،
واختار من بين الأخيين أكثر
المقربين إلى نفسك، فلا تحتقر حديثهم
ولا تستهن بسعيهم، رغم أنك محق في غضبك.
لقد سمعنا فيما مضى عن أبطال مشهورين،
- ٥٢٥ قد يملك الغضب الجامح نفس أحدهم، لكنه يقبل
الهدايا وتؤثر في نفسه الكلمات الطيبة. إننى شخصياً
أتذكر تلك القصة، وهى ليست قصة جديدة، ولكنها
ترجع إلى الأزمان السحيقة، وسوف أقصها على هؤلاء
الأصدقاء، اشتبك الكوريتيون في حرب مع الأيتوليين
- ٥٣٠ الأشداء حول مدينة كاليدون، واحتدم القتال بين
الطرفين، وبينما كان الأيتوليون يدافعون عن مدينة
كاليدون الجميلة، كان الكوريتيون يحاولون تدميرها
عن بكرة أبيها. وقد أنزلت ذهبية العرش أرتemis البلاء بهم.
- ٥٣٥ فقد استشاطت غضبا لأن أوينيوس لم يقدم على أعتاب معبدها قرابيننا
من بشائر المحصول، وقدم القرابين الضخمة للآلهة الآخرين.
لقد تجاهلها هى فقط، وهى ابنة زيوس العظيم،
سواء أكان ذلك نسياناً منه، أو لأنه لم يهتم بها. فاكتسب بذلك إثمًا كبيراً

- مما أثار حفيظتها و غضبها. وسلطت رامية السهام
 عليه مخلوقاً سماوياً، خنزيراً برياً ذا أنياب بيضاء،
 ٥٤٠ قدمر حديقة أوبنيوس تدميراً شاملاً.
 فقد اجنت الكثير من الأشجار الطويلة من جذورها
 وطرحها أرضاً وسواها ببراعم أشجار التفاح.
 ولكن ملياجروس، بن أوبنيوس، تمكن أخيراً من قتله،
 عندما جمع العديد من الصيادين والكلاب من مدن
 ٥٤٥ كثيرة، لأن الوحش أيا كانت قوته لن يتغلب
 على عصابة كبيرة من البشر، رغم أنه أهلك كثيرين.
 وأطلقت الربة الكثير من الصياح والوعويل حوله
 وعلى رأسه وجسده الملىء بالشعر. وأثارت
 الصراع بين الكوريتيين والأيتوليين اليواسل وحتى ذلك
 الوقت كان ملياجروس، حبيب آريس، يحارب
 ٥٥٠ الكوريتيين وينزل البلاء بهم، لذلك لم يستطيعوا
 البقاء خارج السور رغم كثرتهم. ولكن عندما دخل
 الغضب إلى نفس ملياجروس، وهو ما يحدث دائماً،
 جعل قلبه يمتلىء بالغضب داخل صدره، بالرغم من
 ٥٥٥ رجاحة عقله، وقد رقد الآن بجانب زوجته الجميلة
 كليوباترا، وقلبه ملىء بالغضب من أمه الحبيبة أثايا.
 كليوباترا ابنة مارييسا، جميلة الكعبين، ابنة إيوانيني
 وإيداس الذى كان يعد من أقوى الرجال
 على وجه الأرض، والذى صوب قوسه ضد أبوللون
 ٥٦٠ الؤضاء (فوبوس) دفاعاً عن زوجته جميلة الكعبين
 والتي كان أبوها وأمها يدعوانها وهى فى
 قصرهما الكيونى، وإذ أطلقت أمها صرخة ألم عليها

- مثل نحيب طائر الرفراف^(*) عندما اختطفها
أبوللون الوضاء (فوبيوس) رأمى السهام البعيدة.
- ٥٦٥ رقد ملياجروس بجانب كليوباترا حزين القلب مهموماً
غاضباً من لعنات أمه، فقد تضرعت للآلهة وصلت
لها كثيراً وهي في شدة الحزن لموت إخوتها^(**).
وبيديها لطمت الأرض كثيرة الخيرات وتضرعت إلى
هاديس وبرسيفوني (برسيفونيا) الرهيبة وهي راكعة
٥٧٠ على ركبتيها ودموعها العزيرة تسيل أنهاراً على
صدرها متمنية الموت لابنها. وسمعتها الإيرينييات
اللاتي يسرن في الظلام في أعماق إريبوس^(***) بقلوبهن
التي لا تعرف الرحمة. وفي الحال ارتفع ضجيج الأعداء وصياحهم
حول البوابات وبدأت الأبراج في السقوط. فتصرع له كبار السن
٥٧٥ من الأيتوليين وأرسلوا له أفضل الكهنة
حتى يأتي وينقذهم واعدن إياه بهدايا كثيرة، وتوسلوا
إليه أن يختار قطعة أرض شديدة الجمال يأخذها
لنفسه، حيث تكون التربة شديدة الخصوبة في وادي
كاليدون الجميل، خمسين فداناً نصفها مزروع بالكروم
٥٨٠ ونصفها الآخر أرض خالية في الوادي جاهزة للحرث.
وقد توسل إليه الفارس المسن أوينيوس
وهو يقف على أعتاب حجرته ذات السقف العالي،
وظل يهز مقبض الباب الذي أغلقه بإحكام.

(*) طائر الرفراف Alkyon : طائر من فصيلة القريبات . يصيد الأسماك من المياه العذبة : ويبني هذا الطائر عشه في أيام محددة أثناء فصل الشتاء . حيث استقرار الطقس وهدوء البحر ، لذلك تستخدم كلمة Alkyonides والتي تعني في الأصل الأربعة عشر يوماً التي يبني فيها الطائر عشه للتعبير عن أيام الصفاء والهدوء الذي لا يعكر صفوه شيء.

(**) يسمى باكهيابديس (V, 129) أخويها إيفيكولوس Iphiklos وأفاريس Aphares. (أغمر)

(***) إريبوس Erebus: هي منطقة الظلام الغامض التي يعبرها الميت في طريقه إلى هاديس وقد جسدت الأساطير الإغريقية إريبوس ابناً للفوضى Chaos وكشفت لي ليل Nyx.

- كما توسلت إليه أيضًا شقيقاته وأمه الميجلة. ولكنه
 ٥٨٥ أدار ظهره لتوسلاتهم. كما توسل إليه مرارًا أكثر
 من يبق فيهم من أصدقائه الذين يحبهم أكثر من الجميع،
 ولكنهم فشلوا جميعًا في استمالة قلبه الكائن في صدره.
 إلى أن وصل الهجوم الكاسح إلى حجرته. وصعد
 الكوريتيون إلى البرج، وأشعلوا النيران الضارية في
 ٥٩٠ المدينة، عندئذ تضرعت الزوجة ذات النطاق الجميل إلى
 ملياجروس، وقصت على مسامعه وهي تبكي
 كل الفظائع التي تنتظر شعب المدينة المهزومة. فيعد
 قتل جميع الرجال سوف تضرم للنيران في أنحاء
 المدينة، وسوف تساق الزوجات والنساء ذوات النطاق المتين
 إلى ذل العبودية مع أطفالهن.
 ٥٩٥ وعندما سمع ملياجروس تلك الفظائع انتفضت روحه،
 وخرج للمعركة واضعًا أسلحته البراقة حول جسده.
 وهكذا جنب ملياجروس الأيتوليين مغية يوم مفتح
 بعد أن خضع لنداء قلبه، ولكنهم لم يقدموا له بعد ذلك
 الهدايا الكثيرة والجميلة، بالرغم من أنه أنقذهم.
 ٦٠٠ فلا تكن يا أخيلئوس يا ولدى الحبيب عنيذًا مثله، فإن
 الآلهة لا تؤيدك في ذلك. إن المهمة الصعبة هي إنقاذ
 السفن المحترقة، فلتنذهب للحرب بعد قبول الهدايا
 فإن الأخيين سوف يجلونك كإله.
 أما إذا رفضت الهدايا، وواصلت الشقاق
 ٦٠٥ فلن تنال تقديرهم بعد ذلك أبدًا، إذ إنك اعترلت الحرب".
 عندئذ أجابه أخيلئوس، سريع القدمين، قائلاً:
 "قوينيكنس، يا والدى الشيخ، يا من ربك زيوس. إننى

- لا أحتاج لتقديرهم، فأنا أعتقد أن زيوس منحني تقديراً
مماثلاً سوف يبقى معي، وأنا بجوار سفنى معقوفة
- ٦١٠ المقدمة، طالما بقى نفس فى صدرى، وطالما كانت
أطرافى قادرة على الحركة. إننى أقول لك شيئاً آخر
فكر فيه جيداً مع نفسك: لا تتعب روحى بنواحك
وحزنك لمجرد إرضاء ابن أتريوس المغوار. إن
صداقته لا تتواعم معك. وحتى لاتصبح عدواً لى رغم
٦١٥ حبى لك. والأفضل لك أن تشاركنى عداوة الرجل الذى
عادانى، لأنك ملك مثلى وتشاركنى التقدير الذى أناله.
هؤلاء الرجال سوف يعلنون له قرارى، ولكن لتتق أنت
هنا ولتسترح فى فراش وثير. وعندما يشرق الصباح
سوف نفكر ما إذا كنا سوف نبحر إلى وطننا أم سنبقى هنا".
- ٦٢٠ وفى صمت أوماً إلى باتروكلوس بحاجبيه
ليقوم بإعداد فراش وثير لفوينيكس، وأن
يغادر (الرسولان) الخيمة بأقصى سرعة، ولكن أيلس
بن تيلامون، شبيه الآلهة، خاطبهم قائلاً:
"أوديسيوس يا ابن لائيرتيس، يا كثير الحيل ويا سليل
٦٢٥ زيوس هيا بنا نرحل. يبدو لى أن هذه الرحلة
لن تحقق شيئاً أبداً. ويجب علينا أن نعلن ذلك
للدانائيين على وجه السرعة، رغم أنه خير لا يسعد،
ولن يأت خير من وراثته، فإنهم يجلسون الآن فى انتظار
الرد. ولكن صدر أخيلئوس ونفسه البطولية تجيشان
٦٣٠ بغضب وحشى فهو لا يلين أبداً، ولا يهتم بحب
زملائه. فمن بين كل الموجودين فى السفن كان هو
أكثر من أحببنا. يا لقسوة قلبه! إن المرء يقبل الفدية

- من قاتل شقيقه، أو حتى من قاتل ولده
ويبقى القاتل في البلدة إذا نال العقوبة
العادلة. وبعد أن يقبل الفدية
٦٣٥ تهدأ روحه الغضوب. أما أنت، فقد وضعت الآلهة في
قلبك غضبًا شريراً لا يلين، وذلك من أجل فتاة واحدة
فقط، بينما نقدم لك الآن سبع فتيات فاضلات بالإضافة
إلى أشياء أخرى قيمة، فلتصن روحك الكريمة
٦٤٠ ولتحتترم وجودنا في منزلك. فنحن ضيوفك وقد أرسلنا
إليك وفوداً كثيرة من الدانائين. ونحن نرغب أن تكون
أكثر من نهتم به من بين الجميع، وأكثر من ينال حيناً
من بين جميع الآخيين، على كثرتهم".
عندئذ. أجابه أخيليوس، سريع القدمين، قائلاً:
"أيأس، يا سليل زيوس التيلاموني وحاكم الشعوب
٦٤٥ يبدو أنك تتطلق دائماً بما يدور في عقلي
ولكن قلبي مازال مفعماً بالغضب عندما أتذكر
تلك الأفعال، وكيف أهانتني ابن أتريوس بين الأرجيين
بوقاحة، كما لو كنت شخصاً منبوذاً عديم الكرامة.
فلتراجعوا ولتعلنوا للأرجيين قراري بوضوح: إنني لن
٦٥٠ أبالي بالحرب الملعونة التي تستنزف النماء، قبل أن
يأتى ابن برياموس ذو القلب الحكيم، هيكتور شبيه
الآلهة، إلى سفن الميرميدونيين وخيامهم،
فيقتل الأرجيين ويضرم النيران في سفنهم. ولكنني
أعتقد أنه مهما كانت رغبة هيكتور في القتال، لن يأت
٦٥٥ لمحاربتى هنا بجوار خيمتى وسفينتى الموداء".
هكذا تحدث. وأمسك كل منهم كأساً ضخماً، وقيل

- أن يشربوا سكبوا القرابين للآلهة، ثم أسرعوا إلى سفنهم
مرة أخرى. وقادهم أوديسيوس. فى حين أمر
باتروكلوس محظياته بإعداد فراش وثير لفونيكس على
وجه السرعة. وكما أمرهن، قمن بإعداد الفراش
٦٦٠ بأجود أنواع الكتان وبأغطية من الفرو.
وتمدد العجوز فوقه منتظراً بزوغ رية الفجر (إيوس).
بينما نام أخيليوس فى نهاية الخيمة المتينة،
وإلى جانبه نامت امرأة: ديوميدي، ابنة فورباس،
٦٦٥ جميلة الوجنتين، التى أحضرها من ليسبوس. أما
باتروكلوس فقد نام فى الجانب المقابل ويجانبه إيفيس
(ذات النطاق الجميل) التى منحها له أخيليوس المجل
عندما استولى على مدينة سكيروس، قلعة إنيوس الحصينة.
وعندما عاد الرسل، دخلوا خيمة ابن أتريوس،
٦٧٠ فنهض جميع الآخيين وقدموا لهم الكنوس الذهبية،
وتجمعوا من كل صوب وحذب وتوجهوا إليهم
بالأسئلة، وكان أجاممنون، ملك الرجال، أول السائلين:
"قلأت يا أوديسيوس، يا فخر الآخيين العظيم، يامن
يمدحونك كثيراً، ولتخبرنى ما إذا كان قد وافق على الدفاع
٦٧٥ عن السفن وحمايتها من نيران العدو أم رفض.
وهل مازال الغضب يسيطر على روحه المتعالية؟".
وفى الحال أجابه أوديسيوس الإلهى، الذى عانى كثيراً، قائلاً:
"أجاممنون يا ابن أتريوس المجل، ياملك الرجال،
إنه يرفض أن يطفىء نار حنقه. وما زال الغضب
المجنون يسيطر على روحه أكثر مما مضى. وبحقرك
٦٨٠ أنت وهداياك. وهو يطلب منك أن تتشاور مع الأرجيين

- كيف ننفذ شعب الأخيين وسفنهم .
وهو يهدد أنه، عندما يطلع الصباح سوف ينزل إلى
الماء سفنه ذات المجاديف القوية على كلا الجانبين.
كما قال إنه سوف يبحث الآخرين على العودة معه
٦٨٥ إلى الوطن، حيث إنكم لن تشهدوا نهاية إليون المنبعة،
لأن زيوس، بعيد النظر يضع يده مع هذه المدينة
وبحميها، ويملاً شعبها بالثقة. هكذا قال، ويستطيع
من ذهبوا معي أن يؤكدوا ذلك، إنهم موجودون
هنا، أباس والرسولان الآخران، وهم جميعاً يتمتعون
٦٩٠ بالحكمة والحصافة. كما أمر الشيخ فوينيكس أن يبقى
معه حتى الصباح، فسوف يصحبه في سفينته
إلى وطنه الحبيب في اليوم التالي، إذا ما رغب في ذلك.
فهو لا يريد أن يصطحبه مكرهاً".
هكذا تحدث. واستمع الآخرون إليه في صمت
مطبق، من شدة دهشتهم بحديثه العنيف
ومن شدة حزنهم. ظل الأخيون صامتين فترة طويلة.
٦٩٥ وأخيراً تحدث ديوميديس، البارع في صيحة القتال، قائلاً:
"يا ملك الرجال، أجاممنون العظيم، يا ابن
أثريوس، يجب عليك ألا تتوسل لآين بيليوس الذي لا
نظير له، وألا تخطب وده بالهدايا الكثيرة، فهو
متعطرس على الدوام، وأنت الآن تنثر فيه روح
٧٠٠ الغطرسة أكثر. فيجب علينا أن نتركه الآن، سواء قرر
الرحيل أو البقاء، فسوف يحارب مرة أخرى عندما
يأمره قلبه داخل صدره بذلك، أو عندما يحثه أحد
الآلهة. ولكن فلنحاول إقناع الآخرين.

- ٧٠٥ أما الآن. فلنذهب للنوم، سعداء القلب مسرورين،
بعد أن امتلأنا بالطعام والخمر. فذلك يمنحنا القوة
والشجاعة. وعندما تشرق ربة الفجر الجميلة ذات
الأصابع الوردية، سوف نأخذ الرجال والجياد بسرعة
من أمام السفن ونسرع للقتال. ولتحارب أنت في المقدمة".
- ٧١٠ هكذا تحدث ديوميديس، مروض الخيول.
وصاح الجميع مستحسنين حديثه.
وبعد أن سكبوا قرايين الشراب، ذهب كل منهم إلى
- ٧١٣ خيمته ليستريح ويستمتع بهدية النوم.

الكتاب العاشر



ترجمة منيرة كروان

- نام كافة ملوك الأخيين الآخرون بجانب السفن
طوال الليل بعد أن غلبهم النعاس الجميل.
فقط أجاممنون بن أتريوس، راعي الشعوب
لم يستطع النوم اللذيذ أن يتغلب عليه، لانشغال ذهنه بالتفكير.
٥ وكما يرسل زيوس، زوج هيرا جميلة الشعر، البرق
ويصاحبه عاصفة مروعة من المطر أو البرد،
أو عاصفة تلجية تجعل الثلج يغطي الحقول،
أو عندما يجعل الحرب المدمرة تغفر فأها وأسفاً،
هكذا كانت تأوهات أجاممنون تندفع بسرعة من صدره،
١٠ من أعماق قلبه، وكانت روحه ترتعد داخله.
وكثيراً ما كان يحملق في السهل الطرودى متعجباً
من كثرة النيران المستعرة أمام اليون.
بينما تصل إلى مسامعه أصوات الناي والمزمار وضجيج البشر.
وكاد يمزق شعر رأسه من جذوره،
١٥ عندما كان ينظر إلى سفن الأخيين وحشودهم
ويتضرع إلى زيوس في عليائه، وقلبه الشجاع يئن ويتوجع.
ورأى في قرارة نفسه أن أفضل الحلول
أن يذهب أولاً إلى نيسنور بن نيلبوس، دون سواه
عله يستطيع أن يدبر معه خطة ماهرة وماهرة،
٢٠ يمكن بها تجنب الكارثة التي تكاد تقع على جميع الدانائيين.
لذلك نهض، ثم لف عباءته حول جسده،
 ووضع صندله الجميل في قدميه اللامعتين
ولف جسده بجلد أسد متوحش
أصفر اللون، وطويل يصل إلى قدميه، ثم أمسك رمحه.
٢٥ وبالمثل، تملك الخوف مينيلائوس

- وهجر النوم جفونه، فقد كان يخشى
 أن تنزل كارثة بالأرجيين، فمن أجله
 عبروا البحر، وجاءوا إلى طروادة ساعين إلى حرب شجاعة.
 لذلك، لف مينيلائوس كتفيه العريضتين بجلد نمر
 ٣٠ مبرقش، ثم رفع خوذته البرونزية ووضعها
 على رأسه، وأمسك رمحه بيده القوية.
 ثم انطلق كي يوقظ أخاه، ملك
 الأرجيين جميعاً، الذي كان الناس يبجلونه كإله.
 فوجده في مؤخرة سفينته، واضعاً سلاحه
 ٣٥ الجميل حول كتفيه، ورحب به بسرور عند قدومه.
 وبدأ مينيلائوس النبيل الحديث بقوله:
 "لماذا تسلحت هكذا، يا أخي العزيز؟ ألا تبحث عن أحد
 الرفاق ليقوم بالتجسس على الطرواديين؟ لشد ما أخشى
 ألا يوافق أحد على القيام بهذه المهمة من أجلك،
 ٤٠ وأن يقوم بالتجسس على الأعداء بمفرده،
 أثناء الليل العاطر. إذ يتطلب الأمر شجاعة فائقة".
 ورد عليه أجاممنون المهيب قائلاً:
 "إبنى في أمس الحاجة للنصيحة، وكذلك أنت يامينيلائوس،
 بامن رباه زيوس، نصيحة ذكية، تساعد الأرجيين
 ٤٥ وتتخذ سفنهم، حيث إن زيوس قد تحول ضدنا
 فمما لا شك فيه أن قلبه قد تحول بسبب القرابين التي يقدمها له هيكتور.
 فلم أرى في حياتي، ولم أسمع أن أحداً قال من قبل،
 إن رجلاً واحداً يمكنه أن يحدث هذا القدر الهائل من الضرر يومياً
 مثلما ينزل هيكتور، حبيب زيوس، بالآخيين من أضرار،

- ٥٠ رغم أنه ليس ابنا لأحد الآلهة أو إحدى الإلهات.
أعتقد أن تلك الأفعال الشريرة التي يخطط لها
ضد الأرجيين سوف تصيبهم بأضرار تستمر أمداً طويلاً.
ولكن، لنذهب الآن بسرعة تجاه السفن، ولتدعو
أياس وإيدومينيوس، وسوف أسرع أنا إلى نيسطور، شبيه الآلهة.
- ٥٥ فإذا كان راغباً في الحضور، سوف أحثه لكي يأتي الآن
ليرى الحراس البواسل وليوجه إليهم الأوامر.
فهو الوحيد الذي سوف يطيعون أوامره أكثر من أى شخص آخر،
لأن ابنه يتولى قيادة الحرس، فقد عهدنا إليه
بهذه المهمة، هو وميريونيس، رفيق إيدومينيوس فى القتال".
- ٦٠ عندئذ أجابه ميتيلاوس، الباراع فى صيحة القتال، قائلاً:
"حسناً، ولكن بماذا تأمرنى
البقى هنا معهم فى انتظار عودتك
أم الحق بك بعد أن أصدر لهم الأوامر؟"
فأجابه أجاسمون، ملك الرجال، مرة ثانية، بقوله:
"لتبق هنا، حتى لا يفقد أحدنا الآخر
فى الذهاب هنا وهناك، إذ توجد طرق عديدة تؤدى إلى المعسكر.
وأينما ذهبنا لتناد عليهم بصوت مرتفع حتى يستيقظوا،
ولتناد على كل منهم باسم أبيه
ولتعظمهم جميعاً، ولا تبالغ فى تكريم نفسك.
- ٧٠ فلتتعب نحن أنفسنا من أجلهم، نحن الذين رسم لنا
زيوس، منذ مولدنا، قدرًا مليئًا بالمتاعب".
هكذا قال، ثم أرسل أخاه بتعليمات مشددة،
بينما ذهب هو باحثًا عن نيسطور، راعى الشعوب.

- ولقد وجده مستلقياً بجوار خيمته قريباً من سفينته السوداء
 ممدداً على فراش وثير وجوارء سلاحه المزركش:
- ٧٥ ترس مستدير، ورمحان، وخوذة لامعة
 وعلى مقربة منه، الحزام البراق الذى اعتاد البطل المسن
 أن يتمنق به، كلما بدأ الاستعداد لقيادة شعبه للحرب،
 قاتلة الرجال، غير عابئ بوهن الشيخوخة.
- ٨٠ وبعد أن ارتكز على مرفقيه، رفع رأسه
 وحاطب ابن أتريوس وسأله قائلاً:
- "من هذا القادم بمفرده إلى السفن عبر المعسكر
 خلال الليل البهيم، بينما جميع البشر يغطون فى سبات عميق؟
 أتبحث عن بعض الحراس أم تبحث عن أحد رفاقك؟
 تحدث ولا تقترب فى صمت، ماذا جاء بك؟"
- ٨٥ عندئذ أجابه أجاممنون، ملك الرجال، قائلاً:
- "اطمئن يا فخر الأخيين نيسنور، بن نيلبوس،
 فأنا أجاممنون بن أتريوس، الذى أوقعه زيوس،
 أكثر من جميع البشر الآخرين، فى متاعب تدوم طالما
 بقى نفس فى صدرى، وطالما استطاعت أطرافى الحركة.
- ٩٠ وهكذا أهيم على وجهى، لأن النوم اللذيذ لم يزر جفونى،
 لقد أنقلتنى الحرب وأحزان الأخيين بالهموم.
 إننى أشعر بخوف عظيم على الدانائيين، ولا تستقر روحى
 فى هدوء، بل تعانى من هم ثقيل، ويكاد قلبى
 يقفز خارج صدرى، وترتعد فرائصى من الخوف.
- ٩٥ ولكن، إذا كنت مهتماً ولم يتغلب عليك النوم،
 دعنا نذهب هناك لنتفقد الحرس ونراقبهم

- حتى لا يغلبهم التعب والنعاس
فيخروا نائمين وينموا واجيهم تسانماً.
- ١٠٠ فالعدو يربض على مقربة منا، ولا نعرف
إذا كان يخطط للقتال أثناء الليل أم لا".
- عندئذ أجابه نيسنور، الفارس الجيريني، قائلاً:
"أجاممنون، يا ابن أتريوس، ياملك الرجال وأعظمهم
ابنى الآن أتمنى ألا يحقق زيوس الحكيم
١٠٥ خطط هيكتور، بل إننى أتوقع أنه
سوف يصادف متاعب جمّة، إذا ما تحول
قلب أخيلئوس الرقيق وتخلي عن غضبه العنيد.
بكل تأكيد سوف أذهب معك لتوقظ الآخرين،
ابن تيديوس المشهور برمحه، أوديسيوس،
١١٠ وأياس سريع القدمين، وابن فيليوس الشجاع.
وليذهب أحدهم ليستدعى هؤلاء الأبطال:
أياس شبيه الآلهة، وإيدومينيوس المجل.
فإن سفنهم توجد على مسافة بعيدة، وليست على مقربة منا.
وسوف أوجه اللوم لمينيلائوس، رغم حبي الشديد له
١١٥ واحترامى لشخصه، ورغم أن ذلك قد يضايقك، فلن أخفيه.
فهو يغط في سبات عميق ويترك هذا اللعب عليك وحدك،
وكان أحرى به أن يكون هو الذى يسعى بين جميع القادة
ويتضرع إليهم، فقد أصبح الموقف عصيباً".
- عندئذ، أجابه أجاممنون، ملك الرجال، بقوله:
١٢٠ "أيها الشيخ، ربما أطلب منك فى وقت آخر أن تلومه
فهو كسول ولا يحب أن يجهد نفسه،

- ولا يتخلى مطلقاً عن كسله وحماقته،
وينتظر دائماً أن أتولى أنا القيادة.
- أما هذه الليلة، فقد سبقني، استيقظ مبكراً وجاءني
ولكنني أرمسته ليستدعي بعض القادة الذين أمرت بحضورهم. ١٢٥
ولكن لنذهب الآن، فسوف التقى بهؤلاء القادة أمام البوابات،
فقد طلبت منهم أن نتجمع عند الحراس".
- فأجابه نيسطور، الفارس الجيريني، قائلاً:
"هكذا لن يتضايق منه أحد من الأرجيين
إذا ما طلب منه شيئاً، ولن يعصاه إذا ما أصدر إليه أمراً". ١٣٠
هكذا قال ثم ضم رداءه على صدره،
ووضع صندله الجميل في قدميه اللامعين
ولف عيائه الأرجوانية الواسعة ذات الطيات،
كثيفة الوبر، حول جسده ثم أمسك رمحه القوي ذا الرأس
البرونزي الحاد. وذهب متجهاً ناحية سفن الأخيين لابسى البرونز. ١٣٥
وأيقظ نيسطور، الفارس الجيريني، أوديسيوس نظير زيوس في حكمته،
عندما صاح صيحة نفذت إلى عقله بسرعة،
فجاء من خيمته مسرعاً وخاطبهم بقوله: ١٤٠
"لماذا تتجولان هكذا بمفردكما بين المعسكر والسفن
أثناء الليل العاطر، ما هي الحاجة الملحة التي دفعتكما لذلك؟"
فأجابه نيسطور، الفارس الجيريني بقوله:
"لا تتزعج يا أوديسيوس يا كثير الحيل، يامن وهبته
السماء للانيرتس. لقد أطبق الحزن الشديد على الأخيين، ١٤٥
فلتلحق بنا حتى نوقظ بقية القادة، فيجب
أن نناقش معهم ما إذا كان من الأفضل أن ننسحب أو أن نحارب".

- هكذا قال، أما أوديسيوس كثير الحيل، فقد ذهب إلى خيمته
 ووضع درعه المزخرف على كتفيه، وذهب ليلحق بالآخرين.
 ١٥٠ وانطلقوا يبحثون عن ديوميديس بن تيديوس، ووجدوه،
 خارج خيمته ومعه سلاحه، وكان رفاقه نائمين حوله وقد
 وضعوا تروسهم تحت رؤوسهم. وعلى مقربة منهم كانت رماحهم
 مصفوفة ومسندة على مقابضها، بينما كانت رؤوسها البرونزية
 تلمع من بعيد وكأنها وميض البرق، الذي يرسله زيوس أبو الآلهة.
 ١٥٥ وكان البطل نائمًا وقد بسط تحته جلد ثور من ثيران
 المراعى، ووضع تحت رأسه بساطًا رائعًا.
 ووقف نيسطور، الفارس الجيريني، بجانبه،
 وأيقظه بركلة من كعب حذائه، وانفجر في وجهه مؤنيبًا:
 "استيقظ يا ابن تيديوس، أتفرق في النعاس طوال الليل؟"
 ١٦٠ ألا ترى أن الطروانيين قد عسكروا على التل المرتفع
 بالقرب من السفن وأن المسافة التي تفصلهم عنا ضئيلة؟
 هكذا قال، فقفز الآخر من نومه مذعورًا
 ورفع صوته بهذه الكلمات المجنحة:
 "سيدي الشيخ، إنك عديم الرحمة، ولا تتوقف عن خلق المتاعب
 ١٦٥ أليس هناك من بين الأخيين من هو أصغر منك سنًا
 فيكون بوسعه أن يذهب هنا وهناك ليوقظ الملوك
 كلاً حسب دوره؟ إنك عجيب أيها الأشيب."
 فأجابه نيسطور، الفارس الجيريني، بدوره قائلاً:
 "بلى يا صديقي العزيز، لقد نطقت صدقًا.
 ١٧٠ فلدى أبناء شجعان، وهناك الكثير من
 الرجال، ويمكن لأحدهم أن يذهب ويتجول ليدعو القادة،

- ولكن الضرورة القاسية تسحق الأخيين فمصيرهم الآن على شفا الهاوية،
فإما أن تقدر لنا النجاة أو الموت.
- ١٧٥ ولكن إذا كنت حقاً تشفق عليّ، فلتذهب لتوقظ
ابن فيليبوس وأياس، سريع القدمين، فأنت بالفعل أصغر سنّاً.
هكذا قال، ثم وضع حول كتفيه جلد
أسد متوحش أصفر اللون يصل إلى قدميه، ثم أمسك رمحه
وشرع في الانصراف، فأيقظ الأبطال وسار أمامهم.
- ١٨٠ وعندما وصلوا إلى مكان الاجتماع وسط الحراس،
وجدوا أن قادة الحرس لم يناموا،
بل كانوا يقومون بالمراقبة ومعهم أسلحتهم، لقد كانوا جالسين،
مثل الكلاب التي تحرس الغنم بيقظة نامّة في ساحة المنزل،
فعندما يشعرون باقتراب وحش مقترس قادم
عليهم من الغاية، يحيطونه بجلية شديدة،
- ١٨٥ جلبة من أصوات البشر والكلاب، ويهرب النوم من أعينهم.
هكذا هجر النوم للذيذ جفونهم
وسهروا طوال الليل في نوبات للحراسة. وحدقت
أبصارهم في اتجاه التل، عليهم يسمعون صوت قدوم الطرواديين.
- ١٩٠ وقد سعد الشيخ الممس لرويتهم وشجعهم بحديثه
وخاطبهم بهذه الكلمات المجنحة:
"أبنائي الأعزاء، هكذا تكون الحراسة، لا تدعوا النوم
يتمكن من أحدكم، حتى لا نصبح مصدر سعادة لعدونا".
هكذا تكلم، ثم وثب ليعبر الخندق وتبعه الملوك
الأرجيون الكثيرون الذين تمت دعوتهم لهذا الاجتماع.
- ١٩٥ وقد جاء معهم ميريونيس وابن نيسثور المجيد،

- فقد دعا الملوك هذين الاثنين ليتشاوروا معهما.
وبعد أن عبروا الخندق المحفور، جلسوا
في مكان نظيف خال من الجثث
المبعثرة، بعد أن توقف هيكتور القوى
٢٠٠ عن قتل الأرجيين، عندما بدأ الليل يرخي سدوله.
وجلسوا هناك ليتبادلوا الحديث معاً.
وبدأ نيسطور، الفارس الجيريني، الحديث قائلاً:
"أيها الأصدقاء، ألا يتق أحدكم في شجاعته
٢٠٥ ويجرؤ على الذهاب وسط الطرواديين للبوائل
ويقوم بهذه المخاطرة، فربما يأسر بعض الأعداء المتخلفين،
أو قد يكشف شيئاً، أو قد يسمع حديث بعض الطرواديين
فنعرف منه ماذا يدبرون الآن،
وهل سيمكثون هنا قرب السفن بعيداً عن المدينة، أم
٢١٠ أنهم سوف ينسحبون إلى المدينة بعد أن قهروا الأخيين؟
إن من يذهب ويكتشف كل ذلك، ثم يعود إلينا
سالمًا، سوف تبلغ شهرته عنان السماء
ويصل صيته إلى جميع البشر، فهو شجاع للغاية.
وسوف يمنحه كل واحد من القادة الذين يتولون
٢١٥ أمور السفن، على كثرتهم، شاة
سوداء^(٢) ومعها رضيعها، وبالها من ملكية عظيمة.
وسوف يكون ضيفاً مكرماً على كل الولائم والمآدب."
هكذا تحدث، واستمع إليه الباقيون في صمت مطبق،
إلى أن تحدث ديوميديس، الباراع في صيحة القتال، قائلاً:

(٢) يبدو أن المشاة السوداء كانت الجائزة أو المكافأة التي تعطى للجاسوس العائد من مهمته الصعبة، وقد تكون لها دلالات رمزية. (المحرر)

- ٢٢٠ "نيستور، إن قلبى وروحي الشجاعة يدفعانى
للذهاب إلى معسكر أعدائنا الطرواديين
الموجود على مقربة منا. ولكن شجاعتى وثقتى
سيلقيان مزيداً من القوة إذا ما صحبني أحد الرفاق.
فعندما يذهب اثنان معاً، فإن أحدهما يوضح للآخر
- ٢٢٥ كيف يحقق الفائدة، أما إذا كان فرداً واحداً فإن حيلته ضعيفة"
هكذا قال، ورغب كثيرون في مرافقة ديوميديس.
فقد رغب فى ذلك المحاربان الثنائى أياس حبيب أريس-
وكذلك ميريونيس، وكانت رغبة ابن نيسور شديدة
- ٢٣٠ وكذلك مينيلأوس بن أتريوس، المشهور برمحه.
كما رغب أوديسيوس شديد التحمل فى الذهاب إلى
معسكر الطرواديين، فإن حب المغامرة كامن فى نفسه دائماً.
لذلك صاح أجاممنون ملك الرجال قائلاً:
"ديوميديس، يا ابن تيديوس، يا أحب الناس إلى قلبى
سوف تختار أنت من تريده ليكون رفيقاً لك.
ومن ثم، فمن بين الكثيرين الراغبين، خذ الأفضل.
ولا تأخذ شخصاً سيئاً ليكون رفيقك، وتترك الأفضل
بسبب احترامك لشخص ما، أو لأنك
تخشى أحدهم، حتى لو كان من أصل ملكى".
- ٢٤٠ هكذا تكلم، ولكنه كان قلقاً بشأن مينيلأوس، أشقر الشعر.
ومرة أخرى تحدث ديوميديس، البارع فى صيحة القتال، وقال:
"إذا كنتم تطلبون منى أن أختار رفيقاً لى
فكيف إنن أنسى أوديسيوس، شبيه الآلهة،
فهو يملك قلباً مليئاً بالحماص وروحاً بطولية قادرة على مواجهة

- ٢٤٥ كل الصعاب، كما أن أثينة باللاس تحبه.
فإذا صاحبنى وكان رفيقى فى مهمتى فسوف نعود معا
من بين النيران المشتعلة، فهو يعرف كيف يتدبر الأمور ببراعة".
عندئذ أجابه أوديسيوس، شبيه الآلهة، برباطة جأش قائلاً:
"لست بحاجة لأن تمدحنى أو تهنئنى، يا ابن تيديوس،
فأنت، كما ترى، تتحدث بين الأرجيين الذين يعرفوننى جيداً.
ولكن هيا بنا نذهب، فالليل يمضى مسرعاً والصبح يقترب
وارتحلت النجوم بعيداً فى السماء، لقد مضى معظم الليل،
لقد انقضت ثلثاه وبقي ثلثه الأخير فقط".
- هكذا قال، ثم وضع الاثنان أسلحتهما الرهيبة على جسديهما،
وأعطى ثراسيميديس، ثابت الجنان فى المعركة، ابن تيديوس
سيفاً ذا حدين، لأنه ترك سلاحه فى السفينة
كما أعطاه ترساً، ثم وضع على رأسه خوذة
من جلد الكلب، ليس بها عرف ولا يزيناها الريش،
إنها غطاء يحمى رأس المحارب قوى البنية.
- وأعطى ميريونيس أوديسيوس جعبة سهام وقوساً
وسيفاً، وغطى رأسه بخوذة
من الجلد ومزينة بشرائط عديدة ومبطنة من الداخل جيداً،
أما من الخارج فقد كان بها نتوءات لامعة
منتشرة هنا وهناك ومصنوعة من أسنان الخنزير.
- إنها خوذة جيدة الصنع، ومثبت بها فى منتصفها طبقة من اللباد.
إنها خوذة أمينتور بن أورمينوس الذى أخذها ذات مرة
أوتوليكوس عندما حل ضيفاً على صاحبها الجسور فى مدينة إيليون^(*).

(*) إيليون Eleon تقع فى بويوتيا أما أوتوليكوس فهو اللص الرئيسى فى الأساطير وهو جد أوديسيوس وكان قادراً على تغيير شكله ومن ثم لم يستطع أحد الإمساك به. (الغور)

- وقد أعطاها إلى أمفيداماس، ملك كيثيرا، الذى أخذها إلى سكانديا
وقدمها أمفيداماس إلى مولوس، هدية ضيافة.
- ٢٧٠ ثم أعطاها مولوس إلى ابنه ميريونيس ليرتيديها.
وهى تحيط الآن برأس أوديسوس وتغطيها.
هكذا، وبعد أن وضع هذان البطلان أسلحتهما الرهيبه
شرعا على الفور فى الانصراف، وتركوا بقية القادة.
فلما مضيا فى طريقهما أرسلت
لهما أثينة باللاس طائر البلشون (مالك الحزين)
٢٧٥ على الجانب الأيمن من الطريق، ورغم أنهما لم يرياها بأعينهما
بسبب ظلمة الليل الحالك، فقد سمعا صوت هتافه .
وتفاعل أوديسوس بهذا الطائر و تضرع إلى أثينة قائلاً:
"السمعيني يا ابنة زيوس حامل الدرع أيجيس، يامن
أجدك دائماً بجوارى فى كل الأزمات، فما من حركة من حركاتى
٢٨٠ تخفى عليك، كوني كريمة معى الآن أكثر من ذى قبل
وامنحينا عودة سالمة إلى سفننا، محاطين بالمجد،
بعد أن نتم بنجاح مهمتنا التى مستجلب الحزن للطرواديين".
ثم تبعه ديوميديس، البارح فى صيحة الحرب، قائلاً فى تضرع:
"فلتسمعى إلى أنا أيضاً يا ابنة زيوس الدؤوبه
٢٨٥ ولتتبعينى كما تبعت أبى تيديوس، شبيه الآلهة،
إلى طيبة، عندما ذهب رسولاً من قبل الأخيين
بعد أن ترك الأخيين لابسى البرونز عند نهر أسوبوس
وحمل معه للكادميين حديثاً رقيقاً.
ولكنه سبب لهم أهوالاً فظيعة عندما عاد إليهم مرة أخرى
٢٩٠ معك، أيتها الربة المشرقة، عندما وقفت بجانبه بمنتهى العطف.

- والآن فلتلقى بجانبي بكل الرضا ولتساعديني،
وسوف أقدم لك عاجلاً عمره عام واحد، عريض الجبين
سوف أقدمه لك كاملاً، عاجلاً لم يضعه بشر في النير بعد،
بعد أن أزين قرونه بالذهب".
- ٢٩٥ هكذا تحدث البطلان في ضراعة، واستمعت
إليهما أثينة باللاس، وبعد أن تضرعا إلى ابنة زيوس القوى
انطلقا كزوج من الأسود خلال الليل البهيم،
انطلقا إلى القتل والذبح وعبر الدم الأسود والسلاح
ولم يسمح هيكاتور للأبطال الطرواديين بالنوم، ولكنه دعاهم
للاجتماع. لقد دعى للاجتماع جميع قادة الطرواديين ورؤساءهم
٣٠٠ وقدم للمجتمعين خطة مأكرة وهو يقول:
"من منكم يعدنى أن يقوم بهذا العمل
وسوف ينال هدية ضخمة؟ إن جائزته سوف تكون ضخمة،
فسوف أمنحه زوجاً من الخيول طويلة العنق،
٣٠٥ من أفضل الخيول الموجودة على سفن الأخيين السريعة وعربية.
فمن يخاطر ويقوم بهذا العمل سوف يحقق لنفسه شيئاً
إذا ذهب إلى سفن الأخيين السريعة واستطلع ما إذا كانت
توجد حراسة على هذه السفن السريعة، كما كان الحال
من قبل، أو أنهم بعد أن قهرتهم أيادينا،
٣١٠ يتساورون فيما بينهم كي يهربوا، ولا يرغبون
في تولى الحراسة طوال الليل بعد أن غلبهم التعب الرهيب".
هكذا قال، واستمع إليه الحاضرون في صمت دون أن ينبسوا
بكلمة، وكان يوجد بين الطرواديين الحاضرين دولون، بن يوميديس،
٣١٥ الرسول الذى يشبه الآلهة، والذى كان يملك ثروة من الذهب والبرونز.

- ورغم قبح منظره، فقد كان دولون سريع القدمين،
وكان الابن الوحيد لوالده بعد خمس بنات.
خاطب دولون الطرواديين و هيكتور بهذه الكلمات:
"هيكتور، إن قلبي وروحي الشجاعة يدفعاني
٣٢٠ إلى أن أذهب إلى السفن السريعة للتجسس.
ولكن لتأت وترفع هذا الصولجان، وتقسم
أنك سوف تعطيني الخيول والعربة المزينة بالبرونز
التي كانت تحمل ابن بيليوس الذي لا نظير له،
فإني لن أخاطر دون مكسب. سوف تتحقق آمالك
٣٢٥ إذ سأذهب على الفور إلى حيث يعسكر الجيش حتى
أصل إلى سفينة أجاممنون، حيث يعقد القادة اجتماعًا
يتناقشون فيه ليقرروا ما سيفعلون، سيهربون أم سيحاربون".
هكذا قال، ورفع هيكتور الصولجان بين يديه وأقسم قائلاً:
"إيشهد زيوس، مرسل الرعد القوى، زوج هيرا
٣٣٠ إنه ما من رجل آخر من بين الطرواديين
سوف يمتطي هذه الخيول، وإني لأؤكد لك
أنك سوف تسعد بهذه الخيول إلى الأبد".
هكذا قال، وأقسم قسمًا غير مجد، لكنه أثار روح دولون
فوضع أقواسه المعقوفة على كتفيه على الفور،
ولف نفسه بحزام من جلد الذئب الرمادي،
٣٣٥ ووضع على رأسه غطاء من فرو الدلق
الرمادي اللون، وأمسك برمحه الحاد.
وأسرع بالخروج من المعسكر سائرًا في اتجاه السفن، عازمًا
على ألا يعود مرة أخرى من السفن دون أن يحمل خبرًا لهيكتور،

- وترك خلفه حشدًا من الجياد والرجال
 ٣٤٠ واتجه في طريقه بحماس. ولكن أوديسيوس، سليل زيوس،
 لمحّه قادمًا، فقال مخاطبًا ديوميديس:
 "ديوميديس، إنني ألمح شخصًا قادمًا من المعسكر،
 ربما جاء ليتجسس على سفننا.
 أو ربما جاء ليسلب أسلحة إجدى الجثث الملقاة،
 فننقله يمر بأمان على التل لبعض الوقت
 ٣٤٥ ثم ننقض عليه بعد ذلك ونمسك به
 بسرعة. فإذا ما أقلت منا، بسبب سرعة قدميه،
 فلتدفعه بعيدًا عن معسكره في اتجاه السفن،
 مستخدمًا الرمح، حتى لا يهرب إلى المدينة".
 وبعد أن قال ذلك، انبطح الاثنان أرضًا، بعيدًا
 ٣٥٠ عن الطريق، وفي غفلة تامة مر دولون بهما مسرعًا.
 وعندما ابتعد عنهما بمقدار المسافة التي تقطعها البغال
 بمحراث مزدوج في تربة سهلة.
 - والمعروف أن البغال تتفوق على الثيران في سرعة الحرث -
 عندئذ اندفع الاثنان في مواجهته، وتوقف دولون فور
 ٣٥٥ سماع صوتيهما، وقلبه يتنبض بأمل أن يكونا رقيقين قادمين
 من عند الطرواديين كي يعودا به، حسب أوامر هيكتور.
 وعندما أصبح على بعد رمية رمح أو أقل منها
 عرف أنهما من الأعداء، فلاذت قدماه السريعتان
 بالفرار، وبدأ الاثنان مطاردته في الحال.
 ٣٦٠ ومثلما يطارد كلبان خبيران بفنون الصيد والقنص ولهما أسنان حادة
 غزالًا صغيرًا أو أرنبًا بريًا ويجريان وراءه بدون توقف

- وسط الأشجار الكثيفة، وهو يجرى أمامهما صارخاً في هلع،
هكذا قام ابن تيديوس و أوديسيوس مدمر المدن،
بإبعاده عن أهله، وتعقباه دون توقف.
- ٣٦٥ وعندما كان على وشك الجرى وسط الحراس
والهرب في اتجاه السفن، وملأت الرية أثينة
نفس ديوميديس بالشجاعة مرة أخرى، وخشى أن يتأخر أحد
الأخيين لابسى البرونز أنه كان الأول وأن ديوميديس كان الثاني
فهاجمه ديوميديس برمحه قائلاً:
- ٣٧٠ "قف وإلا أصابك رمحي، إنني أحذرك بأنك لن تغلت
من الموت المؤلم على يدي لفترة طويلة".
هكذا قال، ثم قذف رمحه وتعمد ألا يصيبه
فمر طرف الرمح اللامع من فوق كتفه اليسرى
ثم انغرس في الأرض. فتوقف دولون مرتبكاً
وكانت أسنانه تصطك ببعضها البعض من الخوف
- ٣٧٥ وشحب لونه من الرعب، وعندما وصلا إليه وهما يلهتان
أمسكاه من كلتا يديه، فقال وهو يذرف الدمع:
"أبقيا على حياتي وسوف أدفع فديتي، ففي بيتي
الكثير من البرونز والذهب وكذلك الحديد المصنوع بفن ومهارة.
- ٣٨٠ إن أبي سوف يقدم لكما عن طيب خاطر فدية هائلة
إذا عرف أنني مازلت حياً في سفن الأخيين".
عندئذ أجابه أوديسيوس، كثير الحيل، قائلاً:
"لا تخف ولا تجعل فكرة الموت تسيطر عليك،
والآن لتصدقني القول ولتحكى لي بالتفصيل
لماذا أتيت بمفردك من معسكركم إلى سفننا
- ٣٨٥

- أثناء الليل المظلم، بينما جميع الأحياء نيام؟
 أجنّت لتجرد الجثّت من أسلحتها ؟
 أم أرسلك هيكتور لتتجسس على ما جرى،
 في السفن الضخمة ؟ أم جثت من تلقاء نفسك؟"
- ٣٩٠ عندئذ أجابه دولون، وأطرافه ترتعد من الخوف قائلاً:
 لقد قادني هيكتور لأخطاء كثيرة
 عندما وعدني أن يعطيني خيول ابن بيليوس
 الأشهر الأصيلّة، وعربته المزينة بالبرونز
 وأمرني أن أذهب بسرعة في ظلمة الليل
 إلى معسكر الأعداء، ربما أعرف
- ٣٩٥ ما إذا كانت هناك حراسة على السفن السريعة، كما كانت من قبل
 أم أنكم، بعد أن هزمت على أيدينا، تتشاورون
 فيما بينكم بشأن الهرب، وتركتم السفن
 دون حراسة طوال الليل، بعد أن نال منكم الشعب الفطيع".
- ٤٠٠ فأجابه أوديسيوس، كثير الحيل، وهو يبتسم بقوله:
 "حقاً، إنها هدايا عظيمة تلك التي كانت روحك تتطلع إليها،
 خيول سليل أياكوس الحكيم، إنها خيول يصعب
 على الرجال من البشر أن يتحكموا فيها ويروضوها،
 باستثناء أخيلبيوس، لأنه مولود لأم من غير البشر.
 ولكن لتحك لي القصة، ولتلتزم الصدق في روايتها.
- ٤٠٥ أين تركت هيكتور، راعي الشعوب،
 عندما حضرت إلى هنا؟ وأين يضع سلاحه؟ وأين توجد خيوله؟
 كيف يتم تنظيم الحرس؟ وكيف ينام بقية الطرواديين؟
 فيما يتناقشون الآن: هل يرغبون في

- ٤١٠ البقاء عند السفن، بعيداً عن المدينة، أم سوف
ينسحبون إلى الداخل، بعد أن قهروا الآخرين؟
وأجاب دولون بن يوميديس، على أسئلة أوديسيوس بقوله:
"حسنًا، سأخبرك بكل هذه الأمور وسألتزم الصدق تمامًا.
يعقد هيكتور وجميع القادة الآخرين الذين يتشاور معهم
٤١٥ بالفعل اجتماعًا الآن بالقرب من قبر إلوس المقدس،
بعيدًا عن ضوضاء المعركة. أما الحراس الذين تسأل عنهم، أيها البطل،
فلا يوجد أحد منهم لينقذ المعسكر أو ليحرسه. يشعل
الطرواديون الكثير من المشاعل المضئية، بقدر ما تقضى الحاجة،
لمن يسهر لتولى الحراسة، حيث ينادى كل منهم
على الآخر (ليظل مستيقظًا). أما الحلفاء القادمون من بلاد مختلفة،
٤٢٠ فقد خلدوا للنوم بعد أن اعتمدوا على الطرواديين في الحراسة،
حيث إن أطفالهم وزوجاتهم (لبسوا معهم بل) يعيشون في مكان بعيد".
حينئذ سأله أوديسيوس، كثير الحيل، قائلاً:
"ولكن كيف ينامون؟ أينامون مختلطين بالطرواديين
٤٢٥ مروضى الخيول أم منفصلين عنهم؟ أخبرني حتى أعرف".
فأجابه دولون، بن يوميديس، قائلاً:
"حسنًا، سأخبرك بكل صراحة. ينام الكاريون
في مواجهه البحر، وكذلك البايونيون ذوو الأقواس المعقوفة،
وأيضاً الليليغيون والكاوونيون ومعهم البلاسجيون أشباه الآلهة.
٤٣٠ وفي مواجهة تيمبرا عسكر الليكيون والميسيون الشجعان والفريجيون
الذين يحاربون من فوق العربات والمايونيون الفرسان
ولكن لماذا تكثر من السؤال عن هذه الأشياء ؟
فإذا كنتمما ترغبان حقاً في دخول معسكر الطرواديين ،

- فإن الطراقيين يعسكرون في مؤخرة خطوط الطرواديين حيث وصلوا
 ٤٣٥ لتوهم وهم الأقرب لكم ومعهم ملكهم ريسوس، بن أيونيوس،
 ومعه خيوله، وهي أجمل الخيول التي رأيتها على الإطلاق وأكبرها
 حجماً، وهي أكثر بياضاً من الجليد وتشبه الريح في سرعتها.
 وقد زينت عربته بالذهب والفضة، كما أحضر معه سلاحه الضخم
 المصنوع من الذهب، أعجوبة للناظرين.
- ٤٤٠ إن من يستطيع حمل هذا السلاح لا يعد من البشر بأي حال
 من الأحوال، ولكنه يعد من الآلهة الخالدين. فلنأخذاني الآن إلى
 السفن السريعة، أو لتتركاني هاهنا بعد أن تقيداني بقيد رقيق.
 ولتذهب أنتما في طريقكما لتحاولا التحقق
 ٤٤٥ ما إذا كنت قد أخبرتكما بالحقيقة أم لا".
- فرماه ديوميديس الشجاع بنظرة قاسية وقال له:
 "لا تفكر الآن في الهرب يا دولون
 بعد أن وقعت في أيدينا، فرغم الأشياء الجيدة التي قلتها،
 فإننا إذا أطلقنا سراحك الآن، أو منحناك حريتك مقابل الفدية،
 ٤٥٠ فقد نأتى فيما بعد إلى سفن الأخيين السريعة
 لتتجسس علينا أو لتحارب ضدنا. ولكن إذا خضعت لأيدينا
 وأزهقنا روحك فلن تكون مصدر متاعب للأرجيين أبداً".
 فأمسك دولون لحيته الكثيفة وهو يتضرع إليه،
 ٤٥٥ ولكن ديوميديس وثب عليه، وفي الحال ضرب عنقه بسيفه
 ضربة قطعت شرايينه، وتمرغت رأسه في التراب بينما كان.
 لا يزال يهدى عندئذ خلعاً عنه غطاء رأسه وهو من
 فرو للدلق الرمادي، وأخذاً رمحه الطويل وقوسه المعقوف
 ٤٦٠ وجلد الذئب وقدما ذلك كله قرباناً لأثينة، مانحة الغنائم فقد رفع

أوديسيوس، شبيهه الآلهة هذه الأسلاب عاليًا بين يديه وقال متضرعًا:
 "فلتسعدى أيتها الربة بهذه الأشياء، فإتنا نطلب عونك
 أنت من بين جميع الآلهة التي تسكن الأوليمبوس.
 فلتقودينا إلى حيث توجد خيام الطرافيين وخبولهم".

٤٦٥

هكذا قال، ثم رفع الغنائم عاليًا وعلقها في
 شجرة للطرفاء، ووضع عليها علامة واضحة
 وجمع فوقها أعواد الشجرة المزهرة وسيفانها
 حتى لا يفقد مكانها، عندما يعود في ظلمة الليل.
 ومضى الاثنان يخوضان وسط الأسلحة والدم الأسود،

٤٧٠

حتى وصلوا بسرعة في النهاية إلى حيث يعسكر الطرافيون.
 وكانوا يرقدون على الأرض نيامًا بعد أن أنهكهم التعب، وقد وضعوا
 أسلحتهم الجميلة بجوارهم، إذ صفاها على هيئة ثلاثة صفوف
 في نظام كامل، وكان يقف بجوار كل منهم زوج من الجياد.
 وقد نام ربسوس في وسط الطرافيين وبجواره خيوله السريعة
 التي كانت مربوطة بإحكام في مقدمة عربته بسيور جلدية.

٤٧٥

وكان أوديسيوس قد رآه أولاً، فأشار إلى ديوميديس عليه قائلاً:

"ها هو ذا يا ديوميديس، وهذه هي خيوله

التي وصفها لنا دولون، الذي قتلناه منذ لحظات.

ولكن هيا بنا، ولتتحل بكل قوتك، فلا يليق بك

٤٨٠

أن تقف عاطلاً وأنت كامل السلاح، ولتطلق سراح الخيول.

أو لتقتل أنت الرجال بينما أتولى أنا أمر الخيول"

هكذا قال، وملأت أثينة، زرقاء العينين، نفسه بالشجاعة

فصار يقتل الأعداء عن يمينه وشماله، وارتفع أنين مؤلم

من الرجال الذين أصابتهم السيوف. واصطبغت الأرض بالدماء

- ٤٨٥ الحمرء. ومثل أسد يهاجم قطيعاً من الغنم أو الماعز
ليس له راع، ويقفز عليه بغتةً وغيلةً ،
هكذا هاجم ابن تيديوس الطراقيين،
حتى قتل منهم اثني عشر رجلاً، ولكن
أوديسيوس، كثير الحيل، كلما كان ابن تيديوس يضرب بالسيف عنق
رجل، يقترب منه أوديسيوس ويمسك الجثث من أقدامها ويجرها،
٤٩٠ لأنه كان يخطط أن تمر من بينها الخيول،
جميلة العرف، بسهولة، وحتى لا تصاب بالفزع
إذا ما دانت فوق الجثث، فهي غير معتادة على الجثث .
وأخيراً، وصل ديوميديس، إلى الملك (ريسوس)
وكان الضحية الثالثة عشر، فسلبه الحياة
٤٩٥ وأخذ الملك نفسه الأخير بصعوبة. وفي تلك الليلة
كان ابن أويينيوس (ريسوس) يعاني من حلم فظيع أرسلته له أثينة.
وأثناء ذلك، كان أوديسيوس الشجاع قد أطلق سراح الخيول الأصبيلة
وربطها معاً بسيور من الجلد، وقادها بعيداً عن المعسكر
٥٠٠ وهو يضربها بقوسه، فقد نسى
أن يأخذ سوطه اللامع من العربية المزركشة.
ثم أطلق صفارة خافتة لكي ينبه ديوميديس الإلهي ،
الذي كان يقف وهو يفكر في حيرة أيهما أكثر شجاعة:
٥٠٥ أن يمسك العربية التي تحمل الأسلحة المطعمة بالنحاس
ويسحبها من القضيبي ويرفعها ويحملها عاليًا،
أو أن يحصد المزيد من أرواح الطراقيين.
وبينما هو يقلب هذه الأفكار في ذهنه، ظهرت الإلهة أثينة
وروقت بالقرب من ديوميديس الإلهي وخاطبته قائلة:
٥١٠ يا ابن تيديوس عظيم الشجاعة، فكر في العودة

- إلى السفن السريعة، فربما يوقظ أحد الأكلهة الآخرين
حشود الطرواديين قبل أن تتمكن من الهرب".
- هكذا قالت، وعندما عرف من هي التي تتحدث معه من صوتها
قفز بسرعة إلى العربية، بينما واصل أوديسيوس
ضرب الخيول بقوسه حتى وصلا إلى سفن الأخيين السريعة. ٥١٥
ولم يكن أبوللون، ذو القوس الفضي، غافلاً عن
مراقبة ما جرى، وعندما رأى أثينة تحث بن تيديوس وتشجعه
حنق عليها، ودخل وسط الطرواديين
وأيقظ أحد قادة الطراقيين، هيبوكوون
ابن عم ريسوس نبيل المولد، فهب من نومه فجأة ٥٢٠
وعندما رأى المكان الذي كانت تقف فيه الخيول السريعة خالياً
ورأى الرجال مازالوا يصارعون ألام الموت الرهيبة
راح يئن وهو يصرخ باسم صديقه الحبيب.
وما هي إلا لحظات حتى ارتفعت صرخات الطرواديين الرهيبة عالياً.
وفي الحال اندفعوا جميعاً، وجحظت عيونهم عندما رأوا الأفعال ٥٢٥
العديدة البشعة التي قام بها أولئك الذين عادوا إلى السفن السريعة.
وعندما وصل أوديسيوس وديوميديس إلى المكان الذي قتل فيه جاسوس
هيكاتور قام أوديسيوس، حبيب زيوس، بإيقاف الخيول السريعة
وقفز ابن تيديوس إلى الأرض، وبعد أن وضع بين يدي أوديسيوس
تلك الأسلاب المخبضة بالدم، اعتلى ظهر خيوله مرة أخرى ٥٣٠
بعد أن دفعها بلمسات من سوطه، وذهبا في طريقهما
للسفن المجوفة، ونفوسهما تتلهف للوصول إليها.
وكان نيسثور أول من سمع جلجلة العربية، فصاح قائلاً:
"أصنقائي، يا زعماء الأرجيين وقادتهم"

- أوهم هذا أم صدق؟ إن الفرحة تملأ روحي
 ٥٣٥ إننى أسمع الآن وقع حوافر خيول سريعة.
 أيقود أوديسيوس، ومعه ديوميديس الشجاع،
 الآن بعض خيول الطرواديين الأصيلة؟
 فرغم أنهما أشجع قادة الأرجيين، فإننى أخشى من كل
 ٥٤٠ قلبى أن يكون قد أصابهما مكروه فى معركتهم مع الطرواديين".
 ولم يكن قد أتم قوله عندما وصل البطلان
 فترجلا بسرعة عن الخيول، ووقفا على الأرض وسط فرحة
 الآخيين الذين قابلوهما بترحاب عظيم وبكلمات رقيقة،
 وكان نيسطور، الفارس الجيرينى، أول من سألهما قائلًا:
 ٥٤٥ "أوديسيوس، يامن يمدحك الجميع، يا فخر الآخيين
 لتقل لى كيف استوليتما على هذه الخيول بعد دخولكما
 معسكر الطرواديين، أم منحها لكما أحد الآلهة عندما تضرعتما إليه.
 إن هذه الخيول تشبه أشعة الشمس تمامًا.
 لقد اشتبكت مع الطرواديين فى حروب كثيرة، ونظرًا لأننى
 محارب قديم، فقد ذهبت إلى مناطق كثيرة بعيدة عن السفن،
 ٥٥٠ ولكننى، مع ذلك، لم أر مثل هذه الخيول، ولم أتخيل مجرد وجودها.
 لذلك فإننى أعتقد أن أحد الآلهة قد منحها لكما عندما تضرعتما إليه
 فإن زيوس، جامع السحب، يحبكما معًا
 وكذلك زرقاء العينين، أثينة حاملة الدرع أيجيس، وابنة زيوس".
 فرد عليه أوديسيوس، كثير الحيل، بقوله:
 ٥٥٥ "نيسطور، يابن نيلوس، يا فخر الآخيين العظيم
 إذا شاء إله من الآلهة فسوف يقدم بسهولة خيولاً أفضل
 من هذه الخيول، فالآلهة أكثر قدرة من البشر.

- وهذه الخيول، التي وصلت نواً و تسأل عنها، أيها الشيخ الأشيب،
خيول طراقية، لقد قتل ديوميديس الشجاع الملك الذي كان يملكها،
كما قتل اثني عشر قائداً من خيرة رفاقه.
٥٦٠ و قتل الثالث عشر، وكان جاسوساً، بعد أن أمسكنا به بالقرب من السفن،
لقد أرسله هيكتور وبقية القادة
الطرواديين لكي يتجسس على جيشنا".
- بعد أن قال ذلك، ففز بخيوله الأصيلة فرق الخندق
٥٦٥ وهو يضحك بصوت عال، وعمت الفرحة بقية الأخيين.
وعندما وصلوا إلى خيمة ابن تيديوس
هنالك ربطوا الخيول بأريطة قوية
في مقدمة العربة، حيث كانت تقف خيول
ديوميديس السريعة تأكل طعامها من الحبوب المعسولة.
٥٧٠ ووضع أوديسيوس أسلحة دولون الملطخة
بالدماء في مؤخرة سفينته حتى يقدمها قرباناً للربة أثينة.
وذهب أوديسيوس وديوميديس إلى البحر
ليزيلا العرق الغزير عن جسدهما بماء البحر،
و غسلا أرجلهم وأعناقهم وأكتافهم، فانتعشت روحاهما بعد
٥٧٥ أن غسل موج البحر العرق الغزير الذي علق بجدهما
ثم ذهبوا بعد ذلك إلى أحراض الاستحمام متينة البناء ليستحموا.
وبعد أن استحموا، مسحوا جسديهما بالزيت،
وجلسوا إلى مائدة العشاء، وسكبا القرابين
٥٧٩ للربة أثينة من إبريق مملوء بالنبيذ اللذيذ.

الكتاب العادي عشر



ترجمة منيرة كروان

- استيقظت ربة الفجر لتحمل الضياء للآلهة والبشر،
 ونهضت من مخدعها بجوار تيفونوس^(*) النبيل.
 وأرسل زيوس إريس الشريرة إلى سفن الأخيين.
 المريعة، وكانت ترفع شارة الحرب بيدها.
 ٥ ووقفت على سفينة أوديسيوس السوداء الضخمة،
 وقفت في منتصفها تماما، حتى يصل ما تعلقه إلى كلا الناحيتين،
 إلى حيث توجد خيام أياس التيلاموني،
 وإلى حيث توجد خيام أخيليوس، فقد سحبوا سفنهم
 إلى أبعد مسافة ممكنة معتمدين على شجاعتهم وقوة أيديهم.
 ١٠ وعندما وقفت الربة هناك صاحت بأعلى
 صوتها، ووضعت في قلب كل واحد من
 الأخيين رغبة عارمة للحرب والقتال الدائم.
 وفي الحال شعروا أن الحرب أكثر بهجة من أن يبحروا
 إلى أرض الوطن الحبيبة في سفنهم المجوفة.
 ١٥ وصاح بن أتريوس عالياً وأمر الأرجيين
 أن يستعدوا للحرب. ثم لبس سلاحه البرونزي اللامع.
 ففى البداية وضع درع الساق حول ساقيه
 الجميلتين، وثبته بأربطة من الفضة.
 وبعد ذلك وضع حول صدره درع الصدر،
 ٢٠ الذي أعطاه له ذات مرة كينيراس، عندما نزل ضيفاً عليه.
 فعندما وصلت إلى فيرص أنباء بأن الأخيين
 يستعدون للبحار بسفنهم إلى مدينة طروادة،

(*) تيفونوس Tithonos: شقيق الملك برياموس، وزوج إيوس (ربة الفجر)، ووالد همون. تقول الأساطير إن ربة الفجر طلبت من زيوس أن يمنح زوجها الخلود ولكنها نسيت أن تطلب منه أن يمنحه أيضاً الشباب الدائم. ولذلك أصبح يضرب به الملل على مناعب الشيخوخة والمهرم.

- أعطى كينيراس الدرع للملك حتى يسعد باستخدامه.
 وكان الدرع مصنوعاً من عشر طبقات من الفولاذ الداكن،
 واثنى عشر طبقة من الذهب، وعشرين طبقة من القصدير. ٢٥
 وعلى كل جانب كانت تزيّنه ثلاثة أشكال فولاذية ثعبانية
 تتلوى صوب العنق تشبه قوس قزح الذى يرسله
 ابن كرونوس من بين السحب العالية نذيراً للبشر اللغافين .
 ثم وضع سيفه حول كتفيه، وكانت به مسامير
 من الذهب البراق، بينما كان غمده ٣٠
 فضياً، وكانت الأربطة التى يثبت بها ذهبية.
 وأمسك درعه المزخرف الذى يستخدم فى الدفاع والهجوم،
 وكان درعاً جميل المنظر، تحيط به عشر دوائر من البرونز،
 وكان به عشرون نقوشاً بيضاء اللون
 مصنوعة من القصدير، أما اللتوء الموجود فى الوسط فكان من ٣٥
 الفولاذ الأسود، وقد نقش عليه رسم لجورجونة قاسية النظرة
 بشعة الهيئة، يحيط بها كل من "الذعر" و"الخوف"
 ويتكلى منه حزام فضى، يلتف حوله
 تنين من الفولاذ له ثلاثة رؤوس
 تدور فى جميع الاتجاهات، ولكنها تخرج جميعاً من عنق واحد. ٤٠
 ووضع على رأسه غطاء من الجلد به شارتان وأربع
 خصلات من شعر الجياد، ويحيط به العرف ويميل عليه بشكل مهيب
 وأمسك رمحين قويين، مطليين جيداً بالبرونز وحادين.
 و اتبعته من هذين الرمحين البرونزيين بريق
 هائل وصل إلى عنان السماء، فأصدرت أثينة وهيرا صوتاً عاليًا ٤٥
 لتحية ملك موكتيناي الغنية بالذهب.
 ثم أمر كل قائد سائق عربته

- أن يفقد الخيول بمهارة، حتى لا تتراجع عند الخندق.
واندفع الجنود المشاة بسرعة
- ٥٠ مدججين بالأسلحة. وارتفعت صيحة مدوية قبيل الفجر.
وتقدم المشاة حتى وصلوا إلى الخندق، متراصين في صفوف منظمة،
ثم تبعهم الفرسان بعد قليل.
- وأثر ابن كرونوس جلبة شديدة بينهم، عندما أسقط عليهم
من السماء قطرات مطر ممزوجة بالدماء، دليلاً على
٥٥ أنه ينوي إرسال العديد من الأبطال الأقوياء إلى هاديس.
وعلى الجانب الآخر، كان الطرواديون يقفون على التل المرتفع
ملتئين حول هيكتور العظيم ويوليداماس النبيل
ومعهم أينياس الذى يبجله الشعب الطروادى كما لو كان إلهاً.
وكان معهم ثلاثة من أبناء أنتينور، الأول بوليبيوس والثانى أجيونور
٦٠ الإلهى والثالث أكاماس الابن (الصغير) شبيه الآلهة.
وكان هيكتور يقف فى المقدمة حاملاً أزرعه المستدير،
وكما يسطع نجم الكوارث ويتلأأ من بين
أسحاب، ثم يخفى وسط السحب غير واضحة المعالم.
هكذا كان هيكتور يظهر فى لحظة فى (وسط) الصفوف الأولى،
٦٥ وفى اللحظة التالية يصدر أوامره وهو فى الصفوف الخلفية، وكان
درعه البرونزى يتلأأ مثل البرق، الذى يرسله أبو الآلهة زيوس،
لايس الدرع أجييس. ومتلما يحصد الفلاحون القمح أو الشعير
فى حقل مالك ثرى، ويقفون فى صفوف، كل منهم
فى مواجهة الآخر، وتتساقط حزم المحصول أمامهم بفزارة،
٧٠ هكذا هاجم الطرواديون والآخيون كل منهما الآخر
وتبادلوا القتل، ولم يفكر أى منهم فى الهزيمة الأليمة.
وسيطر الحماس للقتال على رعوسهم بنفس القدر، فاندفعوا

- مثل الذئاب. ونظرت إريس، مسببة الأحران، وهي سعيدة.
فقد كانت لها السيادة من بين جميع الآلهة الذين شاركوا في المعركة
٧٥ فإن أحداً من الآلهة الآخرين لم يكن حاضراً، ولكنهم
جلسوا جميعاً في قصورهم في راحة تامة، حيث جهز كل منهم
مسكنه الجميل، المشيد على جنبات الأوليمبوس.
وكانوا جميعاً يلومون ابن كرونوس، المنتثر بالسحب،
لأنه قد عقد العزم على منح المجد للطرواديين.
٨٠ ولكن الإله الأب لم يعرهم اهتماماً. فقد جلس
بعيداً عن الآخرين، متألقاً في عليائه،
وهو ينظر إلى مدينة الطرواديين وإلى سفن الآخيين
وإلى بريق السلاح وإلى القتل والقتلى.
والآن، ومع انبلاج الفجر (الصبح) وتقدم النهار
اندفعت السهام من كلا الجانبين وسقط البشر.
٨٥ وعندما حل الوقت الذي يقوم فيه الحطاب الذي يعيش فوق الجبل
بإعداد عشاءه، بعد أن تتعب يده من تقطيع
الأشجار العالية ويعود، قرير العين،
لكى يشبع رغبته في الطعام والحلوى،
٩٠ شق الدانائون صفوف الأعداء بشجاعتهم
وهم يحثون رفاقهم من صف لآخر. وكان أجامنون
أول المهاجمين، فقام بقتل البطل بينور، حامى الشعوب،
ثم قتل رفيقه أوليبوس الذي كان يقود العربية.
فعندما قفز من عربته كى يواجه خصمه،
٩٥ اندفع إليه أجامنون بحماس، وجعل رمحه الحاد ينفذ داخل
جبينه، ولم تنجح خوذته البرونزية الثقيلة في صد الرمح
ولكنه نفذ من خلالها إلى عظامه، وبعثر

- مخه كله داخل الخوذة، فسقط قتيلًا رغم شجاعته الفائقة.
وترك أجاممنون، ملك الرجال، الجثث مبعثرة هناك،
١٠٠ عارية الصدر مكشوفة، بعد أن نزع عنهم ملابسهم.
ثم أسرع كي يستولى على أسلحة إيسوس و أنتيفوس
ولدى برياموس، الشرعى وغير الشرعى، واللذان جاءا
معاً فى عربة واحدة. وكان الابن الشرعى يقود العربة
بينما أنتيفوس الشهير يقف بجانبه. وذات مرة
١٠٥ شد أخيلئوس وثاقهما بأغصان الصفصاف اللينة على ظهر جبل إيدا
حيث كانا يريان الأغنام، ولكنه أطلق سراحهما بعد أن حصل
على فدية. لقد صوب أجاممنون بن أتريوس وأسع الملك
رمحه إلى صدر إيسوس فأصابه فوق ثديه تمامًا وأصاب أنتيفوس
بالقرب من أذنه بطعنة سيفه، ثم أطاح به من فوق العربة،
١١٠ وبحركة سريعة جردهما من أسلحتهما الرائعة
فقد كان يعرفها جيدًا، فقد سبق ورأها من قبل عند السفن
السريعة عندما أحضرهما أخيلئوس، سريع القدمين من إيدا.
وكما يهاجم أسد ما بسهولة صغار غزالة سريعة
ويقبض عليهم بأسنانه القوية ويعود بهم إلى عرينه فيزهق أرواحهم
١١٥ البريئة، ورغم وجود الأم على مقربة منهم فإنها لا تستطيع
إنقاذهم لأن الخوف القاتل يملكها،
فتتلق بسرعة خلال الغابة والأحراش الكثيفة
وتسرع بالفرار وهي خائفة من هجوم الوحش القوي.
١٢٠ هكذا، لم يستطع أحد الطرواديين أن ينفذ
هؤلاء من الموت، لأنهم كانوا خائفين من الأرجيين.
ثم هاجم أجاممنون بيماندروس و هيبولوخوس الشجاع
ولدى أنتيماخوس الحكيم، والذي كان أشد المعارضين

- لإعادة هيليني إلى زوجها مينيلأوس، ذهبى الشعر،
 ١٢٥ متوقعا أن يقدم له ألكسندروس ذهبًا كثيرًا وهدايا رائعة.
 والآن يهاجم الملك أجاسمونون ولديه الاثنين،
 وكانا معًا في عربة واحدة تجرها الخيول السريعة.
 وعندما أفلت اللجام المصقول من أيديهما
 أصيبا بالذعر والهلع. عندئذ اندفع ابن أتريوس
 ١٣٠ كالأسد لمواجهتهما، ففزلا من العربة وتضرعا إليه:
 "يا ابن أتريوس، لتأخذنا أسرى حتى تحصل على
 فدية عظيمة، إذ توجد كنوز ضخمة في منزل أنتيماخوس،
 سواء من البرونز أو للذهب أو الحديد المصقول بمهارة.
 فإذا أبقيت علينا أحياء في سفن الأخيين،
 ١٣٥ فسوف يقدم لك والدنا فدية لا حصر لها ولا عدد".
 بهذه الكلمات الرقيقة خاطبها الملك
 وهما يذرفان الدمع، ولكنهما سمعا ردا قاسيا:
 "إذا كنتما حقًا ولدي أنتيماخوس الحكيم،
 الذى أمر ذات مرة فى مجلس الطرواديين بقتل مينيلأوس،
 ١٤٠ عندما ذهب كرسول مع أوديسيوس شبيه الآلهة،
 حتى لا يعود مرة أخرى إلى رفاقه الأخيين،
 فسوف تدفعان الآن ثمن حماقة والدكما المشينة".
- هكذا قال، ثم دفع بيسانندروس من فوق العربة وطرحه أرضًا
 ثم غرس السيف فى صدره، فرقد على ظهره بلا حراك.
 ١٤٥ وعندما قفر هيبولوخرس، طرحة أرضًا وجرده من أسلحته،
 وقطع يديه بسيفه البتار، ثم فصل رأسه عن جسده
 وأسرع يدرجه وسط الجموع الغفيرة وكأنه صخرة،

- ثم تركه حيث هو، واندفع إلى حيث تقايل غالبية الجنود.
وانطلق ومعه باقى الأخيين، الذين كانوا يحمون أنفسهم جيداً بدروع
الساق، إلى حيث كان المشاة يقاثلون المشاة ويرغمونهم على الهرب. ١٥٠
كما كان الفرسان يقاثلون الفرسان. وارتفع الغبار عاليًا
فى الوادى، فقد أثارته حوافر الخيول التى تحدث دويًا هائلًا
أثناء القتال بالأسلحة البرونزية. وكان الملك أجامنون
يحارب وهو يصدر أوامره للأرجيين
وكما كانت النيران المدمرة تهب على أشجار الغابة المتشابكة، ١٥٥
فتحملها الرياح إلى جميع الأنحاء، فتسقط
أشجار الغابة من جذورها بسبب شدة النيران
هكذا كانت رعوس الطروايين تتساقط أمام
أجامنون بن أتريوس أثناء هروبهم. وكانت الخيول، طويلة العنق،
تصدر صهيلًا مدويًا وهى تجر العربات الفارغة على خطوط القتال، ١٦٠
لقد خلت من فرسانها النبلاء بعد أن سقطوا قتلى
على الأرض، فأحببتهم الطيور الجارحة أكثر مما كانت زوجاتهم تحبهم.
وسحب زيوس هيكتور بعيدًا عن المسهام والغبار
والقتل والدماء وضوضاء المعركة.
وكان بن أتريوس يصدر الأوامر للدانائيين وهو غاضب ١٦٥
خلف قبر إيلوس بن داردانوس، القديم
فى وسط الوادى، بينما كان البعض يندفعون خلف شجرة التين الضخمة،
مشتاقين للعودة للمدينة، بينما كان ابن أتريوس يواصل
الصياح وقد تخضبت يده التى لا تقاوم بدماء ضحاياها،
و عندما وصل الطرواديون إلى بوابات سكاياى وشجرة البلوط ١٧٠
توقفوا عندها وانتظر أحدهم الآخر.
وكان بعضهم يقف فى منتصف الوادى، وهم يرتعدون من الخوف

- كقطيع من النيران يتوجس خيفة من قدوم أسد في ظلمة الليل،
ولكن جمعهم يتفرق عندما يكتشف أن كارثة خطيرة قد أصابت بالفعل
أحدهم. فقد أمسك به الأسد بأنيابه القوية من رقبتة فكسرها
١٧٥ أولاً، ثم قام بعد ذلك بالتهام أحشائه ودمه.
هكذا كان الملك أجاممنون، بن أتريوس، يقوم بمطاردتهم
ويقتل من كان في المؤخرة منهم، فيتملك الخوف الآخرين.
وسقط كثير منهم من فوق الخيول، سواء على وجوههم أو على
١٨٠ ظهورهم ووقعوا في يد ابن أتريوس. فقد صال وجال بسيفه.
بيد أنه عندما أوشك على الاقتراب من المدينة ومن السور
المتنيح، كان زيوس أبو البشر والآلهة
يتخذ مجلسه على قمة إيذا المليء بعيون الماء،
بعد أن نزل بعيداً عن السماء. وكان يمسك الصاعقة بيديه
١٨٥ فأسرع بإرسال إيريس، ذات الأجنحة الذهبية، برسالة قائلاً:
"إيريس، أيتها السريعة، هيا بسرعة واعلني هذه الكلمة لهيكتور:
طلما يرى أجاممنون، راعي الشعوب،
يحارب في مقدمة الجيش، ويعيث قتلاً في صفوف المحاربين،
١٩٠ ليكف هو عن القتال، وليأمر الآخرين بقتال الأعداء قتالاً عنيفاً.
ولكن عندما يصيب أجاممنون رمح أو يجرحه سهم،
فليسرع نحو خيوله، وسوف أضع في يديه قوة
تمكّنه من القتال حتى يصل إلى السفن ذات المجاديف القوية
إلى أن تغرب الشمس ويأتى الليل المقدس".
١٩٥ هكذا قال، ولم تعص إيريس، سريعة القدمين،
أمره بل أسرعت من إيذا إلى إليون المقدسة،
حيث وجدت هيكتور المبجل شبيه الآلهة، بن برياموس الحكيم،

- واقفاً وسط خيوله وعربته المتينة.
 ووقفت إيريس، سريعة القدمين، على مقربة منه وخاطبته قائلة:
- ٢٠٠ "هيكثور يا بن برياموس، يامن تماثل زيوس في الحكمة،
 لقد أرسلني زيوس الأب كي أبلغك الرسالة التالية:
 طالما ترى أجاممنون، راعي الشعوب،
 يحارب في مقدمة الجيش، ويعيث قتلاً في صفوف المحاربين
 فلتكف أنت عن القتال، ولتأمر الآخرين
 بقتال الأعداء قتالاً عنيفاً.
- ٢٠٥ ولكن عندما يصيبه رمح أو يجرحه سهم
 فلتسرع نحو خيولك وسوف يضع زيوس في يديك قوة
 تمكنك من القتال حتى تصل إلى السفن ذات المجاديف القوية
 إلى أن تغرب الشمس ويأتي الليل المقدس".
- ٢١٠ هكذا قالت إيريس، سريعة القدمين، ثم رحلت،
 وقفز هيكثور من فوق عربته إلى الأرض ومعه سلاحه
 وسار وهو يلوح بسيفه البتار ليحث المحاربين
 في كل مكان على القتال، فأشعل فيهم شهوة القتال المخيفة
 فنظموا صفوفهم ووقفوا في مواجهة الأخيين. وعلى الجانب الآخر،
 دعم الأرجيون صفوفهم، ويعد أن استعدوا للمعركة.
- ٢١٥ وقفوا في مواجهة العدو. وكان أجاممنون أول من بدأ الهجوم،
 فقد كان يرغب، أكثر من الجميع، في القتال في المقدمة.
 والآن، يا ربات القنون (الموساي) يامن تسكن
 الأوليمبوس لتخبرني من الذي جاء أولاً لمواجهة أجاممنون،
 هل كان واحداً من الطرواديين أنفسهم أم من حلفائهم المشهورين.
- ٢٢٠ لقد كان القوى الشجاع إفيداماس بن أنتينور

- الذى نشأ فى طراقيا أم قطعان الماشية.
 إذ تولى كيسيوس تربيته فى قصره طفلاً صغيراً.
 وكان كيسيوس جده لأمه ووالد ثيانو جميلة الخدين،
 ٢٢٥ وعندما بلغ إفيداماس مبلغ الرجال وأصبح شاباً يافعاً
 أراد كيسيوس أن يمنعه من العودة لوطنه، فمنحه ابنته
 زوجة له، ولكن عندما قدم أبناء الأخيين غادر غرفة نومهم
 وتبعته اثنتا عشر سفينة ذات مقدمة معقوفة،
 وهى السفن التى تركها بعد ذلك فى بركوتى
 ٢٣٠ فقد جاء إلى مدينة إليون سيرا على الأقدام.
 وهو المحارب الذى يواجه أجاممنون بن أتريوس الآن.
 وعندما وقف أحدهما فى مواجهة الآخر
 أخطأ ابن أتريوس الرمية ومرق للرمح بالقرب من خصمه،
 فأصاب إفيداماس فى أسفل درعه، الذى كان قد ثبته جيداً
 ٢٣٥ بيديه القويتين، ولكنه لم يصل إلى حزامه المزخرف،
 فقبل أن يصل إلى الجزء المصنوع من الفضة، انثنى كما لو كان
 مصنوعاً من الرصاص. فأمسك أجاممنون، واسع الملك، خصمه بيده.
 وسحبه بقوة تجاهه بغضب شديد، ورفع، كالأسد،
 ٢٤٠ بين يديه بعنف وضرب عنقه بالسيف فأرداه قتيلاً.
 هكذا سقط، حيث نام نوماً أبدياً (حديدياً). ياله من مسكين،
 فقد كان عوناً لأبناء وطنه، ولعروسه التى زف إليها
 ولكنه لم يعرف المتعة معها، رغم أنه قدم لها هدايا كثيرة.
 فقد قدم فى البداية مائة ثور، ثم وعد بعد ذلك بتقديم ألف
 ٢٤٥ رأس من الأغنام والماعز، فهو يرمى أعداداً صغيرة منها،
 واستولى أجاممنون بن أتريوس على عتاد خصمه
 وحمل أسلحته الرائعة وذهب إلى حشود الأخيين.

- وعندما رآه كوؤن، أكثر الرجال شهرة
 ٢٥٠ وأكبر أبناء أنتينور، اكتست عيناه بحزن شديد لمقتل شقيقه.
 فوقف جانباً بحيث لم يلاحظه أجاممنون الإلهي،
 وقذفه برمح في منتصف ذراعه، أسفل الكوع
 فنفذت رأس الرمح اللامعة إلى مقدمة ذراعه
 فانتفض أجاممنون، ملك الرجال، ولكنه
 ٢٥٥ رغم ذلك، لم ينسحب من المعركة ولا من القتال
 بل اندفع بعنف تجاه كوؤن حاملاً رمحه الصلب المتين.
 وكان كوؤن يجر إفيداماس، شقيقه من الأب نفسه،
 من قدميه بسرعة وهو ينادى على جميع الأبطال بصوت مرتفع.
 وبينما كان يسحبه وسط الزحام والصخب، محتمياً بدرعه
 ٢٦٠ ذى الحلى المعدنية أصابه سهم برونزي أطلقه أجاممنون،
 فأرداه قتيلاً، وحيث كان يرقد إفيداماس، قطعت رأس شقيقه،
 وفي المكان نفسه نال ولداً أنتينور كفايتهما من الموت (القدر)
 على يد الملك أجاممنون، ودخلا معاً مقر هاديس.
 وواصل أجاممنون صولاته وجولاته بين صفوف المحاربين
 ٢٦٥ ممسكاً رمحه أو سيفه أو مستخدماً الأحجار الضخمة.
 وأثناء ذلك كله كان الدم الدافئ يسيل من جرحه،
 ولكن عندما جف الجرح وتوقف الدم،
 شعر ابن أتريوس بشدة آلامه وشعر بالوهن.
 لقد كان ألماً حاداً، مثل الذى يصيب المرأة أثناء الولادة
 ٢٧٠ ذلك الألم القاتل الذى ترسله الإليثيريات اللاتى يساعدن النساء أثناء
 المخاض، بنات هيرا اللاتى يتحكمن فى آلام الولادة الموجعة.
 وبعد أن نال الألم الشديد من قوة ابن أتريوس ففز إلى العربة
 وأمر سائقه أن يسرع به إلى السفن المجوفة. فقد كان

- ٢٧٥ قلبه حزينا. وأطلق صيحة مدوية وخاطب الداناتيين قائلا:
 "أصدقائي، يا قادة الأرجيين وحكامهم،
 يجب عليكم الآن أن تبعدوا صخب المعركة الأكيمة
 عن سفننا جواربة البحار البعيدة، حيث إن زيوس إله التدبير
 لم يسمح لي أن أوصل قتال الطرواديين طوال اليوم".
- ٢٨٠ هكذا قال، ثم ضرب خيوله ذات العرف الجميل بالسوط
 لتذهب به إلى السفن المجوفة، فاندفعت طائفة.
 وانطلقت حاملة الملك المنهك بعيدًا عن المعركة
 وصدورها مملوءة بالزبد، وهي تنشر العيار من تحتها.
 وعندما رأى هيكتور أجامنون يذهب بعيدًا
 حث الطرواديين والليكيين بصيحة تردد صداها بعيدًا، وقال:
 "أيها الأصدقاء من الطرواديين والليكيين والداردانيين
 إنكم أبطال بحق، فلتتذكروا شجاعتكم وإقدامكم،
 لقد ذهب أفضل رجالهم، ولقد منحني زيوس بن كرونوس
 مجداً عظيماً. فلتقودوا خيولكم الأصيلة ضد
 الداناتيين الأقوياء، حتى تنالوا مجداً عظيماً أعلى من مجدي".
- ٢٩٠ هكذا قال، فأتار حديثه شعور كل واحد منهم وعقله،
 وكما يقوم أحد الصيادين بإطلاق كلابه
 ذات الأسنان البيضاء، أثناء رحلته لاصطياد خنزير برى أو أسد،
 هكذا حث هيكتور بن برياموس، شبيه آريس مدمر البشر،
 الطرواديين نوى العقول الراجحة كي يحاربوا الآخرين.
 وانطلق هو، وقلبه ينبض بالشجاعة، إلى الصفوف الأولى
 وواصل القتال كالعاصفة المدمرة
 التي تقلب البحر رأساً على عقب، وترفع مياهه البنفسجية.

- ٣٠٠ فمن كان أول القتلى ومن كان آخرهم،
عندما منح زيوس المجد لهيكتور بن برياموس؟
قتل أولاً أسايوس (أو أساياس) وأوتونوؤس وأوبيتيس
دولوبس بن كلبتيوس وأوفيلتيوس، ثم أجيلاؤس
وأيسيمنوس وأوروس، ثم هيونوؤس الجسور في الحرب .
قتل هيكتور كل هؤلاء القادة الدانائيين، ثم واصل
التدمير بعد ذلك. ومثلما تهب الرياح الغربية (زيفيروس) العاصفة
٣٠٥ وتدفع سحب الجنوب الصافية أمامها وهي تضربها بهباتها
العنيفة فترتفع أمواج البحر، ويمتلئ بالزبد
الذي يقدفه الموج فتبعثره الرياح هنا وهناك،
هكذا تتأثرت رعدس الأعداء الكثيرة التي أسقطها هيكتور،
٣١٠ لقد كان دماراً عليهم وقام بأعمال لا تقاوم.
- وكان الآخيون على وشك الإسراع ليهربوا إلى سفنهم
لولا أن أوديسيوس صاح في ديوميديس بن تيديوس بقوله:
"ماذا أصابك يا ابن تيديوس، أنسيبت شجاعتك وإقدامك؟
تعال هنا، أيها الصديق، وقف بجانبى، فسوف يكون
٣١٥ من العار حقيقة أن يستولى هيكتور، ذو الخوذة اللامعة، على السفن".
فأجابه ديوميديس القوي بقوله:
"سوف أبقى معك فعلاً وسوف أصمد، ولكن مكسبنا
سوف يكون تافهاً، فمن الواضح أن زيوس، جامع السحب،
يرغب في منح القوة للطرواديين، وليس لنا".
- ٣٢٠ قال ذلك، ثم طرح ثيمبرايوس أرضاً
وضربه بالرمح في الجانب الأيسر من صدره، بينما قتل
أوديسيوس موليون، شبيه الآلهة، الذى كان يرافق ذلك الملك.

- وبعد أن تركا الجثتين انسحبا من القتال،
وأقبل بقية الأبطال لمواصلة الهجوم. وكما يهجم خنزيران بريان
٣٢٥ على مجموعة من كلاب الصيد ويقاتلنها بشراسة وغضب،
هكذا وأصل البطلان هجومهما على الطرواديين، بعد أن التقطاً
أنفاسهما. وتنفس الأخيون الصعداء وهم يهريون من هيكتور شبيه
الآلهة. واستولى البطلان على إحدى العربات، وهاجما اثنين من
خيرة للرجال إنهما ولدا ميرويس البركوتى^(٢) الذي كان يبرز الجميع
٣٣٠ في مهارته في فن العرافة. لقد حاول أن يمنع ولديه
من الاشتراك في الحرب، مهلكة الرجال. ولكنه فشل
في إقناعهما. فقد كانت الأقدار تسوقهما للموت الأسود.
إذ حرهما ديوميديس بن تيديوس، المشهور برمحه القوي،
من الحياة، واستولى على أسلحتهما ذائعة الصيت.
٣٣٥ بينما كانت أسلحة هيبوداموس وهيبيروخوس من نصيب أوديسيوس،
عندئذ نظر (زيوس) بن كرونوس من فوق جبل إيدا
وجعل كفتي المعركة متساويتين. وأثناء اقتتال الطرفين
ضرب ابن تيديوس البطل أجاستروفوس
بن بايون بالرمح في فخذه، ولم تكن خيوله
٣٤٠ قريبة منه حتى يتمكن من الهرب، وكانت إصابته شديدة.
لقد كان تابعه يقف بالعربة في مكان بعيد، بينما كان هو يحارب
وسط الجنود المشاة في طليعة الجيش. وهكذا فاضت روحه.
وكان هيكتور يراقب الموقف باهتمام من بين صفوف الجنود،
فاندفع وسطهم وهو يطلق صيحة مدوية. وفي الحال تبعته فيالق
٣٤٥ الطرواديين. ورأى ديوميديس، البارح في صيحة القتال،

(٢) Adrestos أي أدراسوس وأمفيس Amphiōs. (المحرر)

ذلك فشمع بالرجفة، وبسرعة خاطب أوديسيوس الذي كان واقفاً على مقربة منه قائلاً:

"إن دائرة الدمار تضيق علينا بسبب شجاعة هيكتور فهيا بنا نتصدى له ولنصمد، ربما أمكننا أن نصد هجومه".

هكذا قال، ثم جذب رمحه طويل الظل، وقذفه

فأصاب هيكتور ولم يخطئه. فقد صوبه إلى رأسه فرشق الرمح البرونزي في قمة خوذته، فصدته الخوذة البرونزية بعيداً، ولم يصل الرمح إلى اللحم الأبيض، فقد كانت مقدمة خوذته مصنوعة من ثلاث طبقات، وكان أبوللون فوبيوس (الرضاء) قد أعطاها له. وبسرعة قفر هيكتور بعيداً وذاب وسط الزحام

حيث وقع على ركبتيه، واستند على يديه القويتين إلى الأرض، ثم غاب عن الوعي لحظات . وظل (ديوميديس) ابن تيديوس واقفاً في مقدمة الجيش يتابع اندفاع رمحه حتى سقط على الأرض.

وبعد أن استعاد هيكتور وعيه، اندفع إلى عربته مرة أخرى وانطلق بها وسط الجموع، وهكذا تجنب الموت الأسود. ولكن ديوميديس القوي اقترب منه ومعه رمحه وصاح قائلاً:

"لقد هربت من الموت مرة ثانية أيها الكلب، لقد اقترب منك الموت جداً، ولكن أبوللون فوبيوس أنقذك مرة أخرى، قلنرى من الذى سوف تتضرع إليه عندما يأتيك ضجيج رماحي فعندما ألتقى بك سوف أقتلك، إن عاجلاً أو آجلاً،

إذا ما ساعدنى أحد الآلهة ووقف بجانبى أما الآن فسوف أهاجم غيرك إلى أن أجد هذا الإله".

هكذا قال، ثم قتل ابن بايون، المشهور بقوة رمحه،

- بينما كان ألكسندروس، زوج هيليني، ذات الشعر الجميل،
 ٣٧٠ يوجه سهمه تجاه ابن تيديوس، حامى الشعوب،
 وهو متكىء على قبر ايلوس بن داردانوس
 الذى أقامه له البشر، لأنه كان أحد الأبطال القدامى.
 وكان ديوميديس قد خلع درع أجاستروفوس الشجاع
 عن صدره، وخلع درعه المستدير اللامع من كتفيه،
 ٣٧٥ كما خلع خوذته الثقيلة. فسحب ألكسندروس قوسه
 ورماه بسهم لم ينطلق من يده دون طائل
 بل أصابه فى مقدمة قدمه اليمنى، ثم انغرس فى الأرض
 بعد أن حرق قدمه، فخرج (ألكسندروس) من مكمنه
 وضحك ملء شقيقه وقال فى نشوة وسعادة:
- ٣٨٠ "لقد أصبتك، فسهى لم ينطلق دون طائل، ولكن لو لم أقدفه
 لأسفل لكان قد استقر فى معدتك وأخذ روحك وكان الطرواديين
 قادرين على التنفس بحرية بعيداً عن المتاعب بدلاً من وقوفهم
 الآن يرتعدون أمامك مثل الماعز التى تجهش باكياً أمام الأسد".
 وأجابه ديوميديس القوى بشجاعة قائلاً:
- ٣٨٥ "يا رامى السهام، أيها الوغد المشهور بقوة رمحه، يا من تغرر
 بالعذارى، لو كنت قد حاولت مواجهتى وجهاً لوجه ومعك سلاحك
 ما كان لينفعك رمحك ولا سهامك الثقيلة فى شىء.
 ليس هناك ما تتفاخر به لأنك قد خدشت سطح قدمى.
 إننى لا أبالى. كما لو كانت قد أصابتنى امرأة أو صبية غر
 ٣٩٠ إنه سهم كليل فذفه رجل ضعيف لا قيمة له.
 فعندما ينطلق السهم الحاد من يدى ويلمس شخصاً لمساً خفيفاً
 فإنه يجعله يرقد بلا حراك فى الحال، وتلطم زوجته خديها

- وتمزقهما حزنا عليه ويتحول أطفاله إلى أيتام،
وترتوى الأرض من دمه القانى. وعندما يتعفن جسده تتجمع
٣٩٥ حوله الجوارح أكثر مما كانت النساء تتجمع حوله".
- هكذا قال له، ثم جاء إليه أوديسيوس المشهور بقوة
رمحه ووقف على مقربة منه. ثم جلس خلفه، وبدأ (ديوميديس) يسحب
الرمح من قدمه بسرعة، فسرت فى جسده آلام رهيبية.
وبعد ذلك صعد إلى العربة وأمر السائق
٤٠٠ أن يذهب به إلى السفن السريعة. فقد كان قلبه مهموما.
أما أوديسيوس المشهور بقوة رمحه، فظل وحده، إذ لم يبق
معه أحد من الأرجيين، فقد سيطر الخوف عليهم جميعا.
وبقلب جريح ناجى روحه النبيلة قائلاً:
- "آه لى، ماذا أصابنى ؟ سوف تكون فضيحة كبرى إذا
٤٠٥ هربت خوفا من بعض الرعاع. ولكن لو هزمت وأنا وحيد
فسوف يكون الأمر أسوأ. لقد جعل ابن كرونوس الداناتيين الآخرين
يفرون، ولكن لماذا يحدثنى قلبى الحبيب بهذه الأشياء؟
إننى أعرف جيدا أن الجبناء فقط هم الذين يهربون من القتال،
ولكن المقاتل الشجاع هو الذى يصمد
٤١٠ فى الحرب بقوة سواء انتصر أو هزم".
- كان أوديسيوس يقلب هذه الأفكار فى عقله وقلبه
عندما هجمت عليه صفوف المقاتلين الطروديين
وحاصرته من كل جانب، حاملة الدمار معها.
وكما تهجم مجموعة من الأثرياء الأقوياء ومعهم كلابهم
٤١٥ على خنزير برى، فيندفع تجاههم من الدغل الكثيف
شاهراً أسنانه البيضاء من بين أنيابه المعقوفة

- فيلتقون حوله، وتعلو أصوات ارتطام أسنانه ببعضها،
فلا يتراجعون بل يصمدون أمامه رغم قوته.
هكذا حاصر الطرواديين أوديسيوس،
- ٤٢٠ حبيب زيوس، ولكنه قتل البطل ديوبيتيس
أولا بعد أن قفز فوقه وضربه بسيفه البتار،
ثم بعد ذلك قتل ثوون، وإثوموس،
ثم انقض على خيرسيداماس في عربته
وضربه بسيفه، فنفذ السيف داخل درعه ذي الحلى المعدنية
٤٢٥ وسقط على الأرض، وتثبيت أطرافه بالتراب.
وترك أوديسيوس هؤلاء القتلى، وهاجم خاروس بن هيباسوس،
شقيق سوكوس نبيل المحنة، وقتله بضربة من رمحه .
ذهب سوكوس، شبيه الآلهة، للدفاع عن شقيقه
فاقترب من أوديسيوس وخاطبه قائلاً:
- ٤٣٠ "أوديسيوس الأمجد، يا من تسعى دائما وراء المزيد من
المتاعب والحيل، إما إنك سوف تقتخر اليوم بقتل
اثنين من أبناء هيباسوس، وسلب أسلحتهما،
وإما إنك سوف تسلم الروح بعد ضربة من سهمي".
- ٤٣٥ هكذا قال، ثم قذفه بسهم قوى رشق في درعه المستدير ونفذ
من خلال الدرع، دقيق الصنع، فمزق لحم ضلوعه. ولكن الرية
أثينة باللاس ما كانت لتسمح بنفاذ السهم إلى أحشائه.
وانسحب أوديسيوس للخلف، وحتى يعرف سوكوس
٤٤٠ أنه لم يصب في مقتل، خاطبه قائلاً
- "أيها الجبان، لقد حل بك موت محقق،
لقد أمكنتك أن توقفني عن قتال الطرواديين.

- والآن فإنني أعلن لك أن الخراب والموت الأسود
سوف يحلان عليك اليوم، ويرمحي المهزوم سوف تمنحني
المجد، فسوف أبعث بروحك إلى هاديس، ذى الجياد الأصيلة". ٤٤٥
- هكذا قال، ولكن سوكوس تمكن من الهرب وانطلق
مولياً الأديار وبينما كان يدير ظهره، ضربه أوديسيوس بالرمح
فى ظهره فى منتصف المسافة بين كتفيه، فنفذ الرمح إلى صدره
وسقط مرتظماً بالأرض. فصاح أوديسيوس المجلج متباهياً بقوله:
"سوكوس يا ابن هيباسوس مروض الخيول الماهر، ٤٥٠
لقد هزمتك الموت الذى لا فرار منه، ولم تستطع الهرب
أيها البائس، ولن يخلق أبوك وأمك المجلجة
عينيك عند موتك، بل سوف ترفرف الطيور الجارحة الجائعة
بأجنحتها ذات الريش حولك وتمزق لحمك.
أما أنا، فعندما أموت سوف يدفنى الأخيون النبلاء بإجلال". ٤٥٥
- هكذا قال، ثم نزع رمح سوكوس الثقيل ذلك المحارب
القوى، نزعه بنفسه من جسده فخرج من لحمه، ومن الدرع المزين
بحلابة ناتئة فى المنتصف وأنبعث الدم بغزارة، وشعر بالألم المبرح.
وعندما رأى الطرواديين، ذوو النفوس الأبية، دماء أوديسيوس
صاحوا فى جموع المحاربين حتى يذهبوا جميعاً ويهاجموه. ٤٦٠
ولكنه تراجع للخلف وأخذ ينادى على رفاقه.
أطلق ثلاث صيحات عاليات بقدر ما يستطيع فم محارب أن يصيح.
وسمعه مينيلائوس، حبيب أريس، وهو يصيح ثلاثاً،
وفى الحال خاطب أياس الذى كان على مقربة منه بقوله:
"أياس يا سليل زيوس، أيها التتيلامونى يا قائد الشعوب، ٤٦٥
إن صبيحة أوديسيوس، ذى القلب الشجاع، تحيط بى و تصك أذنى

- وبخيل إلى أنه يصيح وهو في مأزق وحيدا،
وأن الطرواديين الشرسين قد أبعده عن أصدقائه.
فلنذهب وسط الحشود. فمن الأفضل أن ننقذه.
- ٤٧٠ فإنني أخشى أن يصيبه سوء وهو وحيد بين الطرواديين
رغم شجاعته العظيمة، فإن الدانائين يحتاجون إليه بشدة".
هكذا قال، ثم انطلق وتبعه البطل شبيه الآلهة
حتى وجدا أوديسيوس، حبيب زيوس، وقد حاصره
الطرواديون مثلما تلتف مجموعة متوحشة من ابن آوى
في الجبال حول غزال ذى قرون، كان صياد قد أصابه
٤٧٥ بسهم من جعبة سهامه، فأطلق ساقيه للريح
كى يهرب منهم، بينما دمه الدافىء ينساب ولا تقوى ساقاه على حمله
وفى النهاية، عندما يقهره السهم السريع
تبدأ حشود ابن آوى المتوحشة فى التهامه على الجبال العالية
٤٨٠ وفى الغابة وارفة الظلال، إلى أن يرسل أحد الآلهة أسدا
كاسرا، فتتفرق حشود ابن آوى (عند رؤيته) ويلتهم هو الفريسة.
هكذا، تجمع هناك الكثير من الطرواديين الأقوياء
حول أوديسيوس الداهية كثير الحيل، ولكن البطل
استطاع أن يبعد يوم موته لأنه واصل قذفهم بالسهام،
٤٨٥ وجاء أياس حاملا درعه، ووقف على مقربة منه
مثل البرج المنيع، فتفرق الطرواديون هنا وهناك.
وقاده مينيلائوس، المحب للقتال، بعيدا عن صخب المعركة
وهو يمسك بيده. وأمر تابعه بأن يقود الخيول بعيدا.
عندئذ هاجم أياس الطرواديين وقتل دوريكولوس
٤٩٠ ابن برياموس غير الشرعى، ثم قتل باندوكوس بعد ذلك
ثم ليساندروس وبيراسموس وبيلارتيس.

- ومتلما بفيض النهر ويندفع من فوق الجبال
إلى الوادى بعد أن يمتلىء من (ذوبان) جليد الشتاء وسقوط أمطار
زيوس، فيجرف الكثير من أشجار البلوط الجافة وأشجار الصنوبر
٤٩٥ ويلقى بالكثير من الطمى فى البحر،
هكذا واصل أباس العظيم الهجوم عليهم، وكان يشتت مجموعهم
فى الوادى وهو يقتل الرجال والحياد. ولم يعرف هيكتور
ذلك، إذ إنه كان يحارب فى مكان بعيد على اليسار.
على ضفاف نهر سكاماندرس، حيث تطاير الكثير
٥٠٠ من رعوس الرجال، وارتفعت صرخة لا تخمد
حول نيستور العظيم وإيدومينيوس، المولع بالقتال.
فقد اشتبك هيكتور فى قتال معهما، وقام بأعمال مدمرة
متسلحا بسيفه وراكبا عربته. وعاث تحطيمًا فى صفوف المحاربين.
وما كان الأخيون البواسل لينسحبوا من المعركة
٥٠٥ لو لم يصب ألكسندروس، زوج هيلينى جميلة الشعر،
ماخاؤن الشجاع، قائد الشعوب، الذى كان يفوق الجميع فى شجاعته.
فقد قذفه فى كتفه الأيمن بسهم ذى ثلاث شوكلات.
ورغم شجاعته الفائقة، خشى الأخيون البواسل
أن يقع فى أيدى الطرواديين وهو جريح عندما تنتهى المعركة.
٥١٠ وفى الحال خاطب إيدومينيوس نيستور، شبيه الآلهة، بقوله:
"نيستور يا ابن نيلوس، يا فخر الأخيين العظيم،
تعال واصعد إلى العربة ولتدع ماخاؤن
يصعد بجانبك، وسوف نقود الخيول الأصيلة بأقصى سرعة
إلى السفن. فإن طبيبا واحدا يساوى فى أهميته الكثير من الأبطال،
٥١٥ فلنذهب حتى ينزع السهم وينثر الأدوية المسكنة على الجرح".

- هكذا قال وأطاعه نيبستور، الفارس الجيريني، وصعد في الحال
إلى العربة وصعد معه ماخاؤن بن أسكليبيوس الطبيب الماهر
وضرب الخيول بالسوط، فطارت بحماس
٥٢٠ في اتجاه السفن السريعة، وكانت روحه متشوقة للوصول.
وعندما لاحظ كيبيريونيس تشتت الطرواديين
وقف بجانب هيكتور في عربته وخطبه قائلاً:
'هيكتور، لقد واصلنا نحن الاثنين بمفردنا القتال ضد الداناتيين
حتى انتهت هذه المعركة الكريهة. بينما كان بقية الطرواديين
يتخبطون في الفوضى هم وخيولهم.
٥٢٥ لقد أربكهم آياس بن تيلامون، إننى أعرفه جيداً
فهو يضع درعاً عريضاً حول كتفيه. لذلك دعنا
نتجه بالخيول والعربة إلى هناك، إلى حيث يحارب
الفرسان والمشاة ويقاثلون بشراسة. حيث يقتل بعضهم البعض الآخر،
٥٣٠ وترتفع صيحة الحرب التى لا تخدم".
هكذا خاطب هيكتور، ثم ضرب الخيول ذات العرف الجميل
بالسوط ذى الصفير. وعندما سمعت الخيول صوت السوط
جرت العربة السريعة وسارت وسط حشود الطرواديين والآخيين
وهى تدوس فوق الجثث والدروع. وكان الدم يلمح
٥٣٥ محور العجلة كله من أسفل، وكانت فطرات الدم
التي تثرها حوافر الجياد تتساقط من حافة العربة المستديرة
ومن الإطارات. وكان هيكتور يتمنى أن
يدخل وسط زحام البشر ويقفز داخله ويخرقه. ولقد سبب
إزعاجاً كبيراً للداناتيين. وبعد وقت قصير نحى رمحه جانباً،
٥٤٠ ولكنه واصل جولته بين صفوف رجاله الآخرين

- ليزودهم بالسيوف أو الرماح أو الصخور الضخمة.
ولكنه كان يحجم عن متازلة أياس بن تيلامون
ووضع الألب زيوس، رفيع العرش، الخوف في نفس أياس
- ٥٤٥ فرقف مذهولا واضعا درعه المصنوع من سبع طبقات من جلد الثور
خلفه، وكان يحملق في الجموع وهو خائف، وكأنه حيوان مقترس
يتجول خانقا هنا وهناك، يتقدم خطوة ثم لا يلبث أن يتراجع أخرى.
مثل أسد كاسر يحاول المزارعون، ومعهم كلابهم،
أن يبعده بعيدا عن حظيرة الثيران،
- ٥٥٠ حتى لا تسبح له الفرصة ويقتنص أسن الثيران .
لذلك فإنهم يواصلون مراقبته طول الليل. وعندما تدفعه
شراسته إلى الدخول فإنه يفشل في تحقيق غايته
لأن الأيدي الشجاعة تطلق الكثير من السهام ضده.
كما أنه يخاف من المشاعل المصنئة ويخشاها رغم عنف رغبته.
- ٥٥٥ إلى أن يشعر قلبه باليأس عند الفجر فيرحل بعيدا.
هكذا رحل أياس بعيدا عن الطرواديين وهو حزين القلب،
رغم كراهيته لذلك، لأنه كان يخاف على سفن الأخيين.
ومتلما يعبر حمار عنيد الحقول، ويفشل الصبية في
- ٥٦٠ إبعاده، رغم أنهم يضربونه بالكثير من العصي ويكسرونها عليه،
فإنه يدخل حقل القمح الناضج ويدمره، رغم مواصلة الصبية
ضربه بالهراوات، ورغم أن قوة الصبية محدودة
فإنهم يطردونه بسهولة عندما ينال كفايته من الطعام.
هكذا واصل الطرواديون اليواصل وحلفائهم من مختلف البلاد
قذف أياس العظيم، ابن تيلامون،
- ٥٦٥ بالرماح في منتصف درعه، وواصلوا تعقبه أينما ذهب.
وعندما كان أياس يتذكر شجاعته الفائقة في الماضي

- كان يعود مرة أخرى ويواصل صد فرق
الطرواديين مروضى الخيول، ولا يفكر فى الهرب.
وكان يتمتع جميعا من الذهاب إلى السفن السريعة،
٥٧٠ فقد كان يحارب فى المسافة التى تفصل بين الطرواديين والآخيين،
ونجح فى الاحتفاظ بموقعه. وكانت السهام تتطلق
من الأيدي القوية فيصطدم بعضها بدرعه الكبير، ورغم قوة اندفاعها
كان الكثير منها يسقط فى منتصف المسافة ويرشق فى الأرض
قبل أن يلمس لحمه الأبيض، رغم تعطشه الشديد له.
٥٧٥ وعندما لاحظ يوريبيلوس بن يوايمون الشهير كيف
يعانى أياس من السهام التى تتساقط حوله
ذهب إليه ووقف بالقرب منه، وصوب سهمه اللامع
فأصاب أيبساؤن بن فارسيس راعى الشعوب
فى كبده أسفل قلبه، فأرداه قتيلا فى الحال.
٥٨٠ وهب يوريبيلوس إليه كى ينزع السلاح من كنفه.
وعندما رآه ألكسندروس. شبيهه الآلهة،
يجرد أيبساؤن من سلاحه، وفى الحال صوب سهمها
تجاه يوريبيلوس، فأصاب السهم فخذه
الأيمن. وانكسر رأس السهم فى فخذه وآلمه.
٥٨٥ فتقهقر عائدا إلى رفاقه حتى يتجنب الموت
وصرخ صرخة مدوية وخاطب الدانائيين قائلاً:
"أصدقائى قادة الأرجيين وملوكهم
تعالوا وتجمعوا حتى نجنب أياس هذا
اليوم المصيب، فإن السهام تحاصره. وأعتقد
٥٩٠ أنه لن يستطيع الهرب من هذه المعركة الكريهة. فلتتجمعوا ولتقفوا
بقوة بجانب أياس العظيم بن تيلامون".

- هكذا قال يوريبيلوس الجريح. فوقفوا
بجانبيه، مثبتين دروعهم على أكتافهم
وممسكين بحراهم. فاستدار أياس
وجاء إليهم، وعندما وصل إلى رفاقه وقف،
٥٩٥ وحاربوا معا وكأنهم نيران مستعرة.
وحملت خيول نيلبوس وماخاؤن قائد الشعوب
لكي يعودا من المعركة، وهي تتصعب عرفاً
ورأى أخيليوس الإلهي، سريع القدمين، نيستور وعرفه في الحال،
٦٠٠ فقد كان واقفاً في مؤخرة سفينته الضخمة
يراقب اندلاع المعركة الصاخبة المليئة بالدموع.
وفي الحال صاح، وهو يقف على سفينته، منادياً
رفيقه باتروكلوس، وعندما سمعه باتروكلوس، شبيه آريس،
وكان داخل خيمته، خرج إليه. وكان ذلك بداية الكارثة
٦٠٥ وخاطبه باتروكلوس بن مينويتيرس الشجاع أولاً بقوله:
"لماذا تتاديني يا أخيليوس، في أي شيء تحتاجني؟".
فأجابه أخيليوس، سريع القدمين، بقوله:
"يا بن مينويتيرس الإلهي، أيها العزيز على قلبي،
أعتقد أن الآخرين سوف يحتشدون سريعاً حول قدمي،
٦١٠ لكي يتضرعوا لي. فما سوف يأتي يصعب احتمالته.
فلتذهب الآن يا باتروكلوس، يا حبيب زيوس، ولتسأل من
الجريح الذي أحضره نيستور من الحرب،
فهو من الخلف يشبه ماخاؤن
بن أسكليبيوس، ولكنني لم أتمكن من رؤية وجهه،
٦١٥ فقد مرقت الخيول أمامي بسرعة"

- هكذا قال، وأطاع باتروكلوس، رفيقه العزيز
 وذهب مسرعاً إلى حيث توجد خيام الأخيين وسفنتهم.
 وعندما وصلت العربية إلى خيمة نيسطور بن نيلبوس
 نزلوا منها جميعاً إلى الأرض، وفيرة الخيرات.
 ٦٢٠ وفك يوريميديون، تابع نيسطور، الخيول من
 عربية الشيخ المسن. ووقف البطلان في مواجهة النسيم
 القادم من شاطئ البحر ليحفظا العرق في ملابمهما.
 ثم دخلا الخيمة حيث اتخذاً مجلسهما.
 وأعدت الشراب لهما هيكاميدي، جميلة الشعر،
 التي كان قد أحضرها الشيخ المسن من تينيدوس، عندما دمر
 ٦٢٥ أخيلبوس المدينة. وهي ابنة أرسينوؤس الشجاع. وقد اختارها
 الأخيون له، لأنها كانت تفوق الجميع في حكمتها.
 وفي البداية، مدت لهما هيكاميدي مائدة
 جميلة، ذات أرجل فولاذية جيدة الصقل، ووضعت عليها
 ٦٣٠ سلة من البرونز وبعض البصل لإعطاء نكهة للحم،
 وعسلًا مصفى وطبقاً من القمح المقدس
 بالإضافة إلى كأس فائق الجمال، أحضره الشيخ المسن من منزله،
 كأس مرصع بحليبات ذهبية نائنة، وله أربعة من
 الأيدي حول كل يد تحت من الذهب، يمثل زوجاً من
 ٦٣٥ الحمام وهو يلتقط الحب. وكان للكأس قاعدة مزدوجة.
 وكان من العسير على أي شخص أن يرفعه
 عن المائدة، ولكن نيسطور الشيخ المسن كان يرفعه بسهولة.
 ومزجت فيه الفتاة التي تشبه الإلهات
 نبيذاً برامبياً، ثم بشرت جبناً من لبن الماعز
 ٦٤٠ بمبشرة من البرونز، ثم نثرت بعضاً من الشعير الأبيض.

- وبعد أن أعدت لهما الشراب طلبت منهما أن يشربا.
 وبعد أن شربا وأطفأ نيران الظمأ الشديد
 بدأ متعة تبادل أطراف الأحاديث فيما بينهما.
 وقف باتروكلوس، البطل الذى يشبه الآلهة. على الباب
 ٦٤٥ وعندما رآه الشيخ الممن نزل عن عرشه الذهبى
 وأخذَه من يده وطلب منه أن يتخذ لنفسه مجلسا.
 ولكن باتروكلوس رفض الجلوس قائلاً:
 "سيدى المبجل، يا من رباه زيوس، لا تحاول إقناعى بالجلوس.
 لقد أرسلنى السيد النبيل المهيب حتى أسأل وأعرف
 ٦٥٠ من هو الجريح الذى أحضرته. إننى أعرفه .
 فقد رأيتَه، إنه ماخاؤن، قائد للشعوب والآن، ولأننى رسول
 أخيلئوس، يجب أن أعود بالخير إليه. سيدى المبجل،
 يا من رباه زيوس، أنت تعرف جيداً ذلك البطل الرهيب،
 الذى قد يبادر بلوم حتى ذلك الإنسان الذى لا تتربى عليه".
 ٦٥٥ عندئذ أجابه نيسطور، الفارس الجيرينى، قائلاً:
 "ولكن لماذا يبكى أخيلئوس هكذا على الآخيين
 الذين جرحتهم السهام ؟ إنه بالقطع يجهل
 مدى الحزن الذى ساد الجيش. فأفضل أبطالنا
 يرقدون فى السفن جرحى ومصابين.
 ٦٦٠ فقد أصيب ديوميديس القوى، ابن تيديوس.
 وكذلك أوديسيوس ذو الدرع الشهير، وكذلك أجاممنون.
 أما يوريبيلوس فقد أصيب برمح فى فخذه،
 وهناك شاب آخر أحضرته من المعركة
 وقد أصابه سهم أطلقه أحدهم من جعبة سهامه. ولكن أخيلئوس

- ٦٦٥ الشجاع لا يهتم بالداناتيين ولا يشفق عليهم
هل ينتظر حتى تحترق سفننا السريعة
الراسية على شاطئ البحر، وتأتي عليها نيران العدو نكابة في
الأرجبين، أم ينتظر حتى يتم قتلنا واحدا تلو الآخر؟ إن أطرافى
الواهنة لم يعد بها قوة مثلما كان الحال فى الماضى.
- ٦٧٠ أه لو كنت فى ميعة الصبا والشباب وفى عنقوان قوتى
مثلما كنت، عندما حدث بيننا وبين الإيليين صراع
بشأن نقل الإبل. فقد قتلت آنذاك إيتيمونيوس
بن هيبيروخوس الشجاع، الذى كان يسكن فى إيليس.
وذلك عندما كنت أسوق قطعانه غنائم لى. لقد حاول الدفاع عن ثيرانه
فأصيب، وهو وسط حرسه، بسهم انطلق من يدى رغما عنى،
وسقط على الأرض. ووقف الناس حوله وهم يرتعدون من الخوف،
فأخذنا غنائم كثيرة وسقناها بعيدا عن الوادى:
خمسین قطيعا من الثيران، العديد من الأغنام
والكثير من الخنازير ومن قطعان الماعز،
٦٨٠ بالإضافة إلى مائة وخمسين من الخيول الشقراء،
كانت كلها من الإناث فتبع العديد منها صغارها.
وبعد أن سرنا طوال الليل، وصلنا بها
إلى مدينة بيلوس مدينة نيلوس، وابتهج قلب نيلوس،
لأننى حققت كل هذا النجاح عندما ذهبت للقتال وأنا شاب صغير.
- ٦٨٥ وفى الصباح، صاح المنادون بصوت عال ودعوا السكان
للذهاب حتى يأخذوا ديونهم التى كانت لهم فى إيليس الإلهية.
وعندما تجمعوا جميعا، قام قادة مدينة بيلوس
بتوزيع الغنائم، فقد كان الإيبيون مدينين لكثيرين منا.
ف نظرا لقلّة عددا، فقد كنا نلقى معاملة سيئة فى بيلوس.

- ٦٩٠ لقد نزلت علينا قوة هيراكليس (هرقل) وقهرتنا
وقُتل خيرة رجالنا في السنوات الماضية.
وكنا نحن أبناء نيلبوس النبيل اثني عشر ابنا
لم يبق منهم أحد غيري، فقد هلك الباقون جميعا.
ولقد عاملنا الإيبويون، لابسو البرونز، بكبرياء وصلف
وواصلوا إهانتنا وسببوا لنا الكثير من الأذى.
- ٦٩٥ واختار الشيخ نفسه قطيعا من الثيران وقطيعا
كبيرا من الأغنام، بالإضافة إلى ثلاثمائة رأس ومعها رعاتها.
فقد كان له دين كبير في إيليس الإلهية
فقد أرسل أربعة خيول من التي تفوز في المسابقات ومعها العربات
لتشارك في المسابقات وتجرى من أجل الفوز
- ٧٠٠ بالمقعد ذي القوائم الثلاث. ولكن أوجياس^(*) ملك الرجال
استولى عليها وطرد السائق الذي عاد حزينا على خيوله
وبطبيعة الحال غضب الشيخ المسن من هذه الأفعال والأقوال.
لذلك اختار الكثير من الغنائم وأعطى الباقي للشعب
كى يوزعه فيما بينه حتى لا يحرم أحد من نصيب عادل.
- ٧٠٥ وبعد أن ناقشنا كافة الأمور - ذبحنا القرابين
فى أنحاء المدينة. وفى اليوم الثالث جاء سكان المدينة
بأعداد غفيرة، جاؤوا ومعهم خيولهم الأصيلة
كى يتعقبونا. وقد جاء معهم ولدا مولوس التوأم
رغم أنهما كانا مجرد صبيين لا يعرفان فنون القتال.
- ٧١٠

(*) تقول الأساطير الإغريقية إن أوجياس Augias كان ملكا على مدينة إيليس. وكانت حظائره تضم عددا هائلا من البقر (٣٠٠٠). ولكن هذه الحظائر لم تُنظف لمدة ٣٠ سنة. فكان من ضمن الأعمال المحارقة الإللى عشر التى أسند هيراكليس القيام بها تنظيف الحظائر الأوجية. ولقد أمكنه القيام بهذه المهمة فى يوم واحد عندما حول مجرى نهرى الفيوس وبييوس ليمرأ داخل الحظائر فأزال فى ساعات كل ما كان قد تجمع فيها من الروث على مدى السنوات الثلاثين.

- وكانت توجد مدينة تسمى ثريوسا تقع على تل مرتفع
على نهر الفيوس، بعيداً جداً عن مدينة بيلوس الرملية.
فحاصروا هذه المدينة وكلهم رغبة في إبادتها
وعندما احتلوا السهل بأكمله، جاءت إلينا الربة أثينة.
فقد ظلت تجرى طوال الليل من الأوليمبوس حتى وصلت إلينا
برسالة تحثنا فيها أن نتسلح، ليس لأنها تكره شعب بيلوس
ولكن لرغبتها الشديدة في الحرب. ولم يسمح لي نيلبوس
أذالك بحمل السلاح. لذلك أخفى خيولي،
قائلاً إنني لم أعرف فنون الحرب بعد.
- ٧١٥
- ٧٢٠ ورغم أنني كنت أحارب على الأقدام فقد كنت
مميزاً بين صفوف الفرسان، إذ كانت أثينة هي التي توجهني.
وعند النهر المسمى مينيبويس الذي يصب في البحر
بالقرب من أريني انتظرنا نحن فرسان بيلوس
بزوغ ربة الفجر المقدس. وتوافد إلى هناك الفرسان
بسرعة مسلحين بالدروع وكافة أسلحتهم.
- ٧٢٥
- ٧٣٠ وعند منتصف النهار وصلنا إلى نهر ألفيوس المقدس،
وهناك قدمنا لزيوس الكثير من القرابين العظيمة،
كما قدمنا لنهر ألفيوس ثورا، ولبوسيدون ثورا آخر.
واخترنا ثورا سمينا لأثينة زرقاء العينين ،
ثم تناولنا العشاء في (وسط) حشود الجيش
ودهبنا للنوم حول ضفتي النهر،
وكل واحد منا بكامل سلاحه. وكان الإيبيون الشجعان
يقفون أمام المدينة متلهفين على تدميرها،
ولكنهم سرعان ما شاهدوا بطولة رائعة من بطولات
الحرب (أريس). فعندما أشرقت الشمس على
- ٧٣٥

- تجمعنا استعدادا للقتال، ونحن نبتهل لزيوس وأثينة.
وعندما بدأ القتال بين أهل بيلوس والإيبينيين
كنت أنا أول من قتل واحدا من الأعداء، وغنمت خيوله الأصبيلة.
إذ قتلت مولوس، رامى السهام، وصهر الملك أوجياس
٧٤٠ فقد تزوج كبرى بناته، لأجاميدى الشقراء،
التي كانت تعرف جميع الأعشاب المداوية التي تنبتها الأرض
الشاسعة. فبينما كان يهم بالهجوم على قذفته برمح برونزى
فسقط على الأرض. وقررت إلى العربة
وحاربت في طليعة الصفوف. وعندما رأى
٧٤٥ الإيبينون اليواسل قائد الفرسان وقد سقط صريحا
أصابهم الرعب وهربوا هنا وهناك. فقد كان أفضل مقاتليهم
واندفعت أهاجمهم مثل عاصفة سوداء،
واستوليت على خمسين عربية، وعض اثنان من أبطالهم
الأرض بأسنانهم وهم في سكرة الموت بعد أن قهرهما رمحي.
٧٥٠ وكنت على وشك قتل ولدى موليون المنسوبين إلى أكتور،
ولكن أبوهما الحقيقي (بوسيدون)، مزلزل الأرض، أنقذهما
من الموت (القتل)، فقد أخفاهما بين طيات الضباب الكثيف.
ووضع زيوس في أيدينا نحن أبناء بيلوس قوة عظيمة،
فشنتنا فلول العدو في أنحاء الوادئ الفسيح
٧٥٥ وأشبعناهم قتلا، واستولينا على أسلحتهم الرائعة.
وقدنا خيولنا حتى بوبراسيون، الغنية بالغلال.
ووقفت الربة أثينة على صخرة أولينيا التي توجد
في تل اليسيون، أو هكذا يُسمى، وردتهم على أعقابهم.
وهناك قتلت آخر قتلاى وتركته. وقاد الأخيون
٧٦٠ خيولهم السريعة من بوبراسيون عاتنين إلى بيلوس.

- وتوجه الجميع بالشكر لزيوس من بين الآلهة، ولنيستور من بين البشر .
هكذا كنت، وهكذا كانت مكانتي ذات يوم بين الرجال. أما أخيليوس
فلن يفيد من بسالته سوى هو نفسه. وأعتقد أنه
سوف يندم كثيرا، حيث لا ينفع الندم. إذا ما دُمر هذا الشعب.
٧٦٥ يا ولدى الحبيب، لقد أمرك مينوييتيوس بذلك
في اليوم الذي أرسلك فيه من فثيا إلى أجاممنون.
لقد كنت أنا وأوديسيوس الإلهي في المنزل،
وسمعنا كل أوامره وهو يلقيها عليك.
فما أن وصلنا إلى قصر بيليوس الفخم
٧٧٠ حتى حشد شعب آخايا، كثيرة الخيرات،
ووجدنا البطل مينوييتيوس بالدأخل،
كما وجدناك أنت وأخيليوس. وكان الفارس الأسيب بيليوس
يحرق قطعة سميثة من فخذ ثور قربانا لزيوس، مرسل الصواعق،
وذلك في الفناء. ثم رفع كأسا ذهبيا
٧٧٥ وصب منه خمرا متلاثة فوق القرابين المشتعلة.
وكنتما منمهمكين في إعداد لحم الثور عندما وقفنا
نحن الاثنين أمام الباب. فنهض أخيليوس وقد تملكته الدهشة لرؤيتنا
وقادنا من أدينا. ودعانا للجلوس
وأحسن ضيافتنا. كما جرى العرف دائما مع الضيوف.
٧٨٠ وعندما أشبعنا رغبتنا من الطعام والشراب،
بدأت أنا الحديث، وطلبت منك أن تكون التالي.
وكنتما شديدي الحماس للذهب. وأصدر كل منهما الكثير من
الأوامر لكما. فقد أمر بيليوس الشيخ ولده أخيليوس
أن يكون الأفضل دائما، وأن يتفوق على الآخرين.
٧٨٥ كما أمرك مينوييتيوس، بن أكتور، أن تكون كذلك (مثله)

- يا بنى، قد يباهى أخيلئوس بأنه أفضل منك نسبا،
أما أنت فأكبر منه سنا. كما أنه يتفوق عليك من حيث القوة،
ولكن من المفيد أن تتصحه نصيحة عاقلة،
وأن توضح له ما يجب عليه فعله. فإن من مصلحته أن يطيعنا
هكذا أمرك الشيخ المسن، ولكنك نسيت. ويجب
٧٩٠ عليك أن تقول هذه الأشياء لأخيلئوس المحارب الجامح.
من يدري! ربما يسمع كلامك، إذا عاونك أحد الآلهة، فعليك أن ترفع
روحه بكلماتك المقنعة. فمن الخير إقناع الصديق.
فإذا كان يخشى إحدى النبوءات، التي كشفها له زيوس
أو كشفها له أمه المبجلة (المقدسة)
٧٩٥ فليرسلك أنت، وليجعل بقية الميرميدونيين
يتبعونك في الحال. فقد تأتي بنور الخلاص للدانائيين.
وليعطك أسلحته الرائعة لترتديها في الحرب،
فرما ينسحب الطرواديون من الحرب،
٨٠٠ إذا ما اعتقدوا أنك هو. وعندئذ سوف يتنفس المحاربون الآخيون
الصعداء. إن فترات الراحة شحيحة أثناء الحرب
وقد يُتاح لكم، لأنكم غير متعبين، أن تطردوا الأعداء،
الذين أرهقتهم الحرب، إلى داخل المدينة بعيدا عن السفن والخيام.
هكذا قال، فأهاج قلب باتروكلوس داخل صدره،
٨٠٥ فشرع يجرى بمحاذاة السفن، ليذهب إلى أخيلئوس، سليل أياكوس
وبعد جريه وصل إلى سفينة
أوديسئوس (الإلهي) حيث كان مجلسهم واجتماعهم منعقدين
وحيث شيدوا المذابح للآلهة.
هنالك قابل يوريبيلوس بن يوايمون،
٨١٠ سليل زيوس، مصابا بسهم في فخذه،

- مما جعله ينسحب من القتال. وكان العرق الغزير
يتساقط من كتفيه ورأسه، وكان الدم الأسود
يتدفق من جرحه المؤلم. ولكنه كان رابط الجأش.
وعندما رآه ابن مينوبيتيوس القوى شعر بالشفقة عليه
وخاطبه بكلمات مجنحة وهو يتأوه من الحزن:
- ٨١٥ "أيها البؤساء، يا قادة الدانائين وملوكهم،
هذا قدركم، أن تشيع الكلاب المتسارعة
من لحكم الأبيض، هنا في طروادة، بعيدا عن أحبائكم وعن أرض
الوطن. ولكن لنقل لى أيها البطل يوريبيلوس، يا سليل زيوس.
هل سيتمكن الأخيون من قهر بطل مثل هيكتور
أم سيتمكن هو منهم ويقهرهم بسيفه؟"
- ٨٢٠ فأجابه يوريبيلوس الجريح قائلاً:
"باتروكلوس، ياسليل زيوس، لم يعد للأخيين
أية قدرة على الدفاع وسوف يسقطون بجوار السفن السوداء.
فرغم أنهم كانوا الأفضل فيما مضى،
فإنهم يرقدون مصابين وجرحى فى السفن،
ويقعون فى أيدي الطرواديين الذين تزداد قوتهم على الدوام.
والآن، ليتك تأخذنى إلى مكان آمن فى السفينة السوداء
لتنزع الرمح من فخذى، وتغسل الدم الأسود
بالماء الدافئ، وأنتثر عليه بعض الدواء الملانم المسكن للألم
٨٢٥ إنهم يقولون، إنك تعلمت ذلك من أخيلئوس
الذى تعلمه على يد خيرون، أعظم الكنتوروى.
فالطبيبان بوداليريوس و ماخاؤون
حسب ما أظن، يرقد أحدهما فى الخيمة جريحا
- ٨٣٠

- ٨٣٥ في أمس الحاجة هو نفسه لرعاية أحد الأطباء، بينما بقي
الآخر في السهل متحملاً هجوم الطرواديين الضارى".
- فأجابه (باتروكلويس) بن مينويتئوس الشجاع بدوره قائلاً:
"ما هذا المأزق؟ وماذا نفعل إزاءه أيها البطل يوريبيلوس؟
إننى ذاهب إلى أخيلئوس الحكيم، لأنقل إليه الحديث
كما أمرنى بذلك نيسئور الجيرينئى، حامئ الآخينئ،
ولكننى لن أتركك وأنت تعانى فى وقت للشدة".
- ٨٤٠ هكذا قال، ثم أمسك قائد الشعوب من صدره
وقاده إلى خيمته. وعندما وجد فراشا من جلد الثور
جعله يتمدد فوقه، وأخرج الرمح الحاد المولم
من فخذه بسكين، وغسل جرحه من الدم الأسود
٨٤٥ بالماء الدافئ، ونثر فوقه نبات مر الطعم
بعد أن فركه بين يديه، فسكنت
٨٤٨ جميع آلامه وجف الجرح، وتوقف تدفق الدم.

الكتاب الثاني عشر



ترجمة منيرة كروان

- هكذا اعتنى (باتروكلوس) ابن مينوييتيوس القوى الشجاع داخل
الخيمة ببيروثيوس الجريح، بينما كانت حشود الأرجيين
والطرواديين تواصل القتال. ولم يكن مقدراً
أن يصمد خندق الداناتيين طويلاً ولا الحائط العريض
الذي بنوه فوقه حتى يحيط بالخندق،
ولكى يحمى هذا الحائط سفنهم السريعة
ويحفظ غنائمهم الكثيرة آمنة. وذلك لأنهم أغفلوا تقديم قرابين ذات
قيسة للآلهة. لقد بنى هذا الحائط ضد إرادة
الآلهة الخالدين. لذا لم يكن مقدراً أن يبقى طويلاً.
وظالما ظل هيكتور على قيد الحياة، وظل أخيلبيوس غاضباً
بقيت مدينة الملك برياموس صامدة،
وظل حائط الآخيين القوى قائماً.
ولكن عندما مات العديد من أفضل قادة الطرواديين،
وقُتل كثير من الأرجيين. بينما بقي البعض الآخر،
وُدُمرت مدينة الملك برياموس في العام التاسع.
عندما أبحر الأرجيون في السفن إلى وطنهم الحبيب،
عندئذ تحاور بوسيدون وأبوللون
في أمر تدمير الحائط، واستعانوا بقوة الأنهار.
تلك الأنهار العديدة التي تنبع من جبال إيدا وتصب في البحر:
نهر ريسوس وهينتابوروس وكاريسوس وروديوس
وجرينيكوس وأيسيبوس وسكاماندروس المقدس وسيمونيس.
حيث يوجد الكثير من الدروع المصنوعة من جلد الثيران والخوذات
ملفأة في الثرى، وجوارها جبل من أنصاف الآلهة من البشر.
لقد جمع أبوللون فويبوس (الوضاء) كل ذلك في مجرى واحد
وأرسله لمدة تسعة أيام في فيضان تجاه الحائط، كما أرسل

- زيوس مطراً متواصلًا حتى يجعل الماء يغطي الحائط بسرعة أكبر .
 وكان (بوسيدون) يتولى القيادة بنفسه،
 وشوكته الثلاثية في يده. وكان يرسل مع الأمواج جميع الأساسات.
 سواء عوارض السفن أو الأحجار، تلك التي صنعها الأخيون بمشقة،
 فسواها مع سطح مياه الهيليسيونطوس، سريعة الجريان. ٣٠
 وبعد أن غطت أكوام الرمال الشاطئ الفسيح
 وبعد تحطيم الحائط، حول بوسيدون الأنهار لتعود
 إلى مجراها، إلى حيث تصب مياهها لطيفة الانسياب مرة أخرى.
 هكذا كان بوسيدون وأبوللون يخططان للتدمير
 فيما بعد. ولكن الحرب وصخب القتال أشعلا النار
 حول الحائط المئين، وتردد صوت القتال
 بين جنبات الأبراج، وقهر سلطان زيوس الأرجيين،
 فتوقفوا عن القتال وعادوا أدرأجهم إلى السفن المجوفة
 خائفين من هيكتور جالب الخوف الشديد.
 فقد كان يحارب، كعهده دائمًا، مثل عاصفة هوجاء، مثل أسد
 أو خنزير برى يقف مدافعًا عن نفسه، وروحه مفعمة بالقوة،
 أمام مجموعة من الرجال والكلاب الذين يحاولون صيده.
 وتكالبوا عليه وهاجموه بثبات كالبرج الحصين
 ووقفوا له بالمرصاد وانطلقت من أيديهم رماح
 وحراب لا حصر لها. ورغم ذلك لم يهتز قلبه الشجاع،
 ولم يشعر بالخوف، فقضت شجاعته عليه.
 هكذا كان هيكتور يمتحن شجاعة الرجال أينما ذهب،
 وحيثما كان يشن هجومه تنسحب حشود الأعداء.
 وطوال القتال كان يجمع الرجال
 ويستحثهم على عبور الخندق. ولكن الخيول
 رغم سرعتها. فعندما كانت تصل إلى حافة الخندق ٥٠

- كانت تتوقف وتسهل بصوت عال. فقد كان الخندق
العريض يخفيها. ولم يكن من السهل الفقر عن قرب،
وكان عبور الخندق عسيرًا. إذ انتشرت التحصينات
العالية على جانبيه وقد ثبت عليها حاجز
من الأعمدة المدببة، أقامه الآخيون
بشكل قوى ومتين، ليحميهم من هجوم الأعداء
وكان من المستحيل أن يعبره حصان بعربة، حتى لو كان سريعًا.
واشتدت رغبة المحاربين لإتمام هذه المهمة.
- عندئذ وقف بوليداماس بجانب هيكتور الشجاع وخاطبه قائلاً:
"هيكتور، ويا قومي من الطرواديين ويا قادة الحلفاء،
من الغباء أن نحاول عبور الخندق بخيولنا السريعة
فمحاولة عبوره خطيرة للغاية. وقد ثبتت عليه
أعمدة حادة، وهو قريب من الحائط الذي بناه الآخيون
فكيف يمكن أن ينزل عليه الفرسان أو أن يحاربوا.
فهو ضيق للغاية وأعتقد أننا سوف نعاني هناك.
ولكن إذا دبر زيوس، مرسل الرعد من عل، لتدميرهم
فإن ذلك سوف يكون لصالح الطرواديين.
لكم أتمنى أنا نفسي أن يموت جميع الآخيين في الحال،
هنا بعيدا عن أرجوس، مجهولين بلا ذكرى.
- ولكن إذا هاجمنا الخندق المحفور عندما يرجعون من السفن
بعد أن يستردوا قوتهم ويتجمعوا مرة أخرى،
أعتقد انه لن يذهب رسول للمدينة
ويعود مرة أخرى من عند الآخيين.
- والآن أقول لكم لتوافق جميعًا على
أن يبقى الأتباع عند الخندق ومعهم الخيول.
بينما نذهب نحن مترجلين

- مدججين بالسلاح لنتبع هيكتور. فإذا كان
مقدراً للأخيين الهلاك قلن بصمدوا طويلاً.
- ٨٠ هكذا تحدث بوليداماس. وأسعد حديثه هيكتور،
فقفز في الحال من عربته إلى الأرض ومعه سلاحه.
ولم يبق الطرواديون الآخرون في عرباتهم.
ولكنهم قفزوا جميعاً، عندما رأوا هيكتور الإلهي يقفز
وعهد كل منهم بخيوله لسائقه،
- ٨٥ وأمره أن يبقى بجانب الخندق في نظام وترتيب.
وانتشر الطرواديون بعد أن قسموا أنفسهم
إلى خمس مجموعات منظمة، وساروا خلف قادتهم.
وهكذا ذهب أفضل الرجال وأشجعهم
خلف هيكتور وبوليداماس النبيل، وكانوا متحمسين
٩٠ لاختراق الحائط، وللسير للقتال عند السفن السريعة.
وكان رفيقهم الثالث هو كيبيريونيس، حيث عهد هيكتور
بخيوله لشخص آخر أقل شجاعة من كيبيريونيس.
- وتولى باريس قيادة القسم الثاني ومعه ألكانوثوس وأجينيور
أما هيلينوس وديفوبوس، شبيهة الآلهة، فتوليا قيادة القسم الثالث.
- ٩٥ وهما ولدا الملك برياموس. وكان رفيقهم الثالث
أسيوس بن هيرتاكوس. الذي حملته خيوله الضخمة
النشيطة من أريسي على ضفاف نهر سيلنتيس.
وقاد المجموعة الرابعة الشجاع آينياس
بن أنخيسيس. وكذلك أرخيلوخوس و أكاماس
١٠٠ ولدا أنتينور، اللذان كانا يتقنان فنون القتال.
وقاد ساريبيدون الحلفاء الأماجد
واختار معه جلاوكوس وأستيروبايوس المحب للقتال.

- فقد كنا، على ما يبدو، أفضل كثيرًا من الآخرين.
 وكان (ساربيدون) أفضل الجميع. وبعد أن ثبتوا
 ١٠٥ دروعهم المصنوعة بإتقان من جلد الثور ذهبوا في الحال،
 وكلهم حماس، لملاقاة اللدانيين، وهم يعتقدون أنهم لن يصمدوا
 طويلاً، وأنهم سرعان ما سيسقطون وسط سفنهم السوداء.
 وأطاح بقية الطرواديين وحلفائهم الأماجد
 نصيحة بوليداماس النبيل.
- ١١٠ ولكن أسبيوس بن هيرتاكوس، قائد الرجال، لم يرغب
 في ترك خيوله وعربته التي يقودها تابعه.
 لذلك أخذها واقترب من السفن السريعة.
 ياله من ساذج !! فلا يمكنه تجنب سوء حظه
 والعودة سالماً مرة أخرى من السفن، ومعه خيوله وعربته،
 ١١٥ إلى مدينة إليون التي تعصف بها الرياح
 فقدره السيئ يكمن له^(*) تحت سيف إيدومينيوس بن ديوكاليون النبيل.
 واتجه إلى السفن من جهة اليسار، من حيث اعتاد الآخيون
 الدخول بعد عودتهم من السهل ومعهم خيولهم وعرباتهم.
- ١٢٠ لقد سار بخيوله وعربته، ولكنه لم يجد
 أبواب المدينة مغلقة، ولم يجد الألواح الخشبية الطويلة التي تغلقها.
 وكان الرجال قد فتحوها على مصارعها انتظاراً لأن
 يفر أحد الرفاق من الحرب ويعود سالمًا إلى السفن.
 وعلى الفور قاد خيوله بلا تردد وتبعه رفاقه
 ١٢٥ وهم يصيحون عاليًا. لقد ظنوا أن الآخيين
 لن يصمدوا طويلاً وأنهم سرعان ما سيسقطون بجوار سفنهم السوداء.
 يالهم من حمقى ! فقد وجدوا عند البوابة رجلين من أفضل
 الرجال بين اللابثاي الجسورين، وأمر رماة السهام.

(*) راجع وصف موته في الكتاب الثالث عشر بيت ٣٨٤ وما يليه. (الغرر)

- الأول هو بوليبيوتيمس بن بيريثووس القوي،
 والثانى ليونتيوس شبيه أريس قاتل الرجال.
 ١٣٠ وجد أسبوس هذين البطلين واقفين أمام البوابات العالية
 مثل شجرتى بلوط فى أعلى الجبال،
 تقفان شامختين بثبات فى مواجهة الرياح والأمطار الغزيرة،
 بينما تتغلغل فى الأرض جذورهما القوية فتزديهما صلابة وقوة،
 هكذا وقف الاثنان ولم يخشيا أسبوس العظيم، بل هاجماه
 ١٣٥ معتمدين على قوة أيديهما وشجاعتهما.
 وفى الحال، جاء رفاقهم واتجهوا نحو الحائط المتين حاملين دروعهم
 المصنوعة من جلد الثور وهم يصيحون عاليًا.
 والنقرا حول الملك أسبوس ويامينوس و أوريستيس
 وكذلك حول أداماس بن أسبوس، وحول ثوون وأوينوماوس.
 ١٤٠ وواصل البطلان تشجيع الآخيين لايسى الدروع
 على القتال دفاعا عن سفنهم .
 ولكن عندما لاحظا اندفاع الطروانيين نحو الحائط
 والذعر الذى ساد بين الدانائيين وصراخهم
 اندفعا من البوابة وانخرطا فى القتال.
 ١٤٥ ومثلما تتوقع مجموعة من الخنازير البرية التى تعيش
 فى الجبال وتخشى هجوم حشد من الرجال ومعهم كلابهم لصيدها
 فتسلك طريقا جانبيًا وتدوس على أحراش الغابة المنتشرة حولها
 وتقتلع الأشجار من جذورها ويعلو صوت صرير أسنانها
 ١٥٠ ويتزايد، إلى أن يصوب أحدهم سهامه تجاهها فيسلبها الحياة.
 هكذا كان البرونز اللامع يحدث صريرًا فوق صدور المحاربين
 عندما توجه إليهم الضربات. لقد كانوا يحاربون بشجاعة متناهية
 واثقين من قوتهم وقوة جنودهم،
 الذين كانوا يواصلون قذف الحجارة من الأبراج

- ١٥٥ الحصينة، دفاعاً عن حياتهم وحيامهم
ومسفنهم السريعة. وكانت الحجارة تسقط على الأرض مثل ننف
الجليد التي تنذف بها الرياح العاصفة، التي ترج السحب الداكنة
فتنذف ننف الجليد الكثيفة على الأرض كثيرة العطاء.
هكذا كانت الحجارة تسقط من أيدي الأخيين والطر واديين
على حد سواء. وعندما كانت الحجارة تسقط على الخوذات
١٦٠ والدرع ذات الحلى المعدنية كانت تحدث دويًا خشناً
وحادًا مثل جمجمة الطواحين. وعندما أصيب أسبوس بن هيرتاكوس
في فخذه صرخ بصوت عالٍ وصاح في غضب قائلاً:
"زيوس، أيها الإله الأب، حتى أنت تلفق
الأكاذيب الكثيرة !! إنني لم أتصور أن يتمكن أبطال الأخيين
١٦٥ من مقاومة بأسنا والتصدى لأيدينا التي لا تقهر.
لقد صمد هذان البطلان ثابتين ولم يرغبوا
في التوقف قبل أن يقتلا أو يُقتلا،
مثل مجموعة من النحل أو الزنابير، التي لها لمعة في منتصفها،
١٧٠ وبنيت لنفسها وكرًا في طريقٍ وعر
فإنها لا تترك وكرها الذي حفرته في الأعماق، ولكنها
تبقى وتقاوم الصيادين لتدافع عن صغارها".
هكذا قال، ولكن حديثه لم يؤثر في زيوس،
فقد عقد العزم على أن يمنح هيكتور المجد.
١٧٥ كان هناك من يحاربون بجانب البوابة والبعض الآخر يحاربون
على اللبابة الأخرى ولذلك فمن الصعب أن أحكى كل ما حدث،
حتى لو كنت إلهًا. واشتعلت النيران، في كل الحائط الحجري،
بتحريض من أحد الآلهة. ورغم الحزن الذي أصاب الأرجيين، فقد
دافعوا عن السفن ببسالة. وأصاب الحزن كل الآلهة،

- ١٨٠ التي كانت تقف بجانب الداناتيين في المعركة.
وهكذا اشتبك اللابثاي في الحرب، وشاركوا في المعركة،
وعندئذ قذف بوليبيوتيس القوي، بن بيريثوؤس،
داماسوس برمح نفذ من خلال خوذته البرونزية.
ولم تفلح الخوذة، رغم أنها مصنوعة من البرونز، في حمايته،
فنفذ السهم الحديدي إلى عظامه، وفتت مخه
١٨٥ تمامًا، فأرداه قتيلاً، رغم حماسه الشديد.
ثم قتل بيلون بعد ذلك، ثم أورمينوس، واستولى على أسلحتهم.
وصوب ليونتيوس بن آريس رمحه
تجاه هيبوماخوس بن أنتيماخوس فأصابه في بطنه.
وفجأة سحب سيفه البتار من غمده
١٩٠ واندفع وسط المقاتلين، وفي البداية قتل أنتيفاتيس
بعد أن التحم في قتال لصيق، فطرحه أرضًا.
وبعد ذلك قتل مينون وبامينوس و أوريستيس،
فجعلهم جميعًا يتمددون على الأرض، وفيرة الخيرات،
١٩٥ الواحد تلو الآخر. وقام بعض المحاربين بالاستيلاء على أسلحة القتلى
البراقة، بينما هب كثير من الشباب الذين تشتعل نفوسهم بالحماس
والرغبة في تحطيم الحائط وإشعال النيران في السفن،
للسير وراء بوليداماس وهيكتور.
وأثناء وقوفهم القلق بجوار الخندق، يفكرون
٢٠٠ في كيفية عبوره، اقترب منهم طائر،
نسر يطلق عاليًا، ومر على يسار المحاربين
حاملًا بين مخالبه ثعبانًا ضخماً أحمر قاني.
وكان الثعبان حيًا رغم ضعفه، ولأنه لم ينس لذة القتال
انحنى للخلف وهاجم أسره فجرحه في صدره
٢٠٥ بالقرب من رقبته. وعندما شعر النسر بالألم

- أسرع بالهبوط به إلى الأرض، وألقاه وسط حشود المحاربين
ثم عاد يطير عاليًا وهو يصرخ وسط الرياح العاصفة (*).
وشعر الطرواديين بالرعب عندما رأوا الشعبان البراق
يرقد وسطهم، نذير شؤم (**). من زيوس حامل الدرع أيجيس.
٢١٠ عندئذ ذهب بوليداماس إلى هيكتور الشجاع وخاطبه قائلاً:
'هيكتور، إنك تنتصر على دائماً في مناقشات المجلس
رغم أنني أجيد الحديث، ولم يحدث مطلقاً
أن عارضك الشعب، سواء في مناقشات المجلس
أو في أمور الحرب. إذ تزداد قوتك على الدوام،
٢١٥ ولكنني سأعلن ما أحسب أنه الأفضل:
يجب علينا ألا ندخل في حرب الآن مع اللدانيين
بالقرب من سفنهم، لأنني أعتقد أنه إذا كان صحيحاً
أن طائرا جاء للطرواديين وهم يخططون لعبور الخندق،
ذلك النسر الذي يلحق عاليًا، و مر بهم من جهة اليسار
حاملًا بين مخالبه شعبانًا ضخمًا أحمر اللون
٢٢٠ وهو مازال حيًا، ولكنه ألقاه فجأة قبل أن يصل لعشه
وفشل في مواصلة حمله ليعطيه لصغاره.
هكذا سيكون حالنا. فإذا ما حططنا بوابات الآخيين وسفنهم

(*) ناقش أوريجين Origen. هذه الفقرة في "دفاع ضد كليسوس ٩١ و ٩٧) وصور هذا المشهد على عملة عثر عليها في إبيليس وتعود للقرن الرابع الميلادي.

British Museum. Coins of Peloponnesos, p. 62: 34.

وفي الكتاب الحادي عشر من "الإلياذة" (آيات ٧٥١ ومايلها) يقلد فرجيلوس هذه الفقرة. حيث يقول:
"مثل نسر أغفر عندما يحمل حية، حطفتها وطار بها عاليًا وقد شبك قدميه، وقبض عليها بمخالبه، بينما تنق الحية
الجريرة طياتها المنوية وتصلب عراشها المنفخحة بقمها، وهي تهض منتصبة. وليس النسر بأقل منها، فهسو
بصرها بتقارده العقوف، وهي تقاومه، بينما يرفرف النسر بأجنحته في الفواء". كما أشار شيللي إلى الحركة
بين النسر والنعمان في أغنية "لازون وكيتنا Laon and Cythna". (اشعر)

(**) سادت في العالم القديم كله تقريبًا ظاهرة الشازم والنفازل واستطلاع الغيب لمعرفة المستقبل. وكان
القدماء، وخاصة الإغريق، يعتمدون في تشاؤمهم وتفاؤمهم على نوعين من الظواهر: الأول: الظواهر الطبيعية
مثل تعيق الغريبان واليوم ونباح الكلاب... إلخ، وكانت تفسر في بعض الأحيان على أنها نذير خير وفي أحيان
أخرى على أنها نذير. أما النوع الثاني فهي الظواهر غير الطبيعية مثل اتجاه الطيور المقدسة في طيرانها جهة اليمين
أو اليسار وكسوف الشمس وسقوط المذنبات وما إلى ذلك. وكانوا يعتقدون أن هذه الظواهر تدل على ظهور
الألوه بشكل غير مباشر للإنسان لتحذره من فعل شيء أو لتشجعه عليه.

- وأخضعنا الآخيين بالقوة العاشمة.
فسوف نعود من السفن فى فوضى من نفس الطرق
٢٢٥ تاركين وراءنا الكثير من الطرواديين، وسوف يقتلهم
الآخيون بأسلحتهم البرونزية دفاعا عن سفنهم.
ويستطيع أى عراف يفهم جيدا مغزى الإشارات
ويثق فيه الشعب أن يفسر ذلك".
- ٢٣٠ فنظر إليه هيكتور، ذو الخوذة اللامعة، متجهما وخاطبه قائلاً:
"إن ما تقوله يا بوليداماس لا يصادف هوى فى نفسى،
فأنت بالتأكيد تعرف كيف تفكر بشكل أفضل من هذا.
ولكن يبدو أنك تقول هذا بسبب تهورك،
وإلا فمن المؤكد أن الآلهة قد سلبتك عقلك
فأنت تطلب منا أن ننسى زيوس، مرسل الرعد،
٢٣٥ ونسى كل ما وعدنا به، عندما أوما برأسه موافقاً.
وتأمرنا أن نطيع الطيور، ذات الأجنحة الطويلة.
فلن أنظر إليها ولن أهتم بها، سواء اتجهت ناحية اليمين،
إلى الفجر والشمس أو إلى اليسار، إلى عتمة الليل والظلام.
٢٤٠ فلنثق فى نصيحة زيوس القوى فهو سيد الجميع، بشراً وآلهة.
ثم إن ظهور طائر واحد فأل ممتاز لكى ندافع عن وطننا،
ولكن قل لى لماذا تخشى الحرب والموت؟
فحتى لو قُتلنا جميعاً عند سفن
٢٤٥ الأرجيين، فلا خوف عليك من الموت.
فلا أنت شجاع القلب، ولا أنت محب للقتال.
ولكن إذا امتنعت عن القتال، أو حرضت أحداً
آخر على الانسحاب من الحرب بكلماتك
٢٥٠ فسوف لأضربك برمحي وأقتلك فى الحال".

- هكذا قال، ثم شق طريقه وتبعه الآخرون
وهم يصيحون صيحة مدوية. ولكن زيوس، صاحب الصاعقة
أثار من جبال إيدا رياحا عاصفة
أهالت الغبار على السفن مباشرة. فتشوش
عقل الآخيين ومنح المجد لهيكتور و للطرواديين. ٢٥٥
فقد اعتمدوا على قوتهم وعلى علامات الفأل
فى محاولتهم تحطيم حائط الآخيين الكبير.
فهدموا أسوار البرج وأسقطوا التحصينات
وحاولوا رفع الدعامات والأساسات التى وضعها الآخيون
فى الأرض فى البداية لتكون أساسا للبرج. ٢٦٠
لقد سحبوها بعيدا على أمل أن يحطوا
حائط الآخيين. ولم ينسحب الدانائيون من الممر،
ولكنهم تحصنوا بالدروع المصنوعة من جلد الثور،
واستمروا يقذفون أعداءهم من الأبراج إذا ما اقتربوا من الحائط.
وكان الثنائى أياس يصدران الأوامر من البرج ٢٦٥
ويتجولان هنا وهناك. ويشيران حماس الآخيين،
فتارة يحثان أحدهم بكلماتهما الرقيقة، وعندما
يجدون أحدهم ينسحب من المعركة يعنفانه بكلمات خسة قائلين:
"أيها الأصدقاء إن الرجال جميعا لا يتماونون
فى الحرب. وبين الأرجيين يوجد المحارب الفذ والمتوسط القدرة
والسيئ، وقد جاء الآن دور الجميع كى يبذلوا الجهد.
وأنتم تعرفون ذلك. فلا تسمحوا لأحد
أن ينسحب الآن إلى السفن، لمجرد أنه سمع من يدعو للانسحاب.
ولكن لتتقدموا للأمام ولتحثوا بعضكم البعض على التقدم .
فقد يمكننا زيوس الأوليمبي، سيد البرق، ٢٧٥

- أن تصد الأعداء ونظردهم بعيداً عن المدينة".
هكذا كانا يصيحان عالياً ويشجعان الآخرين،
ومتلماً تسقط ننتف الثلج بكثافة
فى أيام الشتاء، هكذا أسقط زيوس،
صاحب التدبير، الثلج بغزارة، معلناً معجزاته للبشر. ٢٨٠
- ولقد استمر سقوط الثلج حتى بعد أن هدأت الرياح، حتى غطى
أعلى الجبال وقممها، واللسان الممتد فى البحر والسهول المليئة
بنبات اللوتس^(*)، والأراضى الخصبة التى حرثها الرجال.
كما غطى الموانئ، والشواطئ على طول البحر الرمادي
وكان للموج يزيله عندما يقترب من الشاطئ. ولكنه كان
يغشى كل شئ. ومثل المطر الغزير الذى تسقطه عاصفة زيوس
تساقطت الحجارة الكثيفة على الجانبين.
سقط بعضها على الطرواديين وسقط بعضها الآخر على الآخيين
من أيدى الطرواديين. وارتفعت الجلبة على طول الحائط.
وحتى ذلك الحين ما كان للطرواديين ولا لهيكتور العظيم
أن يحطموا بوابات الحائط ولا العارضة الطويلة
إذا لم يستحث زيوس ذو التدبير ابنه ساربيدون
ويثيره ضد الأرجيين. ومثل أسد يهاجم مجموعة من الثيران القوية
اندفع فى الحال، وأمامه درعه المستدير
المصنوع من الحديد المطروق بمهارة وفن، لقد صنعه حداد
ماهر ووضع داخله المزيد من جلد الثور،
وخاطه بخيوط ذهبية حول الحلقة التى تحيط به. ٢٩٥

(*) هناك عدة أنواع من اللوتس، اللوتس الإغريقي: عبارة عن نبات يشبه الرسم تغذى عليه الحيوانات . اللوتس القوريني: عبارة عن شجرة إفريقية ذات سيقان متعددة، كانت بعض القبائل الإفريقية التى تقطن الساحل تغذى على ثمارها، ولذلك سموا " آكلي اللوتس Lotophagi وقد جاء ذكرهم فى "الأوديسة" لأن أتباع أوديسيوس عندما أكلوا من اللوتس نسوا الوطن كما أشار إليهم هيرودوتوس. وهناك اللوتس المصرى أو زهر النيل وهناك أيضاً لوتس شمال إفريقيا وكانت سيقانه السوداء القوية تستخدم لصنع آلة الفلوت ، ومن ثم استخدم الشعراء تعبير "اللوتس الليبي" للدلالة على هذه الآلة.

- حمل ساربيدون درعه أمامه، وهو يلوح باثنين من الرماح.
 وأسرع في طريقه كأسد تربي في الجبال
 ٣٠٠ وطال شوقه لأكل اللحم. فأغراه قلبه الشجاع
 أن يدخل بيتاً حصيناً ويحاول أن يهاجم الأغنام.
 فلما وجد هناك رعاة شجعاناً
 معهم كلابهم ورماحهم يحرسون الأغنام
 لم يفكر في الهرب قبل أن يفوز بصيده،
 ٣٠٥ فإما أن يفقر مختطفاً فريسته من الأغنام، وإما أن يصاب
 عندما تقذف يد سريعة سهماً من الصفوف الأولى.
 هكذا كان قلب ساربيدون شبيه الآلهة في
 شوق للدفاع نحو الحائط وتحطيم التحصينات.
 وفي الحال خاطب جلاوكوس بن هيبولوخوس قائلاً:
 ٣١٠ "جلاوكوس، لماذا ننال نحن الاثنين التكريم في
 ليكيا، ونمنح مقاعد الشرف وتقدم لنا اللحوم والكنوس
 المترعة؟ إن الجميع ينظرون إلينا باحترام كما لو كنا آلهة،
 وقد خصصت لنا قطعة أرض كبيرة على ضفاف نهر كسانتوس
 بها مزارع كروم جيدة وحقول مزروعة بالقمح.
 ٣١٥ لذا يجب علينا الآن أن نقف في طليعة المقاتلين
 الليكيين، وأن نواجه القتال الضارى
 حتى يقول عنا دائماً الليكيون حاملو الدروع:
 إن ملوكنا الذين يحكمون في ليكيا
 ليسوا وضيعين، إنهم يلهمون الأغنام السمينة
 ٣٢٠ ويشربون خمراً قوية في حلوة العسل ،
 لأنهم يحاربون دائماً في مقدمة الليكيين.
 يا صديقى العزيز، لو كان الهروب من هذه
 الحرب يجعلنا نعيش للأبد ونصبح خالدين،

- ما كنت لأحارب فى طليعة الصفوف،
 ٣٢٥ وما كنت لأبعث بك إلى الحرب التى تجلب المجد للأبطال
 أما الآن، فأبنتى أرى ما لا حصر له من حالات الموت
 تحيط بنا، بحيث لا يمكن لبشر أن يهرب منه أو يتجنبه.
 لذلك فلنذهب للحرب ولنبتهل للآلهة أن تمنحنا المجد".
 هكذا قال، وأصاخ جلاوكوس السمع ولم يقاطعه.
 ٣٣٠ وذهبا مباشرة ليقودا شعب الليكيين العظيم.
 وارتجف مينيسثيوس بن بيبثيوس عندما وقع بصره عليهما
 فقد جاء إلى البرج حاملين الدمار.
 وحقق طويلاً فى برج الأخيين، فقد يرى واحداً
 من القادة يستطيع أن يمنع الكارثة ويدافع عن رفاقه.
 ٣٣٥ ووقع بصره على الثنائى أياس، اللذان لا يشبعان من القتال،
 واقفين على مقربة من ثيوكروس الذى كان قد وصل
 لنوه من خيمته، واماكان الصباح ليصل إليهما
 فقد كان الصخب شديداً، وكان الصراخ يصل إلى عنان السماء،
 صخب ارتطام الدروع والخوذات المزينة بشعر الخيل،
 ٣٤٠ وصخب الاصطدام بالوابات، لقد كانت كلها مغلقة ولكن
 الطرواديين كانوا يحاولون فتحها والدخول عنوة.
 وفى الحال، أرسل مينيسثيوس الرسول ثوؤتيس إلى أياس قائلاً:
 "ثوؤتيس يا شبيه الآلهة، لتذهب ولتستدع واحداً من الثنائى أياس
 أو لتستدعهما هما الاثنتين معا، فذلك أفضل،
 ٣٤٥ فسرعان ما سيحل علينا دمار كبير،
 لأن قادة الليكيين يضغطون علينا وقد اشتبهروا
 منذ القدم بعنف هجومهم وضرارته.
 ولكن إذا كان الوضع قد تأزم هناك بسبب القتال

- فليات فقط أياس التيلامونى القوى
 ٣٥٠ وليحضر معه تيوكروس. الخبير بالسهام".
 هكذا قال واستمع إليه الرسول وأطاع أوامره،
 فجرى بسرعة حتى وصل إلى حائط الأخيين لابسى البرونز
 ووقف بالقرب من الثنائى أياس وخاطبهما قائلاً:
 "أيها الثنائى أياس، يا قائد الأرجيين لابسى البرونز
 ٣٥٥ لقد أمرنى ابن بيتيوس الحبيب، الذى رباه زيوس
 أن أحضر لأستدعكما لتشتركا فى القتال فى الحال.
 ومن الأفضل أن تحضرا معا فهذا أفضل
 لأن الدمار الكبير سرعان ما سيحل علينا،
 لأن قادة الليكيين يضغطون علينا وقد اشتهروا
 ٣٦٠ منذ القدم بعنف هجومهم وضرأوتهم.
 ولكن إذا كان الوضع هنا قد تآزم بسبب القتال،
 فليات أياس التيلامونى القوى
 وليحضر معه تيوكروس، الخبير بالسهام".
 هكذا قال. وأطاعه أياس التيلامونى العظيم.
 ٣٦٥ وفى الحال خاطب ابن أويلوس بكلمات مجنحة:
 " لتمكث هنا يا أياس ومعك ليكوميديس (= ديوميديس) القوى
 لتشجعا الدانائيين على أن يحاربوا ببسالة .
 أما أنا فسأسرع بالذهاب لأشارك فى القتال
 وسوف أعود بسرعة مرة أخرى بعد أن أقدم لهم المساعدة".
 ٣٧٠ هكذا قال أياس التيلامونى ومضى فى طريقه
 ومعه شقيقه من نفس الأب. كما سار معهما بانديون حاملاً سهام
 تيوكروس المقوسة. وعندما وصلوا إلى البرج حيث يوجد مينيسثيوس،
 سأمى الروح، عبروا الحائط. ووجدوا محاربيهم فى مأزق

- ٣٧٥ فقد كان الأعداء يتسلقون التحصينات مثل عاصفة سوداء.
وانخرط قادة الليكيين وحكامهم البواسل
والأشداء في القتال. وارتفعت صيحة الحرب عاليًا.
وكان أياس التيلاموني أول من قتل واحدًا من الأعداء
فقد قتل إبيكليس، سامى الروح، رفيق ساريديون،
وذلك عندما قذفه بحجر مدبب ضخم
كان في داخل الحائط أعلى الحاجز. حجر لا يستطيع
رجل من رجال الحيل الراهن^(٤) أن يرفعه بسهولة بكتنا يديه
وإن كان في شرخ الشباب. ولكن أياس رفعه عاليًا وقذفه به
فحطم الخوذة ذات الحليات الأربع، وتحطمت في الوقت نفسه
جميع عظام رأسه. لقد سقط الحجر مثل غواص
يسقط من قمة البرج، ففارقت الحياة جسده.
عندئذ قذف تيوكروس جلاوكوس بن هيبولوخوس القوى
بسهم، بينما كان يواصل تقدمه نحو الحائط المرتفع
وذلك عندما رأى ذراعه مكشوفة، فتوقف عن القتال
في الحال، وقفز في الخفاء من فوق الحائط حتى
لا يلحظ أحد الأخيين أنه جريح ويتباهى بذلك.
وعندما شعر ساريديون برحيل جلاوكوس
شعر بالألم، ولكنه لم يترك القتال. فقد صوب رمحه تجاه
الكماون بن ثيستور فأصابه وسقط على مقربة منه. سقط الكماون،
منتبهاً اندفاع السهم، على وجهه وأسلحته البرونزية المزخرفة
تجلجل حوله. وأمسك ساريديون الحائط بيديه القويتين
وجذبه بقوة. فسقط كله تباغًا. وهكذا صار الحائط
بلا دفاع. وأصبح الطريق مفتوحاً أمام الجميع.

(٤) هنا يشير هرميرس إلى فكرة تدهور الأجيال وهي الفكرة التي تصح محورية في أشعار هيسودوس الذي ربط العصور والأجيال بالمعادن. (الغرر)

- ٤٠٠ وهاجم أياس وتيوكروس ساربيدون. فصبوب أحدهما
رمحه إلى الرباط اللامع الملتف حول صدره
والذى يحمل الدرع الذى يغطى جسده كله. ولكن زيوس أبعد
الموت عن ولده حتى لا يُقتل فى مؤخرة السفن.
ثم وثب أياس وصبوب سهما إلى درع ساربيدون. ولكن السهم
٤٠٥ لم ينفذ من خلاله، وإن جعل ساربيدون يترنح أثناء الهجوم عليه.
فتراجع قليلاً عن الحاجز ولكنه لم ينسحب
تماماً؛ فقد كان عقله ما يزال يطمع فى أن ينال المجد.
واستدار ساربيدون تجاه الليكيين أشباه الآلهة وهو يصيح قائلاً:
"أيها الليكيون، لماذا تتخلون عن شجاعتكم وإقدامكم؟"
٤١٠ فمن العسير علىّ، رغم قوتى أن أذهب
وحدى وأحطم الحائط لأشق طريقاً للسفن
فلتبعوني، فكلما كثر العدد كان ذلك أفضل".
هكذا قال. والتف الليكيون حول ملكهم
أكثر من ذى قبل بسبب تأنيبه لهم، والتزموا بنصيحته.
٤١٥ وكان الأرجيون على الجانب الآخر يدعمون صفوفهم
داخل الحائط، وباله من عمل ضخم
ولم يستطع الليكيون رغم قوتهم أن يحطموا
حائط الدانائيين وأن يشقوا طريقاً إلى السفن.
كما لم يستطع رماة الرماح الدانائيون أن يبعدوا
٤٢٠ الليكيين عن الحائط عندما اقتربت منه طلائع قواتهم.
وكما يتنافس رجلان على الحدود
فى حقل على المشاع، وهما يحملان فى أيديهما عصى القياس،
ويتعاركان فى مساحة ضئيلة من أجل الحصول على نصيب متساوٍ.
هكذا كانوا يتنافسون على تقسيم الحائط، بينما كان الأعداء

- ٤٢٥ فوفه يتعاركون ويمزق كل منهم دروع الآخر المستديرة المصنوعة من جلد الثور، والتي كانوا يضعونها حول صدورهم وكذلك الصدريات الخفيفة. وجرحت الأسلحة الحديدية التي لا ترحم أجساد كثيرين. وأثناء المعركة، عندما كان يصبح ظهر أحدهم مكتشفاً، كان يتلقى العديد من الجروح من خلال درعه.
- ٤٣٠ وفي كل مكان لطخت دماء الرجال الأبراج والأسوار. نساء الطرواديين والآخيين على السواء. ولكن الآخيين لم يخافوا ولم يتشتتوا. ومثلما تمسك امرأة أمينة كفتى الميزان وهي تقوم بالغزل وتضع الصوف في كفة والمكايل في الكفة الأخرى حتى تتعادل الكفتان، وذلك حتى تكسب قوت أولادها.
- ٤٣٥ هكذا كانت المعركة تسير بالتساوي بين الطرفين إلى أن منح زيوس مجداً عظيماً لهيكتور، بن برياموس، الذي اندفع أولاً تجاه حائط الآخيين وصاح في الطرواديين بصوت مدوّ قائلاً:
- ٤٤٠ "أيها الطرواديين، يا مروضى الخيول، انهضوا وحطموا حائط الأرجيين أشعلوا النيران المستعرة في سفنهم." هكذا قال ليحرضهم. وبعد أن استمعوا له جميعاً اندفعوا تجاه الحائط. ثم أمسكوا رماحهم الحادة وهاجموا، وأمسك هيكتور بحجر كان يوجد أمام البوابة ورفعته. حجر ضخّم عند قاعدته ومدبب وحاد عند قمته، حجر لا يستطيع اثنان من أفضل رجال العصر الحالي أن يرفعاه بسهولة من الأرض كي يضعاه في العربة. ولكن هيكتور رفعه وحده بسهولة
- ٤٥٠ فقد جعله زيوس بن كرونوس، ملتوى النصيحة، خفيفاً بالنسبة له.

- ومثلما يرفع الراعى فروة كبش بسهولة
ويمسك بها فى يد واحدة، ويكون الحمل خفيفاً عليه،
هكذا رفع هيكتور الحجر ووضعه فوق الألواح الخشبية
التي كانت تحمي البوابة كلها والتي تربطها بقوة
٤٥٥ بطيقتين من الألواح الخشبية الطويلة ويعارضتتين كانتا
تحيطان بالبوابة من الداخل وتمسكاتها. وكان يضمهما معاً مزلاج واحد.
ووقف هيكتور على مقربة، ثم اندفع إلى المنتصف
بعد أن أعد نفسه جيداً للهجوم حتى يكتسب قوة أكبر
ثم دفع ضفتى البوابة فحطمهما. وبسبب ثقل الحجر
٤٦٠ سقط إلى أسفل. و تأرخت البوابة على كلا الجانبين. ولم تصمد
العوارض الخشبية أكثر من ذلك، فتحطمت وتناثرت أجزاؤها
من ثقل الحجر. وقفز هيكتور الشجاع
ووجهه يشبه الليل المفاجئ وسلاحه الرهيب
الذى ارتداه حول جسده يتلألأ. وأمسك فى يديه
٤٦٥ اثنتان من الحراب. وما كان فى استطاعة أحد،
سوى إله من الآلهة، أن يوقفه إذا ما قابله. فقد اندفع نحو البوابة
وعيناه تشعان ناراً، واستدار وصاح فى الطرواديين
يحثهم لعبور الحائط، فاستجابوا لندائهم.
وعبر بعضهم الحائط على الفور، بينما اندفع
٤٧٠ البعض الآخر عبر البوابة. وأصاب دعر شديد الدانانيين
٤٧١ فهربوا إلى سفنهم السريعة، وعمت الفوضى العارمة.

الكتاب الثالث عشر



ترجمة أحمد عثمان

- وبعد أن سمح زيوس لهيكتور والطروديين بالوصول إلى السفن،
ترك المتحاربين هناك يكابدون الويل بلا نهاية، أما هو فأدار عينيه
البراقتين، ونظر إلى الآفاق البعيدة،
إلى أرض الفرسان الطراقيين والميسيين، الذين
يشتكون في التحام مباشر. وأرض الهيبيمولجيين السادة
الذين يشربون من لبن الفرسات، وأرض الآبيين أكثر الناس عدلاً.
ولم يعد يولى عينيه البراقتين شطر طروادة على نحو أو آخر،
لأنه لم يكن يعتقد في قلبه أن أيا من الخالدين سيتوجه إلى
هناك، ليمد يد العون إلى الطرواديين أو الدانائيين.
أما للسيد، مزلزل الأرض، فلم يغفل عن المراقبة الدقيقة،
لقد جلس يشاهد الحرب والمعارك على قمة جبل ساموطراقيا
الشاهقة، وكثيفة الغابات، فمن هناك كان من السهل عليه أن يرى
أرجاء إيدا. وظهرت أمامه مدينة برياموس جلية المعالم، وسفن الآبيين.
قفز من لجة البحر ليجلس هناك مشفقاً على الآبيين المدحورين
أمام الطرواديين، واستشاط غضباً من زيوس. بعدئذ هبط من
قمة الجبل الوعر بخطى واسعة رشيقة، ارتعدت الجبال
والغابات تحت قدمي بوسيدون الإلهيتين، حيث خطا خطوات
ثلاث، وفي الخطوة الرابعة بلغ غايته أيجاي^(*) حيث أقام
قصره المعروف في أعماق اليم، وهو قصر ذهبي يتألق ولا يبدي
أبد الدهر. وبعد أن وصل بوسيدون إلى هناك أعد عربته وشد إليها
جواده الرشيقين ذوى الحافر البرونزي والعرف الذهبي، وتزيا
بالذهب وتزود بالسوط الذهبي، وامتطى عربته وطار بها
فوق لجة البحر. ومن تحته كانت وحوش البحر تنب على الجانبين

(*) كانت أيجاي Aigai في جزيرة بوبويا ترتبط بعلاقة خاصة مع أسطورة بوسيدون وعبادته. قارن Anth. Pal

- منطلقة من الأعماق، وقد عرفت سيدها. وانشق البحر عن
طيب خاطر أمامه، فاندفع الموكب في سرعة هائلة.
- ٣٠ ولم يبطل محور العربية تحت قدميه، وحمل الجوادان
الرشيقان سيدهما إلى سفن الأخيين.
- هناك كهف سحيق في أعماق البحر العميق،
في منتصف المسافة بين تينيدوس وإميرس الوعرة،
وفي هذا المكان توقف بوسيدون مزلزل الأرض،
٣٥ فحل الخيول من العربية، ووضع أمامها
شينا من طعام الخلود (الأمبروسيا) لتتغذى عليه، وحول
أرجلها وضع أصفادا ذهبية
- لا تكسر ولا يمكن فكها، فلا مفر من البقاء حيث تركها
وحتى يعود سيدها. ثم ذهب هو نفسه إلى جيش الأخيين.
- ٤٠ وكان الطرواديون جميعا يسرون وراء هيكتور بن برياموس
متوهجين كاللهب المتأرجح، ويطلقون صيحات مدوية.
- كانوا يشعرون أنهم على وشك الاستيلاء على سفن الأخيين،
والفتك بأبسل المحاربين جميعا. إلا أن بوسيدون، طأوى الأرض
ومزلزلها، شرع يحث الأخيين بعد أن خرج من أعماق البحر
٤٥ في هيئة كالحاس وبصوته الذي لا يكل.
- وبدأ بمخاطبة الثنائي أياس فقد كانا يتأججان حماسا:
- "أيها الثنائي أياس، أنتما اللذان ستقتذان جيش الأخيين، إذا
وتقتما في قوتكما، ولم تفكرا في الفرار المخزي.
- ٥٠ أنا لا أخشى الطرواديين وأيديهم التي لا تقهر،
فهم بحشدهم الغفير قد تسلقوا الحائط العظيم، فالأخيون
لايسو الدروع المنيئة سيصدونهم جميعا، بل أخشى ما أخشاه
هنا أن يصيبنا الشر، لأن هيكتور ذا الغضب الجنوني يندلع
٥٥ كأنه لهب النار مزهواً بأنه ابن زيوس الجبار. وأتمنى أن يبث

- إله ما في قلبيكما الثبات فتحرضان الآخرين على الصمود،
وقد تصدانه عن السفن السريعة مهما كان اندفاعه،
حتى وإن كان (زيوس) الأوليمبي نفسه هو الذى يحقره".
- ٦٠ ثم لمس طاوى الأرض ومزلزلهما البطلين بعصاه،
فنفخ كامل القوة، وعتفوان النشاط فيهما، فى أوصالهما
وأيديهما وأقدامهما. وطار هو نفسه كالصقر حين يعلق
فى أجواز الفضاء فوق ربوة عالية مطارداً صيده، طائراً
٦٥ آخر، هكذا طار بوسيدون مزلزل الأرض بعيداً عنهما.
وكان أياس بن أوبليوس أول من أدرك أنه الإله،
فصاح مخاطباً أياس بن تيلامون:
- "أياس ! إنه إله من آلهة الأوليمبوس جاء يستحثنا
٧٠ على القتال دفاعاً عن السفن - إنه ليس كالخاس
العراف المفسر، فبسهولة تعرفت على علامات قدميه ورجليه
حين انطلق بعيداً عنا، والآلهة يعرفون بسهولة - وإن قلبى
داخل صدرى يكاد يقفز لهفة على القتال، وتشتعل جذوة للنشاط
٧٥ فى قدمى من تحتى، وفى يدي من فوقى".
- فرد عليه أياس التيلاموني:
- "أنا أيضاً تدب شعلة النشاط فى يدي اللتان لاتهزمان، لكى
أشهر رمحى، واستفرت كل قوتى، وقدمائى تتحركان
من تحتى برشاقة. إذ أتلطف على مواجهة هيكتور بن برياموس
٨٠ - الذى لا تتوقف سورة غضبه - فى معركة فردية"
- هكذا تحدث كل منهما إلى الآخر
فرحين بما بث الإله فى قلبيهما من جنون الحرب.
وفى الوقت نفسه استنفر طاوى الأرض بقية الأخيين، الذين
٨٥ كانوا بجوار السفن السريعة. لكى يهبوا للقتال .

- كانت أوصالهم قد تسببت وأنهكت بفعل الإرهاق والأسى ،
الذى حط على قلوبهم، وهم يرون حشود الطرواديين يتسلقون
الحائط العظيم. كانوا يشاهدون ذلك بعيون غارقة في الدموع
حتى الحواجب. إذ كانوا يظنون ألا أمل في الخلاص
من الهلاك، ولكن عندما مر زلزل الأرض، تسلل بينهم،
وأخذ يشعل جذوة الحماس في فرقهم القوية. ٩٠
- في البداية اقترب من تيوكروس وليينيتوس ليصدر لهما الأوامر،
ثم أقبل على المحارب بينيلوس وثراس وديبيروس وميريونيس
وأنتيلوخوس، سادة صيحات الحرب، مستفزًا همتهم بكلمات مجنحة:
- "عار عليكم أيها الأرجيون، يا لكم من صبية صغار ! ٩٥
كنت أتق في قدرتكم على القتال لإنقاذ سفننا. أما إذا
كنتم ستتقاعدون عن الحرب المؤلمة، فهذا معناه أنه جاء اليوم
الذى يقيناً سنندحر فيه أمام الطرواديين. يا لهول ما أراه بعيني!
شئ فظيع! لم أظن قط أنه يمكن أن يقع: الطرواديون يبلغون سفننا! ١٠٠
كانوا من قبل كالأيلة المذعورة التي وقعت فريسة للشعالب
والنمور والذئاب في وسط الغابة، بينما كانت تهيم على وجهها
بلا هدف وفي جبن، دون أن يكون لديها أية فكرة عن الحرب.
لم يكن الطرواديون من قبل يجروون على مواجهة قوة الآخيين ١٠٥
وأيديهم، ولو للحظة واحدة.
أما الآن فهم بعيدون عن مدينتهم، بل بجوار سفننا المجوقة يحاربوننا
بسبب غلظة قائدنا وتقاعس حشودنا، التي بسبب الغضب
لا تملك الدفاع عن سفننا السريعة، بل سيصل الأمر ١١٠
إلى حد أن ينبجوا فيها. وإذا كان المحارب بحق أجاممنون
بن أتريوس واسع الملك هو السبب في كل هذا، بما جلبه
من شعور بالخزي والعار في قلب ابن بيليوس سريع القدمين،
يجب ألا نتقاعس عن القتال. ولنكفر عن الخطأ بسرعة، ١١٥

- فقلوب الأخيار تقبل الاعتذار. لا يليق أن تتخلفوا في البسالة،
فأنتم خيرة الرجال في الجيش. أنا لا أتنازع مع من يتقاعسون
عن القتال منكم، فهم ليسوا سوى جبناء. ولكن جام غضبي
١٢٠ ينصب عليكم. أنتم مستكينون، وسرعان ما ستجلبون شروراً أكبر
بتقاعسكم هذا. فليضع كل منكم العار والخزي أمام ناظرية؛
انظروا فوهج المعركة يندلع من جديد. وهيكتور البارح في
صيحة القتال يقاتل فوق السفن شامخاً في قوته،
وقد حطم الأبواب والحائط الطويل".
- ١٢٥ وهكذا أفلح طاوى الأرض في استئثار همة الأخيين بكلماته،
واتخذت الفرق مواقعها حول الثنائى أياس. كانوا من القوة بحيث
لا يستطيع حتى آريس نفسه أن يخترق صفوفهم ويضعفهم،
ولا أتينة محرضة الرجال على القتال تستطيع ذلك.
فقد كانوا خيرة الأبطال الذين صمدوا أمام هجمة الطرواديين،
١٣٠ وهيكتور الإلهي. كان المتحاربون يتبارزون الرمح بالرمح
والدرع المتين بالدرع، والترس بالترس، والخوذة بالخوذة
والرجل بالرجل. وكل خصلة من شعر الخيل تلامس نظيراتها فوق
الخوذات اللامعة، كلما هز الرجال رعوسهم. وكانوا يحاربون في
صفوف متراسة، كل محارب كان لصيقاً بالآخر، شاهرين جميعاً
١٣٥ الرماح المتلامسة، ملوحين مهددين بعضهم بعضاً.
ولم تكن أذهانهم شاردة ولا قلوبهم شتى،
بل كانوا جميعاً يتلهفون على النزال. ثم تقدم الطرواديين
في التحام مباشر بقيادة هيكتور، الذى كان يتقدم مهاجماً مثل
١٤٠ جلود صخر يندرج من فوق ربوة شاهقة، حطه من عل
نهر فاضت به أمطار الشتاء. فيقفز عالياً ويتطاير وتهتز الغابات
من تحته، وتزداد سرعة تدحرجه، ولا يتوقف إلا حين

- يبلغ أرض السهل المستوية^(*)، فيتوقف عن التدرج
على الرغم من كل ما اكتسبه من قوة اندفاع. وتمثل
الخطر الداهم في أن يشق هيكتور طريقه إلى البحر
عبر خيام الأخيين وسفنتهم مواصلاً القتل في طريقه.
ولكنه اصطدم بالفرق المتلاحمة عند تقدمه فتوقف. وواجهه
ابناء الأخيين بسيوفهم ورماحهم ذات الحدين، وصدوه فتراجع
وتقهقر، ثم أطلق صيحة مدوية يخاطب الطروانيين قائلاً:
- ١٤٥
أيها الطرواديون، والليكيون والداردانيون، يا من تقاتلون في
التحام مباشر، اصمدوا، لن يفلاح الأخيون في صدى
لمسافة طويلة، مع أنهم اصطفوا جميعاً كأنهم حائط. بل سيتراجعون
أمام رمحي إذا أيدني أكبر الآلهة زوج هيرا ذو الرعد المدوى".
- ١٥٥
فلما قال ذلك استثار القوة والروح في نفس كل محارب،
وسار بينهم ديفوبوس بن برياموس بروح عالية، ورفع درعه
المتوازن في كل اتجاه أمامه، وأخذ يتقدم برشاقة على قدميه
محمّياً في درعه. وصوب ميريونيس عليه برمحه اللامع
وأطلق رمحاً لم يخطيء هدفه بل أصاب الدرع المبطن بجلد
الثور، والمتوازن في كل اتجاه، ولكنه لم يخترقه،
١٦٠
بل انكسر سن الرمح الطويل في التجويف. وحافظ ديفوبوس
على الدرع المبطن بجلد الثور، واستولى الخوف على قلبه من
رمح ميريونيس الحصيف. عندئذ تراجع هذا المحارب إلى
حشد رفاقه أمام هذه الهجمة الشرسة، وقد استشاط غضباً بسبب
فقدان النصر وانكسار الرمح. وانطلق نحو خيام الأخيين
١٦٥
وسفنتهم طلباً لرمح طويل لنفسه، كان قد تركه في خيمته.

(*) تذكر المرء هنا قول امرئ القيس

كجلمرد صخر حطه السيل من عل

مكسر مفسر مقبل مسير معاً

- وواصل الآخرون القتال ودوت صيحة لا حدود لها، وبدأ
- ١٧٠ تيوكروس بن تيلامون بقتل أحد المحاربين، إنه
الرماح إمبريوس بن مينتور ذو الثروة الهائلة من الخيول.
وكان يسكن في بيدايون قبل أن يأتي ابناء
الآخيين، وتزوج ابنة برياموس ميديسيكاستي
- ١٧٥ التي ولدت له من قصة حب. ولكنه بمجيء سفن الدانائيين
المقوسة، عاد إلى إليوس واكتسب مكانة مرموقة بين
الطرواديين، وسكن في بيت برياموس، الذي كرمه كأنه واحد
من ابنائه. الآن أصابه ابن تيلامون تحت أذنه بطعنة من
رمحه الطويل، ثم سحب الرمح من جسده فسقط. كان مثل شجرة
الردار على قمة جبل ترى من مسافات بعيدة من كل اتجاه،
- ١٨٠ اجثت بالبرونز الحاد، فتناثرت أوراقها
على الأرض. هكذا سقط وفوقه أسلحته البرونزية المزركشة.
وهرع تيوكروس في لهفة لتجريده من أسلحته، لكن هيكتور
صوب إليه رمحه البراق. بيد أن تيوكروس لمح الرمح
البرونزي وتغاداه بمسافة صغيرة جداً. فأصاب هيكتور
- ١٨٥ أمفيماخوس بن كتياتوس بن أكتور في صدره برمحه،
بينما كان يتأهب لدخول النزال، فسقط وهو يصرخ صرخة
مكتومة، وارتطم بالأرض وتكوم سلاحه فوقه. واندفع هيكتور بسرعة
لينزع عن رأس أمفيماخوس الباسل خوذته المثبتة عند وجنتيه،
- ١٩٠ لكن أياس صوب رمحه البراق إلى هيكتور المندفع،
فلم يصل الرمح إلى لحمه، إذ كان محمياً تماماً بالبرونز
الرهيب؛ ولكنه أصاب صرة درعه فدفعه بشدة إلى الوراء
- ١٩٥ وأبعده عن الجنتين، وعندئذ سحبهما الآخيون. وحمل
ستيخيوس ومينيسثيوس الإلهي قائدا الأثينيين أمفيماخوس
إلى الآخيين، وحمل الثنائي أياس الملهورفان على خوض

- المعركة الفتاكة، جثة إمبريوس بعيداً. وكانا مثل أسدين
اختطفاً عنزة من أفواه كلاب صيد حادة الأنياب، فحملها
عبر أحرش الغابة الكثيفة، فرعاها في فكيهما بعيداً عن
الأرض. هكذا حمل الثنائي أياس الباسلان إمبريوس عاليًا
وجرداه من سلاحه، وقام ابن أوليوس بفصل رأسه عن عنقه
انتقامًا غاضبًا لمقتل أمفيماخوس، وقذف بها لتتدحرج وسط
الحشود كأنها كرة، واستقرت في التراب تحت قدمي هيكاتور.
شعر بوسيدون بالغضب الشديد في قلبه، عندما سقط
ابن ابنه في خضم الصراع الرهيب، فذهب بين خيام الأخيين
وسفتهم ليستنقروا الدنائيين للقتال. أما بالنسبة للطرواديين
فكان يثير الرعب. وهناك قابل إيدومينيوس المعروف برمحه
أثناء عودته من المعركة مع أحد رفاقه المصاب في ركبته
بالرمح البرونزي الحاد. حمله رفاقه، وكان إيدومينيوس قد
أصدر أوامره إلى الأطباء وذهب هو إلى خيمته، فقد كان
توافقًا إلى المعركة. وخاطبه الإله مزلزل الأرض بصوت
يتقمص صوت ثواس بن أندرايمون، الذي كان سيدًا على
الآيتوليين في كل أنحاء بليورون وكاليدون، وكان موضع
تبجيل الناس كأنه إله، وقال:
- "أى إيدومينيوس يا قائد الكريتيين ومرشدهم، أين ذهبت
التحديات التي وجهها أبناء الأخيين للطرواديين؟"
فرد عليه إيدومينيوس قائد الكريتيين قائلاً:
- "يا ثواس، لا تثريب على أحد الآن، فكلنا بارعون في الحرب.
وما من رجل ولى الأديار من المعركة مستكينًا أو مستسلمًا للجبن،
وما انسحب أحد من الحرب اللعينة، بيد أن
ابن كرونوس الأعلى في جبروته يسره أن يهلك الأخيون هنا
بعيدًا عن وطنهم أرجوس، فلا يبقى لهم ذكر. لكن يا ثواس،

- ٢٣٠ بما أنك كنت درمًا صامدًا في ساحة الوغى وتحرض الآخرين حين ترى أحدهم يتفاسع عن القتال، فلا تتوان، بل أطلق صيحاتك واستنفر كل الرجال".
- فرد عليه بوسيدون مزلزل الأرض قائلاً:
- "أى إيدومينيوس، ليت هذا الرجل لا يعود إلى وطنه من أرض طروادة، بل يترك هنا طعامًا للكلاب، ذلك الذى تفاسع اليوم عمدًا عن القتال. فانهض وتسلح واتبعنى،
- ٢٣٥ فلعلنا معًا ننجز هذه المهمة على وجه السرعة. ورغم أننا اثنان فقط، فالأمل معقود علينا، والتعاون والتعاقد يزيدان قوة الأقوياء حتى لو كانوا محاربين فى مأزق، بيد أننا نحن الآخيين نعرف جيدًا كيف ندير القتال ضد عدونا الشرس".
- هكذا قال الإله، ثم انخرط مرة أخرى فى زمرة المتقاتلين.
- ٢٤٠ وما أن بلغ إيدومينيوس خيمته المحكمة للبناء، حتى سلح نفسه تسليحًا جيدًا واختار رمحين وانطلق. كان مثل الساعة التى يمسك بها ابن كرونوس فى يده ويلوح بها من فوق الأوليمبوس، آية للبشر الفانين، تومض الأشعة منه على المدى،
- ٢٤٥ هكذا تآلق البرونز على صدره وهو يهرول. وقابله تابعه للهمام ميريونيس وقد كان لا يزال على مقربة من الخيمة، وكان قد ذهب ليحضر رمحًا برونزيًا، وناداه إيدومينيوس الجبار قائلاً:
- "أى ميريونيس، يا ابن مولوس، يا سريع القدمين، أنت أعز رفاقى إلى، لماذا أتيت تاركًا القتال والمعركة؟ هل أصبت وهل يؤلمك سن رمح؟ أم هل أتيت إلى برسالة ما؟
- ٢٥٠ أما أنا فلا يسرنى البقاء هنا فى الخيام، بل يسرنى الالتحام فى القتال".
- فرد عليه ميريونيس الحصيف:

- ٢٥٥ "أى إيدومينيوس يا قائد الكريتيين ومرشدهم، لابسى الدروع البرونزية، أنا فى طريقى لأحضر رمحاً، لعلك تكون قد تركت واحداً فى الخيام؛ فالرمح الذى أحمله منذ مدة تحطم حين أطلقته على درع ديفوبوس المتجبر".
- فرد عليه إيدومينيوس قائد الكريتيين قائلاً :
- ٢٦٠ "إن أردت رمحاً فستجدها، سواء أردت واحداً أو عشرين، ستجدها فى الخيمة تقف مستندة على حائط المدخل اللامع، رمحاً طروادية، فمن عادتى أن أسلبها من قتلاهم. وأنا لا أميل إلى قتال الأعداء من مسافة بعيدة، لذا فإن لدى رمحاً ودروعاً ذات صرر وخوذات وأحزمة تلمع".
- ٢٦٥ فرد عليه ميريونيس الحصيف:
- "وفى خيمتى أنا أيضاً وفى سفينتى السوداء الكثير من غنائم الطرواديين، ولكنها الآن ليست فى متناول يدى. ولم أنس البسالة، بل أحب مكانى فى طليعة المقاتلين؛ حيث يحرز الأبطال المجد، وحيث ترتفع صيحات القتال. وقد لا يعلم بعض الآخرين لابسى الدروع البرونزية قدرتى فى القتال، ولكنك أنت تعرفها تماماً".
- ٢٧٠ فرد عليه إيدومينيوس قائد الكريتيين قائلاً:
- "أنا أعرف أى نوع من الرجال أنت، وأى بأس لديك فى القتال. فما الداعى لتقول ما هو معروف ؟ إذا كان أفضل ما لدينا قد قيل بجوار السفن وفيما يتعلق بالكمين، فإن بسالة الرجال تختبر وتتجلى ويتبين الجبان من الشجاع، إذ يتبدل الجبان
- ٢٨٠ من لون إلى لون آخر، وروحه لا تظل فى صدره، فلا يثبت على حال، فيغير ركبة مكان الأخرى، ويرتكز على

- قدم بعد الأخر، ويخفق قلبه بدقات مرتفعة الصوت، ويتوقع الموت في كل لحظة، وتصطك أسنانه في فمه. أما لون الشجاع فلا يتغير ولا يتبدل، وهو لا يخاف حين يتخذ موقعه في كمين المحاربين، بل يبتهل أن يخوض قتالاً رهيباً -
- ٢٨٥ وحتى في مثل هذه الحالة لا يقلل أحد من بسائك وقوة يدك. وإذا كنت قد أصبت بسن رمح أو بطعنة في لهيب القتال، فالرمية لا تأتيك من الخلف في الرقبة أو الظهر، بل على صدرك أو بطنك حيث كنت تهاجم في مقدمة صفوف المقاتلين.
- ٢٩٠ فتعال ولنتوقف عن التلكؤ هنا، حتى لا نثرثر كالأطفال، فقد يثور غضب أحدنا إلى ما وراء الحد، فإذهب إلى الخيمة واتخذ لنفسك رمحاً متيناً".
- ٢٩٥ هكذا قال، وأخذ ميريونيس، قرين أريس في سرعته، رمحاً برونزياً وتبع إيدومينوس متطلعاً بلهفة للقتال. فهو يخوض الحرب مثل أريس الفتاك بالبشر الفانين، ويتبعه ابنه فوبوس (الخوف) المقدم، الذي لا يهاب والذي يرعب
- ٣٠٠ أي محارب إن لم يكن ثابت القدمين. كلاهما تسليح وقدم من طراقياً^(٣) للانضمام إلى الإفيرييين أو الفلجيين الأشاوس، ولكنهما لا يصغيان لأى من الجانبين، بل يهبان المجد لهؤلاء تارة ولأولئك تارة أخرى. هكذا
- ٣٠٥ يخوض ميريونيس وإيدومينوس قائدا الأبطال القتال لابسين الدروع البرونزية اللامعة، وقال ميريونيس لإيدومينوس:
- "يا ابن ديوكاليون، أين ترغب أن تنضم إلى زمرة المقاتلين، هل في الجانب الأيمن للحشد، أم في القلب، أم إلى اليسار؟ وطنى أن الآخيين ذوى الشعر الطويل يفلحون

(٣) تقبل طراقيا Thrake أو Threke في العموم على أنها موطن إله الحرب (اغرون).

- ٣١٠ في القتال في أى موضع".
فرد عليه إيدومينيوس قائد الكريتيين قائلاً:
"فى وسط السفن هناك من يدافعون عنها، وهما الثنائى أياس
وتيوكروس أبرع الأخيين فى رمى القوس وفى الالتحام
القتالى المباشر. وهؤلاء سينهكون هيكتور بن برياموس
ويصدونه بعيداً عن القتال رغم شراسة هذا البطل وقوة عزمه.
٣١٥ ومهما كان مثلها على القتال سيكون من العمير عليه
أن يقهر عنفوانهم وأيديهم القوية، وأن يضرم شعلة النار
فى السفن، ما لم يشعل ابن كرونوس نفسه اللهب المنذع فى
السفن السريعة. أما أياس القيلامونى الجبار، فلا يستسلم لأحد
٣٢٠ من البشر الفانيين من أكلى حبوب ديميتز، الذين يضربون
بالبرونز أو يسحقون بالأحجار الضخمة. ولا يخضع حتى
لأخيلبيوس مشئت صفوف الرجال، الفتاك فى الالتحام القتالى
المباشر، فلا أحد ينازع أخيلبيوس فى سرعة القدمين.
٣٢٥ أما بالنسبة لكلينا، فلنقف فى ميسرة الجيش كما قلت،
حتى تعلم ما إذا كنا سنهب المجد لغيرنا، أم غيرنا هو
الذى سيهب المجد لنا".
- هكذا كان حديث ميرونيوس، الذى ينازع أريس فى سرعة
الهرولة، ثم قاد الطريق حتى بلغا الحشد، حيث أمره إيدومينيوس
٣٣٠ بأن يمضى. وما أن رأى الطرواديين منظر إيدومينيوس بقوته وكأنه
شعلة لهب ومعه تابعه المسلح تسليحاً جيداً بالغ الإتقان،
نادى كل فرد من أفراد الحشد على الآخر ليذأنا
بالهجوم، فهاجموه. وعند مؤخرات السفن التحم المتحاربون
جميعاً فى قتال مباشر فى حشد متكثف. واشتدت العواصف
وهبت الريح فى يوم تراكم التراب فيه سميكاً على الطرقات.
٣٣٥ فأثارت الريح سحابة كثيفة من الغبار. بيد أن المعركة بينهم

- لم تنقطع، وكان كل طرف منهما يتلطف على قتل الآخر بالبرونز البتار. واندلع الصراع فتكًا بالفانين، الذين سقطوا ضحايا الرماح الطويلة ممزقة لحم الأجساد. وكادت الأبصار تزوغ ببريق البرونز في الخوذات اللامعة والأحزمة المصقولة والدرع البراقة، حيث كانوا يلتحمون التحامًا كاملاً. قوى العزيمة فقط هو من جرو قلبه وانشرح صدره لرؤية هذا القتال المفعج دون أن ينقبض فؤاده.
- ٣٤٠
- ٣٤٥ كان ابنا كرونوس^(*) الجباران موجودين، وكان لكل منهما أهدافه المختلفة عن أهداف الآخر، ولكنهما معًا دبرا آلاما قاسية للمتحاربين الفانين. كان زيوس يود النصر للطرواديين ولهيكثور، وبذلك يوفر المجد لأخيليوس سريع القدمين.
- ٣٥٠ مع ذلك لم يشأ القضاء على حشد الأخيين قضاءً مبرماً أمام إليوس، وكل ما أراد هو أن يوفر التكريم لثيتيس والمجد لابنها المغوار.
- أما بوسيدون فقد ذهب إلى وسط الأرجيين، وأخذ يقوى عزمهم بعد أن اتسل سرا من البحر المضطرب، إذ كان قد ضايقه كثيراً أن الطرواديين دحروهم، وكان حانقاً على زيوس.
- ٣٥٥ ومع أنهما من سلالته واحدة ومن الوالدين نفسيهما، بيد أن زيوس كان هو الأكبر والأكثر فطنة بمراحل. ولذا كان بوسيدون يتجنب إظهار مساعدته المباشرة، وسعى سرا لاستتفار الأرجيين وحشدهم متخذاً هيئة بشرية. وهكذا عقد كلاهما طرفي حبل الصراع الفتاك والحرب اللعينة، وأخذاً يتجادباناه بعنف فوق الجيشين، ولا يستطيع أي رجل قوى أن يحل عقدة هذا الصراع، وإن استطاع أن
- ٣٦٠

(*) زيوس وبوسيدون. (الهر)

- يحل ركب العديد من الرجال .
ونادى إيدومينيوس، مع أن اللون الأبيض بدأ يخالط شعر
رأسه، على الدانائيين، وقفز وسط الطرواديين فولوا الأدبار .
فقتل أوثريونيوس القادم من كابسوس والمقيم ضيفاً في
٣٦٥ طروادة، فقد جاء حديثاً بعد أن سمع نبأ الحرب؛ وطلب يد
كاساندرأ أجمل بنات برياموس . ولم يقدم الهدايا ليخطب ودها،
بل وعد بإنجاز بطولي، وهو أن يطرد أبناء الأخيين من أرض
طروادة . ووعد للشيخ برياموس بأن يعطيها له فأوما برأسه،
وانخرط (أوثرينيوس) في القتال وانقأ في وعد الملك .
٣٧٠ بيد أن إيدومينيوس صوب إليه رمحه البراق وأصابه بينما
كان يتبختر في خيلاء، ولم يحمه الدرع البرونزي الذي
يحتمى به، بل اخترق الرمح بطنه، فسقط مرتطمًا بالأرض،
وفوق جثته وقف إيدومينيوس متباهياً وقائلاً:
٣٧٥ "يا أوثريونيوس ! إنى أعدك حقاً الأسعد بين كل البشر
الغافين، فسوف تنجز وعدك لبرياموس الدارداني، وقد وعدك
بأبنته . ونحن أيضاً نعدك وسننجز ما وعدنا، وستزوجك أجمل
بنات أثيريوس، وسنحضرها إليك من أرجوس لتتزوجها هنا؛
٣٨٠ إذا ناصرتنا في حصار إليوس المأهولة . فاتبعنا فقد نعقد عقد
الزواج في السفن جوارية البحار، وثق تماماً أننا لا نغالي في
طلب هدايا الزواج" .
هكذا كان حديثه، وسحب المحارب إيدومينيوس الجثة من
٣٨٥ القدمين عبر ساحة القتال . وجاء أسبوس لينقذ للميت سيراً
على قدميه أمام جواده، اللذين ساقهما تابعه وقائد عربته،
واقتربا حتى صارت أنفاسهما فوق كنفى أسبوس . وكان الأخير
يتلهف على إصابة إيدومينيوس؛ إلا أن هذا البطل كان أسرع
٣٩٠ منه، فأطلق عليه رمحاً أصابه في عنقه تحت ذقنه،

واخترق للبرونز لحمه. فسقط كما تسقط شجرة البلوط أو
شجرة الجوز أو شجرة الصنوبر الباسفة، التي أسقطها
وسط الجبال قاطعو أخشاب السفن ببلطاتهم الحادة. هكذا
تمدد أسبوس أمام جواده وعربته يئن بصوت عال قابضاً
على التراب المختلط بالدم.

أما سائق عربته الذي أصيب بالهلع، فتخلى عن تماسكه
الذي تحلى به، ولم يجرو على العودة بالخيل والفرار من
أيدي الأعداء. فرماه أنتيلوخوس البارح في القتال
وأصابه برمحه، فلم يحمه الدرع البرونزي، الذي كان يرتديه
بل استقر الرمح في بطنه تمامًا. فسقط من العربة المتينة
البناء. وساق أنتيلوخوس بن نيسطور الباسل الحصانين من
معسكر الطرواديين إلى حيث حشد الآخيين.

حزن ديفوبوس حزناً بالغاً على أسبوس، فاقترب من إيدومينيوس
وصوب إليه رمحه اللامع. بيد أن إيدومينيوس الذي كان يحملق فيه
مباشرة تفادى الرمح البرونزي، إذ احتفى بغطاء درعه الذي
اعتاد ارتدائه والمتوازن من كل جانب والمصنوع من جلد الثور
والبرونز اللامع بانقان شديد وعليه حلقتان. تقلص تحت
هذا الدرع فطار الرمح البرونزي من فوقه مرتطمًا بدرعه
بشدة. وما كان ديفوبوس ليدع الرمح يطير من يده الثقيلة سدى،
بل أصاب هيبسينور بن هيباسوس راعى شعبه في كبده تحت
حجابه الحاجز، ففك مفاصل ركبتيه. ووقف ديفوبوس فوق
جنته منتشياً بالنصر وصائحاً بأعلى صوته:

"لم يمت أسبوس دون انتقام؛ بل سيسر - فيما أظن - في
رحلته إلى مقر هاديس، الحارس شديد البأس، فقد منحته
مرافقاً في رحلته".

- هكذا كان تفاخره، وتألم الأرجيون لتبجحه.
- أثار بالدرجة الأولى حنق أنتيلوخوس الحصيف، الذى رغم
حزنه لم ينس رفيقه الحبيب^(*)، بل جرى نحوه ووقف فوق
جثمانه وحماه بدرعه. وانحنى اثنان من الأتياع الموثوق بهما،
وهما ميكسنيوس بن إخيوس والامتور الطيب، وحملا هيسينور
وهما يجهشان بالبنكاء إلى السفن المجوفة. ولم يتكأ إيدومينيوس
فى عنفوان غضبه، بل تلهف على أن يدفن أحد الطرواديين
فى ظلمة الليل الأسود، أو أن يسقط هو نفسه دفاعاً عن الأخيين.
فقتل الوحش المحارب ألكائوؤس الابن الحبيب لأيسينيئيس ريبب
زيوس، إنه زوج بنت أنخيسيس، حيث كان قد تزوج
كبرى بناته، هيبوداميا التى أحبها أبوها وأمها وربياها فى بيتهما،
فيزت كل الفتيات من سنها فى جمالها وكمالها وأشغالها اليدوية
وحكمتها. وتزوجها أفضل رجال طروادة الشاسعة، إنه ذلك
الذى أخضعه بوسيدون برمح إيدومينيوس، فألقى غشاوة على
عينيه البراقنين، وفك أوصاله المتينة حتى لا يفر أو يتقادى
الرمح. وفى ثباته كان كمثل دعامة أو شجرة باسقة تطاول
السماء، أصابه إيدومينيوس المغوار بطعنة من رمحه فى صدره
فاخترقت درع صدره البرونزى، والذى طالما صد عنه طعنات
الموت. أما الآن فقد اخترق الرمح هذا الدرع، فأحدث دويًا
هائلاً وسقط مرتطمًا بالأرض فى خضم نمائه، وغاص الرمح
فى قلبه فارتج ظهره. ووقف أريس الجبار على مبعدة يكظم غيظه^(**).
ووقف إيدومينيوس فوق الجثة منتشياً بانتصاره
ومباهياً وصاح عاليًا:

أى ديفوبوس، هل لنا الآن أن نحسبها تسوية مرضية - ثلاثة

(*) هيسينور. (الغور)

(**) تحذف بعض الطبعات البين ٤٤٣ - ٤٤٤ باعتبارها متحلين. (الغور)

- قتلى في مقابل رجل واحد؟ تراك تفخر بهذا؟
 أيها السيد الطيب، بل قف بنفسك وواجهني! لتعلم من هو
 ٤٥٠ ابن زيوس الذى جاء هنا. فى البداية أنجب زيوس مينوس
 حارساً على كريت، ثم أنجب مينوس ابناً هو ديوكاليون
 الذى لا قرين له، وأنجبنى ديوكاليون سيّداً على الكثير من
 رجال كريت الشاسعة. الآن حملتنى السفن إلى هنا
 ٤٥٥ وبالأعلى عليك وعلى أبىك وعلى كافة الطرواديين".
- هكذا قال، ودبت الحيرة فى قلب ديفوبوس، تراه يتراجع ويتخذ
 رقيقاً من الطرواديين البواسل، أم يعتمد على نفسه ويتقدم
 بمفرده ويجرى، وظن أنه من الأفضل أن يذهب إلى آينياس.
 فوجده واقفاً فى نهاية الحشد، وكان آينياس ناقماً على
 ٤٦٠ برياموس الإلهى. فعلى الرغم من بسالته المميزة بين المحاربين
 لم يكرمه برياموس بشيء. فاقترب ديفوبوس منه وخطبه
 بكلمات مجنحة :
- "أى آينياس يا صاحب الرأى بين الطرواديين، عليك الآن أن
 تقدم العون لزوج أختك، إذا كان حقاً يؤلمك ما ألم بقريب
 ٤٦٥ لك. أقبل وقدم العون لألكاثورس، فقد كان على أية حال زوج
 أختك وهو الذى ربك فى بيته طفلاً صغيراً. لقد قتله
 إيدومينيوس الشهير برمحه".
- هكذا قال فاستثار همة آينياس فى صدره، فراح يبحث عن
 ٤٧٠ إيدومينيوس توافاً لمنزله. لكن لم يكن الخوف يعرف
 طريقه إلى قلب إيدومينيوس، كما لو كان مثل طفل مدلل. كان فى
 هجومه مثل خنزير برى يسكن الجبال يثق تماماً فى قواه
 فيصمد أمام هجوم حشد غفير من الرجال فى مكان منعزل، تنتصب
 ٤٧٥ عضلات ظهره وتتقد عيناه بالشرر، ويكشر عن أنيابه استعداداً لصد

- الكلاب والرجال. هكذا كان إيدومينيوس الشهير برمحه،
حيث تصدى لهجمة آينياس الذي لبي نداء العون، ولم يترجع،
بل نادى على رفاقه وبحث عن أسكالاقوس وأفاريوس ودليبيروس
وميزيونيس وأنتيلوخوس سادة صيحة الحرب. فحرضهم
على القتال بكلمات مجنحة:
- ٤٨٠ "هلموا يا أصدقاء وقدمو العون لى، فأنا بمفردى وأخشى
بشدة مجيء آينياس سريع القدمين، فهو يتقدم ليهاجمنى.
قله من القوة ما يمكنه من الفتك بالرجال فى المعارك، وهو
فى زهرة شبابه وكامل قوته. آه لو كنا فى السن نفسها وبالحالة نفسها،
٤٨٥ كما هو الآن، عندئذ كان أجدنا سينال نصرًا عظيمًا أنا أو هو".
- هكذا قال فترحدث أفندتهم فى صدورهم، وصمدوا فى مواقعهم،
ووقفوا متراسين محتمين بدروعهم. وفى مواجهتهم نادى
- ٤٩٠ آينياس على رفاقه وبحث عن ديفوبوس وباريس وأجيتور
الإلهى، وهم من قادة الطرواديين. وتبعهم الحشد كما تتبع
قطعان الأغنام الكباش إلى الماء من المرعى، فيفرح
الراعى فى قلبه. هكذا امتلأ قلب آينياس بالفرح حين
٤٩٥ رأى احتشاد الجيش الزاحف من خلفه. والتحموا
فى قتال لصيق برماحهم الطويلة بعد أن قفزوا فوق جثة
ألكاثوروس، وكان البرونز على صدورهم وهم يصوبون
كل إلى الآخر فى الهجوم. وفى طليعة الحشود كان هناك
رجلان مقدامان هما آينياس وإيدومينيوس اللذان كانا يضاران
٥٠٠ آريس. كان كل منهما يتلطف على تمزيق لحم الآخر بالبرونز
الذى لا يرحم. كان آينياس البادى بإطلاق رمحه على
إيدومينيوس، ولكنه كان يحدق فيه بثبات واستطاع أن يتجنب
الرمح البرونزى، فانغرس رمح آينياس فى باطن الأرض،
٥٠٥ فقد انطلق سدىً من يده القوية. ورمى إيدومينيوس وأصاب

- أوينوماوس فوق البطن وحطم الحلقة المعدنية على درعه، وأخرج البرونز أمعاه، فسقط في التراب قابضاً على الأرض براحة يده. وسحب إيدوميتيوس الرمح طويل الظل من الجثمان، ولكنه لم يستطع أن ينزع بقية الدرع الجميل عن الكتفين؛ فقد كان غائراً بالقذائف. ذلك أن مفاصل قدميه
- ٥١٠ فقدت رسوخها، الذي كان لها من قبل ومكنته من الإسراع في كره أو قره، هجوماً على عدوه أو تفادياً لضربات. ومن ثم اكتفى في الالتحام المباشر بالدفاع عن نفسه لثقاء يوم المصير الذي لا يرحم، ولم تعد قدماه قادرتين على أن تحملاه للهرب بسلام من المعركة. وبينما كان يتراجع إلى الوراء خطوة بخطوة، رماه ديفوبوس برمحه اللامع، ذلك أنه كان لا يزال يحمل داخل نفسه حقداً دفيناً. ومع ذلك فقد أخطأه هذه المرة أيضاً، وأصاب رمحه أسكالاڤوس بن إنيالليوس وغاص
- ٥٢٠ الرمح البتار في كتفه، فسقط في التراب قابضاً على الأرض براحة يديه. ولم يحزن آريس الرهيب ذو الصيحة المدوية لموت ابنه صريع القتال الفتاك؛ بل جلس فوق أعلى قمم الأوليمبوس تحت السحب الذهبية، تشكمه إرادة زيوس، حيث كان الآلهة الخالدون الآخرون قد حجبوا عن ميدان الحرب.
- ٥٢٥ ثم اشتبكوا حول أسكالاڤوس في التحام مباشر، وسلب ديفوبوس خوذة أسكالاڤوس اللامعة، لكن ميريونيس قرين آريس السريع انقض على ديفوبوس وأصاب ذراعه برمحه، فطارت الخوذة من يده على الأرض، وكان ارتطامها مدويًا. ووثب
- ٥٣٠ ميريونيس مرة أخرى كأنه نسر، وسحب الرمح الجبار من أعلى ذراع ديفوبوس، واندس مرة أخرى وسط رفاقه. لكن بوليتيس شقيق ديفوبوس أحاط خصره بذراعيه وسحبه بعيداً عن
- ٥٣٥ ساحة المعركة الرهيبة إلى أن بلغ الجوادين السريعين،

- اللذين كانا يقفان فى انتظاره خلف ساحة المعركة بعربتهما
فاخرة الزخرف وسائقيهما. وحمله إلى المدينة وهو يئن
ويتألم بشدة، وينزف دمًا غزيرًا من ذراعه المصاب حديثًا.
- ٥٤٠ وواصل الآخرون الالتحام، وانطلقت صيحة مدوية.
ثم انقض آينياس على أفاريوس بن كاليبور، الذى كان قد
استدار نحوه. ضرب عنقه يرمحه المسنون، فمالت رأسه جانبًا
وسقط الدرع عنه ومعه الخوذة، وغمره الموت الذى يفكك
٥٤٥ بالأرواح. ثم وثب أنتيلوخوس على ثوون وهو يولى الأدبار
وطعنه فى الوريد الذى يجرى من أول الظهر إلى العنق
فمزقه شر ممزق، فسقط ثوون على ظهره فى التراب ماذا
يديه لرفاقه الأعزاء. بيد أن أنتيلوخوس انقض عليه ونزع
٥٥٠ درعه عن كتفيه، وهو يتلفت من حوله فى فزع.
فقد حاصره الطرواديون من كل جانب، وشرعوا بضربون درعه
اللامع العريض فى كل ناحية منه؛ ولكنهم لم يتمكنوا من خرقه
والنفاذ إلى لحم أنتيلوخوس الطرى بالبرونز
- ٥٥٥ القاطع. فقد كان بوسيدون مزلزل الأرض يحرس
ابن نيسطور، حتى فى وسط الرماح العديدة. ولم يكن
أنتيلوخوس بعيدًا عن الأعداء، بل كان يصول ويجول
بينهم دون أن يركن رمحه للراحة، بل كان مشهريًا متحركًا
٥٦٠ على الدوام. وكان قلبه تواقًا للهجوم على العدو أو
الاشتباك فى الالتحام مباشرة.
- وبينما كان يصوب سهمه وسط المحاربين، لمحه
أداماس بن أسبوس، الذى بعد أن التصق به ضربه فوق الدرع
بطعنات البرونز المسنون. بيد أن بوسيدون، الإله ذا الشعر
الأزرق الداكن، أحبط سن الرمح وجعل طعناته هباءً، وتشبث
بحياة أنتيلوخوس وبقي جزء من الرمح مغروسًا كالعصا فى

- ٥٦٥ درع أنتيلوخوس، ونصفه الآخر ملقى على الأرض. واندس
أداماس مرة أخرى وسط رفاقه متجنبًا مصيره المحتوم. بيد
أن ميريونيس لاحقًا، وأطلق عليه رمحه فأصابه فيما بين أعلى
الفخذين والصرة، حيث يقسو آريس (الحرب) على الفانيين
الطائشين. وغرس ميريونيس رمحه، وارتكز الآخر على الرمح
٥٧٠ الذي غاص في لحمه، وأخذ يتلوى كالثور الذي قيده الرعاة وسط
الجبال وحاولوا جره بالقوة. هكذا كان أداماس حين أصيب،
تلوى قليلاً إلى أن اقترب المغوار ميريونيس وسحب الرمح من
لحمه، وطوت الظلمة نور عينيه. وفي التحام مباشر، أصاب هيلينوس
٥٧٥ دايبيروس في صدغه بسيف طراقي ضخم فحطم خوذته، حيث سقطت
على الأرض فالتقطها أحد الأخيين وهي تتدحرج وسط أقدام المقاتلين.
وعلى نور عيني دايبيروس حط ظلام الليل وطواه.
- ٥٨٠ عندئذ خيم الحزن على قلب ابن أتريوس مينيلأوس البارح في
صيحة الحرب، وشرع يتهدد الأمير المحارب هيلينوس ملوحًا
برمحه المسنون، بينما جنب الآخر الجزء الأوسط من قوسه تأهبًا.
ويبلغ الاثنان لحظة الإطلاق معًا في آن واحد، أحدهما برمحه
٥٨٥ المسنون، والآخر بسهم من القوس. فأصاب ابن برياموس
بسهمه اللوحة المعدنية فوق درع مينيلأوس على صدره،
فارتد السهم المرير، وطار جانبًا كما تطير حبات الغلال
على أرض الحصاد الشاسعة بفعل هبة الريح وقوة المدراة.
- ٥٩٠ هكذا ارتد من فوق درع مينيلأوس المجيد السهم المرير وطار
بعيدًا. بيد أن مينيلأوس المحارب المقدم، ابن أتريوس البارح في
صيحة الحرب، أطلق رمحه وأصاب هيلينوس في يده القابضة على
٥٩٥ قوسه الصقيل، فمزق الرمح البرونزي الكوع. واندس مرة أخرى
وسط رفاقه متجنبًا قدره المحتوم، تاركًا يده مرتخية إلى جانبه،
والرمح الرماذي يتدلى خلفه. ثم سحب أجيور المغوار الرمح

من يده، وربط اليد الجريحة بقطعة من صوف الغنم قدمها له
تابعه بوصفه راعي شعبه.

- ٦٠٠ هجم بيسانديروس على مينيلائوس المجيد، بيد أن قدره اللعين
كان يقوده إلى نهايته، إلى أن تقاتله يا مينيلائوس في الالتحام
المرعب. وبعد أن تقدم كل منهما إلى الآخر، لم يصبه ابن
٦٠٥ أتريوس وانحرف رمحه جانبًا، في حين أصاب بيسانديروس
درع مينيلائوس المجيد، ولكن لم يخترق البرونز لحمه إذ أوقفه
الدرع كثيف السمك، فتحطم سن الرمح في التثنية، ولكنه فرح في
قلبه وتمنى النصر. وهنا شهر ابن أتريوس سيفه المرصع بالفضة
٦١٠ وهاجم بيسانديروس، ثم سحب من تحت درعه بلطة من البرونز
المتين، لها مقبض خشبي من شجر الزيتون طويل ومصقول، وفي
اللحظة نفسها صوب كل على الآخر. فأصاب بيسانديروس مينيلائوس
في قرن خوذته ذات الذؤابة من شعر الحصان.
- ٦١٥ أما مينيلائوس فأصابه بينما كان يتقدم نحوه، طعنه في جبهته فوق
قاعدة الأنف. فتشمت العظام وسقطت مقلته في بركة من الدماء
تحت قدميه في التراب، فترنح ثم سقط. ووضع مينيلائوس قدمه
فوق صدره، وجرده من أسلحته، ووقف مباهيا بانتصاره فقال:
"على هذا النحو فقد يتأكد أنكم ستتركون سفن الدانائيين ذوى
٦٢٠ الخيول السريعة، أيها الطرواديون المتعجرفون يا من لا تشعب
شهيبتكم من هول القتال. فلم تتورعوا عن الإهانة المخزية،
لقد أهنتموني أيها الكلاب المسعورة، ولم تخش قلوبكم يومًا
٦٢٥ غضب زيوس المدمر، الإله الذى يكرم الضيف ويرسل
الرد، هو الذى سيسوى بالأرض مدينتكم العالية. فقد خطفتم
زوجتى الشرعية ومعها كنوز كثيرة عبرتم بها البحر،
خطفتموها بخسة، وهى تقوم بواجب الضيافة لكم!
والآن مرة أخرى تطعمون فى إضرار النار المدمرة فى السفن

- ٦٣٠ جوابة البحار، وفي قتل الأبطال الأخيين. لكن سنمنعكم
عن القتال مهما كان اندفاعكم. أي زيوس الأب! يقولون إنك
تفوق الجميع حكمة، بشرًا كانوا أم آلهة، ولكن كل هذه المصائب
جاءت من لدنك أنت، فلقد آزرت مرتكبي العنف الطروديين
٦٣٥ المفعمة قلوبهم بالفجور، ولا يشيعون من شرور الحرب للعبية.
فللمرء أن يأخذ كفايته من النوم والحب والأغاني العذبة
والرقص الجميل، حقًا من الخير للمرء أن يشيع من هذه الأشياء
لا من الحرب، بيد أن نهم الطروديين للحرب لا يشيع أبدًا."
- ٦٤٠ ثم جرد مينيلائوس الذي لا نظير له الميت من أسلحته المملوطة
بالدماء وأعطاها لرفاقه وعاد هو لينخرط بين مقاتلي الصفوف الأولى.
وهنا وثب أمامه هارباتيون ابن الملك بيلامينيس، الذي جاء مع
أبيه العزيز إلى طروادة حيث القتال، ولكنه لم يعد قط إلى
٦٤٥ وطنه الحبيب. لقد اقترب بشدة من ابن أتريوس وأصابه
في قلب الدرع، ولكنه لم يتمكن من غرز البرونز في لحمه،
فعاد واندس وسط رفاقه تجنبًا لمصيره المحتوم، متلفتًا في
كل اتجاه خشية أن يصيب أحد لحمه بالبرونز. فهاجمه
٦٥٠ ميريونيس أثناء انسحابه بسهم ذي سن برونزي فأصابه
في أعلى فخذة الأيمن، وغاص السهم في جسده حتى المئانة
تحت عظمة الحوض. فجنم في مكانه ولفظ أنفاسه الأخيرة
بين أذرع رفاقه الأحياء، وتمدد كالدودة على الأرض.
وانهمر منه الدم الأسود ليبلل الأرض، وتولى البافلاجونيون
٦٥٥ البوأسل أمره، فحملوه في عربة إلى إليوس المقدسة
وقد غلبهم الحزن. ويصحبهم أبوه^(*) يذرف الدموع، وهو

(*) هو بيلامينيس الذي على النقيض من ذلك ورد في الكتاب الخامس (البيت ٥٧٦) أن ميلازيس قلسه. وقد حاول نقاد كثيرون إيجاد الحلول لهذا التناقض ولكن هوراتيوس تقدم بحل أفضل حيث قال: "بين الحين والحين ينام هوميروس الطيب". *quandoque bonus dormitat Homerus.* (البحر)

الذي لم يتلق أية دية في مقابل موت ابنه.

- ٦٦٠ تملك الغضب الشديد باريس لمقتله، فمن بين البافلاجونيين
الكثيرين كان هارباليون مضيفه ذات مرة. أطلق سهمًا ذا سن برنزي
لكي ينتقم له. وكان هناك من يدعى يوخينور بن بوليبيدوس العراف،
٦٦٥ وهو رجل ثرى وخير، وكان يقيم في كورنثة. جاء بسفينته
وقد عرف مسبقًا بسوء مصيره المحتوم، فكثيرًا ما أتياه به
أبوه الشيخ الطبيب بوليبيدوس، وفحواه أنه سيموت إما
بمرض عضال في عفر داره أو يقتل وسط سفن الأخيين
٦٧٠ على يد الطرواديين. لذا فقد تخلص من دفع الغرامة
الباهظة للأخيين^(*)، ومن المرض البغيض حتى لا يصيب الغم
قلبه. إذ على الفور ضربه باريس تحت فكه وأسفل أذنه،
فرحلت الروح عن أوصاله وحطت عليه الظلمة الكريهة.
اندلع القتال بين الطرفين كأنه نار موقدة، بيد أن هيكتور
٦٧٥ حبيب زيوس لم يكن يعرف أن جنوده نحروا تمامًا
عند يسار السفن على يد الأرجيين، ومن ثم سيكون النصر
حليف الأخيين، لأن طاري الأرض ومزلزلها
هو الذي استثار الأرجيين وأمدهم بقرته. فاندفع هيكتور
٦٨٠ حيث كان قد قفز في المقدمة إلى داخل البوابة والحائط،
ولجتاح الصفوف الدائنية المتراسة من لابسى الدروع،
حيث كانت سفن آياس (التيلاموني) وبروتيسيلأوس على
شاطيء البحر الرمادى ومن خلفها شيد الحائط منخفضا،
وهناك اشتعل الرجال والجياد قتالا.
- ٦٨٥ ولم يستطع البويوتيون والأيونيون ذور
السترات الطويلة واللوكريون والقثيون والإيبيون ذور

(*) كانت تدفع هذه الغرامة - كما يفهم من النص - عوضًا عن الخدمة العسكرية في الحرب. (الغمر)

- الأسلحة اللامعة، لم يستطيعوا صد هجمة هيكتور الإلهي
المندفع كاللهب صوب السفن، ولم يوقفوه. حتى صفوة
الأثينيين؛ وكان فانداهم مينيسثيوس بن بتيوس، وتبعه
٦٩٠ فيداس وستيخيوس وبياس المقدام، بينما كان الإيبيون
بقيادة ميجيس بن فيليوس وأمفيون ودراكيس. وكان في
طليعة الفثيين ميدون وبوداركيس البارعان في القتال.
وكان الأول (ميدون) ابنا غير شرعى لأوبليوس شبيه الآلهة
٦٩٥ أخوا لأياس، ولكنه كان يقيم في فيلاكي بعيدا
عن مسقط رأسه، لأنه كان قد قتل رجلا من أقرباء
إريوبيس زوجة أبيه أوبليوس. وكان الآخر بوداركيس ابنا
لايفيكلوس بن فيلاكوس. وكانا قد ارتدبا دروع الحرب في
٧٠٠ طليعة الفثيين اليواسل دفاعا عن السفن مع البويوتيين.
وما كان لأياس بن أوبليوس السريع ليبعد عن أياس بن
تيلامون ولو للحظة واحدة. لقد كانا مثل ثورين بلون النبيذ ربطا
في محراث واحد يحرث أرضا مراحة. يتصعب العرق غزيرا
عند قروتهما، ولا يفصل بينهما سوى النير الصقيل.
وهما يجران معا المحراث حتى يصل سهمه إلى حافة الحقل.
٧٠٥ هكذا يقف المحاربان جنباً إلى جنب في ثبات، وجاء مع ابن
تيلامون العديد من الجنود اليواسل رفاقاً وأتباعاً،
كانوا يأخذون منه الدرع حين ينهك العرق والتعب أوصاله.
٧١٠ أما اللوكريون فلم يتبعوا ابن أوبليوس الباسل، لأنهم
لم يقدروا على الصمود في الالتحام القتالي المباشر، إذ لم تكن
لديهم خوذات برونزية ذات ذؤابة سميقة من شعر الحصان،
ولم تكن لديهم دروع مستديرة ولا رماح رمادية، بل تبعوه إلى إليون
٧١٥ معتمدين على الأقواس ذوات الأوتار من صوف الغنم.
وكان بعضهم يرمون قذائفهم بقوة وسرعة، وحاولوا اختراق

- صفوف الطرواديين. فخاض محاربو المقدمة
 ٧٢٠ لابسو الدروع دقيقة الصنع القتال ضد الطرواديين وهيكتور ذى الدرع
 البرونزى. أما الآخرون من ورائهم فكانوا يطلقون قذائفهم
 دون أن يراهم أحد. وظن الطرواديون أنهم تركوا
 المعركة فأربكتهم قذائف الأقواس.
- كاد الطرواديون يتراجعون تاركين السفن والخيام إلى اليون
 ٧٢٥ عاصفة الريح، لولا أن اقترب بوليداماس من هيكتور المقدم وقال :
 "أى هيكتور، كم هو عسير التعامل معك، فأنت لا تقبل
 كلمات الإقناع، وقد أنعم الإله عليك بما لم ينعم به على أحد آخر فى
 فنون القتال، وفى الرأى تتمتع بحصافة تفوق الجميع.
 ٧٣٠ بيد أنه من المحال أن تهيمن على كل شىء بمفردك.
 فالإله ينعم على هذا بالتفوق فى فنون الحرب، ويهب
 ذلك الرفص، ويمنح آخر الشعر والأغانى، وفى صدر
 آخر يودع زيوس - بعيد الإدراك - عقلاً راجحاً ليكون
 هادياً للناس، ويحرم آخر من هذه النعمة. فاسمع لما أرى
 ٧٣٥ أنه الحق: انظر حولك تجد دائرة القتال مستعرة وهاهم الطرواديون
 البواسل وقد عبروا فوق الحائط ووقف بعضهم بأسلحتهم على
 مبعده، وبعضهم الآخر لازال يقاتل، قلة تواجه كثرة، مبعثرين
 بين السفن. فلنعد للوراء ولنتنادى كل البواسل، وبعد ذلك
 ٧٤٠ نتدبر كل رأى. فيما أن نهاجم السفن ذات المقاعد العديدة
 إن شاء الإله أن يهبنا للنصر هكذا، أو أن نتخلى عن السفن.
 وبالنسبة لى فإلحقيقة أنى أخشى أن يكون الدور على الأخيين
 ٧٤٥ اليوم لتسديد دين الأمس. فهناك فى السفن أرى رجلاً(*)
 لا يشبع نهمه للحرب، ولا أظن أنه سيظل هكذا عزوفاً عن القتال".

(*) (يعنى اخيليس. (أغور)

- هكذا قال بوليداماس، وكان لرأيه حسن القبول لدى هيكتور،
فقفز بدرعه من عربته إلى الأرض، وخاطبه بكلمات مجنحة:
- ٧٥٠ "أى بوليداماس، احتفظ أنت هنا بكل الرجال، أما أنا فسألتحم
في القتال، وسأعود سريعًا بعد أن أكون قد أرفقتهم تمامًا".
- هكذا كان رده، واندفع كأنه جبل ثلجي^(*)، وأسرع مطلقًا
٧٥٥ صيحات مدوية لاستتفار الطرواديين وحلفائهم. فهرعوا
دفعة واحدة إلى بوليداماس ذى القلب الطيب ابن بانثوؤس
بمجرد أن سمعوا صيحة هيكتور. ولكنه صال وجال
وسط مقاتلي الصفوف الأولى بحثًا عن
ديفوبوس والأمير القوي هيلينوس وأداماس
٧٦٠ بن أسبيوس وأسيوس بن هيرتاكوس، إن
صادفهم. فلم يعثر لهم على أثر بين الأحياء، بل
كان بعضهم مطروحًا على الأرض في مؤخرة
سفن الأخيين وبعد أن قضى عليهم الأرجيون،
بينما كان بعضهم الآخر خلف الحائط وقد أصابتهم
٧٦٥ طعنات المسهام والرماح. وأخيرًا عثر على أحدهم على
يسار ساحة المعركة، وهو ألكسندروس الإلهي زوج
هيلينى ذات الخصال الجميلة، وكان لا يزال يحرض
رفاقه على القتال، فاقترب منه ووجه إليه كلمات مخزية:
- "أى باريس التمس! أيها الجميل شكلاً فقط! مجنون النساء،
٧٧٠ أيها العابت! أرجوك أين ديفوبوس والأمير القوي هيلينوس
وأين أداماس بن أسبيوس وأسيوس بن هيرتاكوس؟ وأين
أوثريونيوس؟ أنبئنى. فلقد أتى الدمار تمامًا على أكثرهم،

(*) أرك هذا التشبيه الكثير من القاد وإن كان فرجيلوس قد قلده "الإلياذة" (الكتاب الثان عشر ٦٩٩ وما يليه). فما وجه التشابه بين محارب يشمل لفة على القتال رجل ثلجي؟ وارجع للمقدمة. (المحرر)

ومن المؤكد أنه لا يأتي منك سوى الهلاك المطيق".

فرد عليه ألكسندروس شبيه الآلهة:

- ٧٧٥ "أى هيكتور أراك تكيل اللوم على من لا يستحق أى لوم
فهل انسحبت من الحرب ولو مرة واحدة؟ فأى لم تلدنى جباناً
متخاذلاً. ومنذ أن اندلعت المعركة بجوار السفن ونحن مع رفاقك
صامدون هنا، نقاتل الدانائيين بلا هوادة. لكن رفاقنا الذين
٧٨٠ تسأل عنهم لقوا حتفهم. ولم يترك المعركة سوى ديفوبوس
والأمير القوي هيلينوس، كل منهما مصاب فى يده برمح
طويل، لكن ابن كرونوس صد عنهما خطر الموت.
فانطلق أنت حيثما يملى عليك قلبك، فستنبوك بكل همة، فنحن
٧٨٥ لا نتقصنا البسالة والإقدام مادامت لنا بقية قوة.
ولكن ليس بوسع أحد فقد القوة أن يقاتل مهما كان حماسه".
هكذا قال المحارب فأقع أخاه، واندفعا إلى حيث توهجت
نيران القتال حول كبيريونيس وبوليداماس الذى لا نظير له،
٧٩٠ وفالكيس وأورثايوس وبوليفيتيس شبيه الآلهة، وبالميس
وأسكانيوس وموريس بن هيبوتيون، وقد جاعوا من
أسكانيا عميقة التربة صباح أمس فقط ليحلوا محل
رفاقهم، لقد زج بهم زيوس الآن إلى المعركة. فكانوا
٧٩٥ مثل الرياح العاتية هبت عاصفة بالأرض من تحتهم، بينما رعد
زيوس الأب من فوقهم تدوى وقد خالطت أمواج البحر التي
تعقبها أمواج أخرى ترغى بزبدها الأبيض. هكذا كان
الطرواديون بصوفهم المتراصة يهرولون كأموج تعقبها
٨٠٠ أمواج، مندفعين وراء قادتهم، وبريق البرونز يلمع من حولهم جميعاً.
كان يقودهم هيكتور بن برياموس قرين أريس، مهلك الفاتين.
يضع أمامه درعه المتين المتوازن من كل جانب والمبطن
بجلد الثور وقد التصق به كثير من البرونز، وعلى وجنتيه

- ٨٠٥ تتماوج حلقات خوذته اللامعة. وراح يصول ويجول هنا وهناك مستعرضاً الفرق، وهم يفسحون له الطريق أثناء تقدمه خطوة خطوة محتمياً بدرعه. وما كان له بذلك كله أن يخمد حماس الأخيين. إذ جرى أياس بخطوات سريعة نحوه، وكان أول من تحداه قائلاً :
- ٨١٠ "اقترب أيها السيد الهمام، لماذا تطمع هكذا في أن تخيف الأرجيين؟ اعلم أننا لا نجهل فن القتال، ولكننا نحن الأخيين رضخنا لحكم زيوس الرهيب. يَمنى قلبك أن تسلب السفن، ولكن تَوقن أن لنا أيدٍ قادرة على الدفاع عنها، ومقدر على مدينتكم الأهله أن تدمرها أيدينا، وتستولى عليها. وبالنسبة لك أنت فسيأتى قريباً اليوم الذى تتوسل لزيوس الأب وغيره من الخالدين أن تكون خيولك ذات اللبدة الجميلة أكثر سرعة من الصقور فى المعركة، حتى تلوذ بك إلى المدينة مثيرة الغبار فوق السهل".
- ٨٢٠ وبينما كان يتحدث حلق طائر على يمينه، نسر يطير فى أجواز الفضاء، فصاح جيش الأخيين صيحة مدوية متهللين بهذا الغال الطيب للأخيين، بيد أن هيكتور للمجيد رد عليه بقوله:
- "أى أياس! يا من تنقصك الفصاحة ! ماهذا التبجح فيما زعمت؟ أنا أفخر دوماً بأنى ابن زيوس حامل الدرع أيجيس، وأسى هيرا هى ملكة السماء، فلى من الشرف ما لأثينة ولبوللون. سيأتى حقاً ذلك اليوم بالوبال على الأرجيين كافة؛ وستقتل أنت نفسك معهم، إذا استبسلت وصمدت لرمحى الطويل الذى سيمزق جلدك الناعم. وسيكون شحمك ولحمك طعاماً سائغاً لكلاب الطرواديين وطيورهم، عندما تسقط
- ٨٢٥
- ٨٣٠

وسط سفن الأخييين".

هكذا قال واندفع في طريقه، وتبعه الأتباع

في ضجة وجلبة، وبدأ الجنود من ورائهم يطلقون الصيحات

٨٣٥

المدوية. ورد عليهم الأرجيون بصيحات

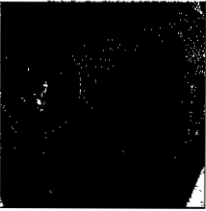
مماثلة ولم يتخلوا عن شيء من بسالتهم، بل صمدوا أمام

جحافل الطرواديين. وملاً صخب الحبيشين الآفاق

٨٣٧

فبلغ أثير زيوس العلوى وأشعته البازغة.

الكتاب الرابع عشر



ترجمة السيد عبد السلام الجراوي

- لم تفت صيحات المعركة أبداً نيبستور،
 إذ خاطب ابن أسكليبيوس بكلمات مجنحة قائلاً:
 "أى ماخاؤون، يا شببيه الآلهة، فكر كيف تكون نهاية هذا الموقف،
 صرخات المحاربين اليواصل تنوى عاليًا عند السفن.
 ٥ لتبق أنت هنا، وارثتف أنت من كئوس الخمر المتألفة ولتعد لك
 هيكاميدى مجدولة الضفائر حمامًا دافئًا، واغسل عنك بقع الدم.
 بينما سامضى أنا، نوا، إلى مكان المراقبة؛ لأستطلع الأمر
 ١٠ قال ذلك وأخذ درع ابنه الصقيل
 ثراسيميديس مروض الجياد، ذلك (الدرع) الملقى بالخيام
 يتلألاً عليه البرونز. وكان الابن قد أخذ درع أبيه،
 فأمسك (نيبستور) الرمح البرونزى الحاد المصقول
 ووقف خارج الخيام، فرأى أمامه مشهدًا مشينًا. فهؤلاء (الآخيون)
 يطردون ويتفرقون قلولًا، وأولئك الطرواديون متحجرو
 ١٥ القلوب يطاردونهم، حتى تهدم حصن الآخيين.
 ومثلما يتمخض البحر الهائل متورمًا بموجة هادئة،
 منذرًا مجاريه السريعة (بقدم) رياح عاصفة
 متصاعدًا لا يزال، فلا هو يهرول إلى الأمام، ولا إلى الخلف،
 حتى تهب عاصفة مرسله من زيوس فتقرر الاتجاه.
 ٢٠ هكذا، تحير الشيخ، وكان مشتت الفكر
 فثمة أمران: أن يهرع إلى حشد الدانائيين سريعي الخيول،
 أو أن يقصد أجامنون بن أتريوس راعي الشعب.
 وبينما كان يتفكر، بدا له أنه من الأفضل في هذا (الموقف)
 أن يذهب إلى ابن أتريوس، بينما الآخرون يقاتلون بعضهم البعض،
 ٢٥ ويتر البرونز الذى لا يكمل حول أجسامهم
 بينما كان يعصف كل بالآخر بالسيوف والحراب مزدوجة الرؤوس.

- وهناك، التقى نيسطور بالملوك، من سلالة زيوس،
وكانوا قد أصيبوا بالأسلحة البرونزية، أثناء عودتهم من السفن،
ابن تيديوس وأوديسيوس وأجاممنون بن أترديوس.
٣٠ فكانوا قد سحبوا كل السفن
إلى الشاطئ، وبنوا سوراً على البر ليحميها
ومع أن الشاطئ كان واسعاً إلا أنه لم يسع كل السفن،
وتكدس المحاربون في مكان ضيق. سحبوا السفن
٣٥ صفاً وراء صف حتى ملأوا فم الشاطئ العريض بأكملها،
والذي تحوطه نثوءات اليايسة.
واندفع (الملوك) جميعهم كجسد واحد متكئين على
رماحهم متلهفين على الحرب والنزال، وقلوبهم تن في صدورهم.
وقابلهم نيسطور الشيخ قادمين على هذا النحر،
٤٠ فأشاع في قلوب الآخيين رعباً.
رفع الملك أجاممنون صوته قائلاً:
"أى نيسطور، يا ابن نيلئوس، يا مجد الآخيين العظيم،
لماذا جئت هاهنا تاركاً المعركة الفتاكة؟
أخشى أن يفى هيكتور الهمام بتهديداته
٤٥ التي توعدنا بها سلفاً، إذ كان قد خطب في الطرواديين ذات مرة
مهدداً بأنه لن يرحل إلى إليون من السفن،
قبل أن يحرق السفن بالنار ويقتل من بها^(١).
هذا ما تفوه به، وهذا كله ما سيتحقق.
ويحى! إن سائر الآخيين المزودين بالدروع جيداً
٥٠ يحملون المقت لي، مثلما يحمل أخيلئوس،
وليسوا راغبين أن يخوضوا المعركة عند مؤخرات السفن"

(١) راجع الكتاب الخامس بيت ١٨١. (المحرر)

فأجابه نيسْتور الفارس الجبريني:

"حقاً فكل هذه التهديدات قد تحققت وياتت واقعا،

ولا يستطيع مساعدتنا حتى زيوس نفسه، الذى برعد فى عليائه

٥٥ واأسفاه! الحائط تحطم، ذلك ما كنا نتق به
ونعده حصناً منيعاً لنا وللسفن.

الحق أن هؤلاء (الأعداء) يشنون عند السفن حرباً

لا هودة فيها، فلا تستطيع أن تعرف، ولو شاهدت

عن قرب، من أى ناحية يتقهقر الآخيون فى فوضى،

٦٠ يتهاوون قتلى، وصيحات الحرب تبلى عنان السماء.

أما عنّا، فدعنا نتفكر فيما تعنيه هذه الأمور

لو كان التعقل يجدى نفعاً، فنصيحتي ألا ندخل الحرب.

إذ ينبغي، على الجريح ألا يحارب بأية حال"

وأجابه بدوره أجاسمون ملك الرجال:

٦٥ "أى نيسْتور، طالما أن (الطرواديين) يقاتلون وراء السفن

ولا يحمينا الخندق أو الحائط،

فإن العباء على الدانائيين ثقيل، فقد كان الأمل براودهم

أن يحميهم الحائط المتين ويحمى سفنهم، ومن ثم،

فظنى أنها مشيئة زيوس الباطش،

٧٠ أن يهلك الآخيون هنا بعيداً عن أرجوس.

أدركت ذلك عندما كان يساعد الدانائيين بكل جبروته

وعرفت ذلك، الآن، وهو يمنح أعدائنا المجد دوننا،

وكانهم من الآلهة المباركة، بينما يغل فوتنا وأيدينا.

إذن تعالوا، وكما أمركم، فليطع الجميع أمرى

٧٥ لنمخر بالسفن التى سُحبت فى المقدمة بالقرب من البحر،

وندفعها جميعاً تجاه البحر الإلهي، نربطها هناك،

فى مرسى عائم، إلى أن تحل ليلة مباركة قد يكف فيها الطرواديين،

- عن القتال، وحينئذ، يمكن دفع السفن كلها (إلى البحر)
 ٨٠ فليس في تجنب الخراب عار
 فالفرار من الهلاك أفضل من الوقوع في الأسر"
 رماه أوديسيوس واسع الحيلة بنظرة ثاقبة مستنكراً وقال:
 "يا ابن أتريوس، ما ذلك الكلام الذى انفلت من بين أطراف أسنانك؟
 تباً لك من رجل، لبيتك كنت تفود جيشاً ما آخر مغموراً،
 ٨٥ ولم تكن ملكاً علينا نحن، فزيوس قدّر لنا، ومنذ نعمة أظافرنا
 إلى كهولتنا، أن نخوض غمار الحرب الضروس طيلة حياتنا،
 وحتى الموت. أهكذا أنت مشتاق إلى أن تترك وراءك مدينة
 الطرواديين واسعة الشعاب، والتي من أجلها عانينا شروراً لا تُعد؟
 ٩٠ الزم الصمت خشية أن يسمع أخى آخر
 هذا الكلام، فلن يجرؤ أحدٌ التفوه بمثله مطلقاً.
 جديرٌ بك أن تحرص، ومن قلبك، على التحدث بالحقائق.
 فأنت ملكٌ ذو سلطان، يأتى له جيش عريض
 من الأرجيين الذين تحكم فيهم.
 ٩٥ كم أحتقر أفكارك تلك التى نطقت بها!
 فأنت تأمرنا، ونحن فى ذروة القتال وصيحة الحرب،
 أن نسحب السفن متينة المقاعد إلى البحر، حتى
 يحقق الطرواديون أملهم، أكثر من ذى قبل. فهم الآن منتصرون
 وربما يحيق بنا الهلاك، فلن يستمر الآخيون فى القتال،
 ١٠٠ بمجرد أن تتزلق السفن إلى البحر، بل سيتلفون هنا وهناك
 وينسحبون من المعركة، إذن ستهلكنا خطتك، يا قائد الجيوش"
 فأجابه أجاممنون ملك الرجال:
 "الحق أنك، بتأنيبك الموجه، لمست قلبى يا أوديسيوس
 ١٠٥ وأؤكد أننى لن أمر الآخيين ضد رغبتهم
 أن يرسلوا سفنهم متينة المقاعد إلى البحر

- ولو أن فيكم، صغيراً كان أو كبيراً،
من هو بمقدوره أن يسدى النصيحة السديدة فسأقبلها"
وخطب فيهم، كذلك، ديوميديس البارع في صيحة الحرب قائلاً:
- ١١٠ "إنه رجل بالقرب منا، ولن نبحث عنه لوقت طويل،
إذا وافقتم أن تصغوا لى، ولم يعرض أحدكم عنى
أو يغضب منى، إذ إننى الأصغر سنّاً بينكم.
بيد إننى، أفخر بأننى من نسل والد نبيل
هو تيديوس الذى دفن تحت الثرى فى طيبة،
حيث كان قد أنجب بورثيوس ثلاثة أولاد ليس كمثلهم أحدٌ
كانوا يقطنون بلبورون وكاليدون المرتفعة
وهم أجريوس وميلاس وثالثهم الفارس أونيبوس
جدى لأبى، الذى يفوقهم بسالة.
فيبقى (أونيبوس) هناك، واستقر والدى فى أرجوس
التي ذهب إليها، وكانت تلك إرادة زيوس وبقى الآلهة
١٢٠ وتزوج إجدى بنات أدراستوس^(*) وسكن فى قصر
غنى بثرواته، وحقوله غنية بالقمح
حوله بساتين كثيرة من أشجار الفاكهة
وأغنام كثيرة، وكان متفوقاً على كل الآخيين برمحه.
١٢٥ ولابد أنكم سمعتم بذلك وتعرفون أن ما أقوله الحق
أستحلفكم ألا تتحدثوا عنى وكأنى وضيع المولد أو قليل الشأن،
ولا تسفهوا ما سأسديه من رأى، فإنى أصدقكم القول:
هلموا إلى القتال، حتى وإن كنا مجروحين، كما تملى الضرورة
وبعد حين علينا أن ننأى بأنفسنا بعيداً عن الحرب فيما وراء
١٣٠ مرمى القذائف، خشية أن يضاف جرحٌ إلى جراحنا
ونسارع بإرسال آخرين إلى الحرب، هؤلاء الذين

(*) يرد هذا الاسم عند هومروس هكذا أدريستوس Adrestos، أما ابنته لهى ديپولى Deipule. (المحرر)

- فرحوا بكونهم بعيداً، فى معزل عن القتال"
هكذا تكلم، وكانوا صاغرين ينصتون باهتمام
وانطلقوا راحلين، يقودهم أجاممنون ملك الرجال
ولم يكن مزلزل الأرض المجيد (بوسيدون) يراقب الأحداث بلا وعى ١٣٥
بل كان يتتبع خطاهم عن قرب فى صورة رجل كهل.
وقبض على يد أجاممنون بن أتريوس اليمنى
رافعاً صوته وخاطبه بكلمات مجنحة:
- "يا ابن أتريوس، أرى، فيما أرى، قلب أخيليوس القاسى
بداخل صدره فرحاً، لرؤية هلاك الأخيين ومرارهم، ١٤٠
ولم يعد لديه ولو قدر ضئيل من العقل.
ليتته يهلك! ليت الإله يخسف به إلى أسفل سافلين!
لكن الآلهة المباركة ليست غاضبة منك البتة،
وبعد قليل سيملاً قادة الطرواديين ورؤسائهم
الوادى النسيح بالغيار، وتراهم بنفسك ١٤٥
هاربين من السفن والخيام، ناحية مدينتهم"
- قال ذلك وهرع فوق السهل وصاح بقوة،
وكان صياحه مدوياً، كصياح تسعة آلاف رجل أو ربما عشرة آلاف
عندما اثنبكوا فى معركة إله الحرب (أريس) الضارية.
كانت صيحة الإله مزلزل الأرض تخرج من صدره مروعة، ١٥٠
حتى بث قوة هائلة فى قلب كل رجل من الأخيين ليحارب
ويقاتل بمثابرة كانت هيرا ذهبية العرش واقفة فوق قمة
الأوليمبوس تنظر إليه، وعرفته عندما كان منطلقاً
ومنهمكاً، هنا وهناك، فى المعركة جالبة المجد للرجال، ١٥٥
فهو أخوها وصهرها أيضاً^(٤). وكانت سعيدة من قلبها

(٤) فى الأساطير تزوجت هيرا من أخيها زيوس آخر بوسيدون. (انظر)

- كما رأت زيوس جالساً على أعلى قمة أيدا كثير البنايع
وكان بغيضاً إلى قلبها، حينئذٍ فكرت هيرا الملكية
ذات العيون الواسعة كعيون المها. كيف يمكنها خداع عقل زيوس
حامل الدرع أيجيس، فبدت هذه الخطة لديها هي الأفضل. ١٦٠
وهي أن تتزين وتتجمل، وتذهب إلى أيدا، لربما يرغب أن
يرقد إلى جانبها ويحتضن جسدها شهوة،
وربما تستطيع أن تغدق يوماً عميقاً لذيداً على جفنيه وعقله البارع. ١٦٥
وتوجهت إلى حجرتها التي بناها لها ابنها العزيز
هيفايستوس، وثبت أبواباً توصل بمزاليق
خفية على دعائم حتى لا يفتحها أى إله آخر.
دخلت إليها وغلقت الأبواب الناصعة،
وبدأت بأن غسلت، بعطر إلهي (أميروسيا) ١٧٠
كل ما يشوب جمال جسدها اللبديع، وبغزارة دهنته بزيت
إلهي ناعم فواح شذاه، فاح فعلاً في أرجاء قصر زيوس برونزي
العتبات وانداحت الرائحة تجوب جنبات الأرض والسماء.
ملست بالعطر على جسدها الجميل، ومشطت ١٧٥
شعرها وضفرت بيديها ضفائرها المتأقفة
الربانية الجميلة التي تتساب من رأسها الخالد.
وألبيت نفسها ثوباً ربانياً غزلته
لها أثينة بمهارة فائقة، ووضعت عليه زخرفاً متأنقاً
وثبتت على صدرها مشابك ذهبية، ١٨٠
وطوّقت نفسها بحزام تكسوه مائة شرابة.
ثم وضعت الأفراط في أذنيها المنقوبتين،
لألىء ثلاث يشع منها جمال فائق،
وغطت الربة المتأقفة نفسها بشبكة على شعرها،
وعبأة جميلة تضيء مثل أشعة الشمس، ١٨٥

وارتدت صندلها الجميل في قدميها البراقنتين.

وما أن انتهت من زينة جسدها،

حتى خرجت من حجرتها، وتوَّأ نادت أفروديتي

بعيذا عن باقى الآلهة وتحدثت إليها قائلة:

١٩٠

"أى بنيتى العزيزة، ألا تستجيبين إلى ما أمالك إياه؟

أم أنك سترفضين لغضب كامن في صدرك

بذ أقدم أنا العون للدانائين، بينما أنت تقدميه للطرواديين؟"

فأجابتها أفروديتي ابنة زيوس:

"أى هيرا، أيتها الربة المليكة، يا ابنة كرونوس العظيم

١٩٥

هات ما لديك، إن قلبي ليأمرنى أن أستجيب له

طالما أستطعت ومادام الأمر مما يمكن تحقيقه"

فقالَت المعبودة هيرا ذات المكر:

"امنحني، الآن، الحب والرغبة اللذين بهما تقهرين كل الآلهة

٢٠٠

والبشر اللغابين. وإنى ذاهبة لأزور الأرض السخية مترامية الأطراف

وأوكيانوس الذى من نسله جاء كل الآلهة^(١)، وتيثيس

الأم فهما من ربياني فى قصرهما بحب وإعزاز

عندما أخذانى من رياء، حيث دفع زيوس -

بعيد النظر - كرونوس ليقطن تحت الأرض والبحر الهائج.

٢٠٥

إننى ذاهبة لأزورهما ولأهدىء نزاعهما الدائم.

فقد ابتعد كل عن الآخر منذ وقت بعيد وحتى الآن

عن فراش الزوجية وعن الغرام، فإلى قلبيهما وصل الغضب.

وإذا استطعت أن أقتع قلبيهما بكلماتى،

(١) ورد في محاوراة لأفلاطون (Kratylos 402) ما نقل عن أورفيوس أن أوكيانوس كان أدل من تزوج، حيث

زف إلى أخته تيثيس. وهذه الفكرة عن الأوكيانوس (المحيط) النهر الذى يحيط بالأرض بوصفها أسطورة الخلق

genesis ربما تعود لأصول شرقية أو بصفة خاصة مصرية قديمة. (المحرر)

- وأعيدهما إلى فراش الحب متعانقين سيدعو اننى
 ٢١٠ صديقةً أبديةً جديرةً بكونها معبودة"
 فأجابتها أفروديتى الضحوك:
 "أليق أن أقول لك لا، أويصح ذلك؟!
 أنت يا مَنْ تسامين بين ذراعى زيوس القدير"
 وحلت حزام السحر^(*) من صدرها، وكان سخى التطريز
 ٢١٥ مزركشاً، بكل ألوان الفتنة صنّع
 وعليه للرغبة ولذيق الكلام والإغواء،
 الذى يسلب حتى لب أحكم الحكماء،
 ووضعت بين يديها وتحدثت إليها قائلة:
 "خذى هذا الحزام المزركش الآن، وضعيه حول
 ٢٢٠ صدرك، فعليه نُفَسُ كُلِّ شَيْءٍ، وأعدك
 أنك لن تعودى بغير بغيتك مهما كانت"
 وابتسمت المعبودة هيرا واسعة العينين كالمها لقول (أفروديتى)
 ووضعت الحزام الجميل حول صدرها.
 ثم ذهبت أفروديتى ابنة زيوس إلى مقرها،
 ٢٢٥ بينما وثبت هيرا فى عجالة تغادر قمة الأوليمبوس
 ومرت فوق أرض بيريا وفوق إماتيا الجميلة،
 وأسرعت فوق جبال الفرسان الطراقيين الجليدية
 من أعلى قممها ولم تطأ قدمهاها الأرض،
 وسارت من أثوس، بعيداً، فوق البحر المتلاطم
 ٢٣٠ فوصلت إلى ليمنوس، مدينة ثواس الربانى،

(*) هذا الحزام الساحر الذى ترتديه أفروديتى (فيوس) ذاع فى الشعر اللاتينى يقول مارتيا ليس (VI, 13) مخاطباً يوليا بنت عم الإمبراطور "إذا أحب مارس أو مرسل الرعد يوبيتير من جديد، سألتك زوجاتكم الإلهات حرام الجاذبية". (الغور)

فقابلت (إله) النوم (هيبنوس) هناك، شقيق (إله) الموت (ثاناتوس)
فأمسكته من يده، وخاطبته قائلة:

"أى (إله) النوم (هيبنوس)، يا ملك الآلهة والبشر جميعاً،
لطالما أصغيت فيما مضى إلى كلامي، فأطعنى الآن أيضاً
وسأدين لك بالعرفان طوال أيامي كلها.

٢٣٥

من أجلي هدهد عيني زيوس البراقطين تحت جفنيه حتى ينام،
بمجرد أن أضطجع إلى جانبه عشفاً.

وسأغدق عليك الهدايا - عرشاً جميلاً لا يفنى

مصنوعاً من الذهب، سيصنعه لك بمهارة هيفايستوس ابني

٢٤٠

الذى يعرج بساقيه، وسيضع لك مستنداً للقدمين

من تحته حيث تريح قدميك اللامعتين عليه عند الطعام"

وسرعان ما رد (إله) النوم (هيبنوس) اللذيذ على الربة:

"أى هيرا، أيتها الربة المليكة، يا ابنة كرونوس العظيم!

إننى أستطيع ببساطة أن أهدهد

٢٤٥

للنوم أى إله آخر من الخالدين، ولو كانت

جداول نهر أوكيانوس ذاتها، تلك التى انحدرت منها الأشياء كلها.

إلا أننى لا أستطيع، بأى حال أن أدنو من زيوس بن كرونوس،

ولا أن أهدهد عينيه إلى النعاس، إلا إذا أمرنى هو نفسه بذلك.

فقد تلقنت منك، فيما مضى، درساً

٢٥٠

فى ذلك اليوم، حين أبحر الباسل المجيد

ابن زيوس (هرقل)، من إليون، بعدما دمر مدينة الطرواديين

حينئذٍ، هدهدت لك عقل زيوس حامل الدرع أيجيس للنوم

ونثرت حوله غلالة العذوبة، بينما أوغرت أنتِ شراً فى قلبك

تجاه ابنه وهيجت عواصف من الرياح القاسية على سطح البحر

٢٥٥

وألقيت (بهرقل) بعيداً عن كوؤس (كوس) الأهلة بالسكان

بعيداً عن أحبائه جميعاً، وما أن استيقظ زيوس حتى غضب

- وأخذ يدفع الآلهة، حول قصره، هنا وهناك مستهدفاً إياي
 فى المقام الأول، وكاد يلقي بى من السماء لأتوارى فى المياه
 لولا (إلهة) الليل (نوكس) التى تهدد الآلهة والرجال
 ٢٦٠ فلجأت إليها هارباً وأنقذتنى، وكفّ زيوس عن ملاحقتى رغم غضبه
 الشديد فكان يحترم إلهة الليل (نوكس) السريعة، ولم يكن
 ليمسها بسوء. وها أنت الآن تعيدى الكرة وتأمرينى بفعل المحال"
 فقالت المعبودة هيرا واسعة العينين كالمها:
 "يا إله النوم (هيبينوس)، لم تشغل روحك بمثل هذه الأفكار؟
 ٢٦٥ هل ترى أن زيوس بعيد النظر، سيساعد
 الطرواديين بسبب غضبه من أجل هيراكليس (هرقل) ابنه؟
 تعال، سأزوجك إحدى عرائس الحُسن (خاريتيس)
 وستدعى زوجتك إلى الأبد
 بأسيتيا التى تتوق إليها أنت نفسك يوماً"^(٦).
- ٢٧٠ تهلل إله النوم (هيبينوس)، إذ سمع ذلك، وأجابها قائلاً:
 "حقاً ستفعلين هذا؟!، تعال إذن واقسمى بمياه ستيكس الطاهرة
 وضعى إحدى يديك على الأرض، الأم السخية،
 والمسى البحر البهى بالأخرى، ليشهد كلاهما علينا
 وكذلك الآلهة كلها التى تسكن الكون مع كرونوس.
 ٢٧٥ أيمكن حقاً أن تعطينى إحدى عرائس الحسن (الخاريتيس)
 وأن تكون هى بأسيتيا التى، على مر الزمان، أتحرق لها شوقاً"
 قال ذلك، فلم تتوان هيرا الربة ذات الذراع الأبيض،
 فى أن تطيع وتقسم كما طلب منها، وأشهدت الآلهة جميعاً
 ممن يقيمون أسفل تارتاروس ويدعون باسم الجبابرة تيتانيس.
 ٢٨٠ أدت هيرا لإله النوم هيبينوس للقسم

(٦) تحذف بعض الطبعات هذا البيت رقم ٢٦٩ وفقران بيت ٢٧٦. (أخضر)

- ثم رحل الاثنان عن ليمنوس وإمبروس
ومضيا متدثرين بالضباب مسرعين في طريقيهما.
وسرعان ما وصلا إلى إيذا كثير الينابيع وسرع الوحوش
وإلى ليكتوس؛ حيث غادرا البحر أولاً وسارا الاثنان فوق
الأرض الجافة حيث اهترت قمة الغابة تحت أقدامهما. ٢٨٥
هناك، توقف النوم إله هينوس لكيلا تلمحه عينا زيوس،
وتسلق فوق شجرة صنوبر شاهقة، وهي أعلى شجرة
نمت، حينئذ، على جبل إيذا، وكانت تتجه صوب السماء تناطح السحاب
هناك، جلس في الظلام مستترًا بغصون الصنوبر.
واتخذ هيئة طائر عالي الصوت من طيور الجبال، ٢٩٠
يعرفه الآلهة بخالكيس (برونزي اللون)، ويعرفه البشر بكمينديس
(البومة الصغيرة)^(*). وجاءت هيرا مسرعةً قرب قمة جارجاروس
حافة (جبل) إيذا الشاهق، فرآها زيوس جامع المسحب
ملاً منها ناظره، وما أن وقع بصره عليها
حتى دم العشق قلبه الحكيم وكأنما هي المرة الأولى التي انسلت فيها ٢٩٥
معاً إلى الفراش، وطارحها الغرام الدافئ، على غير علم ولديهما^(**)
فتسمرَّ قبالتها وهمس إليها:
- "أى هيرا، ما الذي أتى بك إلى هنا من الأوليمبوس؟
ماذا تبغين؟ إن خيولك ليست معك، ولا حتى عربتك التي تعنتها"
فأجابته المعبودة هيرا بدهاء الأنثى: ٣٠٠
"أتيت لأزور أقصى أطراف الأرض المثمرة
وأوكيانوس منجب الآلهة، وتيثيس أمهم،
فهما اللذان ربياني في قصرهما بحب وإعزاز
أتيت لأزورهما، ولأهدى نزاعهما الدائم.

(*) الاسم العلمي لهذا الطائر وهو من أكبر وأنشس الطيور الجارحة *bubo maximus*. (المحرر)

(**) يعلق أفلاطون (الجمهورية ٢٩١) على هذه الفقرة. (المحرر)

- ٣٠٥ فقد تباعدا منذ وقت بعيد، وحتى الآن،
عن فراش الزوجية وعن الفراغ، فألى قلبيهما وصل الغضب.
خيولى تقف عند سفح إيذا كثير الينابيع،
لتحملنى فوق اليابسة وفوق مياه البحر.
فما جئت هاهنا من الأوليمبوس إلا من أجلك،
٣١٠ خشية أن تغضب منى، فيما بعد، إن ذهبت دون
إذن منك إلى بيت أوكيانوس عميق الانسياب^{*}
فأجابها زيوس جامع السحب قائلاً:
"أى هيرا، تستطيعين أن تذهبي إلى هناك فيما بعد.
أما الآن، فتعال، حتى نسعد ونضطجع معاً عشقاً.
٣١٥ فلم يوانتى الشوق إلى ربة أو حتى إلى امرأة
بمثل ما عمر قلبى ويدفعنى لإشباعه الآن.
بل إننى لم أقيم عشقاً، ولا حتى بعروس إكسيون^(*).
التي أنجبت لى بيريثووس، صنو الآلهة فى المشورة.
ولا شغفتى حتى داناي، جميلة الكعبين، ابنة أكريسوس،
٣٢٠ التي أنجبت لى بيرسيوس ذائع الصيت بين الرجال أجمعين.
وما همت بابنة فوينيكس (يوروبا) العذراء الشهيرة
التي أنجبت لى مينوس ورادامانثيس الربانى.
ولم أقيم بسيملى، ولا بالكمينى فى طيبة
تلك التي أنجبت لى هيراكليس الابن الشجاع للقلب.
٣٢٥ وسيملى التي أنجبت لى ديونيسوس بهجة البشر،
ولا بالملكة ديميتير جميلة الضفائر.
ولم أشغف بليتر المجيدة، بل ولا بك أنت نفسك
بمثل ما أقيم بك الآن وتملكنى الرغبة اللذيذة والشهوة الطاغية"

(*) هى ديا Dia وهناك أسطورة على النقيض من ذلك ترى أن إكسيون وقع فى غرام هيرا. (الخر)

- فقلت المعبودة هيرا بمكر :
- ٣٣٠ يا أكثر نسل كرونوس هولاً، ماهذا الذى تقوله؟!
 إذا كنت حقاً تهفو الآن لمضاجعتى
 هنا، فوق قمة إيذا ؛ فإن كل شىء هنا مكتشف للعيان.
 ماذا لو أن أحداً من الآلهة الخالدة
 رأنا نحن الاثنين مضطجعين، وذهب وفضح الأمر للآلهة جميعاً.
- ٣٣٥ حينئذ لن أعود إلى مقرك ثانية،
 فبعد النهوض من مضجعى سيمنعنى الحياء.
 نكن إذا كانت بك رغبة ويسعد قلبك أن تشبعها،
 فنمة غرفة بناها لك ابنك العزيز
 هيفايستوس، وقد تبثت أبواباً منيعة على قوائمها.
- ٣٤٠ فهيا نذهب إلى هناك، ونتحاب، طالما أن العشق يغيتك"
 وأجابه زيوس جامع السحب قائلاً:
 أى هيرا، لا تخشى روية إله أو إنسان،
 فسوف نتدثر بمثل تلك السحابة
 الذهبية، التى ربما من خلالها لن يكشف أمرنا أحد
 حتى هيلوس، مع أن أشعته هى الأكثر نفاذاً وإيصاراً"
- ٣٤٥ واحتضن ابن كرونوس زوجته بذراعيه،
 وأتبنت الأرض المقدسة من تحتها
 براعم عشب تنمو، ورفعها اللوتس الندى والزعفران والزنبق
 عن الأرض، وهناك اضطجع الاثنان متدثرين
 بسحابة جميلة ذهبية تتساقط منها قطرات من الندى المتلكئ.
- ٣٥٠ هكذا، نام الأب فى هدوء على قمة جارجاروس،
 وغلبه النوم والعشق محتضناً زوجته بين ذراعيه.
 وشرع إله النوم هينوس اللذيذ يعدو تجاه السفن الأخيين

- ٣٥٥ حاملاً رسالةً إلى (بوسيدون) طأوى الأرض ومزلزلها.
ووصل إليه وخاطبه بكلمات مجنحة:
- "أى بوسيدون، قدّم العون بقلب مطمئن للدانائيين الآن،
وامنحهم المجد، مع أنه لا يبقى طويلاً، حيث إن زيوس نائم الآن
فقد أسدلت عليه غلالة النوم المعسول
كما أغوته هيرا حتى يضاجعها عشقاً"
- ٣٦٠ قال (النوم) ذلك وارتحل إلى قبائل الرجال المجيدة
بعدما ألح في تشجيع (بوسيدون) على أن يسدى العون للدانائيين،
وتفاضل بين صفوف المقدمة وصاح عاليًا:
- "أيها الأرجيون، هل نتخلى عن النصر هكذا مرة أخرى
لهيكتور بن برياموس، حتى يأخذ السفن ويفوز بالمجد؟
لا، وإن قال ذلك وتبجح بأنه الواقع مادام
أخيلويس يركن إلى السفن المجوفة وقلبه ملىء بالغضب.
فأبداً، لن يكون افتقادنا له وبالاً لاحقاً،
إذا تشجعنا نحن الباقين ومددنا يد العون لبعضنا البعض.
تعالوا أطيعوا الأمر جميعاً
هيا نسلح أنفسنا بأفضل ما فى الجيش من دروع متينة،
ونغطي رءوسنا بخوذات زاهية
ونقبض بأيدينا على أطول الرماح،
ونمضى إلى هدفنا، وسوف نكون قائدكم على هذه الطريق
لا أحسب أن هيكتور بن برياموس سيبقى طويلاً، مهما تكن لهفته.
دع النظامىء للحرب ولديه درع صغير على كتفه
يعطيه للأقل منه إقداماً، وليس له نفسه بدرع أكبر"
هكذا تكلم، فأصاخوا السمع إليه وأطاعوه
ونظّم الملوك أنفسهم، رغم أنهم كانوا مجروحين،

- ٣٨٠ في صفوف: ابن تيديوس وأوديسيوس وأجاممنون بن أتريوس
وتخللوا الجيش كله واستبدلوا أسلحة القتال
وارتدى المحارب القوي أسلحة قوية، وأعطوا الأقل
إقداماً الأقل مثانة. وما أن كسوا أجسامهم بأسلحة براءة،
حتى تقدموا يقودهم بوسيدون مزلز الأرض
٣٨٥ ممسكاً بيده القوية سيفاً طويلاً حاداً
يشبه البرق، لا يسمح لأحد أن
يواجهه في نزال فتاك، بل يولى الرجال الأدبار رعباً منه.
ونظم هيكتور المجيد الطرواديين صفوفاً على خط المواجهة.
والحق، أن بوسيدون ذا الشعر الأزرق الداكن وهيكتور المجيد
كانا يشدان حبل الصراع الفتاك
٣٩٠ أحدهما يقود الطرواديين والآخر الأرجبيين.
وقاض البحر نحو خيام الأرجبيين وسفنهم،
واشتبك الطرفان وعلا الصخب المدوي،
حيث لم تهج بمثله أمواج البحر المتلاطمة
٣٩٥ على الشاطئ، تدفعها رياح الشمال بورياس الجارفة.
ولم يزار، أيضاً، زفير النار المستعرة عند شعاب الجبل بمثله،
عندما تندلع (السنة للهب) لتحرق الغابة.
ولم تزعق الرياح بين أغصان الصفصاف العالية بمثله،
تلك الرياح التي تزار في غضبها أيما زئير.
٤٠٠ هكذا كان صياح الطرواديين والآخرين
بمثل هذا الفزع منقضين، كل فريق على الآخر.
فقطع هيكتور المجيد أياس في البداية برمحه
مجرد أن استدار نحوه، ولم يخطئه
لكنه أصابه عند الحمالتين؛ (حمالة) درعه و(حمالة) سيفه
٤٠٥ المزدانين بالفضة، الممتدتين عبر صدره

- فصدت (الحمالتان) الطعنة عن جلده الرقيق، فاستشاط
هيكتر غضباً لأن رمحه السريع طار من بين يديه هباءً.
عاد ليندس بين رفاقه متجنباً مصيره
وبيتما هو عائدٌ، قذفه أياس التيلاموني الباسل
٤١٠ بحجر، حيث كانت هناك أحجار كثيرة، تندرج بين
أقدامهم وهم يتقاتلون وبها يسندون مراسى السفن عند الشاطئ،
فرفع حجراً منهم عالياً ورمى (هيكتر) في صدره أعلى طرف ترسه
على مقربة من عنقه، فجعله، من شدة الضربة، يلف ويدور حول نفسه
كدوامة. وكما تسقط شجرة بلوط اقتلعتها صاعقة من الأب زيوس،
٤١٥ فيصعد منها دخانٌ كبيرتي بشع.
والحق أن الشجاعة حينئذٍ لا تعود بنفع لمن ينظر (للدخان)
ويقف منه عن قرب، فكم هي بشعة صاعقة زيوس الأعظم!
هكذا سقط هيكتر القوى منبطحاً للأمام على الأرض في التراب،
وسقط من يده الرمح، أما الترس فتخبط فوقه
٤٢٠ ومعه الخوذة، ومن حوله صلصلت أسلحته البرونزية.
وأسرع إليه أبناء الأخيين بصياح مدوى
أملأ في أن يسحبوه بعيداً، وأن يمطروه بالرمح.
لكن هيهات أن يُجزح أحد راعي الجيش
بطعنة أو برمية؛ فقبل حدوث ذلك، وقف شجعان (الطرواديين) لحمايته
٤٢٥ بوليداماس وأينياس وأجينور الرباني
وسارييدون قلند اللوكيين وجلاوكوس الذى لا نظير له.
ولم يهمله أحدٌ من الباقين، بل رفعوا دونه
دروعهم المستديرة، وحمله رفاقه على أذرعهم
وأبعدوه عن ساحة الوغى، حتى وصل إلى الخيول سريعة العدو
٤٣٠ التى كانت تقف فى انتظاره خلف (ساحة) المعركة والصراع
بسانقيها وعجلاتها الحربية رائعة الزخرف.

- ثم حملوه إلى المدينة وهو يئن بمرارة
ولما وصلوا إلى مخاضة النهر جميل الانسياب
كسانثوس ذى الدوامات، الذى أنجبه زيوس الخالد
٤٣٥ حملوه هناك من العجلة الحربية إلى الأرض،
وسكبوا فوقه ماءً فعاد إلى وعيه، ونظر بعينه لأعلى
وتقياً دماً قاتماً، مرتكزاً على عقبيه،
ثم ارتمى على الأرض وغشى ليلٌ حالِكٌ
عينيه، فالضربة كانت لا تزال تجثم على روحه.
٤٤٠ وعندما رأى الأرجيون هيكتور محمولاً بعيداً عن المعركة.
ازدادوا هجومًا على الطرواديين واستعادوا متعة القتال.
فى البدء، هجم أياس السريع بن أوليوس
على سانتينوس وجرحه بطعنة من رمحه الحاد،
حتى إن ابن إينوبس (سانتيوس) الذى أنجبه إحدى العرائس الفريدة
٤٤٥ لإينوبس، بينما كان يرعى قطعانه بجوار ضفتىّ (نهر) سانتينويس.
دنا منه ابن أوليوس (أياس) الشهير برمحه
فقطعنه فى خاصرته، فسقط للخلف ومن حوله
اشتبك الطرواديون والداناتيون فى صراع دلم.
فأتى إليه بوليداماس بن بانثوس البارع فى رمى الرمح ؛ ليدافع عنه
٤٥٠ فقذف (الرمح) وأصاب كتف
بروثينور بن أربليكوس اليمنى وغاص الرمح القوى
فى كتفه، وسقط على التراب كابشاً براحته الأرض.
فتهلل بوليداماس وصاح بتبجح عالياً:
"يبدو أن الرمح لم ينطلق مرة أخرى هباءً من يد
٤٥٥ ابن بانثوس (بوليداماس) القوية، شديدة البأس،
بل تلقاها أحد الأرجيين فى لحمه، وأحسبه
سيتركىء عليه كعصا وهو ذاهب إلى مقر هاديس"

- وما أن تكلم (بوليداماس) حتى حل الحزن بالأرجيين
بسبب تبجحه وأثار على نحو خاص حفيظة البارع أياس
- ٤٦٠ بن تيلامون، فذلك للذي هوى كان منه قريباً.
فأسرع وقذف الآخر (بوليداماس) برمحه البراق بينما كان يتراجع
وقد أفلت بوليداماس نفسه من المصير الأسود
بأن قفز جانباً، إلا أن أرخيلوخوس
بن أنتينور تلقى الرمح، وقد قدر الإله الموت له.
- ٤٦٥ فأصابه الرمح عند ملتقى الرأس بالعنق،
عند أعلى فقرة من العمود الفقري، فهتك العصبين كليهما
فوقع في الحال، وارتطم بالأرض رأسه وفمه
وأنفه، قبلما تصل ساقاه وركبته.
- نادى أياس عاليًا على بوليداماس الذي لا مثيل له:
- ٤٧٠ "أى بوليداماس، فكر، وقل لى صراحةً
ألا يستحق هذا الرجل أن يُقتل انتقاماً
لبروثونينور؟ فهو لا يبدو لى حقير الشأن ولا وضيع
المولد، لكنه أخ أو ابن لأنتينور مروض الخيول
فهو أكثر شبهًا به فى البنية"
- ٤٧٥ هكذا قال، وكان يعرف (الحقيقة) كلها تمامًا،
فتملك الأسى قلوب الطروديين، وما كان من أكاماس، إذ كان
يقف فوق جثة أخيه (أرخيلوخوس) إلا أن ضرب بروماخوس
البويوتى، برمية من رمحه، إذ نوى أن يجر الجثة من القدم، وتهلل
أكاماس بفظاظة وصاح عاليًا ومتباهيًا:
- "أيها الأرجيون، يا محبو القوس، يامن لا تشبعون تهديدًا ووعيدًا
٤٨٠ انظروا، لن يكون الأسى والحزن من نصيبنا وحدنا،
بل إنكم أيضًا ستعانون القتل بالمثل.

- انظروا كيف يرقد بروماخوس مقهوراً برمحي،
حتى لا يبقى طويلاً دم أخى المسفوك بلا انتقام
ولهذا، إنما يتمنى الرجل
٤٨٥ أن يخلفه أحد أقاربه فى بيته ليصد عنه الأذى"
وما أن تكلم حتى لحق بالأرجيين الحزن لتهلله وزهوه
فأثار على نحو خاص روح بينيليوس الحكيم
فاندفع نحو أكاماس الذى لم يصمد أمام هجوم الأمير بينيليوس.
ولكن الرمح أصاب إليونيوس
٤٩٠ بن فورباس الغنى بالقطعان، والذى أحبه هرميس
من بين الطرواديين أجمعين، ومنحه الثروة
وأنجبت الأم له طفلاً وحيداً (من هرميس) هو إليونيوس.
طعنه بينيليوس أسفل جبينه، عند قاع العين
٤٩٥ فأقتلع مقلته، ونفذ الرمح خلال الحدقة حتى قفاه، انطرح باسماً
يديه ككتيها، ومحبب بينيليوس سيفه الحاد وضربه
بقوة على عنقه، فأسقط رأسه على الأرض بالخوذة
وبات الرمح النافذ منتصباً فى عينيه.
ورفعه (بينيليوس) لأعلى كزهرة خشخاش على ساقها
٥٠٠ وعرضه على الطرواديين وتهلل بز هو قائلاً:
"أيها الطرواديين، أرجو أن تبلغوا العزيز والد إليونيوس
المبجل والدته أن ينتحبا فى بيتهما،
فلن تسعد زوجة بروماخوس بن أليجينور بمحىء
زوجها العزيز، بينما نعود نحن شباب
٥٠٥ الأخيين بسفنا من أرض طروادة"
قال ذلك، فتملك الارتجاف أطرافهم جميعاً
وأخذ كل رجل يحملق ليرى كيف يمكنه أن يهرب من الهلاك المؤكد

- خبرتنى، الآن، ياربات الفنون (الموساى)، يا مَنْ نَقطن
الأوليمبوس مَنْ كان أول الآخيين الذى يسلب غنائم المحاربين الملطخة
٥١٠ بالدم إذ بدّل مزلزل الأرض الشهير، وفجأة، (مجرى) القتال؟
الحق أن أياس بن تيلامون كان الأول، فقد ضرب هيرتيوس
بن جيرتيوس قائد الميسيين شجعان القلوب.
وجرد أنتيلوخوس كلاً من فالكيس وميرميروس (من أسلحتهم).
أما ميريونيس فقتل موريس و هيبوتيون.
٥١٥ كذلك تيوكروس فذهب بروثوون وبيريغيتيس.
وضرب ابن أتريوس بعد ذلك هيبيرينور راعى الشعب برمية
فى جنبه، حتى غاص البرونز فى أحشائه عندما اخترقها
وتصاعدت روحه لاهثة من خلال الجرح الغائر، وطوى الظلام عينيه
٥٢٠ لكن أياس السريع ابن أويلوس قتل أكثر (من سواه)،
فلم يكن له مثيل فى النضال، فى سرعة قدمه
٥٢٢ وسط حشد الرجال، عندما نشر زيوس الرعب بينهم.



الكتاب الخامس عشر



ترجمة السيد عبد السلام البراوي

- وعندما مرَّ الطرواديون بالتحصينات وبالخندق هاربين،
وسقط العديد تحت أيدي الدانائيين،
حينئذ، ترفقوا إلى جانب عجالتهم الحربية وقد شحبت لونها
خوفاً ورعباً. نهض زيوس
فوق قمة إيدا من مرقدته إلى جوار هيرا ذهبية العرش،
نهض واقفاً، فرأى الطرواديين والأخيين.
وكان (الطرواديون) في فوضى يدفعهم الأرجيون
من خلفهم، وبينهم يقف الإله بوسيدون.
كما رأى هيكتور ملقى على السهل، ويجلس أصدقاؤه
حوله، يلهث بأنفاس متألمة ومشتت الذهن
ينقياً دماً، فلم يكن الذي ضربه هو أضعف الأخيين.
وعندما رآه، أبو الآلهة وأشفق عليه
وتحدث إلى هيرا وهو يرمقها بنظرة عابسة من أسفل حاجبيه:
"أى هيرا، أيتها العنيدة، ياله من خداع بارع شرير،
أعدت به هيكتور الرباني عن القتال ودحرت جيشه.
ولكن قد تكونين أنت أول من يجنى ثمار
خداعك الآثم، سوف أجلك بالسوط.
هل تتذكرين يوم أن علقك من عل،
وفي قدميك ربطت حجرتين، وحول معصميك سبكت
سلسلة من الذهب لا تنكسر؟ تدليت في الهواء بين السحب
واشنتد سخط الآلهة، في أرجاء الأورليميوس الشاهق،
ولكنهم لم يستطيعوا أن يدنوا (منك) ويفكوا وثاقك، ومنْ أمسكته منهم
ألقيت به من حدرد (مملكتي) ليرتطم
بالأرض بلا حول ولا طول. ولم يكفني ذلك، ولم يخفف آلام القلب
الدائمة، على ما أصاب هرقل الإلهي

- الذى، عندما تحالفت مع رياح الشمال بورياس وأفعتها بالهبوب،
دفعت به إلى البحر الهائج بتدبيرك الشرير،
وقذفت به بعيداً إلى كوس الأهلة بالسكان.
ومن ذلك المكان أنقذته أنا وجئت به إلى أرجوس
مرعى الجياد، بعدما قاسى أهوالاً كثيرة^(١). إننى أذكرك، ثانيةً،
٣٠ بهذه الأتنياء لربما تكفى عن المكر، وسترين، تَوَّاء، ما إذا كانت
مداعباتك
الفرامية ستفيدك عندما جئت إلى ومارسنا الحب، بعيداً عن الآلهة،
لقد كان كل ذلك خداعاً منك"
قال ذلك، فارتجفت المليكة هيرا واسعة العينين كالمها
وتحدثت إليه بصوت مرتعد:
٣٥ "الآن، لتشهد الأرض (جايا)، وكذلك السماء (أورانوس) الراحبة
ومياه ستيكس المتدفقة،
فهذا هو القسم الأعظم قداسة لدى الآلهة المباركة،
أقسم برأسك المقدسة، ومضجعنا نحن الاثنين،
الذى لا أستخف بالقسم به ،
٤٠ أن بوسيدون مزلزل الأرض لم يدحر الطرواديين،
ولم يؤذ هيكتور، ولم يساعد أعداءهم بإيعاز منى.
كلأ، أحسب أنها روحه التى ألحت عليه وأمرته بذلك.
فهو قد رأى الأخيين مهزومين بخزي إلى جوار سفنهم وأخذته بهم
٤٥ الشفقة. بل إنى أخبرك بأننى نصحته بأن يسير فى هذا الدرب
الذى تشير عليه أنت، يا مليك السحاب"
فتيسم أبو الآلهة والبشر عندما سمع ذلك
وأجاب بكلمات مجنحة قائلاً:

(١) إشارة ضمنية للأعمال الاثني عشر التى قام بها هرقل. (الغرر)

- لَو صدقت حقاً نيتك يا هيرا، يا مليكتي واسعة العينين كالمها،
- ٥٠ بما يتفق مع نيتي، عندما تجلسين بين الآلهة الخالدين،
سيغير بوسيدون رأيه سريعاً ليتبع ما في قلبك
وقلبي، مهما تعارضت رغبته معنا.
وإذا كنت حقاً صادقة في قولك
فلتذهبي، الآن، إلى جماعات الآلهة، واطلبي
- ٥٥ إريس أن تأتي إلى هنا، وكذلك أبوللون الشهير بقوسه
ذلك لكي تجوس إريس بين جيوش الأخيين
لابسى الأسلحة البرونزية، وتأمّر الإله بوسيدون
أن يكف عن القتال، وتأخذه إلى بيته.
أما فوبيوس أبوللون، فليحث هيكتور على القتال
- ٦٠ وليبث فيه القوة من جديد، وينسيه آلام قلبه
الموجعة، حتى يقهر الأخيين مرة أخرى،
بأن يثير فيهم الرعب والجبن،
حتى يهربوا مدحورين بين سفن أخيلئوس بن بيليوس
ذات المقاعد الكثيرة. وبدوره سيرسل صديقه
- ٦٥ باتروكلوس الذي سيفتله هيكتور المجيد
برمح أمام إليون، بعدما يكون هو نفسه قد قتل
محاربين صناديد كثيرين، من بينهم ابني سارييدون الإلهي.
وسوف يقتل أخيلئوس الإلهي هيكتور، غضباً لمقتل
صديقه باتروكلوس. ومن الآن فصاعداً، سأجعل الطرواديين
- ٧٠ ينقهقرون بعيداً عن السفن، حتى يفتح الأخيون
إليون الشاهقة عملاً بنصائح أثينة.
وحتى ذلك الحين، لن أكبح جماح بطشي، ولن أسمح بأن يقدم
أى (إله) آخر من الخالدين، العون للدانائيين

- إلى أن تتحقق رغبة ابن بيليوس (أخيلئوس)،
 ٧٥ كما وعدت في البدايئة وأومأت كذلك برأسى،
 يوم أمسكت الإلهة ثيتيس ركبتي متوسلةً
 أن أمجد أخيلئوس مدمر المدن"
- تابعت هيرا بيضاء الذراعين بانتباه شديد كلمات (زيوس)
 وانصاعت لها، وأسرعت من جبال ايذا وحتى الأوليمبوس الشاهق
 ٨٠ منطلقةً كما تتطلق أفكار عقل رجلٍ رحل
 إلى أراض بعيدة، يتفكر بقلب حكيم
 "ليتني أكون هنا أو هناك"، وكثيرة كانت الأمانى التي راودته.
 هكذا، انطلقت المعبودة هيرا فى لهفة
 ووصلت إلى الأوليمبوس الشاهق، فألقت الآلهة الخالدين
 ٨٥ مجتمعين فى بلاط زيوس، وعندما رأوها
 قاموا وحيوها بكنوس الترحاب.
 ومن جانبها، أهملت الآخرين، وتناولت الكأس
 من ثيميس جميلة الوجنات، فهى أول من هممت
 لاستقبالها، وحادثتها بكلمات مجنحة:
 ٩٠ "لماذا جنت يا هيرا كالمذهولة؟
 لا بد أن ابن كرونوس زوجك قد أفزعك"
 فأجابتها المعبودة هيرا بيضاء الذراعين:
 "لا تسألينى، أيتها الإلهة ثيميس، عن هذه الأشياء، فأنت
 نفسك تعرفين طبيعة مزاجه، فكم هو متعطرس متعجرف!
 ٩٥ لكن ابدئى المأدبة المقدمة للآلهة فى القصر،
 وستسمعين هذه الأشياء وسط الخالدين أجمعين،
 ستسمعين أى أعمال سيئة يعلنها زيوس، أحسب

- أنها لا تسر قلب أي فرد من البشر أو الآلهة،
حتى لو كان هناك مَنْ هو سعيد الآن"
- ١٠٠ وما أن قالت المعبودة هيرا ذلك حتى جلست
واستشاطت الآلهة غضبًا في منزل زيوس، لكن (هيرا) تَبَسُّمت
بشفقتها، ومن فوق حاجبيها الداكنين لم يتراخ جبينها المقطب
وتحدّثت بينهم جميعًا في قنوط:
"يا لنا من حمقى، حتى في حمقنا نغضب من زيوس،
١٠٥ لكننا دائمًا ما نشتاق إلى أن نتقرب منه، ونعوق إرادته
إما بالقول أو بالجبروت، بينما هو يجلس بعيدًا لا يبالي
ولا يهتم، فهو يعلن أنه بين الآلهة الخالدة
هو الأكثر قوةً وقدرةً بلا منازع.
وبناءً عليه، فأنتم أنفسكم قانعون بالشر الذي يلقي به أيًا منكم
١١٠ وأحسبه، الآن، يضمّر شرًا لأريس.
هلك ابنه في المعركة، وهو أعز الرجال
إسكالافوس الذي زعم أريس بقوة أنه ابنه"
براحتى يديه لطم أريس على فخذه، إذ سمع ذلك،
وتكلم منتحبًا :
- ١١٥ "لا تلوموني، الآن، يا من تسكنون الأوليمبوس،
إذا ذهبت إلى سفن الأخيين وانتقمت لمقتل ابني،
حتى وإن كان قدرى أن أضرب بصاعقة من زيوس
وأرقد هناك في الدم والتراب بين الجثث"
وما أن قال ذلك، أمر (إله) الرعب (ديموس) و(إله) الخوف
١٢٠ (فوبوس) أن يسرجا خيوله، أما هو فقد لبس أسلحته البرّاقة
حينئذٍ كاد ينشب نزاع أعظم وغضب لم يسبق له مثيل

- ما بين زيوس وباقي الخالدين، إن لم تسرع أثينة
عبر البوابة، يتملكها الخوف على الآلهة
أجمعين، إذ كانت قد غادرت العرش الجالسة عليه
١٢٥ وأخذت الخوذة من فوق رأس آريس وكذلك الدرع من
كتفيه، كما أخذت الحربة البرونزية من يديه القويتين
ووضعتها جانباً، ثم وبخت آريس الغاضب بالكلمات:
"أيها المجنون مختل العقل، أودى بك الغضب
حقاً فلك أذنان لا تسمعان شيئاً، ولا إدراك لديك ولا حياء
١٣٠ ألم تسمع ما قالته الربة هيرا بيضاء الذراعين
بعد أن عادت من حضرة زيوس الأولمبي منذ هنيهة؟
هل ترمع أن تكمل الويلات الكثيرة
وأن تعود بالخزي مكرهاً إلى الأوليمبوس، وأن تجلب
علينا جميعاً الشر الأعظم؟
١٣٥ إنه سيرتك لتوه الطرواديين شديدي الهمة، والآخيين
ويسرع إلى الأوليمبوس لكي يقهرنا نحن هنا أجمعين،
سيببش بنا جميعاً، المذنب وغير المذنب، على حد سواء
لذا، أنصحك بالتخلص من غضبتك من أجل ابنك الآن.
فكثيرون ممن يفوقونه بأساً وقوة قد قُتلوا
١٤٠ من قبل، أو سيقتلون يوماً ما، ومن العسير
أن تصون البشر ونسلهم جميعاً"
قالت ذلك وأجلست آريس الجامع على العرش
حينئذٍ دعت هيرا، أبوللون إلى خارج القصر،
وكذلك إيريس رسول الآلهة الخالدة
١٤٥ وتحذت إليها بكلمات مجنحة قائلة:
"يامر زيوس كليكما أن تذهبا إلى أيديا بأقصى سرعة

- وما أن تصلا إلى هناك، وتريا وجه زيوس
امتثلا، حينئذ، إلى ما يحكم به و بأمر"
وعندما قالت المليكة هيرا ذلك، عادت ثانية
ونزبت على عرشها، وانطلق كلاهما مسرعين
١٥٠ حتى بلغا إيذا كثيرة الينابيع وأم الوحوش.
فألفيا ابن كرونوس بعيد النظر جالسا على قمة جارجاروس،
تحوم حوله سحابة فواحة من شذى البخور.
دنا الاثنان من حضرة زيوس جامع السحاب
وإذ رأهما، لم يتقد قلبه غضبا
١٥٥ لأنهما اتبعا على الفور أوامر زوجته العزيزة.
فى البداية خاطب إيريس بكلمات مجنحة:
"أى إيريس السريعة، انهضى وأذهبى إلى الملك بوسيدون،
خبريه بكل هذه الأشياء، واحذرى أن تكون رسالتك كاذبة.
١٦٠ مريه أن يكف عن القتال ويتوقف عن الحرب،
وأن يذهب ليلحق بجماعة الأرباب أو ينزل إلى البحر الإلهى.
وإن أغفل أو امرى ولم يمتثل لها،
حينئذ، فدعيه يفكر بعقله و قلبه،
فهو لا يملك من الشجاعة، مهما يكن قويا، ما يواجه به
١٦٥ هجمتى، وأعلن أننى أفوقه قوة،
وأنى أكبر منه سنا، إلا أن الكبرياء تركب قلبه العزيز
فيعد نفسه مساويا لى، و(أنا) الذى يهابه الآلهة الآخرون"
وما أن قال ذلك، حتى انصاعت للأوامر وانطلقت إيريس السريعة
ممتطية الريح، أن تنصاع فهبطت من تلال إيذا إلى إليون المقدسة.
١٧٠ وكما تتطاير نفق الثلج، أو وابل الصفيح من السحاب
مدفوعة بزوبعة من الرياح الشمالية (بورياس) التى تهب عبر أثير

- شفيف، هكذا انطلقت يمثل هذه الهمة إبيريس السريعة، متلهفة
ودنت مخاطبةً مزلزل الأرض الشهير:
- "أى طاوى الأرض، أيها الإله داكن الشعر، لقد جئت
إليك ها هنا برسالة حاملة لياها من زيوس حامل الدرع أيجيس.
١٧٥ إنه يأمرك أن تكف عن الحرب والقتال،
وأن تذهب لتلتحق بجماعة الأرباب أو تنزل إلى البحر الإلهي.
أما إذا عصيت أوامره، ولم تطعها
فإنه يهدد بأنه سيأتى إلى هنا بنفسه ويضع قوته
ضدك فى المعركة، ويأمرك بأن تتأى بنفسك بعيداً عن
١٨٠ يديه، فهو يعلن أنه يفوق قوة بكثير،
وهو الأسبق مولداً، ومع ذلك فإن قلبك العزيز لا يتورع
عن الإعلان بأنك تضارعه، وهو من تهابه الآلهة الآخرون"
استشاط مزلزل الأرض الشهير غضباً وتحدث إليها قائلاً:
- "تبأ، فرغم أنه قوى حقاً، فهو يتحدث بصلف،
١٨٥ وكأنه يستطيع أن يقهر بالقوة من يعادله جلالته.
فنحن إخوة ثلاثة، أنجبنا كرونوس وريا:
زيوس، ثم أنا، وثالثا هاديس، وهو ملك الأموات من تحتنا.
قسمت بيننا نحن الثلاثة كافة الأشياء، وتعين لكل منا نصيبه.
١٩٠ وعندما ضربت القرعة، كان البحر الرمادى نصيبى
ليصير مسكنى إلى الأبد. وفاز هاديس بالظلام الدامس،
بينما كانت السماء الشاسعة وسط الأثير والسحاب لزيوس.
وبقت الأرض والأوليمبوس الشاهق مشاهقاً لنا جميعاً.
وبالطبع لن أذعن لزيوس مهما يكن قوياً
١٩٥ دعيه يقيم فى سكينه فى نصيبه الخاص به،
ولا يحاول أن يرهنى ببطش يده، كما لو كنت جباناً.

- فالأفضل له أن يوجه تهديداته إلى أبنائه وبناته،
فهم الذين أنجبهم هو نفسه
وينصاعون إلى كل ما يأمر به مكرهين"
- ٢٠٠ فأجابته إيريس السريعة، ممتطية الريح:
"أى طاوى الأرض، أيها الإله داكن الشعر، أيجب حقاً
أن أحمل إلى زيوس هذه الرسالة الخشنة والعنيدة؟
ألم تتغير بعد؟ فقلوب الأخيار تلين
وإنك لتعلم كم تنساق الإيرينيات لصالح الأكبر"
- ٢٠٥ فأجابها مززل الأرض بوسيدون:
"أيتها الإلهة إيريس، لقد قلت شيئاً طيباً وبحكمة.
هذا شيء رائع حقاً، أن يكون للرسول قلب واع،
إذ يزعم زيوس أن يوبخنى بكلمات قاسية،
بيد أن ألماً تقياً حط على قلبى وعقلى
- ٢١٠ أنا الذى نلت نصيباً معادلاً لنصيبه فى التكريم وفى القسمة.
وسأخضع هذه المرة، رغم حنقى عليه،
وسأخبرك بشيء آخر، إذ سأعلن الوعيد الذى بقلبى
فإذا كان سيدافع عن إليون الشاهقة ويحول دون تدميرها -
رغمًا عنى، وعن أثينة حاصدة الغنائم،
وعن هيرا، وعن هرميس، وعن الملك هيفايستوس،
وإذا كان لن يمنح الأرجيين قوة عظيمة
فليعلم أنه سينشب بيننا غضب لن يهدأ"
- وما أن قال مززل الأرض ذلك تاركاً حشد الآخيين
حتى أسرع نحو البحر، وقفز فيه فافتقده الأبطال الآخيون.
ثم خاطب زيوس جامع السحب أبوللون هكذا:
- ٢٢٠

- "أيها العزيز قوبوس، اذهب، الآن، إلى هيكتور ذى الخوذة
البرونزية فقد ذهب، الآن، طاوى الأرض ومزلزلها
إلى البحر الإلهى متحاشياً غضبنا الشديد
وإلا لسمع الآخرون ضوضاء نزاغنا
حتى ألهة العالم السفلى مع كرونوس.
ولكن كان ذلك هو الأفضل لكلينا، لى وله،
حيث رضخ لقوة يدى، رغم غضبه
وإلا لما انتهى الأمر دون تعب.
لكن، أمسك الدرع المصقول (أيجيس) فى يدك،
أرفعه عالياً وهزه بعنف لترهب به الأبطال الأخيين.
أما أنت يا بعيد القذائف، ليكن هيكتور المجيد
تحت رعايتك، وفى أثناء ذلك ابعث فيه قوته الهائلة
حتى يفر الآخيون إلى سفنهم وإلى الهيليسبونطوس.
وبعد ذلك سأتدبر الأمر وماذا أفعل وماذا أقول
لأرفع عن الأخيين العناء."
وما أن قال ذلك، لم يتوان أبوللون فى طاعة والده
بل هبط فوراً من فوق تلال إيذا كالصقر السريع
قاتل الليمام، وأسرع للكائنات المجنحة.
فوجد هيكتور الإلهى بن برياموس حكيم القلب
جالساً، فلم يعد راقداً بعد، وقد استرد وعيه،
وتعرف على رفاقه من حوله، وقد ترقف لهائه وعرقه،
إذ أحيته إرادة زيوس حامل الدرع أيجيس.
فدنا منه أبوللون، بعيد القذائف، وخاطبه:
"أى هيكتور، يا ابن برياموس، لماذا أنت قابع هنا
بعيداً عن الباقيين وقد خارت قواك؟ قل لى هل أصابك مكروه؟"

- فأجابه هيكتور ذو الخوذة اللامعة بإعياء:
- "مَنْ مِنَ الآلهة أنت، أيها النبيل يامن تسألنى وجهاً لوجه؟
 ألا تعرف أنه بينما كنت أفتك بالمحاربين،
 عند مؤخرات سفن الأخيين ضربتني أياس
 البارع فى صيحة الحرب، فى صدرى بحجر فقضى على قوتى؟
 ٢٥٠ نعم، عندما كدت ألفظ روحى العزيزة
 اعتقدت أننى فى ذلك اليوم سأرى الموتى ومقر هاديس"
 فتحدث إليه الملك أبوللون، بعيد القذائف، مرة أخرى:
 "تشجع الآن، إنه لقوى ذلك المعين الذى أرسله ابن كرونوس
 ٢٥٥ من إيدا، ليقف إلى جانبك ويحميك،
 إنه فويبوس أبوللون ذهبى السيف، الذى
 طالما حماك من قبل، وحمى القلعة الشاهقة أيضاً.
 فلتأت، الآن، ولتأمر سائقى العجلات الحربية الكثيرين
 أن يقودوا خيولهم السريعة نحو السفن المجوفة
 ٢٦٠ وسأتقدمهم أنا نفسى، وسأشهد الممرات للخيول
 كلها وسأجبر الأبطال الأخيين على الفرار"
 ولم يكذبته حتى نفث قوة هائلة فى راعى الشعب
 ومثل جواد مربوط فى معلقه^(٢)، تغذى جيداً
 وفك قيده، يجرى منطلقاً فى السهل مثلها على الاعتسال
 ٢٦٥ فى النهر رائع الانسياب، صاهلاً ورافعاً رأسه عالياً،
 تميل خصلات لبدته على كتفيه وتحمله مفاصله برشاقة
 مزهواً بطلعته البهية، يجرى نحو مأوى الخيول ومراعيا
 هكذا كان هيكتور بمثل هذه الرشاقة، يحرك قدميه وركبتيه،

(٢) هذا التشبيه مكرر، إذ سبق أن ورد فى الكتاب السادس آيات ٥٠٦ وما يليه. (الغرس)

- ٢٧٠ مشجعاً سائقى عجلاته الحربية، عندما سمع صوت الإله.
وكما يحدث عندما يلاحق الريفيون و الكلاب
أيلاً ذا قرون، أو عنزة برية، فتنقذه
منهم صخرة منحدره، أو أليكة ظليلة
فلم يقدر لهم أن يصلوا إلى صيدهم، حينئذٍ يظهر
على صياحهم فى الطريق أسدٌ أشعث فيجبرهم، جميعاً،
٢٧٥ على الفرار عاندين، رغم لهفتهم على صيدهم.
هكذا كان الدانائيون يهاجمون محتشدين
ويضربون بسيوفهم ورماحهم ذات الحدين،
لكن ما أن رأوا هيكتور يهاجم صفوف رجالهم الأمامية
حتى أصابهم الذعر وخرت قلوب كل الرجال فى أقدامهم.
٢٨٠ عندئذٍ خطب فيهم ثواس بن أندرايمون خير الفرسان الأيتوليين،
الماهر جداً فى إطلاق الرمح وكان أيضاً باسلاً فى الاشتباك،
وفى الحديث أمام الجمع فى ساحة الاجتماعات وربما لا يفوقه
إلا أقل القليل من الآخرين، عندما يجتهد الشباب فى المناظرة.
٢٨٥ وبنية طيبة تكلم إلى مجموعهم قائلاً:
"انظروا الآن، الحق أن ما تراه عيناي هو العجب العجاب!
فكيف قام هيكتور الآن من جديد وتجنب القدر،
بعد أن تمنى قلب كل منا موته على يد أياس بن تيلامون.
٢٩٠ لكن أحد الآلهة نجى هيكتور وأنقذه مرة أخرى،
ذلك الذى حل ركب الكثيرين من الدانائيين.
وأحسب أنه سيعيد الكرة مرة أخرى على الفور، فدونما
مشينة زيوس ذى الرعد المدوى، ما كان (لهيكتور) أن يقف هكذا بطلاً
فى الصف الأول. تعالوا إذن وليطع الجميع ما أمر به
٢٩٥ لنجعل الحشود، الآن، تعود إلى السفن مرة أخرى

- أما نحن، من نزعم أننا الأقوى والأشجع
لنقف ولنكن أول من يصده ويرده
برماحنا المشهورة، فإنه سيهباب من أعماق
قلبه، رغم لهفته، أن يدخل وسط حشد الدانائيين"
- ٣٠٠ هكذا، تكلم، وأصفوا هم إليه تمامًا وأطاعوه،
فهؤلاء الذين كانوا في صحبة الثنائي أياس والأمير إيدومينيوس
وتيكروس وميريونيس وميجيس صنو أيريس
نادوا على القادة وصفوا صفوف المعركة
في مواجهة كل من هيكتور والطرواديين، لكن الحشود
من ورائهم تراجعت إلى سفن الآخيين.
- ٣٠٥ حينئذ، هاجم الطرواديين في حشود متلاصقة يقودهم هيكتور
متقدمًا بخطى واسعة، وذهب أمامه فويوس أبوللون
تطوق كتفيه سحابة، يحمل الدرع الرهيب (أيجيس)
وضاء البريق، المطوق بأهداب شعناء، وهو الدرع الذى أعطاه إله
الحدادة هيفايستوس إلى زيوس ليستخدم فى بث الرعب
بين الرجال، فحمله (أبوللون) فى يديه، بينما كان يقود الجيوش.
- ٣١٠ وكان الأرجيون فى حشود متلاحمة منتظرين قدومهم،
وقد علت صيحات القتال منوية من كلا الجانبين، ومن أوتار
الأقواس انطلق وليل الرماح وقد أطلقتها أيد قوية،
فغاص بعضها فى لحم المقاتلين البواسل، والكثير منها لم يصل
إلى اللحم الأبيض، بل طاش ووقع فى منتصف الطريق وانفرد.
منتصيًا فى الأرض وسط الطريق، وكلها عطشى للارتواء من النداء.
ومادام فويوس أبوللون قد أمسك الدرع أيجيس بيديه دونما حركة،
باتت فذائف الجانبين تصل إلى أهدافها، وتساقطت الحشود.
وما أن حدث (أبوللون) فى وجوه الدانائيين سريعى الخيول،
- ٣٢٠

- وهزّ الدرع، وصاح هو نفسه بقوة، حينئذٍ
وهنت القلوب فى صدورهم، وتلاشت قوتهم الشديدة.
ومتلما يحدث لقطع هائل من قطعان الثيران أو الأغنام
إذ يهاجمه وحشان ويطردانه فى فوضى، فى ظلمة
حالكّة، وقد باعته، فى غفلة من الراعى،
٣٢٥ هكذا كان الآخيون، إذ أصابهم ذعرٌ لا مُعين عليه.
حيث أحلّ أبوللون بهم الرعب، ومنح المجد للطرواديين ولهيكتور.
عندئذٍ اندلع القتال، وتبارز الرجال
فقتل هيكتور ستيخيوس و أركيسيلأوس.
٣٣٠ فكان أولهما قائداً للبيوتيين، أما الآخر
كان رفيقاً وقيّاً لمينيسثيوس شديد البأس.
وقتل آينياس ميدون وياسوس،
وكان ميدون ابناً غير شرعى لأويليوس الإلهى
فهو آخر أياس، لكنه أقام فى فيلاكى
بعيداً عن وطنه، ذلك لأنه قتل أحد أقارب
٣٣٥ إريوبيس زوجة أبيه، والتي تزوجها أويليوس.
أما ياسوس، فكان قائداً للأثينيين
إلا أنه كان يدعى ابن سفيلوس بن بوكولوس.
وقتل بوليداماس ميكستوس، أما بولييتيس فقتل إخيوس
٣٤٠ فى الجبهة الأمامية للقتال. أما أجينور الإلهى فقتل كلونيوس.
لكن باريس ضرب ديوخوس من الخلف، وهو يهرب فى مقمّة صفوف
المحاربين، ضربه عند أسفل كتفه، وغرس الرمح (فى لحمه). كان
(الطرواديون) على وشك أن يسلبوا الأسلحة عن هؤلاء، فى الوقت الذى
كان فيه الآخيون يتدفعون إلى الخندق المحفور المحاط بالتحصينات
٣٤٥ فارين مشتتين هنا وهناك، وأرغموا على الاختباء وراء التحصينات.

- صاح هيكتور عاليًا ونادى على الطرواديين:
 "هلموا إلى السفن، واتركوا الغنائم المملوطة بالدماء،
 ومن سأراه مُحجماً عن السفن
 سأدير موته فوراً وفي ذات مكانه، ولن يقدم له
 ٣٥٠ أقاربه أو قريباته حقه الواجب من النار للدفن بعد موته
 بل ستشهه الكلاب أمام مدينتنا"
- قال ذلك، وهوى بالسوط على خيوله بضربة قوية ونادى على
 الطرواديين عاليًا عبر الصفوف، فاستجابوا له جميعًا بصيحات مدوية.
 ومعه ساقوا الخيول التي تجر عرباتهم الحربية
 ٣٥٥ بصخب لا يمكن وصفه، وأمامهم فويوس أبوللون
 يحطم بقدميه فى يسر حافتي الخندق العميق
 ويلقى بهما فى وسطه، فأقام هكذا جسراً
 طويلاً وعريضاً بطول مرمى رمح، يقذف به محارب مجرباً قواه.
 ٣٦٠ فتدفقوا عبره فرقاً فرقاً يتقدمهم أبوللون
 حاملاً الدرع أيجيس النفيس، وقد حطم حائط الأخيين
 بسهولة، مثلما يبعثر صبي الرمال بجوار البحر لاعباً
 مثل طفل، يكوم للرمال أكواماً
 ثم يبعثها ثانيةً بيديه وقدميه وهو يلهو.
 ٣٦٥ بهذه البساطة بعثرت يا فويوس، يا رامى السهام، أعمال
 الأرجيين وجهدهم، وألقيت الرعب فى نفوسهم.
 وعندما مكث (الأرجيون) بجانب سفنهم
 وبناتوا ينادون الواحد على الآخر رافعين أيديهم،
 يبتهل كل منهم بحماس إلى الآلهة أجمعين،
 ٣٧٠ وبخاصة نيسطور الجيرينى حارس الأخيين

- الذى تضرع رافعاً يديه إلى السماء المزدانة بالنجوم قائلاً:
 "أبتاه زيوس، إذا كان أى رجل منا، حتى ونحن لا نزال فى
 أرجوس الغنية بالقمح، قد قدم لك السمين من فخذ ثور أو كبش قرباناً،
 ضارعاً أن يعود، وودعت أنت حينئذٍ وأومات برأسك
 ٣٧٥ فلتتذكر الآن هذه الأشياء، وقنا، ياسيد الأوليمبوس، من يوم
 لايرحم، ولا تدع الأخيين ينهزمون هكذا أمام الطرواديين"
 هذا ما قاله ضارعاً، فأرعد زيوس ذو النصح السديد بشدة
 عندما سمع تضرع الشيخ المسن ابن نيلبوس.
 ولما سمع الطرواديين رعد زيوس لابس الدرع أيجيس
 ٣٨٠ اشتد هجومهم على الأرجبيين واسترجعوا روح البسالة فى القتال.
 ومثلما تعصف موجة شديدة من بحر مديد،
 بجانبى سفينة، دفعتها قوة الرياح فتزداد الأمواج ارتفاعاً،
 هكذا اندفع الطرواديون فوق الحائط بزئير مدوٍ
 ٣٨٥ يسوقون خيولهم داخله، ويحاربون عند مؤخرات السفن
 من فوق الخيول برماح ذات حدين فى قتال مضطرم.
 وحارب (الأخيون) من فوق متون سفنهم السوداء التى تسلقوها،
 حاربوا برماح طويلة من تلك التى كانت ملقاة بجوار السفن لأجل
 المعركة البحرية، وكانت (رماح) مقواة مصقولة أطرافها بالبرونز^(*).
 ٣٩٠ وبينما كان الأخيون والطرواديون.
 يقاثلون، كان باتروكلوس - حول الحائط بعيداً عن السفن -
 جالساً فى خيمة يوريبيلوس المحارب طيب القلب
 يؤنسه بحديثه ويضمّد جرحه المولم بدواء، ليلطف من آلامه الرهيبة.
 ٣٩٥ وما أن رأى الطرواديين متدفعين تجاه الحائط،

(*) كانت هذه الرماح تستخدم لمنع الأعداء من ركوب السفن وكذا للدفاع عن السفن الراسية كما هو الحال الآن. (أخرى)

ورأى الدانائيين يتراجعون فلو لا تولول بصرخات مدوية
تأوه وضرب فخذه براحتي
يديه وصرخ في فزع قائلاً:

"أى يوريبيلوس، ابني لا أطيق أن أبقى هنا معك،

رغم شدة حاجتك، فالحق أن قتالاً شديداً احترم. دع الخادم يعتني بك،
٤٠٠ أما أنا سأسارع إلى أخيلوس لأحثه على أن يستأنف القتال.
فمن يعلم، إذ إنني، بمعونة الإله، قد أستطيع أن أحث روحه
بكلمات مقنعة؟ فشىء طيب إقناع الصديق"

٤٠٥ قال ذلك، ثم حملته قدامه إلى حيث شاء. وواجه الأخيون

بثبات هجوم الطروايين، إلا أنهم لم يتمكنوا من

صدهم عن السفن رغم قلتهم

ولم يقو الطروايدون، أيضاً، على أن يخترقوا صفوف الدانائيين
ويشقوا طريقهم وسط الخيام والسفن.

٤١٠ ومثلما ينجح النجار الماهر في جعل ألواح السفينة مستقيمة،
وذلك في يد صانع حاذق له معرفة ناضجة بكل أسرار حرفته
وبفضل رعاية أئينة، هكذا تواصل القتال بينهما متساوياً.
قائل بعضهم بعضاً عند هذه السفن أو تلك.

٤١٥ واتجه هيكتور نحو أياس المجيد

وباتا كلاهما يتقاتلان في كدح حول سفينة (واحدة)،

ولم يفلح أولهما أن يطرد الآخر ويحرق بالنار السفينة،

كما أن الآخر لم يدفعه، إذ كانت تلك مشينة الإله التي جعلته يشترب.

فأطلق أياس المجيد رمحه، وضرب صدر كاليبور

٤٢٠ بن كليتيوس وهو يحمل النيران إلى السفينة،

فسقط في صحبٍ وأفلت المشعل من يده.

وما أن رأى هيكتور ابن عمه يهوى

- في التراب على الأرض أمام السفينة السوداء،
نادى على الطرواديين واللوكيين بصيحة عالية قائلاً :
- ٤٢٥ "أيها الطرواديون واللوكيون والداردانيون المهرة في الاثنتياك
في المعركة، إياكم أن تتقهقروا في هذا المأزق،
بل انقذوا ابن كليتيوس، حتى لا يجرده الآخيون
من أسلحته، فقد سقط بين حشد السفن"
وإذ قال ذلك قذف أياس برمحه اليراق
فأخطأه. لكن ليكوفرون بن ماستور - حامل دروع
أياس وهو من كثير، و يقطن معه
لأنه كان قد قتل رجلاً في كثير المقدسة - ضربه (هيكور)
على رأسه، فأصاب أعلى أذنه بالبرونز الحاد
حين كان واقفاً بالقرب من أياس، فانطرح أرضاً في التراب،
وقد هوى من مؤخرة السفينة، وقد تراخت أوصاله واستسلمت للموت. ٤٣٥
فارتجف أياس ونادى أخاه قائلاً:
"أي تيوكروس الطيب، ألا ترى أن خير رفيق لنا قد قُتل،
إنه ابن ماستور، ظل إلى جوارنا وأقام معنا
عندما جاء من كثير، كرمناه في سكنانا كما نكرم أباعنا،
قُتل هيكور شديد لباس، فأين سهامك الآن ٤٤٠
سريعة الفتك، والفوس الذي أعطاك إياه فويوس أبولون؟"
وإذ قال ذلك، سمعه (تيوكروس) فأسرع ووقف قريباً من
(أياس) وقبض بيده على قوسه المقوس للخلف، ومعه جعبة
ملينة بالسهم، وأطلق سريعاً رماحه على الطرواديين.
فأصاب كليتيوس، ابن المجيد لبيسينور رفيق بوليداماس ابن الياسل ٤٤٥
لبانثوس، بينما كان ممسكاً بيديه الأعنة، ومنشغلاً بخيوله.

- إذ ساقها إلى هناك، حيث تحتم المعركة وتلتقى فرق المحاربين فى اضطراب لكى يرضى هيكتور والطرواديين. وفى التوجاه
- ٤٥٠ شراً مستطير لا يمكن لأى إنسان مهما أوتى من قوة ومهما كانت أمانيه أن يصدده، فالسهم القاسى انغرس خلف عنقه فسقط عن عجلته الحربية، وانحرفت خيوله جانباً، وقععت عجلاته الفارغة، وسرعان ما رمقها الأمير بوليداماس، فكان أول من أسرع تجاه الخيول
- ٤٥٥ فسلمها لأستينوؤس بن بروتياؤن وأصدر إليه أمراً صارماً بأن يراقب نتيجة المعركة ويجعل الخيول على مقربة منه، بينما عاد هو نفسه واختلط بصفوف المقدمة. ثم صوب تيوكروس سهماً آخر على هيكتور ذى الخوذة البرونزية وكاد يقعه عن الحرب عند سفن الأخيين،
- ٤٦٠ ويسلب حياته لو أصابه وهو يستعرض بسالته. لكنه لم يرغب عن عقل زيوس المحيط بكل شىء الذى حمى هيكتور، وسلب المجد من تيوكروس بن تيلامون. إذ شد تيوكروس الوتر المجدول بحذق على القوس الممتين، وبالفعول صوبه ضد (هيكتور)، واتحنى سهمه المصقول
- ٤٦٥ بالبرونز، وانطلق القوس من يده. إلا أن تيوكروس ارتجف، وخاطب أخاه:
- "ويحى، لقد حسم الإله، هكذا، خطط معركتنا، فأحبطها إذ أوقع القوس من يدي وقطع الوتر المجدول بإحكام متقن هذا الصباح
- ٤٧٠ ليقدر على حمل السهام التى ستطلق كثيفة منه وسريعة"
- فأجابه أياس العظيم ابن تيلامون:
- "أى صديقى، اترك قوسك، وسهامك الكثيرة كما هى، طالما عطلها إله من الآلهة، حقداً على الداناتيين.

- وخذ رمحاً طويلاً في يدك، وترسماً فوق كتفك
 ٤٧٥ وحارب الطرواديين، ولتذهب بقاى الجيش حماسةً.
 فرغم تفوقهم حقاً علينا، فلن يستولوا على سفننا
 مئينة المقاعد، دونما قتال، دعنا نسترجع متعة البسالة في الحرب!"
 وإذا قال ذلك، ترك تيوكروس القوس في الخيام،
 ووضع فوق كتفيه ترسماً رباعياً،
 ٤٨٠ وفوق رأسه القوية خوذة متينة المعدن،
 ذات عرف من شعر حصان، يشيع اهتزاز الريشة من فوقها رعباً
 وأخذ رمحاً قوياً ذا نصل برونزى حاد
 وسار مسرعاً ووقف إلى جانب أيلس.
 وما أن رأى هيكتور سهام تيوكروس وقد خابت،
 ٤٨٥ نادى على الطرواديين واللوكيين بصوت جهورى:
 "أيها الطرواديين واللوكيون والداردانيون المهرة في الاشتباك،
 كونوا رجالاً يا أصدقائى. وتفكروا فى بسالتكم وإقدامكم
 وسط السفن المجوفة، لقد رأيت بعينى حقاً وصدقاً
 كيف خابت، سهام قائد شجاع يتدبير زيوس.
 ٤٩٠ فمن السهل إدراك قدر العون الذى يقدمه زيوس للرجال،
 يدرك ذلك من يهيم مجد النصر،
 أو من يسليهم إياه، إذ لا يرغب فى مساعدتهم،
 كما هو الآن يضعف قوة الأرجيين، ويمنح العون لنا.
 فحاربوا، أنتم، متحدين فى حشود، عند السفن، ومن
 ٤٩٥ تدركه قذيفة أو طعنة سيف، ويلقى المصير المحتوم
 ليرقد فى سلام، إذ لا يعيبه ذلك الموت من أجل الوطن.
 ولتأمن زوجة (من يموت)، وأطفاله من بعده
 والأمان لمسكنه ولنصيبه من الأرض، فلن يلحقه أذى

- إذا عاد الأخيون بسفنهم إلى وطنهم الحبيب"
- ٥٠٠ ألهب، بقوله حماسة الرجال وأرواحهم بالقوة
ثم عاد أياس وصاح فى رفاقه:
- "أيها الأرجيون، يا له من عار، من المؤكد أننا إما
هالكون جميعًا، أو سنجد الخلاص بأن ندفع الخطر عن السفن
فما بالكم لو استولى هيكتور ذو الخوذة اللامعة على السفن،
٥٠٥ فهل يعود كل منكم إلى الوطن على قدميه؟
ألم تسمعوا هيكتور، يحدث جيشه بكامل حشوده،
وهو يتلطف لحرق السفن.
فالحق أنه لم يأمرهم بأن يأتوا إلى هنا للرقص، بل للقتال.
بالنسبة لنا فليس ثمة خطة أو نصيحة، سوى أن نتحد أدينا
٥١٠ ضدهم فى معركة ضروس وفاضلة. فخير لنا جميعًا،
إما أن نموت ونختفى للأبد، أو أن نكسب الحياة الكريمة،
فهذا خير من أن نحاصر طويلًا بجوار السفن فى صراع رهيب بلا
طائل على أيدى رجالٍ أقل منّا شأنًا"
وما أن قال ذلك حتى ألهب قوة كل رجل وروحه،
٥١٥ وقتل هيكتور، بعدها، سخيدوس بن بيريميدس
قائد الفوكيين، وقتل أياس لاوداماس
قائد المحاربين على أقدامهم، البن المجيد لأنتينور.
أما بوليداماس فصرع أوتوس من كيلينى
رفيق ابن فيليوس، قائد الإيبين قوى العزم.
٥٢٠ وشاهده ميچيس، فانقض عليه، لكن بوليداماس
تملص من تحته، فأخطأه ميچيس - لأن أبولون لم يسمح
بأن يقهر ابن بانثوس وسط محاربي المقدمة -

- لكنه أصاب كرويسموس برمية من رمحه
وقعت على صدره فسقط مرتطمًا، وبادر الآخر بتزاع أسلحته من
كتفيه، فانقض عليه دولوبس الرماح الماهر ٥٢٥
- ابن لامبوس فهو الذى أنجبه لامبوس بن لاؤميدون، إنه
أشجع أبنائه والأكثر مهارة فى القتال الضارى،
فهو الذى قذف برمحه، آنذاك، درع ابن فيليوس
مقترباً منه، لكن درع صدره المحبوك بمهارة والذى
كان يرتديه حماه، فهو مقوى بألواح معدنية. ٥٣٠
- وكان فيليوس قد أحضر هذا (الدرع) من خارج إفيرى، من نهر
سيلثيس، حيث أهداه إليه صديقه الضيف يوفيتيس ملك الرجال
ليرتديه فى المعركة ويقيه شر العدو،
والآن، حال الدرع دون إصابة جسد ابنه بالموت. ٥٣٥
- ثم قذف ميچيس برمحه الحاد أعلى تجويف الخوذة البرونزية
ذات العرف من شعر الحصان، التى كان يرتديها دولوبس
فجز (الرمح) منها العرف، وسقط العرف كله، على التراب،
وكان يتألق فى صبغته الأرجوانية الجديدة.
بينما ظل (ميچيس) يحارب (دولوبس) وكله أمل فى النصر. ٥٤٠
- ولاسيما عندما جاء مينيلأوس محب الحرب ليساعده.
إن جاء إلى جانبه حاملاً رمحه دون أن يراه (دولوبس)،
وقذفه، فأصابه خلف كتفه، وغاص الرمح لضرواته
ورصل إلى صدره، فاندفع إلى الأمام، وانكفاً على وجهه.
فأسرع نحوه الاثنان ينزعان الأسلحة البرونزية عن كتفيه. ٥٤٥
- لكن هيكتور نادى أقاربه جميعهم،
وكان ميلانيبوس القوى بن هيكتاؤن^(*) أول من وبخه،

(*) هيكتاؤن هو أخو برياموس. (المحرر)

- إذ كان، حتى ذلك الوقت، يطعم قطعانه بطينة الحركة
 فى بركوتى، عندما كان الأعداء لا يزالون بعيدًا.
 وما أن جاءت سفن الداناتيين المقوسمة
 ٥٥٠ عاد إلى إيون، وكان مرموقًا بين الطرواديين
 فأقام عند برياموس الذى رعاه باحترام كأحد أبنائه.
 عنّفه هيكتور وخاطبه قائلاً:
 "أى ميلانيبيوس، كيف لنا أن نتهاون هكذا؟
 ألم ينتبه قلبك العزيز لموت قريبك؟
 ٥٥٥ ألم تر كيف يعبتون بأسلحة دولويس؟
 لكن، تعال، فلم يعد يجدى أن تحارب الأرجيين
 من بعيد، فإما أن تنقض عليهم أو يستولون هم على إيون،
 من قمتها وحتى قاعها، ويقتلون شعبها"
 قال ذلك ومضى يتبعه الرجل شبيه الآلهة (ميلانيبيوس).
 ٥٦٠ وحثّ آياس العظيم بن تيلامون الأرجيين قائلاً:
 "أى أصدقائى، كونوا رجالاً، واشعروا بالحياء فى قلوبكم
 وليخجل كل من الآخر فى خضم هذا الصراع العنيف.
 فإذا شاع بينكم الحياء أنقذ منكم أكثر مما قتل.
 أما الفارون، فلن يلحقهم مجدٌ أو نفع"
 ٥٦٥ وما أن قال ذلك، حتى تحمس جميعهم للدفاع
 واختزنوا فى قلوبهم كلمته، وطوقوا السفن
 بسياج من البرونز، بينما كان زيوس يحرض الطرواديين ضدهم.
 وحثّ، مينيلأوس، الباراع فى صيحة الحرب، أنتيلوخوس:
 "أى أنتيلوخوس، ليس من بين الأخيين من هو أكثر شبانًا
 ٥٧٠ وعفوانًا منك، ولا من هو أسرع من قدميك، ولا من هو أبسل منك

- في الحرب. فماذا لو تهاجم على واحد من الطرواديين وتقتله؟
وعاود الإسراع، بعد أن قال ذلك، بعدما أشعل حماسة
(أنتيلوخوس) الذي وثب بين محاربي المقدمة، وتلفت حوله،
بنظرات خاطفة حذرة فصوب برمحه البراق، فترجع
الطرواديون مسرعين بعيدًا عن الرجل، فهو لم يطلق
قذائفه هباءً، بل أصاب ميلانيبيوس بن هيكتاؤون، قوى الهمة
وهو قادم إلى المعركة، أصابه في حلمة ثديه
فسقط معشياً عليه، وغامت عيناه في الظلمة.
فهاجم عليه أنتيلوخوس، كما يهجم الكلب
على طيبي صغير أصابه القناص بجرح
وهو يثب من جحره، وأرعى أطرافه.
هكذا، يا ميلانيبيوس، هجم عليك أنتيلوخوس العتيد
لينزع عنك أسلحتك، بيد أنه لن يخفى عن هيكتور
الإلهي، الذي هرع من وسط صفوف القتال للقائه.
ولم يبق أنتيلوخوس في مكانه، رغم أنه محاربٌ ماهرٌ
بل فر كوحشٍ ارتكب سوءاً، بأن قتل كلباً أو راعيًا بجوار قطعانه
ثم هرب قبل أن تدركه جموع الرجال المطاردين له
هكذا هرب ابن نيسطور، بينما الطرواديون وهيكتور
يمطرونه بقذائف قاسية يصاحبها صياح عجيب.
غير أنه عاد إلى جموع رفاقه
ووقف، ثم هجم الطرواديون على السفن، وكانهم
أسود ضارية، ينفذون ما قدره زيوس
الذي طالما بثَّ فيهم عزيمةً ثائرة، وأخذ الحماس في قلوب
الأرجبيين، وسلبهم المجد، وشجّع الآخرين.
فقد عزم قلبه على أن يمنح المجد لهيكتور

٥٧٥

٥٨٠

٥٨٥

٥٩٠

٥٩٥

- بن برياموس، حتى يستطيع أن يلقى على السفن المقوسة
ناراً متوهجة، لا تخبر، ويحقق لثيتيس بذلك وحتى النهاية
دعاءها المسرف، وبات زيوس ذو النصح السديد ينتظر ذلك
٦١٠ علّ عينيه ترمقان وهج سفينة مشتعلة
ومن الآن فصاعداً، شرع يرتب انسحاب
الطرواديين من السفن، ويمنح الداناتيين المجد.
وذلك ما فكّر فيه عندما حرّض هيكتور
بن برياموس ضد السفن المجوفة، والذي كان هو نفسه أشد لهفةً
٦١٥ وثورة، مثل آريس الرّماح، أو كثار ضارية
تستعر وسط الجبال في أعماق غابة كثيفة
غطى الزبد شفتيه، وعيناه شاخصتان تبرقان
أسفل حاجبين رهيبين. واهتزت خوذة هيكتور
حول وجنتيه بصخب، بينما كان يحارب
٦١٠ ويحميه زيوس بنفسه من السماء، ويمنحه
الشرف والمجد، دون غيره من بين المحاربين.
حيث كان مقدراً أن يكون أجله قصيراً.
وكانت باللاس أثينة، من الآن تُعجل
بيوم هلاكه على يد ابن بيليوس وقوته الفتاكة.
٦١٥ كان (هيكتور) تواقاً لاقتحام صفوف الرجال
فحاول ذلك أينما رأى تكتلاً كبيراً وأسلحة عظيمة.
بيد أنه، رغم لهفته، لم يقو على الاقتحام
وظلوا صامدين، كما لو أنهم قلعة، تشبه صخرة ناتئة
شديدة الانحدار، هائلة وصلبة، بجوار بحر رمادي،
٦٢٠ تتجلى في مهيب ربح عاصفة عاتية،
حيث الأمواج العالية أمامها.

- بمثل تلك الصلابة قاوم الداناتيون الطرواديين، ولم يتراجعوا،
إلا أن (هيكتور) وثب وسط الجموع، متوهجاً كاللهب.
نزل في وسطهم، كما تسقط تحت السحب موجةً مجنونة
٦٢٥ دفعتها الرياح على سفينة مسرعة، فغمرتها
عن آخرها بالزبد، وجأرت في حبال الصاري عاصفة
الرياح الهوجاء، فارتجفت قلوب البحارة
رعياً، وقد رأوا أنهم على وشك الهلاك.
هكذا كانت قلوب الأخيين في صدورهم ممزقة،
٦٣٠ إذ انقض عليهم (هيكتور) بشهوة جموح للاقتراس، كأسد
نزل على قطيع لا يحصى، يرعى في أرض منخفضة
في مستنقع رطب، فيه راع غير متمرس في
قتال مثل هذا الوحش الذي صرع عجلأ ملتوى للقرنين،
وإلى جانب القطيع يمشى الراعي تارة في المقدمة
٦٣٥ وأخرى في المؤخرة، فينقض الأسد على الوسط
ليلتهم عجلأ، ويفر باقي القطيع مذعوراً.
هكذا، فزع الأخيون جميعاً بشدة من هيكتور وزيوس الأب.
قتل هيكتور رجلاً واحداً: بيريفيتيس من موكيناي
البن العزيز لكبيريس (القبرصية)، الذي حمل رسائل
٦٤٠ الملك يوريسثوس إلى هرقل الجبار.
ورغم أن الأب كان أقل شأناً (من ابنه) بكثير، إلا أنه
أنجب ولداً يبه في الفضائل جميعاً، سرعة القدمين
والقتال، والفتنة. كان أول الموكينيين
الذي قدم مجد النصر لهيكتور
٦٤٥ حيث تعثر، وقد استدار للخلف في حافة الترس
الذي كان يرتديه وقد وصل إلى قدميه، ليحميه

- من الرماح، تعرّض به، فوقع وعندما سقط صلصلت الخوذة
بصخب حول وجنتيه. وسرعان ما لمح هيكتر، فجرى نحوه
٦٥٠ وغرس رمحه فى صدره، وقتله أمام رفاقه
الأعزاء الذين لم يَمكنوا من نجده، رغم تألمهم
لصديقهم، ففز عهم الرهيب من هيكتر الإلهى كان يغلبهم.
كادوا يصلون إلى وسط السفن، تحيطهم السفن من الأطراف
تلك التى سحبوها إلى الصف الأول، لكن باغتهم (الطرواديون)
٦٥٥ وتقهّر الأرجيون من السفن الأمامية
مرغمين، ومكثوا إلى جوار خيامهم
متكتلين، ولم ينتشروا عبر المعسكر، حيث تملكهم خزي
وخوف، وطفق كل منهم يستحث الآخر دون توقف
لاسيما نيسور الجيرينى، حارس الأخيين
٦٦٠ (الذى) توسل إلى كل رجل وهو يقسم بأبائه:
"أيها الأصدقاء، كونوا رجالاً، وأشعروا بالحياة فى قلوبكم
كغيركم من الرجال الآخرين، وليتذكر كل منكم
صغاره وزوجته وممتلكاته ووالديه
٦٦٥ أحياء كانوا أو أمواتاً. إننى أتوسل إليكم، من أجل
العائبين عناً، أن تقارموا بصلابة ولا تتقهروا مذعورين"
قال ذلك فألهب قوة كل رجل وروحه وأزاحت أثينة سحابة
ضباب عن أعينهم، وبرز النور ساطعاً عليهم من كلا الجانبين
٦٧٠ من ناحية السفن، ومن ناحية الحرب المتكافئة.
فتبينوا هيكتر القوى فى صيحة الحرب ورفاقه
أولئك الذين وقفوا جميعاً فى المؤخرة ولم يحاربوا،
وكذلك جميع من شنوا الحرب الشعواء عند السفن السريعة.
ولم يعد يشفى غليل روح أياس شديد العزم

- ٦٧٥ أن يقف، حيث يقف الآخرون من أبناء الأخيين، في منأى عن القتال.
بل أخذ يسير بخطو واسع فوق ظهر السفن
ممسكاً برمح طويل في يديه
موصول بأبازيم ويبلغ من الطول اثنتين وعشرين ذراعاً.
ومتلماً يسرج فارس فائق البراعة
- ٦٨٠ أربعة خيول اختارها من بين أسراب (الحياد)،
فيسوقها في طريق سريع من سهل إلى مدينة عظيمة
عبر طريق عام، فيعجب به الكثيرون
رجالاً ونساءً، وبخطوة وثقة
يثب من (حصان) إلى آخر، وهي مسرعة كأنها تطير.
- ٦٨٥ هكذا كان أياض يقفز بخطو واسع فوق
ظهر السفن السريعة، حتى بلغ صوته عنان السماء
وهو ينادى على الدانائيين، بصيحات رهيبة
ليدافعوا عن سفنهم وخيامهم. غير أن هيكتور لم
يمكث ساكناً وسط جموع الطرواديين المسلحين،
لكنه كصقرٍ أسمر مائل للاصفرار انقض على سرب
من طيور مجنحة تأكل على ضفة نهر
- سرب من الأوز البري أو الفرانيق أو البجع طويل الأعناق -
هكذا، انقض هيكتور على سفينة مقدمتها قائمة.
مندفعاً تجاهها مباشرة، وقد دفعه زيوس بيدٍ بالغة القوة
من الخلف، فألهب حماس الحشد معه في آن واحد.
- ٦٩٥ وبإلها من معركة وحشية، تلك التي عاودت الاندلاع عند السفن،
فلك أن تقول إنهم واجهوا بعضهم البعض
دونما كلل أو هوادة في المعركة، كانوا يقاتلون في ضراوة.
ولكن كان كل فريق يحمل في قلبه أفكاراً مختلفة: فقد كان الآخيون

- ٧٠٠ يقولون إنهم لن يفلتوا من السوء، وسيهلكون لا محالة.
أما الطرواديين، فتمنى قلب كل واحد منهم في صدره
أن يحرق السفن، ويقتل أبطال الآخيين
تلك كانت أمانيتهم، عندما صمد كل جيش في مواجهة الآخر.
غير أن هيكتور أمسك مؤخرة سفينة ماخرة عباب البحار
متألقة تسرع فوق المياه، هي التي حملت بروتيسيلائوس
٧٠٥ إلى طروادة، إلا أنها لم تعد به ثانية إلى أرض الوطن.
وحول سفينته كان الآخيون والطرواديون يفتك
كل منهم بالآخر في التحام مباشر،
دون انتظار لإطلاق السهام والرمح،
٧١٠ بل وقف كل فريق لصيقاً بالآخر
وبعقل واحد وبقلب واحد حاربوا ببلطات حربية حادة وبليطات
وسيوف هائلة، ورمح ذات حدين.
وتساقطت على الأرض سيوف كثيرة رائعة محاطة مقابضها بسيور
بعضها (سقط) من أيادي الرجال وهم يحاربون
وبعضها من فوق أكتافهم، وقد فاضت الأرض السوداء بالدماء.
٧١٥ وما أن أمسك هيكتور بمؤخرة السفينة، حتى أحكم قبضته
ولم يدع ذيل السفينة يقلت من يده، وحث الطرواديين صائحاً:
"أحضروا النيران، وألهبوا بها صيحات القتال، كلكم
بصوت واحد، فقد منحنا زيوس، يوماً جليلاً من بين كل (الأيام)
حتى نستولى على السفن التي جاءت إلى هنا دون إرادة الآلهة،
٧٢٠ وأنت علينا بويلات عديدة بسبب تقاعس الشيوخ
الذين باتوا يمنعونني، وأنا متلهف لأن أحارب
عند مؤخرات السفن، وعاقوا الجيش
وإذا كان زيوس، بعيد النظر، قد عطل خططنا من قبل

- ٧٢٥ فإنه الآن هو نفسه يحرّضنا ويأمرنا"
 وإذ قال ذلك، ازداد هجومهم على الأرجيين
 ولم يصمد أياس طويلاً، فكان محاصرًا بالرمح
 وتراجع قليلاً، ظناً منه أنه هالك تاركاً متن السفينة متينة الاتزان،
 إلى ممر خشبي مؤقت طوله سبعة أقدام.
- ٧٣٠ ووقف مراقباً وظل يصدُّ برمحه
 كل من يفكر من الطرواديين أن يحضر ناراً مستعرة إلى السفن،
 وراح يستحث الدانائيين بصيحات مرعبة:
 "أى أصدقائي، أيها الأبطال الدانائيون، يا أتباع آريس
 كونوا رجالاً، أيها الأصحاب، واستنفروا قوتكم للباطشة
 ماذا إذن! أنظن أن ثمة مساعدين خلفنا،
 أو أن هناك حصناً منيعاً يصد الهلاك عن الرجال؟
 إنه لا توجد على مقربة منا مدينةً حصينة بأبراج
 تلجأ إليها، أو بها من الجيوش ما يمكنها من تحويل دفة القتال،
 لكننا متمركزون في سهل الطرواديين المسلحين،
 دونما شيء يحمي ظهرنا سوى البحر، بعيداً عن أرض الوطن.
 ولذا فإن نور الخلاص يكمن في قوة أيدينا وليس في التقاس
 عن الحرب".
- قال ذلك، وراح يطير برمحه الحاد ثائراً
 ومن يقترب من الطرواديين من السفن المجوفة
 بنيران مشتعلة، مندفعاً بفضل صيحات هيكتور
 ينتظره أياس، وبرمية من رمحه الطويل، بصيبه بالجروح،
 فأصاب اثني عشر رجلاً، في اثنتيك أمام السفن.
- ٧٤٦

الكتاب السادس عشر



ترجمة السيد عبد السلام الهراوى

- حول السفن ذات المقاعد الممتية، كانوا يحاربون،
واقترب باتروكلوس من أخيليوس راعى الشعب،
يذرف دمعاً ساخناً كنافورة ماء قائم
تدفع بتيارها العكر إلى هوة منحدر صخرى.
٥ فلما رآه أخيليوس الإلهى سريع القدم
خاطبه بكلمات مجنحة قائلاً:
- لماذا، إذن، تذرف دمعاً، يا باتروكلوس، كطفلة صغيرة
تلاحق أمها لتتوسل أن تحملها،
تتعلق بردائها وتعرقل خطوها السريع،
١٠ وترنو إليها مستعطفة بالدموع لعلها تقبل حملها؟
هكذا أنت تبدو، يا باتروكلوس، ينهمر منك الدمع رقيقاً.
ألا ذك شيء تقوله للميرميدونيين، أو (تقوله) لى؟
أم أن ثمة رسالة من فثيا، أنت وحدك، من سمعها؟
يقولون إن مينويثيوس، ابن أكتور، لم يزل حياً،
١٥ وإن بيلبوس ابن أياكوس حى أيضاً، بين الميرميدونيين.
فموت هذين الاثنين بالذات هو الذى يمكن أن يستدر بحق دموعنا.
أم أنك تنتحب على الأرجبين الذين، هكذا، يهلكون
فى سفنهم المجوفة، بسبب تخطيهم الحدود؟
لا نكتم ما بقلبك، قلها علانية، ولنعلمها معاً
- ٢٠ أجبته، أيها الفارس باتروكلوس، وأنت تتن بمرارة:
"أى أخيليوس، يابن بيلبوس، يا أعظم الأخيين قوة
لا تغذى غضبك، فالحزن المرير يعصف بالأخيين.
كانوا الأفضل والأقوى، فى ذات يوم مضى
والآن، يرقدون جرحى، تحصدهم القذائف عند السفن.

- ٢٥ هذا حال ديوميديس بن تيديوس القوى
وكذا أوديسيوس الشهير برمحه وقد جرح، وأجاممنون
ويوريبيولوس وقد قذف بسهم في فخذه.
إن الأطباء، ذوى الخبرة فى المداواة، يرعونهم،
يداون الجروح، وأنت، يا أخيلئوس، لم تزل بلا حيلة.
- ٣٠ ليتتى أنا الذى أختزن ما تحتفظ به من غضبك،
يا لها من قوة ملعونة ! لكن أى جيل تال سيفيد منك ومن قوتك
إن لم تدفع عن الأرجيين هذا الدمار المخزى؟
يا لقسوتك، لا يمكن حقاً أن يكون والدك هو الفارس بيلئوس!
وأن تكون أمك هى ثيتيس، أنت أنجيك البحر الرمادى
- ٣٥ والصخور قاسية الانحدار، لذا قرأسك صلبة.
لكن إذا كان عقلك يهرب من تحذير إلهى ما،
ربما أسره إليك زيوس عن طريق أمك الإلهة،
فلا أقل من أن ترسلنى أنا على الفور على أن يتبعنى باقى جيش
الميرميدونيين، فرما أجب نورا للدانائيين.
- ٤٠ فاعطنى أسلحتك واسمح لى أن أحملها على كتفى،
فرما يخطيء الطرواديين لو رأوها عن بعد ويطنوننى أنت،
فيكفوا عن القتال، وعندئذ يستطيع المحاربون المتعبون أبناء الأخيين
أن يلتقطوا أنفاسهم، فكم يتضاؤل زمن التنفس فى المعارك!
وقتها، ربما أمكنا نحن - غير المتعبين - أن نطرد إلى المدينة
- ٤٥ هؤلاء المحاربين المتعبين، بعيداً عن السفن والتكنات"
تكلم فى ضراعة، وما أحمقه،
فالموت ومصيره القاسى ينتظرانه، وهذا هو حقاً حصاد ما تضرع به.
فرد عليه أخيلئوس سريع القدم قائلاً فى انزعاج:
" ما هذا الذى تفوهت إلى به، يا باتروكلوس، يا سلئل زيوس؟

- ٥٠ فأتنا بالنبوءات، أيًا تكون، لا أبالي
ومن زيوس، لم يأتنى شيءٌ عبر المليكَة أُمى،
لكنَّ الحزنَ يسممُ قلبى وروحى.
فَعندما يستبِدُّ الرجلُ الحاكمُ فى حرمانِ قرينه المماوِى له من نصيبه،
يعميه سلطانه فيسلبُ قرينه مكافأته.
- ٥٥ كم عانتِ روحى من مرارة تجلب أَلما حزينا!
فحتى السبية مكافأتى التى منحها لى أبناء الأخيين
جزاء ما حصده رمحى من المدينة الحصينة^(٢).
سلبها من بين يدى الملك أجاممنون
بن أترىوس، كما لو كنت غريبًا أو عابر سبيل ليست له كرامة.
- ٦٠ ومع ذل فلندع الماضى يمر، فلا يلىق
بإنسان أن يحبس نفسه فى الغضب للأبد، بيد أنه فيما
أظن من غير الممكن أن أتخلى عن غضبى، حتى يحين الوقت
وتأتى صيحة المعركة، ويشتعل القتال عند سفنى.
ومع ذلك ضع أسلحتى المجيدة على كتفك
- ٦٥ وقد الميرميدونيين محبى الحروب إلى القتال.
فغمام الطرواديين المعتم متكتل يحاصر
السفن فى قوة، بينما دفع حشد الأرجيين قريبًا من شاطئ البحر،
ولم يتيق لهم سوى قطعة منحسرة من اليابسة.
- ٧٠ خرجت مدينة الطرواديين كلها ضدهم
وقد امتلأوا ثقة، لأنهم لم يلمحوا ذواية خوذتى
تتلاألأ عن قرب، وإلا فكأنوا، فيما أظن، سيهرعون فرارًا
وكانت ستمتلىء مجارى المياه بجثثهم لو أن الملك أجاممنون، فقط،
عاملتى بلطف. إلا أنهم، الآن، يحاصرون جموعنا من كل اتجاه،

(٢) هى ليرنيسوس Lyrnessos التى ورد ذكرها فى الكتاب الثانى بيت ٦٩٠. (اغرن)

- ولم يعد الرمح يثور في جموح بيد ديوميديس بن تيديوس
 لكى يدفع الموت والهلاك عن الدانائيين.
 ٧٥ حتى الآن، لم أسمع صياح ابن أتريوس
 يعلو من فمه الكريه، (لكنى أسمع) صوت هيكتور قائل الرجال
 يجلجل حولي، أمراً الطرواديين، الذين يملأون السهل
 بصيحات النصر، إنهم الآن يهزمون الأخيين في المعركة.
 ٨٠ رغم هذا، يا باتروكلوس، لتدفع الدمار عن السفن
 أهاجم عليهم بقوة خشية أن يدمروها بنيرانهم
 ويحرمونا من عودتنا المنشودة للوطن.
 الآن، فلتصت، لأسكب النصائح في تيار عقلك.
 لعلك تجلب لى - على يد كل الدانائيين - تكريماً
 ٨٥ ومجداً أبديين، فيردون إلى الفتاة الحسنة
 كما يغدقون لى الهدايا الرائعة.
 اطرده الأعداء من السفن وعد ثانية، لكن إذا منحك،
 زوج هيرا، ذو الرعد المدوى، مجداً تطرب له نفسك
 فلا تطمع في أن تخوض المعركة دونى
 ٩٠ ضد الطرواديين محبى النزال، فأنت حينئذ تنقص من قدر مكافأتى.
 لا تدع نشوة الفخر، لضراوة النزال
 وقتل الطرواديين تصيبك، ولا تقدر (الحشد) إلى إليون
 خشية أن يهبط إله خالد من الأوليمبوس
 ضدك فأبوللون - بعيد القذائف يحبهم ويؤازرهم
 ٩٥ ويمجرد أن تجلب نور الخلاص للدانائيين عند السفن
 ارجع واترك للباقيين المعركة في السهل.
 أيها الأب زيوس، ويا أثينة، ويا أبوللون،
 ليت لا ينجو من الموت أحد من الطرواديين، أيًا كان عددهم

- ولا من الأرجيين أيضًا. ابعثوا عنا - نحن الاثنين فقط - الهلاك
 ١٠٠ حتى نمزق - نحن الاثنين فقط -، تاج طروادة المقدس"
 وبينما كان الحديث يدور بينهما
 لم يعد أياص يصمد حيث حاصرته القذائف.
 أخضعته مشيئة زيوس وكبرياء الطرواديين وبراعتهم،
 وظلت خوذته المصقولة حول خديه تجلجل
 ١٠٥ بقوة، كلما أصابتها القذائف المنهالة
 على المعدن المتين الواقى لخديه. أما كتفه
 اليسرى فقد أنهكها التعب، تحت وطأة درعه البراق. ومع ذلك لم
 يستطيع الأعداء رغم قذائفهم العاتية، أن يميظوا الدرع من فوقه.
 كانت أنفاسه تتحشرج بصعوبة، وتصبب العرق من أطرافه
 ١١٠ ليغمر جسده، و لم يتوقف لحظة
 ليلتقط أنفاسه، كانت المصائب حوله تتراكم على المصائب.
 أخبرنني، الآن، ياربات الفنون (الموساي)، يا من تقطن
 الأوليمبوس كيف، ومنذ البداية، أتت النيران على سفن الأخيين؟
 تقدم هيكتور وضرب بسيفه العظيم رمح
 أياص الرمادي، عند طرفه، في أسفل سنه الحاد
 ١١٥ فشقّه تمامًا. أما أياص التيلاموني العظيم
 فكان يلوح عبثًا، وفي يده رمح مكسور لا رأس له،
 حيث سقط نصل للرمح النحاسي على الأرض يدوي بعيدًا عنه.
 حينئذ، ارتجف أياص، وبقلبه الجسور أدرك
 ١٢٠ أفعال الآلهة، التي أقسدت كل خططه في المعركة.
 فزيوس ذو الرعد المدوي يرغب في النصر المؤزر للطرواديين.
 واشتعلوا نيرانًا لا يحمد أوارها في السفينة السريعة.

- وعلى الفور ودون توقف انتشر اللهب فى كل مكان.
اندلعت النيران بمؤخرة السفينة، إلا أن أخيلوس
١٢٥ وهو يضرب فخذه وخاطب باتروكلوس قائلاً:
"انهض يا باتروكلوس يا سليل زيوس، أيها الفارس البارح
انظر، لهب النيران يلتهم السفن، أخشى أن
يستولوا على السفن، فلا يبقى لنا طريق للهرب.
أسرع وتسلح بسلاحى، بينما سامضى لإستئارة همة الجيش"
١٣٠ هكذا تكلم (أخيلوس)، وشرع باتروكلوس يلبس
أسلحته المصقولة، شد أولاً دروع الساق برشافة حول ساقيه،
وثبتها بأبازيم فضية عند كاحليه، أحاط كامل صدره بدرع
سليل أياكوس سريع القدم، وكان زاهياً مرصعاً بنجوم زاهرة.
١٣٥ وضع على كتفيه، سيفاً مرصعاً بالفضة،
كان السيف برونزياً مصقولاً بمهارة،
وضع خوذته الصلبة على رأسه القوية
مزينة بعرف من شعر الجياد، الذى يتدلى فيثير الرهبة.
وأمسك، أخيراً، برمحين عظيمين يلائمان قبضتيه
١٤٠ لكنه لم يأخذ رمح سليل أياكوس الذى لا نظير له
ذلك الرمح الثقيل الحاد، حيث لا يمكن لأحد غيره من الأخيين
السيطرة عليه، فأخيلوس، دون غيره، هو من يستطيع ترويضه.
صنع الرمح من شجرة دردار فوق جبل بيليون، منحه خيرون لوالده
الحبيب، فهو رمح انحدر إذن من قمة جبل بيليون؛ هلاكاً للأبطال.
١٤٥ على الفور أمر أوتوميدون أن يضع النير على أعناق الخيول
(أوتوميدون) الذى كان (باتروكلوس) يبجله
كثيراً جداً على نحو يلى أخيلوس مشتت صفوف المحاربين

- وكان فى نظره الأكثر إخلاصاً من غيره فى الصمود فى خضم
صخب القتال. وبأمره قاد أوتوميدون الجياد تحت النير بسرعة:
كسانثوس وباليوس السريعين اللذين يطيران مثل الرياح.
١٥٠ وهما اللذان أنجبتهما بودارجى إحدى الهاربيات لريح الغرب
زيفروس. إذ كانت ترعى فى مرج بجانب مجرى الأوكيانوس.
وكذلك بيداسوس، شده (أوتوميدون) إلى العنان
ذلك (الجواد) الذى لا يبارى أتى به أخيلIOS عندما نهب مدينة إيثيون
ورغم كونه فانياً، فقد كان يشارك الخيول الخالدة.
١٥٥ فى نفس الوقت كان أخيلIOS يتجول هنا وهناك
بين الخيام أمراً رجاله الميرميدونيين جميعاً بالسلح وارتداء الدروع.
وكانوا كالذئاب المفترسة تعتمل فى صدورهم قوة لا توصف.
قتلت (تلك الذئاب) أيلأ برياً ترعرع قرنه فى الجبال،
نهشته حتى تخضبت أفواهها بالدماء،
١٦٠ ثم ذهب معاً إلى ينبوع ذى مياه قائمة ،
ارتشقت بألسنتها النحيلة ماءً عكراً،
وتساقط نقاط الدم من فكها، وكانت قلوبها
مفعمة بالتحفز، ويطونها منتفخة.
احتشد القادة وأصحاب الرأى الميرميدونيون
١٦٥ التفوا، جميعاً، حول الرفيق الوفى لسليل أياكوس، سريع القدم
يفف أخيلIOS الشجاع، بالطبع، بينهم
معرضاً الجياد والرجال لأبسى الدروع، (على القتال)
كانت خمسون سفينة سريعة تحت قيادة أخيلIOS
جيب زبوس، وقد أبحر إلى طروادة
١٧٠ فى كل منها جلس خمسون رجلاً من أتباعه عند مساند المجاديف
عين لهم قادة خمسة محل ثقته، يعطون

- إشارات يرسلها إليهم، فهو ملك قوى له القيادة العليا.
 كان مينيسثيوس ذو درع الصدر اللامع قائد المجموعة الأولى
 (مينيسثيوس) بن سيرخيوس، ذلك النهر المتدفق من زيوس (السماء)
 ١٧٥ و (أمه) بوليدورى الجميلة ابنة بيليوس.
 أنجبته لسيرخيوس الذى لا يكل، امرأة سلمت نفسها لإله.
 ومع ذلك عرف على أنه ابن بوروس بن بيريريس
 الذى زف إليها علناً وقد قدم هدايا ثمينة.
 وقاد المجموعة الثانية يودوروس الشجاع
 ١٨٠ ابن بوليميلى الجميلة البارعة فى الرقص، تلك العذراء
 ابنة فيلاس التى شغفت صياد أرجوس القوى حياً،
 عندما تملئ منها بعينيه وهى تغنى وسط العذارى
 فى رقصة تحنق بأرتميس ذات السهام الذهبية.
 انسل، بعد ذلك مباشرة، إلى حجرتها وشاركها الفراش سراً
 ١٨٥ الإله هرميس جالب الخير، فوضعت له ولداً
 هو يودوروس المجيد، سريع القدمين قوى العراك.
 بعد آلام المخاض أتت به إيليثويا إلهة المهد
 إلى النور، حيث طالع نبع الشمس، وقاد إخيكليس
 بن أكتور شديد البأس (بوليميلى) إلى منزله
 ١٩٠ وأغدق عليها من هدايا الزواج مالا يحصى
 ويات أبوها المسن فيلاس يربى (يودوروس) ويحسن
 رعايته شاملاً إياه بالحب تماماً كما لو كان ابنه.
 وكان بيساندروس قائد المجموعة الثالثة، إنه
 للقائد الشجاع ابن مايمالوس الذى يفوق الميرميدونيين جميعهم
 ١٩٥ فى القتال بالرمح بعد (باتروكلوس) رفيق ابن بيليوس.
 وكان فوينيكس، الفارس الأسن (قائداً) للمجموعة الرابعة

- وكان الكيميدون؛ الذى لا نظير له ابن لائيركيس، (قائد) المجموعة الخامسة وما أن صفهم أخيلويس جميعاً مع قادتهم ألقى فيهم كلمة صارمة قائلاً:
- ٢٠٠ "أيها الميرميدونيون، لا تدعوا أحداً منكم ينسى التهديدات التى هددتم بها الطرواديين بجوار السفن السريعة. إبان فترة غضبى، ولقد أنبئى كل فرد منكم قائلاً: أى ابن بيلويس العنيد، لقد أرضعتك أمك الضغينة يا عديم الرحمة، يا من تحتجز رفاقك مكرهين عند السفن،
- ٢٠٥ ليتنا على الأقل نعود، إلى ديارنا بسفننا عابرة البحار فقد غمر قلبك الغضب المهلك.
- بمثل هذه الكلمات فى مجموعات هاجمتمونى، وما هى الآن حرب عظيمة تنتظركم ولطالما تمنيتموها فيما سبق. فليحارب كل منكم الطرواديين بقلب شجاع"
- ٢١٠ خرجت منه الكلمات تستدر القوة وتستفز شجاعة كل رجل اصطفت الصفوف متلاصقة عندما سمعوا مليكهم. ومثلما يرص رجل حجارة ليشيد حائطاً لبيت شاهق يتقى به عنف الرياح. وهكذا كانت الخوذات والدروع ذات الحلى المعدنية
- ٢١٥ درعاً ثلو درع، وخوذة ثلو خوذة، ورجلاً ثلو رجل. تعلو قمم الخوذات، ذؤابات من شعر الخيل تضوى إذ يومنون، وتتلامس فى الزحام المتراص^(*). وفى مقدمتهم جميعاً يتأهب المحاربون للقتال إذ كان باتروكلوس وأوتوميدون قد عزموا معاً

(*) هذه الأبيات شبه مكررة من الكتاب الثالث عشر، آيات ١٢١ وما يليه. (الهرس)

- ٢٢٠ على الحرب فى مقدمة صفوف الميرميدونيين، وسرعان ما
هرع أخيلوس إلى خيمته وفتح غطاء الصندوق
للجميل ذا الزخارف الفارحة، الذى أعطته إياه ثيتيس
فضية القدمين، ليأخذه فى سفينته، وقد ملأته بملابس
وعباوات تقى من الرياح، وأغطية صوفية ناعمة
٢٢٥ وكأس مصنوع ببراعة، لا أحد
من البشر شرب من هذا النبيذ المتلكىء سوى أخيلوس.
لم يسكب منه قطرة قرباناً لإله إلا لزيوس الأب
أخذ الكأس من الصندوق ونظفه بالكيريت
ثم غسله بعناية من ماء جار،
٢٣٠ وغسل يديه كذلك، ثم صب النبيذ المتلكىء فى الكأس
وقف وسكب منه قطرات وسط المساحة
وهو يرنو إلى السماء ليراه زيوس ذو الرعد، وقال:
"أى زيوس، يا ملك الدونيين، أيها البلاسجى^(*)، يا من تسكن
بعيداً وتحكم بستان دودونى المطير وحولك السيلوى (= الهيلوى)^(**)".
٢٣٥ حيث يقطن مفسرو نبؤاتك لا يغسلون أقدامهم ،
الذين يرقدون فى العراء، سمعت ندائى، ذات مرة، عندما تضرعت
إليك، وكرمتنى بينما أحرزت جيش الآخيين.
ها أنا ذا أتوسل، مرة أخرى، كى تحقق أمنية قلبى.
إذ ساقبى، أنا نفسى هنا عند حشد السفن
٢٤٠ بينما بعثت رقيقى، بحشودى الميرميدونية، إلى المعركة ،
لتمنحه المجد، أى زيوس، ياذا الرعد المدوى،

(*) البلاسجى أى اليسال. (الغرر)

(**) سيلوى Selloi أو هيلوى Helloi اسم قبيلة قديمة كانت تسكن دودونى موطن نبوة زيوس. وربما كان
الهدف من ترك أقدام هؤلاء الكهنة دون غسل هو تسهيل تصالغهم بالعالم السفلى إذ كانت النبوة فى
الأصل تأتي من الموتى عبر إحدى الأشجار. (الغرر)

- ولتهب قلب المقاتل قوة، علَّ هيكتور يدرك
 ما إذا كان رفيقى يحسن إدارة المعركة
 أم يحارب وحيداً، أم أن يديه القويتين لا تثوران،
 ٢٤٥ إلا عندما أذهب أنا إلى ساحة القتال.
 لقد أخذت القتال بعيداً عن السفن
 إننى لأصلى كي يعود سالمًا إلى السفن السريعة،
 ولتعد معه كل القوات من رفاقى المحاربين، ومعه أسلحتى"
 هكذا تكلم فى ضراعة، وسمعه زيوس صاحب التدبير
 ٢٥٠ فرضى الأب على جزء من صلاته، ورفض الجزء الآخر.
 وافق على أن يستدرج باتروكلوس القتال بعيداً عن السفن،
 إلا أنه أبى عودته سالمًا من المعركة.
 وعليه أقيمت القرابين مع الصلوات للأب زيوس.
 عاد (أخيليوس)، إلى خيمته وأعاد الكأس إلى الصندوق،
 ٢٥٥ وخرج مرة أخرى ووقف أمام الخيمة، لأن روحه
 تأقت أن ترى صدام الأخيين والطرواديين الرهيب.
 وتقدمت صفوف المحاربين، ومعهم قائدهم باتروكلوس جسور
 القلب، واثقين فى قوتهم، حتى هجموا مندفعين على الطرواديين.
 هبوا دفعة واحدة مثل الزنابير تندفع من جنب الطريق،
 ٢٦٠ حيث أوكارها، إذا استثارها صبية صغار يلهون كعادتهم
 فجلبوا ضررًا عامًا للكثيرين. فحتى عابر السبيل
 دون أن يعي يقع عرضة لهجوم الزنابير الشرس
 التى تطير فى كل مكان دفاعًا عن سلاتها
 ٢٦٥ ومن أجل البقاء. بمثل هذه القلوب والأرواح
 انطلقت القوات الميرميدونية فى هجومها.
 انطلقوا من السفن بصيحاتهم المدوية.

- وبصيحة هائلة نادى باتروكلوس رفاقه:
- "أيها الميرميدونيون، يا رفاق أخيليوس بن بيليوس
 ٢٧٠ كونوا رجالاً، أصدقائي، ولتوقظوا روح النضال فيكم
 من أجل تكريم ابن بيليوس، إنه أفضل قادة أرجوس قاطبةً
 ذلك الذي يقاتل، مع رفاقه، في صفوف متقاربة بجوار السفن.
 أجل، لعل أجامنون بن أتربوس نفسه واسع الملك، يدرك ذلك
 لكن العمى دفعه لآزدرء أمجد الأخيين"
- ٢٧٥ وما أن تفوه بذلك، حتى ألهب كل فرد قوةً وشجاعةً.
 وبضربة رجل واحد انقضوا جميعاً على الطرواديين، وبينما كان
 يصيح الآخيون، كانت السفن من حولهم ترعد بشكل مفرع
 وما أن أدرك الطرواديون أن ابن مينويتيوس الباسل
 بنفسه وتابعه المتألقين في وسط بريق الأسلحة،
 ٢٨٠ حتى ارتجت قلوبهم، وارتعدت صفوف الفرق المحاربة.
 حسبوا أن ابن بيليوس سريع القدم عند السفن، بعد أن قرر
 أن يكظم الغيظ ويتركه إلى جوار السفن مفضلاً التصالح.
 فصار كل رجل يتأفت بحثاً عن طريق الهروب من الهلاك المطبق.
 كان باتروكلوس هو أول من قذف رمحه البراق مباشرةً
 ٢٨٥ وسط الحشد، حيث الاحتشاد الكثيف.
 هناك، عند مؤخرة سفينة بروتيسيلأوس ذي الروح الجليظة
 جرح بيرايخميس، الذي كان يقود فرسان البايونيين
 بعيداً عن أميدون، أتياً من نهر أكسيوس وافر الفيض.
 ضربه بشدة في كتفه الأيمن، فانقلب للخلف
 ٢٩٠ على التراب، يتألم، حتى ان رفاقه البايونيين من حوله
 فروا في ذعر أشاعه بينهم جميعاً باتروكلوس

- حين صاح قائدهم وأفضلهم قتالاً فى المعركة،
وطردهم بعيداً عن السفن، وأحمد النيران المضرمة.
وهناك، ظلت السفينة نصف مشتعلة، وارتعد الطرواديون،
٢٩٥ وفروا هاربين، محدثين ضجيجاً هائلاً، وقد انقض عليهم الدانييون
وسط السفن المجوفة، والصخب يضطرم دونما انقطاع.
وعصف زيوس المهبب مرسل البرق،
فقشع الغمام القاتم، من قمة جبل شاهق
ولمعت فجأة كل الصخور والفتوات
والوديان الصغيرة، أو من السماء انفرج الأثير العلوى بالضياء.
٣٠٠ فى تلك الأثناء، ويعد أن أبعدها عدوهم عن سفنهم ،
وجد الدانييون متسعاً لالتقاط الأنفاس، لكنهم لم يستريحوا طويلاً
من القتال. فالطرواديون، لم يكونوا قد طردوا، بعد على يد الآخيين
أحباء آريس، فى جماعات مهرولين من السفن السوداء ،
٣٠٥ بل ظلوا صامدين فى عناد، لكنهم تقهقروا بعيداً عن السفن مرغمين.
ثم سقطوا رجلاً تلو الآخر،
ثم اندلع القتال بين القادة، ضربَ ابن مينويتيوس المغوار أولاً
بحربته الحادة أريليكوس (أو أريلوخوس) فى فخذة.
ما إن استدار (ليهرب) حتى غرس (باتروكلوس) سيفه البرونزى فى
٣١٠ ساقه فكسر السيف العظيمة، وسقط (الطروادى) على الأرض
منطرحاً. أما مينيلائوس الشجاع فجرح ثؤأس^(*).
فى صدره بطرف الرمح عند الجزء الذى لا يغطيه الدرع، قارتخت
أطرافه كلها، بينما كان ابن فيليوس^(**) يراقب أمفيكلوس

(*) ثؤأس Thoas قائد طروادى وهو غير ثؤأس ملك ليموس المذكور فى الكتاب الرابع عشر، بيت ٢٣٠.

(المحرر)

(**) هو ميجيس Megeis. (المحرر)

- الذى كان مندفعًا تجاهه، وأثبت أنه أسرع من غريمه إذ استبقه
 ٣١٥ وضربه عند أعلى ساقه، حيث العضلة الأكثر سمكًا، فمزقت الحربة
 ذلت الرأس الحاد تلك الأعصاب، وغطى سواد عميق جفنيه.
 طعن أنتيلوخوس بن نيستور بحربته الحادة
 أتيمينوس - فوخذه بسيفه البرونزى فى جنبه
 فهوى مباشرة للأمام على وجهه. لكن ماريس، والسهم فى يده
 ٣٢٠ قفز، فى الحال، على أنتيلوخوس، يملؤه الغضب لموت أخيه.
 وقف دون جثمانه، لكن ثراسيميديس (أخو أنتيلوخوس) - شبيه الآلهة
 قذفه مستبقًا ضربته فأصاب بقوة هدفه.
 فمزق سن الحربة كتفه أعلى ذراعه
 والعضلات كلها، كما تهشمت العظمة تمامًا
 ارتطم بالأرض والظلام يطمس جفنيه.
 ٣٢٥ ذهب الشقيقان التوأم إلى عالم الأشباح على يد شقيقين توأم،
 ذهب كلاهما إلى إريبيوس رفيقى ساربيدون البطلين،
 من رماة الحراب، ولدى أميسوداروس، الذى كانت من قبل
 قد ربته خيمايرا، تلك المتوحشة الكاسرة، هلاكًا للكثير من الرجال.
 ٣٣٠ هجم أياس بن أوليبوس على كليوبولوس
 قبض عليه حيًا، إذ ارتبك وسط الزحام، فسلبه
 على الفور قوته، ضاربًا عنقه بسيفه الفتاك
 ومن أثر الدماء، بات السيف دافئًا، وحل الظلام
 الدامس والقدر القاسى على عينيه.
 ٣٣٥ ثم التحم بينيلبوس وليكون، واشتبكا مندفعين
 برماحهما، ودونما جدوى إذ أخطأ كلاهما الآخر،
 فلم يصب رمح أحدهما الآخر. فاتها لا ضربًا بالسيف.
 وعلى الفور، ضرب ليكون شارة الخوذة عند تجويفها

- فتحطم السيف تماماً من مقبضه. ثم ضربه ببينيليوس
 ٣٤٠ تحت أذنه، فغاص السيف كله، وما بقى سوى المقبض
 فقط، وتدلّت الرأس جانباً، وارتخت الأطراف.
 وأدرك ميريونيس، بخطواته الواسعة أكاماس،
 وهو يمتطى عربته، وضربه بقوة فى كتفه فهوى من عربته،
 وخيمت غمامة على عينيه. ثم ضرب إيدومينيوس
 ٣٤٥ بقوة إريماس على فمه بسلاح لا يرحم
 فانغرس برونز الحربة، إثر الطعنة البارعة،
 من أعلى المخ وحتى أسفله، وانشطر العظم الأبيض
 ونفرت أسنانه خارج فمه، وقد امتلأت عيناه
 بالدماء، النازقة من فمه ومنخاره
 ٣٥٠ حيث فجر الفاه وطوته سحابة الموت السوداء.
 هكذا كان كل واحد من قادة الدانائيين يصرع غريمه من الأعداء
 مثلما تنقض الذئاب المفترسة على الحملان الصغيرة
 يتخيرونها من بين القطيع، عندما تنتشر مبعثرة فوق الجبال، فى غفلة
 من الراعى، فما أن تلمحها الذئاب، حتى تتربص بها
 ٣٥٥ وسرعان ما تمزقها إرباً إرباً، فهى ضحايا ضعيفة القلب جبانة.
 هكذا انقض الدانائيون على الطرواديين، الذين لم يفكروا
 إلا فى الفرار والصراخ، وقد باتت بسالتهم مجرد ذكرى.
 لكن أياس العظيم، طالما استهدف هيكتور المسلح بالبرونز
 متلهفاً أن يرميه برمحه، إلا أن هيكتور الماهر فى شئون الحرب
 ٣٦٠ غطى عرض كتفيه بدرع من جلد الثور،
 ويات يراقب طنين السهام وعويل الرماح.
 ومع أنه أدرك حقيقة تبدل كفتى ميزان القتال،
 إلا أنه صمد وتغافى فى إنقاذ رفاقه المخلصين.

- ومثلما يحدث عندما تغيم سحابة من الأوليمبوس، عبر الأثير العلوى
 (سحابة) من العباب المقتمس، عندما يرسل زيوس عاصفة عاتية. ٣٦٥
 هكذا انطلق الدانائيون من السفن فى صخب
 عبروا (الخنق) فى غير نظام. لكن الخيول الراكضة كانت
 تحمل هيكتور، ومعه أسلحته تطير به بعيداً حيث ترك جحافل
 الطرواديين الذين كانوا جميعاً مكبوحين كرهاً، بخنق عميق،
 ٣٧٠ وهلك كثيرٌ من الخيول السريعة التى تجر العربات، عند الخنق
 العميق وتحطمت عرائشها وتخلت عن عربات أصحابها.
 واصل باتروكلوس الهجوم، صائحاً بالدانائيين
 عاقداً العزم على دحر الطرواديين، الذين تخبطوا فى كل الطرق
 يفرون وبصرخون مهزومين مشتتين، وهبت فوقهم زوبعة
 ٣٧٥ بلغ غبارها السحاب، وكانت الخيول ذات الحافر الواحد
 تركض من السفن والخيام صوب المدينة. توجه باتروكلوس
 إلى حيث لمح الحشود الكثيفة المنحدرة وأطلق صيحة الحرب،
 بينما يتساقط الرجال تحت عجلاته،
 كما تهاوت العربات محدثةً ضجيجاً.
 ٣٨٠ وطارت الخيول الخالدة فوق الخنق
 تلك الخيول التى منحتها الآلهة لبيليوس هبة إلهية مجيدة
 كان باتروكلوس يهفو إلى ملاقاته هيكتور، قلبه
 يتوق إلى الفتك به، لكن خيوله كانت تطير به بعيداً.
 وكما تعتم الأرض السوداء تحت زوبعة هوجاء
 ٣٨٥ فى خريف ماء، إذ يرسل زيوس الأمطار العاصفة
 ساخطاً على هؤلاء البشر، الذين يثيرون حفيظته
 بما ينطقون به، فى ساحة الاجتماع من أحكامٍ مُخلةٍ دون مراعاة
 للحق والعدل ويقظة السماء وانتقامها.

- عندئذ تقيض الأنهار على ضفافها
 ٣٩٠ وتتدفق إلى منحدرات التلال في سيول جارفة.
 تتدفق من الجبال في صخب نحو البحر الأرجواني الثائر.
 تنهمر السيول مدوية، ومدمرة حقول البشر، ومزروعاتها
 هكذا كانت تعدو خيول الطرواديين، وهكذا كان أنبيها.
 شنت باتروكلوس صفوف الطرواديين الأمامية
 ٣٩٥ وقذف بهم إلى الوراء، ناحية السفن، ولم يُمكنهم
 رغم لهفتهم، من أن تطلأ أقدامهم المدينة.
 إذ ما بين السفن والنهر والصور مرتفع البناء
 حاصرهم وانتقم منهم للكثيرين.
 كان برونوؤس أول من ضربه بحربته المتلألئة
 ٤٠٠ في صدره المكشوف، فأرخی أطرافه
 وارتطم بالأرض. وكان ثيستور بن إينوبس الثاني
 حيث كان يجلس فوق عجلته الحربية المصقولة
 مشتمًا فكره من الذعر، فأفلتت
 الأعتة من بين أصابعه، عندئذ اقترب (باتروكلوس)
 ٤٠٥ ووقف إلى جواره، وغرس حربته بين أسنانه فهشم فكه الأيمن.
 ثم التقط (باتروكلوس) حربته وسحبها إلى حافة عجلته كمن يسحب
 من البحر، وهو جالس على نتوء صخري، سمكة مقدسة^(*)،
 بخيط سنارة برونزي متلألئ. هكذا كان (باتروكلوس)
 يسحب (ثيستور) بحربته المتلألئة من عجلته الحربية،
 ٤١٠ ألقى به على وجهه فهوى على الأرض وفارقتة الحياة.

(*) أو سمكة ضخمة وورد عند هومروس ثلاثة تشبيهات بالاسماك. فبالإضافة إلى هذه الفقرة راجع الكتاب ٢٤
 بيت ٨١، و"الأوديسية" الكتاب ١٢ بيت ٢٥١-٢٥٦ حيث التشبيه ل هذه الفقرة الأخيرة يقترب من هذه
 الفقرة التي بين أيدينا. (المحرر)

- أسرع إريلاؤس ليعتنى به، إلا أن (باتروكلوس) ضربه بقوة
 بجلمود صخر على رأسه، فتشمت كلها
 بداخل الخوذة الثقيلة، وسقط على الأرض منبطحاً
 يرف حوله الموت سالب الأرواح.
- ٤١٥ هجم، بعد ذلك، على إريماس، ثم على أمفوتيروس
 وإيبالتيس وتليبوليموس، بن داماستور، وكذلك إخيوس
 وبيريس، وإفيوس أيضاً، ويوايبيوس، ويوليميلوس بن أرجياس.
 لقد طرحهم جميعاً على الأرض الحاضنة، واحداً تلو الآخر.
 وما إن رأى ساربيدون رفاهه بأردية منزوعة الأحزمة
- ٤٢٠ وقد ضربوا على أيدي باتروكلوس بن مينيوتيروس
 حتى صرخ موبخاً الليكيين أشباه الآلهة:
 "يا للعار، أيها الليكيون، إلى أين تفرون؟ هلموا، أسرعوا!
 حيث إنني سأجابه هذا الرجل حتى أعرف
 من ذا الذي يسيطر، هكذا، علينا؟ ذلك الذي أنزل بالطرواديين
 شروراً دامية، ويشيع الرعب بقلوب رجال بواسل"
- ٤٢٥ تكلم، ثم قفز من فوق عجلته الحربية إلى الأرض في كامل عدته
 متأهباً. أبصره باتروكلوس فقفز، هو أيضاً، من فوق عجلته الحربية
 في مواجهته كانا مثل نسرين بمخالب ملتوية بمناقير خطافية
 يطلقان الصرخات، على قمة منحدر شاهق، تأهباً للقتال
- ٤٣٠ هكذا أطلقا الصرخات، واندفع كل منهما إلى الآخر.
 رأهما، حينئذ، ابن كرونوس ذو المكر الملتوى
 فأشفق عليهما، فتحدث إلى زوجته وشقيقته هيرا:
 "أه، يا ويلاه، مقدرٌ على ساربيدون، أعز البشر لدى
 أن يموت بأيدي باتروكلوس بن مينيوتيروس.

- ٤٣٥ حقيفة، انشطر قلبي بصدري شطرين
أفكر فى أمرين: إما أن أنتشله حيًا بعيدًا عن المعركة المبكية،
وأعيده إلى منزله بأرض ليكيا الخصبة،
أو أن أدعه يهزم على أيدي ابن مينويتوس"
وأجابته بدورها المعبودة هيرا وأسعة العينين كالمها:
- ٤٤٠ "يا أكثر أبناء كرونوس بشاعة، ما هذا الذى قلته؟
أتريد أن تخلص من برائن الموت إنسانًا فانيًا مقدر له أن يموت؟
افعلها، لكننا، معشر الآلهة، لن نبارك ذلك. أقول لك، ولتصت جيدًا.
- ٤٤٥ لو أنك أرسلت ساربيدون للنيل، الآن، إلى بيته حيًا،
تأكد أن أى إله آخر قد يرغب
فى إقصاء ابن عزيز لديه عن ساحة القتال،
فأبناء الخالدين الذين يحاربون مدينة برياموس العظيمة كثيرون،
وستزرع بين الآلهة بذور الغضب والغيرة.
- ٤٥٠ إذا كان (ساربيدون) عزيز لديك، ينفطر له قلبك حزنًا،
دعه بلج غمار الحرب، دعه يُهزَم على أيدي باتروكلوس
بن مينويتوس. فإذا غادرت الروح جسده،
فابعث (إله) النوم الهادئ و(إله) للموت ليحملانه سريعًا
إلى مثواه بأرض ليكيا الشاسعة.
- ٤٥٥ هناك، بواريه أقاربه وأصدقائه التراب فى مراسم دفن مشرفة،
ويشيدون له ضريحًا يليق بميت مثله"
أنصت إليها أبو البشر والآلهة عندما كانت تتكلم،
وصبب، على الأرض وابلًا من أمطار غزيرة فى لون الدم،
تكريمًا لابنه العزيز، الذى قنر أن يقتله، فى الحال، باتروكلوس
- ٤٦٠ على أرض طروادة الخصبة، بعيدًا عن وطنه.
وبينما هما يدنوان مندفعين كل نحو الآخر،

- على الفور، ضرب باتروكلوس برمحه ثراسيميلوس الشهير،
 حامل الدروع الوفى لعاهل (ليكيا) ساربيدون،
 ٤٦٥ وأصابه أسفل أحشائه، حتى خلع أطرافه.
 هجم عليه ساربيدون برمحه البراق
 فأخطأه وأصاب جواده الفانى بيداسوس،
 طعنه برمحه فى كتفه الأيمن، فسهل الجواد مسلماً الروح،
 وانطرح يئن وفارقته الحياة بينما جنح الجوادان الآخران
 ٤٧٠ الخالدان حتى تصدع فوقهما نير العجلة الحربية.
 سقط الجوادان متشابكين وتجرجرت الأعنة متشابكة فوق التراب.
 عرف أوتوميدون الشهير كيف يتصرف برمحه
 وجاءه الحل، فاستل سيفه الهائل من غمده بجانب فخذه اليمين
 ولم يتردد، فقفز ليقطع رباط الجواد (الفانى).
 ٤٧٥ انفجرت (سيفان) الجوادين الخالدين وشذاً إلى الأعنة.
 ومرة أخرى للتقى المحاربان فى صراع مميت.
 أخطأ رمح ساربيدون البراق الاتجاه، مرة أخرى
 مرقت رأس الرمح تهتز فوق كتف باتروكلوس اليسرى
 ولم تصبه. فسوب بدوره باتروكلوس
 ٤٨٠ بدقة فذيفته البرونزية، ولم تكن لتنتقل عبثاً هذه القذيفة من بين يديه
 فأصاب (غريمه) حيث يحيط الحجاب الحاجز القلب النابض.
 ومثلما تسقط شجرة البلوط أو الصفصاف، أو كشجرة صنوبر
 بالسقة قطعها صناع السفن فوق الجبال بفنوس حادة من أجل
 أخشاب السفن. هكذا سقط ساربيدون بصرخة مكتومة،
 ٤٨٥ سقط مفترشاً الأرض، أمام خيوله وعربته الحربية.
 كان يئن بمرارة قابضاً براحتيه التراب المخضب بالدماء.
 كان الأمر كما لو انقض أسد على قطع مارق، حيث افترس

- شوراً ضخمًا أسمر يميل للاصفرار، من تلك الثيران ثقيلة الخطا
فيسقط متأوهاً تحت مخالب الأسد وفكيه.
- ٤٩٠ هكذا كان سقوط قائد الدروع الليكي (ساربيدون) أمام باتروكلوس،
ومع أنه كان مجروحًا على حافة الموت، نادى رفيقه العزيز
"أى جلاوكوس، أيها الرفيق العزيز، أيها المحارب بين الأبطال
ينبغي أن تثبت أنك رماح ومحارب شجاع.
ولتكن، لعنة الحرب بغية قلبك، إن كنت بأسلاً
٤٩٥ سر هنا وهناك، وفي كل مكان، واستنهض قوة الأبطال
قادة الليكيين إلى القتال من أجل ساربيدون،
قاتل بأسلحتك البرونزية دفاعًا عنى،
فأنا، بعد كل شيء، عارك وخزيك
طيلة أيامك وللأبد، لو سلب الآخيون أسلحتي.
- ٥٠٠ ها أنا ذا أرقد بين حشود السفن
لتنهض، بكل قوتك، ولتشعل حماسة الجيش كله"
ما أن انتهى كلام البطل، حتى داهمته سكرة الموت
حطت كسحابة على منخاريه وعينه. أما باتروكلوس فيقدمه
داس صدره، ونزع الرمح من جسده، فانبثق الحجاب الحاجز
٥٠٥ وكانما قد انتزع، مع رأس الحربة، روح (ساربيدون).
حينئذ، أمسك الميرميدونيون خيول (ساربيدون) اللامثة
تلهفًا للفرار، بعدما تخلت عن عجلات أصحابها الحربية.
تناهى صوت ساربيدون إلى جلاوكوس فامتأ حزناً موجعاً،
لأن قوته لم تُجد شيئاً، فطوى الحزن قلبه.
- ٥١٠ أمسك ذراعه وضغطها بشدة، فالجرح يؤلم
ذلك الجرح الذي أحدثه تيوكروس برمحه، عندما كان يدفع
الهلاك المحيق برفاقه، ويقفز فوق السور العالى.

تحدث مبتهلاً إلى أبوللون بعيد السهام:

- لنسمعني أيها الملك، يا من تطأ الآن مكاناً ما بأرض ليكيا
 ٥١٥ الخصبة، أو قد تكون هنا بأرض طروادة، فأنت حينما تكون،
 قادر على أن تسمع نداء البشر، المنكوبين مثلي، من ألم
 جرح غائر أصابني، وساعدى مهترىء فى كل موضع
 بوخزات ألم حادة، ولم يتوقف قط نزيف الدم
 ٥٢٠ وألم الجرح رهيب، يعوق كفى فلا أستطيع أن أمسك رمحى جيداً،
 ولا أن أوصل قتال الأعداء، وقد سقط رجل من أشجع الرجال.
 إنه ساربيدون بن زيوس الإله، الذى لم يساعد ولده.
 أيها الملك، امنحنى الشفاء من هذا الجرح الأليم
 لنسكن وخزات الألم الحادة، وامنحنى قوة لأشد من أزر رفاقى
 ٥٢٥ أبناء عشيرتى الليكية، وأحثهم على القتال.
 أجل، امنحنى القدرة على أن أقاتل دفاعاً عن جثة بطل هوى"
 ابتهل، وسمعه فويبوس أبوللون،
 وعلى الفور سكن الإله آلامه، كما أوقف نزيف الدم الأسود
 المتدفق من جرحه الأليم، ومنح روحه قوة.
 ٥٣٠ شعر جلاوكوس بما يحل فى روحه، وكان فرحاً
 إذ أدرك أن الإله التقدير استجاب لدعائه فى الحال.
 فى البدء، سارع نحو الأبطال، قادة الليكيين
 وحثهم جميعاً على القتال من أجل ساربيدون.
 ثم ذهب بخطى واسعة وسط الطرواديين
 ٥٣٥ إلى بوليداماس بن بانثووس، و أجينور العظيم.
 كما ذهب إلى اينياس وهكتور ذى الخوذة البرونزية،
 دنا (منهم) ثم توقف، وتحدث بكلمات مجنحة:

- "أى هيكتور، يبدو أنك نسيت تمامًا حلفاءك،
 وهم الذين من أجلك - بعيدًا عن وطنهم وأصدقائهم -
 ٥٤٠ قدموا حياتهم طوعًا، وأنت لا تكثرث بأن ندافع عنهم.
 ها هنا يرقد ساربيدون، قائد الليكيين المسلحين بالدروع، قتيلاً
 ذلك الذى أقام حكمه فى ليكيا على العدل والقوة.
 قد قتلته آريس البرونزى بالرمح على يد باتروكلوس.
 فتعالوا أيها الأصدقاء، وقفوا إلى جانبه، واملأوا صدوركم بالهمة
 ٥٤٥ خشية أن يجرده هؤلاء الميرميدونيون من أسلحته ،
 ويمتلوا بجثته انتقامًا للقتلى الكثيرين من الدانائين
 وقد قتلناهم برماحنا عند السفن السريعة"
 عيأت كلمات (جلاوكوس) الطرواديين بشعور طاغ
 من الخزي والحزن، فساربيدون كان غريبًا عن سلاتتهم،
 ٥٥٠ ودائمًا ما كان حصنًا لهم ولمدنيتهم، تبعت (جلاوكوس)
 حشود الجيش الغفيرة، وكان أسلهم فى القتال.
 تقدموا بلهفة نحو الدانائيين يقودهم هيكتور غاضبًا من أجل ساربيدون.
 لكن باتروكلوس بن مينويتيوس قاسى القلب حرض الأخيين.
 ٥٥٥ فتحدث أولاً إلى الثنائى آياس، حيث كانا متلهفين (على القتال)
 "أيها الثنائى آياس، ليكن لكما أن تتمتعاً بهزيمة الأعداء
 ومثلما كنتما عليه من شجاعة بين الرجال من قبل، لتكونا أكثر شجاعةً
 الآن حيث يرقد صريعًا، ذلك الذى كان أول القافزين فوق الحائط^(*)
 الآخى، إنه ساربيدون، فهلموا نمثل بجثته
 ٥٦٠ وننزع عن كتفه أسلحته. أما عن رفاقه الكثيرين

(*) ورد في الكتاب الثانى عشر بيت ٣٩٧ وما يليه أن هيكتور هو الذى قفز أولاً ومع ذلك ليس في هذا الاختلاف ما يدعى للشك في صحة هذه الفقرة أو تلك. (المحرر)

- فلنقطع دابرهم بالبرونز الفتاك جزاء ما فعلوا للدفاع عنه"
 ذلك ما تفوه به، وكان كلاهما يتلهفان على هزيمة الأعداء.
 احتشد المحاربون على كلا الجانبين، هنا الطرواديون والليكيون،
 ٥٦٥ وهناك الآخيون والميرميدونيون. خاضا معركةً من أجل جثمان
 ساربيدون، كان الصباح مخيفاً وصليل أسلحة المحاربين مرعداً ،
 أنزل زيوس على الليل، ظلاماً دامساً، فغطى ساحة المعركة،
 لكى يرفع ويلات الحرب من حول ابنه العزيز .
- كان الطرواديون أول من طردوا الآخيين ذوى العيون البراقة،
 ٥٧٠ فقتل من بين الميرميدونيين رجل لم يكن أقل الميرميدونيين شأنًا
 على الإطلاق. إنه أبجيوس العظيم بن أجاكليس قوى الهممة،
 كان ملك بوديون، المدينة العتيقة المنيعه
 فيما مضى، يبدو أنه قتل أحد أقاربه النبلاء
 ثم جاء ضارعاً إلى بيلوس وإلى ثيتيس فضية القدمين،
 ٥٧٥ فأرسله ليلحق بأخيليس قاتل الأبطال،
 فجاء إلى إليون أرض الجياد الرائعة، ليحارب الطرواديين.
 وبينما كان متشبهاً بجثمان ساربيدون، ضربه هيكتور المجيد
 بحجر على رأسه، حتى تهشمت
 داخل خوذته الثقيلة، وهوى على جثمان (ساربيدون) منكفئاً على وجهه
 ٥٨٠ وخيم الموت، سالب الأرواح، حوله من كل ناحية.
 وشمل حزن مجنون باتروكلوس، لمقتل رفيقه المقتول
 فانقض (باتروكلوس) كالصقر على صفوف المحاربين الأولى.
 ومثل الصقر بأجنحته السريعة يشتت الغربان والزرزير
 هكذا انقضضت يا باتروكلوس يا قائد الفرسان على الليكيين
 وعلى الطرواديين، وقلبك ملئ بالغضب من أجل رفيقك.
 ٥٨٥ فضرب سثينلاوس الحبيب بن إيتايمينيس

- بحجرٍ هنك أعصاب عنقه. تَهْفَرُ محاربو المقدمة، وكذا هيكتور المجيد بعيداً عن المدى الذى يمكن أن تصل إليه الحربة الخفيفة التي يلقيها رجلٌ يجرب قوته فى القتال.
- ٥٩٠ من أجل مكافأة، أو فى معركة ضد عدو كريبه، إلى هذا المدى تَهْفَرُ الطرواديون ودفعهم الأخيون بعيداً. كان جلاوكوس قائد الليكيين أول المسلحين بالدروع من استدار وقتل باثوكليس شديد اليأس
- ٥٩٥ الابن الحبيب لخالكون، الذى يقطن قصرًا منيفًا بهيلاس. كان يفوق رفاقه الميرميدونيين مالا وجاهًا، ضربه جلاوكوس فى صدره برمحه.
- استدار (جلاوكوس) إليه فجأة، وقد أوشك (باتوكليس) أن يهزمه، فسقط (باتوكليس) محدثًا ضجعة، فتملك حزن شديد الأخيين لأن رجلاً شجاعاً قد سقط، بينما غمرت الطرواديين سعادة تفوق الحد فالتفروا من حوله فى حشد دائرى. لكن الأخيين لم ينسوا بسالتهم أبدًا، فانقضوا عليهم بكل قوة.
- ٦٠٠ قتل ميريونيس أحد الرجال الطرواديين المسلحين بالخوذات العزيز لأوجونوس بن أونيتور، الذى كان قد عُين كاهنًا لزيوس المعبود على جبل إيدا، وكان الناس يبجلونه كإله. ضربه (ميريونيس) أسفل فكه وأذنه، فزهق على الفور روجه من بين أطرافه، ونزلت عليه عتمة كريمة.
- ٦٠٥ دفع آينياس نحو ميريونيس رمحه البرونزى على أمل أن يقتله، حين رآه يتقدم حاميًا نفسه بالترس. ولكنه راوغ الرمح البرونزى،
- ٦١٠ انحنى للأمام، فمرق الرمح الطويل وسقط خلفه وانغرس رأسه فى الأرض، وظل طرفه منتصبًا يهتز.

- بيد أن آريس القوى هدأ ضراوته فى الحال.
 اهتز طرف رمح آينياس هادئاً فى الأرض ،
 ٦١٥ لقد انطلق من يده القوية عبثاً
 تملك الغضب قلب آينياس وصاح عاليًا:
 "يا لك من راقص حقاً يا ميريونيس،
 لو أصبتك، لكاد رمحى يوقفك للأبد (عن الرقص)"
 فأجابه ميريونيس الشهير برمحه:
 ٦٢٠ "مهما كنت شجاعاً، صعب عليك الأمر، آينياس
 تود أن تحطم قوة كل الرجال، الذين يواجهونك فى القتال
 أنت بشر، فيما أظن ، ولو قذفتك بالبرونز الفتاك وأصبت خصرك
 ساعتها، ورغم شجاعتك وثقتك فى يدك، عليك أن تمنحنى
 ٦٢٥ المجد ، فلتسلم روحك إلى هاديس الشهير بالحياد"
 وما أن قال ذلك حتى عنفه ابن مينويتيرس القوى:
 "أصدر عنك كلام كهذا، ميريونيس، رغم شجاعتك!؟
 أى صديقى الطيب، ليس بمجرد التأنيب
 سينسحب الطرواديون عن الجثة قبل أن تلتهم الأرض الكثيرين.
 ٦٣٠ فمسألة الحرب بين أدينا، أما الحوار فسيأتى دوره لاحقاً فى ساحة
 الاجتماع فلا مجال الآن لأن نكثر من الكلام وهيا إلى القتال"
 ذلك ما قاله شبيه الآلهة، ثم مضى إلى القتال يتبعه الآخرون
 وكما يعلو ضجيج فنوس الحطابين عاليًا
 عند وديان جبل، فتسمع عن بعد أصداؤها.
 ٦٣٥ هكذا كان تصاعد ضجيج المحاربين، على الأرض واسعة الشعاب
 يتناهى رنين البرونز والتروس، التى تشكلت ببراعة من جلد الثور،
 ومن فوقهم ضربات السيوف والرماح مزدوجة الرعوس.

- لم يتمكن أحد من رؤية ساربيدون الإلهى، حتى ولو كان يعرفه جيداً
كان مغطى تماماً بالقدائف والتراب وأثناء المعركة،
٦٤٠ مغطى من قمة رأسه وحتى أخمص قدميه ،
واحتشدوا حول جثمانه، كأسراب الذباب تنز في مزرعة،
على سطح جرار حليب ممتلئة وطافحة ،
حيث يملأ الحليب الصافى الجرار في فصل الربيع.
هكذا احتشد (المحاربون) حول الجثمان، لكن زيوس
٦٤٥ لم يحول عينيه البراقنتين عن الصراع المميت،
حملق فيهم بثبات، وبات يتدبر الأمر في عقله.
ولمدة طويلة فكر في قتل باتروكلوس الشجاع.
أوجب على هيكتور المجيد، أن يسارع في هذا العراك المهلك
بقتل (باتروكلوس)، هناك، عند جثة ساربيدون
٦٥٠ شبيهة الألهة؟ يصرعه بالبرونز، ويجرد كتفيه من الأسلحة أو أن
يعفيه من الموت ويتيح له فرصة المزيد من القتل وويلات الحرب؟
بدا له، بينما يتفكر، أن أفضل ما يكون
هو أن يدفع حامل الدروع الوفى لأخيليوس
ليطيح بكل من الطرواديين وهيكتور صاحب الخوذة البرونزية.
٦٥٥ وهكذا يعودون، إلى مدينتهم، بعد إزهاق أرواح الكثيرين
وبدا بأن ألحق اللوهم بقلب هيكتور، الذى وثب فوق عجلته الحربية
وأدار خيوله للفرار ونادى الباقين من الطرواديين لينجوا بأنفسهم،
إذ كان قد رأى أن كفتى ميزان زيوس المقدس يتبدلان.
لم يصمد الليكيون للبواسل، بعدها، إذ حل الفزع فيهم جميعاً،
٦٦٠ عندما رأوا مليكهم (ساربيدون) مصاباً في قلبه
مسجى منقل جسمه تراكم فوقه جنث القتلى،
عندما أشعل ابن كرونوس نار القتال.

- وانتزع (الميرميدون) أسلحة الحرب البرونزية عن كتف ساربيدون وأرسلها ابن مينويتوس الشجاع إلى رفاقه،
 ٦٦٥ كى يحملوها إلى سفنهم المجوفة
 حينئذ قال زيوس جامع السحاب متحدثاً إلى أبوللون:
 "تعال الآن، أيها الحبيب فويوس، اذهب وخذ من بين ساحة
 الرماح ساربيدون الميت، وطهره من الدماء القاتمة، ثم احمله
 بعيداً عن المعركة، واغسله عند جداول النهر، عطره بعطر إلهى -
 ٦٧٠ أمبروسيا - وألبسه أرديةً ربانيةً وسلمه إلى الحمّالين السريعين
 إلى التوأم: (إله) النوم هينوس و(إله) الموت ثاناتوس، اللذين
 يرسلانه على عجل إلى أرض ليكيا الخصبة الواسعة.
 هناك، يقيم له أقاربه وأصدقائه جنازة تكريمية
 ٦٧٥ سيقيمون له شاهداً وضريحاً، بما يليق بميت مثله"
 ذلك ما تكلم به، وكان أبوللون مصغياً لكلمات والده
 فنزل من جبال إيدا تجاه ساحة الحرب
 وسرعان ما انتقل ساربيدون الرباني من وسط وأبل النيران.
 حمله بعيداً عن ساحة القتال، وغسله في جداول النهر
 ومسحه بعطر إلهى - أمبروسيا - وألبسه أردية ربانية
 ٦٨٠ ثم أرسله مع حمّالين ذوى سرعة شديدة ليحملاه إلى التوأم -
 إله النوم هينوس وإله الموت ثاناتوس - اللذان على الفور حملاه
 إلى وطنه ليكيا ليستقر في رحابها الخصيبة.
 ولكن باتروكلوس صاح عاليًا في خيوله، وفي أوتوميدون
 ٦٨٥ ومازال يهاجم الطروديين والليكيين وقد غمره العمى تاملًا.
 ياله من أحمق! لم ينتبه لكلمة ابن بيلوس، ولو فعل
 لنجا بالفعل من الموت الأسود، ذلك القدر المشئوم.
 إلا أن تدبير زيوس غالبًا ما يفوق إدراك البشر،

- فحتى الشجاع يخور أمامه ويُسلب
- ٦٩٠ النصر ببساطة، ثم يحرّضه ثانية على القتال.
هو الذى أثار الطيش فى صدر باتروكلوس
فمن، إذن، كان أول من قتلت، ومن كان الأخير
يا باتروكلوس، عندما كانت الآلهة تتأديك إلى الموت؟
فأولهم كان أدراستوس، ثم أوتونووس وإخيكولوس
٦٩٥ وبيريموس بن ميجاس وإيستور وميلانيوس،
وبعدهم إانسوس وموليوس بيلارثيس.
قتلت هؤلاء، أما الباقون فلأذوا بالفرار.
أوشك، حينها، أن يسيطر أبناء الأخيين على طروادة عالية الأبواب
بأيدي باتروكلوس، فرمحه هاج وماج فى كل الاتجاهات.
٧٠٠ بيد أن فويوس أبوللون وقف فوق أعلى برج حصين
يمد يده للطرواديين و يدبر لهلاكه (باتروكلوس).
وكاد باتروكلوس أن يثب من فوق ركن من الحصن المنيع ثلاثاً،
بيد أن الإله للقوى أبوللون دفعه للوراء ثلاثاً
ضارباً درعه اللامع بيديه الخالدين.
٧٠٥ وفى المرة الرابعة، هجم عليه وهو على هيئة الإله
زعق بصوت مخيف وبكلمات مجنحة قال :
"استسلم يا باتروكلوس، يا سليل زيوس، لقد قُدِّرَ
ألا تسقط مدينة الأكابر الطرواديين برمحك
أو برمح أخيليوس، الذى يفوقك مهارة"
٧١٠ تراجع باتروكلوس بعيداً عن الحصن بمجرد سماع هذه الكلمات،
حتى يتجنب غضب أبوللون بعيد الرمى بالسهام.
كان هيكتور، وقتها، يقيد خيوله ذات الحافر الواحد
عند بوابات سكاياى متردداً فى أن يتقدم، إلى المعترك من جديد

- أو أن يحشد الجيوش عند الحصن. وبينما هو كذلك،
 ٧١٥ تجلى له فويبوس أبوللون فى صورة بطل مغوار
 هو أسبوس خال هيكتور مروّض الخيول،
 شقيق هيكابى أمه، وابن ديماس والدها
 الذى كان يسكن فريجيا بالقرب من نهر سانجارىوس.
 ٧٢٠ اتخذ أبوللون بن زيوس صورته، ثم خاطبه:
 "أى هيكتور، لأى سبب توقفت عن المعركة؟
 لا يلىق ذلك بك، ليتنى، الآن، أقوى منك بقدر ما أنا بالفعل الآن
 أضعف منك. ما أشد الأسف لتتحيك، هكذا، عن القتال
 فلتأت، الآن، ولتوجه خيولك قوية الحوافر نحو باتروكلوس
 ٧٢٥ فلو تقتله بمنحك أبوللون المجد"
 وما أن قال الإله ذلك حتى انخرط، فى حشد الرجال.
 وأمر هيكتور المجيد كيبيرونيس حكيم القلب أن ينخس
 خيوله ويعود للقتال. عندئذ ذهب أبوللون
 وشق طريقه بين جموع المحاربين، وأشاع فى صفوف الأرجيين
 ٧٣٠ ارتباكاً مفرغاً، ليهيبىء المجد لهيكتور والطرواديين.
 أما بقية الدانائيين، فتركهم هيكتور ولم يحاول قتلهم
 لكنه وجه خيوله صلبة الحوافر مباشرة إلى باتروكلوس.
 وثب باتروكلوس من عربته، إلى الأرض، بجوار (هيكتور)
 مستهدفاً إياه ممسكاً رمحه بيساره، ويمينه حجر
 ٧٣٥ براق خشن، غطته تماماً قبضته العريضة.
 ثبت قدميه بقوة، وقذفه دونما رهبة من العدو،
 ولم يخفق الحجر، بل أصاب سائق هيكتور
 كيبيرونيس، الابن غير الشرعى لبرياموس المجيد.
 كان يمسك بأعنة الجياد، فأصابه الحجر المدبب

- ٧٤٠ في جيبتها، وسحق كلا حاجبيه، فلم تتماسك
العظمة، وسقطت عيناه في التراب
عند قدميه، وسقط، على الفور كيبيريونيس كغواص
من فوق عربته المزركشة جيداً، ومات
وسخرت منه، أيها الفارس باتروكلوس قائلاً:
- ٧٤٥ يا إلهي، يا له من رجل رشيق، عرف كيف ينقلب بخفة رائعة،
فلو كان (بصطاد) في بحر عميق عامر بالأسماك
لأشبع الرجل، فيما أظن، الكثيرين بالمحار،
لاسيما أنه، برغم الجو العاصف، قفز من سفينته
وغطس بخفة من فوق عربته الحربية على السهل !
حقاً يبدو أنه يوجد غواصون بين الطرواديين"
- ٧٥٠ تكلم باتروكلوس، ثم تقدم نحو البطل كيبيريونيس
وثب كأسد يشنت قطعان الحظيرة،
فجرحه إثر ضربة رمح في صدره، فخارت قواه، وهلك.
هجمت على كيبيريونيس يا باتروكلوس بضراوة،
وإلى جانبك وثب هيكتور من فوق عربته إلى الأرض.
٧٥٥ وتصارع الاثنان، من أجل كيبيريونيس، كأسدين
يقتتلان، أو قد استبد بهما الجوع على قمم الجبال
يتجاذبان بضراوة أيلة مقتولة.
هكذا، من أجل كيبيريونيس، كانت فرصة القتال بين البطلين
باتروكلوس بن منوييتيوس وهيكتور المجيد.
٧٦٠ يتحفز كلاهما لنهش لحم الآخر بأسلحة من البرونز الفتاك.
قبض هيكتور على رأس الميت ولم يتركها
ثم أمسك باتروكلوس، بدوره، القدم. وأما باقى
الطرواديين والدانائيين فالتحما فى صراع دام

- ٧٦٥ ومثلما تتنافس رياح الشرق بيوروس ورياح الجنوب نوتوس
عند أودية الجبل، على العصف بأشجار الغابة
من الزان والدردار، وأشجار القرانيا ناعمة اللحاء،
فتتلاطم فى جبلية تلك الأشجار، واحدة مع الأخرى، بفروعها العجيبة
وتتصادم أطرافها الممتدة، فتتصدع وتتكسر.
- ٧٧٠ هكذا، هجم الأخيون والطرواديين، كلّ يحاول قتل الآخر،
ولم يفكر كلا الطرفين فى الفرار المخزى.
عوت رياحٌ عاتيةٌ حول الميت ،
وتراشقت من بين أوتار الأقواس سهام مجنحة،
قصف وإبل الأحجار الضخمة تروس الأبطال،
- ٧٧٥ كان (الرجال) يتحاربون حول (جثة كيريونيس) وهو مسجى فى خضم
العاصفة للترابية، حيث سقط جباراً عاتياً، وقد نسيت أعماله الفروسية.
وطالما دامت الشمس ساطعة فى كيد السماء
باتت الفدائف تتساقط بقوة من كلا الجانبين، وتصيب أهدافها.
وحيث مالت الشمس قرب موعد رفع النير عن الثيران
تفوق الأخيون بما يتعدى أى توقع.
- ٧٨٠ سحبوا، حينئذ، جسد البطل كيريونيس من بين الفدائف
بعيداً عن صياح الطرواديين، ونزعوا عن كتفيه الأسلحة.
هجم باتروكلوس على الطرواديين بعزم شديد،
انقض عليهم ثلاثاً، كأريس السريع
- ٧٨٥ صائحاً صيحته المفزعة، وقتل فى كل مرة تسعة أبطال.
وفى الرابعة، انقض عليهم مثل إله.
تبدت لك يا باتروكلوس نهاية الحياة
حين واجهت فويبوس فى نزال دام.
كم هو إله مروع! دخل المعركة

- ٧٩٠ وكان يغلفه ضبابٌ كثيفٌ، ولم يميزه باتروكلوس.
 ثبت خلف (باتروكلوس) وضرب بيده على ظهره
 وكتفيه العريضين بقوة، ودارت عينا الإله في غضب.
 أسقط فوبيوس أبوللون خوذته عن رأسه
 تدرجت مقعقة تحت حوافر الخيول
- ٧٩٥ كانت ذات تجويف عمودي، فتلطح ريشها المصنوع من شعر الجياد،
 تمرغت في الدماء والتراب، ولم يكن مقدراً لها قبل الآن
 أن تلتطح، هكذا، في التراب، ولاسيما أنها مكسوة بذيل حصان
 كانت تحمي رأس البطل الإلهي أخيليوس وطلعته البهية.
 منحها، أخيراً، زيوس إلى هيكتور
- ٨٠٠ ليضعها بزهو على رأسه، مع أن نهايته قد اقتربت.
 وتحطم في يد باتروكلوس الرمح مديد الظل،
 الثقيل الهائل القوى ذو النصل البرونزي الحاد،
 وسقط للدرع على الأرض يصلصل منفصلاً
 عن كتفيه لقد فك الملك أبوللون بن زيوس درعه،
- ٨٠٥ وحل العمى على قلب (باتروكلوس) وارتخت أطرافه المجيدة.
 وقف، هناك في هذيان ووثب على مسافة منه رجل دارداني
 وضربه على ظهره ما بين كتفيه برمح يتأر
 إنه يوفوربوس بن بانثوؤس، الذي يفوق كل رفاقه
 في إطلاق الرماح وركوب الخيل والعدو.
- ٨١٠ أجل، لقد ألقى بعشرين رجل من فوق عجلاتهم الحربية،
 عندما دخل بعربته من أجل التدريب للمرة الأولى على القتال.
 فهو أول من وصل إليك برمحه، أيها الفارس باتروكلوس.
 مع ذلك لم يقهرك، وعاد ليندس وسط الحشد
 بعدما سحب حربته الرماذية من جسدك.

- ٨١٥ لم يصمد أمامك رغم كونك منزوع السلاح
هزمت يا باتروكلوس بضربة الإله وبالرمح
ونجوت من الموت إذ تراجعت إلى صفوف رفاقك.
رأى هيكتور أن باتروكلوس شديد اللباس
أصابه رمح برونزى باتر وتراجع عن مقدمة المعركة.
- ٨٢٠ اخترق الصفوف واقترب منه وضربه برمحه، أسفل بطنه مباشرة
فاخترق السلاح جسده. سقط مجلجلاً، فألم الحزن العميق بالآخيين.
ومتلماً يفترس أسدً خنزيراً لا يكلُّ في معركة،
إذ يتناحران بحماس شديد عند قمة جبل
- ٨٢٥ لكيلاً يقتسما الشرب من نبع صغير.
ينفت الخنزير لكن الأسد يقهره بقوته.
هكذا كان الإين الباسل لمينوبيتوس، بعد أن قتل
الكثيرين، سلبه هيكتور بن برياموس حياته برمية رمح صائبة
وخطبه في زهو، بكلمات مجنحة:
- ٨٣٠ باتروكلوس، حقاً، كنت تفكر في نهب مدينتنا
وتسلب النسوة الطرواديات حريتهن، وتسوقهن معك أسيرات
إلى السفن نحو وطنك الحبيب.
يا لك من أحمق، لأن خيول هيكتور السريعة أمامهن
متلهفة كلها للحرب، أما أنا، فواحد من الطرواديين
- ٨٣٥ محبي الحرب، هذا رمحي، الذي يصدُّ
عنهم يوم الهلاك. أما أنت، فلسوف تنهشك النسور هنا.
يا لك من تعيس، فحتى أخيليوس بكل شجاعته لن يجديك نفعاً
فيما أظن، ورغم بقائه هناك، أمرك وأنت قادم إلى هنا بقوله:
إني أمرك ألا تعود ثانية يا باتروكلوس يا سيد الفرسان
إلى السفن المجوفة، قبل أن تكون قد شققت
- ٨٤٠

- عباءة هيكتور، قاتل الأبطال، الأرجوانية من على صدره.
هذا ما أظن أنه تكلم به إليك وتلفاه عقلك الأحمق.
وأجبتّه، أيها الفارس باتروكلوس بأنفاسك الواهنة قائلاً:
"لتتفاخر، كيفما شئت، بقوتك يا هيكتور،
٨٤٥ فزيوس بن كرونوس وأبوللون قد منحاك النصر وأخضعاني
ببساطة، وهما اللذان جرّدا كفتي من أسلحتّه.
ولو أن عشرين رجلاً من البشر أمثالك واجهوني
لقهرتهم برمحي ولهلكوا جميعاً.
القدر العنيد، وابن ليتو (أبوللون)، فقط، هما اللذان قتلتاني
٨٥٠ أما من البشر، فهو يوفوريوس، ولم تكن أنت إلا ثالث من طعنوني
سأقول لك شيئاً، ضعه في قرارة نفسك:
أنت نفسك لن تحظى بحياة مديدة، فالموت ويد القدر ثقيلان،
يحومان بالقرب منك. ستموت (يا هيكتور) على أيدي أخيليوس
سليل أياكوس، الذي لا نظير له"
٨٥٥ تلك كانت كلماته قبل أن يغمره خلاص الموت
رحلت روحه إلى مقر هاديس متطائرة من بين أطرافه
وهي تندب مصيرها، تاركة ريعان الشباب وعنفوانه.
ورغم موته، إلا أن هيكتور المجيد تحدث إليه:
"لمّ يا باتروكلوس تتنبأ لي بدمار وشيك؟
٨٦٠ فمن يدري؟ لربما أتهر أخيليوس بن نيتيس جميلة الشعر
برمحي، وأكون أنا من يباغته ويسلبه حياته"
قال ذلك وسحب الحربة البرونزية الحادة من الجرح،
وثبت باطن قدمه على الجسد ليدفعه بعيداً عن الحربة.
وعلى الفور، انقضّ شاهراً رمحه على أوتوميدون

- ٨٦٥ شبيهه الآلهة، وحامل درع سليل أياكوس سريع القدم كان متلهفًا لأن
بضربه، لكن حملته الخيول السريعة إلى الأمام، فكانت (هذه الخيول)
٨٦٧ الهدية الخالدة المجيدة، التي وهبتها الآلهة، من قبل، إلى بيليوس.

الكتاب السابع عشر



ترجمة السيد عبد السلام البراوي

- لم يغب عن فطنة مينيلائوس بن أتريوس، حبيب أريس
إدراك أن باتروكلوس قد قُتِلَ في المعركة بيد الطرواديين.
ذهب إلى المقدمة بأسلحته البرونزية المصقولة، وحام حول
جسده، كما تحوم بقرة صغيرة لم تعان من قبل آلام الأمومة تطلق
صرخات الفزع فوق وليدها البكر.
- هكذا حام مينيلائوس ذهبى الشعر حول جسد باتروكلوس
شاهراً رمحه ودرعه المصقولين تماماً،
يتلهف لقتل من يغامر، محاولاً سلب الجثمان.
ولم يكن ابن بانثوؤس^(*) ذو الرمح الدردي غافلاً
عن مقتل باتروكلوس الذى لا نظير له، دنا منه
مخاطباً مينيلائوس، حبيب أريس،
"أى مينيلائوس، يا ابن أتريوس، يا سليل زيوس،
يا قائد الجيوش، لتستسلم وتترك الجثة، ودع لى الغنائم المملوطة بالدم
القانى. فلن يوجد - من بين الحلفاء المشهورين ولا بين الطرواديين -
واحد قد سبقنى فى النيل من باتروكلوس بالرمح فى المعركة المحتدمة.
فاسمح لى، من بين الطرواديين، أن أعتنم ذلك المجد المنشود.
وإلا ضربتك قاضياً على عذوبة روحك"
فأجابته مينيلائوس ذهبى الشعر فى غضب شديد:
"أى زيوس الأب، إن التباهى المفرط ليس حسناً، فليست روح
النمر أو الأسد أو الخنزير البرى المتوحش - تلك التى هى أعنف
وأشجع - كل المخلوقات، عندما ينفخ الواحد منها صدره عابساً -
ليست أكثر جسارة من روح أبناء بانثوؤس فى زهوم، برماهم
الدرديارية. حتى هيبيرينور، ذلك القوى مروّض الخيول
لم يسعد قط بشبابه، عندما تجاسر وواجهنى بالإهانة، دونما تقدير

(*) يوفوربوس. (المحرر)

- ٢٥ معتقداً، بأننى أضعف محاربى الدانائيين
وأقلهم (جلداً)، بيد أن قدميه فيما أظن، لم تحمله إلى
وطنه، ليسعد زوجته الحبيبة وأبويه العزيزين.
هكذا، أيضاً، يبدو أننى سأسلبك قوتك إن جرؤت
على مواجهتى، فالأحرى بك أن تعود إلى جموع المحاربين.
٣٠ إننى أمرك بذلك، وألا تغامر بمواجهتى، حتى لا تقاسى
من الشر الأهوال، فسفيه من يعى الكلام بعد فوات الأوان"
هكذا كانت كلماته، لكن الآخر لم يقتنع، فأجابه بقوله:
"حسنٌ يا سليل زيوس، يا مينيلأوس، الحق أنك ستدفع الآن
(ثمن) أذى الذى قتلته^(*)، وتفاخرت (بقتله)
٣٥ وجعلت من زوجته أرملة منعزلة فى حجرة عرسها الجديدة،
وألحقت بأبويننا كرباً وحزناً لا يوصفان.
سأكون لهما سلواناً فى حزنهما، ولبسماً
لدموعهما إن عدت حاملاً رأسك وأسلحتك،
ووضعتها بين أيادى بانثوؤس وفروننيس المبجلة.
٤٠ على كل، لن يتأخر القتال طويلاً دون
الخوض فيه، سواء انتهى إلى الهزيمة أو إلى النصر"
هكذا نطق لسانه، ثم ضرب فوق درع (مينيلأوس) جيد الصقل،
لكن لم ينفرس البرونز فيه، إذ انثنى سن الرمح
بسبب صلابة الدرع القوى، فما لبث مينيلأوس بن أتريوس
٤٥ أن طعنه برمحه ذى السن البرونزى، مبتهلاً إلى زيوس أبى الجميع.
طعنه فى قاع حلقه من أسفله، فهوى على ظهره،
ولاحقه بيده العتية، وبثقل جسده،
دفع سن الرمح ليغوص فى رقبتة الواهنة

(*) يعنى هيرينور Hyperenor سالف الذكر والمشار إليه أيضاً فى الكتاب الخامس عشر بيت ٣٥٠. (اخمر)

- ٥٠ فارتطم بالأرض، وتكومت فوقه أسلحته في صخب
وتبللت بالدماء خصلاته، الشبيهة بخصلات إلهات الحسن خاريتيس
المجدولة ضفائرها والمزينة بشرائط من الفضة والذهب.
كان كمن غرس شجيرة أبية، مثل زيتونة،
في مكان منعزل تتدفق فيه المياه، فبزغت
٥٥ كبرعم جميل يافع، تداعبه النسائم كلها من
حوله، فيتمايل، ويزهر زهوراً بيضاء،
وفجأة باغتته هبات الزوابع، الريح العاصفة
فاجتثته من جذوره، وطرحته أرضاً فتمدد هزياً.
هكذا كان (مينيلاؤس) بن أتريوس، عندما قتل يوفوريوس بن بانثوؤس
٦٠ ذا الرمح الدردي العتي، وجرده من أسلحته.
كان كأسد جبلي خطف، بكل شجاعة
أسمن البقرات بقطيع يرعى،
قبض بأسنانه القوية على رقبتها وكسرها
ثم مزقها وارثشف (بنهم) دماءها، وكذلك كل أحشائها،
٦٥ وتظل الكلاب (تتبع) من حوله، والرعاة (تصيح)
بصخب، عن بعد، بينما لا يجرؤ أحدهم بالمخاطرة
بمعركة خاسرة، حيث يوهنهم الرعب.
هكذا، لم تجش شجاعة واحد من الطرواديين في صدره،
حتى يغامر بخوض معركة ضد مينيلاؤس ذائع الصيت.
٧٠ وكاد ابن أتريوس بسهولة أن يحمل أسلحة ابن بانثوؤس
المجيدة بعيداً، لو لم يحسده فويبوس أبوللون عليها.
فأشار حفيظة هيكتور السريع شبيه أريس
متخذاً هيئة منتيس، ذلك الرجل قائد الكيكونيين،
إذ رفع صوته بكلمات مجنحة، وخاطبه:
- ٧٥ "أي هيكتور، أنت تجرى الآن وراء أشياء ربما لا

- تحققها ؛ وراء خيول سليل أياكوس الحكيم، إنها لأبية تلك
الخيول على أن تسوسها، ولصعب على الرجال جميعاً
أن يسوسوها، إلا أخيليوس وهو ابن إحدى الخالدات.
وكما ترى، فى إثر ذلك، مينيلأوس الشجاع ابن أتريوس
الذى يقف فوق جثة باتروكلوس، وقتل خير الطرواديين
يوفوربوس بن بانثوؤس، وقضى على شجاعته الطائشة"
هكذا، تكلم الإله، واختلط مرة ثانية فى جلبه الرجال،
وغمر روح هيكتور حزن أليم، واغتمَّ.
وبينما كان يجول بين الصفوف هنا وهناك مستكشفاً، لمح
بسرعة ذلك الرجل الذى سلب الأسلحة المجيدة، وذلك الآخر
الذى افترش الأرض، والدم ينز ما يزال من جرحه الغائر.
فتقدم خلال الصفوف، وكان برونز أسلحته وضاءً،
صاح صيحته المفزعة التى تشبه وهج هيفايستوس
الذى لا يقمع، إلا أن ابن أتريوس لم يكن غير مبال بهذه الصيحة.
فاضطرب قوى القلب (مينيلأوس) وتحدث إلى روحه المعطاءة:
"ويلى إذا تخليت عن الأسلحة المجيدة، وكذلك باتروكلوس
الذى يرقد هنا قتيلاً، وقد قتلته (يونوربوس) دفاعاً عن كرامتى.
أخشى أن يلومنى بعض من يرانى من الدانائيين.
لكننى لو حاربت وحيداً ضد الطرواديين وهيكتور
دفعاً للإهانة، أخشى وأنا وحيداً، أن يحاصرونى وهم كثر.
فهيكتر نو الخوذة اللامعة يقود الطرواديين جميعاً إلى هنا.
ولكن لم تجادلينى على هذا النحو، أى روحى العزيزة؟
فمن يحارب ضد رغبات الآلهة رجلاً آخر
ممن تمجده الآلهة، سيلطمه الكرب كالموج.
لذا لن يلومنى واحداً، ممن سيروننى من الدانائيين
على هزيمتى أمام هيكتور، إذ يحارب باسم الآلهة.

- ليتنى أجد أياس البارع فى صيحة الحرب، هنا أو هناك.
فكلانا سيسعى مشحوناً بنشوة الحرب،
وسوف نسحب الرجل الميت، حتى ولو نازعتنا السماء،
لكى نسلمه إلى أخيليوس بن بيليوس، وتلك تكون أخف الشرور" ١٠٥
- وبينما كان ابن أتريوس يقلب الأمر، فى قلبه وروحه،
حلت صفوف الطرواديين يقودهم هيكتور.
فتراجع مينيلائوس تاركاً جسد الميت. كان يتلفت حوله، كأسد أشعث
تطارده الرجال والكلاب والصراخ والرماح، ١١٠
بارح إحدى الحظائر، ورغم قوته تجمد قلبه بداخله
من الفرع، وغادر الحظيرة مرغماً.
هكذا رحل مينيلائوس ذهبى الشعر عن باتروكلوس الصريع،
ثم عاد أدراجه إلى الورا، وتوقف عند لحاقه بالرفاق
باحثاً فى لهفة هنا وهناك عن أياس العظيم ابن تيلامون. ١١٥
وسرعان ما لمح فى ميسرة المعركة يحث رفاقه على القتال.
هؤلاء الرفاق الذين أصابهم فويبوس أبوللون برعب من السماء.
هرع إليهم، ثم توقف عن قرب منهم، وقال:
"أى أياس، أيها الصديق الحبيب، هلم بنا ندافع عن
باتروكلوس الصريع، علنا نستطيع حمله إلى أخيليوس حتى ولو
كان مجرداً من أسلحته، التى سلبه إياها هيكتور ذو الخوذة اللامعة"
وما أن قال ذلك حتى أثار روح أياس حكيم القلب،
فسرعان ما تخلل (صفوف) المقدمة، معه مينيلائوس ذهبى الشعر
فى اللحظة التى ينزع فيها هيكتور الأسلحة المجيدة عن باتروكلوس. ١٢٥
كان يسحب الجسد بعيداً بنية أن يقطع العنق بالبرونز الفتاك
ويرميه إلى كلاب الطرواديين. فدنا أياس حاملاً درعه الشبيه بالبرج
فتراجع هيكتور برشاقة على الفور متجهاً إلى رفاقه،

- ١٣٠ إذ قفز إلى عجلته الحربية وعهد بالأسلحة المجيدة
إلى الطرواديين، يحملونها إلى المدينة لتكون مجده الأعظم.
وبينما كان أياس واقفاً يحمى ابن مينويتيوس بدرعه العريض
ثابتاً كلبوءة تدافع عن أشبالها
عندما تقودهم إلى غابة كثيفة وتواجه
- ١٣٥ القناصين فتستجمع كل قواها في صدرها
وتكشّر عابسة، وتقطب الحاجبين إلى أن تختفى عيناها.
هكذا، كان يرى أياس واقفاً دفاعاً عن البطل باتروكلوس،
ووقف مينبلاؤس بن أتريوس بجواره صلباً، يطحن قلبه حزن عميق.
- ١٤٠ لكن جلاوكوس بن هيبولوخوس قائد رجال الليكيين
رمق هيكتور عابساً، ورماه بكلمات قاسية:
"أى هيكتور، تبدو أفضل الشجعان، لكن يعوزك في شئون
الحرب الكثير، فالمجد العظيم يغمرك هباءً، بينما أنت جبان رعديد.
عليك، الآن، أن تفكر في طريقة تحمى بها مدينتك ووطنك
بنفسك، مع الشعب الذى يتخذ من إليون وطناً.
- ١٤٥ فلا أحد من الليكيين سيحارب الدانائيين من أجل المدينة، وقد رأوا
أنهم لا يلقون الشكر على أداء واجبهم
بخوض غمار القتال في قلب حشود الأعداء.
فكيف لك أن تنقذ من هم أقل جدارة بين ذويك في الحرب،
وقد تركت، يا قاسى القلب، سارييدون ضيفك ورفيقك
ليكون فريسةً للأرجيين وغنيمة،
وهو الذى كثيراً ما كان عوناً لك، أنت نفسك، ولمدينتك
طيلة حياته، وأنت الآن لا تجرؤ أن تحميه من الكلاب.
لو يسمعنى الآن أحد الليكيين
لذهبنا إلى بيوتنا، وأحاق بطروادة دماراً وشيك.
فإذا غمرت الطرواديين روحٌ جريئةٌ وشجاعةٌ،
- ١٥٥

- مثل تلك التي تملأ قلوب الرجال وهم
 يخوضون غمار القتال العنيف ضد الأعداء من أجل بلدهم،
 لاستطعنا أن نسحب جسد باتروكلوس سريعاً إلى اليون.
 ١٦٠ أجل، وإذا جاء هذا الميت إلى مدينة برياموس العظيمة
 وإذا تمكناً أن نبعده عن المعركة لتنازل الأرجيون سريعاً عن أسلحة
 ساربيدون العظيمة، واستطعنا أن نعيد (الجسد) إلى اليون^(*).
 فالقتيل باتروكلوس هو حامل الدروع، وهو أفضل
 ١٦٥ الأرجبيين المحاربين بجوار السفن، هو وأتباعه المحاربون الآخرون.
 أنت لا تملك شجاعة تؤهلك لمقاومة أياس قوى القلب، ولا تستطيع
 الصمود أمامه أو أن تجابهه وجهاً لوجه وسط صيحات المحاربين،
 أنت لا تستطيع تحدى مَنْ هو أفضل منك"
 فقال هيكتور ذو الخوذة اللامعة عابساً:
 ١٧٠ "أى جلاوكوس، لماذا - وأنت من أنت - تتكلم بطريقة
 غير لائقة؟ تبأ، ظننت أنك تفوق غيرك حكمةً،
 أكثر من هؤلاء الكثيرين الذين يقطنون ليكيا ذات التربة الخصبة.
 ولكن الآن، ما أحمقك!
 تقول إنني لا أجرؤ على ملاقات عملاق مثل أياس،
 ١٧٥ إنني لا أهاب الحرب ولا جلبة الجياد،
 لكن تدبير وتقدير زيوس، لابس الدرع أيجيس، هما الأقوى دائماً،
 فهو الذى يفرع الشجاع ويسلبه النصر
 ببساطة، ثم يعود ليحرّضه على الحرب مرة أخرى.
 لكن تعال هنا، أيها الرفيق، قف إلى جوارى وانظر
 ١٨٠ ما أفعله، لتعرف ما إذا كنت اليوم ألعب دور الجبان، كما تدعى
 أم أن أيًا من الدانائيين، وأيًا تكون لهفته للقتال

(*) يبدو هنا أن جلاوكوس لا يعرف شيئاً عن حقيقة أن جسد ساربيدون قد نقله إله النوم وإله الموت من ساحة القتال إلى ليكيا. راجع الكتاب السادس عشر، بيت ٦٨٩. (المحرر)

سأكبح شجاعته وأحرمه من أن يقا تل دفاعًا عن باتروكلوس الصريع"

قال ذلك، وصاح بالطرواديين عاليًا:

"أيها الطرواديون و الليكيون الداردانيون المقبلون على القتال

١٨٥

كونوا رجالاً، أيها الأصدقاء، واستثيروا شجاعتكم الجامعة،

بينما أتقلد أنا الأسلحة الباترة لأخيلئوس العظيم،

تلك الأسلحة المجيدة، التى نزعته عن باتروكلوس عندما قتلته"

قال ذلك هيكتور نو الخوذة اللامعة، ثم

ابتعد عن ساحة الوغى، ليلحق بأتباعه،

١٩٠

وسرعان ما لحق بهم مهرولاً لأنهم لم يكونوا على مسافة كبيرة منه.

كانوا يحملون أسلحة ابن بيلئوس الشهيرة إلى المدينة.

توقف متجنبًا جانب القتال العنيف وبدل أسلحته

فأعطاهم للطرواديين محبى الحرب لكى يحملوها

إلى إليون المقدسة، بينما تقلد هو الأسلحة الخالدة

١٩٥

التى كان أخيلئوس بن بيلئوس يرتديها، تلك الهدية التى صنعها

ساكنو السماء وقدموها إلى والده الحبيب، والتى عندما تقدم به السن

منحها لابنه، الذى لم يبلغ الشيخوخة بعد وهو يضع على كتفه

هذه الأسلحة. وعندما لمح زئوس، جامع السحاب، عن بعد

وهو متسلح بأسلحة ابن بيلئوس شبيه الآلهة

٢٠٠

حينئذ، هز الإله رأسه وخاطب نفسه:

"ويحك، يا لك من تعس، إذ لا تفكر فى الموت الذى سيحقيق بك

رغم أنه وشيك، أنت ترتدى الأسلحة الخالدة

لأفضل الرجال، الذى يرتجف أمامه كل من سواه.

أنت الذى قتلت رفيقه الشهم القوى

٢٠٥

وأخذت الأسلحة من رأس صديقه وكتفيه

على نحو لا يليق، رغم ذلك، سأمنحك قوة هائلة فى الوقت الراهن

- مقابل ألا تعود أبدًا من الحرب إلى أندروماخي،
تتسّم من يدريك أسلحة ابن بيليوس المجيدة"
- هكذا تكلم ابن كرونوس وأوما بحواجه الداكنة،
٢١٠ وثبت الأسلحة على جسم هيكتور، بل وألبسه روح آريس
الرهيب، حينئذ، شحنت أطرافه قوةً وشجاعةً،
انطلق تجاه حلفائه الأماجد
وصاح (بصوت عالٍ) ولاح أمام كل الجموع متلأئناً
في الأسلحة البراقة لابن بيليوس شديد البأس.
٢١٥ وما أن وصل إليهم حتى ألهمهم بكلمات حماسية.
حث على الحرب كلاً من ميستليس وجلاوكوس وميدون
وثيرسيلوخوس وأستيروبايوس وديسينور وهيبوثوؤس
وفوركيس وخروميوس وإينوموس العراف.
حثهم جميعًا على القتال، بكلمات مجنحة:
- ٢٢٠ "اصغوا إليّ يا قبائل الحلفاء الغفيرة، يا من تقطنون
حولنا، ليس لأنى أسعى أو أنشد فيكم الكثرة التي لا تحصى،
فما احتشدتم هنا بعيدًا عن بيوتكم
إلا لتدافعوا، بكل ما أوتيتم من قوة، عن زوجات الطرواديين
وأطفالهم الأبرياء ضد الأخيين محبى القتال.
٢٢٥ لهذه الغاية أسعى وأكلف قومي بإمدادكم
بالهدايا والطعام، لتلتهب قوتكم وشجاعتكم،
ليسع كل فرد منكم إلى القتال، يعيش أو يموت، فتلك هي نشوة الحرب.
ومنّ يسحب باتروكلوس الميت إلى الطرواديين
٢٣٠ مروضى الخيول، ويقهر أياس شديد البأس، ويخضعه
فنصف الغنائم له، والنصف الآخر لى، ومجده هو مجدى"
سمعوا ذلك، فانقضوا جميعًا على الدانائيين بكل قوتهم

شاهرين الرماح عاليًا، تخفق قلوبهم أملًا
 ٢٣٥ فى جذب الجثة من تحت أياس بن تيلامون.
 حمقى! كم من أرواح زهقت فوق هذه الجثة!
 تحدث أياس إلى مينيلائوس الشجاع صائحًا:

"أى مينيلائوس، يا صديقى الشجاع، يا سليل زيوس
 لم يعد لدى أمل فى عودة كليتنا من المعركة، سالمين إلى الوطن.
 ٢٤٠ إننى لا أخشى على جسد باتروكلوس،
 فكلاب وطيور الطرواديين، فيما أظن، لن تتال منه.
 لكنى أرتجف (خوفًا) على نفسى وعليك خشية أن يصبنا
 أذى، فسحابة حرب عاصفة تحوم فوق رعوسنا فى ظلام مخيف.
 إنها هيكتور نفسه، إنها الدمار الوشيك الذى يحدق بنا.
 ٢٤٥ هلم، إذن، نادى على أبطال الدانائيين، وليسمعوك"
 أطاعه مينيلائوس الشجاع وصاح صيحة الحرب
 صارخًا فى محاربى الدانائيين بصيحات مدوية:

"أى أصدقائى، يا قادة الأرجيين وناصحهم،
 يا من تجلسون مع أجاممنون بن أتريوس ومينيلائوس
 ٢٥٠ على الموائد، تشربون على نفقة المال العام، ويمتثل الناس لأمركم،
 وسيلازمكم مجذّ وشرف من زيوس.
 إنه لمن العسير على أن أميز من بين الجموع الحاشدة،
 أيًا منكم أيها الزعماء، فالنزال مضطرم فى المعركة.
 ليتقدم كل منكم من تلقاء نفسه ناظمًا فى قلبه،
 ٢٥٥ يابى فى غضب أن يصبح باتروكلوس أعبوةً لكلاب الطرواديين"

وحين قال ذلك، سمعه أياس السريع ابن أويليوس،
 كان أول من أسرع خلال الجموع لمقابلته
 ولحق به تابعه القوى إيدومينيوس،

- وكذلك تابعه ميريونيس نظير إنيايوس، قاتل الأبطال.
 لكن، من ذا الذى يستطيع بمفرده (دونه عون ربات الفنون)
 ٢٦٠ ذكر الآخرين وحصر أسمائهم جميعًا، هؤلاء الذين اندفعوا
 وراء قادتهم وأشعلوا جذوة القتال فى صفوف الآخيين؟
 هبت جموع الطرواديين فى هجوم يقوده هيكتور،
 مثلما يحدث عند مصب نهر سماوى المنيع،
 حيث تزار موجة هائلة فى المجرى،
 ٢٦٥ وتضرب أمواج البحر الشاطيء فتغمر الشاطيء بالأصداء محدثة دويًا،
 هكذا كان صياحهم، عندما هجم الطرواديون، بينما الآخيون
 يلتفون واقفين حول ابن مينويتوس وقفه رجل واحد.
 التفتوا جميعًا حوله بدروع من البرونز، ومن فوقهم
 وفوق خوذاتهم الناصعة صبّ ابن كرونوس الظلام دامسًا.
 ٢٧٠ فزيوس لم يكن يكره ابن مينويتوس من قبل،
 عندما كان على قيد الحياة يخدم سليل أياكوس.
 بل إن (زيوس) تبرم لوقوع (باتروكلوس) فريسة
 لأعدائه كلاب الطرواديين، لذا حث رفاقه ليدافعوا عنه.
 فى البدء، صدّ الطرواديون الآخيين ذوى الأعين البرّاقة،
 ٢٧٥ فانسحبوا تاركين الجسد، لكن الطرواديين المغرورين
 لم يقتلوا واحدًا برماحهم، رغم رغبتهم الجامحة.
 فقط، كادوا أن يسحبوا الجسد بعيدًا،
 وما كاد الآخيون أن يبتعدوا عن الجسد قليلًا، حتى لحقهم
 أياس الذى يفوق الدانائيين جميعًا - فيما عدا
 ٢٨٠ ابن بيليوس - فى الجمال وأعمال القتال.
 هبّ من خلال صفوف المحاربين الأولى ببسالة،
 كخنزير نزل من الجبال يشنت الكلاب والقناصين
 الشباب والشجعان بسهولة، ويتحرش بهم فى الوديان.

- ٢٨٥ هكذا، شنت أياس المجيد ابن تيلامون أبى الروح
صفوف الطرواديين بسهولة، إذ هجم عليهم
وهم يتحلقون حول جسد باتروكلوس يزعمون
أن يسحبوه إلى المدينة، فيحظون بمجد أبدى.
تقدم هيبوثوؤس المجيد بن ليثوس البلاسجى
وسط الطعان الرهيب ليسحب الجسد،
٢٩٠ بعد أن ربط القدمين من الكعب إلى الساق،
ليبهج بذلك هيكتور والطرواديين.
لكن سرعان ما جاءه ويل لا يمكن لأحد، أيًا كان، أن يدفعه.
ابن تيلامون، الذى اندفع من بين الجموع
وضربه، عن قرب، على خوذته البرونزية
٢٩٥ فاهترت الخوذة المزينة بخصلات من شعر الجياد تحت رأس الحربة،
فتحطمت بضربة سيف قوية من (أياس)،
وتفجر المخ عبر الجرح على طوق رأس الحربة
حيث لطحها بالدم، وانهارت قواه تمامًا فتركت يده
قدم باتروكلوس قوى الهمة تفلت من قبضتها، وعلى الأرض
٣٠٠ أسقطها، بينما هو نفسه هوى فوق الجسد.
هناك بعيدًا عن لاريسا عميقة التربة، لم يرد جميل والديه
العزيرين عن رعايته، فأجله كان قصيرًا،
حيث سقط برمح أياس عتى القلب.
وبدوره قذف هيكتور رمحه اللامع صوب أياس
٣٠٥ وعندما لمح (أياس) الرمح ذا الرأس الحادة قادمًا
راوغه بالكاد، إلا أن رمح (هيكتور) أصاب سخيديوس بن إفيتوس
الذى يفوق الفوكيين جميعًا، القاطن
بانوبيوس الشهيرة، وكان ملكًا على شعب غفير.
فضربه هيكتور عند أسفل عظمة عنقه

- ٣١٠ ضربة غائرة، ونفذ الرمح البرونزى مدبب الرأس أسفل كتفيه فسقط بصخب، وطننت أسلحته وهى تسقط فوقه. ثم ضرب آياس فوركيس حكيم القلب ابن فاينوبس فى محيط بطنه، عندما كان يقف فوق هيبوثوؤس، فكسر صفيحة درعه ومزق السلاح أحشاءه، وسقط على التراب وتشبثت بالأرض يداه.
- ٣١٥ تقهقر، محاربو المقدمة، وكذلك هيكتور الأمجد، بينما صاح الأرجيون بقوة وسحبوا جثتى فوركيس وهيبوثوؤس ونزعوا الأسلحة عن أكتافهم. حينئذ تقهقر الطرواديون، يطاردهم جنبهم، عادوا إلى إليون أمام الآخيين محبى آريس.
- ٣٢٠ وعلى الرغم من وعود زيوس، كاد الأرجيون يفوزون بالمجد بسبب قوتهم وشجاعتهم، لولا أن أبوللون نفسه، حث آينياس، منتحلاً هيئة الرسول بيريفاس بن إبيتوس، الذى شاخ فى خدمة والد (آينياس) وكان طيب القلب. انتحل أبوللون بن زيوس صورته مخاطباً (آينياس):
- ٣٢٥ "أى آينياس، كيف تستطيعون، ضد إرادة الإله، أن تحموا إليون عالية الأسوار؟ حقاً إننى رأيت رجالاً آخرين غيركم، لديهم الثقة فى قوتهم وقدرتهم وبسالتهم وفى جيوشهم، قد حافظوا على شعبهم حتى ضد إرادة زيوس.
- ٣٣٠ بل يرغب زيوس فى أن يكون النصر لنا أكثر من أن يكون للدانائيين بيد إنكم ترتعدون خوفاً، ولن تحاربوا
- شعر آينياس بأبوللون رامى السهام البعيدة عندما طالع وجهه، وصاح عالياً بهيكتور:
- ٣٣٥ "أى هيكتور، ويا أيها الآخرون، يا قادة الحلفاء والطرواديين

- إنه لمن العار، أمام الآخيين أحبباء أريس
أن نعود إلى إليون مهزومين لجبن فينا.
إن وحيًا بالقرب منى يعلن:
- أن زيوس ذا الإرادة العليا لمعين لنا فى المعركة.
فهيأ بنا، إذن، نواصل (التقدم) نحو الدانائيين، فربما نحول
٣٤٠ بينهم وأن يحملوا باتروكلوس الصريع إلى سفنهم"
قال ذلك، وقفز للأمام فى مقدمة الجيش.
حينئذ، احتشدوا وقاوموا الآخيين مرة أخرى،
وبرمحه طعن آينياس ليوكريتوس
- ٣٤٥ بن أريسباس، الرفيق النبيل لليكوميديس الشجاع
فجرحه، وأشفق عليه ليكوميديس حبيب أريس، عندما هوى،
فتقدم وأخذ موقعًا قريبًا منه وأطلق
رمحه البرأق، فأصاب أبيساون بن هيباسوس راعى الشعب
فى عمق كبده، حتى اهترت من تحته ركبته.
وكان (أبيساون) قد أتى، من بابونيا عميقة
٣٥٠ التربة، كما كان أفضل الرجال فى الحرب بعد أستيروبايوس.
فأشفق عليه أستيروبايوس الشجاع لما هوى،
وانقض على الدانائيين متلهفًا على قتالهم.
لكنه أخفق، حيث تسيجوا من كل ناحية بالتروس،
ووقفوا فوق باتروكلوس شاهرين رماحهم.
- ٣٥٥ فأياس العملاق كان يجول ويصول هنا وهناك وكان يحضهم
ويأمرهم بشجاعة ألا يتراجع فردّ منهم عن جسد (باتروكلوس)،
وألا يتقدم أحدهم ويحارب فى طليعة بقية الآخيين
بل ليصمد الجميع يدا بيد، فى موضع الجثمان.
بهذا أمرهم أياس القوى، فتضمخت الأرض
٣٦٠ بالدماء المسفوكة، وتساقط القتلى

- بغزارة هادرة، من الطرواديين و حلفائهم الشجعان
ومن الدانائيين أيضاً، الذين يسقط منهم قتلى،
ولكن عدد من سقط منهم أقل بكثير من قتلى أعدائهم ؛ لحرصهم
- أثناء المعركة - أن يصدوا الموت عنهم.
- ٣٦٥ حاربوا كنار مستعرة، وما كان لأحد أن يتيقن
وقتها، أن الشمس أو القمر لا يزال فى الأفق،
إذ خيم الضباب الكثيف ولاسيما على أشجع المحاربين
الملتفين حول جسد ابن مينويتوس. (بينما فى مكان آخر)
٣٧٠ كان الباقون من الطرواديين والآخيين المسلحين جيداً بالدروع
يحاربون غير مكترئين تحت السماء الصافية، وضوء الشمس المشرق
يسطع فوقهم، ولم تظهر هناك حتى سحابة فى السماء
لا فوق سهل أو (فوق) تل. فكانوا يستريحون من القتال
بين الحين والآخر، وقد أفلت البعض من الرماح المحملة بالأنين،
بأن انتحوا جانباً، بينما آخرون ممن، كانوا فى الوسط يتحملون
٣٧٥ قسوة المعركة والظلام. كما أرهقت وطأة الأسلحة
عديمة الرحمة كل القادة. إلا أن رجلين
- رغم أنهما محاربان شهيران: ثراسيميديس وأنتيلوخوس -
لم يعلما بموت باتروكلوس الذى لا نظير له،
وكانا يعتقدان أنه لم يزل على قيد الحياة
يحارب بقوة، وسط طلائع الجيش ضد الطرواديين.
٣٨٠ توقع هذان البطلان أن يكون رفاقهما قد ماتوا أو هزموا،
وباتا يحاربان بمعزل عن الباقين، لأن نيستور أمرهما بذلك،
عندما كانا عند السفن السوداء، وحرصهما على القتال.
واستمر قتالهما العنيف طوال اليوم.
٣٨٥ وازدادت ضراوته، وغرق كل محارب
فى العرق والكبح، وقد توحلت سيقانهم وأقدامهم

- وأذرعهم، وتبللت أعينهم. إذ يتعارك الفريقان
حول جسد التابع المغوار لسليل أياكوس سريع القدم.
وكما يعطى رجلٌ جلدٌ ثورٍ ضخم إلى شعبه
لكى يشدوه بإحكام، بعد نقعه فى الدهن،
فعدما يأخذونه ويقفون متباعدين فى دائرة، ويشدونه
بالتواء، فتخرج الرطوبة، بينما تدخل الدهون
بسبب شد الكثيرين، ويتمدد الجلد كله فى كل اتجاه.
هكذا، من كلا الجانبين، كانوا هنا وهناك، يتجاذبون
جسد باتروكلوس فى محيط ضيق بقلوب مفعمة بالأمل.
٣٩٠ (فأمل) الطرواديين أن يسحبوا (الجسد) إلى طروادة، أما الآخيون
فأملهم أن يعودوا بها إلى السفن المجوفة. واستعر حول الجسد
نزاع مهول لم تستطع أثينة أن تخففه عندما رآته،
ولا آريس، مستنفر الجيوش، رغم أن غضبهما كان عنيفاً.
- ٤٠٠ ذلك هو الكدح المرهق للأبطال والجياد الذى فرضه زيوس
اليوم حول جسد باتروكلوس. بيد أن أخيليوس
شبيه الآلهة لم يكن يعرف بعد أن باتروكلوس قد هوى.
لأنهم كانوا يحاربون بعيداً عن السفن السريعة
تحت حصن الطرواديين، لذلك لم يتصور أبداً
أنه قد مات، بل إنه حى ينتظر عودته سالمًا
بعد أن اقترب من البوابات. كان يتوقع
دوماً أنه لن يحاصر المدينة ويسلبها بدونه،
فربما أسرت له والدته بذلك فى حديث خاص.
إذ كانت تواتيه بأنباء عن نوايا زيوس الجبار،
لكن حتى ذلك الحين، لم تكن والدته قد أخبرته بشيء
٤١٠ عن ذلك الحزن الثقيل المقدر، فأعز صديق له قد مات.
والباقون ما زالوا يجاهدون عند جثته بسهامهم الباترة،

- وصارع بعضهم بعضًا فى قتال متواصل.
- كان الواحد من أبناء الأخيين المسلحين بالبرونز يقول للآخر:
- ٤١٥ "أيها الأصدقاء، حقًا إنه عار علينا أن ننسحب
إلى السفن المحوفة، الأجدر أن تتشق الأرض السوداء
وتبتلعنا جميعًا. الأفضل أن يحدث ذلك،
ولا نترك للطرواديين مروضى الخيول
يحرزون المجد ويسحبون الجسد بعيدًا إلى مدينتهم".
- ٤٢٠ وبالمثل كان أحد الطرواديين شديدى العزم يقول:
"أيها الأصدقاء، لو قدر لنا جميعًا أن نهلك
فوق هذا الرجل، فليكن ولا يفر أحدكم من المعركة"
كانوا كلهم يلهبون حماسهم وبأسهم،
فاشتد التناحر وامتد حتى الدياجير،
٤٢٥ وصليل الحديد يطول عنان السماء المذهبة.
وقفت خيول سليل أياكوس بعيدًا عن المعركة
تبكي، منذ أن عرفت أن قائدها قد سقط
فى التراب، بيد هيكتور قاتل الرجال.
وعبثًا حاول أوتوميدون الشجاع بن ديوريس
أن يحمسها مرة بضربات من سوطه السريع،
٤٣٠ وأخرى بنبرات رقيقة معسولة، وأحيانًا أخرى باللعنات القاسية.
ولم ترغب الخيول فى الذهاب إلى السفن بجوار بحر الهيليسبونطوس
الشاسع، ولا أن تلتحق للمشاركة مع الأخيين فى الحرب.
- ٤٣٥ وكما يقف العمود ثابتًا بلا حراك، قائمًا على قبر رجل أو امرأة،
هكذا وقفت الخيول فى سكون مربوطة إلى العجلة الحربية الباهية،
وقد نكست رعوسها حتى تكاد تلامس الأرض
وكانت الدموع تنهمر من أعينها على التراب

حزناً على موت سائقها، وقد لطح التراب أعرافها المنسابة
مسترسلة إلى أسفل على الجانبين من تحت سنادة النير.
٤٤٠
وعندما رأى ابن كرونوس حزنها أشفق عليها
فهز رأسه وقال محدثاً نفسه:

"أيتها الخيول التعسة، لماذا أعطيناكم إلى بيليوس الملك
الفانى، بينما أنتم جيول إلهية خالدة لا تموت؟
٤٤٥
أىكون ذلك مشاركة للبشر التعساء فى محنتهم؟
حيث لا يوجد، فى تصورى، من يستحق الشفقة بين الكائنات
التي تتنفس على وجه الأرض وتتحرك أكثر من الإنسان^(*).

والحق أن هيكتور بن برياموس لن يمتطى صهونكم ولن يمتطى عربتكم
الحربية البهية. ألن يكفيه أن يرتدى الأسلحة التي يزهو بها متبختراً؟
٤٥٠
لكنى سأضع فى أرجلكم وروحكم قوةً
حتى تحملوا أوتوميدون سالماً بعيداً عن المعركة
إلى السفن المجوفة، حيث سأمنح مزيداً من النصر (للطرواديين)
ليواصلوا القتال حتى يصلوا إلى السفن متينة المقاعد،
وتغرب الشمس ويحل بهم ظلام إلهى"
٤٥٥

وما أن قال ذلك حتى نفث فى الخيول قوة هائلة،
فنفضت الخيول الغبار عن أعناقها إلى الأرض
وبرشاقة جرت العجلة الحربية السريعة وسط الطرواديين والآخيين.
وكان أوتوميدون من خلفها يحارب الطرواديين وكله حزن على رفيقه
(باتروكلوس)، وانقض بعجلته الحربية كما ينقض النسر على الأوز.
٤٦٠
كاد يفر بخفة من بين حشود الطرواديين
ولاحق جموعهم الغفيرة ملاحقة حثيثة لكنه لم يقتل أحداً،
فلم يكن بإمكانه، فى كل الأحوال، وهو وحيد على عجلته الحربية

(*) ذاع هذان البيتان فى الأدب القديم والحديث باعتبارهما دليلاً على تشاؤم هوميروس ورؤيته للإنسان على أنه
أبأس المخلوقات. قارن الأوديسية، الكتاب الثامن عشر بيت ١٣٠. (المحرر)

٤٦٥ المقدسة أن يهاجم برمحه، و يقود الخيول السريعة فى الوقت نفسه.
وأخيراً، لمحّه أحد الرفاق، ألكيميدون بن لائيركيس بن هايمون،
فوقف فوق عربته من الخلف، وتحدث إلى أوتوميدون:

"أى أوتوميدون، مَنْ من الآلهة قد غرس

٤٧٠ فى صدرك نصيحة غير ذات نفع، وسلب الفهم من عقلك؟
تقاتل، هكذا، فى مقدمة الصفوف ضد الطرواديين بمفردك،
قُتِلَ رفيقك، وأسلحتّه يرتديها هيكتور على كتفيه
إنها أسلحة سليل أياكوس المجيدة"

وأجابه أوتوميدون بن ديوريس:

٤٧٥ "أى ألكيميدون، مَنْ غيرك من أبطال الآخيين بوسعه
أن يشكم ويقود خيولاً خالدة
باستثناء باتروكلوس وحده، صنو الآلهة فى المشورة
عندما كان حيّاً؟، أما الآن وقد أدركه الموت والهلاك
فلتأخذ أنت السوط والأعنة البراقة،
٤٨٠ وسأنزل أنا للأرض حتى أقاتل"

قال ذلك، فوثب ألكيميدون فوق العجلة الحربية المسرعة
وبخفة قبض بيديه على السوط والأعنة.

وكان أوتوميدون قد نزل من فوق عجلته الحربية. وعندما شاهدها
هيكتور المجيد، نادى مباشرة على آينياس الذى كان على مقربة منه:

٤٨٥ "أى آينياس، يا قائد الطرواديين المسلحين بالبرونز،
هناك، ألمح جوادى سليل أياكوس سريع القدم
قادمين نحو المعركة ظاهرين للعيان يقودهما رجال ضعاف.
كلّى أمل أن أسرهما، فإذا كنت حقاً ترغب فى ذلك
من قلبك، فلن يصمدا أمام هجومنا نحن الاثنين

٤٩٠ ولن يغامرا بالوقوف والنضال أمامنا فى المعركة"

- هكذا قال، وأطاعه ابن أنخيسيس الشجاع،
وتقدم كلاهما وفوق كتفى كل منهما
درع من جلد ثور مقوى ومجفف وملحوم به برونز سميكة.
وكان خروميوس معهما، وكذلك أريتنوس شبيه الآلهة
وكانت قلوبهم قد امتلأت فى داخلهم
بالأمل فى قتل الرجلين، وأن يستوليا على الخيول قوية الأعناق.
ويا لهما من أحمقين! حيث إنه دونما إراقة دماء
لن يستطيعا سلبهما من أوتوميدون الذى تضرع إلى زيوس الأب
ممتلئاً قلبه العتيد بالبسالة والقوة.
وسرعان ما خاطب ألكيميديون رفيقه المخلص قائلاً:
"أى ألكيميديون لا تمسك الخيول على مبعدة منى، بل دع
أنفاسها تضرب فى ظهري، فالحق أننى لا أعتقد
أن هيكتور بن برياموس سيرجع عناً،
حتى يقتلنا نحن الاثنين ويمتطى خيول
أخيلئوس جميلة العُرف، فينشر الذعر بين صفوف
الأرجيين، أو يُقتل هو نفسه فى صفوف المقدمة"
وما أن قال ذلك حتى نادى الثنائى أياس كليهما ومينيلائوس:
"أيها الثنائى أياس، يا قادة الأرجيين، وأنت يا مينيلائوس
ويحكم! سلموا جسد الميت لمن هم أجدر
بحمايته وصد صفوف الرجال (الأعداء) عنه.
تعالوا، الآن، لتصدوا عناً نحن الاثنين الأحياء (*) يوماً قاسياً.
فهنا فى خضم الحرب الأليمة يهاجم بعنف
هيكتور وآينياس اللذان هما أفضل الطرواديين.

(*) هذا معناه أن الحى أفضل من الميت وأولى بالرعاية، ولقد ورد فى الكتابات المسيحية الأولى
(Ecclesiastes, ix 4) قول فحواه أن كلباً حياً أفضل من أسد ميت. (المحرر)

- حقاً إن كل شيء يقع على ركبتي الآلهة
ولذا سأقذف (هذا الرمح) وأترك الباقي لزيوس" ٥١٥
- قال ذلك، ووازن رمحه بعيد الظل وقذفه
فأصاب مباشرة درع أرييتوس المصقول باستدارة جيدة،
ولم يقو الدرع على صد (الرمح)، فنفذ البرونز بقوة خلاله
إلى العمق، متجاوزاً حزام البطن. ومثلما يضرب رجلٌ عتى القبضة،
بفأس ذي حافة حادة خلف قرون ثور أليف، ٥٢٠
فتتهتك أعصابه كليةً، ويقفز الثور للأمام ويتهاوى.
هكذا وثب أرييتوس للأمام وسقط على ظهره، فالرمح
بالغ الحدة الذي ثبت مهتزاً في أحشائه، قد أرخى أطرافه.
لكن هيكتور برمحه اللامع، قذف أوتوميدون، ٥٢٥
فما كان من (أوتوميدون) الذي كان ينظر إليه بثبات، إلا أن راوغ
الرمح البرونزي بأن مال للأمام بسرعة، فانطلق الرمح الطويل
وانغرس في الأرض خلفه، وانتصب الرمح واقفاً،
وعلى وجه السرعة أحبط آريس ضراوته.
حينئذ، أوشكا أن يشتبكا بسيفهما ملتحمين، ٥٣٠
لو لم يكن الثنائي أياس قد حالاً بينهما.
فعندما جاء (الثنائي أياس) في حشد، تلبية لنداء رفيقهما
وعلى إثر هجومهما، حل الرعب مرة أخرى
بهيكثور وأينياس وخروميوس شبيه الآلهة
فتقهقروا وتركوا أرييتوس، مطعوناً ومُسجىً. فسلب منه أوتوميدون، ٥٣٥
صنو آريس السريع، أسلحته غنيمة، وتفاخر ساخرًا:
"الحق إنني أرحت قلبي قليلاً من حزنه على موت ابن
مينوييتوس، مع أن الرجل الذي قتلته أقل من (ابن مينوييتوس) شأنًا"
قال ذلك، ثم حمل الغنائم الملطخة بالدماء ووضعها ٥٤٠

فوق عجلته الحربية التى امتطأها، وكانت قدماه ويده
تتضح بالدماء، وكأنه أسدٌ قد التهم عجلًا.

عادت المعركة الوحشية تستعر من جديد فوق
جسد باتروكلوس أضرمت أثينة نيران القتال المفجع،
هبطت من السماء، مرسلّة من قبل زيوس بعيد النظر
تحت الدنائيين (على القتال). (فزيوس) قد غير نواياه.

٤٤٥

وكما يقذف زيوس قوس قزح يومض للبشر

من أعلى قمم السماء نذيرًا بالحرب

أو بعاصفة مطيرة، قارسة البرودة، تجبر

٥٥٠

البشر على التوقف عن أعمالهم فى الأرض، وتوهن الدواب.

هكذا، لفتت (أثينة) نفسها بسحابة من الوميض واندرست بين حشود

الآخيين، وأشعلت حماس كل المحاربين واحداً بعد الآخر.

فى البدء، بادرت بالحديث إلى مينيلأوس الشجاع بن أتريوس

لتشعل حماسه، حيث كان قريبًا منها.

٥٥٥

بعدما تجسدت فى هيئة فوينيكس وصوته الذى لا يكل فقالت:

"ويلحك مينيلأوس، ستطير رأسك ويلحقك العار حقًا،

إذا مزقت الكلاب اللاهثة تحت سور الطرواديين

جسد الصديق الصدوق لصاحب العزة أخيلئوس.

لذا، تمالك، ولتشعل حماسة جيشك، ولتكن شجاعًا"

٥٦٠

حينئذ، أجابها مينيلأوس البارع فى صيحة الحرب:

"أى فوينيكس، أيها الشيخ العزيز علينا منذ الأيام الخوالى!

ليت أثينة تمنحنى القوة وتدفع عنى ضربات السهام،

حينئذ، سأقف سعيدًا إلى جانب باتروكلوس وأدافع عنه.

فموته مسّ قلبى فى أعماقه بالأسى،

٥٦٥

لكن هيكتور مرعب كنار مستعرة ولم يكف عن

نشر الدمار بسيفه، حيث وهبه زيوس المجد"

وعندما قال ذلك فرحت الإلهة أثينة زرقاء العينين،

فهي، من بين الآلهة أجمعين، أول من تضرع إليها.

فغرست القوة في كتفيه وركبتيه،

٥٧٠

كما طبعت في نفسه الإصرار، ومثل ذبابة

دائمًا ما تطرد من فوق جلد البشر،

إلا أنها تصر دومًا على اللدغ، للذة دماء بنى الإنسان. بمثل هذه

الجسارة (التي لا تكل ولا تمل) ملأت (أثينة) قلبه الأسود بداخله.

فوقف (مينيلاؤس) فوق جسد باتروكلوس وانطلق برمحه المتلألئ.

٥٧٥

حينئذ، كان بوديس بن إيثيتيون بين صفوف الطرواديين،

ذلك الرجل الثرى ذو القوة. وكان هيكتور يميّزه عن سائر

الشعب، كما كان رفيقه وجليسه المفضل في الاحتفال.

فضربه مينيلاؤس ذهبى الشعر على حزامه برمية من رمحه

بينما كان يستعد للفرار، وغرس فيه السلاح البرونزى

٥٨٠

فسقط وارتطم مجلجلاً، وما كان من مينيلاؤس بن أتريوس

إلا أن سحب جسد الميت (باتروكلوس) بعيدًا، من وسط الطرواديين،

إلى جموع رفاقه.

حينئذ، اقترب أبوللون من هيكتور وحثه على الاستمرار

وقد اتخذ أبوللون هيئة فاينوبس بن آسيوس

الأعز لديه من بين الضيوف جميعًا، وكان يتخذ أبيدوس وطنًا.

٥٨٥

وخاطبه أبوللون بعيد القذائف متمثلًا في هيئة فاينوبس:

"أى هيكتور، مَنْ مِنَ الآخيين سيهايك بعد الآن؟

كيف جينت أمام مينيلاؤس، الذى كان يُعدُّ

فيما مضى محاربًا ضعيفًا؟ رغم ذلك سحب الجسد

بمفرده، من بين الطرواديين، دونما مساعدة من أحد، وقتل

- ٥٩٠ رفيقك الوفي الشجاع، بوديس بن إيثيون، في صفوف المقدمة"
وما أن قال ذلك حتى غمرت سحابة قاتمة من الحزن (هكتور)،
فوقف بين صفوف المقدمة، وكان برونز أسلحته وضاءً.
وسرعان ما أمسك ابن كرونوس درعه أيجيس المتلألئء بالحلوى
المعدنية وساطع الضياء، وغطى قمة إيدا بساتر من السحاب،
أبرق وأرعد بقوة، ولوّح بسيفه
٥٩٥ مانحاً النصر للطوراديين. ورمى الآخيين بالفزع.
وأول من بدأ الفرار كان بينيليوس البويوتى،
فبينما كان لا يزال يواجه العدو، أصيب برمح فى كتفه
بضربة سطحية، لكن رأس حربة بوليداماس
٦٠٠ قد غارت حتى العظام، حيث قذفها عن قرب.
كان هيكتور قريباً، فضرب ليثيتوس بن ألكثريون قوى الهمة،
فأصاب رسغه وأقعدته عن القتال.
ثم نظر حوله وانسحب، فلم يعد يأمل فى قرارة نفسه
أن يحمل الرمح بيده ليحارب الطوراديين مرة أخرى.
٦٠٥ وبينما كان هيكتور يتعقب ليثيتوس، ضربه إيدومينيوس
على الفور على الحزام الواقى لصدره بالقرب من حمة ثديه،
لكن الرمح الطويل انثنى عند حلقة الحزام.
وصاح الطوراديون عالياً، حين قذف هيكتور إيدومينيوس
بن ديوكاليون، إذ كان واقفاً فوق عجلته الحربية، لكن الرمح
انحرف عنه قليلاً، فأصاب كويرانوس رفيق ميريونيس وسائقه
والذى تبعه من (مدينة) ليكتوس الحصينة،
حيث جاء (إيدومينيوس) على قدميه فى البداية من السفن المقوّسة.
وكاد يقدم للطوراديين مجداً عظيماً(*)،

(*) أى لو قتلوه. (الغرر)

- لو لم يكن كويرانوس قد سارع، بخيوله سريعة الركض،
لكى يخلصه، وجعله يتفادى لحظة الهلاك.
- ٦١٥
- إلا أنه (كويرانوس) لقى حتفه على يد هيكتور، قاتل الرجال
الذى ضربه تحت فكه وأذنيه، فهشمت رأس الرمح
أسنانه من جذورها، كما شطرت لسانه من النصف.
فألقي الأعنة على الأرض وسقط من فوق عجلته الحربية.
- ٦٢٠
- فما كان من ميريونيس إلا أن أمسك بيديه
الأعنة الملقاة على الأرض وتحدث إلى إيدومينيوس:
- "اضرب، بالسوط، حتى تصل إلى السفن سريعة الإبحار،
حينئذٍ ستعرف من تلقاء نفسك أن النصر لم يعد فى صف الأخيين"
- وما أن، قال (ميريونيس) ذلك، حتى ضرب إيدومينيوس
بالسوط خيوله جميلة العُرف عائداً إلى السفن المحوفة يغمر الفرع
٦٢٥
- روحه. لكن أياس شديد البأس و مينىلاؤس لم يكونا بغافلين
بأن زيوس كان يرجح كفة الطرواديين.
كان أياس التيلامونى العظيم أول من تكلم منهما:
- "ويحى، إن أى رجل، مهما يكن من الحمق، سيعرف
أن زيوس الأب نفسه يساعد الطرواديين.
- ٦٣٠
- حيث إن قذائفهم كلها تصيب، أيًا كان راميها
شجاعاً أم جباناً، فزيوس، فى كل الأحوال، يوجهها إلى الهدف.
بينما تطيش رماحنا هباءً على الأرض. فلنفكر، إذن، ولنحكم خطتنا،
حتى نتمكن من إنقاذ الجسد والعود إلى الوطن
- ٦٣٥
- وندخل السرور على (نفوس) رفاقنا الأحباء،
الذين، فيما أظن، ينتابهم الحزن إذ ينظرون إلينا
ويرون أن هيكتور قاتل الرجال يعربد فى غضبه، ولن تتوقف يده
التي لا تقاوم، بل يتوقعون أن تقع على السفن السوداء.

- ٦٤٠ ألا يوجد من الرفاق من يحمل رسالة عاجلة جدًا
لابن بيليوس، إذ لم يعلم بعدُ بالأبء الفظيعة
حسبما أرى، أى أن صديقه الحبيب قد مات.
فإننى لم أر، مثل هذا الرجل بين الأخيين
فهم جميعًا وخبولهم فى الظلام يعمهون.
- ٦٤٥ أى زيوس الأب، لترفع الظلمة عن أبناء الأخيين
امنحهم سماءً صافية، وامنحنا (بصرًا) لنرى
بأعيننا، ولا تميتنا، إن كان فى ذلك سعادتك، إلا فى النور"
أشفق الأب (زيوس) عليه عندما رآه يبكى،
فسرعان ما بدد الضباب وشتت الظلمة،
- ٦٥٠ وسطعت الشمس من فوقهم، وبانت تفاصيل المعركة.
حينئذٍ تحدث أياس إلى مينىلاؤس البارع فى صيحة الحرب:
"انظر الآن يا مينىلاؤس، يا سليل زيوس، عليك تستطيع أن ترى
أنتيلوخوس بن نىستور قوى القلب، وما إذا كان على قيد الحياة لا يزال،
فتحته على أن يذهب ويخبر أخيلىوس حكيم القلب
بأن رفيقه الأعز قد هلك"
- ٦٥٥ قال ذلك، فلم يستطع مينىلاؤس البارع فى صيحة الحرب
أن يرفض، بل أقدم كأسد ينطلق من مزرعة
عندما يتعب من مطاردة الكلاب والرجال والحراس
الذين صدوه عن نهش أسمن
- ٦٦٠ ثور فى القطيع؛ لأنهم كانوا يحرسون (الخطيرة) طوال الليل.
لكن (الأسد) من شدة لهفته على اللحم، قد هجم، لكنه فشل
حيث أمطرتة أيدى باسلة من سكان البلد بقذائف كثيفة
ومتقدة باللهب، فارتدع رغم لهفته.
حتى أتى الفجر، فرحل بقلب كسير.

- ٦٦٥ هكذا، رحل مينيلائوس البارح فى صيحة الحرب، عن باتروكلوس على غير إرادته، حيث خشى أن يتركه الآخيون فريسة للأعداء، وقد أعجزهم خوف شامل. ثم وجه عدة أوامر مباشرة إلى ميريونيس وإلى الثنائى أياس:
- "أيها الثنائى أياس، يا قادة الأرجيين، وأنت يا ميريونيس حان الوقت، الآن، أن نتذكر طيبة باتروكلوس التعس، كان دومًا رقيقًا مع الجميع فى حياته. لكنه، الآن، بات فريسة الموت والقدر"
- عندما قال ذلك، مضى ذهبى الشعر مينيلائوس محملقًا فى كل اتجاه حوله كالنسر الذى يُقال إنه من الطيور التى تطير عاليًا تحت (قبة) السماء حاد البصر، فلا يستطيع الأرنب سريع العدو أن يراوغه رغم أنه يخلق عاليًا، فيما يقبع الأرنب تحت شجيرات كثيفة الورق، فينقض النسر ويمسك فريسته ويسلبها الحياة.
- ٦٧٥ هكذا، يا مينيلائوس، يا سليل زيوس، جُلّت وصلّت فى كل الأنحاء، بأعين متقدة، بين صفوف رفاقك الكثيرين علكَ تستطيع أن ترى ما إذا كان ابن نيستور لا يزال على قيد الحياة. وعلى الفور رآه (مينيلائوس) بعيدًا على ميسرة المعركة يشجع رفاقه ويحثهم على القتال.
- فدنا منه مينيلائوس ذهبى الشعر وخاطبه:
- ٦٨٥ "تعال هنا يا أنتيلوخوس، يا سليل زيوس لتسمع أخبارًا مفاجئة، ما كنت أتمنى حدوثها. أظن أنك تعرفها الآن، فأنت رأيت بعينيك كيف أن الإله ينزل مصيبة بالدانائيين، وأنه يشاء النصر للطرواديين، وكيف قُتلَ خيرة (رجال) الدانائيين

- ٦٩٠ باتروكلوس، وكيف يقاسى الدانائيون خسارة فادحة.
لكن، فلتنطلق مسرعًا إلى سفن الآخيين وخبر أخيلوس
علّه يستطيع أن يحمل الجثة العارية إلى بر الأمان، ويأتى
بها إلى سفينته. فهيكثور ذو الخوذة اللامعة جرده من أسلحته"
غمر أنتيلوخوس الفرع لسماعه ذلك النبأ،
- ٦٩٥ فوقف لفترة طويلة دون أن ينبس بكلمة، تفيض عيناه بالدموع،
واختنق صوته. ولكنه رغم ذلك لم يغفل ما أمر به مينيلأوس،
فانطلق يعدو، وكان قد أعطى أسلحته لرفيقه الذى لا نظير له
لأودوكوس، الذى كان على مقربة منه يسوق خيوله ذات الحافر الواحد.
- ٧٠٠ وكان يبكى وهو يجر قدميه بعيدًا عن ساحة الوعى،
حاملاً نبأ حزينًا لأخيلوس بن بيلوس.
ألا ترغب يا مينيلأوس، يا سليل زيوس،
أن تساعد رفاقك وهم فى محنة شديدة، بعد أن تركهم
أنتيلوخوس، على الرغم من أن أبناء بيلوس كانوا فى أمس الحاجة إليه.
- ٧٠٥ إلا أن (مينيلأوس) أرسل ثراسيميديس شبيه الآلهة.
ليساعدهم، وبينما هو نفسه قد أسرع، ثانية، ليحمى البطل باتروكلوس.
فجرى واتخذ مكانه بجوار الثنائى أياس وخطبهما:
"لقد أرسلت (أنتيلوخوس) إلى السفن سريعة الإبحار
وأمرته أن يسرع إلى أخيلوس سريع القدم، فلا أظن
٧١٠ أنه (أخيلوس) سيأتى فوراً، رغم غضبه من هيكتور الإلهي
إذ كيف يتسنى له أن يحارب الطرواديين بدون سلاحه.
دعونا، الآن، نفكر فى خطة بارعة
لا لكى ننقذ الجسد فقط، بل لننأى أيضاً
بأنفسنا عن الموت وعن الهلاك وسط صخب المعركة ضد الطرواديين"
٧١٥ أجابه، عندئذٍ، أياس التيلامونى العظيم:

- "إن كل ما قلته حق، يا مينيلائوس المجيد
 إذن، فلنتحن أنت وميريونيس، على وجه السرعة، تحت جسد الميت
 وترفعاه على كتفيكما، بعيدًا عن ساحة الوعى، ومن خلفكما
 سنحارب نحن الاثنين الطرواديين وهيكتور الإلهي
 ٧٢٠ إذ لنا قلب واحد واسم واحد، فطالما تقنا
 من قبل، إلى مواجهة آريس جنبًا إلى جنب"
 قال ذلك، فرفع الآخران الجسد بقوة بالغة
 من فوق الأرض بسواعدهما، وحينئذٍ، ومن خلفهما
 صاح جيش الطرواديين عاليًا عندما شاهدوا الآخيين يرفعون الجسد.
 ٧٢٥ فهاجمهم كما تهاجم الكلاب خنزيرًا جريحا
 أمام قناصين فتيان يلاحقونه بجرأة،
 وبينما يطاردونه، وكل منهم متلهف لأن يمزقه
 ما أن يستدير نحوهم فى ثقة
 حتى يفروا أمامه مهرولين، هنا وهناك، من (شدة) الفزع.
 ٧٣٠ هكذا، ظل الطرواديون يلاحقونهم أسرابًا، لوقت طويل.
 ويضربون برماحهم وسيوفهم الحادة
 وما فتىء الثنائى أياس أن استدارا نحوهم، فأوقفوهم
 فامتقع لونهم، ولم يجرؤ أحد منهم أن يتقدم ليحارب من أجل الجسد.
 ٧٣٥ كان الاثنان يحملان الجسد ويسرعان به من ساحة
 القتال إلى السفن المجوفة، فاشتدت عليهما وطأة القتال
 واستعرت نارها، كمثل (النار) عندما تلتفح مدينة أهلة بالسكان
 فتندلع بلهيب مباغت، وتتهار المنازل، ويأتى عليها،
 وهج اللهب الذى تزيده الرياح زئيرًا.
 ٧٤٠ هكذا، كان ضجيج الخيول وعجلات الرماحين متواصلًا
 فى تعقبهم لهم، بينما هم يحملون جسد (باتروكلوس) ويسرعون
 كالبيغال تبذل أقصى ما لديها من قوة

- وهى تجر كتلة خشبية هائلة أو جزءاً ضخماً من سفينة من فوق الجبل أو على طريق فرعى وعر،
- ٧٤٥ فتنهك أرواحها داخلها من الكد والإرهاق وينهمر العرق. هكذا كافح (مينيلاؤس وميريونيس) فى حمل الجسد وخلفهما الثنائى أياس يكبحان العدو، وكأنهما مرتفع صخرى كثيف الشجر وقف عبر السهل بكل قوته فى وجه الفيضان المدمر، يصد سيول الأنهار القوية،
- ٧٥٠ ويبعد تيارات هذه المياه كلها حتى تتجرف إلى السهل، فلا تقوى السيول على تدميره مهما تكن قوتها. بمثل هذه الطريقة واجه الثنائى أياس معركة الطرواديين، لكن (الطرواديين) باتوا يلاحقونهما عن قرب، وكان بينهم آينياس بن أنخيسيس فى صفوف المقدمة مع هيكتور المجيد.
- ٧٥٥ ومثلما يطير سرب من الزرازر أو الغربان ويصرخ بصوت فزع عند رؤية الصقر القادم حاملاً الهلاك إلى الطيور الصغيرة. هكذا بهذه الطريقة، هرع شباب الآخيين أمام آينياس وهيكتور يصرون صيحات الهلاك، متناسين متعة القتال وتساقطت الأسلحة الناصعة أكواماً حول الخندق
- ٧٦٠ عند هروب الدانائيين، لكنهم لم يكفوا عن القتال.
- ٧٦١

الكتاب الثامن عشر



ترجمة السيد عبد السلام البراوى

قائل المحاربون مثل نار متأججة،
وجاء أنتيلوخوس سريع الخطو إلى أخيلئوس
فوجده أمام السفن المقوسة مثل القرون،
تتوجس نفسه (أخيلئوس) بالشئ الرهيب الذى قد حدث
وتحدث مهموماً إلى روحه الباسلة:

٥

"ويحى كيف يطرد، مرة أخرى، هكذا، أبناء الآخيين
طويلو الشعر مشتتين عبر السهل المؤدى للسفن؟
ليت الآلهة لا تحقق الأحزان الثقيلة فى نفسى
والتي أخبرتني بها، ذات مرة، والدتي عندما قالت لى
إن واحداً من خيرة الميرميدونيين، فى أثناء حياتي
سيترك نور الشمس على أيدي الطروانيين.
من المؤكد أنه ابن مينوبوتئوس الشجاع، لقد مات!
إنه حقاً لمتهور؛ لأننى أمرته أن يخدم نار (الأعداء)
المستعرة، ثم يعود إلى السفن ولا يحارب هيكتور"

١٠

١٥

كان أخيلئوس شاردًا يحدثه عقله وقلبه بتلك الأمور،
فدنا منه ابن نئستور المجيد
سافكاً دموعاً ساخنة، وأخبره النبأ الحزين:

٢٠

"ويحى، يا ابن بئليوس حكيم القلب، إنه جد مفجع
ذلك الخبر الذى ستسمعه، وكم كنت أتمنى ألا يحدث.
إن باتروكلوس يرقد ميتاً بينما تتصارع الجحافل حول جثته العارية،
بعد أن سلبه هيكتور ذو الخوذة اللامعة الأسلحة"

سمع أخيلئوس ذلك فغمرته غمامة حالكة من
الحزن، وقبض بكلتا يديه على رماد أسود أهاله على
رأسه حتى تشوه وجهه الوسيم.

- ٢٥ وتساقط الرماد الأسود على ردائه العبق
وتمرغ، بكل كيانه الضخم، فى التراب يشد شعره ويمزقه.
و الإماء اللائى سباهن أخيلئوس وباتروكلوس
كن ينوحن بصوت أليم مندفعات إلى العراء حول
- ٣٠ أخيلئوس حكيم القلب، وكن جمبعهن يضربن صدورهن
بأيديهن، وقد ارتخت مفاصل كل واحدة منهن.
كان أنتيلوخوس ينتحب سافكًا الدموع
وممسكًا بأيدى أخيلئوس الذى كان يئن بشدة من قلبه المجيد،
خشية أن يقطع رقبتة إربًا بسكين^(*).
- ٣٥ تأوه (أخيلئوس) بشدة، فسمعتة أمه الجلية
حيث كانت تجلس فى أعماق البحر إلى جوار أبيها المسن
وعندما صرخت، التفتت من حولها عرائس البحر^(**).
جمبعهن، بنات نيريوس، الساكنات فى أعماق البحر.
كانت هناك، جلاوكى وثاليا وكيمودوكى
ونيسايا وسبيو وثوى وهالىى، ذات العيون الواسعة كالمها،
وكيموثوى وأكتايا وليمنوريا
وميلئيتى ويارا (إييرا) وأمفيثوى وأجاوى
ودوتو وبروتو وفيروسا ودينامينى
ودكسامينى وأمفينومى وكاليانيرا
- ٤٥ ودوريس وبانوبى وجالاتيا الشهيرة
ونيمرتيس وأبسيوديس وكالياناسا.
وكانت هناك كليمينى ويانيرا وياناسا
ومايرا وأوريثيا وأماثيا جميلة الضفائر،
وأخريات من بنات نيريوس اللائى كن فى عمق البحر

(*) هذه هى الإشارة الوحيدة للنتحار فى "الإلياذة"، مما دفع بعض المحققين لحذف هذا البيت. (الخرر)

(**) فى الأبيات ٣٩-٤٩ يورد هومروس قائمة بأسماء عرائس البحر ويميل بعض المحققين لحذف هذه الأبيات. وجدير بالذكر أنه ورد عند هيسودوس خمسون اسمًا لعرائس البحر. (الخرر)

- ٥٠ فامتلاً الكهف البللورى بهن، وما لبثن جميعهن أن
ضربن صدورهن، وبدأت ثيبتيس فى النواح:
"أى بنات نيريوس، اسمعنى يا أخواتى،
لتعرف كل منكن كم هو أليم ذلك الحزن الذى أصاب قلبى.
ويحى، ما أشقانى، لقد أنجبت أفضل ولد فأشقانى!
- ٥٥ إذ بعد أن أنجبت ابناً فريداً قوياً،
متفوقاً على ما عاده من الأبطال، وشبَّ كنبته بازغة،
ربيته كشجرة فوق تل خصيب،
وأرسلته فى السفن المقوسة إلى إليون،
ليحارب الطرواديين، لكننى لن أستقبله
عائداً، مرة أخرى إلى وطنه، إلى بيت بيليوس.
- ٦٠ حتى فى أثناء حياته وهو لا يزال يرى نور الشمس
أصابه الحزن وما كان بوسعى أن أساعده بالذهاب إليه.
إلا أئننى الآن ذاهبة إليه، كى أرى ابنى العزيز
لأسمع أى حزن قد ألم به رغم بقائه بعيداً عن الحرب"
- ٦٥ قالت ذلك، وغادرت الكهف، وذهبت فى معيتها
عرائس البحر باقيات، وكانت أمواج البحر تتلاطم من حولهن.
وما أن وصلن إلى أرض طروادة عميقة التربة
حتى خرجن، جميعاً، واحدة تلو الأخرى، نحو الشاطئ
حيث تقف سفن الميرميدونيين فى صفوف متقاربة حول أخيليوس
السريع الذى كان يئن بشدة. فدنّت أمه الجليلة منه
- ٧٠ وعانقت رأس ولدها وانفجرت فى النواح
بصوت عالٍ، وبصرخة يرثى لها، خاطبته بكلمات مجنحة:
"أى بنى، لماذا تبكى؟ أى حزن حل بروحك؟
أفصح عنه، ولا تخفيه، لقد استجاب
زيوس لدعائك، عندما تضرعت رافعاً يدك من قبل

طالبًا، حينئذ، أن يحتشد أبناء الأخيين كلهم عند مؤخرات السفن،
وهم يعانون مر الهزيمة وبسبب احتياجهم المؤلم لوجودك"

فتأوه أخيليوس سريع القدم بشدة وأجابها:

"أى أمه، لقد حقق لى الأولمبى دعواتى حقًا،

٨٠ لكن، أية فرحة لى فى ذلك؟ وقد قتل صديقى العزيز

باتروكلوس الذى أبجله من بين رفاقى جميعًا

مثل نفسى تمامًا. لقد فقدته، قتله هيكتور، سلبه أسلحته الرهيبة المهيبة

التي وهبتها الآلهة هدية ماجدة إلى بيليوس،

٨٥ فى اليوم الذى زفوك فيه إلى فراش بشرى.

ليتك بقيت حيثما كنت وسط عرائس البحر الخالدات

وكان بيليوس قد تزوج امرأة بشرية!

والآن، سيلتهم قلبك حزن لا يحتمل،

من أجل موت ابنك الذى لن ترحبى به ثانية،

٩٠ حين يعود إلى أرض الوطن. فقلبى لن يسمح لى

بأن أعيش أو أقيم بين البشر، إلا إذا فقد

هيكتور حياته أولاً بضربة من سيفى،

حتى يدفع ثمن قتل باتروكلوس بن مينويتيوس"

ثم خاطبته ثيتيس بدورها والدموع تنهمر من عينيها:

٩٥ "إذن يا بنى، قدر عليك الموت الوشيك، طالما

تتكلم هكذا، فموتك أت مباشرة بعد موت هيكتور"

تأثر بشدة سريع القدم أخيليوس وتحدث إلى أمه:

"فألمت، إذن، فى الحال، إذا لم أتمكن من مساعدة

صديقى (*) عند مصرعه، وقد هلك بعيدًا عن وطنه،

(*) هذه مقولة هومرية مشهورة، إذ لها دلالة واضحة عن مفهوم الصداقة فى العالم البطولى الملحمى وسنجد لها

أصداء كثيرة فى كافة فنون الأدب الإغريقى واللاتينى. (الحرر)

- ١٠٠ وكان فى حاجة إلى لأصدًا عنه الكرب
وطالما أننى نُنْ أعود إلى وطنى الحبيب،
ولن أتى بنور (الخلاص) إلى باتروكلوس، ولا إلى
الرفاق الآخرين والكثيرين الذين هزموا على يد هيكتور الإلهى.
وقد جلست (هاهنا) بجوار السفن، كعبء لا طائل منه على الأرض،
١٠٥ وأنا الذى ليس لى نظير فى الحرب، من بين الأخيين لابسى البرونز.
لكن هناك مَنْ يفوقنى مشورةً،
لذا، ليت الصراع بين الآلهة أو بين البشر ينتهى
كذلك الغضب الذى يشجع حتى لحليم على جنون العنف،
حيث يتزايد (الغضب) داخل روح الرجال كدخان يتصاعد
ويكون مذاقه أحلى من قطرات العسل.
١١٠ فهكذا، دفعنى أجاممنون ملك الرجال إلى الغضب.
لكن فلندع الآن هذه الأمور ما دامت قد مضت وانتهت،
وإن كانت مؤلمة، يتحتم أن تكظمها القلوب فى الصدور.
ذاهب أنا الآن لأقتفى أثر ذلك الذى اغتال من
١١٥ أحببته، هيكتور فأهلاً بالمصير المحتوم،
تلك هى إرادة زيوس وباقي الآلهة الخالدين.
فالموت لن يتفاداه أحدٌ وإن كان هرقل القوى
رغم أنه كان الأحب لدى زيوس بن كرونوس،
لكن هزمه القدر وغضب هيرا القاسى.
١٢٠ إننى مثله، إذا كان القدر هكذا قد رُسم لى
سأرقد عندما أموت، حينئذ ربما أفوز بمجد خالد. إذ ربما واحدة
من النساء الطرواديات أو الداردانيات ذوات الثياب الطويلة
تمسح دموعها المنهمرة على وجنتيها الرقيقتين
بيديها، وهى تتنهد بمرارة الحزن.

- ١٢٥ بذلك ربما يعلمون أنني توقفت عن الحرب وقتاً طويلاً^(*)
 إذن، وحبك، لا تمسكيني عن الحرب، فأنت لن تقنعيني"
 أجابته الآلهة ثيتيس ذات الأقدام الفضية:
 "أى بنى، إن ما قلته هو عين الصواب، فليس شراً
 أن تصد الدمار الوشيك عن الصديق فى وقت الضيق
 لكن أسلحتك المهيبة التى تلمع بالبرونز سلبها الطرواديون.
 فهيكثور، ذو الخوذة اللامعة،
 يحملها الآن على كتفيه، متفاخرًا بها. وإنى لأعتقد
 أن تفاخره لن يطول؛ لأن الموت يقترب منه هو أيضاً.
 مع ذلك لا تقم (نفسك) فى جلبه أريس
 قبل أن ترانى بعينيك عائدة مرة أخرى إلى هنا.
 ١٣٥ وإنى سأعود غداً مع شروق الشمس
 حاملة أسلحة مهيبة من هيفايستوس الملك"
 قالت ذلك وتركت ابنها،
 واستدارت لتخاطب أخواتها عرائس البحر:
 "لتغوصن الآن، يا أخواتى فى أعماق البحر الرحب
 لزيارة مسكن والدنا شيخ البحر المسن
 (نيريوس) تخبرنه بالقصة كلها، أما أنا فسأذهب إلى الأوليمبوس
 الشاهق، إلى بيت هيفايستوس إله الحدادة الأشهر
 لكى يمد ابنى بأسلحة مجيدة براقعة"
 ١٤٥ سمعن كلامها، وغصن مسرعاتٍ طى أمواج البحر،
 بينما صعدت ثيتيس الإلهة فضية القدمين إلى الأوليمبوس،
 لكى تحضر أسلحة جديدة مجيدة لابنها العزيز.
 عندئذٍ رفعتها قدماها إلى الأوليمبوس. كان الآخيون -

(*) خمسة عشر يوماً بالحسابات التى يمكن استنباطها من معطيات "الإلياذة". (المحرر)

- هربًا من هيكتور قاتل الرجال - يهرولون فى صراخ مروع
 ١٥٠ حتى وصلوا إلى السفن والهيليسبونطوس.
 ولم يستطع الآخيون المسلحون بدروع متينة
 أن يسحبوا باتروكلوس تابع أخيلئوس بعيدًا عن
 مرمى القذائف، حيث أدركته مرة أخرى حشود وخيول طروادة
 التى يقودها هيكتور بن برياموس فى بسالة كاللهب.
 ١٥٥ فأمسكه هيكتور المجيد ثلاثًا من خلف قدميه
 متلهفًا إلى أن يسحبه بعيدًا، ونادى على الطرواديين بصوت عالٍ.
 أما الثنائى أياس كلاهما، فدفعاه إلى الخلف
 ثلاث مرات بقوة بالغة. لكن أياس كان شديد الثقة بقوته،
 اندفع وسط الجموع تارة، ووقف
 ١٦٠ وصاح بصوت مدوّ تارة أخرى، ولم يتراجع قيد أنملة.
 ومثل الرعاة العاجزين، عن طرد أسد أشعث
 بعيدًا عن جثة فى حقل، لفرط جوعه.
 هكذا لم يستطع الثنائى أياس المحاربان العتيدان
 أن يردعا هيكتور بن برياموس (ويقصياه) بعيدًا عن الجثة.
 ١٦٥ وكاد هيكتور أن يخطف الجثة وينال المجد الأعظم،
 لولا أن إيريس سريعة القدمين جاءت مثل ريح مرسلة
 برسالة إلى ابن بيليوس من الأوليمبوس لتحثه على الحرب
 على غير علم من زيوس وباقى الآلهة، حيث أرسلتها هيرا
 فدنت منه ووقفت وخاطبته بكلمات مجنحة:
 ١٧٠ "لتنهض يا ابن بيليوس، يا أقوى
 الرجال طرًا، ولتساعد باتروكلوس الذى من أجله يحتدم الآن صراع
 رهيب أمام السفن، ويتناحر (الرجال).
 هؤلاء يدافعون عن جسده المسجى،
 بينما يستमित الطرواديون ليسحبوه

- ١٧٥ من ذلك المكان إلى إيون ذات الريح العاصفة. وبخاصة هيكتور المجيد
يتلهف أن يسحبه، إذ يمينه قلبه أن يفصل رأسه عن عنقه
الواهن، ويعلقه فوق أعمدة سور طروادة.
فلتنهض إذن، ولا تمكث هنا، وليداخل قلبك الفزع من أن يبيت
باتروكلوس، بأى حال، لعبة لكلاب الطرواديين.
١٨٠ وليحل بك عار لو لحق الدنس بجسده"

أجابها أخيليوس الإلهى سريع القدم:

أيتها الإلهة إيريس، أى من الآلهة بعثك إلى بهذه الرسالة؟"
فأجابته إيريس السريعة منتعلة الرياح:
"لقد أرسلتني هيرا، زوجة زيوس المجيدة،

- ١٨٥ ولم يعلم بذلك ابن كرونوس فى علاه،
ولا أحد غيره من الخالدين قاطنى الأوليمبوس الثلجى"
فقال أخيليوس سريع القدم:

"كيف يتسنى لى أن أقاتل، وقد سلب أولئك الطرواديون أسلحتى؟
ووالدتى العزيزة منعتنى من التسلح للقتال

- ١٩٠ حتى يحين الوقت، وتراها عيناي عائدة إلى هنا مرة أخرى.
تعهدت لى بإحضار أسلحة رائعة من هيفايستوس:
كما أننى لا أعرف (إنساناً) آخر جديرًا بأن أتقلد أسلحته المجيدة
سوى درع أياس بن تيلامون
هو نفسه، فيما أظن، يشارك فى طليعة الحشد
١٩٥ ناشراً الهلاك بسيفه ليحمى باتروكلوس الميت"

فقالت إيريس منتعلة الرياح:

"إننا نعلم تمامًا أن أسلحتك المجيدة قد سلبت،

لكن، اذهب، كما أنت هكذا، إلى الخندق واطهر نفسك للطرواديين.
فإن تملك الطرواديين رعباً منك، وتوقفوا عن القتال

- ٢٠٠ حينئذ، تسنح الفرصة لكى يلتقط أبناء الآخيين الشجعان أنفاسهم من بعد التعب، فكم هو قصيرٌ وقت الراحة فى الحرب!"
- قالت ذلك إيريس سريعة الخطو، ورحلت.
- لكن أخيليوس، حبيب زيوس، نهض وقد ألقت أثينة على كتفيه القويين الدرع أيجيس ذا الأهداب.
- ٢٠٥ ثم توجهت الإلهة المقدسة رأسه بسحابة ذهبية كثيفة، وقد فجرت منها ناراً متوهجة.
- ومتلما يتصاعد دخان فوق مدينة ويتجاوز عنان السماء، من جزيرة يحاصرها الأعداء،
- بينما يناضل سكانها طوال النهار فى معركة بغیضة من فوق أسوار مدينتهم، وعند غروب
- ٢١٠ الشمس تستعر انفجارات اللهب واحدة تلو الأخرى، ينطلق (اللهب) عاليًا حتى يراه سكان الجوار، وربما يأتون على متن سفنهم لكى يخلصوهم من الدمار.
- هكذا، انفجر اللهب من فوق رأس أخيليوس عاليًا إلى السماء، فقفز من فوق السور نحو الخندق، وهناك اتخذ
- ٢١٥ لنفسه موقعًا، إلا أنه لم يختلط بحشد الآخيين، حيث تذكر نصيحة أمه الحكيمة، فوقف هناك وصاح ورددت الصياح أثينة باللاس من بعيد، فحل ارتباك لا يوصف وسط الطرواديين.
- كانت صيحته مدوية كصوت البوق المنطلق عاليًا وسط حشد أعداء عابثين يحاصرون مدينة.
- ٢٢٠ هكذا كانت صيحة سليل أياكوس.
- وبمجرد أن سمعوا صوت سليل أياكوس البرونزى ملأ الرعب قلوبهم جميعًا، وبدأت الخيول جميلة العرف تتراجع عن العجلات، حيث تملك نذر الشؤم قلوبها.
- ٢٢٥ وتخبط سائقوها رعبًا عندما رمقوا النار

- المستعرة تتأجج بشكل مفرع، متصاعدة من فوق رأس البطل ابن بيليوس حيث ألهبته الإلهة أثينة براقعة العينين^(*).
وصاح أخيليوس الإلهى القوى فوق الخندق ثلاثاً.
وقد ارتبك فى كل مرة الطرواديون وحلفاؤهم أصحاب الشهرة
٢٣٠ حيث قُتل فى التو وفى نفس المكان، اثنا عشر رجلاً من خيرتهم
وسط عجلاتهم الحربية و(بين) رماحهم. لكن الآخيين
سحبوا (جثة) بانثروكلوس بسرور بعيداً عن مرمى القذائف
حيث وضعوه على نعش، واحتشد رفاقه الأعزاء حوله
يبكون، و بينهم أخيليوس سريع القدم،
الذى عندما رأى رفيقه المخلص مسجى على النعش
٢٣٥ مطعوناً برمح برونزى حاد ذرف دمعاً ساخناً.
إذ كان هو الذى قد أرسله بالخيول والعربة
إلى الحرب، و لن يرحب بعودته مرة أخرى. أرسلت هيرا الإلهة
الجبيلة ذات العيون الواسعة كالمها، الشمس التى
٢٤٠ لا تكل — مرغمة^(**) — إلى جداول أوكيانوس، فغربت الشمس.
وتوقف الآخيون شبيهو الآلهة عن القتال الرهيب والحرب الضروس.
وتقهقر الطرواديون أمامهم فى القتال المحتدم،
وفكوا الخيول السريعة عن العربات الحربية التى كانت تحملهم،
واحتشدوا فى اجتماع ولم ينشغلوا بعشائهم.
٢٤٥ وظلوا واقفين ولم يجرؤ أحد على الجلوس أثناء انعقاد الاجتماع،
فلم يكن لأحد رغبة فى الجلوس؛ حيث تملكهم الفرع عندما
رأوا أخيليوس قادماً بعدما كان قد نأى بنفسه طويلاً عن القتال الفتاك.
كان بوليداماس بن بانثوؤس الحصيف الفصيح أول من خاطبهم
فهو الوحيد الذى بمقدوره رؤية ما فات وما هو آت
٢٥٠

(*) تترجم الصفة *glaukopis* - وهى لقب من ألقاب أثينة - إما بـ"زرقاء العينين" أو "براقعة العينين". ونرى العبارة الأخيرة أليق بالسياق هنا. (الخرر)

(**) أى أرغمت هيرا الشمس على الغروب قبل الأوان. (الخرر)

فى آن واحد، كما كان رفيقاً لهيكتور، فقد ولد كلاهما فى ليلة واحدة.
لكنه يفوقه فى الفصاحة، بينما هيكتور يفوقه فى رمى الرمح،
وبالرأى السديد خاطب جمعهم قائلاً:

- "أصدقائى، وازنوا بين كفتى الأمر، فمن ناحيتى
الآن، أمركم أن تعودوا إلى المدينة، ولا تنتظروا مطلع الصباح
الإلهى فى السهل عند السفن، إننا بعيدون عن الأسوار.
إذ طالما استمر ذلك الرجل فى غضبته من أجامنون الإلهى
كان من الأسهل علينا أن نقاتل الآخيين
بل، وكنت أنا أيضاً سعيداً، إذ قضيت ليلة
فوق السفن السريعة المقوسة على أمل أن نستولى عليها.
أما الآن فإننى أخاف ابن بيليوس سريع القدم
فهو رهيب ذو روح مستبدة، ولن يبقى
هنا فى السهل، حيث يقتسم الطرواديون والآخيون
غضب آريس بينهما سواءً بسواء.
إنما سينقل القتال إلى داخل مدينتنا وضد نساءنا.
هلموا إلى المدينة، فالأمر على هذا النحو سيسير.
الآن سيوقف الليل الخالد ابن بيليوس سريع القدم
وإذا هجم علينا فى الصباح فى عدته الحربية
ونحن لم نزل هنا، حينئذ، سيعرف كل منا جيداً أى محارب هو،
وسيكون سعيداً من يلوذ بالفرار إلى إليون المقدسة.
سئلتهم الكلاب والنسور الكثيرين من
الطرواديين، وليبتعد هذا الشؤم عن أسماعى!
والحق، إن استمعتم إلى كلماتى، رغم أنها مؤلمة للجميع،
لنحشد كل قوتنا الليلية فى مكان التجمع،
سنحتمى بالأبراج والبوابات العالية،
حيث الأبواب الشاهقة اللامعة والثابتة هناك محكمة الغلق.

- وفى الصباح الباكر عند الفجر، يقف الواحد منا مزودًا
بأسلحته على الأبراج، وقتها سيحل (بأخيليوس) شر مستطير،
إذا جرؤ أن يغادر السفن ليحاربنا للاستيلاء على أسوارنا.
٢٨٠ سرعان ما سيعود أدراجه إلى السفن، عندما تكون خيوله
مشرّبة الأعناق، أنهكها فرط العدو هنا وهناك تحت (أسوار) المدينة
فلن يجرؤ على شق طريقه إلى داخل (المدينة) وبهذا لن يقتحمها
قبلما تلتهمه الكلاب اللاهثة"
- وقال هيكتور ذو الخوذة اللامعة وهو ينظر إليه شزراً:
٢٨٥ "أى بوليداماس، إن ما تقوله بغیض،
فأنت تأمرنا بأن نتقهقر ونحبس أنفسنا فى المدينة،
ألم يكفكم بعدُ أنكم حوصرتم طويلاً داخل الأسوار؟
كم كان الناس جميعاً منذ القدم يتحدثون عن مدينة برياموس
وكم كانت غنية بكنوز الذهب والبرونز!
٢٩٠ أما الآن فقد ضاعت خيراتها الطيبة من بيوتها،
وبيع الكثير مما تملك إلى فريجيا ومايونيا الجميلة،
حيث أظهر زيوس التقدير غضبه علينا.
ولكن الآن، وبعد أن ضمن لى ابن كرونوس ذو التدبير الملتوى
الفوز بمجد عند السفن، وأن أحبس الآخيين
٢٩٥ بجوار البحر، فليس لك أيها الأحمق، أن تقدم مثل هذه النصيحة
لدى الشعب، فلن يبالي أى من الطرواديين بك، ولن أسمح بذلك.
هلموا إذن وأطيعوا جميعاً أوامرى!
تناولوا عشاءكم الآن بين الحشود فى جماعات،
واهتموا بالحراسة، وليكن كل فرد متيقظاً،
ومن هو مشغول من الطرواديين بثرواته،
فليجمعها ويقدمها للشعب للاستخدام العام،
٣٠٠ فالأفضل أن يفيد منها الشعب خير من (أن يتمتع بها) الآخيون.

- وفى الصباح الباكر عند الفجر، نكون متسلحين بأسلحتنا، نثير آريس
العنيف بالقرب من السفن المجوفة. وإذا كان حقيفياً أن أخيلئوس
الإلهى قد نهض بالفعل عند السفن، سيقع به شر مستطير، إن كان
٣٠٥ كذلك فلا محالة، لن أهرب منه بعيداً عن صخب المعركة الدامية
بل سأواجهه، وجهاً لوجه، وإذا فاز هو بالنصر أو فزت أنا فإنه الحرب
إنئاليئوس^(*) نزيه لا يحفل بالأشخاص، ومن قتل يقتل فى الغالب".
- ٣١٠ هكذا خاطب هيكتور الحشود وصاح، حينئذ، الطرواديون عاليئاً
فما كان أحمقهم! حيث سلبتهم باللاس أثينة الحكمة
لأنهم استحسنوا نصيحة هيكتور الشريرة،
ولم يمدح أحد بوليداماس، رغم ما قدمه من نصح طيب.
ثم تناولوا جميعاً العشاء هنا وهناك، فى حين بات
الآخيون يولولون طوال الليل بأنين عالئ على باتروكلوس.
٣١٥ ومن بينهم ابن بيئئوس أول من بدأ النواح الأليم
باسطاً يديه، قاتلتئ الرجال، على صدر رفيقه،
متأوهاً بمرارة شديدة، تماماً مثل لبؤة ذات لبدة،
سلب قناص أشبالها بعيداً عن الغابة الكثيفة،
فحزنت وشرعت تئن أسفة على تأخرها فى الوصول.
٣٢٠ فهى تتجول فى كثير من الوديان الصغيرة مقتفية أثر القناص
عساها تجده، فالغضب الحاد يحركها.
- هكذا، وبأنين مرير، تكلم (أخيلئوس) بين الميرميدونئين:
"ويحئ، إن الكلمة التى قلتها من قبل ضاعت هباءً،
٣٢٥ إذ شجعت البطل مينوبئئئوس، هناك، فى قاعاتنا،
وقلت إنئئ، بعدما أكون قد سلبت إئئون سأعيده إئئ أوبويس^(**)
مع ابنه المجيد بنصبيه من الغنائم الذى يقدر له.

(*) إنئاليئوس Enyalios إما اسم آخر لآريس أو صفة له. (المحرر)

(**) أوبويس Opoeis أو أوبوس Opus مدينة فى لوكريس ببلاد الإغريق. (المحرر)

- لكن زيوس لا يحقق كل مايشتهى البشر،
فقد قدرَ القدر لكلينا أن نرؤى الأرض نفسها بدمائنا،
هنا فى تربة طروادة؛ حيث لن أعود ليستقبلنى الشيخ الفارس بيليوس
٣٣٠ فى منزله، لا هو ولا أمى ثيتيس. إنما ستضمنى هذه التربة هنا
ولأننى يا باتروكلوس أرتحل وراءك تحت الثرى
فلن أقيم جنازتك حتى أتى إلى هنا بأسلحة
هيكاتور قاتلك شديد البأس، وبرأسه كذلك.
٣٣٥ حينئذٍ، سأمزق اثنتى عشرة رقبة من رقاب خيرة شباب
طروادة المجيدة على المحرقة قرباناً للقتيل. لترقد حيث أنت،
يا باتروكلوس، بجوار السفن المقوسة، حتى يجيء الأوان،
ومن حولك الطرواديات والداردانيات بثيابين ذات الطيات العميقة
تنتحبن وتذرفن الدمع ليل نهار.
٣٤٠ فهن اللاتى جننا بهن نحن الاثنين، بكدنا ورماحنا الطويلة
وقد سلبنا مدن البشر الفانيين الغنية"
قال أخيلئوس الإلهى ذلك ثم أمر رفاقه
أن يضعوا وعاءً ثلاثى الأقدام ضخماً فوق النار
لكى يغسلوا الدم المتخثر من جسد باتروكلوس.
٣٤٥ لذا وضعوا الوعاء فوق النار المشتعلة للغسل،
وصبوا الماء فيها، وأضرموا النار فى قطع الحطب التى وضعوها تحته
فتشابكت النيران حول بطن الوعاء، وسخنَّ اللهب الماء
بسرعة، ولما غلى الماء فى الإناء البرونزى المصقول
٣٥٠ غسلوا الجسد ودهنوه بالزيت^(*).
ملأوا الجروح بمرهم (معتق) لسبع سنين،
وعلى نعش مددوا (الجسد) مكفناً بالكتان
من الرأس وحتى القدمين، ووضعوا عليه وشاحاً أبيض.

(*) قارن فرجيليوس "الإلياذة" الكتاب السادس بيت ٢١٨ وما يليه. (المحور)

هكذا، وطول الليل، ومن حول أخيليوس سريع القدم
 ٣٥٥ كان يئن الميرميدونيون فى عويل على باتروكلوس.
 تحدثت عندئذ زيوس إلى هيرا، زوجته وأخته:

"حسن يا هيرا، يا صاحبة الجلالة وذات العيون الواسعة كالمها،
 أخيراً نفذت خطتك، وأثرت أخيليوس سريع القدم،
 لا بد أن أبناء الآخيين طوبلى الشعر أتوا من نسلك"

٣٦٠ فأجابته هيرا صاحبة الجلالة وذات العيون الواسعة كالمها:
 "يا أكثر سلالة كرونوس بشاعة، كيف تقول هذا الكلام؟
 يبذل الإنسان ما بوسعه من أجل غيره،
 ورغم كونه بشراً لا يملك من الحكمة ما نملك نحن الآلهة.

٣٦٥ فكيف لى أنا وهم يعرفون أنى مليكة السماء
 أولاً بحكم السلالة وثانياً لأننى أدعى زوجتك
 يا من لك حكم الخالدين جميعاً،
 فكيف لا أدبر الويل للطراديين وبى غضب عليهم؟"

هكذا كان حديثهما. ووصلت ثيتيس فضية القدمين إلى بيت
 ٣٧٠ هيفايستوس الخالد المزردان بالنجوم، والجليل بين منازل الخالدين.
 ذلك البيت المصنوع من البرونز الذى بناه بنفسه الإله الأعرج.
 فوجدته غارقاً فى عرق الكدح وهو يتجول حول الكير
 بلهفة؛ حيث كان يصنع عشرين

٣٧٥ مرجلاً ثلاثى الأقدام لتقف جميعها حول حائط قصره السماوى
 متين البناء. فكان قد ثبت تحت قوائم كل منها عجلات ذهبية،
 تتحرك ذاتياً إلى حيث اجتماع الآلهة وتعود
 إلى داره ثانية، أعجوبة للناظرين! لم يكن يبقى للانتهاه
 منها سوى اللمسات الأخيرة، فلم يكن قد ثبت فيها المقابض
 المصنوعة بمهارة؛ حيث كان لا يزال يدقها بالمسامير.

- ٣٨٠ وبينما كان يعمل هناك بمهارة فائقة
اقتربت آنذاك ثيتيس الإلهة فضية القدمين،
رأتها وتقدمت منها خاريس^(*) ذات الإكليل الزاهى
الجميلة التى تزوجها الإله المعروف بقوة ساعديه،
فأمسكتها بيدها وخاطبتها قائلة:
- ٣٨٥ "ما الذى جاء بك إذن يا ثيتيس يا ذات الرداء الطويل المتجرجر
لتزورى مسكننا؟ أيتها الضيفة العزيزة، فأنت نادراً ما تجيئين.
وعلى كل، اتبعينى إلى الداخل، كى أجلسك مجلس الضيوف"
قالت ذلك الإلهة الجميلة (خاريس)، وقادت ضيفتها إلى الداخل
وأجلستها على مقعد رائع مرصع بالفضة،
دقيق الصنع، أسفله مسند للأقدام.
- ٣٩٠ ونادت خاريس على هيفايستوس الصانع الشهير وخاطبته:
"تعال هنا يا هيفايستوس، ها هي ثيتيس تحتاج إليك"
حينئذ، أجابها (هيفايستوس) الشهير الذى يعرج بقدميه:
"حقاً، أفى بيتى إلهة مهيبة موقرة!"
- ٣٩٥ أنفذتني ذات مرة، عندما ألم بى ألم، حين وقعت
(فى خطر) بسبب فعلة والدتى المخزية، حين أرادت أن تخفينى
بعيداً، لمجرد أننى أعرج^(**)، وكادت روحى تذوق الويل
لو لم تأخذنى يورينومى و ثيتيس إلى صدريهما.
يورينومى ابنة أوكيانوس المنحسر.
- ٤٠٠ لتسع سنوات، مكثت معهما، أصنع نفائس
كثيرة رائعة، ودبابيس زينة وأساور لولبية وعقوداً
وكثيراً من الحلقان، فى كهف سحيق، وكان أوكيانوس، من حولى

(*) تظهر خاريس Charis هنا على أنها تجسيد وتشخيص للجمال الذى يصنعه هيفايستوس نفسه فخطوط شخصيتها وملاحظها غير واضحة وتقع فى المنطقة الوسطى بين الفكرة والشخصية. (الخرور)
(**) يقدم هيفايستوس هنا على أنه أعرج بالمولد ولكنه فى الكتاب الأول بيت ٥٩٠ وما يليه يحكى أن زيوس رماه من السماء بسبب غضبه، لأنه أخذ جانب أمه هيرا ضد أبية زيوس. (الخرور)

- يتدفق بزبدته، محدثاً زئيراً متواصلًا، ولم يكن يوجد
أحد آخر، يعرف عنه (شيئاً)، لا من الآلهة، ولا من البشر الفانين
٤٠٥ سوى يورينومي وثيتيس اللتين أنقذتاني.
- وهاهى، الآن، (ثيتيس) جميلة الضفائر تأتي إلى بيتنا، فيتحتم
أن أكافئها، وبكل ما أستطيع؛ لانتشالي من الموت
و الآن (يا خاريس)، لنقدمي إليها ضيافة لائقة،
وسأترك الكير وأدواتي كلها"
- ٤١٠ قال ذلك، وقام من متكنه بهيكله
الضخم لاهتاً، وكان الإله يعرج عندما تحركت ساقاه
الهيكلتان من تحته بخفة، وأبعد الكير عن النار، وجمع
الأدوات التي كان يعمل بها جميعاً فى صندوق من الفضة.
ثم مسح وجهه وكتلتا يديه بإسفنجة،
٤١٥ و(نظف) عنقه القوى وصدرة الأشعث،
وارتدى رداءً وأمسك بعصا متينة ومضى يعرج،
وعلى وجه السرعة همت خادمت مصنوعات من الذهب
ينفذن أوامر مليكهن. كأنهن نساء يتمتعن بالحياة حقاً
وفى قلوبهن الوعي، ولهن صوتٌ وقوةٌ، ويمارسن
٤٢٠ العمل اليدوى، إنهن هبةٌ من صنع الآلهة الخالدة.
تحركن بهمةٍ لمساندةٍ مليكهن، وهو
يعرج قريباً من ثيتيس، وأجلسنه فى مقعد
ناصع، فقبض على مسنده وتكلم مخاطباً إياها:
"أى ثيتيس، يا ذات الرداء الطويل المتجرجر
٤٢٥ لم جئت البيت زائرة، أيتها الضيفة العزيزة؟
فقلما حضرت فيما مضى، أفصحى عما بذهنك، إن قلبى ليأمرنى
أن أحققه طالما أستطيع ذلك"

أجابته ثيتيس وهى تذرف الدمع:

"حقاً، يا هيفايستوس، أوجد من بين الإلهات

٤٣٠ قاطنات الأوليمبوس كلهن، واحدة أحست الحزن الثقيل بقلبها
بقدر ما أصابنى به زيوس بن كرونوس من ويلات؟ أنا من دونهن
ومن بين عرائس البحر، قد اختارنى، أنا فقط، وأخضعنى لبشرى،
لبيليوس بن أياكوس؛ إذ تحملت فراش بشرى^(*)، فيا له من
ألم لاقيته رغماً عنى. يرقد الآن فى بيته

٤٣٥ وقد أصابه وهن الشيوخة وتعددت الأحزان .
فعندما رزقنى (زيوس) بابن لأرعاه وأربيه،
لا نظير له بين المحاربين، نمتى برعماً
وربيته كشجرة فوق مرتفع صخرى مثمر،

حتى أرسلته فى السفن المقوسة إلى إليون ليحارب
٤٤٠ الطرواديين، ولن أستقبله عائداً مرة أخرى إلى
وطنه، إلى بيت بيليوس. وطالما عاش ويرى نور الشمس
سيدوم حزنه وليس بوسعى إنقاذه

رغم ذهابى إليه، حين أخذ الملك أجاممنون من بين يديه فتاته التى
٤٤٥ حددها له أبناء الآخيين مكافأة،
فأكل الحزن قلبه حزناً عليها.

كان الطرواديون يحاصرون الآخيين عند سفنهم،
ولم يسمحوا لهم بالتقدم، وتوسل إليه شيوخ الأرجيين
واعدين إياه بهدايا كثيرة مجيدة، بيد أن ابنى نفسه رفض
٤٥٠ أن يدفع عنهم الهلاك.

واكتفى بأن ألبس باتروكلوس أسلحته وأرسله إلى الحرب،
ومعه فى الوقت نفسه أرسل حشداً كبيراً.

(*) حاولت ثيتيس عدة مرات الإفلات من بيليوس المشغوف بها حياً عند طلبها للزواج، فحولت إلى عدة أشكال
كما يظهر فى رسوم الآوانى وكما جاء فى محاوراة "الجمهورية" لأفلاطون (381 D)، وكما جاء فى النيمية الرابعة
(بيت ٦) لبنداروس. (المحور)

- حاربوا النهار بطوله أمام بوابات سكاياى
وكادوا أن يدمروا المدينة فى ذلك اليوم، لولا أن أبوللون
٤٥٥ قدر موت الباسل ابن مينويتىوس وسط الصفوف
الأولى بعد أن قام بتدمير الكثير، وبذا منح هيكتور المجد.
وذلك هو السبب الذى له جنوت إلى ركبتيك (متوسلة) علَّك تستطيع
أن تمنح ابنى - الذى حُكِّمَ عليه بالموت المبكر - درعًا
وخوذة ودرع ساقٍ جميلٍ بأبازيم عند الرسغ.
٤٦٠ فقد صديقه المخلص كل ذلك عندما قتل على يد
الطرواديين، ويرقد (ابنى) على الأرض كسير القلب"
أجابه الإله الأشهر وهو يعرج على قدميه:
"تشجعى، ولا تدعى هذه الأمور توجع قلبك،
ليتنى حقيقة أستطيع أن أخفيه بعيدًا عن الموت الفاسى،
٤٦٥ عندما يأتيه المصير المروع. يقينًا
ستكون له أسلحة منيعة، ومثل هذه الأسلحة
التي أبهرت كل من رآها من جموع الشعب"
قال ذلك وتركها متوجهًا إلى الكير.
أدار الكير نحو النار وأمره أن يعمل،
٤٧٠ فهبَّت منافخ الكير العشرون، فى بوتقات الانصهار
وانبعثت منها تيارات مختلفة قوتها، حتى تسعفه وقت الحاجة،
ووفق ما يحتاجه العمل، وحسبما يشاء هيفايستوس.
٤٧٥ وضع نحاسًا صلبًا وقصديرًا وذهبًا ثمينًا وفضةً
على النار، ثم وضع سندانًا ضخماً على قالب السندان،
وأمسك مطرقة كبيرة بإحدى يديه، وأمسك بالأخرى ملاقط النار.
وفى البدء شكَّل درعًا عملاقًا قويًا،
وزيَّنه فى أطرافه، وطوقه بإطار ثلاثى لامع،
٤٨٠ يرتكز على حمالة من الفضة.

- فأصبحت طبقات الدرع خمساً، وصنع
على شاكلته، بمهارة نادرة، أشكالاً مختلفة وغريبة.
ونقش عليها الأرض والسماوات والبحر
والشمس التى لا تكل، والبدر المستدير
٤٨٥ وكل النجوم المترامية التى تتوج السماء^(*) :
بلياديس وهياديس، وكذلك أوريون القوى،
وأركتوس الدبة التى يسمونها أماكسا (العربة)،
التى تدور دومًا فى مكانها وتراقب أوريون،
وهى الوحيدة التى ليس لها مكان فى حمامات أوكيانوس.
٤٩٠ ونقش أيضًا على (الدرع) مدينتين جميلتين لبشر فائين.
- كان فى إحداهما عرس وولائم زواج:
وكانوا يزفون العرائس على أضواء المشاعل المنيرة -
من حجراتهن عبر المدينة وقد صدحت أغانى الزفاف عاليًا
وكان الشباب يدور راقصًا وترنم صوت
٤٩٥ القيثارة بينهم، وتناغم المزمارة مع غنائهم.
ووقفت النساء فى الأروقة والمداخل يحملن فى عجب.
وتجمع الناس فى الساحة العامة لإقامة مسابقة:
يتنازع رجلان على دية قتيل، يدعى أحدهما أنه دفعها كاملة للآخر
٥٠٠ ويبرهن ذلك للناس، وينكر الآخر أخذها
وكلاهما يرغب فى الفوز بحكم لصالحه.
يصفق الجمهور مساندين هذا الجانب مرة أو ذاك مرة أخرى،
ويتشغل المنادون بصد الناس، ويجلس الشيوخ
على مقاعد نظيفة وسط دائرة مقدسة،
٥٠٥ يمسكون بصولجانات أخذوها من المنادين مرتفعى الأصوات

(*) تلقى هذه الفقرة الضوء على ما قيل من إن الفلاسفة الإغريق وجدوا فى هوميروس مصدرًا لفلسفتهم الكونية وعلى ما قيل كذلك من أن الشراح المسيحيين الأوائل وجدوا فى هوميروس ما يعينهم على شرح اللاهوت المسيحى. فهنا نلاحظ تصوير دقة النظام الكونى، وهى الفكرة التى ربما استقاها هوميروس من التراث المصرى القديم. (المحرر)

نهضوا متكئين عليها، كل بدوره ينطق بالحكم.
كان بالمنتصف التانتان ذهبيان^(*)
مكافأة لمن يفصل فى القضية بينهما بالحق،

واصطف جيشان من المحاربين فى معسكر - حول المدينة

٥١٠ الثانية - بأسلحة برّاقة وخطتين ثنائيتين مقبولتين:

وهما إما أن ينهبوا المدينة أو أن يقسموا بينهما
الثروة التى تحتوى عليها المدينة الجميلة كلها.

ولم يرضخ المحاصرون، بل تسلحوا من أجل أن

يواجهوا العدو فى كمين، ووقفت زوجاتهم العزيزات وأطفالهم الصغار

٥١٥ يحرسون السور، كما وقف معهم رجال أثقلتهم الشيوخة .

وذهب الآخرون بقيادة أريس وباللاس أثينة

متدثرين بالذهب، وكان الذهب يكسو ملابسهما الإلهية

كانا فارعى الطول رائعى الأسلحة، بما يليق بألهة

بيرزان بوضوح بين الباقيين، بينما الشعب تحت أقدامهما مثل الأقرام.

٥٢٠ وما أن وصلا إلى المكان المعتقد أنه ملائم لنصب كمين

فى بطن جدول؛ حيث يوجد مسقى لكل أنواع القطيع،

أجلساهم هناك متقلدين أسلحة من البرونز اللامع

وأرسلا حارسين، بعيدًا عن الجيش، ليتربقا حتى

يريا القطعان والماشية ملتوية القرون.

٥٢٥ وعلى الفور جاءت (القطعان) يتبعها اثنان من الرعاة

يعرفان المزامير، ولم يكن يخطر ببالهما الغدر.

وما أن أدرك المتربصون قدمهما حتى انقضوا عليهما

وسرعان ما مزقوا قطعان الماشية والأغنام الجميلة ذات الفرو الأبيض

وذبحوا راعى الأغنام.

(*) لم يظهر سك العملة فى عصر هومروس، بيد أنه هنا يبدو أن المتخاصمين فى المحاكم البدائية كانا يدفعان أجرًا.
(المحرر)

- ٥٣٠ كان المحاصرون يجلسون أمام أماكن التجمع^(*)، فسمعوا صخبًا عاليًا بين القطيع، فامتطوا خيولهم سريعة الركض منطلقين نحوهم، وسرعان ما أدركوها. نظموا صفوفهم، وقاتلوا عند ضفتى النهر، وبات يطعن كل منهم الآخر بحراب برونزية النصل، وفى المعركة امتزج الآلهة. واشتبك فى هذه المعركة
- ٥٣٥ إلهة النزاع إريس وإله الدمار كيدويموس، وإلهة المصير القاتل كبير التى أمسكت رجلًا حيًا جرح لتوه، وآخر غير مجروح، وسحبت رجلًا آخر ميتًا من قدميه فى وسط المعركة. وصبغت العباءة - التى كانت تضعها على كتفيها - بدم الرجال القانى. واشتبك (الآلهة) فى النزاع وحاربوا مثل البشر الأحياء وكل فريق يسحب من الآخر جثّة.
- ٥٤٠ ونقش (هيفايستوس) أيضًا حفلاً من الأرض الناعمة الغنية. أرضًا محروثة ثلاث مرات، شاسعة سمراء ضاربة إلى الصفرة. ودفع حارثون كثيرون الأنيار أمامهم يسوقونها هنا وهناك، وكلما عادوا بعد أن يبلغوا حدود الأرض المحروثة يأتى رجل ويضع فى يد كل منهم كأسًا من النبيذ اللذيذ كالعسل. لذا كان الحارثون يعودون مسرورين فى لهفة، عندما يصلون إلى حدود الأرض عميقة الحرث. وكان الحقل من خلفهم قائمًا بعد أن قلبت التربة، فتبدو كأنها مذهبية، وتلك آية من عجائب الصنع!
- ٥٥٠ ونقش (هيفايستوس) ضيعة ملكية يحصد العمال فيها، حاملين مناجل حادة فى أياديهم، تتساقط فى صفوف متراسة بعض سيقان (القمح) على الأرض بطول الجزء المحصود

(*) لم ترد الكلمة eiraon إلا هنا فقط (بيت ٥٣١) وترجمها البعض "أماكن التجمع" وترجمها آخرون "أماكن الخطابة" أى بما يوازى كلمة agora. (الخرر)

- ويربط الحزّامون (القمح) فى حزمات بأربطة من القش المجدول،
حزّامون ثلاثة وراء الحصادين، يجمع خلفهم
٥٥٥ الغلمان سيقان القمح ملء أذرعهم ويحملونها ويعطونها
للحزّامين. فى الوسط يقف الملك يمسك صولجانه صامتاً،
منشرح الصدر، عند خط المحراث.
ويعد الأتباع وليمة بعيداً تحت شجرة بلوط
فكانوا يهيئون ثوراً ضخماً ذبحوه قرباناً.
٥٦٠ ونثرت النسوة شعيراً أبيض بكثرة على جلده لغذاء العمال
ونقش (هيفايستوس) كرمة ذهبية جميلة، حملها ثقيل
من العناقيد، عناقيد سوداء من أعناب
تصطف من أول الكرمة إلى آخرها أعراش فضية تحمل العناقيد.
ونقش حولها خندقاً طلى بالأزرق القاتم حوله سياج
من القصدير، يؤدى إليه ممر واحد يسلكه
٥٦٥ قاطفو الأعناب عندما يتجمعون فى الكرمة.
وقف الفتية والغلمان منشرحين فى مرح،
حاملين فاكهة ناضجة أحلى من العسل، فى سلال من الصفصاف.
وفى وسطهم غلام يحمل قيثارة جلية النغمات
يعزف عليها، ويتغنى مع الألحان
٥٧٠ بأغنية (خفيفة) (*) وبصوت رقيق، ويدق الباقون
الأرض فى تتاعم، ثم يتقافزون فى رقص وصياح.
ونقش (هيفايستوس) قطيعاً من الماشية مستقيمة قرونها،
محلاة بالذهب والقصدير،
٥٧٥ خافضة (رعوسها)، مسرعة من الحظيرة، لترعى

(*) فى بعض الطبعات يبدأ اسم الأغنية بحرف كبير على أنه اسم علم Linos ويقال إنها أغنية حزينة النغمة تلقى احتفاءً بفراق الصيف. وقيل إنها من أصل فينيقي (ai le nu) التى فهمت على أنها تعنى "ياويلتنا" التى ربما كانت اللازمة فى هذه الأغنية. اعتبر الإغريق أن لينوس هو شاب صغير مات فى سن مبكرة على أيدى أبوللون. وقالوا كذلك إنه مخترع هذه "الموتية" التى حملت اسمه. (الخر)

- بالقرب من نهر يعلو فيه خرير المياه، وتتمايل على ضفتيه العيدان.
يمشى بجانب الماشية أربعة رعاة من الذهب،
تلهث وراءهم تسعة كلاب. قفز وسط مقدمة الماشية أسدان مهولان،
وأمسكا بثور شرع يجار بالخوار المدوى،
لأنهما يبتعدان به، ويسرع وراءه الكلاب
والآيل، فيمزق الأسدان جلد الثور وينهشان
أحشاءه ودماؤه السوداء، ولم يفعل الرعاة شيئاً
بسبب الخوف، فحرضوا الكلاب التي لم تجرؤ
على ملاحقة الأسودين، فما كان منها
إلا أن وقفت تتبح، وابتعدت بنفسها جانباً، وتقهقرت.
ونقش (هيفايستوس) الذى يعرج بكلتا ساقيه، مرعىً
شاسعاً فى وادٍ خصيب، به أغنام بيض
وحظائر وأكواخ مسقوفة وزرائب.
وأكثر من ذلك نقش الإله المعروف بقوة ساعديه
قاعة رقص، (صنعها) بمهارة فائقة، كتلك التي
بناها دايدالوس فى كنوسوس الشاسعة من
أجل أريادنى مجدولة الضفائر. فيها شباب يرقص ويتودد للفتيات
بالهدايا، ويمسك كلٌ منهم بمعصم الآخر.
ترتدى الفتيات ثياباً من الكتان الناعم، ويرتدى الشباب
سترات مغزولة بمهارة تتلألأ من أثر الزيت.
ووضعت الفتيات أكاليل جميلة، بينما وضع الشباب
خناجر من الذهب تتدلى من حمالات فضية.
كانوا (جميعاً) يثبون فى دائرة بأقدام مدربة،
يتقدمون بخفة مثل الخراف الذى يجلس إلى جانب
عجلته ويضبطها بين يديه ليحرب ما إن كانت تدور جيداً.
وأحياناً أخرى يدورون فى صفوف تواجه بعضها بعضاً.

٥٨٠

٥٨٥

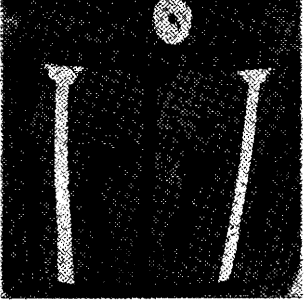
٥٩٠

٥٩٥

٦٠٠

- وتجمع هناك عدد غفير حول الرقص المبهج
فرحين، وعزف بينهم منشد دينى على قيثارة.
٦٠٥ يدور فى وسطهم بهلوانان
يغنى المغنى، وهما يدوران على موسيقاه.
هناك أبداع (هيفايستوس)، أيضاً، قوة النهر أوكيانوس الرهيبة،
يضوق أطراف الدرع بديع الصنع.
وما أن أتم الإله صنع الدرع العملاق القوى، حتى صنع له
٦١٠ درع صدرٍ أكثر لمعاناً من وميض النار.
ثم صنع خوذة ثقيلة تتلاءم مع صدغيه، خوذة جميلة
نقية الصنع، ووضع عليها ريشة ذهبية.
كما صنع له دروع ساقٍ من القصدير اللدن.
ولما انتهى الإله الذى يعرج بكلتا ساقيه، من الدرع
٦١٥ تماماً، أخذه ووضعها أمام أم أخيليوس،
فوثبت من قمم الأوليمبوس الثلجية كصقر
٦١٧ حاملة الأسلحة المصقولة من هيفايستوس.

الكتاب التاسع عشر



ترجمة أحمد عثمان

كانت إلهة الفجر إيوس بردائها الزعفرانى تبرزغ من أمواج
المحيط الأوكيانوس، حاملة النور للآلهة الخالدين والبشر الفاتنين.
وجاءت تيتيس إلى السفن تحمل هبات الإله. ووجدت ابنها الحبيب
متعلقاً بجسد باتروكلوس يجهش بالبكاء، ومن حوله حشد غفير من
رفاقه يننون.

وقفت الإلهة المتألثة بجواره وسط الرفاق، ممسكة يده بيدها
ونادته باسمه قائلة:

"أى بنى، علينا أن ندع هذا الرجل، مع أسفنا الشديد،
يرقد هنا كما هو، لأنه قد قتل بإرادة الآلهة، ولتقبل

أنت من هيفايستوس الدرع الشهير رائع الجمال، الذى لم يحمل
مثله من قبل على كتفيه إنسان قط".

هكذا كان حديث الإلهة، ووضعت السلاح المجيد أمام أخيليوس،
فأحدث السلاح المتألىء رنيناً مدوياً. فاستولت الرهبة على قلوب
الميرميدونيين جميعاً، ولم يجرؤ أحد منهم أن يحملق فيه، فاستداروا
وابتعدوا. فلما نظر أخيليوس إلى السلاح ازداد غضبه توهجاً، ولمعت
عيناه ببريق مخيف، كما لو اشتعلت تحت جفنيه نيران مندلعة. غمرته
السعادة وهو يلمس بيديه هدايا الإله المجيدة، ولكن ما أن ارتوت روحه
بالتحديق فى هذا السلاح المتألىء، حتى خاطب أمه بكلمات مجنحة:

"أماه، هذا السلاح قد صنعه الإله كما ينبغى أن تكون القدرة
الإلهية، فلا طاقة لبشر فان أن يصنع مثله أبداً. الآن سأرتدى هذا
الدرع، وإن كنت فى الوقت نفسه شديد الخوف أن يجد الذباب
طريقه إلى داخل جثة ابن مينويتيوس الصنديد عبر الجروح التى
أحدثتها طعنات البرونز، فتنغذى عليها الديدان مسينة للميت،
فليس فى جثته حياة، ولذا سوف يتعفن لحمه".

فردت عليه ثيتيس، الإلهة ذات القدمين الفضيبتين، قائلة:
 "بنى، لا تدع هذه الأفكار تتعب قلبك، فسوف أصد عنه
 القبائل المتوحشة، أسراب الذباب التى تتغذى على قتلى
 المعارك، حتى لو ظل جسده فى مكانه عامًا كاملاً
 فسيبقى لحمه سليماً على الدوام. وربما أفضل مما هو
 عليه الآن. لتنادى المحاربين الآخيين إلى الاجتماع فى
 الساحة، وتخل عن غضبك على أجاممنون، راعى الشعب،
 وتسلمح بسلاح القتال فوراً، وتدثر برداء البأس".
 وبعد أن قالت ذلك ملأت صدره بالقوة والثقة، ونثرت
 على باتروكلوس الأميروسيا، وسكبت النيكتار الأحمر فى
 ثقب الأنف، حتى يظل لحمه سليماً دائماً^(*).

سار أخيليوس الإلهى على شاطئ البحر مطلقاً صيحته
 المدوية مستغفراً المحاربين الآخيين، الذين كانوا من قبل
 حول السفن، والذين كانوا يقومون على قيادة السفن وإدارة
 الدفة، والذين قاموا بالخدمة وتقديم الطعام. فحتى هؤلاء
 جاءوا إلى ساحة الاجتماع، لأن أخيليوس الإلهى حضر بعد
 طول انقطاع عن الحرب المفجعة. وجاء اثنان من سدنة آريس
 يعرجان، وهما ابن تيديوس المحارب العتيد وأوديسيوس شبيه
 الآلهة، كل يستند على رمحه لأن جراحهما كانت لا تزال تؤلمهما،
 وجلسا فى مقدمة المجتمعين. وأخيراً جاء ملك الرجال
 أجاممنون مثقلاً بجرحه، لأن كوؤن بن أنتينور أصابه برمحه
 ذى السن البرونزى فى أثناء القتال الضارى. فلما تجمع
 كل الآخيين وقف أخيليوس سريع القدمين وسطهم يخطب
 فيهم قائلاً:

٥٥

(*) هنا يذكر المرء فن التحيط المصرى الذى تحدث عنه هيرودوتس فى الكتاب الثانى من تواريخه. وهنا يستخدم الأميروسيا والنيكتار، طعام وشراب الآلهة، وكأتهما عطر وعقار. (الخرر)

- "يا ابن أتريوس، هل كان هذا أفضل لى ولك، أن انفجرنا
أنا وأنت فى غضب، وانزلقنا إلى خصومة فتاكة تستنزف
الروح، وكل ذلك من أجل فتاة؟ ليت أرتemis قتلتها بسهما
عند السفن فى اليوم الذى فزت بها سبية ومكافأة، عندما دمرت
٦٠ ليرنيسوس! عندئذ كان عدد أقل من الأخيين سيعضون
تراب الأرض مدحورين على أيدي أعدائهم بسبب غضبي
الجامح. كان كل ذلك لصالح هيكتور والطرواديين. ولكن
الأخيين فيما أعتقد سيذكرون لأمد طويل الخصومة بينى وبينك.
على أى حال ما فات قد فات، فلا بد أن نكيح جماح الكبرياء فى
٦٥ صدورنا، لأن الضرورة تلزمنا بذلك. الآن سوف أكظم غيظى،
وعليك ألا تحتفظ بغضبك للأبد، بل عليك أن تستثير حماس الأخيين
ذوى الشعر الطويل للقتال، لكى أستأنف أنا قتال الطرواديين
من جديد، وإن جاءوا إلى السفن. أعتقد أن الكثيرين منهم سوف
٧٠ يفضل الراحة بثنى الركبة والقعود هرباً من هول المعركة
ومن سهامى".

- هكذا كان حديث أخيليس، فتهلل الأخيون المسلحون بالدروع
جيداً، لأن ابن بيليوس ذا الحماس الهائل قد تخلى عن غضبه الجامح.
ثم تكلم أجاممنون ملك الرجال، إذ لم ينهض ليقف وسطهم
٧٥ بل تحدث من مكانه قائلاً:

- "أيها الأصدقاء، أيها الأبطال الدانائيون، يا أتباع أريس،
من اللائق أن ينصت الناس إلى من يقف ليخطب فيهم، ولا يليق
أن يقطعه أحد. فمن العسير على المرء أن يصرخ بالخطاب
حتى ولو كان بارعاً، لكن كيف ينصت المرء أو يتحدث جيداً
٨٠ فى حشد صاحب من الناس؟ فحتى الخطيب المفوه يعوقه
هذا الصخب. سوف أفتح قلبى لابن بيليوس، لكن على

- الباقين من الأرجبيين أن يسمعوا ويعوا كلماتي. لقد حدثني
 ٨٥ كثير من الأخيين وعاتبوني، ولكنني لم أكن السبب،
 بل كان السبب هو زيوس وإلهة القدر (مويرا) وإيرينيس، التي
 تتحرك في الظلام. لقد أصابوا نفسي بالجنون الأعمى في
 يوم الاجتماع الذي حرمت فيه أخيلوس من مكافأته المستحقة
 ٩٠ له. ماذا كان بوسعى أن أفعل؟ إنها القوة الإلهية التي تفعل
 كل شيء، إنها أتى كبرى بنات زيوس التي تصيب الجميع
 بالعمى، عليها اللعنة! لها قدمان رقيقتان، لا تسير بهما على
 ٩٥ الأرض بل على رعوس البشر، فتقودهم إلى الأذى وتوقع
 هذا أو ذاك في شراكها. حتى زيوس نفسه أصابه العمى ذات مرة،
 نعم زيوس الذي يقولون عنه إنه أعظم الآلهة والبشر أجمعين،
 حتى هو خدعته هيرا ذات الدهاء في اليوم الذي كان مقرراً فيه
 أن تضع ألكميني في طيبة ذات العرش المكين هيراكليس (هرقل)
 ١٠٠ القوى. إذ تباهى زيوس بين الآلهة جميعاً وصرح قائلاً:
 أنصتوا لي جميعاً أيها الآلهة وأيتها الإلهات. إذ سأكشف لكم
 عما يقوله قلبي في داخل صدري: هذا اليوم إيليثويا، إلهة
 الولادة، ستخرج إلى النور طفلاً سيكون سيدياً على كل من
 حوله من الشعوب المجاورة، فهو من سلالة تنتمي إليّ.
 فخاطبته الملكة هيرا بدهاء وقالت:
 ١٠٥ سوف تخلف وعدك ولن توفي بعهدك. تعال الآن أيها الأوليمبي
 وأقسم لي قسمًا مؤكداً أن هذا الإنسان الذي ينزل اليوم من بين
 رجلى امرأة سيكون سيدياً على كل من حوله، الرجل الذي يولد
 لأناس من نسلك.
- ١١٠ هكذا قالت، ولم يدرك زيوس المكر في
 حديثها وفكرها، بل أقسم قسمًا مغلفاً ووقع في الشرك. لأن

- هيرا هبطت مسرعة من قمة الأوليمبوس إلى أرجوس الآخية .
 وكانت تعرف أن هناك زوجة سثينيلوس بن بيرسيوس
 الجميلة، وأنها حامل في شهرها السابع. فأخرجت هيرا هذا
 ١١٥ الطفل إلى النور قبل آوان الولادة، لكنها عطلت ولادة ألكميني
 ومنعت إيليثويا من أداء عملها. ثم حملت النبا بنفسها إلى
 ابن كرونوس قائلة:
- أى زيوس الأب ياذا البرق اللامع، سأقص عليك النبا الحق.
 ولد اليوم إنسان شجاع ليكون ملكاً على الأرجيين.
 إنه يوريسثيوس بن سثينيلوس بن بيرسيوس، فهو من نسلك،
 وليس من غير اللائق أن يصبح ملكاً على الأرجيين.
- ١٢٠ قالت هذا فأصاب الألم المرير زيوس فى أعماق القلب،
 وقبض من فوره على خصلات شعر آتى الناعم فى سورة
 غضبه، وأقسم قسماً مغلظاً ألا تصعد مرة أخرى أبداً إلى
 الأوليمبوس، ولا إلى السماء ذات النجوم، آتى مضللة الجميع.
 ١٢٥ قال هذا وزجها بيده مطوحاً بها من السماء ذات النجوم،
 فهبطت على الفور إلى الحقول التى يزرعها البشر. ومنذ
 ذلك الحين يشتد حنقه عليها كلما وقع نظره على ابنه الحبيب
 (هيراكليس) وهو يقوم بعمل شاق غير لائق طاعة لأوامر
 يوريسثيوس^(*). وهكذا، فى الوقت الذى كان فيه هيكتور
 ذو الخوذة اللامعة يعيثُ قتلاً فى الأرجيين عند مؤخرة سفننا،
 ١٣٠ لم أكن قادراً على نسيان آتى التى أصابتنى بالعمى منذ البداية.
 ولكن لأننى كنت كالأعمى فى ضلال، وحرمنى زيوس القدرة على
 التمييز ومعرفة الصواب، فلم تُجد أية محاولة للإصلاح أو دفع

(*) إشارة للأعمال الاثني عشر التى قام بها هرقل راجع: "بنات تراخيس" لسوفوكليس، (ترجمة وتقديم أحمد عثمان ومقدمة مع معجم أسطوري)، سلسلة من المسرح العالمى الكويتية، عدد ٢٤٩، يونيو ١٩٩٠.
 و"هرقل فوق جبل أويتا" لسينيكّا - (ترجمة وتقديم أحمد عثمان مع معجم أسطوري). سلسلة من المسرح العالمى الكويتية - مارس ١٩٨١.

- تعويض لا نهاية له. المهم أن تنهضوا الآن إلى المعركة، وأن تستنفروا بقية الشعب، وأنا على استعداد لتقديم الهدايا التي سبق أن وعد بها أوديسيوس الإلهي في الخيام ذات مساء. فإذا شئتم انتظروا هنا قليلاً، مع أنكم مثلهفون على القتال، وسيحمل رجالى الهدايا من سفينتى إليكم، لتروا بأنفسكم أننى سأقدم كل الهدايا التي تروق لكم".
- ١٤٠
- ١٤٥ فرد عليه أخيلئوس سريع القدمين:
"يا أمجد أبناء أتريوس ! أى أجاممنون ملك الرجال، الأمر لك فى أن تعطى الهدايا كما يليق بك، أو أن تمنعها. لكن علينا أن نفكر فى متعة القتال على وجه السرعة، ولا نضيع الوقت فى تبادل الكلمات الجميلة^(*)، فهناك عمل ضخم لم ينجز بعد.
وسيروا أخيلئوس من جديد فى مقدمة الصفوف يدمر برمحه البرونزى جموع الطرواديين. ففكروا الآن فى المعركة، وليقاتل كل منكم عدوه".
- عندئذ رد عليه أوديسيوس واسع الحيلة، وقال:
١٥٥ "أى أخيلئوس يا شبيه الآلهة ! رغم كل قوتك لا تحرض أبناء الآخيين ضد إليون، ليقاتلوا صائمين الطرواديين، فلن تكون المعركة قصيرة، عندما تتلاقى صفوف الرجال وينفث الإله من قوته فى صدور الفريقين. فالأفضل أن تطلب من الآخيين أن يتناولوا الطعام والنبىذ فى السفن المجوفة، فهما أساس القوة والإقدام. فالذى يصوم عن الطعام لا يستطيع محاربة عدوه طيلة النهار حتى غروب الشمس، حتى لو كانت روحه مثلهفة على القتال.
١٦٠ إذ تتناقل أطرافه دون أن يدرى، وسوف يقعه الظمأ والجوع، وتتعثر ركبته أثناء السير. لكن الرجل الذى يأخذ كفايته من
- ١٦٥

(*) هذه الكلمة باليونانية klotopeuein لم ترد سوى فى هذا المكان، ولم ترد عند مؤلف إغريقسى آخر (hapax legomenon) مما يجعلنا غير متأكدين من المعنى. (المحرر)

- الطعام والشراب يحارب طوال النهار ضد الأعداء، ينبض قلبه بالقوة في داخله، ولا ترهق أطرافه حتى يعود الجميع من ساحة القتال. فتعال وأصرف الحشد لكي يتناول كل منهم طعامه، ودع أجاممنون ملك الرجال يحضر هداياه إلى وسط ساحة الاجتماع، لكي يراها جميع الأخيين بأعينهم، ويطمئن قلبك أنت. ودعه يقسم لك، وهو يقف وسط الأرجيين، أنه لم يذهب إلى فراش الفتاة ولم يضاجعها كما هي العادة. يا ملك الرجال والنساء، هدىء من روعك وافتح قلبك في صدرك للتهدة. ثم دعه يقيم مأدبة فخمة لمصالحتك في خيمته، وبذلك لا ينقص من حقلك شيئاً. أما أنت يا ابن أتريوس لا بد أن تكون من الآن فصاعداً أكثر عدلاً مع الآخرين، ولا يعيب الملك أن يسرع بإصلاح أخطائه إذا كان هو البادىء بالعنف".
- ثم رد عليه أجاممنون ملك الرجال قائلاً:
- ١٧٠ "يا ابن لائيرتيس، أسعدنى ما سمعت من حديثك. حيث قطعت بكل ما هو حسن وملائم، وأنا بكل سرور سأقسم القسم الذى طلبت، فقلبى يدفعنى إلى ذلك، ولن أحنث فى قسمى أمام القوة الإلهية. دع أخيلئوس ينتظر قليلاً مع أنه متلهف على القتال، وامكثوا أنتم جميعاً حتى تأتى الهدايا من خيمتى، ونوثق قسمنا وثقتنا بالقرابين. ولكننى أكلفك وأطلب منك أنت
- ١٧٥ يا أودئسيوس أن تختار زهرة شباب الأبطال الأخيين ليحضروا الهدايا من سفينتى مع كل ما وعدت أخيلئوس مساء الأمس، وأن يحضروا كذلك النساء. ودع تالئيبئوس يبحث لى بسرعة عن خنزير برى فى كافة أنحاء جيش الأخيين العريض، ويجهزه لى كى أقدمه قرباناً لزيوس وهيلئوس".
- فرد عليه أخيلئوس سريع القدمين مرة أخرى قائلاً:

- "يا أمجد أبناء أتربوس، أجامنون ملك الرجال ! قد تفعل ذلك
 ٢٠٠ وبإقدام أكبر في وقت آخر حين تتوقف الحرب قليلاً، وعندما يهدأ
 الغضب المتقد في قلبي. لكن الآن يرقد ضحايا هيكتور بن برياموس
 قتلى بعد أن فتك بهم هيكتور، حيث منحه زيوس المجد، والآن
 ٢٠٥ تدعو الرجال إلى الوليمة ! من جانبي كنت أود أن يدخل أبناء الآخيين
 المعركة صائمين دون طعام، وعند غروب الشمس يعدون وليمة
 كبيرة، بعد أن نكون قد انتقمنا لإحساسنا بالعار. فحتى ذلك الحين لن
 ينزل من حلقى إلى جوفى طعام أو شراب، فرفيقي قد قتل وبرقد في
 ٢١٠ خيمتي مطعوناً برمح حاد نافذ وقدمه عند المدخل^(*)، ومن حوله
 يلتف رفاقي باكين. ولهذا فليس في قلبي شيء، وليس في عقلي
 تفكير إلا في القتل والدماء والعيول الحزين على الميت".

ثم رد عليه أوديسيوس واسع الحيلة:

- "أى أخيليوس، يا ابن بيليوس، يا أنبل الآخيين طرّاً ! إنك أقوى
 ٢١٥ منى وتفوقنى بمراحل في استخدام الرمح، لكننى أفوقك في الرأى
 بما ليس قليلاً، لأننى ولدت قبلك وأعرف أكثر منك، وعلى هذا فليحتمل
 ٢٢٠ قلبك الإنصات لحديثى، إذ لكم أفرط الناس في الحروب،
 التى فيها لا يضيف السيف البتار سوى قشة في كوم على الأرض،
 فالمحصول هو أقل القليل، عندما يرجح زيوس، موزع نتائج
 الحروب بين البشر، إحدى كفتى الميزان. ليست المسألة إذن أن
 ٢٢٥ يسرع الآخيون بالبكاء على قتلاهم صائمين، حيث يسقط منهم الكثيرون
 يوماً بعد يوم ويموتون واحداً بعد الآخر. فمنذا الذى يمكنه أن يستريح
 من هذا العناء ؟ لكن من اللائق أن ندفن موتانا ونبكى عليهم يوماً، ثم
 ٢٣٠ نقوى قلوبنا بعد ذلك. لكن دعنا نحن الناجين من الحرب الكريهة ندبر
 أمر الطعام والشراب، لكى نواصل القتال ضد الأعداء بعد ذلك دون

(*) ربما يكون المقصود من هذا الوضع للميت كما كانوا يعتقدون هو أن يصير من الصعب على شبح الميت أن يعود. (المحرر)

- توقف، بعد أن نغطي أجسادنا بالدروع البرونزية الصلبة. لذا لا تدع
أحدًا من حشدنا ينتظر استدعاءً آخر، فهذا هو الاستدعاء. وسوف
تسوء عاقبة من يتخلف عند سفن الأرجيين. علينا جميعًا أن
٢٣٥ نهب هبة رجل واحد في مواجهة الطرواديين
مروضى الخيول، ونشتبك معهم في معركة فاصلة".
- هكذا كان حديث أوديسيوس، واصطحب أبناء نيسطور المجيد
وميجيس بن فيليوس وثؤأس وميريونيس وليكوميديس بن
كريون وميلانيوس، وساروا في طريقهم إلى خيمة أجامنون
بن أتريوس. وفي لحظة واحدة قيلت الكلمة وتم الفعل (*).
٢٤٠ حملوا معهم من الخيمة سبعة من الأوعية ثلاثية القوائم،
كان قد وعد بها أجامنون، وعشرين رجلاً لامعًا، واثنى
عشرة جوادًا. وأخذوا معهم كذلك النساء البارعات في الأعمال
اليدوية، وكن سبعة تالنتهم جميلة الخدين بريسييس. وبعد
٢٤٥ ذلك وزن أوديسيوس عشرة تالنتات من الذهب، ثم قاد جماعة
شباب الآخيين محملين بهدايا أجامنون حيث وضعوها
وسط مكان الاجتماع. ثم نهض أجامنون راعى الشعب
ووقف إلى جواره تالتيبيوس الذى كان صوته كصوت إله،
٢٥٠ وأمسك بيديه خنزيرًا بريًا. واستل ابن أتريوس سكينًا
كان يتدلى دائمًا بجوار غمد سيفه الضخم، فقص نتفة من
شعر الضحية، ورفع يديه ضارعًا لزيوس. ووقف الأرجيون
جميعًا صامتين منصتين فى خشوع لما يقول الملك، وكان
٢٥٥ يحملق فى السماء الواسعة وبيتهل قائلاً:
"كن يازيوس شاهدًا علىّ، أنت يا أعلى وأعظم الآلهة،
ولتشهد الأرض (جى) والشمس (هيلوس) والإيرينيات
يامن تقمن تحت الأرض وتنتقمن من الحائنين بقسمهم.
٢٦٠

(*) قارن ترنيوس "المعذب نفسه" الفصل الخامس مشهد (١) بيت ٣١ "dictum, factum" بمجرد أن قال فعل". (المحرر)

اشهدوا جميعاً على قسمى بأننى لم أضع يدي على الفتاة
بريسئيس، لا لكى أضاجعها ولا لأى شىء من هذا القبيل،
بل أقامت فى خيامى عذراء لم يمسه أحد. أما إذا كنت
كاذباً فى قسمى فلتصب الآلهة على المصائب كلها التى تنزلها.

٢٦٥

الآلهة على من يكذب فى قسمة".

هكذا كان ابتهال (أجاممنون)، ثم قطع رقبة الخنزير البرى بسكين
لا ترحم. وحمل تالتيبيوس جسده وأداره فى الهواء ثم ألقى به إلى
لجة البحر الهائج فى الخليج، كى يكون طعاماً سائغاً للأسماك.
ولكن أخيليوس وقف وتحدث مخاطباً الأرجيين محبى القتال قائلاً:

٢٧٠

"أى زيوس الأب ! يا من تصيب بنى البشر يفقدان البصيرة

المهلك، لم تكن كلمات ابن أتريوس لتثير غضبى، وما كان هو لينترع
منى، وقد أصاب قلبه الضلال، فتأتى رغماً عن أنفى، لولا أن زيوس
كان قد راق له أن يهلك الكثيرون من الآخيين. على أية حال اذهبوا
الآن لتناول طعامكم، على أن نسرع بعد ذلك لدخول المعركة".

٢٧٥

هكذا قال (أخيليوس) وبسرعة صرف المجتمعين، وذهب كل إلى
سفينته، لكن الميرميدونيين البواسل حملوا الهدايا إلى سفينة

٢٨٠

أخيليوس شبيه الآلهة، ووضعوها فى الخيمة وتركوا النساء هناك
أيضاً، وقاد الأتباع البواسل الخيول إلى سائر القطيع.

لكن بريسيئيس شبيهة أفروديتى الذهبية، عندما رأت باتروكلوس
صريعاً مطعوناً بالبرونز القاطع، ألقت نفسها على جسده وبكت

٢٨٥

بمرارة، وصرخت بعويل مدوٍ، ومزقت صدرها ورقبتها البضة
ووجهها الجميل بيديها^(*). ثم تفوهت من بين دموعها، تلك

(*) يقول بروبرتيوس محاكاة لهذه الفقرة، حيث تبنى بريسيئيس موت أخيليوس وتقول (11,9):

'Necnon exanimem amplectens Briseïs Achillem

Candida vesana verberat ora manu,...

Foedavitque comas.'

"الم تحتضن بريسيئيس أخيليوس الميت
ويدها ومجنون لظمت خدودها ناصعة البياض
ومرغت (فى التراب) خصلات شعرها". (المحرر)

المرأة شبيهة الإلهات وقالت:

- "أى باتروكلوس، يا أعز الناس إلى قلبي التعس، لقد تركتك حيًا
 ٢٩٠ عندما غادرت الخيمة، لكنى الآن، يا قائد الحشود، عدت لأجذك ميتًا.
 وهكذا نصيبى أن تتراكم علىّ المصيبة فوق المصيبة. إن من متحنى له
 أبى وأمى الملكة لأكون زوجة، رأيتَه أمام مدينتنا وقد نفذ فيه سلاح
 برونزى حاد، وأخوتى الثلاثة الأحبة الذين حملتهم بطن أمى
 لقوا حتفهم كذلك. لكنك عندما قتل أخيلبيوس زوجى ودمر مدينة
 مينيس شبيهة الآلهة، لم تدعنى أبكى، وقلت لى إنك سوف
 ٢٩٥ تزوجنى من أخيلبيوس شبيه الآلهة، وإنه سيأخذنى فى سفينة إلى
 فثيا ويقيم لى حفل زفاف بين الميرميدونيين. لذا فإننى أبكىك
 فى موتك ولن أتوقف عن البكاء، إذ كنت علىّ دوماً عطوفًا."
 ٣٠٠

هكذا كان حديثها وهى تبكى، فناحت معها النساء الأخريات جميعًا
 على باتروكلوس، الذى كان مدعاة لكل منهن فى الحقيقة لأن تبكى على
 مصائبها هى. وحول أخيلبيوس تجمع شيوخ الآخيين، وتوسلوا إليه أن
 يأكل، لكنه رفض وقال وهو يئن:

- "أرجوكم، إذا كان أى منكم أيها الرفاق الأعزاء يسمع كلامى،
 ٣٠٥ دعه لا يسألنى أن أشبع جوعى من اللحم، ولا أن أروى
 ظمأى من الشراب، وهو يرى أن حزنًا بالغًا قد أصابنى،
 سابقى هكذا حتى تغرب الشمس، وسوف أتحمل".

هكذا تحدث، فصرف كل القادة الآخرين، ولكن بقى ابنا أتريوس

- وأوديسيوس الإلهى ونيستور وإيدومينيوس وفوينيكس الفارس
 ٣١٠ المسن، ساعين إلى تخفيف ما يشعر به من أسى وحزن. لكنه لم
 يسمح لحزنه أن يهدأ، قبل أن يدخل بين فكى الحرب الدموية.
 فلما خطر باتروكلوس بباله تنهد بعمق وصرخ:

"يا أعز صديق، يا تعيس الحظ، كم من مرة كنت أنت نفسك تضع

- ٣١٥ بحماس أمامي في خيمتي مآدبة حافلة بما لذ وطاب، عندما يسارع
الآخيون لشن الحرب مذرفة الدمع الغزير على الطرواديين
مروضى الخيول. لكنك الآن ترقد مضرجاً في الدماء ومطعوناً
هنا وهناك في جسدك. وقلبي لا يقبل لحمًا ولا شرابًا، لأنه يتوق إليك
أنت. ليس هناك أسوأ من هذا الشر الذي أعاني، حتى لو
٣٢٠ جاءني خبر وفاة أبي، الذي أحسب أنه يذرف الدمع الغزير هناك
في فثيا وقد حرم ابنه القوى، أنا الذي أحارب الطرواديين في
أرض غريبة من أجل هيليني المشئومة. لن يكون أسوأ أن
أسمع خبر وفاة ابني حبيبي، الذي يقوم على تربيته إنسان
آخر غيري في سكيروس - إذا كان نيوبتوليموس^(*) شبيه الآلهة
٣٢٥ لا يزال حيًا - لقد راودني الأمل أنني وحدي حتما سأهلك هنا بعيدًا
عن أرجوس - مربية الخيول -، هنا في أرض طروادة، وأنت أنت يا
باتروكلوس سوف تعود إلى فثيا، وتحمل ابني في سفينتك السوداء
٣٣٠ السريعة من سكيروس، وتطلعه على كل شيء، كافة ممتلكاتي
وكل خدمي وقصري المنيف ذا السقف العالي. ذلك أن بيليوس فيما
أحسب قد قضى نحب، أو أنه يعاني كبر السن في أرذل العمر،
٣٣٥ في انتظار الأنباء المفجعة عني وعن موتي".
- هكذا كان حديثه الباكي، وأجهش الكبار بالبكاء معه، وتذكر
كل منهم ما تركه خلفه في البيت. وعندما رآهم ابن كرونوس يبكون
٣٤٠ أشفق عليهم، وفورًا خاطب أثينة بكلمات مجنحة قائلاً:

"يا ابنتي لقد تخليت تمامًا عن الرجل الذي تحبينه. ألا تفكرين البتة
في أخيليوس؟ هاهو يجلس أمام السفن ذات المقدمات المنقرية
المقوسة يبكي صديقه الحبيب. بينما ذهب الآخرون لتناول طعامهم،

(*) ولد نيوبتوليموس في سكيروس وبقى هناك تحت رعاية جده ليكوميديس إلى أن ذهب إلى طروادة. وبعد مولده مباشرة عاد أخيليوس إلى فثيا. وبعد ذلك بنحو ثمان سنوات ذهب أخيليوس مباشرة إلى طروادة دون أن يرى ابنه. وهناك روايات أخرى، المهم أن نيوبتوليموس ظهر في ملاحم تالية مثل: "القرصية" و "الإلياذة الصغيرة": كما ظهر في مسرحية فيلوكتيتيس لسوفوكليس. (اخرور)

- ٣٤٥ لايزال هو صائماً جائعاً. اذهبى واسكبي فى صدره النيكتار والأمبروسيا الشهية حتى لا ينهك الجوع قواه".
بهذا القول حفز أثينة، حيث كانت هى نفسها على أهبة الاستعداد،
فحلقت فى أجواز الفضاء كالصقر ذى الجناحين العريضين
والصوت الحاد، ثم نزلت من السماء إلى الطبقات العليا من
الأثير. وبينما كان الآخيون يتسلحون فى المعسكر صبت فى
صدر أخيليوس النيكتار والأمبروسيا الشهية حتى لا يهد الجوع
المر قواه، ثم عادت إلى مقر أبيها الجبار ذى البنيان المتين.
ثم اندفع الآخيون من السفن السريعة. وكما تتساقط ننف الثلج
فى زخات كثيفة وسريعة من لندن زيوس، تحت هبات ريح الشمال
بورياس المولودة فى الأثير الناصع. هكذا انطلقت من السفن الدروع
اللامعة والخوذات البراقة القوية، ودروع الصدر ودروع الساق
المصفحة والرماح الرمادية. فلما صعد هذا البريق إلى السماء، ضحكت
الأرض كلها^(*) من حولهم بتألق البرونز ولمعانه. من تحت أقدام
الرجال صعد صوت دقات الكعوب الرنانة، وفى قلب الحشد كان
أخيليوس الإلهى يضع أسلحته على جسده. اصطكت أسنانه بعضها
ببعض، ولمعت عيناه ببريق ساطع، كما لو كانتا لهباً متوهجاً، لأن قلبه
كان مفعماً بألم لا نهاية له، وفى قمة غضبه على الطرواديين شرع
يرتدى هدايا الإله، التى أنتن هيفايستوس صنعها. فلف على ساقيه
دروع الساق وثبتها بمسامير فضية، ثم وضع درع الصدر على
صدره، ثم علق السيف البرونزى المرصع بالفضة على كتفه.
ثم أخذ درعاً ضخماً وقويًا يرسل بريقاً لامعاً كأنه القمر. ومثلما يظهر
بريق نار مشتعلة للبحارة فى عرض البحر، إذ تندلع النار على
قمة جبل شاهق فى مكان مقفر، بينما تجرف الريح هؤلاء البحارة

(*) ضحكت الأرض عند الشاعرين الرومانين لوكريتيوس (الكتاب الثانى ٣٢٥) وفرجيليوس. "الزراعات"
الكتاب الثانى (٢٨١) وقارن قصيدة البحترى:
أتاك الربيع الطلق يخال ضاحكاً
من الحسن حتى كاد أن يتكلما

- ٣٧٥ مرغمين إلى أعالي البحر، حيث مرتع الأسماك، بعيداً عن يحبون.
هكذا تصاعد البريق من درع أخيليوس إلى عنان السماء.
ثم رفع الخوذة القوية ووضعها فوق رأسه، فلمعت كما تلمع
النجوم، وكانت تعلوها خصلة شعر حصان وحولها ريشات
٣٨٠ ذهبية كثيرة وضعها هيفايستوس على جانبي العرف. ثم تأكد
أخيليوس الإلهي من أن السلاح يتواءم معه، وأن أوصاله المجيدة
تتحرك بحرية. وأنها أصبحت كما لو كانت أجنحة تحمله
بوصفه راعياً للشعب. ثم سحب من الغمد رمح أبيه، وكان
٣٨٥ رمحاً ثقيلاً ضخماً وقوياً، لا يستطيع أحد من الأخيين سوى
أخيليوس أن يحسن استخدامه، ذلك الرمح من شجر الدردار
فوق بيليون. أعطاه خيرون لأبيه العزيز، فهكذا سقط من قمة بيليون
٣٩٠ ليكون وبالاً على المحاربين.
وذهب أوتوميدون والكيμος(*) كى يشدان الخيول للعربة، فوضعا
٣٩٥ سيوراً تحمى صدرها، وشكائم حديدية بين الفكين، ومدا الأعنة إلى
العربة المثينة. ثم أخذ أوتوميدون السوط اللامع وقبض عليه بقوة
وقفز وراء الخيول. ثم قفز أخيليوس ليجلس خلفه مستعداً للقتال،
يلمع سلاحه كالشمس الساطعة هيريون، ثم هتف مخاطباً جوادى أبيه:
٤٠٠ "أى كسانثوس وبالوس، يا ولدا بودارجى المشهورين، أعيذا
من يمتطيكما سالماً إلى حشد الدانائيين، بعد أن تضع الحرب
أوزارها، ولا تتركاه كما تركتما باتروكلوس قتيلاً".
عندئذ من تحت النير رد عليه الحصان كسانثوس لامع الرجلين.
إذ فجأة أحنى رأسه، فتدلّت كل خصلات شعر العنق من على
٤٠٥ جانبي النير حتى لامست الأرض، وهبته الإلهة هيرا القدرة
على الكلام(**) فقال:

(*) يسمى أحياناً الكيميدون Alkimedon. (الخرر)
(**) تحدثت الحيوانات في الأساطير البابلية وتحدث ثور في تواريخ ليفيوس، ثم قارن خرافات أيسوبوس وحواديت
فابدروس. (الخرر)

"أى أخيليوس الجبار! حقاً سنحميك اليوم، ولكن يوم القدر
المحتوم قريب منك، ولن نكون نحن السبب، بل سيأتى به إله
قوى وقدر (مويرا) غلاب. فلم يسلب الطرواديون سلاح باتروكلوس من
٤١٠ كتفيه بسبب كسلنا أو تقاعسنا، لكن أقوى الآلهة، من ولدته ليتو ذات
الشعر الجميل، هو الذى قتله فى مقدمة الصفوف ومنح هيكتور
٤١٥ المجد. حتى مع الرياح الغربية زيفيروس، أسرع الرياح
كما يقولون، سوف نعدو بقوة، إلا إذا كان مقدوراً عليك الهلاك
فى المعركة على يد إله أو إنسان ما".

وبعد أن نطق بذلك أخرسته الإيرينيات، ورد عليه أخيليوس
سريع القدمين وقد تملك فزع شديد قلبه، قال:

٤٢٠ "أى كسانثوس، لماذا تنتبأ بموتى؟ لا يلزمك هذا! أنا نفسى
أعرف حق المعرفة أنه مقدر لى الموت هنا، بعيداً عن أبى الحبيب
وأمى. ومع ذلك فلن أتوقف حتى أتخم الطرواديين قتالاً."
قال (أخيليوس) هذا وصاح صيحة مدوية فى المقدمة، قابضاً
٤٢٤ على عنان خيوله ذات الحافر الواحد.

الكتاب العشرون



ترجمة أحمد عثمان

- هكذا يا ابن بيليوس، كان الأخيون الذى لم يشبعوا قتالاً
يتسلحون بجوار سفنهم المقوسة ملتفين حولك، بينما يقف
الطرواديون فى مواجهتهم فوق مرتفع ناتئ فى السهل.
لكن زيوس أمر ثيميس أن تدعو الآلهة من فوق قمم
الأوليمبوس متعدد الجنبات للاجتماع. فذهبت إليهم هنا
وهناك ودعتهم للاجتماع فى مقر زيوس. حضرت كل
(آلهة) الأنهار ما عدا المحيط أوكيانوس، وكل العرائس
اللأى تتجولن فى الغابات الكثيفة وينابيع الأنهار والمروج
الخضراء. حضروا جميعاً إلى منزل زيوس جامع السحب،
فأجلسهم فى بهو الاعمدة المصقولة، التى أبدعها هيفايستوس
بمهارة من أجل زيوس الأب.

- هكذا اجتمع كل الآلهة فى مقر زيوس، حتى مزلزل الأرض
(بوسيدون) لم يستخف ببناء الإلهة، وجاء من أعماق البحر
ليلحق بهم، وجلس فى وسطهم، ثم سأل زيوس عن الهدف
من وراء الاجتماع:

- ١٥ "لماذا، يا سيد الصاعقة الصاعقة استدعيت الآلهة للاجتماع مرة
أخرى، أهو أمر تفكر فيه ويتعلق بالطرواديين والآخيين؟ فلقد
اشتعلت الحرب واندلع القتال بينهما".

فرد عليه زيوس جامع السحب قائلاً:

- ٢٠ "يا مزلزل الأرض، أنت تدرى بما يدور فى صدرى، ولماذا
استدعيتكم للاجتماع هنا، فأنا أهتم بهم مع أنهم هالكون.
أما فيما يتعلق بى، فسأبقى هنا جالساً على إحدى جنبات
الأوليمبوس مرتاحاً ومكتفياً بالمراقبة، أما أنتم فلکم أن تذهبوا
إلى الطرواديين أو الآخيين، وتمدوا العون لهذا الطرف

٢٥

- أو ذاك وفق ميول كل منكم. فلو أن أخيليوس وحده قاتل
الطرواديين، ما استطاعوا أن يقفوا أمام ابن بيليوس سريع
القدمين. لقد أصابتهم الرجفة بمجرد أن وقعت أنظارهم عليه.
٣٠ أما الآن وقد استشاط قلبه غضباً من الحزن على صديقه،
أخشى أن يتخطى الحدود المرسومة له. ويحطم الأسوار".
- هكذا قال ابن كرونوس فأشعل حرباً دون هوادة. فإلى هذا
الجانب أو ذلك تدخلت الآلهة في القتال، وقد تفرقت بهم الميول.
فإلى جانب حشد السفن انضمت هيرا وباللاس أثينة وبوسيدون
٣٥ مزلزل الأرض وهرميس جالب الحظ وسريع البديهة كما
اشتهر. ومع هؤلاء ذهب أيضاً هيفايستوس المتباهى بجبروته
سائراً بخفة على ساقيه المنكمشين. وإلى جانب الطرواديين انضم
أريس ذو الخوذة البراقة، وفوبيوس بخصلات شعره المسترسل،
٤٠ وأرتميس رامية السهام، وليتو وكسانثوس، وأفروديتي الضحوك.
- مادام الآلهة يعيدون عن البشر الفانين، ظل الآخيون يحرزون
النصر والمجد، ولاسيما بعد أن انضم إليهم أخيليوس منهياً
اعتكافه عن القتال. أما الطرواديون فقد أصابت الرجفة أوصالهم،
بمجرد أن وقعت أبصارهم على ابن بيليوس ذي الأسلحة
٤٥ البراقة، قرين أريس في الفتك بالرجال. ولكن ما أن جاء
الأولمبيون واختلطوا بحشود البشر ثارت ثائرة إلهة النزاع
القوية إريس، التي تحرك الأمم، وأطلقت أثينة صيحاتها المدوية
سواء وهي تقف إلى جوار الخندق العميق خارج الحائط، أو
وهي تقف على الشواطئ المرعدة لأصداء صيحاتها. وجاوبها
٥٠ أريس على الطرف الآخر بصيحة رهيبة كأنها عاصفة سوداء،
مستنفراً بصرخات حادة الطرواديين من أعلى قلعة المدينة

- أو عندما ناداهم على ضفاف سيموثيس على منحدر كالليكولوني^(*).
- هكذا استنار الآلهة المباركة الجانبين إلى القتال، وفيما بينهم
- ٥٥ فجروا صراعًا فظيماً. فمن فوقهم أرعد أبو البشر والآلهة على نحو رهيب، ومن تحتهم زلزل بوسيدون الأرض غير المحدودة وقمم المرتفعات الشاهقة. ثم ارتجت كل سفوح جبل إيدا ذى
- ٦٠ الينابيع العديدة وكل ذواباته، واهتزت مدينة الطرواديين وسفن الآخيين. وفى العالم السفلى ارتعد أيونيوس سيد الأشباح ومن شدة فزعه أطلق صرخة مدوية وهو يقفز من فوق
- ٦٥ عرشه، خشية أن يشق بوسيدون مزلزل الأرض باطن الأرض فيكشف أعماقها - وهى المخيفة حتى بالنسبة للآلهة - للبشر الفانين، فيرون أشباحها وأوحالها. فقد وقف فوييوس (الوضاء) أبوللون بسهامه المجنحة فى مواجهة بوسيدون الملك، ووقفت أثينة زرقاء العيون ضد إنيايوس، أما أرتيميس
- ٧٠ رامية السهام وأخت رامى السهام بعيداً (أبوللون) إلهة الصيد ذات السهام الذهبية والصوت الحاد فقد واجهت هيرا. ووقف هرميس القوى جالب الحظ ضد ليتو، وفى مواجهة هيفايستوس وقف النهر العظيم ذو الدوامات العميقة والذى تدعوه الآلهة كسانثوس ويسميه البشر سكاماندروس.
- ٧٥ هكذا تقدم الآلهة ليواجه بعضهم بعضاً. فى حين كان أخيليوس تواقاً لملاقاة هيكتور بن برياموس من بين رجال الحشد جميعاً، إذ تدفعه روحه دفعاً للارتواء من دمه دون الآخرين، إشباعاً لآريس ذلك المحارب ذى الدرع المتين من جلد الثور. لكن أبوللون مثير الأمم شجع آينياس على أن يذهب لمواجهة ابن

(*) يعنى هذا الاسم "تل الجمال"، وربما كان هذا هو المكان الذى كان الناس يعتقدون أن مسابقة الجمال بين أثينة وهيرا وأفروديتي، حيث حكم فيها باريس لصالح أفروديتي، قد جرت هنا. (المحرر)

٨٠ بيليوس، وبث في روحه البسالة وقال له أبوللون بن زيوس
متخذاً صوت ليكاؤن بن برياموس وهيئته:

"أى آينياس يا ناصح الطرواديين، أين تهديداتك التي كنت
تتوعد بها متباهياً أمام أمراء طروادة، وأنت تحتسى الخمر.

٨٥ وكنت تقول إنك ستخوض غمار القتال متحدياً أخيليوس بن بيليوس".
فرد عليه آينياس قائلاً:

"يا ابن برياموس، لماذا تحرضنى على الوقوف أمام ابن بيليوس
العتيد، ضد إرادتى؟ فليست هذه هي المرة الأولى التي ألقى

٩٠ فيها أخيليوس سريع القدمين، إذ سبق أن هاجمنى ذات مرة
برمحه وطردي من إيدا، حين انقض على قطعاننا ودمر

ليرنيسوس وبيداسوس. ولم ينقذنى من بين يديه سوى

زيوس، الذي أمدنى بقوة في قدمي، فأفلت مسرعاً فراراً منه،

٩٥ وإلا لكنت قد قتلت على يدى أخيليوس. وأثينة هي التي كانت
تسير أمامه وتنقذه وتأمره أن يفتك بأهل ليرنيسوس

الليليجيين وكذا الطرواديين برمحه البرونزى. من المحال أن

يقف رجل أمام أخيليوس في القتال، لأنه على الدوام هناك

إله ما يقف إلى جانبه ويمنع عنه الأذى. وفي كل حال تطير

رميته مباشرة إلى هدفها فتصيبه، فلا تتوقف قبل أن تنفذ

١٠٠ في لحم إنسان. لكن إذا ما هياً إله ما الفرصة متكافئة في
القتال، فإنه لن يستطيع التغلب على بسهولة مهما تباهى

بأنه مخلوق برونزى لا يجرح".

ورد عليه الملك أبوللون بن زيوس قائلاً:

"تعم أيها المحارب، فلتذهب وتتضرع أنت أيضاً للآلهة

١٠٥ الخالدة، فأنت أيضاً كما يقول الناس ابن أفروديتى ابنة زيوس،

أما هو فأمه إلهة أقل شأنًا. لأن أمك ابنة زيوس، أما أمه فهي

مجرد ابنة إله البحر الشيخ المسن. هيا احمل رمحك البرونزى العنيد وتقدم لمواجهته، ولا تدعه يصدك للخلف بكلمات الاستعلاء أو التهديدات".

١١٠

قال ذلك ونفت شجاعة جسورة فى روح راعى الشعب، ثم اندفع إلى الصفوف الأولى متسلحاً بالبرونز المتوهج. ولكن لم يغب عن هيرا ذات الذراع الأبيض أن تلمح ابن أنخيسيس وهو يشق طريقه بين المحاربين مستهدفاً مواجهة ابن بيليوس، فجمعت الآلهة حولها وحدثتهم قائلة:

١١٥

"فلتدبر كل منكما أى بوسيدون وأنت يا أثينة ما يجرى، وليقل رأيه. فها هو آينياس يتسلح بالبرونز المتوهج ويتقدم لمواجهة ابن بيليوس، فويبوس أبوللون هو الذى حرصه. هيا بنا إذن، لنعيده للخلف، أو ليذهب أحدنا ويقف إلى جوار

١٢٠

أخيلوس، ويبت فيه قوة جبارة لكى لا يلين عزمه، وليعلم أن من يحبونه هم أفضل الآلهة الخالدين، وأن الآلهة الآخرين الذين وقفوا من قبل أثناء القتال إلى جانب الطرواديين كانوا لاشيء، وكانتهم قبض الريح. أما نحن فقد نزلنا اليوم من

١٢٥

الأوليمبوس لكى نشارك فى هذا القتال، حتى لا يصيب الطرواديين أخيلوس بأى أذى. وبعد ذلك سوف يلقى ما خطته إلهة القدر آيسا على مغزلها منذ البداية ساعة ولادته حين وضعته أمه. فإذا لم ينبئ أحدنا أخيلوس بهذا فسوف تغلبه الرهبة حينما يواجهه إله ما فى المعركة، فكم هو رهيب ظهور الآلهة للبشر!".

١٣٠

عندئذ رد عليها بوسيدون مزلزل الأرض، قائلاً:

"هيرا، لا تدعى غضبك يتخطى حدود حكمتك. لا حاجة

١٣٥

لذلك. بالنسبة لى فلن يطيب لى أن أكون سبب النزاع فيما بين

الآلهة. فلنترك هذا الطريق، ودعونا نبتعد إلى مرتفع ما
نتخذ لنا منه مجلساً، ونراقب ما يدور، ونترك الحرب للبشر.
أما إذا بدأ أريس أو فوييوس أبوللون القتال، وعطلاً أو منعا
أخيليوس عن النزال، فلنا عندئذ أن نطلق صيحة الحرب،
وسيعودون في الحال إلى اجتماع الآلهة فوق الأوليمبوس
مهزومين على أيدينا".

١٤٠

هكذا قال الإله ذو الشعر الأزرق الداكن، وقاد الطريق إلى
هضبة هيراكليس (هرقل) سليل الآلهة، وهو متراس بناه له
الطرواديون وباللاس أثينة، حتى يلجأ إليه اتقاءً لشر الوحش
البحري^(*). فيكون في مأمن منه كلما طارده من الشاطئ
إلى السهل. هناك جلس بوسيدون ومعه فريق من الآلهة
الآخرين، تلف أكتافهم سحابة لا يمكن اختراقها. وعلى الجانب
الآخر فريق الآلهة الآخرين على مرتفعات كالليكولوني حولك يا
فوييوس أنت وأريس مدمر المدن. هكذا جلس كل فريق إلهي في
ناحية يتبادلون الرأى فيما بينهم، وكل فريق منهما يكره
أن يبدأ الحرب المفجعة، بينما ظل زيوس على عرشه
الرفيع سامياً فوق الجميع.

١٥٠

١٥٥

حينئذ كان السهل قد اكتظ بالرجال والخيول واكتسى بوهج
البرونز، وقعقت الأرض تحت أقدام الرجال المندفعين نحو
المعركة. وتقدم رجالان هما أفضل المحاربين طراً، ليواجه أحدهما
الآخر فيما بين الحشدين. إنهما آينياس بن أنخيسيس
وأخيليوس الإلهي. في البداية تقدم آينياس ونظرة التحدى
تتألق في عينيه، وقد أوماً بخوذته الثقيلة، وأمسك بدرعه

١٦٠

(*) هذا الوحش البحري أرسله بوسيدون ليلتع هيسيون بنت لازميدون، لأن الأخير خدع إله البحر ولم يعطه مكافأته المتفق عليها في مقابل بناء طروادة. خلص هرقل هيسيون من هذا الوحش، وبنى له هذا المتراس ليلجأ إليه عندما يهاجمه الوحش أثناء الصراع. (الخرور)

القوى أمام صدره، ولوح برمحه البرونزي. وعلى الجانب الآخر
تقدم ابن بيليوس لملاقاته وكأنه الأسد الهائج، الذي احتشد لقتله
١٦٥ كل رجال القرية. فهو بداية يمضي في طريقه غير مبال
بمن هم حوله، ولكن ما أن يرميه أحد الشباب برمح حتى يفغر
فاه، ويطفح الزبد من بين أنيابه، ويئن قلبه القوى، وبذيله
يضرب جنبيه يساراً ويميناً مستجمعاً كل قواه للمعركة، تتقد
مقلتاه، ويهجم بجنون عسى أن يقتل أحدهم أو يلقي حتفه في
مقدمة الصفوف. تلك كانت حالة أخيليوس مدفوعاً بقوته
١٧٥ وروحه العالية حين تقدم لملاقاة آينياس المقدام، وحين تقابلا
وجها لوجه، بدأ أخيليوس الإلهي سريع القدمين بمخاطبة
آينياس قائلاً:

"أى آينياس، لماذا قفزت خارجاً من هذا الحشد لملاقاتي: هل

حدثتك نفسك بأن تواجهني في المعركة طمعاً في الحصول
على الزعامة في مملكة برياموس، والسيادة على الطرواديين
١٨٠ مروضى الخيول؟ كلا، فحتى لو قتلنتي، فلن يضع برياموس
الملك في يدك، لأن لبرياموس ذرية تخلفه ولديه الحكمة
والعقل. أم أن الطرواديين قد اقتطعوا لك قطعة ممتازة من
الأرض، غنية بحدائقها وحقولها، لتمتلكها لو قتلنتي؟ مع أنني
١٨٥ أعتقد أنه ليس من اليسير عليك أن تنجز هذه المهمة. فإنني
أفخر أنني ذات مرة أجبرتك على الفرار أمام رمحي. هل نسيت
ذلك اليوم، حين كنت بمفردك، فلما طاردتك وليت أنت الأديبار
مسرعاً عبر منحدرات إيذا الوعرة؟ لم تنظر يوماً مرة أخرى
خلفك أثناء فرارك. هربت أنت إلى ليرنيسوس، فدمرت أنا
١٩٠ هذه المدينة عن آخرها بعون من أثينة وزيوس الأب، سبيت
نساءها وحرمتهن من حريتهن. بيد أن زيوس والآلهة الآخرين
أطلقوا سراحك. لكنهم الآن كما أعتقد لن يحموك كما تأمل في

- ١٩٥ قلبك، فإننى أمرك بالعودة إلى الحشد، وعدم الوقوف فى وجهى قبل أن يصيبك الأذى. فغبى من لا يفهم قبل فوات الأوان".
- فرد عليه آينياس مرة أخرى، قائلاً:
- ٢٠٠ "يا بن بيليوس، لا تظن أنك بالكلمات سترهبنى، وكأنتى طفل، فأنا أيضاً أعرف جيداً كيف أقول كلمات مهينة وأخرى لائقة. كل منا يعرف سلالة الآخر ووالديه، ولقد سمعنا الحكايات ذائعة الرواية عن البشر الفانين، ولكنك لم تر أبائى بعينيك، ولا أنا رأيت آباءك. يقول الناس إنك ابن بيليوس الذى لا نظير له، وابن ثيتيس مليكة البحر ذات الخصلات الجميلة. أما أبى الذى أتباهى به فهو أنخيسيس نبيل القلب، وأمى هى أفروديتى. اليوم سينعى والدا أجدنا ابنهما العزيز، فمن المؤكد أن لقاعنا لن ينتهى بكلمات صيبانية، ولن نترك ساحة القتال سالمين. وعلى أية حال عليك إذا أردت أن تعرف سلالتنا - والكثيرون يعرفونها - إذ كان زيوس جامع السحب قد أنجب داردانوس مؤسس سلالتنا وبنى داردانيا، ولم تكن إليوس المقدسة قد شيدت بعد فى الوادى على أنها مدينة البشر الفانين، إذ كانوا لايزالون يسكنون منحدرات إيذا كثير الينابيع. وبعد ذلك أنجب داردانوس ولدًا هو الملك إريخثونيوس الذى أصبح أغنى البشر الفانين، فقد كان يملك ثلاثة آلاف فرساً ترعى فى المروج وتنعم بصغارها. وبينما هى ترعى شغف بها بورياس حباً وفى هيئة حسان ذى لبدة قاتمة خالطها وأنجب منها اثنتى عشر مهرة، تلك التى عندما تطير فوق الأرض المزروعة تقشد ذؤابات زهور البروق (القرنفل) ولا تكسرهما ولا تطيح بها. وعندما تطير فوق ظهر البحر العريض فإنها تقشد ذؤابة الموج الهائج. ثم أنجب إريخثونيوس طروس كى يكون

- ٢٣٠ ملكاً على الطرواديين، وأنجب طروس ثلاثة أبناء لا مثيل لهم هم إيلوس وأساراكوس وجانيميديس شبيه الآلهة، أجمل أبناء البشر طراً، فقد اختطفه الآلهة لكي يصبح ساقى الخمر لزيوس، وذلك بسبب جماله، ولكي يقيم مع الخالدين. ثم أنجب إيلوس ولدا هو لاؤميدون الذي لا نظير له، وقد أنجب بدوره تيئونوس وبرياموس ولامبوس وكليتيوس وهيكتاؤن سليل آريس. وأنجب أساراكوس كابيس الذي أنجب بدوره أنخيسيس، وقد أنجبني أنخيسيس. أما برياموس فقد أنجب هيكتور الإلهي.
- ٢٣٥ إننى أتباهى بهذه السلالة وبهذا الدم، ذلك أن زيوس هو الذى يهب التفوق للبشر، أو يحرمهم منه. فهو الأعلى فوق الجميع. هلم بنا إلى قلب النزال، دون أن نعود مرة أخرى للخوض فى هذا الكلام مثل الأطفال، فما أكثر الإهانات التى يمكن أن ينطق بها كل منا، والتى يمكن أن تغرق سفينة بها مائة صف من المقاعد. فألسنة البشر مزلق، وهناك كلمات كثيرة ومتباينة، وحقل الكلمات فسيح بلا حدود، وكل ما يمكن أن نقوله، يمكن أن يرد به عليك فى مسامعك، وبهذا سوف نتعاضد ونتعارك
- ٢٤٠ كالنساء اللائى عندما يركبهن الغضب يخرجن إلى عرض الطريق ويتشاجرن ويتراشقن بالكلمات النابية المبنية على حقائق أو أكاذيب، لأن الغضب هو الذى يقف وراء الكلام.
- ٢٤٥ وعلى أية حال فإنك لن تثبط عزيمتى بالكلمات، وحتى نتلاقى رجلاً لرجل بالبرونز، هلم يجرب كل منا الآخر بالرمح ذات السن البرونزى".

- قال هذا، ثم رمى رمحه الضخم فى اتجاه الدرع الرهيب والعجيب. فأحدث الدرع دويًا تحت وطأة سن الرمح. ولكن ابن بيليوس أمسك درعه بيديه القويتين فى خوف. لأنه خشى أن يخترقه رمح آينياس المغوار. ياله من أحمق! فهو لم
- ٢٦٠

- يدرك أن هدايا السماء المجيدة لا يمكن أن تهزم بسهولة
على يد أمجد الفانين، ولا يمكن أن تستسلم لهم. ولهذا لم يخترق
٢٦٥ رمح آينياس المغوار - وهو رمح عتيد - الدرع، لأن الذهب،
وهو هدية إلهية، حال دون ذلك. لقد تمكن رمح آينياس من
اختراق طبقتين اثنتين، وبقي ثلاث. لأن الإله الأعرج كان قد
٢٧٠ صنع الدرع من خمس طبقات، اثنتين من البرونز، واثنتين
من القصدير، وخامسة من الذهب. وهي التي عندها وقف
الرمح الدردارى (*).
- وبدوره رمى أخيليوس رمحه طويل الظل في اتجاه درع
٢٧٥ آينياس متين الاتزان، أسفل طرف الحاشية حيث يخف
البرونز، وحيث تكون بطانة جلد الثور نحيلة. ولذلك نفذ
الرمح المصنوع من شجر الدردار فوق بيليون، وتكسر الدرع
تحتة محدثاً دويًا هائلًا، تراجع آينياس وهو يمسك بالدرع
محاولاً إبعاده في خوف، ومر الرمح فوق ظهره ثم وقع على
٢٨٠ الأرض، بعد أن مزق طبقتي الدرع الضخم. وبعد أن تجنب
آينياس الرمح الطويل نهض، ولكن أسي بلا حدود غطى عينيه
وارتعد بشدة، حيث كان الرمح يقف منتصبًا بالقرب منه.
وعلى الفور وبصيحة مرعبة اندفع أخيليوس في سرعة
٢٨٥ خاطفة شاهرًا سيفه، وأمسك آينياس بحجر صخري ضخم في
يديه، لا يستطيع رجالان من رجال اليوم رفعه، أما هو فقد
رفعه بسهولة ودون عون. وكاد آينياس أن يقذف بهذا الحجر
أخيليوس وقد هجم عليه، كاد يقذفه في الخوذة أو في الدرع
٢٩٠ - الذي أنقذه في الواقع من موت محقق ومرير. وكاد ابن
بيليوس أن يقتل آينياس بالسيف، لولا أن بوسيدون مزلزل

(*) جدير بالذكر أن الأبيات ٢٦٩-٢٧٢ رفضها عالم الإسكندرية الفقيه أريستارخوس على أساس أنها تخالف ما جاء عن وصف درع أخيليوس في الكتاب الثامن عشر وكما رأينا. (المحرر)

الأرض لاحظ ذلك، وبسرعة خاطب الآلهة الخالدين قائلاً:

"واحسرتاه، وبالأسفى على آينياس ذى القلب النبيل، الذى سيرحل سريعاً إلى هاديس، بعد أن يقتله ابن بيليوس.

٢٩٥ وذلك لأنه بحمق يثق فى كلمات أبوللون رامى السهام من بعيد. بيد أن هذا الإله لن يمنع عنه بأية حال موتاً مروعاً. لكن واحسرتاه! لماذا عبثاً يعانى هذا الإنسان بلا ذنب ويلات ما ارتكبه الآخرون وهو الذى يقدم القرابين بسخاء للآلهة -

٣٠٠ التى تسكن السماء الفسيحة؟ دعنا ننقذه على الأقل من الموت، خشية أن يغضب ابن كرونوس إذا قتله أخيلئوس.

فمن المقدر أن ينجو من الموت، حتى لا يفنى نسل داردانوس دون بذرة أو أثر، ذلك أن ابن كرونوس قد أحب ٣٠٥ داردانوس أكثر من كل أبنائه الذين ولدوا له من بنات البشر. ولأن زيوس كان يكره نسل برياموس، فهكذا كان مقدرًا أن يكون آينياس ملكًا على الطرواديين، وأن يخلفه أبنائه وأحفاده الذين سوف يولدون فى المستقبل".

فردت عليه هيرا، تلك الملكة ذات العيون الواسعة مثل المها:

"يا مزلزل الأرض تدبر أنت الأمر بنفسك، واعمل ما ٣١٠ يمليه عليك فؤادك، سواء أنقذت آينياس أو تركته وحيداً ليقتله أخيلئوس بن بيليوس، برغم بسالته وقوته. لقد أقسمنا، باللاس أثينة وأنا، فى حضرة شهود كثيرين وأمام كل الخالدين، بالألا ندفع عن الطرواديين يوم عثرتهم، ولو احترقت طروادة ٣١٥

كلها فى اللهب المنذلع، وكان الذين يشعلون فيها النيران هم أبناء الآخيين المحاربين".

وما أن سمع بوسيدون، مزلزل الأرض، هذه الكلمات حتى شق طريقه وسط صفوف المتحاربين وقذائف الرماح المتبادلة،

- ٣٢٠ فوصل إلى حيث كان أينياس وأخيلوس ذائع الصيت.
وعلى الفور نشر ضبابًا فوق عيني أخيلوس ابن بيليوس،
وسحب الزمخ الدردي ذي الرأس البرونزية من درع أينياس
٣٢٥ ذى القلب النزيل، ووضعه أمام قدمي أخيلوس. ثم رفع أينياس
عاليًا وقذفه بعيدًا. فلما انفلت أينياس من يد الإله طار فوق
عدة صفوف من المحاربين وعدة خطوط من العربات
الحربية، حتى وصل إلى الطرف الأقصى من المعركة
المحتدمة، حيث كان السكاوكونيون يسلمون أنفسهم للقتال.
٣٣٠ ثم جاء بوسيدون، مزلزل الأرض، إلى جواره وسماه باسمه
وحدثه بكلمات مجنحة:

"يا أينياس، أى إله هذا الذى أمرك - وقد فقدت صوابك - أن
تدخل فى قتال مع ابن بيليوس، وهو رجل أفضل وأعز منك لدى
٣٣٥ الخالدين؟ تراجع للخلف كلما صادفته، خشية أن ترحل إلى
مقر هاديس، وهو ما يتعدى قدرك. ولكن ما أن يلقى أخيلوس
حقتة وقدره، عندئذ يجب عليك أن تكون مقدمًا فتحارب فى
الصفوف الأولى، لأنه فى هذا الحالة لن يقتلك أحد آخر من بين
الآخيين".

- ٣٤٠ قال هذا ثم تركه هناك بعد أن كان قد شرح له كل شيء،
وبسرعة قشع الضباب السحري عن عيني أخيلوس، ففتح عينيه
محملًا بشدة ومتأثرًا بالغ التأثير ومحدثًا نفسه الأبية:
٣٤٥ "كم هو غريب! حقًا إن ما أرى أعجوبة! فرمحي يرقد هنا
على الأرض، كما أنى لا أرى الرجل الذى رميته به ساعيًا
لقتله. وهذا يعنى أن أينياس حقا عزيز لدى الآلهة الخالدة، مع
أننى قد اعتقدت أن تفاخره بذلك كان فارغًا، دعه يمضى!
٣٥٠ فهذا الذى أفلت من الموت بأعجوبة لن يعود ليتحدثنى مرة أخرى.

ولكن هلم الآن! دعنى أستنفر الدانائيين البواسل،
ولأتحدى الطرواديين الآخرين".

قال هذا ثم قفز إلى الصفوف، فصاح محرصاً كل الرجال:
"لا تقفوا أيها الآخيون الإلهيون على مبعدة من الطرواديين،

٣٥٥

بل ليواجه كل رجل نظيره من الأعداء وقلبه مفعم بالرغبة
فى القتال. فمن العسير علىّ - رغم قوتى - أن أواجه
هذا الحشد الضخم وأن أحارب الجميع، فلا أريس نفسه على
الرغم من أنه إله خالد، ولا أثينة نفسها، يستطيع أن يخوض
غمار مثل هذا القتال وينتصر. ومع ذلك فسأبذل كل ما بوسعى،
بيدى وقدمى وكل قوتى العجيبة، ولن أتوانى ولو قليلاً. بل
سأشق طريقى عبر منتصف خطوطهم، ولا أعتقد أن أيًا من
الطرواديين سوف يكون سعيداً إذا ما اقترب منه رمحى".

٣٦٠

قال هذا مشجعاً لهم، ومن ناحية أخرى صاح هيكتور المجيد
فى الطرواديين بصوت عال معلناً أنه سيتقدم للقاء أخيليوس:

٣٦٥

"أيها الطرواديون شجعان القلوب! لا ترهبوا ابن بيليوس.
فمن السهل علىّ أنا أيضاً أن أحارب بالكلمات حتى الخالدين،
ولكن من العسير أن يكون هذا بالرمح، لأنهم الأقوى كثيراً.

٣٧٠

وأخيليوس نفسه لن يستطيع أن يحقق كل كلماته، ولكن قد ينجز البعض،
وسوف يترك البعض الآخر لمن سيخلفه فى منتصف الطريق.
إنى ذاهب للقاءه، حتى لو كانت يده كالنار - نعم كالنار -
وغضبه مثل الحديد المتوهج".

هكذا تحدث مشجعاً إياهم، فشهّر الطرواديون رماحهم

وتقدموا للقتال، واختلطت قوة المحاربين من الطرفين،

٣٧٥

وتعالّت صيحات الحرب مدوية. ثم وقف فوبيوس أبوللون
إلى جانب هيكتور وخاطبه قائلاً:

"أى هيكتور لا تواجه أخيليوس مرة أخرى، ولكن انتظره
في الحشد وفي قلب المعركة، خشية أن يرميك برمحه، أو
أن يلتحم معك فيطعنك بسيفه."

هكذا قال، فترجع هيكتور إلى الحشد المتدفق، وقد انتابه

- ٣٨٠ الخوف حين سمع صوت إله. ولكن أخيليوس قفز بين
الطرواديين وقد تدثر قلبه بالقوة، وارتفع صوته بالصيحة
الرهيبية. وبدأ بقتل إفيتيون بن أوترينتوس الشجاع، وهو القائد
لعدة شعوب، والمولود من عرائس البحيرات والأنهار
٣٨٥ لأوترينتوس مدمر المدن تحت سفح تمولوس الثلجى فى مملكة
هيدى ثرية الحقول. فى أثناء تقدمه ضربه أخيليوس الإلهى
برمحه فى منتصف الجبهة، فشطر الرأس تمامًا، وسقط وأحدث
ارتطامه بالأرض ضجيجًا. ومن فوق جثته وقف أخيليوس
مختالاً وقال:

"الآن هنا ترقد يا ابن أوترينتوس، ياناشر الرعب بين الرجال،

- ٣٩٠ هنا موتك، فقد كان مولدك فى بحيرة جيجايا حيث توجد التركة
التي ورثتها عن الآباء، على ضفاف ييلوس الغنية بالأسماك
وهيرموس ذى الدوامات."

هكذا تحدث متباهياً، وغطت الظلمة عيني إفيتيون، ومزقت

- جسده إرباً إرباً إطارات عربات الآخيين الحربية فى مقدمة
٣٩٥ الصفوف. وأضاف إليه أخيليوس ديموليون بن أنتينور
المحارب الباسل، طعنه فى صدغه، حيث نفذ الرمح فى الجزء
البرونزى الذى يغطى الصدغ من الخوذة. لم تحمه هذه الخوذة
البرونزية من طعنة الرمح الطائر، الذى كسر العظم فانفجر المخ
٤٠٠ مبعثراً هنا وهناك. لقد تغلب عليه برغم شجاعته وإقدامه. ثم
أصاب أخيليوس هيبوداماس فى ظهره برمحه، بعد أن نزل

من العربية وبدأ الفرار من أمامه. ولفظ أنفاسه الأخيرة بخوار
عال كخوار الثور، الذى يجره الشبان إلى مذبح إله هيليكي
(بوسيدون) مزلزل الأرض، الذى يسره مثل هذا القربان.
وهكذا كان خوار هييوداماس، وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة،
٤٠٥ ورحلت عنه روحه المتعالية.

بعد ذلك تحرك أخيليوس إلى بوليديوروس الإلهي ابن برياموس،
ذلك الذى منعه أبوه دومًا من الحرب، لأنه كان أصغر أبنائه
وأحبهم، لا أحد يباريه فى سرعة القدم. فى طيش صبياني
٤١٠ استعرض سرعة قدميه فى مقدمة الصفوف الأولى، ففقد حياته.
ولقد ضربه الإلهي أخيليوس السريع برمح فى منتصف ظهره
أثناء انطلاقه السريع من أمامه. جاءت الطعنة فى المنطقة
التي تلتقى فيها أربطة الحزام الذهبية، وتتداخل أطراف الدرع
٤١٥ بعضها فوق بعض، ونفذ سن الرمح إلى جنب السرة.
وبصرخة مدوية انكفأ على ركبتيه، وغطته تمامًا سحابة سوداء،
وهوى قابضًا على أحشائه.

٤٢٠ فلما رأى هيكتور أخاه بوليديوروس قابضًا على أحشائه بيديه
وقد هوى على الأرض، وغطى الظلام عينيه، لم يعد يطيق
أن يظل بعيدًا، فتقدم لملاقاة أخيليوس مثل قطعة من اللهب
ملوحًا برمحه الحاد. وحين رآه أخيليوس قفز للأمام متأهبًا
لللقاء وصاح متباهيًا:

"ها هو بالقرب منى الرجل الذى قبل أى شخص آخر أصابنى
٤٢٥ فى صميم قلبى، فقد قتل الصديق الذى أكرمه. وأظن أن
تحصينات الحرب لن تحجب أحدنا عن الآخر بعد الآن."

قال هذا ثم رمى هيكتور الإلهي بنظرة الغضب وخاطبه قائلاً:
"اقترب منى لكى تصل إلى نهايتك بأقصى سرعة."

٤٣٠ فرد عليه هيكتور ذو الخوذة اللامعة برباطة جأش:
 "يا ابن بيليوس، لا تظن أنك ترهبنى بكلماتك، وكأننى طفل،
 فأنا أيضاً أعرف جيداً كيف أقول كلمات مهينة وأخرى لائقة.
 وأعرف أنك ذو بأس، وأننى أضعف منك. ولكن الأمر بيد
 الآلهة جميعاً، ومع أننى الأضعف قد أقتلك برمىة رمحى.
 فسلاحى هذا قد أثبت أنه بائر حتى الآن."

٤٣٥

قال هذا ورمى الرمح، ولكن أثينة بنفخة أبعدته وأرجعته
 للوراء بعيداً عن أخيلئوس المجيد الذى تنفس يهدوء. وأعادته
 نحو هيكتور الإلهى فسقط أمام قدميه. عندئذ انقض أخيلئوس
 بجنون عاقداً العزم على قتله، مطلقاً صيحته الرهيبة. ولكن
 أبوللون رفع هيكتور على نحو رفيق يليق بإله وخبأه فى
 ضباب كثيف. وثلاث مرات انقض الإلهى أخيلئوس سريع
 القدمين برمحه البرونزى، وثلاثاً رمى الرمح البرونزى، ولكنه
 لم يصب إلا عمق الرياح. ولكنه فى المرة الرابعة هجم عليه
 وكأنه إله، مطلقاً صيحته الرهيبة وخاطبه بكلمات مجنحة:

٤٤٠

٤٤٥

"أيها الكلب، لقد أقلت مرة ثانية من قبضة الموت مع، أنه كان
 حقاً قريباً منك، أنقذك هذه المرة فوييوس أبوللون، الذى من
 المؤكد عليك أن تصلى له حين تدخل حومة ارتطام الرماح.
 ولتعلم أننى سألقاك عاجلاً أو آجلاً وسأقضى عليك، إذا أعاننى
 أنا أيضاً إله ما. أما الآن فسأشدد هجومى على الطرواديين
 الآخرين أينما وجدتهم."

٤٥٠

٤٥٥

هكذا قال وطعن دريوبس فى العنق، فهوى عند قدميه.
 فتركه حيث تمدد، وقذف رمحه نحو ديموخوس بن فيليئتور
 فأصابه فى ركبته وأقعده. وهو رجل شجاع قوى البنية، وبعد
 ذلك ضربه بسيفه الضخم فانترع منه الروح. ثم انقض على

- ٤٦٠ لاؤجونوس وداردانوس ولدى بياس، وجرهما من عربتهما نحو الأرض. قذف أحدهما بالرمح، والآخر طعنه بالسيف الضخم فى التحام مباشر. بعد ذلك تحول إلى طروس بن الآستور، الذى جاء بنفسه، متعلقاً بركبتيه متضرعاً إليه أن يبقى عليه حياً، وأن يأخذه أسيراً، وأن يبقى على حياته ولا يقتله إشفاقاً على شبابه الغض.
- ٤٦٥ وياله من أحمق! فلم يعرف أن توسله سيذهب سدى! فلم يكن رجلاً ذا قلب رحيم من السهل التوسل إليه، بل كان قاسياً بلا رحمة اليتة. تعلق الشاب بركبتي أخيلئوس، وكله أمل أن يجدى التوسل، فما كان من المحارب إلا أن غرس سيفه فى كبده. فسقط الكبد من جسده، وغطت الدماء السوداء طيات ملبسه، وغطت الظلمة عينيه وفارقتة الحياة. وبعد ذلك اقترب أخيلئوس من موليوس وقذفه بالرمح فى إحدى أذنيه، ومن الأخرى خرج سن الرمح البرونزى. وبالسيف ذى المقبض ضرب رأس إخيكلوس بن أجينور، فزاد حد السيف دفقاً بغزارة الدم، ثم غطت ظلمة الموت والمصير الطاغى عيني عدوه. ثم طعن ديوكاليون فى مفصل الكوع بسن الرمح البرونزى. فتوقف فاقداً أحد ذراعيه ورأى الموت بعينيه، فطعنه أخيلئوس فى الرقبة بسيفه مطيحاً برأسه وخوذته بعيداً. وعندئذ انبثق النخاع من العمود الفقرى، وتمددت الجثة على الأرض.

وبعد ذلك لاحق ريجموس بن بيروؤس، الذى لا نظير له،

- ٤٨٥ والذى جاء من طراقيا ذات التربة الخصيبة. رشق رمحه بقوة فى منتصف البطن مستهدفاً معدته، فهوى بعنف من عربته. أما أريثوؤس تابعه فقد قذفه (أخيلئوس) بالرمح الحاد فى ظهره، عندما كان يستدير بالخيل إلى الخلف، فألقى به من العربية، واضطربت الخيول وهى تجرى هنا وهناك.

تماماً كما تتدلع ألسنة اللهب العجيب في الوديان الصغيرة

- ٤٩٠ العميقة على جنبات الجبل الصخري، فتشتعل الغابات وتتوهج
النيران بفعل هبوب الرياح العاصفة، هكذا اكتسح أخيليوس
كل مكان برمحه، كما لو كان إلهاً لا رحمة عنده بأى من ضحاياه.
وهكذا فاضت الأرض السوداء بأنهار الدماء. ومثلما يربط
- ٤٩٥ المرء الثيران عريضة الجباه إلى النير، لدرس الشعير الأبيض
في أرض الحصاد المنسقة جيداً، وبسرعة يدرس الشعير تحت
أقدام الثيران وهي تطلق خواراً مدويّاً. وهكذا سُحِقَت أكوام
- ٥٠٠ من الجثث والدروع المختلطة تحت أقدام خيول أخيليوس
الهمام ذات الحافر الواحد، وتتأثر الدم على محور عربته
وإطارات العجلات، نثرتها عليها حوافر الخيول. بيد أن
ابن بيليوس لازال يواصل هجومه الكاسح ليحرز المجد،
ويداه اللتان لا تقهران مخضبتان بدماء متخثرة.
- ٥٠٣

الكتاب الحادي والعشرون



ترجمة أحمد عثمان

- وعندما أتوا إلى مقدمة النهر، ذى الانسياب الرائع كسانثوس
 ذى الدوامات ابن زيوس الخالد، شطر أخيليوس حشودهم إلى
 شطرين. الشطر الأول واصل السير إلى السهل في اتجاه المدينة،
 وهو الطريق نفسه الذى سار عليه بالأمس الآخيون
 ٥ فارين مشتتين حيث طاردهم هيكتور المجيد، حين غضب ولم
 يقف في طريقه أحد. هناك تدفقوا مدحورين
 مرعوبين، ووضعت هيرا في طريقهم ضبابًا كثيفًا لكي
 تعوقهم. أما شطرهم الثانى فقد طردوا متكدسين إلى
 النهر العميق المجرى بدواماته القضيّة. لقد سقطوا وهم
 يولولون في صراخ مدو، ورددت المياه المتدفقة الأصداء
 ١٠ بزئيرها وتجاوبت الشيطان مع هذه الأصداء.
 وفى فوضى صرخوا وسعوا للسباحة هنا وهناك وسط
 دوامات تلف بهم في كل اتجاه. ومثلما يحدث عندما
 تأتى النيران المندلعة على أسراب الجراد، فتهرع
 طائرة إلى النهر، هكذا اندلعت النيران فجأة وأحرقت
 ١٥ كل شىء فألقوا بأنفسهم من الخوف في النهر. وأمام أخيليوس
 كان مجرى النهر كسانثوس يئن بالدوامات ويكتظ بالخيول
 والرجال المرتبكين.
- وترك سليل زيوس سهمه على ضفة النهر مستندًا على شجيرة
 الطرفاء، وقفز هو نفسه فى النهر وكأنه إله فى قوته، ممتشقًا سيفه،
 يضممر عزمًا مؤكدًا على أمر ما. فكان يضرب يمينًا ويسارًا، وفى كل
 ٢٠ مرة تصعد عاليًا صرخات القتل بسيفه.
- وتخضبت المياه بلون الدم الأحمر. وفرت الأسماك الأخرى
 أما الدولفين الوحشى، فملأت الخلجان الصغيرة فى ميناء آمن
 حيث لجأت إليها فى زعر، إذ التهم بنهم أية سمكة تقع

- في قبضته. هكذا في طول النهر الرهيب تكس
 الطرواديون مذعورين أسفل الضفاف الصخرية شديدة الانحدار. ٢٥
- فلما تعبت يده من كثرة القتل، اختار اثني عشر شابًا
 نبيلًا، والنقطهم من النهر ليكونوا فدية لباتروكلوس بن مينويثيوس.
 قادمهم إلى البر مذعورين كأنهم طباء صغيرة، فربط أيديهم
 من خلفهم بسيور جلدية جميلة كانوا يشدون بها ستراتهم ذات الطيات. ٣٠
 وسلمهم لأتباعه ليقودوهم إلى السفن المجوفة، بينما واصل
 هو القتال وكله ظمًا للقتل.
- عندئذ صادف ابن برياموس الدارداني وهو يهرب من النهر. ٣٥
 إنه ليكاؤن الذي كان هو نفسه ذات مرة قد أسره وأحضره
 رغم أنفه من حديقة أبيه في هجوم ليلي. إذ كان
 يقطع ببيلطة حادة الأغصان الصغيرة من جذع شجرة
 تين، ليستخدمها في إطار العربة الحربية. ولكن الحظ العائر
 غير المتوقع قد حط عليه في هيئة أخيليوس الإلهي. ٤٠
 حينئذ أخذ في السفن إلى ليمنوس^(*) الآهله بالسكان
 وعرضه للبيع فاشتراه ابن ياسون ودفع ثمنه^(**). ولكن
 ضيفًا صديقًا لأبيه، إيثينيون من إمبروس افتداه بمبلغ
 كبير وأرسله إلى أريسبي^(***) الإلهية، ومن هناك هرب
 سرًا وجاء إلى بيت أبيه. هكذا جاء من ليمنوس ومنذ
 ٤٥
 أحد عشر يومًا يمرح مع أصدقائه. وفي اليوم الثاني عشر
 أوقعه الإله مرة أخرى في أيدي أخيليوس. فقد كان
 مقدرًا أن يبعث به دون إرادته إلى مقر هاديس. بمجرد

(*) توصف ليمنوس في الكتاب الرابع والعشرين بيت ٧٥٣ على أنها جزيرة غير مضيافة. وتظهر هذه الجزيرة في

مسرحية سوفوكليس "فيلوكيتيس" على أنها جزيرة مهجورة تمامًا ويعيش فيها البطل وحيدًا. (البحر)

(**) ابن ياسون هو إيونوس Euneos أما الثمن فهو كأس فضي كما نعلم من الكتاب الثالث والعشرين بيت ٧٤٦. (البحر)

(***) مدينة على بحر مرمرة (هيليسبوتوس) ووردت في الكتاب الثاني ٨٣٦، ٨٣٨. (البحر)

- أن رآه أخيلئوس الإلهى سريع القدمين دون سلاح ولا حتى
خوذة أو درع.
٥٠
- ولم يكن حتى السهم فى يده، لأنه ألقى كل أسلحته على الأرض
(لأنه عندما أسرع من النهر كان العرق يرهقه وكان يسعى
للهرب من النهر وأنهك التعب ركبتيه من تحته) عندئذ تحرك
أخيلئوس فى قوة وتحديث إلى روحه المتسامية!
- "أحق ما تراه عيناى، هذه الأعجوبة الكبيرة! هل حقاً سينهض
من جديد الطرواديون الشجعان من الظلمات المدلهمة
بعد أن قتلتهم، مثلما أرى هنا هذا الرجل الذى عاد هرباً من يوم الدمار
وقد بيع فى ليمنوس المقدسة. لم تمنعه أعماق البحر الهائج التى
تمنع الكثيرين رغماً عن إرادتهم. لقد جاء، فدعه يذوق سن رمحى
لأرى بقلبى وأتأكد ما إذا كان سيعود هو أيضاً من عالم الموتى،
أو ما إذا كانت الأرض واهبة الحياة ستحتفظ به، فهى تحتفظ بالقوى".
٦٠
- هكذا كان يفكر وتوقف، ولكن ليكاؤن اقترب منه فى تردد،
إذ كانت به رغبة للتعلق بركبتيه فهو يتوق من كل قلبه أن يهرب
من الموت والمصير الأسود. وشهر أخيلئوس الإلهى رمحه
متلهفاً على ضربه، ولكن الأخير جرى وانحنى بسرعة وتعلق
٦٥ بركبتيه ورأى الرمح وهو يمر من فوق ظهره لينغرس فى
الأرض منتصباً، مع أن الرمح نفسه كان يطمع فى اختراق
لحم البشر. وببدا أمسك ليكاؤن بركبتيه متوسلاً، وباليد الثانية
أمسك الرمح المسنون ولم يكن ليتركه، وعندئذ رفع صوته
مخاطباً أخيلئوس بكلمات مجنحة:
٧٠
- "أتوسل إليك يا أخيلئوس أن تنظر إلى بعين الشفقة.
فأنا، يا ربيب زيوس، متضرع مقدس، لأننى على مائدتك
٧٥ أكلت من حبوب ديميتر يوم أخذتني فى المرة الأولى أسيراً

- في الحديقة المنسقة تنسيقاً جميلاً. وقدتني
بعيداً عن أبي وأصدقائي، وبعثتني في جزيرة ليمنوس المقدسة،
٨٠ وقدمت لك فديتي مائة ثور. والآن أفندي نفسي للمرة الثالثة.
وحيث إن هذا هو اليوم الثاني عشر لمجيئي إلى إليون بعد كل
هذه المعاناة، فإن قدرًا قاسيًا قد أوقعني اليوم في يدك من
جديد. من المؤكد أنني إنسان كريبه لدى الأب زيوس الذي
٨٥ سلمني لك مرة أخرى. لعمر قصير ولدتني أمي لاوثوى بنت
ألتيس المسن، الذي يحكم الليليجين محبي الحرب في بيداسوس عالية
البنيان بجوار نهر ساتنيويس. تزوج برياموس ابنته، بين أخريات،
وأنجب منها ولدين ستقتل ثانيهما كما قتلت الأول أنت بيديك.
٩٠ فلقد قتلت أحي في مقمة صفوف المحاربين، بوليديوروس الإلهي،
عندما أصبته برمحك الحاد، والآن سينزل هذا الشر بي هنا. إذ
يبدو لي أنني لن أفلت من يدك لقد أرسلني إله ما بالقرب منك.
لكنني سأقول لك شيئاً آخر لتعيه جيداً بقلبك، لا تقتلني وأنت
تري أنني لست أخاصاً شقيقاً لهيكتور، الذي قتل صديقك
اللطيف والشجاع".

٩٥

هكذا تحدث ابن برياموس المجيد متوسلاً لأخيلئوس بعمق،
ولكن الكلمة التي وقعت على أذنيه كانت قاسية:

"يا لك من أحمق! لا تقدم لي فدية ولا كلمة توسل.

إلى أن لقي باتروكلوس يوم مصيره، حتى ذلك الحين

١٠٠

كان يسرنى أن أبقى على حياة الطرواديين

لأخذ كثرتهم أحياءً وأبيعهم فيما وراء البحر، أما الآن فلن

يفلت أحد منهم من الموت، فكل من تضعه الآلهة في يدي

١٠٥

أمام إليون لن يفلت من الموت، كل الطرواديين بلا استثناء،

وأبناء برياموس بصفة خاصة. نعم يا صديقي! لثمت كما مات

آخر. ولم تبكي هكذا عبثاً؟ لقد مات أيضاً باتروكلوس وهو

- أفضل منك بكثير. ألا ترى من أى نوع من البشر أنا،
 ١١٠ ألا ترى أنتى طيب وقوى؟ ألم أكن من نسل والد نبيل؟ وأمى ألم
 تكن إلهة؟ ومن المؤكد أن الموت والقدر الطاغى ينتظرانى
 ويد لا أعرفها سوف تنهى حياتى، عندما تنتشب المعركة، بسهم أو
 برمح ينطلق من قوس، صباحاً أو مساءً، أو فى منتصف النهار"
- ١١٥ هكذا قال، فسقطنا على الفور ركبنا ليكاوون وذاب قلبه العزيز.
 سقط الرمح من يده وجثم رافعاً يديه فى استسلام تام. عندئذٍ
 استل أخيلئوس سيفه البتار وطعنه فى الرقبة بجوار الترقوة،
 وغاص السيف بنصله الحادين إلى الأعماق.
 ١٢٠ فتمدد على الأرض وتفجر الدم الأسود فيضاً يبلل الأرض.
 وأمسك أخيلئوس به من القدم وألقى به إلى النهر
 ليجرفه التيار ووقف مبهتاً، ويصيح بكلمات مجنحة:
 "ارقد هنا الآن مع رفاقك الأسماك، التى ستلغق الدم
 من جرحك دونما اكترات بمصيرك. فلن تضعك أمك
 على سريرك لتبكيك، ولكنه سكامندروس بدواماته الجارفة
 ١٢٥ سيقذف بك إلى أحضان البحر الواسع.
 أسماك كثيرة، وهى تسبح بين الأمواج، ستقفز تحت التيار
 الأسود لتتغذى على دهن ليكاوون الأبيض. لتهلك أنت ونوعك بأكمله
 حتى نصل إلى مدينة إليون المقدسة، أنتم تفرون أمامى وأنا
 خلفكم أعمل القتل فيكم! لن ينفعم النهر ذو الانسياب الجميل
 بدواماته الفضية مع أنكم قدمتم له قرابين التكريم،
 ١٣٠ ثيران كثيرة منذ زمن طويل، وألقيتم فى
 دواماته خيولاً حية من ذوات الحافر الواحد. مع كل
 ذلك ستهلكون وستلقون أسوأ مصير حتى تكفروا جميعاً عن
 مقتل باتروكلوس، والدمار الذى لحق بالآخيين الذين

١٣٥ قتلتموهم عند السفن المجوفة، عندما ابتعدت أنا عن القتال"

هكذا قال فاشتعل غضب إله النهر ضده، وأخذ يتدبر في

قلبه كيف يوقف أخيليوس الإلهي عن عمله الدموي، وكيف

يصد الخراب عن الطرواديين. وفي الوقت نفسه انقض ابن بيليوس -

١٤٠ ممسكاً رمحه طويل الظل - على أستيروبايوس بن بيلاجون

برغبة جامحة في قتله. إنه ابن أكسيوس النهر واسع الفيضان

من بيريبويا أكبر بنات أكيسامينوس التي تزوجها وخالطها

النهر عميق الدوامات. اندفع أخيليوس على عدوه (أستيروبايوس)

١٤٥ الذي خرج من النهر لمواجهته وصمد أمامه

ممسكاً بزوج من الرماح، ووضع كسانثوس الشجاعة في قلبه.

إذ كان الغيظ قد استبد به، لأن أخيليوس قتل من قتل من

المحاربين في مجراه ودون رحمة. وعندما اقترب كل منهما

١٥٠ من الآخر كان أخيليوس الإلهي سريع القدمين البادئ بالحديث:

"من أنت بين البشر؟ ومن أي مكان يامن تجرؤ على مواجهتي؟

ياله من تعساء الآباء، الذين يواجه أبناءهم قوتي"

فأجابه عندئذ ابن بيلاجون المجيد:

"يا عظيم الروح أي ابن بيليوس! لماذا تسأل عن سلالتي؟

١٥٥ فأنا من بايونيا الخصبة، أتيت هذه الأرض البعيدة قائداً البايونيين

نوى الرماح الطويلة. وهذا هو اليوم الحادي عشر منذ مجيئي

إلى إليون. يمتد نسبي إلى أكسيوس واسع الفيضان، أكسيوس

الذي تنساب منه أعذب المياه على وجه الأرض. فهو والد

بيلاجون المشهور برمحه وهو - كما يقول الناس - الذي

١٦٠ أنجبني، ولذا فدعنا الآن نتقاتل يا أخيليوس المجيد"

هكذا قال مهدداً، وشهر أخيليوس الإلهي رمحه المصنوع من

الدردار فوق بيليون. ولكن البطل أستيروبايوس قذف رمحه الاتنين

- دفعه واحدة، لأنه كان ذا ذراعين. برمح ضرب الدرع،
 ولكنه لم ينفذ لأن الذهب - هدية الإله - أوقفه.
 ١٦٥ وبالرمح الثانى لأمس وخدش الجزء الأمامى من ذراع أخيلئوس
 اليمنى، فانثيق الدم الأسود. ولكن الرمح مرق من فوق
 جسده وانتصب منغرساً فى الأرض، رغم تلهفه على
 اللحم البشرى. بعد ذلك رمى أخيلئوس رمحه الدردارى الطائر
 على أستئروبايوس مثلهاً لقتله.
 ١٧٠ فأخطأ الرمح الرجل، وأصاب ضفة النهر العالية، واستقر هناك
 رمحاً دردارياً يغطى نصف مساحة الضفة. عندئذ استل ابن
 بيلئوس السيف البتار من جنب فخذة وانقض على غريمه
 فى غضب جنونى. ولم يتمكن الآخر بيده الضخمة
 من سحب رمح أخيلئوس الدردارى من باطن الضفة.
 ١٧٥ ثلاث مرات جعل الرمح يهتز ملهوقاً على سحبه، وثلاث
 مرات تخلى عن المحاولات الفاشلة. وفى المرة الرابعة
 عقد العزم على ثنى رمح سليل أياكوس الدردارى حتى
 ينكسر. ولكن أخيلئوس حال بينه وبين مسعاه بأن قضى
 على حياته بالسيف.
 ١٨٠ لقد طعنه فى البطن بجوار السرة، فخرجت أحشاؤه، وغطت
 الظلمة عينيه وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة. عندئذ قفز أخيلئوس
 على صدره ونزع عنه سلاحه وصاح عاليًا مباهياً:
 "ارقد هنا! حقاً إنه لمن العسير عليك رغم أنك من
 نسل إله النهر، أن تصارع سلالة ابن كرونوس القدير.
 ١٨٥ لطالما تباهيت أنك ابن نهر غامر الفيضان، ولكننى أزع
 أن نسبى يعود إلى زيوس القدير. أبى الذى أنجبنى ملك على
 الميرميدونيين كثيرى العدد، إنه بيلئوس بن أياكوس الذى
 أنجبه زيوس. ولذا فحيث إن زيوس أقوى من كل الأنهار
 ١٩٠

- التي تنساب إلى البحر، فإن نسل زيوس أقوى من أى
ابن لأى نهر. أنظر! إنك تملك بيدك نهرًا عظيمًا، فهل
أفادك بشيء؟ فمن المحال محاربة ابن كرونوس زيوس،
إذ لا يضارعه حتى الملك أخيليوس، ولا أوكيانوس نفسه
هائل القوة عميق الانسياب
١٩٥
الذى منه تتبع كل الأنهار وكل البحار والينابيع والآبار
العميقة. ومع ذلك فهو يخشى صاعقة زيوس الجبار
والرعد المرعب عندما ينزل مدويًا من السماء".
- قال ذلك ثم سحب الرمح البرونزى من الضفة، ولكنه
ترك الرجل الميت بلا حياة يرقد على الرمال وقد بللته
المياه السوداء، وحوله التفت الإنكليس والأسماك الأخرى
تلتقط وتقطع الدهن حول كليتيه. ومضى أخيليوس فى
طريقه نحو البايونيين
٢٠٥
سادة العربات الحربية، الذين كانوا قد تشنتوا فارين
بحذاء النهر الجارف عندما شاهدوا مصرع بطلهم فى القتال
الضارى وسقوطه بيد ابن بيليوس وسيفه. وهناك
قتل ثيرسيلوخوس وميدون وأستيبيوس ومنيسوس
وفراسيوس وآينيوس وأوفيلستيس.
- وكان أخيليوس السريع سيقتل المزيد من البايونيين، لو لم
يستشظ إله النهر عميق الدوامات غضبًا ويتخذ هيئة البشر
ويصرخ صرخة مدوية خرجت من أعماق دواماته:
- "لأنك يا أخيليوس، أقوى الرجال طرًا فإنك ترتكب أخطاء
أكثر من أى شخص آخر. إذ يساعدك الآلهة دومًا بأنفسهم.
فإذا كان ابن كرونوس قد سمح لك أن تقتل كل الطرواديين
فلا أقل من أن تطردهم خارج مجراى، وترتكب فعلتك
- ٢١٥

الشيعة في الوادي. انظر لقد اكتظ مجراى الجميل بجثث
الرجال، ولم يعد بمقدورى البتة أن أصب مياهى فى البحر الناصع.
لقد اختنقت بالموتى وأنت لا تكف عن القتل دون هواده. امض الآن!
وليحدث ما يحدث. فالرعب يتملكنى يا قائد الحشود".

عندئذ أجابه أخيليوس سريع القدمين فقال:
"لك ما تطلب سكاماندروس، يا من يغذيك زيوس،
إلا أننى لن أتوقف عن قتل الطرواديين المتكبرين،
حتى أحبسهم داخل المدينة، وألقى هيكتور وجهاً لوجه
لنحسم الموقف سواء هزمنى أو هزمته".

قال هذا وانقض على الطرواديين كأنه إله. وتحدث إله النهر
عميق الدوامات إلى أبوللون قائلاً:

"عجباً! يا ابن زيوس ياسيد القوس الفضى! فأنت لم تنفذ
أمر ابن كرونوس الذى أمرك بصرامة أن تقف إلى جانب الطرواديين
وتساعدهم، حتى يأفل النجم متأخراً ويعم الظلام الأرض السوداء"
هكذا قال وقفز أخيليوس الشهير برمحه من الضفة

إلى قلب النهر. ولكن النهر اندفع نحوه بمد فيضانى واستفر
كل مجراه للهبجان، فجرف كل جثث الموتى التى سدت مجراه،
وهم قتلى أخيليوس، فقذف بها إلى البر وهو يخور مثلما
يخور الثور. واحتفظ بالأحياء فى طيات مجراه الذى صار
الانسباب فيه آمناً، وخبأهم تحت دواماته العميقة والعريضة. وفى
المقابل أهاج الموجة الثائرة فتعالت حول أخيليوس

وشرع التيار الجارف يضربه

على درعه ويدفعه إلى الخلف، فلم يعد قادراً على الوقوف
على قدميه فى وجه هذا التيار. وأمسك بيديه شجرة
رددار ضخمة البنيان وعالية الارتفاع، اجتثها من

- ٢٤٥ جذورها فشقت كل الضفة وسدت مجرى النهر الجميل
 بفروعها المغصنة، وسدت النهر نفسه حيث إنها
 وقعت تمامًا في مياهه. وقفز أخيليوس من عمق
 الدوامة وأسرع على قدميه إلى الوادى مذعورًا، ولكن
 النهر القوى لم يتوقف بل ثار ضده بموجته ذات
 الذؤابة السوداء حتى يوقف أخيليوس الإلهى عن
 أفعاله، ولكي يصد الخراب عن الطرواديين.
- ٢٥٠ وركض ابن بيليوس مثل رمية رمح تنقض انقضاض
 النسر الأسود، ذلك الطير الجارح الأقوى والأسرع
 بين جوارح الطير. هكذا مثله انقض في فراره ورنَّ
 البرونز على صدره رنينًا مرعبًا. فر أمام النهر
 خائفًا، والنهر من ورائه يفيض ويطارده ويزأر زئيرًا مدويًا.
- ٢٥٥ كما يحدث عندما يقود رجل انسياب الماء من ينبوع معتم،
 فينساب الماء جاريًا بين مزروعاته وحدائقه، المعول
 فى يديه وبه يزيل الحواجز من المجرى، ويجرف التيار
 فى سريانه كل الأحجار الصغيرة التى تعترضه،
- ٢٦٠ وينزلق الماء سريعًا محدثًا دممة عبر منحدر فيسبق الرجل
 الذى يمهد له الطريق. هكذا كان فيضان النهر يسابق أخيليوس رغم
 سرعة قدميه، لأن الآلهة أقوى من البشر. وكلما حاول أخيليوس
 الإلهى سريع القدمين أن يقف على قدميه فى وجه الفيضان
 ليرى ما إذا كان كل الخالدين ساكنى السماء الواسعة قد
 تجمعوا ليسوقوه فى اندحاره، على أكتافه ضربه فيضان النهر
 الذى تغذيه السماء، وهو يتمنى لو استطاع
 أن يقفز إلى أعلى بقدميه بعد أن أنهكت روحه. وواصل
 النهر إرهاب ركبته بمزيد من التيار
- ٢٧٠ الجارف، فمن تحت قدميه كان يسحب الأرض. عندئذ

أطلق ابن بيليوس صرخة مريرة وهو ينظر إلى السماء العريضة:

"أى زيوس الأب! كيف لا يتعهدنى فى هذا

المأزق المؤسف أحد من الآلهة وينقذنى من النهر؟

٢٧٥

وليحدث لى ما يحدث فيما بعد.

إننى لا ألوم أحدًا من الآلهة كثيرًا، بل أمى العزيزة فقط، فهى

التي خدعتنى بكلمات كاذبة، وقالت إننى تحت سور الطرواديين

المدججين بالسلاح سأهلك بقذائف أبوللون السريعة.

ليت هيكتور أفضل الرجال هنا قد قتلنى، عندئذ

٢٨٠

لكان القاتل رجلاً شجاعاً وكان المقتول أيضاً رجلاً شجاعاً.

أما الآن فقد قدر لى أن أموت ميتة بائسة، فيغمرنى

نهر قوى، مثل ابن مربى الخنازير الذى جرفه التيار

عندما حاول أن يعبر النهر ذات شتاء".

هكذا قال وعلى الفور اقترب بوسيدون وأثينة ووقفا

٢٨٥

بجواره، وقد اتخذوا هيئة البشر. أمسكا يده بأيديهما

وطمأناه بالكلمات. وكان بوسيدون مزلزل الأرض البادىء بالحديث:

"يا ابن بيليوس! لا ترتعد هكذا أكثر من اللازم، ولا تخف

بعد الآن، فنحن الاثنين من بين الآلهة جننا لنجدتك

٢٩٠

وبموافقة من زيوس، أنا (بوسيدون) وباللاس أثينة!

ليس مقدرًا عليك أن يغمرك نهر، فسرعان ما سيتهادن،

وستعرف ذلك بنفسك. ولكننا ننصحك نصيحة حكيمة، إذا كان لك

أن تسمح نصحنًا، لا تغل يدك عن المعركة الفاصلة حتى تحبس

٢٩٥

الحشد الطروادى وكل من يهرب منهم داخل أسوار

إليوس الشهيرة. أما بالنسبة لك أنت نفسك، فيمجرد

أن تقتل هيكتور عد إلى السفن. انظر لقد منحناك أن تكسب المجد"

وعندما أنهى هكذا الإلهان حديثهما غادرا المكان

- إلى بقية الآلهة الخالدين. أما هو فقد اتجه إلى الوادي
لأن حديث الآلهة له قد ملأه تمامًا بقوة العزم.
٣٠٠ وكان الوادي عن آخره قد ملئ بفيضان المياه،
وكانت تسبح فيه الكثير من قطع السلاح والجثث،
جثث الشبان الذين قتلوا في المعركة، ولكنه قفز
عاليًا مندفعًا إلى الأمام ليصد الفيضان ولم يستطع
النهر غزير المد أن يوقفه، لأن أثينة وضعت فيه قوة
٣٠٥ عظيمة. وكان على سكاماندروس أن يهدىء من جنونه
ولكنه إزداد غضبًا على ابن بيليوس، وازداد مد فيضانه
ارتفاعًا إلى الذروة وبصيحة مدوية نادى سيموئيس:
"أخي العزيز، دعنا معًا نوقف قوة هذا الرجل، الأمر
يحتاج إلى قوتنا نحن الاثنين، فهو على وشك أن
يدمر مدينة الملك برياموس العظيمة، فالطرواديون لن
٣١٠ يصمدوا أمامه في المعركة.
نعم فلتحمل لي أنت المدد سريعًا، املاً مجاريك بالمياه
من ينباعك واستنفر كل تيارائك، حرك موجة عالية،
ولتستثر حشدًا قويًا من جذوع الأشجار والحجارة،
عسى أن نتمكن من كبح جماح هذا الرجل الوحشي،
٣١٥ الذى يسود الآن ويزمغ تحدى حتى الآلهة،
وأحسب أن قوته لن تفيده بشيء، لا ولا وسامته، ولا
حتى سلاحه العتيد الذى فيما أحسب سيقع فى عمق الوحل.
وهو نفسه سأؤذنه برمالي وأكدسُ
فوقه أكداً من الحصى لا حدود لها، ولن يعرف
٣٢٠ الآخيون أين يجدون عظامه، حيث سأدفنه فى عمق الأعماق.
هناك سيكون قبره المقرر له. ولن تكون هناك حاجة
لبناء كومة عندما يرغب الآخيون فى دفنه".

هكذا قال واندفع ثائراً على أخيلئوس عاصفاً بأمواجه

٣٢٥

إلى أعلى وهو يرغى بالزبد والدم

وجثث الموتى. وارتفع مد الفيضان الأسود للنهر الذى

تغذيه السماء، حتى كاد يغمر ابن بيلئوس. فصرخت

هيرا عاليًا وقد تملكها الخوف على أخيلئوس، خشية

أن يكتسحه النهر العظيم بدواماته العميقة. وخاطبت على

وجه السرعة ابنها العزيز هيفايستوس قائلة:

٣٣٠

"انهض يا أعرج القدم! انهض يابنى!

لقد حسبنا أن كسانثوس الفياض هو نذك فى المعركة.

مد لنا يد العون على وجه السرعة، وأشعل لهيبًا لا

ينطفئ، وسأسرع أنا وأثير من البحر عاصفة وحشية للرياح

الغربية (زيفيروس) ورياح الجنوب (نوتوس) اللامع لتأتى

٣٣٥

على موتى الطرواديين وسلاحهم، فهى عاصفة تجلب معها نارًا

مدمرة. واعمل أنت على ضفتى كسانثوس، فأحرق أشجاره، وأشعل

النار فى النهر نفسه، ولا تدعه يجعلك تتراجع سواء بحلو

الكلام أو بالتهديدات. ولا تتوقف عن جنونك إلا عندما

٣٤٠

أناديك أنا بصوت عالٍ عندئذٍ لتوقف نيرانك التى لا تكل"

هكذا قالت وأعد هيفايستوس نارًا عجيبة الاندلاع.

فى البداية أشعلت النيران فى الوادى فأحرقت الموتى

كثيرى العدد، الذين اكتظ بهم الوادى بعد أن

٣٤٥

قتلهم أخيلئوس. فجف الوادى كله تمامًا وغيض الماء الناصع.

وكما يحدث فى موسم الحصاد عندما تجفف الرياح الشمالية (بورياس)

مرة أخرى حديقة مروية بمياه عذبة فيتملك السرور زارعها.

هكذا جف الوادى كله وتم حرق جثث

الموتى تمامًا. وعندئذٍ تحول (هيفايستوس) بلهبه المشتعل

٣٥٠ ضد النهر، فأحرقت أشجار الدردار والصفصاف والطرفاء،
 واحترقت شجيرات اللوتس والسمار والسعد التي تنمو بوفرة
 على ضفاف النهر ذى المجرى الجميل. أما أسماك
 الإنكليس والأسماك الأخرى فقد اشتد عذابها فى الدوامات،
 وراحت تغوص هنا وهناك فى المجرى الجميل
 وقد ألمها هبوب عاصفة هيفايستوس كثير الدهاء.
 واحترق النهر القوى نفسه وتحدث مخاطباً الإله:

٣٥٥ "أى هيفايستوس! لا يستطيع أحد من الآلهة أن يتحداك،
 وبدورى لن أحاربك، وقد اشتعلت لهباً كما هو
 حالك الآن. فلتتوقف أنت عن الصراع، ودع أخيلئوس
 الإلهى يطرد على الفور الطرواديين من مدينتهم،
 ما شأنى أنا بالصراع والإسهام فيه بالعون؟"

٣٦٠ هكذا تحدث وهو يحترق باللهب، ويفور مجراه الجميل
 بالغليان. ومثلما يحدث فى رجل يغلى من الداخل،
 حين تسلط عليه شعلة وحشية، بينما يذيب شحم خنزير سمين
 فيغلى فى كل جزء منه، وتوضع تحته حزم الحطب الجاف،
 هكذا كان النهر يحترق بمجراه الجميل فى النار،
 وكانت مياهه تغلى، وعزم على ألا تنساب مياهه مرة أخرى،
 بل اضطر للتوقف. لأن هبوب عاصفة هيفايستوس حكيم القلب
 أنهكته. عندئذ خاطب هيرا بكلمات مجنحة وفى تضرع ملهوف:

٣٦٥ "أى هيرا لماذا يهاجم ابنك مجراى ليرهقه دون غيره؟
 فأنا أقل من أخطأ بين أولئك الذين ساعدوا الطرواديين،
 وسأتوقف إذا كان هذا ما تأمرين به،
 لكن دعيه هو أيضاً يتوقف. وأكثر من ذلك سألزم نفسى
 بهذا القسم: لن أدافع عن الطرواديين يوم الدمار، حتى

عندما تحترق طروادة عن آخرها بالنار المهلكة التي يشعلها
أبناء الآخيين محبى القتال". ٣٧٥

وعندما سمعت هيرا الإلهة ذات الذراع الأبيض هذا على
الفور تحدثت إلى ابنها العزيز هيفايستوس:

"هيفايستوس ابنى المجيد! توقف، ليس من اللائق أن تضرب
هكذا إلهاً خالداً من أجل البشر الفانين"

وعندما تم كبح جماح شعلات هيفايستوس المندلعة، وعاد من
جديد فيضان المياه لمجرى النهر الجميل حيث تم إخماد جنون
كسانثوس، توقف الاثنان عن التصارع، لأن هيرا أوقتهما رغم غضبها.
ولكن الصراع الحاد والمرير نشب بين بقية الآلهة، واحتدمت
الانفعالات فيما بينهم فى اتجاهات شتى. ٣٨٥

اصطدموا مع بعضهم البعض فى جلبه مدوية، ارتجت
لها الأرض الفسيحة ورددت أصداها، وتجاوبت السماء
العريضة بطنين مدوى كأنها بوق. فسمع زيوس
الجلبه حيث كان يجلس فوق الأوليمبوس، فانشرح
صدره داخله وأطلق ضحكة السرور الرنانة، لأنه
يرى الآلهة مشتبكة فى صراع. ٣٩٠

عندئذٍ لم يستمروا طويلاً متباعدين، وبدأ أريس محطم
الدروع الاشتباك، فبادر بالانقضاض على أثينة وقد امتشق رمحاً
برونزياً فى يده ووجه لها لوماً عنيفاً:

"لماذا ياذبابه الكلاب تجعلين الآلهة مرة أخرى تصطدم
مع بعضها البعض فى صراع وحشى مثل جرأتك،

وكما تدفعك روحك المتعالية؟ ٣٩٥

ألا تذكرين عندما دفعت ديوميديس بن تيديوس ليجرحنى،
وأنت بنفسك على مرأى من الجميع أمسكت له الرمح

وجعلته يصوبه نحوى، فمزق لحمى الطيب؟ ولذا فإنك
الآن فيما أحسب ستدفعين الثمن كاملاً على كل ما ارتكبت".

٤٠٠

قال هذا وضرب على درعها ذى الحلى المعدنية، الدرع أيجيس،
الذى لا تستطيع حتى ساعة زيوس أن تخترقه، ضربه آريس الدموى
برمحه الطويل. ارتدت الإلهة للخلف ثم أمسكت بيدها
القوية حجراً أسود كان على أرض الوادى، خشناً

٤٠٥

وضخماً، من تلك الأحجار التى كان القدامى يضعونها
حدوداً للحقول. بهذا الحجر ضربت آريس الوحشى على رقبته
فحلّت أوصاله. فتمدد على الأرض مغطياً سبعة أذرع
وتمرغت خصلات شعره فى التراب، وقعقت أسلحته
من حوله. وأطلقت باللاس أثينة ضحكة عالية ووقفت
فوقه متباهية بكلمات مجنحة:

٤١٠

"أيها الأحمق! ليس لك بعد أن تظن نفسك أقوى منى،
حتى تجرؤ على مقارنة قوتك بقوتى على هذا النحو.
ستنفذ بالكامل لعنات أمك، التى فى غضبها سعت إلى أن تجلب
الشر عليك، لأنك هجرت الأخيين وساعدت الطرواديين المتغطرسين".

٤١٥

وعندما قالت ذلك حولت عينيها البراقتين عنه. عندئذ
أخذته من يده ابنة زيوس أفروديتى، وحاولت أن تبتعد به،
بينما كان يتأوه بمرارة وبالكاد استطاع أن يستعيد
وعيه. وعندما رأتها هيرا الإلهة ذات الذراع الأبيض
على الفور خاطبت أثينة بكلمات مجنحة:

٤٢٠

"عجباً يا ابنة زيوس لابس الدرع أيجيس، أى أتريتونى!
لا تكلين أبداً ولكن ها هى ذبابة الكلاب تقود آريس مهلك
البشر بعيداً عن غمار القتال المحموم! اذهبي وراءها"

قالت هذا فانطلقت أثينة تطاردهما والسرور يغمر قلبها

- واندفعت نحو أفروديتي وضربتها على صدرها بيدها
 ٤٢٥ القوية، فارتخت ركبناها وذاب قلبها
 حيث كانت واقفة. وسقط الاثنان على الأرض الكريمة
 وتباهت أثينة عليهما بكلمات مجنحة:
- "في مثل هذا المأزق ليقع كل من يساعدون الطرواديين
 ٤٣٠ ويحاربون ضد الأرجيين المدججين بالسلاح.
 وكل من تجرأ وتجاسر مثل أفروديتي، التي جاءت لتساعد
 آريس متحدية قوتي. ولقد مر وقت طويل منذ توقفنا
 عن القتال، وقد حاصرنا قلعة إليوس متينة البنيان".
- هكذا تحدثت فابتسمت هيرا الإلهة ذات الذراع الأبيض،
 ٤٣٥ ولكن الملك بوسيدون مزلزل الأرض تحدث مخاطبًا أبوللون:
 "أى فويبوس لماذا نظل بعيدين نحن الاثنان؟ فليس من
 اللائق أن نظل هكذا وقد بدأ الآخرون. نعم وسيكون
 أكثر خزيًا، إذا عدنا دون قتال إلى الأوليمبوس ومقر
 زيوس ذى العتبات البرونزية. ابدأ فأنت الأصغر، فليس
 ٤٤٠ هذا مما يتناسب معي، وقد ولدت قبلك وأعرف أكثر منك
 أيها الأحمق! يالك من قلب بلا حس! ألا تذكر كل المتاعب
 التي تحملناها نحن الاثنان دون الآلهة في إليوس، عندما جئنا
 بأمر من زيوس لنكون في خدمة الملك لاؤميدون طيلة
 ٤٤٥ عام نظير أجر محدد. كان رئيسنا في العمل، وأصدر إلينا أوامره.
 حقًا لقد بنيت للطرواديين حول مدينتهم سورًا عريضًا
 وجميلًا للغاية، حتى لا يمكن أن تقتحم هذه المدينة عنوة.
 وأنت يا فويبوس رعيت قطيعهم الأملس وبطيء الحركة
 ٤٥٠ عبر أحراش جبل إيذا كثيف الغابات، كثير المنحنيات.
 ولكن في النهاية عندما أتت المواسم السارة بختام فترة

- عملنا المأجور، عندئذ خدعنا لأؤميدون الظالم
نحن الاثنيين، ولم يعطنا أجرنا، وطردها بكثير من التهديدات (*)
لقد هدد بأن يضعنا في الأغلال وبأن يصفد أيدينا وأقدامنا،
ويحملنا إلى جزيرة بعيدة ويبيعنا عبيداً.
٤٥٥
كان وكأنه على وشك أن يقطع أذننا نحن الاثنيين
بالبرونز. ولقد عدنا من عنده بقلوب مفعمة بالأسى
والهوان، لأنه وعدنا بالأجر ولم يوف بوعد.
وأنت الآن تسدى لشعبه الجميل، ولا ترجو مثلنا
٤٦٠ أن يهلك الطرواديين تماماً مع صغارهم ونسائهم المحصنات"
حينئذ رد عليه الملك أبوللون بعيد القذائف:
"يامزلزل الأرض، قد تعنتى بلا عقل راجح إذا حاربتك
من أجل البشر الفانين، تلك المخلوقات الجديرة بالشفقة
لأنهم كأوراق الشجر. فهم الآن مفعمون بجذوة الحياة
ويأكلون من ثمار الأرض، وبعد حين يتلاشون ويهلكون.
٤٦٥ نعم دعنا بسرعة نتوقف عن الصراع، ودعهم يتقاتلون هم بأنفسهم."
قال هذا واستدار للخلف، لأنه كان يخجل
من أن يتعامل بالضربات مع أخ لأبيه. ولكن
أخته أرتيميس إلهة الصيد ملكة الوحوش والغابات
البرية هاجمته بكلمات مريرة:
٤٧٠ "هكذا هربت يا بعيد القذائف، واستسلمت لبوسيدون تماماً،
وسلمته النصر والمجد بلا مقابل! يالك من أحمق!
لماذا إذن تحمل قوساً لا قيمة له مثل قبض الريح؟
لا تدعنى بعد الآن أسمعك تتباهى كما كنت تفعل دائماً
٤٧٥ فى قاعات والدنا وبين الآلهة الخالدين وتقول

(*) يشير هوراثيوس إلى هذه الأسطورة (Odes III 322) وكذا فرجيليوس (Iliad VII 452). (المحرر)

إنك تتوق إلى معركة مفتوحة مع بوسيدون".

هكذا قالت، ولكن أبوللون بعيد القذائف لم يرد عليها،
بيد أن زوجة زيوس الجليلة استشاطت غضباً ووبخت
ملكة القوس بكلمات التأنيب العنيف:

٤٨٠

"كيف أيتها الكلبة تفكرين بلا حياء الآن في الوقوف
أمامي؟ حقاً إنه من العسير عليك أن تصارعيني في
القوة، مع أنك تملكين قوساً حيث جعلك زيوس أسداً
بين النساء، ومنحك القدرة على أن تقتلى من تشائين منهن.

٤٨٥

فالأكثر أمناً لك أن تقتلى الوحوش
والغزلان البرية بين التلال، لا أن تحاربي من هم أقوى
منك. وإذا تعلمت شيئاً عن الحرب فستعرفين حق
المعرفة كيف أنى أقوى منك بكثير، بحيث لا يحق لك
أن تقيسى قوتك بقوتي".

٤٩٠

ومن ثم أمسكت بيدها اليسرى كلتا يدي الأخرى من الرسغ،
وباليمينى نرعت القوس والسهام من فوق كتفها. وبهذه
الأسلحة نفسها ضربتها حول أذنيها، وضحكت وهي
تقلب رأسها هذه الجهة وتلك، وظلت السهام
السريعة تتساقط من الجعبة. وهربت الإلهة باكية من
أمامها، وكأنها حمامة تفر طائفة أمام صقر إلى صخرة
مجوفة أو صدع فيه، فلم يكن مقدراً لها أن تقع فريسة.
لقد هربت الإلهة باكية وخلفت وراءها القوس والسهام
حيث هي في مكانها.

٤٩٥

ولكن تحدث الرسول أرجيفونتيس^(*) إلى ليتو قائلاً:

(*) هذا لقب من ألقاب هرميس وهو مركب من كلمتين ويدل على معنى الظهور السريع ويمكن ترجمته "سريع
الحضور". (المحرر)

"أى ليتو لست أنا بأى حال الذى يحاربك، فهو أمر عسير
أن يتبادل أحد الضربات مع رفيقة جامع السحب زيوس.
أى نعم، ولك بقلب مفتوح أن تتباهى بين الآلهة الخالدين
أنك بقوتك قد تغلبت على".

٥٠٠

هكذا تحدث، وجمعت ليتو القوس المعقوف والسهام، حيث
كانت مبعثرة هنا وهناك فى خضم الغبار العاصف.

وعادت بعد أن أخذت قوس ابنتها وسهامها. ولكن العذراء جاءت
إلى الأوليمبوس حيث مقر زيوس ذو العتبات البرونزية

٥٠٥

وجلست تبكى على ركبتى والدها، ورداؤها الإلهى (الأمبروسى)
يهتز من حولها. فجذبها أبوها ابن كرونوس إليه وبابتسامة حلوة سألها:

"بنيتى الحبيبة من من سكان السماء أساء إليك،

٥١٠

كما لو كنت قد ارتكبت عملاً شريراً أمام الجميع؟"

عندئذ ردت عليه الإلهة ذات الإكليل الجميل،

والتي تصيح بصوتها عاليًا عند الصيد، فقالت:

"أبى، إنها زوجتك هيرا ذات الذراع الأبيض، التي

أساءت معاملتى، وبسببها نشب الصراع والعراك بين الخالدين".

وفى هذا الشأن تحدث كل منهما للآخر، ولكن فويبوس أبوللون

٥١٥

دخل إليوس المقدسة. حيث انتابه القلق حول سور المدينة

ذات البنيان المتين، خشية أن يتخطى الدنائيون ماهو مقدر، فيحطمون

السور فى ذلك اليوم. أما بقية الآلهة الذين يذهبون

دوماً إلى الأوليمبوس، فإن بعضهم جاء فى حالة

غضب، والبعض الآخر فى نشوة كبيرة، وجلسوا جميعاً

٥٢٠

إلى جوار الأب سيد السحب السوداء.

ولكن أخيليوس كان لايزال يواصل قتل الطرواديين

- أنفسهم، وخيولهم ذات الحافر الواحد. كما يرتفع
الدخان إلى عنان السماء العريضة من مدينة
تحترق، يسوقه غضب الآلهة فتسبب الألم للجميع،
وتطلق المتاعب على الكثيرين. هكذا كان
أخيليوس يسبب الألم والأحزان للطرواديين.
- ٥٢٥
وقف برياموس الأشيب فوق السور الذي بناه الآلهة،
فرأى أخيليوس العملاق يسوق أمامه الطرواديين في
اندحار وفرار، حيث لا مدد. وبصرخة مريرة أسرع
من فوق السور ليأمر الحراس الأقوياء على الأبواب
أن يصمدوا أمام السور قائلاً:
- ٥٣٠
"افتحوا الأبواب على مصاريعها بأيديكم، حتى يأتي
قومنا المنسحبين إلى المدينة، ها هو أخيليوس قريب
يطاردهم. توأ سيقع أمر جمل فيما أحسب. لكن ما أن
يتجمعوا داخل السور ويتنفسوا الصعداء،
٥٣٥
غلقوا الأبواب تماماً، فأخشى ما أخشاه أن يفقر هذا الرجل
المدمر إلى داخل السور"
- هكذا قال، ففتحوا الأبواب وسحبوا المزاليق إلى الخلف. وأتاحت
الأبواب المفتوحة على مصاريعها الخلاص للفارين. ولكن أبوللون قفز
إلى الأمام ليوأجه أخيليوس، ولكى يصد الدمار عن
الطرواديين. وفي تلك الأثناء
- ٥٤٠
كانوا يفرون إلى داخل المدينة وسورها الشاهق وقد
احترقوا عطشاً وغمرهم الغبار المثار من الوادى.
وكان أخيليوس لا يزال يضغط عليهم بسيفه، وقلبه
مفعم بغضب جنونى وبرغبة جامحة لكسب المجد.
- عندئذ كان أبناء الآخيين سيستولون على طروادة ذات

البوابات العالية، لو لم يستتر فويوس أبوللون أجينور
 ٥٤٥ الإلهى بن أنتينور المحارب الجبار الذى لا نظير له.
 وضع الإله فى قلبه الشجاعة ووقف إلى جانبه، لكى
 يحميه من يرانث^(*) الموت الثقيلة. استند إلى شجرة بلوط
 ولفه ضباب كثيف. وعندما رمق أجينور أخيليوس
 محطم المدن أخذ قلبه يقلب بعض الأفكار القاتمة،
 ٥٥٠ وتحير كثيرا، وخاطب نفسه القوية قائلاً:

"الويل لى! فإذا فررت أمام أخيليوس القوى إلى حيث
 سيق الآخرون فى اندحارهم، فإنه سيدركنى ويذبحنى فى
 ٥٥٥ جنبى. لكن ماذا لو تركت هؤلاء يسوقهم أخيليوس
 بن بيليوس، وبأقدامى هربت خارج السور إلى وادى
 إليوس، حتى أصل إلى كهوف ومنحنيات إيذا واختبأت
 فى الأحراش؟ عندئذ ربما بعد أن أستحم فى النهر
 وأزيل عن جسدى العرق أعود إلى إليوس.

٦٠ - ولكن لماذا يخاطب قلبى نفسه هكذا؟
 لا تدعه يرمقنى، وأنا أهرب من المدينة إلى الوادى،
 فينطلق ورائى ويدركنى بأقدامه السريعة.
 عندئذ سيكون من غير الممكن تقادى الموت والأقدار،
 ٥٦٥ لأنه الأقوى كثيراً فوق كل البشر.

وماذا لو خرجت لملاقاته وجهاً لوجه أمام المدينة؟ فإن
 لحمه هو أيضاً، فيما أحسب، يمكن اختراقه بحد السيف
 البرونزى، وله هو أيضاً حياة واحدة، والناس يقولون إنه من
 ٥٧٠ البشر القانين، بيد أن زيوس بن كرونوس يمنحه المجد".

(*) ترد هذه الكلمة (cheiras) فى بيت ٥٤٨ بهذا المعنى فى طبعات كثيرة ومعناها "الأيدي". أما طبعة
 أو كسفرود ففضل (keras) بمعنى "آلام" أو "أقدار" وسبب ذلك - فيما نرى - أن تشخيص الموت على أن
 له يدين يقبض بما على الأرواح أمر نادر فى أشعار هومروس.

قال هذا واستجمع قواه فى انتظار قدوم أخيلئوس وقلبه تواق
للنزال والقتال، كالنمرة تخرج من الأحراش الكثيفة لتواجه
الصيد. لا يخاف قلبها ولا تهرب، حتى عندما تسمع نباح
الكلاب. فعلى الرغم من أن الرجل أمامها ويضربها
بطعنة أو برمية، بل وحتى عندما يخترقها الرمح،
لا تتوقف عن جنونها حتى تتغلب عليه أو تموت.

هكذا رفض الإلهى أجينور بن أنتينور النبيل
٥٧٥ أن يهرب قبل أن يجرب حظه مع أخيلئوس.
وأمسك درعه متين الاتزان من كل جانب فى مواجهته،
وصوب رمحه نحو أخيلئوس صائحاً صيحة مدوية:

"حقاً فإنك فيما أحسب يا أخيلئوس المجيد تأمل اليوم
٥٨٥ من كل قلبك أن تدمر مدينة الطرواديين الأكابر.
يالك من أحمق! فالكثير من الفظائع سترتكب بسببها.
فنحن بالداخل محاربون كثيرون وأقوياء، وعلينا من
أجل آبائنا الأعماء وزوجاتنا وأطفالنا أن نحمل
إليوس، وسوف تلاقى مصيرك المحتوم هنا رغم
٥٩٠ أنك محارب رهيب وباسل".

هكذا قال وأطلق بيده الثقيلة الرمح الحاد، فلم يخطئه وأصابه
فى قصبة الساق تحت الركبة. فأحدث درع الساق
المصنوع حديثاً من قصدير مسبوك رنيناً مدوياً فوق
ساقه. ولكن البرونز ارتد إلى الخلف ولم يخترق إلى
الداخل، لأن هدية الإله أوقفته.

٥٩٥ وبدوره هجم ابن بيلئوس على أجينور الإلهى. بيد أن
أبوللون لم يسمح له أن يكسب المجد، بل اختطف
أجينور بعيداً وخبأه فى ضباب كثيف. أبعدته عن

- الحرب، وأرسله إلى حيث يشق طريقه في سلام.
 ٦٠٠ وبالحيلة احتفظ أبوللون بابن بيليوس بعيدًا عن الحشد.
 إذ اتخذ الإله بعيد القذائف هيئة أجينور في كل شيء، ووقف
 موقفه أمام أقدامه. فاندفع أخيليوس وراءه مطارداً له بسرعة.
 وبينما كان يلاحقه عبر الوادي المزروع قمحاً، استدار به
 ناحية النهر سكاماندرس عميق الدوامات ذلك أن
 أبوللون لم يسبقه إلا بأقل القليل، إذ كان يخادعه ويظهر
 ٦٠٥ له أنه على وشك أن يدركه.
 وفي تلك الأثناء كان الطرواديون الآخرون الذين
 كانوا يجرون فراراً واندحاراً يتزاحمون بحماس
 صوب المدينة. وامتألت المدينة بحشودهم،
 ولم يجرؤ أحدهم أن ينتظر الآخر خارج المدينة
 وسورها، ليعرف من نجا من الموت، ومن
 ٦١٠ قتل في المعركة. ولكنهم بسرعة ولهفة
 ٦١١ تدفقوا إلى داخل المدينة، بقدر ما أسعفت كل منهم قدماه وركبته.

الكتاب الثاني والعشرون



ترجمة عادل النحاس

وهكذا فإن هؤلاء الفارين إلى داخل مدينتهم كالظباء
الصغيرة كانوا يجفون عرقهم، فشرّبوا وأطفأوا نار الظمأ متكئين
على أسلحتهم المزخرفة، بينما كان الآخيون، من جهة أخرى،
يتدافعون سراعاً صوب الأسوار، حاملين دروعهم الضخمة على
أكتافهم. أما هيكتور فقد كبله قدره المميت وأبقاه في مكانه
٥ أمام مدينة إليوس، بالقرب من بوابة سكاياي.

عندئذ يوجه الإله أبوللون فوبيوس الوضاء حديثه لابن
بيليوس، قائلاً:

"يا ابن بيليوس، لماذا تلاحقني بقدميك السريعتين،
أذلك الفاني يطارد إلهًا خالداً لا يموت؟

١٠ ألم تدرك بعد أنني إله! ولكنك لا تتوقف عن الغضب.
إنك لا تعبأ قط بمعاناة الطرواديين الذين طاردتهم وهم يفرون
أمامك، وقد حُشروا داخل المدينة؛ أما أنت فقد ملت جانباً إلى
هنا، ولن تقتلني بالتأكيد، فلست ممن يخضعون لقدر الموت"
فأجابه أخيليوس سريع القدمين وقد اشتد غضبه، قائلاً:

١٥ "لقد خدعتني يا رامى السهام عن بعد، وأكثر الآلهة طراً
قدرة على التدمير. لقد استدراجتني إلى هنا بعيداً عن الأسوار،
وإلا كان الكثيرون لا يزالون ينهشون الأرض بأسنانهم، أو يحاولون
الوصول إلى مدينة إليوس. اليوم سلبتني مجداً عظيماً وأنقذتهم
بسهولة تامة، فأنت لا تخشى أى انتقام مستقبلاً،

٢٠ بينما كنت أنا الذى سينتقم منهم بكل تأكيد، إذا ما تملكيت القوة"
قال ذلك، وقد تملكه إحساس بزهو القوة، فتوجه صوب
المدينة، مندفعاً كالجواد الذى يجر عربة وفاز بجائزة السباق،
ويركض مسرعاً عبر الوادى فى يسر وسهولة.

بمثل تلك السرعة حرك أخيليوس قدميه وركبتيه.

٢٥

وكان الشيخ الأشيب برياموس هو أول من رآه بعينه

منطلقا عبر الوادي، مارقا كالنجم

البازغ في موسم الحصاد^(١)، تلمع أشعته البراقة،

بين العديد من النجوم في ظلام الليل الحالك،

يطلقون عليه "كلب أوريون".

٣٠

وهو الأكثر بريقا في السماء، ولكنه نذير شؤم،

فهو يحمل الكثير من الآلام لأولئك اليوساء الفانيين.

هكذا لمع بريق البرونز على صدر أخيليوس وهو يجرى،

وعندئذ انتاب الشيخ الأشيب نوبة بكاء شديد، وأخذ يرفع يديه عاليا

ويهوى بها على رأسه، منتحبا بشدة، ثم صاح

٣٥

متوسلا إلى ابنه الحبيب، الذي كان رابضا أمام الأسوار،

راغبًا بلهفة في منزلة أخيليوس، فتحدث الشيخ الأشيب

على نحو يثير الإشفاق ملوحا بيديه لابنه، قائلا:

"أيها الابن الحبيب، هيكتور، لا تواجه ذلك الرجل بمفردك،

من دون الآخرين، كيلا تلقى مصيرك المحتوم

٤٠

مقتولاً على يد ابن بيليوس، فهو الأكثر قوة،

والأشد بأسا. ليته لم يكن محبوبا على هذا النحو لدى الآلهة،

مثلما الحال بالنسبة لي! فعندئذ سيكون جسده الممدد على الأرض

دون دفن طعاما للكلاب وجوارح الطير.

وبذلك تزول عن قلبي تلك الآلام المبرحة،

ذلك الرجل الذي حرمني العديد من أبنائي اليواسل،

٤٥

فقد قتل البعض، وباع البعض الآخر في الجزر النائية.

فالآن لا أستطيع أن أرى ولدي، ليكاون وبوليديوروس،

(١) تمتد فترة الحصاد منذ بزوغ النجم سايروس، أي في نهاية شهر يوليو، حتى أفول اليليايس.

- بين الطرواديين المندفعين إلى داخل المدينة،
وهما من أنجبتهما لى لاوثوى، أميرة النساء.
- فإذا كانا على قيد الحياة فى معسكر جيش العدو، فسوف
أفتديهما فيما بعد بالبرونز والذهب، ولدينا منه بالداخل الكثير،
٥٠ حيث كان الشيخ المسن ألتيس، ذائع الصيت، قد قدمه هدية
زواج ابنته. أما إذا كانا قد ماتا، وهما الآن فى منازل هاديس،
فالألم لقلبي وقلب أمهما، نحن من أنجبناهما.
وسيكون حزن بقية الحشد أقصر،
- ٥٥ إذا نجوت أنت من الموت على يدى أخيلئوس،
نعم يا بنى، هيا وأسرع إلى داخل الأسوار لتتقذ الطرواديين
والطرواديات، ولكى لا تمنح ذلك المجد العظيم لابن بيلئوس،
وحتى لا تنقذ أنت نفسك حياتك الغالية، أكثر من ذلك لتشفق على،
أنا التعس، أبوك سيء الحظ، الذى لا يزال على قيد الحياة.
- ٦٠ فهذا الأب، ابن كرونوس، سيبتلئنى فى شيخوختى بمصير مؤلم،
وبمشاهدة العديد من الكوارث: أبنائى الذين يلقون مصرعهم،
وبنائى اللأئى يُسحبن سبايا للعبودية، حجرات نومنا الخاوية،
وأطفالنا الصغار الذين يسحقون على الأرض فى خضم
الصراع القاتل، زوجات أبنائى اللأئى يُسحبن بأيدى الآخيين
- ٦٥ سبايا. ثم أرائى أنا نفسى فى النهاية تجرنى تلك الكلاب المتوحشة
أمام البوابة الأمامية، عندما تنزع روحى عن جسدى بطعنة سيف
برونزى حاد أو رمية سهم، على يد أحد أولئك الكلاب الذين قُمتُ
بتربيتهم فى القصر وإطعامهم من أطايب مائدتى، الذين كانوا
٧٠ يحرسون بواباتى وسيشربون من دمي دون توقف، ثم يتمددون
أمام عتبات بوابات القصر، ويشتعل غضبهم. فالشباب الصغير
يليق به أى مصير: أن يقتل فى القرية، وأن يخترقه البرونز الحاد
وأن يرقد عارياً بلا دفن، نعم كل الأشياء تتناسب معه وتكرم مثواه.

- أما عندما تلوث الكلاب الشعر الأشيب وتعبث في اللحية البيضاء،
 ٧٥ وتحط من شأن الشيخ العجوز الذى لقي حتفه في القتال،
 فإن ذلك يجعل رثاءنا أشد إيلاماً على النفس لموت أولئك التعساء"
 قال الشيخ الأشيب ذلك، ثم جذب شعيرات رأسه
 الأبيض بيديه فاقتلعها. ولكنه لم يستطع إقناع هيكتور
 ومن ناحية أخرى، فقد أخذت أمه في النحيب، زارفة الدمع الغزير،
 ٨٠ وفكت طيات رداءها، ثم كشفت ثديها بيدها،
 وخاطبته باكية بكلمات مجنحة، وقالت:
 "ولدى هيكتور، أظهر الاحترام لثدي هذا، ولترحم شيبتي.
 فأنا لم أمنع عنك ثدي هذا لترضع ولو لمرة واحدة ليهديء روعك.
 تذكر ذلك، أيها الابن الحبيب، وقم بقتال ذلك الرجل العدوانى
 ٨٥ من داخل الأسوار، ولا تقف في مواجهته هناك، إنه قاسى القلب،
 لأنه إذا ما قضى عليك فلن أبكيك وأنت على فراشك،
 أى صغيرى الحبيب، يامن ولدت، كما لن تبكى زوجتك التى منحتك
 الكثير من هدايا الزواج، ولكن بعيدا عنا نحن الاثنتين، وبالقرب من
 سفن الأرجيين حيث ستلتهمك الكلاب حادة الأنياب."
 ٩٠ وهكذا وجه الوالدان الاثنان معا حديثهما، وهما يبكيان، إلى
 ولدهما الحبيب، مشفوعا بكثير من التوسلات. ولكنهما لم يستطيعا

(*) يقول تيرتايوس في الشذرة رقم ٥ ما يلى:

"كم هو رائع موت رجل شجاع يقف في الصفوف الأمامية للدفاع عن وطنه! هيا نحارب بكل شجاعة من أجل هذه الأرض. هيا نموت من أجل أطفالنا لا نبخل بالحياة، إليها أيها الشباب! إلى الحرب في صفوف متراصة! لا تدع أى رجل فيكم يسلم اللواء ويهرب بسبب الخوف، لا تركوا كباركم! من العار أن تسروا بأعينكم محاربا مسنا يسقط في المقدمة.

برأسه الصلعاء ولحيته البيضاء، يغطى بيده عورته التى تزف منها الدماء بعد أن شوه الأعداء جسده. ياله من منظر كريه ومنفر!

يبد أن هذا لو وقع لشاب.. فهو أمر آخر. فطالما أنه في ريعان الشباب الزاهى سيفوز بإعجاب الرجال، وتعشقه النساء إن نجا من المعركة، أما إذا سقط جريحا في الصفوف الأمامية بقت ملامحه حية لا تموت، قفقوا إذن ثابتين.. صامدين."

وقد أثار هذا التشابه جدلاً بين النقاد ولاسيما حول السؤال: من أخذ من الآخر راجع: أحمد عثمان، الأدب الإغريقي، ص ١٤٦ ومايلها. (الخر)

- إقناع قلب هيكتور بكل هذا. وظل ساكنا في مكانه حتى اقترب منه أخيلئوس بجسده الضخم. ومثلما يفعل الثعبان الجبلى عندما يتربص فى حجره بأحد الأشخاص، وقد تغذى على عشب سام وداخل جسده غضب شديد، وينظر نظرة مخيفة، ثم يأخذ فى الدوران حول الجحر. هكذا كانت لهيكتور حماسة متقدة، فلم يتراجع أبدا، بل أسند درعه اللامع على السور البارز، وعندما تحركت مشاعره خاطب نفسه بشجاعة قائلا:
- "ويحك يا نفسى، إذا ما تراجعت إلى داخل الأبواب، خلف تلك الأسوار، فسيكون بوليداماس أول من يصب على إهانات التوبيخ، إنه من كلفنى بقيادة الطرواديين داخل أسوار المدينة. فى تلك الليلة المرعبة، عندما انقض أخيلئوس الإلهى عليها، ولكننى لم أطع أوامره، بالرغم من أنها كانت أفضل. والآن فلأنى قد تسببت فى دمار شعبى بحماقاتى، ينتابنى الخزى من كل الطرواديين والطرواديات بملابسهن الطويلة، وقد ينطق شخص آخر، أكثر منى سوءا، قائلا:
- لقد تسبب هيكتور فى دمار شعبنا، لأنه وثق كثيرا فى قوته. إنهم فى مثل هذا الحديث سيخوضون، ولذلك فمن الأفضل لى أن أكون فى المواجهة، فإما أن أعود مظفرا بقتل أخيلئوس، وإما أن أموت بشرف على يديه أمام أبواب المدينة.
- حتى وإن تخليت عن ذلك الدرع المزخرف بالحلى المعدنية، أو تلك الخوذة الثقيلة، أو وضعت رمحى بجانب الأسوار، فسوف أتقدم الصفوف بنفسى لأكون دائما فى مواجهة أخيلئوس الذى لا نظير له. وأعدده أن هيلينى وكل المقتنيات النفيسة التى بحوزتها، وكل تلك المقتنيات التى حملها ألكسندروس معه فى السفن المجوفة إلى طروادة - وهو ما كان سببا فى نشوب الحرب - سيعاد كل ذلك لأبناء أتريوس ليحملوها معهم. وأكثر من ذلك

- وبعيدًا عنه أعده بأن يتفاسم مع الآخيين قسمة متساوية كل
ممتلكات المدينة وسأكرم الطرواديين، وأجعل شيوخهم يقسمون
١٢٠ أنهم لن يخفوا أى شىء، بل وأن يقتسموا معهم كل شىء.
حتى تلك الكنوز، التى تحتفظ بها المدينة الجميلة داخلها.
ولكن لماذا حدثتني نفسى الآن بكل تلك الأشياء؟
فقد أذهب أنا لدعوته بينما هو لا يرحمنى،
ولا يحترمنى، وربما يقتلنى، طالما ذهبت إليه مجردا من السلاح،
١٢٥ هكذا كأحدى النساء، بعدما تخليت عن سلاحى. ولذلك فلا وقت
الآن لحديث ودى معه بلا طائل، فهو سيكون حديثًا
من شجرة البلوط أو من الصخر، كحديث بين شاب وفتاة،
فالشاب والفتاة غالبا ما يتجاذبان أطراف الحديث الحلو فيما بينهما.
ولذلك فمن الأفضل أن نلتحم فى أسرع وقت ممكن،
١٣٠ ولنر لمن منا سيمنح سيد الأوليمبوس المجد".
- ذلك ما كان يجول بخاطره أثناء ترقبه، ولكن سرعان
ما تقدم أخيليوس قرين إنيايوس، وأصبح على مقربة من ذلك
المحارب ذى الخوذة اللامعة، رافعا حربته المرعبة،
المصنوعة من شجر الدردار فوق بيليون، على كتفه الأيمن،
ومن حوله يلمع البرونز، مثل وهج النار المندلعة
١٣٥ أو مثل أشعة الشمس الساطعة. انتابت هيكتور قشعريرة،
وعندما أحس به أمامه، لم يحتمل البقاء فى مكانه،
بل أعطى للبوابة دبره وولى مذعورا. ولكن ابن بيليوس
اندفع نحوه مسرعا، معتمدا على قدميه السريعتين.
مثل الصقر الجبلى الأسرع من كل طائر،
١٤٠ ينقض فى سهولة ويسر على حمامة مذعورة. فرت أمامه،
فاندفع الآخر خلفها، مطلقا صرخة مدوية، حتى أصبح على
مقربة منها، مدفوعا برغبة شديدة فى الإمساك بها.

- هكذا انطلق أخيلوس باندفاع جنونى. وهكذا فر هيكتور مذعورا
تحت أسوار الطرواديين وقد أطلق العنان لركبتيه السريعتين.
- ١٤٥ اندفعا مروراً ببرج المراقبة وشجرة التين التى تعصف
بها الرياح، وابتعدا عن السور على طريق العربات
حتى بلغوا الينابيع، بديعة الانسياب حيث النبعان
اللذان يغذيان سكماندروس، ذا الدوامات:
أما الأول فينساب بمياهه الدافئة، وعلى جانبيه
١٥٠ يتصاعد دخان كما لو كان من نار موقدة؛
وأما الثانى فينساب بمياهه الباردة، كالبرد فى قيظ الحر،
أو كالثلج المتجمد، أو كقطع الثلج المتبلور فى الماء.
وهناك، أمام هذه الينابيع، توجد أحواض حجرية واسعة للغسيل،
حيث اعتادت فيما قبل زوجات الطرواديين،
وكذلك بناتهم الجميلات غسل الثياب زاهية الألوان.
- ١٥٥ وكان ذلك يحدث فى وقت السلم، قبل أن يصل أبناء الآخيين.
فى هذا المكان نفسه، مر كلاهما مسرعين، أحدهما يفر والآخر يكر
ملاحقاً له. فى المقدمة، يفر رجل عظيم الشأن، يلاحقه مسرعا
رجل آخر أقوى منه بكثير. ولم يكن سباقهما من أجل أضحية
أو جلد ثور، تلك الجوائز التى تقدم لأسرع الرجال فى سباقات
١٦٠ الجرى. ولكنهما كانا يتسابقان من أجل حياة هيكتور، مروض
الخيول. ومثلما تفعل الخيول المنتصرة، ذات الحافر الواحد غير
المنشطر، إذ تركض مسرعة وتدور حول العلامات، حيث تُقدّم
الجائزة الكبرى: وهى إما مرجل ثلاثى الأرجل، أو امرأة؛ تكريماً
لموت أحد المحاربين^(١). هكذا، فقد دار كلاهما حول مدينة
١٦٥ برياموس ثلاث مرات، بأقدامهما السريعة. وكانت الآلهة جميعاً

(١) وهو ما يحدث عادة فى المسابقات الرياضية الجنازية، مثل تلك التى أقيمت تكريماً لساتروكلوس فى الكتاب الثالث والعشرين من الإلياذة.

تتابع ما يحدث. وعندئذ كان أبو البشر والآلهة (زيوس)، البادىء
بالحديث بينهم قائلاً:

"ويحى، إني أرى بعينى رجلاً حبيباً

يطاردُ حول الأسوار. إن قلبي يأسف من أجل

١٧٠ هيكاتور، الذى كان يقوم بحرق أفضاخ الثيران قربانا لى،
أحياناً فوق قمة جبل إيدا، ذى الحنايا الكثيرة، وأحياناً أخرى
فى أعلى قمة المدينة. والآن يلاحقه أخيليوس الإلهى،
بقدميه السريعتين، حول مدينة برياموس.

ولكن هيا إذن، أيتها الآلهة، أعملوا فكركم وتدبروا، وقولوا لى

١٧٥ ما إذا كنا سننقذه من الموت، أم أننا سنتركه يموت
على يدى أخيليوس بن بيليوس على الرغم من أنه إنسان عظيم"

فأجابته الإلهة أثينة، ذات العينين الزرقاوين، قائلة:

"يا أبت، يا إله الصواعق، يارب السحب السوداء الثقال،

أتقول ذلك على رجل فان، مقدر عليه الموت منذ أمد طويل؟

١٨٠ أتريد أن تخلصه من مصير الموت المفجع؟
فلتفعل إذن، ولكن لن يوافقك على ذلك أى منا نحن الآلهة الآخرين"

فأجابها زيوس، جامع السحب، قائلاً:

"أيتها الابنة الحبيبة تريتوجينيا! فلم أكن

جداً فى حديثى، بل أرغب فى أن أكون لطيفاً بك،

١٨٥ افعلى ما يحلو لك ولا تترددى"

قال ذلك، مشجعاً أثينة، التى كانت بالفعل متحمسة من قبل،

وهبطت مسرعة من فوق قمة الأوليمبوس.

وفى تلك الأثناء كان أخيليوس السريع مستمراً فى ملاحقة هيكاتور،

مطاردا إياه بحماس. مثلما يطارد كلب ظبياً صغيراً فوق الجبال،

١٩٠ بينما يفر من وكره عبر شعاب الغابة ووديانها؛

- وإذا ما أفلت منه، مختبئاً تحت أيكة،
يجرى الكلب خلفه بإصرار ويفتفى أثره حتى يعثر عليه.
هكذا لم يستطع هيكتور الإفلات من ابن بيليوس سريع القدمين.
فكم من مرة اندفع (هيكتور) يعدو نحو البوابات الداردانية
١٩٥ بحثاً عن الملجأ فى حماية الأسوار متينة البناء، فقد يساعده رفاقه
من فوق الأسوار برمى السهام، ولكن غالباً ما كان أخيليوس
يستبقه ويُعيذه إلى الوادى ويسرع هو إلى جوار أسوار المدينة
وكما يحدث فى الحلم؛ لم يستطع الحالم اللحاق بعدوه الذى يهرب
٢٠٠ منه. لم يستطع أحدهما أن يهرب، ولم يستطع الآخر اللحاق به
وهكذا فلم يستطع (أخيليوس) أن يلحق به عدواً، ولم يفلت الآخر
(هيكتور) منه فأنى لهيكتور أن يهرب من مصيره المحتوم،
إذا لم يقف أبوللون بجانبه فى المعركة للمرة الأخيرة.
ليمنحه القوة، وليمنح ركبتيه السرعة؟
- ٢٠٥ وهنا أوماً أخيليوس الإلهى برأسه لجيشه، ليحجموا عن
رمى السهام والرماح الحادة على هيكتور، فربما يصيبه أحدهم
بسهامه فينال المجد، ويأتى هو فى المرتبة الثانية.
ولكن، عندما وصلا للمرة الرابعة، إلى الينابيع،
رفع أبو الآلهة شديد البأس ميزانه الذهبى إلى أعلى،
٢١٠ ووضع فوقه اثنين من مصائر الموت المفجع، الأولى لأخيليوس،
والأخرى لهيكتور، مروض الخيول. أمسك الميزان من الوسط
ورفعه، فهبط مصير هيكتور إلى أسفل، ورحل إلى هاديس؛
عندئذ تخطى عنه الإله أبوللون فويبوس (الوضاء). مرة أخرى،
وصلت الإلهة أثينة، ذات العينين الزرقاوين، إلى ابن بيليوس،
٢١٥ ووقفت على مقربة منه، ثم خاطبته بكلمات مجنحة، وقالت:
"الآن، أى أخيليوس المجيد، الحبيب إلى قلب زيوس،
سنجلب كلانا المجد العظيم للأخيين، بالقرب من السفن،

- بالقضاء على هيكتور، الذي لا يشبع من القتال،
ولن يستطيع بعد الآن الإفلات منا، حتى ولو توسل أبوللون،
٢٢٠ رامى السهام عن بُعد، إلى والده زيوس،
لابس الدرع أيجيس، متذلاً. توقف أنت الآن وخذ نفساً عميقاً،
أما أنا فسأذهب إليه وأفنعه بلفائفك وجهاً لوجه في المعركة"
هكذا تحدثت أثينة، واستقبل (أخيليوس) حديثها منشرح
الصدر، وتوقف متكئاً على حربته
٢٢٥ المصنوعة من خشب الدردار، بحدها البرونزى.
وعندئذ تركته مسرعة لتلتقى بهيكتور الإلهي،
وقد تمثلت له في هيئة أخيه ديفوبوس، وفي صوته غير المنهك،
ثم وقفت على مقربة منه، وخاطبته بكلمات مجنحة:
"أخى من المؤكد أن أخيليوس السريع قد أساء إليك بشدة،
٢٣٠ وقد طاردك بقدميه السريعتين حول مدينة الملك برياموس.
ولكن فلنتوقف هنا، ولنتصدى لهجمته"
وعندئذ أجابها هيكتور العظيم، ذو الخوذة اللامعة، قائلاً:
"أى ديفوبوس، لقد كنتَ قبل ذلك بالنسبة لى الأحب إلى نفسى
من بين كل إخوتى الآخرين، الذين أنجبتهم هيكاى من برياموس،
٢٣٥ أما الآن فقد أدركت أنك ستحتل فى قلبى تكريماً أكبر،
لأنك جرؤت بعدما شاهدتتى بكلتى عينيك، أن تخرج
من خلف الأسوار من أجلي، بينما بقى الآخرون بالداخل"
فردت عليه الإلهة أثينة، ذات العينين الزرقاوين، قائلة:
"أيها الأخ الحبيب، حقا لقد رجاني أبى كثيراً وكذلك أمى
٢٤٠ الملكة، وأيضا كل الرفاق من حولى، كلهم توسلوا بإلحاح واحداً
بعد الآخر، للبقاء معهم، وكانوا جميعاً يرتعدون من شدة الخوف،
ولكن نفسى كانت تعتمر ألما من شدة الحزن.

- أما الآن فلنقاتله بكل حدة. دعنا إذن لا نضن عليه بالحراب،
ولنرَ ما إذا كان أخيليوس هذا، بعد أن يقتلنا نحن الاثنين،
سيحمل الأسلاب المملوطة بالدماء منا إلى السفن المجوفة،
٢٤٥ أم أنه سيلقى حتفه بطعنة نجلاء من حربتك"
بهذه الكلمات وبهذه الحيلة قادته أثينة.
وعندما تقدم كل منهما في مواجهة الآخر، وأصبحا متقاربين،
كان هيكتور العظيم، ذو الخوذة اللامعة، البادئ بالحديث، فقال:
٢٥٠ "يا ابن بيليوس، لن أفر بعد ذلك منك، مثلما فعلت من قبل
وجريت ثلاث مرات حول المدينة الإلهية ليرياموس العظيم،
ولم أجرؤ على البقاء لمواجهتك. أما الآن فتدفعنى نفسى دفعا
للقوف فى مواجهتك، قتلتك أم قتلت على يديك.
هيا إذن، ولنشهد علينا الآلهة، فإنهم أعظم
الشهود، وأفضل الحافظين على ما سنتعاهد عليه .
٢٥٥ فأنا لن أمثل بجسدك بوحشية، إذا ما منحنى زيوس
القوة على أن أنتزع روحك من جسدك.
ولكنى فقط، أى أخيليوس، سأسلب أسلحتك الشهيرة،
أما جثمانك فسوف أعيده إلى الآخيين، ولن تفعل أنت الشيء نفسه".
٢٦٠ عندئذ نظر إليه أخيليوس، سريع القدمين، بغضب ثم قال:
"أى هيكتور، أيها البائس الملعون، إياك أن تحدثنى عن العهود؛
فكما لا يوجد صدق فى الوعود بين البشر والأسود،
وكما لا تكون للخراف والذئاب نفس الميول،
فدائما ما يضم كل منهم للآخر الشرور،
٢٦٥ هكذا نحن أنا وأنت، فلن نستطيع أحدهما أن يحب الآخر، ولن تكون
بيننا عهود قبل أن يرتوى الإله أريس، ذلك المحارب.
العتيد، بدم من يسقط منا أولاً. فلتستجمع كل قواك القتالية،

- فهذا ما تحتاجه الآن. تصرف بوصفك حامل رمح ماهر،
ومحارباً جريئاً. حقاً ليس لك مفر بعد الآن،
٢٧٠ فسوف تقضى عليك الإلهة باللاس أثينة
فى التو برمعى هذا، كما أنك ستدفع أيضاً جزاء
أحزانى على رفاقى الذين أردبتهم قتلى بحربتك العاصفة"
قال ذلك، ثم قذفه برمحه ذى الظل الطويل،
ولكن هيكتور المجيد تغاداه بعدما رآه فى اللحظة الأخيرة.
٢٧٥ فقد لمحّه وجثا على الأرض فطار فوقه الرمح البرونزى.
وارتشق فى الأرض. فانتزعته أثينة باللاس، ثم أعادته مرة
أخرى لأخيلئوس، دون أن يدرك ذلك هيكتور، راعى الشعب.
وعندئذ خاطب هيكتور ابن بئليوس الذى لا نظير له، قائلاً:
"لقد أخطأت الهدف، ياشبيه الآلهة، أخيلئوس!
٢٨٠ فلم يكشف لك بعد زيوس شيئاً عن مصيرى رغم زعمك
أنك تعرف. ولكنك ذرب اللسان ماكر الكلام،
بهدف أن أرتعد فى مواجهتك وأنسى قوتى وبسالتى.
فاعلم أننى لن أفر من أمامك كى تغرس فى ظهرى حربتك،
بل سألتقاها فى صدرى، بينما أندفع فى مواجهتك؛
٢٨٥ هذا إذا أذن لك إله ما بذلك. أما الآن بدورك فلتدراً عن نفسك
حربتى البرونزية، لعلها تخترق بأكملها لحمك،
مما يجعل القتال أكثر سهولة للطرواديين،
إذا ما قتلتك؛ فأنت بالنسبة لهم كارثة كبرى"
- ٢٩٠ قال ذلك، ثم قذفه برمحه ذى الظل الطويل،
فأصاب منتصف الدرع الكبير لابن بئليوس، ولم يخطئه،
ولكن الرمح قفز مرتدّاً للخلف بعيداً عن الدرع، فاستشاط
هيكتور غضباً، لأن الرمح السريع انطلق من يده سدى،

- فوقف مرتبكاً، لأنه لم يكن يحمل رمحاً ثانياً من الدردار
ولكنه بصوت جهورى نادى على أخيه ديفوبوس ذى الدرع
الأبيض، وطلب منه رمحاً طويلاً، فلم يجده إلى جواره؛
٢٩٥ وعندئذ فطن هيكتور للأمر، وصاح قائلاً:
- "ويحى، لقد دعنتى الآلهة هاهنا لموتى حقاً،
وكنت أعتقد أن البطل ديفوبوس يقف إلى جوارى،
بينما هو قابع داخل الأسوار. لقد خدعنتى أثينة،
وأصبح الموت البغيض قريباً منى الآن، وليس ببعيد؛
٣٠٠ لا مفر منه إذن، وهو الأمر الذى كان يحظى منذ وقت طويل
بقبول زيوس، وكذا ابن زيوس، رامى السهام من بعيد، اللذان كانا
يحميانى من قبل برغبة صادقة. أما الآن فقد أدركنى قدرى...
ولكن دعنى، على الأقل، لا أموت دون قتال أو كرامة،
٣٠٥ فلأقدم على عمل عظيم، كى يتعلم منه من سيأتى من بعدى"
- هكذا قال، واستل سيفه البتار،
الذى كان يتدلى من خاصرته، كبيراً وقويًا.
واستجمع قواه، ثم انطلق كالصقر الذى يحلق عالياً،
ثم يهبط إلى الوادى عبر السحب القاتمة،
٣١٠ لينقض على حمل وديع، أو أرنب برى مرتاع.
هكذا اندفع هيكتور، شاهراً سيفه البتار.
كما اندفع أخيليوس أيضاً نحوه، وقد امتلأ قلبه بغضب وحشى
وقد حمى صدره من الأمام بدرعه الكبير،
تلك الآية الفنية الرائعة، واهترزت فوق رأسه نؤابة
خوذته اللامعة، ذات القرون الأربعة، ترفرف حولها خصلات
من شعر ذهبى بديع، كان قد وضعها هيفايستوس على جانبيها
بكثافة، كالغرف. إنه كنجم يمرق بين النجوم فى ظلمة الليل،

- إنه نجم المساء، أجمل نجم يلمع فى السماء.
وكذا لمع البريق من حد الرمح المسنون، الذى يشهره أخيلئوس
٣٢٠ بيمناه، راغبا فى إلحاق الأذى بهيكتور العظيم. ثم أخذ يتفحص
جسده القوى، بحثا عن الموضوع الذى قد يصاب فيه بسهولة،
ذلك الجسد الضخم، الذى يغطى بالعديد من الأسلحة البرونزية
رائعة الصنع، التى سلبها من باتروكلوس الباسل، بعد أن قتله.
فوجد ثغرة مكشوفة عند التقاء الرقبة بالكتفين أى الحنجرة،
٣٢٥ حيث يقع أسرع طريق لموت الإنسان. هنا طعنه أخيلئوس الإلهى
برمحه عندما هاجمه (هيكتور). وقد اخترق حد الرمح
الحنجرة الرقيقة حتى النهاية. بيد أن الرمح الدرдарى المنقل
بالبرونز لم يكسر القصبة الهوائية تماما، مما يسمح
له بالإجابة والتحدث إلى عدوه.
٣٣٠ ولكنه سقط على التراب؛ فوقف أخيلئوس فوقه مختالاً وقال:
"أى هيكتور، عندما كنت تجرد باتروكلوس من أسلحته
حسبت أنك ستظل آمنا ولم تكن تخشانى، لكننى كنت بعيدا،
أيها الأحمق! ولكن بدونه، وهو يرقد الآن عند السفن المجوفة،
تركته هناك أنا الأقدر على الانتقام، وها أنا قد هزمتك. أما أنت
٣٣٥ فستمزق الكلاب الضالة والطيور الجارحة جسدك أسوأ تمزيق،
وأما هو فسوف يقوم الآخيون بمواراة جسده التراب وتكريمه."
وهنا رد عليه هيكتور، ذو الخوذة اللامعة،
وقد انهارت قواه تماما قائلاً:

- "أستحلفك بحياتك، بركبتك، بوالديك
ألا تتركنى بالقرب من سفنكم لتتهشنى كلاب الآخيين،
٣٤٠ ولتقبل تلك الهدايا الكثيرة من البرونز والذهب
التى سيقدمها إليك والذى ووالدتى الملكة،

فقط أرجو منك أن تعيد جثمانى إلى أهل منزلى، حتى يتمكن
الطرواديون، وزوجات الطرواديين من منحي شرف حرق جثمانى"
عندئذ نظر إليه أخيليوس، سريع القدمين، شزراً، ثم قال:

٣٤٥ "لا تستحلفنى، أيها الكلب، بركبتى أو بوالدى فليت غضبى
وجنونى يأمرانى بتمزيق جسدك، والتهام لحمك نيئاً، بسبب كل
ما ارتكبت ضدى فليس هناك من يدفع الكلاب عن رأسك،
حتى ولو أحضروا لى فدية لا تحصى ولا تعد، عشرة أضعاف
أو عشرين ضعفاً، بل ولو تعهدوا لى بأكثر من ذلك؛

٣٥٠ حتى ولو طلب منى برياموس بن داردانوس أن يفتديك
بمثل وزنك، أنت نفسك، ذهباً. لن تضعك أمك الملكة
على نعش الموت لتبكى عليك، أمك التى أنجبتك، فإن الكلاب
والطيور الجارحة فقط هى التى ستتهش لحمك عن آخره".

٣٥٥ فرد هيكتور، ذو الخوذة اللامعة، وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة،
قائلاً: "حقاً، إنك دائماً كما عهدتك من قبل، وكما توقعت،
فليست لدى القدرة على إقناعك، لأن قلبك الذى بداخلك حديد. ولكن
ينبغى عليك الآن أن تعمل فكرك، حتى لا أكون سبباً فى غضب
الآلهة عليك فى ذلك اليوم الذى سيصرعك فيه باريس وأبوللون
فويبوس (الوضاء) على بوابة سكاياى، برغم قوتك"

٣٦٠ وما أن انتهى من حديثه حتى طواه الموت
وأفلتت روحه من أعضاء جسده هابطة إلى هاديس
باكية مصيرها، ومودعة للأبد الرجولة والشباب.
وبيئما كان يحتضر، خاطبه أخيليوس الإلهى قائلاً:

٣٦٥ "قلتمت أنت أولاً، وسأقبل الموت بنفس راضية حينئذ،
عندما يشاء زيوس، والآلهة الآخرون الخالدون"

- قال ذلك، ثم سحب رمحه البرونزي من الجثمان،
وألقاه جانبا، ثم انتزع بعد ذلك الأسلحة المطلخة بالدماء،
من فوق كتفيه. وعندئذ أقبل أبناء الآخيين مسرعين من كل
صوب، محدقين في بنية هيكتور المتينة، وفي هيئته البديعة؛
ولم يقترب منه أحد إلا وطعنه بحرسته^١.
وقد يتحدث أحدهم لجاره، بينما ينظر للجثمان، قائلاً:
"يا إلهي، حقا لقد أصبح ملمس هيكتور الآن أكثر لنا
عما كان عليه عندما أحرق لنا سفننا بالنيران المتوهجة"
هكذا قد يقول قائل، ثم يقترب منه ويطعنه أيضا بحرسته.
أما أخيليوس الإلهي، سريع القدمين، فبعد ما جرده من أسلحته
شب واقفا بين الآخيين، ثم خاطبهم بتلك الكلمات المجنحة، قائلاً:
"أيها الأعداء، بإقادة الأرجيين وسادتهم،
لقد شرفنتي الآلهة بقتل هذا الرجل، الذي اقترب
العديد من الشرور، يفوق كل ما فعله الآخرون مجتمعين.
دعونا نجرب أسلحتنا حول المدينة، لنعرف خطط الطرواديين
وما ينوونه فهل سيرحلون عن تلك المدينة العالية
بعد أن سقط ذلك الرجل، أم أنهم يرغبون في البقاء،
على الرغم من عدم وجود هيكتور بعد؟ ولكن لماذا تجادلني
نفسى الغالية في مثل تلك الأمور؟ إن باتروكلوس
ما زال ممدداً في السفينة جثة هامدة، بلا نحيب، وبلا مراسم
دفن، ذلك الرجل الذي لن أنساه أبداً، لن أنساه ما بقيت
بين الأحياء، وتتحرك قدمي الغاليتان؛
وإذا كان الناس ينسون أمواتهم بعد رحيلهم إلى هاديس،

(*) كان الاعتقاد السائد لدى الشعوب البدائية أن تمزيق جسد القتيل يضعف شبحه، ويدفع عن الناس أذاه وانتقامه. وظل هذا الاعتقاد سائداً ومتبعاً في بعض المناطق النائية حتى وقت قريب. (المحرر)

- ٣٩٠ فإننى لن أنسى صديقى الحبيب وهو هناك.
 هلموا الآن يا شباب الآخيين، لنعد إلى سفننا المجوفة،
 وننشد أناشيد النصر؛ ولنحمل معنا هذا الرجل؛ فقد أحرزنا
 مجدا عظيما، وقتلنا هيكتور الإلهى، الذى كان الطرواديون
 يتضرعون إليه فى كل أنحاء المدينة كما لو كان إلهًا"
- ٣٩٥ قال ذلك، وأخذ يفكر فى معاملة مشينة لهيكتور الإلهى،
 فقام بثقب كلتا قدمى (هيكتور) من خلف العصبين، ومن الكعبين
 حتى مفصل الركبتين، ثم مرر منها سيورا من جلود الأبقار،
 ثم قام بربطها فى العربة الحربية، تاركا الرأس تتدلى على الأرض.
 وعندئذ صعد إلى العربة؛ وبعد أن ارتدى أسلحته الشهيرة، ضرب
 الجياد بالسوط حتى تتحرك، فطارت مسرعة. ولما كان (هيكتور)
- ٤٠٠ يتدلى على الأرض، فقد ثارت عاصفة من الغبار، وتناثرت
 خصلات شعره الأسمر، بل وتمرغت الرأس بأكملها فى التراب،
 تلك التى كانت غاية فى الجمال من قبل. بيد أن الإله زيوس قد
 سلمها لأعدائه، حتى تساء معاملتها هكذا على أرض الوطن.
- ٤٠٥ وهكذا غطى التراب الرأس بأكملها. وعندئذ أخذت أمه
 تمزق شعرها، وألقت بالوشاح المزركش بعيدا،
 وأطلقت صرخة عويل مدوية عندما رأت ابنها.
 أما والده الحبيب فأخذ يتأوه بطريقة يرثى لها؛ ومن حولهما
 ملأت حشود الشعب المدينة كلها بالبكاء والعويل.
- ٤١٠ كما لو كانت النيران قد شبت فى كل أرجاء
 مدينة إليوس، من أعلى التل إلى أسفله، وبالكاد أمسك الكثيرون من
 الشعب بالشيخ الأشيب، الذى أصابه جنون الحزن
 ويسعى للانطلاق بوحشية من البوابات الداردانية.

وتمرغ في الروث^(*). وأخذ يرجو الجميع

٤١٥ أن يتركوه داعياً كل شخص منهم باسمه، ويقول:

"توقفوا، أيها الأعداء، يامن تهتمون بأمرى، ودعوني

أخرج بمفردى من هذه المدينة حتى أصل إلى سفن الآخيين،

وأتوسل إلى ذلك الرجل، المرعب مرتكب الأفعال الشنيعة،

فربما يستحي ويحترم شيبتي ويرثي لشيخوختي؛ فوالده بيليوس

٤٢٠ مُعمر مثلي، ذلك الذى أنجبه ورباه حتى صار وبالاً على كل

الطرواديين. ولكنه اختصنى من بين الجميع بالآلام:

فقد قضى على العديد من أبنائى، وهم فى ريعان الشباب؛

ولكن من بين كل هؤلاء لم أبك بشدة مثلما بكيت على واحد منهم

٤٢٥ فقط، ذلك الذى سيؤدى بى حزنى عليه بشدة إلى ظلمات هاديس،

إنه هيكتور، ليته مات بين يديّ، وعندئذ كنا سنشبع بكاءً وعويلًا،

أمه تلك التى أنجبه لتعاستها، وأنا نفسى"

قال ذلك باكياً، كما كان يشاركه العديد من أبناء الشعب فى

٤٣٠ البكاء. أما هيكاى، فقد قادت وسط الطرواديات عويلاً عنيفاً قائلة:

"ولدى، أنا البائسة، كيف أعيش مع كل تلك المعاناه،

وقد فارقت الحياة. يامن كنت فخراً لى فى كل المدينة،

صباح مساء، وملاًذاً آمناً لكل الطرواديين والطرواديات

فى المدينة، أولئك الذين كانوا يجفلونك كإله.

٤٣٥ فقد كُنتَ بالنسبة لهم فى حياتك مجداً بالغ العظمة،

أما الآن فقد غلبك الموت والقدر"

قالت ذلك وهى تبكى. أما زوجة هيكتور فلم تك تعلم شيئاً،

ولم يذهب إليها أى رسول صادق ليخبرها بالحقيقة:

بأن زوجها كان لا يزال خارج أبواب المدينة.

(*) يقول بعض المعلقين إنها عادة شرقية للتعبير عن بالغ الحزن والأسى واليأس. (الخرر)

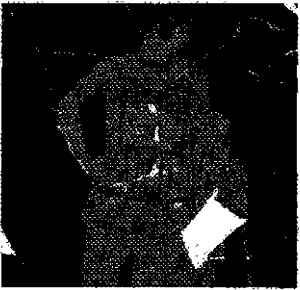
- ٤٤٠ فقد كانت تتسج على نولها داخل قصرها العالى
عباءة أرجوانية مزدوجة، تتناثر عليها الأزهار بألوانها المتعددة،
وقد استدعت وصيفاتها، بصفائهن الجميلة، إلى داخل المسكن
كى يشعلن النار أسفل المرجل الكبير ثلاثى الأرجل، حتى يتوافر
لهيكتور بعد عودته من القتال حمامات دافئة. يالها من حمقاء! فهى
٤٤٥ لم تعرف بعد أنه أصبح بعيدا جدا عن تلك الحمامات،
وأن أثينة، ذات العينين البراقتين قد صرعته بيدي أخيلئوس.
والآن فقط تنامى إلى أسماعها نحيب وصراخ قادم من البرج،
فارتعدت أوصالها، وسقط من يدها مكوك النسيج على الأرض،
فعدت تخاطب وصيفاتها ذوات الصفائهن الجميلة قائلة:
- ٤٥٠ "هيا، فلتأت اثنتان منكن معى لنر ماذا حدث؛
فصوت أم زوجى الوقور يأتى من بعيد.
إن قلبى يقفز فى صدرى حتى يكاد يبلغ الحلقوم؛ كما تصلبت
ركبتاى أسفل منى؛ فهناك كرب ما قد ألم بأبناء برياموس.
ليت هذه الكلمة تكون بعيدة عن أسماعى. ولكننى أخشى بشدة أن
٤٥٥ يكون أخيلئوس الإلهى قد قطع طريق العودة على هيكتور الشجاع،
وطارده وحيداً خارج أبواب المدينة إلى الوادى؛
وحطم الكبرياء المدمرة التى تتملكه.
فهو لا يرضى بالبقاء بين جمهرة الرجال،
ولكنه دائما ما كان يندفع بمفرده للأمام، ولا يستسلم لأحد بقوته"
- ٤٦٠ قالت ذلك، ثم اندفعت مسرعة كالمجنونة خارج مسكنها،
يكاد قلبها يقفز من مكانه؛ وقد تبعتها وصيفاتها.
وعندما وصلت إلى البرج، حيث يتجمع الرجال، وقفت،
ثم أخذت تنظر من فوق الأسوار بنظرة فاحصة، فلمحت
مسحوبيا أمام أسوار المدينة، تجره بلا رحمة الخيول المسرعة

- ٤٦٥ صوب سفن الأخيين المجوفة، فغشى عينها ليل حالك السواد،
وتراجعت للخلف قليلاً، ثم خارت قواها تماماً.
وألقت من فوق رأسها زينتها اللامعة:
- ٤٧٠ الإكليل والوشاح والعصابة المجدولة والشال، الذى كانت أفروديتى
الذهبية قد أهدته إياها فى ذلك اليوم الذى قادها هيكتور، ذو
الخوذة اللامعة، عروساً من منزل أبيها إيثيون،
وقد وهبها هدايا الزواج التى لا حصر لها.
عندئذ التف حولها، فى حشد كبير، أخوات زوجها وزوجات إخوته،
الذين أمسكوا بها، وقد بلغ بها الذهول حد الموت.
٤٧٥ فلما استردت وعيها وعادت روحها إلى صدرها أجهشت بالبكاء،
وتحدثت بين الطرواديات قائلة:
- "أى هيكتور واحسرتاه، لقد ولدنا كلانا أنا وأنت بالمصير
نفسه؛ أنت فى طروادة، فى منزل برياموس،
وأنا فى ثيبى، على سفح جبل بلاكوس، بأشجاره الكثيفة.
٤٨٠ فى منزل إيثيون سييء الحظ، الذى قام بتربيتى أنا
الأكثر تعاسة منذ طفولتى، فليته لم ينجبنى.
أما الآن فسوف تذهب وحدك إلى مقر هاديس فى أعماق
الأرض، وسوف تتركنى هنا فى حزن مميت،
أرملة فى قاعاتنا؛ وما زال ولدنا طفلاً.
٤٨٥ ذلك الذى أنجبناه أنا وأنت، سيئا الحظ؛ فلن تكون له
بعد الآن ذا نفع، أى هيكتور، طالما لقيت حتفك.
كما أنه إن أفلت من حرب الأخيين المفجعة، لن يكون لك مفيداً.
إلا أنه سيعانى بعد ذلك من العذاب والألم،
حيث سيستولى الآخرون على حقله.
٤٩٠ ففى اليوم الذى سيصبح فيه يتيماً سيحرم من كل رفاقه فى اللعب،
وسيمشى مطأطئ الرأس، تغمر وجنتيه الدموع،

- وبعد أن يصبح طفلاً فقيراً سيتوجه إلى رفاق والده،
يجذب هذا من عباءته والآخر من رداءه. فإذا رق قلب
أحدهما له فسيحصل منه على أقل القليل مما فى الكأس،
٤٩٥ ما قد يبلى به فقط شفتيه، ولا يصل إلى حلقومه. أما ذلك الفتى
الذى مازال يعيش فى كنف والديه، فسوف يدفعه بعيداً عن المأدبة،
بعد أن يضربه بيديه، ويوبخه بكلماته اللاذعة، قائلاً:
أغرب بعيداً عن هذا المكان، فإن والدك لا يشاركنا الطعام.
فيرتد الطفل على عقبيه إلى أمه الأرملة باكياً،
٥٠٠ إنه أستياناكس^(٢) ذلك الذى كان يُطعمُ من قبل
الزبد وما طاب من الطعام جالساً على ركبتي أبيه.
وكان عندما يتوقف عن لعبه، ويغط فى نومه،
يرقد فى مخدعه، بين ذراعى مربيته،
على فراشه الوثير؛ بعد أن يهدأ قلبه ويطمئن.
٥٠٥ أما الآن، وبعد أن فقد والده الحبيب، فسوف يعانى
أستياناكس، وهو الاسم الذى كان الطرواديون يدعون به،
فقد كنت تدافع وحدك عن البوابات والأسوار العالية.
أما وقد أصبحت الآن على مقربة من السفن المعقوفة بعيداً
عن والديك فسوف يلتهمك دود الأرض المتلوى،
٥١٠ بعد أن تشبع منك الكلاب وقد رقدت جثة عارية. وفى منزلك
لا تزال ملابسك رائعة النسيج، الجميلة التى زركشتها لك
أيدى النساء. ولكن من المؤكد الآن أننى سألقى بها جميعاً فى
النار الموقدة، فلن تتفعلك بعد الآن، ولن تنام بها مرة أخرى؛
ولكنها ستصبح شرفاً لك بين الطرواديين والطروديات".
٥١٥ قالت ذلك وهى تبكى، وقد شاركتها فى البكاء كل النساء.

(٢) أستياناكس، لقب أنعم به الطرواديون على سكاماندروس بن هيكتور، تكريماً لوالده، ويعنى "سيد مدينتنا".

الكتاب الثالث والعشرون



ترجمة عادل النحاس

- هكذا كانوا يبكون في أرجاء المدينة. أما الأخيون،
 فعندما وصلوا إلى سفنهم وبحر الهيليسبونطوس
 تفرقوا، وذهب كل منهم إلى سفينته.
 أما الميرميدونيون، فلم يتركهم أخيليوس ليتفرقوا،
 ولكنه خاطب رفاقه محبى الحرب بقوله:
 ٥ "أيها الميرميدونيون، ذوو الخيول السريعة،
 يا رفاقي الأوفياء، دعونا لا نطلق سراح الخيول، ذات الحافر الواحد
 غير المنشطر، من العربات الحربية، ودعونا نقرب قليلا بهذه الخيول
 وتلك العربات الحربية، ولنبك على باتروكلوس، فهذا هو التكريم
 الواجب للموتى، وبعد أن نأخذ كفايتنا من ذلك النحيب المرير
 ١٠ سنطلق سراح الخيول، ثم نتناول معًا طعامنا في هذا المكان جميعًا".
 هكذا تحدث، وأجهشوا جميعا ببكاء متناغم، ويقودهم أخيليوس،
 ثم قاموا بالدوران باكين حول الجثمان بخيولهم ذات العرف
 الجميل ثلاث مرات. وكانت ثيتيس في وسطهم تستثير رغبتهم في
 البكاء. فامتزجت بدموعهم الرمال، كما ابتلت أسلحة الرجال.
 ١٥ لطالما أثار الذعر بين الأعداء ذلك الذى يبكونه!
 ومن بينهم كان ابن بيليوس القائد في هذا النحيب العنيف؛
 وبعد أن وضع يديه قاتلتى الرجال على صدر رفيقه؛ قال:
 "أى باتروكلوس، تحية لك منى وأنت فى مقر هاديس،
 ٢٠ فقد انتهيت من إنجاز كل ما وعدتك به أنفأ:
 بأن أقوم بسحب جسد هيكتور فى هذا المكان، وأقدمه للكلاب
 ليلتهموا لحمه نبيًا، وأن أذبح أمام محرقتك اثنى عشر رجلا
 من أنبل أبناء الطرواديين^١ وقد استشطت غضبا لموتك".

(*) كانت عادة تقديم القرابين البشرية معروفة في الأساطير الإغريقية، كما هو الحال بالنسبة للشعوب القديمة جميعًا على وجه التقريب. وامتدت هذه العادة حتى العصور التاريخية وأشير إليها في الكثير من الأعمال الأدبية ونذكر على سبيل المثال لا الحصر "إفيجينيا بين التاورين" لوريبيديس. (أخوهر)

وعندئذ جالت بخاطره تلك الأفعال المروعة لهيكتور الإلهي،

٢٥

وقد بسط جثمانه وجعل وجهه على التراب بجوار نعش
ابن مينوييتيوس. ألقى كل منهم بسلاحه البرونزي اللامع،
وأطلقوا سراح خيولهم، ذات الصهيل المدوى، ثم استلقى حشد
لا حصر له بالقرب من سفينة سريع القدمين (أخيلئوس)،
سليل أياكوس. أما هو فقد أمر بإعداد وليمة جنازية سخية تسرية لهم.

٣٠

فأخذت العديد من الثيران، ذات الجلد اللامع، تخور أثناء
نحرها بالسكين، كما بدأت العديد من الأغنام والماعز فى الشغاء؛
وأعداد كبيرة من الخنازير، التى تلمع من سمنتها، بأسنانها البيضاء،
تلك التى كانت تنتشر فى هذا المكان، قد وضعت جميعاً فوق
نيران هيفايستوس للشواء. لقد سال الدم بغزارة حول الجثمان
حيث سكبت الكؤوس فوقه^(١).

٣٥

فى ذلك الوقت، قاد أمراء الآخيين ابن بيليوس،
السيد، سريع القدمين، صوب أجامنون الإلهي. فجهد جهيد
استطاعوا إقناعه بذلك، على الرغم من شدة غضبه لموت صديقه.
وعندما وصلوا إلى خيمة أجامنون،

٤٠

أصدروا أوامره فى التو، إلى الخدم جهورى الصوت
أن يضعوا مرجلاً ضخماً ثلاثى الأرجل فوق النيران،
عساهم أن يتمكنوا من إقناع ابن بيليوس بالاعتسال من الدماء المتخثرة،
ولكنه أعرض عن ذلك وأقسم قائلاً:

"كلا، وحق زيوس الأعلى والأقوى من كل الآلهة،

فليس مباحاً للماء أن يقرب رأسى

(١) ساد الاعتقاد عند الإغريق أن دم الأضحيات يقدم للموتى لتقويتهم ومساعدتهم فى رحلتهم إلى العالم السفلى. وهذا ما كان سائداً حتى عند العرب القدامى قبل الإسلام، حيث كانوا يعتقدون أن الميت فى قبره كان يطالب بهذه الدماء، ولاسيما إذا كان قتيلاً. وكانت الطقوس المصرية القديمة فيما يتصل بالموتى تؤدى المعنى نفسه، وهو تسهيل مهمة الرحيل إلى العالم السفلى، فيزودون الميت بكل المتطلبات. واستمرت الوجة الإغريقية الجنائزية perideipnon فى العصر الرومانى بل إن مسيحي القرن الرابع الميلادى أقاموا هذه الولائم تكريماً للشهداء (القديس أوغسطين، الاعترافات (VI ii). (الخرر)

- ٤٥ قبل أن نضع باتروكلوس فوق محرقتة، ونهيل عليه التراب،
ثم نخلق شعر الرأس عليه. فلن يصيب قلبي حزن آخر ،
مابقيت بين الأحياء مثلما أصابه.
ولكن دعونا الآن نمثل لذلك الطعام غير المستحب.
في البداية، يا ملك الرجال أجامنون، أصدر أوامرك
٥٠ بإحضار الأخشاب، وتقديم كل المتطلبات الملائمة،
التي يحملها الميت معه قبل أن يرحل إلى الظلمات السحيقة؛
لكي تأتي عليه النيران التي لا تكل
بسرعة وتختفي من أمام أعيننا، ثم يعود أفراد الجيش، كل إلى عمله"
قال ذلك، بينما كان الآخرون يستمعون إليه، وأطاعوه،
٥٥ فاستعد كل منهم بسرعة لطعامه،
ولم يك بهم ميل إلى وليمة عامة.
وعندما أشبعوا حاجتهم من الطعام والشراب،
توجه كل منهم إلى خيمته ليستريح على فراشه.
أما ابن بيليوس فقد استلقى بعيدا على شاطئ البحر بأصواته
٦٠ الهادرة، وشرع في نحيب شديد، ويحوطه حشد من الميرميدونيين.
في هذا المكان الفسيح، حيث تتلاطم الأمواج على الشاطئ،
وفي اللحظة التي غلبه فيها النعاس، مذبذبا هموم القلب،
استغرقه النوم اللذيذ إذ كانت أوصاله المجيدة قد أنهكت في مطاردته
لهيكتور حول مدينة إليوس شديدة الرياح .
٦٥ حينئذ أقبلت عليه روح باتروكلوس التعس
بكامل هيئته: قوامه، عيناه الجميلتان،
صوته الرنان، مرتديا رداءً يشبه رداءه؛
واستقام واقفا عند رأس (أخيليوس) ثم خاطبه بتلك الكلمات:
"أى أخيليوس، الآن تغط في نومك بعد أن نسيتني،

- ٧٠ بينما لم تكن تغفل عني وأنا على قيد الحياة، أما بعد موتى فقد نسيتهى.
إدقنى بأقصى سرعة ممكنة، حتى أعبر بوابات هاديس.
فالأرواح تدفعنى بعيدا، وكذلك الأشباح؛
لا تسمح لى بالانخراط فى زمرتها فيما وراء النهر،
ومازلت أهيم عبثاً حول البوابات الواسعة لمقر هاديس.
- ٧٥ أمدد لى يدك الآن، أتوسل إليك، لأنى لن أعود مرة
أخرى من هاديس، بعد أن تمنحنى ما يحق لى من النار؛
لن نجلس بعد الآن معاً بعيداً عن الرفاق الأعزاء،
كما كنا نفعل فى حياتى، لنتبادل الرأى .
فالمصير البغيض قد فخر فاه لى، إنه المصير الذى حدد لى عند
مولدى. وحتى أنت، أى أخيلئوس، يا شبيهه الآلهة، فمصيرك هو
- ٨٠ أن تلقى حتفك تحت أسوار الطرواديين الأثرياء. والآن سوف أطلب
منك شيئاً آخر، وأستحلفك أن تحققه لى إذا اقتتعت به،
وهو ألا تضع عظامى بعيدا عن عظامك، أى أخيلئوس،
ولكن لتكن معاً فى نفس المكان، مثلما ترعرعنا معاً فى البيت نفسه،
عندما أحضرنى مينويئئوس صغيراً من أوبويس،
- ٨٥ واقتادنى إلى بيت أبائك؛ بعد أن ارتكبت جريمة قتل شنيعة.
إذ يومها، كنت قد قتلت ابن أمفيداماس، وكنت صغيراً لا أدرك
ولم أكن أرغب، ولكنه استتار غضبى بسبب اللعب بالزهر.
وهناك، تقبلنى الفارس بيلئوس فى قصره.
- ٩٠ فأولائى رعايته، وجعلنى تابعا لك.
لكل هذا ينبغي أن يجمع وعاء رماد واحد بقايانا،
تلك الجرة الذهبية ذات المقبضين التى منحتها لك والدتك المبجلة"
عندئذ رد عليه أخيلئوس، سريع القدمين، قائلاً:
"لماذا ياعزئزئ، أتيت إلى هذا المكان،
وتسألنى أن أحقق لك كل تلك المطالب؟"
- ٩٥

- فسوف أنجز لك كل شيء، وأنفذ كل ما تأمر به.
ولكن قف هنا واقترّب منى أكثر للحظات قليلة، حتى يعانق
كل منا الآخر، ونأخذ كفايتنا من النحيب المرير".
- وبعد أن قال ذلك، مد إليه يديه ليعانقه،
ولكنه لم يمسك به، فقد هبطت روحه كالداخان إلى
١٠٠ العالم السفلي، بهمة غير مفهومة؛ فقفر أخيليوس مذهولاً،
وضرب كفاً بكف، ثم قال كلمات مثيرة للشفقة:
- "عجباً عجباً!، ففي مقر هاديس توجد أرواح وأشباح؛
لكنها عديمة الإدراك. فقد لازمتني روح باتروكلوس المسكين،
١٠٥ الليل بطوله، منتحبة، ذارفة الدمع، وهي تلح أن أنفذ
رغباتها الواحدة تلو الأخرى. لقد كانت شديدة الشبه بصاحبها".
- قال ذلك، فاستثار رغبتهم جميعاً في البكاء.
وقد لاحت في الأفق أنوار إيوس بأصابعها الوردية مع بكائهم
على الميت المثير للشفقة، وعندئذ أرسل أجامنون السيد
١١٠ الرجال والبغال من الخيام في كل الأنحاء لكي يأتوا بالأخشاب
وعلى رأسهم رجل قوى، ميريونيس تابع إيدومينوس، دمت الخلق.
وانطلقوا جميعاً، حاملين الفئوس في أيديهم لتقطيع الأخشاب،
وكذا الحبال المجدولة، وتسير البغال من أمامهم.
١١٥ وصعدوا وهبطوا وعرجوا وسلكوا طرقاً ملتوية،
ولكن عندما وصلوا إلى سفوح جبل إيذا كثير الينابيع،
أسرعوا في الحال إلى تقطيع أشجار البلوط الشاهقة بفئوسهم
ذات النصل البرونزي الطويل، فسقطت محدثة دويها هائلاً.
عندئذ قام الأخيون بشطرها،
١٢٠ وربطوها خلف البغال التي ضربت الأرض بأقدامها،
سعيًا للوصول، عبر الغابات الكثيفة، إلى الوادي.

- وهكذا حمل كل قاطعي الأخشاب معهم كتلا من الأخشاب
متلما أمرهم ميريونيس، تابع إيدومينيوس، دمث الخلق.
١٢٥ ثم ألقوا بها على الشاطئء واحداً بعد الآخر، حيث خطط أخيليوس
لإقامة كومة دفن عالية لباتروكلوس، ولنفسه أيضاً.
وبعد أن ألقوا بأعداد لا حصر لها من الأخشاب في هذا المكان،
جلسوا في أماكنهم وانتظروا جميعاً، حتى أعطى أخيليوس
أوامره للميرميدونيين محبي القتال بأن يربطوا حول أجسادهم أسلحتهم
البرونزية في الحال، وأن يشد كل منهم خيله إلى نير عربته الحربية.
١٣٠ فنهضوا جميعاً وحملوا أسلحتهم،
ثم صعد مقاتلو العربات الحربية، وكذلك سائقوها، كل إلى عربته.
الفرسان في المقدمة، يتبعهم أعداد لا حصر لها من جند المشاة.
وفي الوسط، كان الرفاق يحملون باتروكلوس، وقد غطوا الجثمان
كاملاً بخصلات من شعر رأسهم حيث كانوا قد قصوها
١٣٥ وألقوها عليه، ومن الخلف أمسك أخيليوس الإلهى برأسه،
وهو في شدة الأسى، فقد كان يشيع صديقه الذى لا نظير
له إلى هاديس. وعندما بلغوا ذلك المكان، الذى حدده أخيليوس،
وضعوه على الأرض، ثم أقاموا بسرعة كومة من الأخشاب الكثيفة.
١٤٠ عندئذ طرأت أمور أخرى فى ذهن أخيليوس الإلهى، سريع القدمين:
فابتعد عن المحرقة، وقص خصلات شعره الأشقر،
الذى كان قد تركه ينمو كاملاً، كي يقدمه قرباناً لنهر سبرخيوس^(*)،
ثم قال بأسى وهو ينظر إلى البحر، القاتم مثل لون النبيذ:
- "أى سبرخيوس، لقد نذر إليك والدى بيليوس من قبل سدى،
١٤٥ أنه عندما أعود، إلى أرض الوطن الحبيبة، فسوف أقص شعر رأسى
من أجلك أنت، وأن أقدم لك القربان الكبير (مائة رأس) وأن يقدم

(*) نهر في نيساليا موطن أخيليوس.

- لك في نفس المكان خمسين كبشاً قرباناً ذكوراً لا تشوبها شائبة
 في ينابيعك، حيث معبدك ومذبحك برائحتهما الفواحة.
 هكذا كان قد نذر الشيخ الأشيب، ولكنك لم تنجز رغبته.
 ١٥٠ أما الآن، فلأني لن أعود ثانية إلى أرض الوطن الحبيبة،
 فسأهب خصلات شعري إلى باتروكلوس البطل لترحل معه".
 قال ذلك، ثم وضع خصلات شعره في يدي صديقه الحبيب،
 مما استثار رغبة الآخرين في البكاء الشديد،
 وكان ضوء الشمس سيهبط بيكائهم، لو لم يسرع
 ١٥٥ أخيليوس بالاقتراب من أجامنون، قائلاً:
 "يا ابن أتريوس، لأن جيش الأخيين لا يطيع أحداً مثلما
 ينصاع لكلماتك، فلهم أن ينالوا كفايتهم من البكاء،
 أما الآن فأبعدهم عن المحرقة، ودعهم يعدون طعامهم.
 أما في كل ما يتعلق بالميت فسنعنتي نحن به جيداً،
 فنحن الأقرب والأعز، وليبق معنا القادة"
 ١٦٠
 وعندما استمع أجامنون، ملك الرجال، إلى هذا الحديث،
 صرف الجنود في الحال إلى السفن سلسلة الانقياد، فيما عدا القائمين
 على المراسم الجنائزية، فلم يبرحوا المكان وشرعوا في تكويم
 الأخشاب حتى شيدوا محرقة ضخمة، قوامها مائة قدم من الاتجاهين،
 ١٦٥ ثم وضعوا الجثمان، وقلوبهم تدمى، على قمة المحرقة^(*).
 ثم قاموا بسلخ العديد من الخراف السمينة، والأبقار
 معقوفة القرون، بطيئة الحركة، أمام المحرقة وأعدوها.
 ومنها جميعاً جمع أخيليوس على الهمة الدهن ثم غطى به الجثمان

(*) يكتسب هذا الوصف الهومري محرقة باتروكلوس أهمية خاصة باعتباره أول وصف أدبي يصلنا لحرق الميت المكرم. وسنجد أصداء واسعة له عند الكثيرين من الأدباء الإغريق والرومان قسارن على سبيل المثال هيرودوتوس (62 IV). ونهاية "بنات تراخييس" لسوفوكليس و"هرقل فوق جبل أويتا" لسينيك، كما أن عملية تأليه الأباطرة الرومان بعد حرقهم تواصلت نفس التقاليد الموروثة راجع:

- من الرأس حتى القدمين، ثم أحاطه بالحيوانات التي تم سلقها؛
 ١٧٠ ثم وضع قدرين مملوئين بالعسل والزيت وقد أسندهما على النعش،
 ثم ألقى بسرعة في المحرقة بأربعة من الخيول، ذات الأعناق المشرببة.
 بينما كان يجهد بالبكاء المرير. وكان للأمير
 (أخيليوس وباتروكلوس) تسعة كلاب تربض بالقرب من المائدة،
 فألقى في المحرقة باثنين منها بعد أن دق عنقهما. كما ألقى باثني
 ١٧٥ عشر من أنبل أبناء الطرواديين البواسل، بعد أن ذبحهم بسيفه
 البرونزي. فقد كانت فكرة الانتقام الشنيع هي ما تشغل فؤاده.
 ثم أشعل في الكومة قوة النار التي لا تكل لتلتهم كل شيء.
 ثم صرخ باكيا، ومناديا صديقه الحبيب بالاسم، قائلاً:
 "أى باتروكلوس، تحية لك منى وأنت في منازل هاديس،
 ١٨٠ لقد نفذت كل ما سبق أن وعدتك به:
 فهؤلاء اثنا عشر من أنبل أبناء الطرواديين الشجعان
 تلتهم النار أجسادهم جميعاً مع جسدك. أما هيكتور
 بن برياموس فلن أسلمه طعاماً للنار، بل للكلاب".
 قال ذلك متوعداً، غير أن الكلاب لم تقرب جسد (هيكتور)،
 ١٨٥ فقد أبعدت أفروديتي ابنة زيوس الكلاب عنه، ليل نهار،
 بل ودهنته بالزيت المعطر برائحة الورد الأمبروسي (الخالد)،
 حتى لا يتسلخ جلده، أثناء سحبه هنا وهناك.
 ومن فوقه أتى أبوللون (فوبيوس) الوضاء بسحابة سوداء،
 تمتد من السماء إلى الوادي لتغطي كل المكان،
 ١٩٠ حيث الجثمان، كي لا تجفف لسعة الشمس الساطعة
 الجلد بكامله، فيما بين الأوتار وسائر الأعضاء.
 ولكن النار لم تشب في محرقة باتروكلوس الميت بسرعة.
 وعندئذ طرأت على ذهن أخيليوس، سريع القدمين، أفكار أخرى؛

- فابتعد قليلاً عن المحرقة، وأخذ يبتهل للرياح: بورياس (رياح الشمال)
 ١٩٥ وزيفيروس (الرياح الغربية)، ووعدهما بقرابين طيبة؛
 وبحماس بالغ سكب السكائب من كأسه الذهبي، وتوسل
 إليهما أن يحضرا، حتى يتم بسرعة حرق جثث الموتى بالنار،
 بعد أن تبدأ الأخشاب فى الاشتعال. وفى التو سمعت
 إيريس هذا الرجاء، فانطلقت تحمل الرسالة للرياح،
 ٢٠٠ فوجدتها مجتمعة على مأدبة زيفيروس، شديد العصف، داخل منزله،
 فتوقفت إيريس عن الاندفاع عندما اقتربت من المدخل الحجرى؛
 وعندما شاهدها (بورياس وزيفيروس) بعينيهما،
 هبا مسرعين، ودعاها كل منهما إلى جواره،
 غير أنها رفضت الجلوس، وخاطبتهما قائلة:
 ٢٠٥ "لا جلوس لى، إذ على أن أعود إلى جداول أوكيانوس،
 فى أرض الأثيوبيين، حيث يقدمون أضحيات ضخمة للخالدين،
 وحتى أستطيع أنا أيضا الحصول على نصيبى من هذه القرابين.
 ولكن أخيليوس يبتهل لحضور بورياس وكذلك زيفيروس
 العاصف، ووعد بقرابين طيبة، حتى تشعلوا نيران المحرقة،
 ٢١٠ حيث يرقد باتروكلوس، الذى يبكيه كل الآخين".
 هكذا تحدثت، وولت مدبرة؛ فهبا معا
 محدثين دويا شديدا، فدفعا أمامهما السحاب،
 ووصلا بسرعة إلى البحر فنفاخا فيه، فهاجت الأمواج
 ٢١٥ تحت صرير الرياح، حتى بلغا طروادة الخصبة.
 وما إن هبطا على المحرقة، حتى اندلعت النيران وتصاعد زئيرها.
 وظلت الرياح طوال الليل تضرب لهيب المحرقة بهبات عنيفة
 محدثة صغيرا شديدا. وظل أخيليوس السريع طوال الليل،
 ممسكا بكأس ذات مقبضين، يملؤها بالنبيذ من

- ٢٢٠ الطاس الذهبى، ثم يسكبها على الأرض فتمتصها فى الحال؛
مستدعيًا روح باتروكلوس البائس.
- ومثلما يحزن الوالد عندما يحرق عظام ولده حديث الزواج،
الذى أدت وفاته إلى إصابة والديه البائسين بالكرب العظيم،
هكذا كان حزن أخيلئوس عندما حرق عظام صديقه، فقد كان
يخطو خطوات ثقيلة حول المحرقة، ويبكى بلا انقطاع. وفى الوقت
الذى كانت نجمة الصباح تتابع دورتها كى تبعث الضوء فوق
الأرض؛ ثم تبعها الفجر بردائه الزعفرانى المنتشر فوق البحر،
فى ذلك الوقت بدأت نيران المحرقة تخبو شيئًا فشيئًا حتى
خمدت جذوتها. عندئذ عادت الرياح أدراجها مرة أخرى حتى
بلغت مستقرها، فى البحر الطراقي، الذى زأر موجه وازداد هياجه.
وعندئذ انسحب ابن بيليوس بعيدا عن المحرقة،
وقد أرقه التعب، ثم غلبه نوم هادىء. ولكن ابن أترئوس
وأتباعه كانوا يحتشدون، فأيقظ أخيلئوس تصايحهم وجلبة قدومهم،
فنهض من مرقدته واستوى جالسًا، ثم تحدث إليهم قائلاً:
- ٢٣٠ "يا ابن أترئوس، يا قادة كل الأخيين الآخرين،
أطفئوا أولا نيران تلك المحرقة بنبيذكم الأحمر،
حتى يخمد أوارها المتوهج؛ وبعد ذلك
لنجمع عظام باتروكلوس بن مينيوتئوس،
بعد أن نميزه جيدا، ومن السهل التعرف عليه
فهو ممدد فى وسط المحرقة، أما الآخرون
فقد احترقت أجسادهم عند الأطراف، الرجال والخيول مختلطين،
أما عظامه هو فلنلفها بطبقتين من الدهن، ثم نضعها فى جرة ذهبية،
حتى يحين أجلى وأغيب أنا نفسى فى هاديس.
- ٢٤٠ أما كومة الدفن (لباتروكلوس) فأسألکم ألا تكون هائلة، ولكن،
بما يتناسب مع حجمه، على أن تشيدوها، أيها الأخيون، فيما بعد

فسيحة ومرتفعة، أنتم يا من ستبقون من بعدى
فى السفن كثيرة المجاديف"

قال ذلك، فأذعنوا جميعاً لما أمر به ابن بيليوس، سريع القدمين،

٢٥٠ فأطفأوا فى البداية نيران تلك المحرقة بالنبيذ الأحمر
فى كل موضع بلغت النيران، حتى استقر الرماد فى العمق،
ثم بدأوا يجمعون، وهم يبكون، تلك العظام البيضاء للصيدق
المحبوب فى جرة ذهبية بعد أن لفوها بطبقتين من الدهن.

ثم وضعوها فى الخيمة بعد تغطيتها بقطعة من الكتان الناعم.

٢٥٥ وبعد ذلك رسموا دائرة القبر وأحاطوا القاعدة
بالأحجار، وأهلوا عليها التراب. فلما ارتفعت كومة الدفن،
عادوا إلى مقرهم . أما أخيليوس

فقد استبقى أفراد الجيش هناك، وأمرهم بالجلوس على مدى فسيح؛
ثم أحضر من سفنه العديد من الجوائز: مراجل،

٢٦٠ وأوانى ثلاثية الأرجل؛ خيول، وبغال، وثيران قوية؛
ونساء جميلة القد، وقطع من الحديد الرمادى.

فى البداية حدد (أخيليوس) جوائز رائعة لسائقى العربات الحربية

السريعة؛ فيأخذ الفائز الأول امرأة لا نظير لها فى براعة الأشغال

اليديوية، وإناء ثلاثى الأرجل بمقبضين، يتسع لاثنتين وعشرين معياراً.

٢٦٥ كما حدد للفائز الثانى فرسة، عمرها ست سنوات،
ولم تروض بعد وتحمل فى أحشائها مهراً صغيراً.

ثم حدد للفائز الثالث مرجل استحمام جميلاً جديداً لم تمسه النار،

فهو أبيض ناصع لونه، يتسع لأربعة معايير.

وللفائز الرابع حدد متقال تالنتين ذهبيين.

٢٧٠ أما الخامس فقد حدد له وعاءاً ذا مقبضين، لم تمسه النار من قبل.

بعد ذلك هب واقفاً، وألقى كلمة فى الأرجيين قائلاً:

- يا ابن أتريوس، يا كل الآخيين الآخرين المتسلحين
 بدروعهم الجيدة، ها هي جوائز سائقي العربات الحربية. تُعرض
 أمامكم في أرض السباق، ولو كان الآخيون يتسابقون الآن تكريمًا
 ٢٧٥ لشخص آخر (غير باتروكلوس)، لكنك قد حصلت على الجائزة
 الأولى وحملتها إلى خيمتي، فأنتم تعلمون إلى أي مدى تتفوق
 خيولي في السرعة، فهي خيول خالدة، كان الإله بوسيدون قد أهداها
 إلى والدي بيليوس، الذي أهداها بدوره لي.
 ولكني سأبقى أنا وخيولي الأصيلة ذات الحافر الواحد
 ٢٨٠ لأنها فقدت سائقها القوى والمجيد واللطيف
 الذي طالما دهن خصلات عرقها
 بزيت الزيتون، بعد أن يكون قد غسله بالماء الرائق.
 إنها تقف الآن بلا حراك، حزناً عليه وتلامس خصلات
 عرقها الأرض، إنها تقف ويعتصر الأسي قلوبها.
 ٢٨٥ أما أنتم يارجال كل الحشد تأهبوا، وكذا أي فرد من الآخيين يثق في
 خيوله وعربته المربوطة خلفها".
- هكذا تحدث ابن بيليوس، فتجمع سائقو العربات المشهورون
 بسرعتهم. نهض يوميلوس الأول بمراحل كثيرة، ملك الرجال
 الابن العزيز لأدميتوس، الذي يفوق الجميع في الفروسية، يثق في
 ٢٩٠ حصانه وفي متانة عربته. ثم تبعه ابن تيديوس، ديوميديس شديد البأس،
 وقد سرج في عربته خيول طروس، التي كان قد استولى عليها
 عنوة من آينياس الذي أنقذه أبوللون حينذاك من الأسر^(*).
 ثم نهض ابن أتريوس، مينيلائوس الأشقر،
 سليل زيوس، وقد سرج في عربته حصانين سريعين :
 ٢٩٥ آيشي الشقراء مهرة أجاممنون، وبودارجوس حصانه هو.

(*) راجع الكتاب الخامس بيت ٣٢٣ و٣٣٤. (الحرر)

- وكان إخيولوس بن أنخيسيس قد أهدى آيى لأجاممنون،
حتى لا يتبعه إلى مدينة إليوس، كثيرة الرياح العاصفة،
بل ولكى يبقيه حيا مستمتعا بحياته فى منزله؛ فقد منحه زيوس
ثراءً فاحشاً حيث يقيم فى مدينة سيكيون الفسيحة^(*). وقد وضع
مينيلاؤس آيى تحت النير، إذ كانت متلهفة على خوض السباق. ٣٠٠
- أما الرابع فكان أنتيلوخوس الذى أعد خيوله ذات العرف الجميل،
وهو الابن المرموق لنيستور، الملك ذى الروح السامية
ابن نيلئوس. أما خيوله سريعة الأقدام التى تجر العربة فقد ولدت
فى بيلوس. وقف والده (نيستور) إلى جواره وأسدى له نصائحه النافعة،
رجل حكيم ينصح من يدرك جيداً ما يسمع. قال: ٣٠٥
- "أى أنتيلوخوس، إنك حقا فى ريعان الشباب، وقد أحبك
زيوس وبوسيدون، وعلماك كل فنون الفروسية،
ولذلك فلست فى حاجة لأن أعلمك الكثير.
فأنت تعرف جيدا كيف تستدير حول علامة النهاية؛ ولكن خيولك
هى الأبطأ فى السباق، ولذلك أعتقد أن الحزن سيصيبك. ٣١٠
- لأن خيول الآخرين هى الأسرع؛ ولكن فرسانها أنفسهم
لا يفوقونك فى المهارة، ولا يعرفون أكثر مما تعرف أنت.
هيا إذن يا عزيزى، وفكر فى كل أساليب حسن التصرف.
حتى لا تفلت كل هذه الجوائز من بين يديك.
فبالفن والمهارة، لا بالقوة الجبارة، يتفوق قاطع الأخشاب. ٣١٥
- بالفن والمهارة يسيطر الربان على السفينة المسرعة،
فى بحر قاتم اللون كالنبيذ، بينما تتقاذفها الرياح.
بالفن والمهارة يتخطى سائق العربة الحربية سائقا آخر؛
أما ذلك الذى يثق فى خيوله وفى عربته،

(*) تقع سيكيون فى سهل فيما بين خليج كورنثة ومرتفعات البلوبونيسوس. راجع Pausanisa iii 41-6. (الخور)

- ٣٢٠ ويقوم بالاستدارة دون حذر، تارة هنا وتارة هناك، فإن خيوله ستحيد عن الطريق، ولن يستطيع أن يكبح جماحها. وأما من هو على دراية كافية بكل تلك الأمور، حتى وإن كان يسوق خيولاً أقل فإنه يثبت ناظريه على الهدف، ويستدير بالقرب منه، ومن البداية يشدد قبضته على اللجام المصنوع من جلد البقر،
- ٣٢٥ ويظل على ذلك وعينه ترأقب من يسبقه. سأريك الآن علامة النهاية الواضحة، والتي لا ينبغي أن تغيب عن ناظريك، فهناك قطعة من الخشب الجاف، منتصبة بارتفاع طولها فوق الأرض، وهي من شجر البلوط أو الصنوبر، لم تتحلل بعد بفعل الأمطار، تستند من الجانبين بقطعتين من الأحجار البيضاء،
- ٣٣٠ عند ملتقى طريقين، وحولها ينبسط مضمار السباق سلساً. وهي إما شاهد قبر لشخص قد مات منذ زمن بعيد، وإما نقطة النهاية والاستدارة لسباقات الأقدمين، وقد حددها الآن أخيليوس الإلهي، سريع القدمين علامة .
- وعليك أن تقود العربة وخيولك بالقرب منها، النهاية والاستدارة. عليك أن تميل داخل عربتك المزركشة
- ٣٣٥ إلى اليسار قليلاً، ثم تنخس الحصان الأيمن، منادياً عليه بصيحتك، ثم تطلق له العنان قليلاً من يدك. أما الحصان الأيسر فلتجعله يمر على مقربة من نقطة النهاية، حتى يبدو لك أن الجزء البارز من العجلة جيدة الصنع كاد يلامس سطح الأحجار، على أن تتحاشى ملامستها فعلاً،
- ٣٤٠ فقد يؤدي ذلك إلى إصابة الخيول، وتحطيم العربة؛ وهو ما يسعد الآخرون، ويخزيك أنت نفسك.
- ولذلك فينبغي عليك، يا عزيزي، أن تكون حكيماً وحذراً، لأنك إذا ما تجاوزت نقطة النهاية والاستدارة وسبقت الآخرين على مضمار السباق، فلن يلحق بك أحد ممن يسرعون فجأة ولن يتخطاك،
- ٣٤٥

- حتى ولو كان ممتطياً أريون^(*) الإلهي،
 حصان أدراستوس السريع، التي تنحدر سلالته من الآلهة،
 أو خيول لأوميدون الرائعة، التي ترعرعت في هذا المكان^(**).
- وما أن أنهى نيستور بن نيلبوس حديثه حتى أسرع
 بالجلوس في مكانه، بعد أن أفضى لابنه بخلاصة كل شيء. ٣٥٠
- أما الخامس فكان ميريونيس الذي أعد خيوله ذات العرف الجميل.
 وعندئذ سعدوا إلى عرباتهم، وضربوا القرعة وهز أخيلبوس
 الخوذة (التي بها شقافات القرعة)، فقفزت من بينها شقافة ابن نيستور،
 أنتيلوخوس؛ ومن بعده وقعت القرعة على يوميلوس السيد؛
 ومن خلفه ابن أتريوس، مينيلأوس ذائع الصيت برمحه. ٣٥٥
- ومن بعده وقعت القرعة على ميريونيس بدوره في السباق،
 وفي النهاية جاء دور ابن تيديوس، وهو الأقوى بكثير، للمشاركة في
 السباق بعربته. وعندئذ وقفوا جميعاً جنباً إلى جنب في صف واحد، وقد
 بين لهم أخيلبوس نقطة النهاية والاستدارة. على مبعدة في الساحة
 الممهدة؛ وبجوارها وضع من يراقب السباق وهو فوينيكس،
 شبيه الآلهة، وتابع والده، حتى يقرر الحقيقة. ٣٦٠
- لوح الجميع بسياطهم عالياً للخيول،
 ثم ضربوها باللجام، منادين عليها بصيحة عالية لتحميسها،
 فانطلقت مسرعة، عبر الوادي،
 بعيداً عن السفن، فتصاعدت الأتربة ووقفت تحت صدورها. ٣٦٥
- فيما يشبه السحابة أو العاصفة،
 كما تماوجت بشدة خصلات عرفها، بفعل الرياح.
 أحياناً كانت العربات تتحرك على الأرض الخصبة،

(*) كان للحصان أريون في الأساطير الإغريقية صوت إنسان، وهو الذي حمل أدراستوس آمناً من ساحة الوغى،
 راجع Pausanias IV 291. (المحرر)

(**) قارن وصف سباق العربات في مسرحية "إليكترا" لسوفوكليس أبيات ٧٠٩ وما يليه. (المحرر)

- وأحياناً أخرى كانت تندفع حتى كادت تسبح في الهواء. أما سائقوها
 ٣٧٠ فقد ظلوا واقفين في عرباتهم، يخفق قلب كل واحد منهم بشدة؛
 رغبة في الفوز؛ ولذلك كان كل واحد منهم يصيح عاليًا محفزًا خيوله
 فتقفز عاليًا في المضمار مثيرة عاصفة من التراب.
 وعندما في النهاية دارت الخيول السريعة دورتها الأخيرة،
 وارتدت عائدة صوب البحر الهائج، عندئذ ظهرت مهارة كل منهم،
 ٣٧٥ وبدأت الخيول في الركض بأقصى سرعتها، وفي التو
 تقدمت خيول (يوميلوس) سليل فيريس السريعة،
 ثم تبعتها خيول ديوميديس التي رباها طروس، كاملة الذكورة،
 ولم تكن بعيدة عنها بمسافة كبيرة، ولكنها كانت على مقربة منها،
 كما لو كانت على وشك أن تتخطى العربة التي تسبقها،
 ٣٨٠ حتى إن حرارة صهيلها كانت تلهب مؤخرة يوميلوس وكتفيه
 العريضين من الخلف؛ فقد كانت تقفز ورءوسها ملاصقة له،
 وكادت تتخطاه، أو تجعل فوزه غير مؤكد. لولا أن الإله
 أبوللون (فويبوس) الوضاء كان غاضباً من (ديوميديس) بن تيديوس،
 فأسقط السوط اللامع من بين يديه.
 ٣٨٥ عندئذ تساقطت الدموع من عيني (ديوميديس) من شدة تأثره،
 فقد رأى الخيول الأخرى تتقدم للأمام بسرعة مبتعدة عنه،
 بينما تتخلف خيوله؛ حيث كانت تتباطأ بلا مهماز.
 بيد أنه لم يفت أثينة خداع أبوللون
 لابن تيديوس، فأسرعت تعدو خلف راعي الشعب،
 ٣٩٠ وأعدت إليه السوط، بل وبثت الحماس في خيوله،
 ثم صبت جام غضبها على (يوميلوس) بن أدميتوس،
 فحطمت الإلهة نير الخيول؛ وعندئذ فرت الخيول بعيداً عن المضمار
 هنا وهناك، حتى تحطم محور العربة وسقط على الأرض.
 أما هو نفسه (يوميلوس) فقد سقط بعيداً عن العربة، بالقرب من

- ٣٩٥ عجلاتها. وقد تمزق جلد مرفقه وفمه وأنفه كاملا،
كما شجت جبهته من فوق حاجبيه؛ فاغرورقت عيناه
بالموع، كما احتبس صوته الرنان. انحرف عندئذ ابن تيديوس
بعربته قليلا حتى أحكم سيطرته على خيوله ذات الحافر الواحد،
وتقدم للأمام متخطيا الآخرين. فقد ألهبت أثينة
الحماس في خيوله؛ أما هو فمحتته المجد.
- ٤٠٠ ومن خلفه كان ابن أتريوس، مينيلأوس الأشقر.
وعندئذ صرخ أنتيلوخوس في خيول والده قائلاً:
"تقدما أنتما أيضا إلى الأمام بأقصى سرعة،
فأنا لا أطلب منكما التنافس مع
خيول ابن تيديوس البارح، فقد منحتها أثينة
السرعة كما منحته المجد، فلتلحقا إذن بخيول
ابن أتريوس بسرعة، ولا تتركاها تفلت منكما
حتى لا تصب عليكما أيثى كل اللوم
وهي ليست إلا مهرة. لماذا سبقكما الآخرون وأنتم الأفضل؟
وسوف أصارحكما القول بما سيحدث لكما بعدئذ،
فلن يوليكما نيسنور راعى الشعوب عنايته،
وسوف يقتلكما في الحال بسيفه البرونزي البتار،
إذا حصلنا على جائزة أدنى مرتبة، بسبب تقصيركما،
فإلى الأمام إذن ولتدفعا بأقصى سرعة لتلحقا بهم،
وسوف أتدبر بنفسى ذلك الأمر، وسأمعن النظر
في اجتياز ذلك الممر الضيق لنسبق الآخرين، ولن أغفل عن ذلك أبداً"
هكذا تحدث، فارتعدت فرائصها خوفا من توبيخ مليكها
وزادت من سرعتها لبعض الوقت، وعندئذ
شاهد أنتيلوخوس الباسل في القتال موضعاً ضيقاً في الممر المحفور

٤٢٠ وهو شرخ في الأرض كانت مياه الأمطار الشتوية تتجمع فيه،
 مما أدى إلى تحطم جزء من الطريق، حيث هبطت هذه البقعة بأكملها.
 أسرع مينيلأوس في ذلك المكان محاولاً تفادي تصادم العربات.
 أما أنتيلوخوس فقد انحرف قليلاً مبتعداً عن الطريق محكماً سيطرته
 على خيوله ذات الحافر الواحد، ثم عاد مرة أخرى إلى الطريق بعربته
 وأخذ يلاحق (مينيلأوس) حتى سارا جنباً إلى جنب.

٤٢٥ وعندئذ ارتعدت فرائص ابن أتريوس، وصاح في أنتيلوخوس قائلاً:

"أى أنتيلوخوس، إنك تقود الخيول بتهور، وينبغي أن
 تشكم خيولك في الحال لأن الممر ضيق؛ ويمكنك التخطي بعد
 ذلك حيث سيكون الطريق أكثر اتساعاً، فربما نتعرض كلانا
 للإصابة نتيجة التصادم بعربتي".

٤٣٠ هكذا تحدث إليه، أما أنتيلوخوس فقد استمر في القيادة
 بأقصى سرعة، دافعاً الخيول بالمهماز، وكأنه لا يسمع شيئاً.
 ومثلما يطير القرص، الذي يُقذفه من أعلى الكتف شاب يختبر قوته،
 هكذا كانت قوة اندفاع خيوله، مما أدى إلى تخلف خيول
 ابن أتريوس، فقد توقف هو نفسه وبقصد عن دفعها

٤٣٥ خوفاً من أن تتصادم بالخيول ذات الحافر الواحد في الممر،
 مما قد يؤدي إلى انقلاب العربتين المزركشتين، ويقع صاحباها
 على التراب بسبب جموح الرغبة في الفوز.
 وعندئذ وبخه مينيلأوس الأشقر، قائلاً:

٤٤٠ "أنتيلوخوس، لا يوجد بين البشر من هو أسوأ منك.
 أغرب عن وجهي إذن! لقد كنا نحن الأخيين حمقى حين
 زعمنا أنك حكيم، ولكنك لن تنال الجائزة دون قسم (*)".

(*) في أبيات ٥٨١ - ٥٨٥ يطلب مينيلأوس من أنتيلوخوس القسم بأنه لم يكن يبيت مكيدة ما أو شرّاً أثناء
 السباق. (الخور)

قال له ذلك، ثم صاح في خيوله قائلاً:
 "لا تبطنوا في سرعتكم، إياكم أن تتوقفوا برغم حزنكم، فسوف
 نلحق بالحصانين الآخرين عندما تصاب أرجلها ومفاصلهما بالإجهاد
 والتعب أكثر مما يصيبكم، فقد أصابتهما الشيوخة".

٤٤٥

قال ذلك، فارتعدت فرائصها خوفاً من صياح مليكها،
 وزادت من سرعتها، وبعد فترة وجيزة لحقت بالأخرى.
 فى تلك الأثناء، كان الأرجيون الجالسون فى مكان السباق
 يحملقون فى الخيول وهى تركض فى غمار عاصفة من التراب.
 وكان إيدومينيوس، قائد الكريتيين، أول من يتعرف على تلك
 الخيول؛ فقد كان يجلس بعيداً فى مكان مرتفع يطل على المنطقة
 بأسرها، وعندما سمع صوت الصائح. وعلى الرغم من بعد المسافة،
 إلا أنه تعرف عليه، وأدرك بوضوح ذلك الحصان الذى تجاوز الجميع.
 كستنائى اللون، فى جبهته علامة بيضاء مستديرة كالبرد.
 وعندئذ نهض واقفاً وتوجه بحديثه للأرجيين قائلاً:

٤٥٠

٤٥٥

"أيها الأعزاء، ياسادة الأرجيين وقادتهم،
 هل أرى وحدى تلك الخيول، أم أنكم ترونها أيضاً؟
 خيول أخرى تبدو لى فى المقدمة، وسائق آخر أيضاً
 هو الذى يظهر الآن، وتلك الخيول التى كانت فى المقدمة
 قد أصيبت وتخلفت فى المضمار، بعد أن كانت هى الأفضل.
 لقد شاهدتها فى المركز الأول وهى تستدير حول نقطة النهاية.
 أما الآن فلا أستطيع أن أراها هناك. تدور عيناى
 فى كل مكان من الوادى لتراها؟

٤٦٠

فربما سقط اللجام من يدي سائقها، ولم يستطع أن يتشبث به
 جيداً عند استدارته حول نقطة النهاية فلم يفلح فى الدوران.
 وأظنه قد سقط فى هذا المكان، بل وتحطمت عربته أيضاً.

٤٦٥

أما الخيول فقد انحرفت عن المضمار من شدة ذعرها.
ولكن قفوا جميعا ولتظنوا أنتم، فأنا لم أعد
أميز جيدا ما أراه، يبدو أنه أيتولى السلالة، وهو ملك الأرجيين الآن،
٤٧٠ إنه ديوميديس القوى، ابن تيديوس مروض الخيول".

عندئذ عنفه أياس السريع ابن أويليوس بشدة قائلا:
"أى إيدومينيوس، لماذا تتحدث كثيرا، وبتعجل؟ فتلك الخيول
السريعة مازالت هناك بعيداً، تركض في الوادى الفسيح،
٤٧٥ فلا أنت أصغر الأرجيين سناً، ولا أحدهم بصراً،
إنك تثرثر دائماً بصوت عال، غير أنه لا يليق بك أن تكون ثرثاراً،
عالي الصوت، فهناك من هم أفضل منك. أما بالنسبة
للخيول فمازالت فى المقدمة، تلك التى كانت فى المقدمة من قبل،
٤٨٠ وهى خيول يوميلوس، الذى يقف فى عربته ممسكا بلجامها".

فرد عليه قائد الكريتيين، وقد استبد به الغضب، قائلاً:
"أى أياس، الأبرع فى الإهانات، الأحمق فى الرأى،
والأسوأ فى كل شىء بين الأرجيين، ولك عقل عنيد.
٤٨٥ هيا إذن نراهن على موقد ثلاثى الأرجل أو مرجل،
ولنحتكم لدى ابن أتريوس، أجاممنون، على
أى الخيول سيكون فى المقدمة، وستعلم بعد أن تدفع الرهان".

قال ذلك، وعندئذ نهض فى الحال أياس السريع، ابن أويليوس،
غاضباً ليرد عليه بكلمات حادة لاذعة ؛
٤٩٠ وكاد الشجار بينهما أن يستمر
لولا تدخل أخيليوس بنفسه بينهما إذ قال:

"لم يعد هناك مجال بعد ذلك لتبادل الكلمات اللاذعة
والبذيئة، أى أياس وإيدومينيوس، كما أنه لا يليق بكما ذلك،
بل وكان الأجدر بكما أن تغضبا من أى شخص يفعل ذلك.

- ٤٩٥ فلتشاهدا معا تلك الخيول التي في المضمار، وأنتما جالسان؛
بينما ستسرع هي بالحضور ساعية للفوز،
وعندئذ سيتعرف كل منكما على خيول
الأرجيين، وأى منها في المرتبة الثانية، وأى منها في المقدمة"
هكذا تحدث. أما ابن تيديوس فقد استمر في تقدمه،
٥٠٠ وفي اقترابه منهم؛ حيث كان يقود عربته ضاربا خيوله
بالسوط بلا انقطاع، فكانت تقفز عاليا ناهية الطريق بأقصى سرعتها.
بينما تنهال ذرات التراب الكثيفة دائما على سائق العربة. أما عربته،
المكسوة بالذهب والقصدير، فكانت تندفع خلف الخيول سريعة الأقدام،
٥٠٥ حتى إن إطارات العجلات لم تكن تترك علامات في التراب.
وفي النهاية توقف في منتصف الدائرة، وقد تساقط العرق
الغزير على الأرض من رقاب الخيول وصدورها،
ثم قفز من العربة اللامعة على الأرض،
٥١٠ وأسند سوطه فوق النير. وعندئذ لم يتوان
ستينيلوس القوى، ولكنه أسرع للحصول على الجائزة،
وسلم لرفاقه النبلاء المرأة ليأخذوها معهم، وكذا الإناء
ثلاثي الأرجل، ذي المقبضين. ثم قام بفك الخيول من نير العربة.
ومن بعده وصل أنتيلوخوس سليل نيلبوس وهو يقود خيوله،
٥١٥ بعدما تخطى مينيلاؤس بالخدعة وليس بالسرعة.
بيد أن مينيلاؤس قاد خيوله المسرعة خلفه مباشرة.
على مسافة كتلك التي بين الجواد والعربة التي يجرها،
الجواد الذي يجر العربة بصاحبها عبر الوادي فيركض ركضاً
حيث تكاد أطراف شعر ذيل الجواد أن تلامس العجلة؛
٥٢٠ لأن العجلة كانت تجرى خلفها مباشرة
ولم يترك سوى مسافة ضئيلة. وهكذا كان مينيلاؤس
خلف أنتيلوخوس الذي لا نظير له.

- ففى البداية كان يبتعد عنه بمسافة تعادل رمية قرص،
غير أنه استطاع اللحاق به بعد ذلك بسرعة، بعدما ألهب حماس
٥٢٥ آيثى، فرسة أجاممنون، ذات العرف الجميل.
ولو طال السباق بينهما قليلاً لكان من المؤكد
أن يسبقه مينيلأوس ولما ترك النتيجة غير حاسمة.
ولكن ميريونيس، التابع الشجاع لإيدومينيوس،
جاء بعد مينيلأوس، ذائع الصيت، بمسافة تعادل رمية رمح.
٥٣٠ فقد كانت خيوله، ذات العرف الجميل، هى الأبطأ ؛
وكان ميريونيس نفسه الأقل مهارة فى قيادة العربة فى السباق.
وفى النهاية وصل ابن أدميتوس، متخلفاً عن الآخرين،
وكان يجر عربته الجميلة، ويقود خيوله أمامه.
وعندما رآه أخيلئوس الإلهى، سريع القدمين، أشفق عليه،
٥٣٥ فقام يخطب فى الأرجيين، بكلمات مجنحة قائلاً:
"لقد قاد أفضل الرجال خيوله ذات الحافر الواحد، وكان ترتيبه
الأخير؛ فهيا إذن، ولنقدم له جائزة تتناسب مع مهارته،
وهى جائزة المرتبة الثانية. أما الأولى فليحصل عليها ابن تيديوس".
قال ذلك، فأبدى الجميع موافقتهم على ما عرضه عليهم،
٥٤٠ وكادوا أن يقدموا له الحصان، حيث وافق الآخيون على ذلك
فيما عدا أنتيلوخوس بن نيسطور، سامى الروح،
الذى نهض ورد على أخيلئوس بن بيلئوس مطالباً بحقه قائلاً:
"أى أخيلئوس، سأغضب منك بشدة إذا ما نفذت
كلمتك هذه، لأنك ستنتزع بذلك الجائزة منى،
٥٤٥ زاعماً أن الأذى قد أصاب عربته وحصانیه السريعين،
بينما هو نفسه شخص متميز؛ ولكن كان ينبغى عليه أن يضرع
للآلهة الخالدين، عندئذ ما كان آخر من وصل فى السباق.

- أما إذا أشفقت عليه، وكان عزيزاً على قلبك،
فبداخل خيمتك الكثير من الذهب والكثير من البرونز،
والأغنام؛ لديك أيضاً السبايا والخيول ذات الحافر المتين،
وما عليك إلا أن تأخذ من بين كل ذلك جائزة كبرى وتمنحه إياها
الآن وفي التو، وسوف يوافقك الآخيون على ذلك.
أما جائزتي هذه فلن أعطيها لك؛ ودعه يلمسها من يرغب
في منازلتي بالقتال"
- ٥٥٠
- قال ذلك، فابتسم أخيليوس الإلهي، سريع القدمين،
مسروراً بأنتيلوخوس، رفيقه العزيز، ثم رد بكلمات مجنحة قائلاً:
"أى أنتيلوخوس، أما وقد طلبت مني أن أمنح من
منزلي هدية أخرى ليوميلوس، فسوف أفعل،
وسأقدم له درع الصدر الذي انتزعتَه من أستيروبايوس،
وهو مصنوع من البرونز، ومقوى من حافته
بقصدير لامع. وسيكون بالنسبة له ذا قيمة كبيرة"
- ٥٦٠
- قال ذلك، ثم طلب من رفيقه العزيز أوتوميدون
أن يأتي بالدرع من خيمته، فأسرع وأحضره،
ثم وضعه بين يدي يوميلوس، فتقبله بفرح شديد.
وعندئذ نهض مينيلائوس من بينهم حزينا،
وهو في شدة الغضب من أنتيلوخوس؛ وقد وضع
الخادم الصولجان في يده، ثم طلب من الأرجيين الصمت.
حينئذ خاطبهم ذلك الرجل، شبيه الآلهة، قائلاً:
"أى أنتيلوخوس، يامن كنت معروفاً من قبل بفطنتك، ما هذا
الذي فعلت! لقد أسأت إلى سمعتي ومهارتي، كما أسأت إلى خيولي
عندما دفعت أمامها بخيولك التي كانت الأسوأ منها بكثير.
ولكن هيا إذن، بإقادة الأرجيين وسادتهم،
- ٥٧٠

- ولتحكموا بيننا بالعدل، دون أدنى تحيز لأى منا نحن الاثنين،
 حتى لا يقول أحد من الآخيين، لابسى البرونز فيما بعد:
 ٥٧٥ لقد فاز مينيلأوس بأكاذيبه على أنتيلوخوس،
 وغادر بعد أن حصل منه على الحصان، لأن خيول (مينيلأوس) كانت
 الأسوأ بكثير، أما هو نفسه فهو الأفضل دائما فى المهارة وفى القوة.
 ولكن دعونى، أنا بنفسى أعلن الحكم الصحيح، وأنا على يقين
 ٥٨٠ أنه لن يعارضنى أحد من الدانائيين، لأن حكمى سيكون حكما عادلا،
 تعال هنا إذن، أى أنتيلوخوس، ياربيب زيوس - كما جرت العادة،
 ولتقف أمام خيولك وعربتك، ثم أمسك فى يدك بهذا السوط
 اللدن، الذى كنت تستخدمه من قبل فى قيادة عربتك،
 ثم وأنت تلامس خيولك بيديك، أقسم بمن يمسك بالأرض
 ٥٨٥ ويزلزلها، بأنك لم تعتمد إلى تعطيل عربتى بالخداع".
 وعندئذ أجابه المعروف بفطنته قائلاً:
 "فلتوقف الآن. فأنا أصغر منك سناً،
 أيها الملك مينيلأوس، أما أنت فأكبر سناً وأكثر تفوقاً؛
 ولكنك على دراية تامة بطبيعة التجاوزات التى يقدم عليها أى شاب،
 ٥٩٠ فهو متعجل فى تفكيره، ضيق الأفق فى إدراكه .
 ولذا فليكن قلبك صبوراً؛ أما تلك المهرة التى فزت بها
 سأقدمها لك بنفسى، بل وإن رغبت
 فى شىء أكبر من ذلك من مقتنياتى، فسوف أقدمها لك فى الحال.
 وإلا، ياربيب زيوس، فلتخرجنى من قلبك
 ٥٩٥ على الدوام، فأصبح عاصياً للآلهة".
 قال ذلك، ثم توجه ابن نيستور، سامى الروح، بالمهرة
 ووضعها بين يدى مينيلأوس، فانفض قلبه -
 مثلما يحدث عندما تتساقط قطرات الندى على بذور القمح،

- وهي تنمو، فشقت الأرض ببطء وربت وامتلأت الحقول بالحفيف.
- ٦٠٠ هكذا كان حالك يا مينيلائوس، فقد انتفض قلبك سروراً في صدرك. وعندئذ خاطبه (مينيلائوس) بكلمات مجنحة، وقال:
- "أى أنتيلوخوس، الآن فقط سوف أكبح جماح غضبي، لأنك لم تكن من قبل طائشاً أو متهوراً، أما الآن فقد تغلبت رعونة الشباب على راحة عقلك، عليك أن تتحاشى خداع أولئك الأفضل منك ثانية، ولم يكن ليثينيى أى شخص آخر من الأخيين عن رأى بهذه السرعة. ولكنك قد عانيت أنت أيضاً كثيراً، كما أجهدت نفسك كثيراً من أجلى^(*)، أنت ووالدك الطيب، وأخوك^(**).
- ولذلك فسوف أقبل رجاءك، وأقدم لك تلك المهرة، على الرغم من أنها قد أصبحت لى، حتى يدرك هؤلاء القوم أننى لست متعجرفاً، أو متبلد الحس".
- ٦١٠ قال ذلك، ثم قدم لنوثيمون رفيق أنتيلوخوس المهرة ليقتادها، ثم احتفظ لنفسه بالمرجل اللامع. أما ميريونيس فقد فاز بتالنتين ذهبيين، حيث وصل فى المرتبة الرابعة. أما الجائزة الخامسة فلم يحصل عليها أحد، وهى كأس ذو مقبضين وهنا حمله أخيليوس وسط جموع الأرجيين، ثم اقترب من نيستور، وأهداه إليه قائلاً:
- ٦١٥ "الآن هو لك، أيها الشيخ الكبير، فلتحتفظ به تذكراً من دفن ياتروكلوس، لأنك لن تراه بعد الآن بين الأرجيين، ولذلك فأنا أمنحك هذه الجائزة، وأيضا لأنك لن تشارك فى الملاكمة، ولا المصارعة، كما أنك لن تشارك فى منافسات الرمي بالرمح، أو الجرى بالأقدام

(*) يعنى بمجنههم إلى طروادة لاسترداد هيلينى. (المحرر)

(**) يعنى ثراسيميديس. (المحرر)

فقد أنقلت كاهلك الشيخوخة"

قال ذلك، ثم وضعه بين يديه، أما هو فقد قبله فرحاً،

٦٢٥

ثم خاطب (أخيليوس) بكلمات مجنحة، قائلاً:

"حقاً، يا بنى. إنك على صواب فى كل ما قلت،

فلم تعد لى، يا عزيزى، أطراف قوية، أى القدمان، ولم يعد

الذراعان يتحركان بخفة من الكتفين فى هذا الاتجاه أو ذاك.

ليتنى كنت شاباً، أو أملك تلك القوة الجبارة،

٦٣٠

التي كانت لى عندما وارى الإيبيون ملكهم أمارينكيوس التراب

فى بوبراسيون. وقد رصد أبناء الملك العديد من الجوائز.

فى ذلك الحين لم يكن هناك من يماثلنى من الرجال، لا من الإيبين،

أو من أهل بيلوس أنفسهم، أو من الأيتوليين الطيبين.

ففى الملائمة تغلبت على كليتوميديس بن إنوبس؛ وفى المصارعة على

٦٣٥

أنكايوس من بليورون (فى أيتوليا) الذى واجهنى.

أما فى الجرى فقد تخطيت إفيكلوس الذى كان سريعاً،

وفى رمى الرمح تفوقت على فيليوس، وأيضاً على بوليدوروس.

ولكن فقط فى سباق العربات تخطانى ابنا أكتور، حيث بفضل كثرة

عددهم^(*)، دفعوا خيولهم إلى الأمام وقد ركبهم الطمع فى الفوز.

٦٤٠

حيث خصصت الجوائز الكبرى لهذا السباق.

كانا توأماً يقود أحدهما الخيول بثبات،

أما الآخر فكان يأمرها بالإسراع مستخدماً السوط.

هكذا كنت ذات يوم. أما الآن فليواجه الأصغر سناً مثل هذه الأعمال.

وبالنسبة لى فيجب على الإذعان لشيخوختى الثقيلة.

(*) واجه الشراح مشكلات حمة فى تفسير هذه الفقرة. ويقول فقيه الإسكندرية أريستارخوس إن ابنى أكتور استغلا طبيعة شكلهما الخلقية المركبة، إذ كان لهما جسد برأسين وأربعة أذرع وأربعة أرجل. وتم تجاهل اعتراض نيستور فى السباق على ذلك، وبعض الشراح الآخرين يقدمون تفسيرات أخرى منها:

١- أن ابنى أكتور أدخلوا إلى المضمار أكثر من عربة فعضلا طريق المتسابقين الآخرين.

٢- أن غالبية المحكمين انحازوا لهما منذ البداية. (المحرر)

- ٦٤٥ مع أنني كنت في الأيام الخوالي مرموقاً بين الأبطال.
أما أنت، فاذهب الآن وكرّم مثنوى صديقك بإقامة المسابقات الرياضية.
وأقبل هذا الكأس بكل ترحاب، فمما يسعد قلبي
أنك دائماً ما تتذكرني بمودة. ولم تنس
أن تقدم لى التكريم الذى يتناسب مع مكانتى بين الأخيين،
ولتكافئك الآلهة فى مقابل ذلك بما يرضى قلبك"
- ٦٥٠ وعندما انتهى من حديثه غادر ابن بيليوس المكان عبر جموع
الأخيين، بعدما استمع إلى ذلك المديح من (نيستور) بن نيلوس.
وعندئذ عرض جوائز مسابقة الملائمة المؤلمة:
فأحضر بغلاً قوياً، ثم قيده فى مكان الحشد، له من العمر ست سنوات،
لم يتم ترويضه بعد؛ حيث كان من العناد بما يصعب
ترويضه. ثم حدد للمهزوم كأساً ذا مقبضين.
وعندئذ وقف (أخيلوس) وخاطب الأرجيين قائلاً:
"يا ابن أترىوس، وكل الأخيين الآخرين المسلحين جيداً بالدروع
فلنطلب من رجلين من أفضل رجالنا
أن يرفعا أيديهما ويتلاكما. ولمن سيمنحه أبوللون
قوة تحمل كبيرة، وهو ما يشهد به كل الأخيين،
فليقتاد هذا البغل القوى ويعود به إلى خيمته.
أما المهزوم فسوف يحمل معه ذلك الكأس ذا المقبضين".
وعندما انتهى من حديثه، نهض رجل قوى، ضخم البنيان،
على دراية تامة بالملائمة، وهو إيبوس بن بانوبيوس،
ووضع يده على البغل القوى، ثم قال:
"فليقترب إذن ذلك الذى سيفوز بجائزة الكأس ذا المقبضين.
وأما البغل فلن يحصل عليه شخص غيرى من الأخيين،
بعد الفوز فى مسابقة الملائمة. فأنا أباهى بأنى الأفضل فيها.

- ٦٧٠ ألا يكفي أنى أقل كفاءة فى القتال؟ وبالطبع لا يمكن
لامرىء أن يتفوق فى كل ما يقوم به من أعمال.
سأشرح لكم بوضوح كيف ستسير الأمور:
سأمزق لحم غريمى وأسحق عظامه،
ولينتظره هنا كل رفاقه المقربون مجتمعين،
ليحملوه مقهورا بهاتين القبضتين".
- ٦٧٥ هكذا تحدث، بينما لاذ الجميع بالصمت،
وعندئذ نهض لمواجهة يوربالوس، شبيه الآلهة،
ابن الملك ميكيستيوس بن تالاؤس،
الذى ذهب ذات مرة إلى مدينة طيبة عند مواراة أويديبوس (أوديب)
فى قبره. وتغلب فى ذلك الحين على كل أبناء كادموس. وقد أبدى
٦٨٠ (ديوميديس) ابن تيديوس، ذائع الصيت فى استخدام الرمح، تأييده له،
وبث فى نفسه كلمات حماسية، مع أطيب تمنياته له بالفوز.
فى البداية ألبسه حزاما، ثم قدم له بعد ذلك سيورا جميلة
القطع من جلد ذلك البقر الذى يعيش فى المزرعة. وبعد أن ارتدى
كل منهما حزامه، تقدما معا إلى منتصف ساحة المباراة.
٦٨٥ وفى وقت واحد، رفع كل منهما يديه القويتين فى مواجهة الآخر،
ثم اندفع كل منهما نحو منافسه، وتشابكت أيديهما القوية، ثم تلاحقت
الضربات القوية على فكيهما، ودوى اصطكاك الأسنان، وتساقط العرق
الغزير من جسديهما فى كل مكان. وعندئذ تحمس إيبوس الإلهى
٦٩٠ ثم لكمه فى فكه بقوة، زاغت عيناه، ولم يستطع الوقوف على قدميه
لمدة طويلة، فقد تفككت مفاصل قدميه المجيدة وخر
على الأرض، كالمسكة التى تقفز عاليا مع الرياح الشمالية (بورياس)
صوب الشاطئ الممتلىء بالطحالب البحرية، فتغطيها موجة قاتمة.
هكذا قفز (يوربالوس) عاليا عندما لكمه، غير أن إيبوس، ذو
٦٩٥ القلب الكبير، أمسكه بيديه، ثم أوقفه على قدميه، وعندئذ التف حوله

- رفاقه الأعزاء، ثم حملوه بعيداً عن الساحة التي يحتشدون حولها،
بقدميه المتناقلتين على الأرض،
وقد نزف دماً غزيراً، أما رأسه فكانت تميل في هذا الاتجاه وذلك.
وبعد أن حملوه، ثم أجلسوه وسطهم، فاقداً وعيه،
أسرعوا بإحضار الكأس ذا المقبضين التي فاز بها.
- ٧٠٠ وبعد ذلك عرض ابن بيليوس بسرعة جوائز أخرى للمسابقة
الثالثة، وهي خاصة بالمصارعة المنهكة، وأظهرها للدانائيين:
يحصل الفائز على وعاء ثلاثي الأرجل يوضع فوق النيران،
يُقدر الآخيون قيمته فيما بينهم باثني عشر ثوراً.
أما المهزوم فقد وضع له امرأة في وسط المكان، وهي على دراية
تامة بالعديد من الأعمال اليدوية الدقيقة، وتقدر قيمتها بأربعة ثيران.
- ٧٠٥ وبعد ذلك وقف (أخيليوس) ليخاطب الأرجيين قائلاً:
"فلينهض كل من يرغب منكم في المشاركة في هذه المباراة".
قال ذلك، فنهض أياس العظيم بن تيلامون،
ثم تبعه أوديسيوس، كثير الدهاء، والخبير بكل ألوان الحيل.
وبعد أن ارتدىا حزاميهما، تقدما إلى منتصف ساحة المباراة،
ثم أمسك كل منهما بالآخر، وتشابكت أيديهما القوية،
كالعوارض الخشبية المائلة التي يقوم بربطها أحد الفنيين ذائع الصيت،
في سقف المنزل الشاهق، كي يستطيع مقاومة الرياح العاتية.
فارتفع صرير ظهورهم من قوة يديهما، حيث
ضغط كل منهما على الآخر بشدة، ففاض العرق أنهاراً،
وبدأت آثار الضربات تظهر على الأجانب وفوق الأكتاف
بلون الدم الأحمر. بيد أنهما استمرا في النزال
رغبة منهما في الفوز بالوعاء ثلاثي الأرجل جيد الصنع.
ورغم ذلك فلم يستطع أوديسيوس أن يلقي به أو أن يطرحه أرضاً،

٧٢٠ كما لم يستطع أياس أيضا، فأوديسيوس القوى يمتلك قوة هائلة.
ولكن عندما تسرب نفاذ الصبر إلى الأخيين، المسلحين بدروع جيدة،
حينئذ خاطبه أياس العظيم، بن تيلامون، قائلا:

"ياربيب زيوس، يا ابن لائيرتيس، أوديسيوس واسع الحيلة، إما أن
ترفعى لأعلى، وإما أن أرفعك أنا، وكل الأمور ستعود لإرادة زيوس"

٧٢٥ قال ذلك، ثم حاول أن يحمله لأعلى، غير أن أوديسيوس لم
ينس حيله، وضربه في التجويف خلف ركبته، فنجح في ذلك واختل
توازن (أياس) فسقط على ظهره؛ وجثم أوديسيوس على صدره. وكان
أفراد الجيش في ذلك الحين ينظرون إليه بإعجاب وتقدير شديدين،
ثم حاول أوديسيوس الإلهي، قوى التحمل، أن يرفعه إلى أعلى بدوره،
ورفعه قليلا عن الأرض ولكنه لم يستطع رفعه تمامًا،

٧٣٠ والنفث ركبته بركبة أياس، وعندئذ سقطا معا على الأرض،
كل منهما بجوار الآخر، يغمرها التراب،
ثم حاولا النهوض مرة ثالثة لمواصلة النزال،
لو لم يمنعهما أخيلوس بنفسه قائلاً:

٧٣٥ "لا تتصارعا أكثر من ذلك، ولا تهلكا نفسيكما،
فالنصر حليفكما معاً، وسوف تحصلان على جائزتين متساويتين،
انصرفا إذن، وليتنافس رجال آخرون من الأخيين".

هكذا قال، فاستمعا لقوله وأطاعا أمره،

فأزال كل منهما التراب عن جسده، ثم ارتديا عباءتيهما.

٧٤٠ بعد ذلك عرض ابن بيليوس جوائز أخرى لمسابقة سرعة الجرى،
وهي وعاء من الفضة لمزج النبيذ بالماء، فخم في زخرفته، ويتسع لستة
معايير، وعاء ليس له مثل في كل أرجاء الأرض من حيث الجمال،

- فقد صنعه أهل صيدا(*) المهرة بدقة فائقة،
ثم حملة الفينيقيون معهم عبر البحر المظلم بالسحب الكثيفة،
وبمجرد أن وصلوا إلى الميناء، قاموا بإهدائه إلى ثواس،
٧٤٥ ثم منحه بعد ذلك إيونيوس بن ياسون (حفيد ثواس)
للبلبل باتروكلوس فدية ليكاؤن بن برياموس.
والآن رسده أخيليوس جائزة لتكريم صديقه،
للكثر خفة والأكثر سرعة في الجرى بقدميه.
٧٥٠ وللفائز الثاني عرض ثورا ضخما ممثلا بالشحم.
أما الفائز الأخير فقد وضع له نصف تالنت من الذهب.
وعندئذ شب (أخيليوس) واقفا، ليخاطب الأرجيين قائلاً:
"فلتنهضوا، يامن ترغبون في المشاركة في هذا السباق".
قال ذلك، فنهض في الحال ابن أويليوس، أياس السريع،
٧٥٥ ثم تبعه أوديسيوس، واسع الحيلة؛ ثم ابن نيستور،
أنتيلوخوس؛ فقد تفوق من قبل على كل الشباب في الجرى بقدميه.
وقف الجميع على خط واحد، وقد بين لهم أخيليوس نقطة
النهاية والاستدارة. وحدد لهم طريق العودة منها، فلما انطلقوا
بعد برهة أصبح ابن أويليوس في المقدمة بسرعة، وقد تبعه أوديسيوس
الإلهي، وأصبح على مقربة منه، كاقتراب عصا الغزل من
٧٦٠ صدر امرأة ذات حزام جميل، عندما تمسكها جيدا بيدها وهي تشد
خيط الغزل عبر السداة ببراعة،
تمسك العصا على مقربة من صدرها. هكذا كان أوديسيوس يدعو في
إثره؛ حتى إنه قد وطأ بقدميه آثار قدميه، قبل أن يغطيها الغبار المثار،
٧٦٥ بل ودائما ما كان أوديسيوس الإلهي ينفث أنفاسه فوق رأسه،

(*) من الواضح أن الفينيقيين قد انتشروا في البحر المتوسط كله بما في ذلك بحر إيجه، وعرف عبر تلك المناطق أن أهل صيدا هم أمهر الصناع وأبرعهم.. واشتهرت أعمالهم. ومن الملاحظ أن هومروس في هذا السياق يميز مهارة أهل صيدا الصناعية عن شهرة التجارة الفينيقية بصفة عامة، وراجع المقدمة. (المحرر)

وهو يسرع الخطى رغبة منه فى الفوز. ولذلك صاح كل الآخيين بقوة لتشجيعه وحثه على الإسراع باذلاً أقصى جهده. ولكن عندما وصل المتسابقون إلى الجزء الأخير فى السباق، توجه أوديسيوس فى الحال بالدعاء من كل قلبه للإلهة أثينة، ذات العينين الزرقاوين وقال:

- ٧٧٠ "أيتها الإلهة، استجيبى لدعائى، وكونى خير معين لقدمى"
قال ذلك متضرعاً، فاستجابت له الإلهة أثينة باللاس،
وبثت فى أعضائه الخفة والرشاقة، من قدميه حتى أعلى ذراعيه.
وبينما كانوا على وشك الانطلاق للحصول على الجائزة زلت قدما
أياس وهو يجرى، وانكب على وجهه - فقد أعاقته الإلهة أثينة
فى ذلك المكان حيث تتأثر روث الثيران التى
ذبحها أخيلئوس سريع القدمين وهى تخور بشدة، من أجل باتروكلوس.
وبروث الثيران هذا امتلاً فم وأنف (أياس).
وهكذا حصل أوديسيوس الإلهى، كثير التحمل، على الوعاء
ورفعه عالياً؛ فقد وصل قبلهم جميعاً، أما آياس المجيد فقد حصل
على الثور، وقد نهض ممسكاً بيديه قرن الثور ربيب الحقول،
٧٨٠ باصفاً الروث من فمه وخاطب الأرجيين قائلاً:
"واحسرتاه، لقد عرقلت الإلهة قدمى، تلك التى كانت من قبل
وعلى الدوام بمثابة الأم لأوديسيوس، تسانده وتعينه".

قال ذلك، فضحك الجميع فى سرور.

- ٧٨٥ وحصل أنتيلوخوس مرة أخرى على جائزة المركز الأخير،
فابتسم، ثم تحدث إلى الأرجيين قائلاً:

"أيها الأعزاء، دعونى أخبركم بشيء أنتم جميعاً على دراية به،
فحتى الآن تبجل الآلهة الخالدة كبار السن من البشر؛ فأياس أكبر
منى سناً بقليل، أما هذا (أوديسيوس) فهو من الجيل السابق

٧٩٠ من البشر الأقدمين. إنه الكهل اليافع كما يقولون، ومن الصعب على
أى من الآخيين أن يجاريه في العدو بالقدمين، فيما عدا أخيليوس".
قال ذلك، ممجداً ابن بيليوس، سريع القدمين.
وعندئذ أجابه أخيليوس مخاطباً إياه بهذه الكلمات:

٧٩٥ "أى أنتيلوخوس، إن هذا المديح المستطاب لن يذهب سدى،
وسوف أزيدك نصف تالنت آخر من الذهب".
قال ذلك، ثم وضعه بين يديه، فتقبله فرحاً.

بعد ذلك أحضر ابن بيليوس رمحا ذا ظل طويل
ووضعه في مضمار السباق، كما أحضر درعاً وخوذة؛
وهي أسلحة ساربيدون^(*) التي كان باتروكلوس قد غنمها منه،
ثم هب واقفاً وخاطب الأرجيين قائلاً:

"فلتستدعى محاربين من بينكم، على أن يكونا الأفضل،
لتسلحهما بأسلحتهما وبالبرونز الحاد قاطع اللحم،
وليتبارزا فيما بينهما أمام هذا الحشد الكبير،
ومن يسبق منهما الآخر في إصابة لحم الآخر الرقيق،
أو يلامس الأجزاء الداخلية، مخترقاً الدروع، ومسيلاً دما داكنا،
فله سأقدم هذا السيف الطراقى الجميل،

٨٠٥ المزخرف بالفضة، والذي انتزعتّه من أستيروبايوس.
أما تلك الأسلحة التي أمامكم فليتنقاسمها الاثنان معاً،
كما سنجهاز لهما وليمة طيبة في خيامنا".

٨١٠ قال ذلك، فهض أياس العظيم، بن تيلامون،
كما نهض أيضاً ابن تيديوس، ديوميديس العتيد،
وبعد أن تسلح كل منهما على جانبي الحشد،
والتقيا في منتصف الساحة، وهما يتلهفان للمبارزة،

(*) راجع الكتاب السادس عشر آيات ٦٦٣-٦٦٥. (الحرر)

- ٨١٥ يرمق كل منهما الآخر بنظرات حادة ؛ وغلبت الدهشة كافة الأخيين.
وعندما اقتربا وتقدم كل منهما إلى الآخر،
هاجم كل منهما الآخر ثلاث مرات، واصطدما ثلاث مرات،
عندئذ أصاب أياس درع (ديوميديس) شديد التوازن من كل جانب،
ولكنه لم يصل إلى جسده، فقد حماه واقى الصدر.
- ٨٢٠ أما ابن تيديوس فقد حاول مرارا أن يصل بحد حربته البراقة،
إلى عنقه فوق الدرع الكبير
فانتاب الأخيين شعور مريع بالخوف على أياس،
وطالبوهما بالتوقف عن النزال على أن ينالا جوائز متساوية.
ولكن البطل (أخيلئوس) منح ابن تيديوس السيف الكبير
بغمده، كما منحه الحزام الجلدى الخاص به، والمصنوع بمهارة.
- ٨٢٥ بعد ذلك أحضر ابن بيليوس كتلة من الحديد الخام،
كان إئيبيون اعتاد أن يقذفها فيما مضى.
ولكن بعد أن قتله أخيلئوس الإلهى، سريع القدمين،
حملها معه إلى سفينته، مع ممتلكاته الأخرى.
- ٨٣٠ وعندئذ هب (أخيلئوس) واقفا، ثم خاطب الأرجيين قائلاً:
"فلتتهضوا يامن ترغبون فى المشاركة فى هذه المسابقة،
فمن كانت له حقول خصبة هناك بعيدا عن المدينة،
فستكون له كفايته من الحديد على مدار خمسة أعوام،
ولن تكون به حاجة إلى أن يذهب راعى أغنامه أو القائم على محراثه
إلى المدينة. فهذا الحديد يسد حاجته"
- فلما قال ذلك نهض بوليبيوتيس شديد البأس فى القتال، ثم
ليونئوس القوى، شبيه الآلهة، ثم أياس بن تيلامون، ثم إبيوس الإلهى.
وقفوا جميعا فى صف واحد، وحينئذ أمسك إبيوس الإلهى بكتلة الحديد.
وبعدما أدارها فى يده، قذفها بعيدا ؛ فضحك الأخيون جميعا.
- ٨٤٠

- ثم تبعه ليونتيوس، تابع آريس، وألقى بها.
أما الثالث فكان أياس العظيم، بن تيلامون، الذى قذف بها أيضا
بيده القوية، فتخطى كل العلامات.
وعندئذ أمسك بوليبيوتيس شديد البأس فى القتال بكتلة الحديد،
و بمقدار ما يقذف راعى البقر بعصاه فتطير فوق قطيع الأبقار،
تخطت رميته كل المضمار، فصاح الجميع مهللين.
ونهض أتباع بوليبيوتيس القوى،
وحملوا جائزة ملكهم إلى السفن المجوفة.
- ٨٤٥
ومرة أخرى وضع (أخيلوس) جائزة من الحديد لرماة السهام:
عشر بلطات ذوات الحدين، وعشر أخرى ذوات الحد الواحد.
ثم ثبت بعيداً فى الرمال صارياً لسفينة سوداء المقدمة، وبخيوط رفيعة
ربط فيه حمامة رعاشة، ثم طلب منهم التصويب عليها قائلاً:
٨٥٥
"من ينجح فى إصابة تلك الحمامة الرعاشة فسوف يحصل
على كل البلطات هذه ذات الحدين، ويحملها معه إلى منزله.
أما من ينجح فى إصابة الخيط ويخطئ الطائر، سيكون الأقل
نجاحاً فى التصويب، وسيحمل معه البلطات ذات الحد الواحد".
قال ذلك، فنهض الملك تيوكروس القوى،
ثم تبعه ميريونيس، التابع الشجاع لإيدومينوس.
٨٦٠
وعندئذ وضع كل منهما شقافة القرعة فى خوذة برونزية، ثم قاموا
بهزها، فوقعت القرعة على تيوكروس ليبدأ فى التصويب.
وفى الحال أطلق سهماً بقوة، وفاته أن ينذر بتقديم أضحية
كبيرة من الأغنام صغيرة السن للإله (أبوللون).
٨٦٥
ولشدة غضب الإله أبوللون منه، فقد جعله يخطئ الطائر؛
ولكنه نجح فى إصابة الخيط، على مقربة من قدم الطائر المربوط.
وهكذا فقد مزق السهم الحاد الخيط،

- وعندئذ انطلق الطائر إلى عنان السماء، بينما سقط
الخيط على الأرض، فأطلق الآخيون صيحاتهم المدوية.
- ٨٧٠ ولكن ميريونيس اختطف على الفور القوس من يد تيوكروس،
وكان قد أعد السهم سلفاً، بينما كان تيوكروس يقوم بالتصويب.
وبسرعة نذر للإله أبوللون، رامى السهم عن بُعد،
أن يقدم له أضحية كبيرة من الأغنام صغيرة السن.
وفى الفضاء شاهد الحمامة الرعاشة أسفل السحب؛
- ٨٧٥ وبينما كانت تطير فى دائرة، نجح فى إصابتها
فى المنتصف تحت جناحها، فاخترقها السهم حتى الجانب الآخر،
فهبطت إلى الأرض فوراً أمام قدمى ميريونيس.
انتفضت الحمامة فوق الصارى المأخوذ من سفينة سوداء المقدمة.
فتدلى عنقها، ثم هوت وجناحها ينتفضان بشدة، فرفرت روحها
بسرعة مبتعدة عن جسدها، وحطت بعيداً عن الصارى.
- ٨٨٠ وكان أفراد الجيش يحملقون فيما يحدث وهم فى دهشة.
وحمل ميريونيس كل البلطات العشر ذات الحدين،
بينما حمل تيوكروس معه إلى السفن المجوفة العشر ذات الحد الواحد.
ومرة أخرى أحضر ابن بيليوس رمحا ذا ظل طويل ،
كما أحضر أيضاً رجلاً كبيراً لم تمسه النار بعد مزيئاً بالزهور،
وتقدر قيمته بثمن ثور، ووضعها فى أرض السباق. وعندئذ نهض رماة
الرماح: فهض ابن أترىوس، أجامنون ذو الممتلكات الشاسعة.
ثم تبعه ميريونيس، التابع الشجاع لإيدومينيوس،
وعندئذ وجه أخيليوس الإلهى سريع القدمين، حديثه لهما قائلاً:
- ٨٩٠ "يا ابن أترىوس، لأننا نعلم أنك تفوق الجميع،
وأنتك الأفضل فى القوة، وفى دقة تصويب الرماح،
فلتعد إذن إلى سفنك المجوفة حاملاً معك هذه الجائزة.

أما الرمح فلنقدمه هدية إلى البطل ميريونيس، وليتها تكون تلك
أيضاً هي رغبتك ومن أعماق قلبك، واستسمحك في ذلك"

٨٩٥

قال ذلك، فلم يعترض أجامنون، ملك الرجال،

وعندئذ قدم الرمح البرونزي إلى ميريونيس. أما البطل

٨٩٧

(أجامنون) فقد أعطى الجائزة الجميلة إلى تابعه تالثيبوس.

الكتاب الرابع والعشرون



ترجمة عادل النحاس

- انفض الجمع، وتفرق الحشد، وذهب كل منهم
إلى سفينته السريعة. وانصب اهتمامهم جميعاً
على الاستمتاع بالطعام، وبالنوم الهانئ. أما أخيلئوس
فقد تذكر صديقه الحميم، ثم شرع فى البكاء، وقد جافاه النوم
الذى يغلب بسلطانه الجميع؛ كان يتقلب على جانبيه هنا وهناك،
وهو فى شدة الشوق لبطولة باتروكلوس وبسالته.
فكم من مهمة شاقة أنجزها معا، وكم من كرب كابداه معا،
بخوض الحروب الضارية، وتخطى الأمواج العاتية.
هذا ما كان يجول بخاطره وجعله يذرف الدمع الغزير،
بينما كان يتقلب فى مضجعه على جانبه تارة، وعلى ظهره تارة،
ثم وهو منكب على وجهه تارة أخرى. وعندئذ نهض واقفا
وأخذ يهيم على وجهه بالقرب من شاطئ البحر، وما كان ليفوته
أن يلاحظ تسلسل ضوء الفجر فوق البحر وعلى الشاطئ.
فسرج خيوله السريعة فى العربة الحربية،
ثم قام بربط جثمان هيكتور خلف العربة، وبدأ فى سحبه على الأرض.
وبعد أن سحبه مرات ثلاث حول مدفن ابن مينويئوس.
توقف وعاد مرة أخرى إلى خيمته. وقد ترك جثمان هيكتور
ممدداً على وجهه فى التراب. فى تلك الأثناء كان أبوللون
يحفظ الجثمان من أية تشوهات قد تلحق به، فقد كان يرثى لحاله
فى مماته، فكان يغطى كل جسده بدرعه الذهبى،
حتى لا يتمزق جلده أثناء سحبه على الأرض.
وهكذا كان (أخيلئوس) من شدة غضبه، يسىء معاملة هيكتور
الإلهى. أما (هيكتور) فكانت الآلهة المباركة ترثى لحاله عندما
تراه فى هذه الحالة؛ ولذلك فقد طلبوا من (هرميس) أرجيفونئيس
حاد البصر، أن يسرق جثة هيكتور،
الأمر الذى نال استحسان كل الآلهة الآخرين، فيما عدا الإلهة هيرا،

- والإله بوسيدون، وأيضا العذراء ذات العينين الزرقاوين (أثينة)؛
 فلم تتغير كراهيتهم، منذ البداية، لمدينة إليوس المقدسة،
 وأيضا لبرياموس وشعبه؛ بسبب كراهيتهم لابنه ألكسندروس،
 الذى حَقَّرَ الإلهات عندما وصلن إلى حظيرته،
 ٣٠ ورجح كفة تلك التى غدت الرغبة المحمومة لديه^(*). ولكن، منذ
 ذلك الحين (منذ قتل هيكتور)، وفى فجر اليوم الثانى عشر،
 خاطب الإله أبوللون فويبوس الوضاء الآلهة الخالدين قائلاً:
 "أيها الآلهة، إنكم بلا رحمة، مدمرون،
 ألم يحرق لكم هيكتور أفخاذ ثيرانٍ وماعز لا عيب فيها قربانا،
 ٣٥ والآن، وبعد أن أصبح جثة هامدة، فلا تفعلون شيئاً لتعود سالمة
 لزوجته لتراه، ولوالدته ولابنه، وأيضا لوالده برياموس، بل ولشعبه،
 الذين سيسرعون بإحراقه فى النار، ثم دفنه بكل تقدير.
 ولكنكم، أيها الآلهة، تفضلون مساعدة أخيليوس المدمر،
 الذى لا يملك عقلاً راجحاً أو نفساً متسامحة
 ٤٠ داخل صدره. لقد أصبح فى شراسته كالأسد
 الذى يعتمد على قوته الجبارة ونفسه المختالة،
 فينقض على قطعان البشر ليتغذى.
 هكذا فقد أخيليوس إحساسه بالشفقة، وأيضا بالحياء،
 وهما إما يؤذيان البشر بشدة أو ينفعانهم بنفس الدرجة.
 ٤٥ فمن الممكن أن يفقد المرء من هو أعز لديه،
 كأن يفقد شقيقاً له من نفس الأم، أو ابناً له؛
 ولكن ما أن يبكيه وينتحب عليه حتى ينتهى الأمر، فقد غرست

(*) هذه هى الإشارة الوحيدة التى ترد فى "الإلياذة". لأسطورة تنصيب باريس (ألكسندروس) حكماً فى مسابقة الجمال بين هيرا وأثينة وأفروديتى إلهة الجمال والحب والناسل والتى حكم فيها لصالح الأخيرة، فنال أجمل امرأة فى العالم وهى هيلين، التى بسبب اختطافها قامت حرب طروادة. هناك ذكر للمكان الذى يعتقد أنه شهد هذه الواقعة وهو تل كالكليولونى (ك ٢٠، ٥٣، ٥١). ولا تأتى هذه الإشارة الصريحة إلا فى الكتاب الأخير مما يلقى الضوء على فن هوميروس بالغ التعقيد والحبكة. راجع المقدمة (الخرر)

- ربات القدر مويراي الصبر وقوة التحمل داخل نفوس البشر.
- ٥٠ أما هذا الرجل، وبعد أن سلب حياة هيكتور الإلهي،
ربطه في عربته، وأخذ يسحبه حول مدفن صديقه الحميم،
ولن يجنى من ذلك خيراً ولا شرفاً،
وليدرك أننا قد نغضب نحن أيضاً منه على الرغم من كونه نبيلاً،
فهو يسىء إلى طين لا حياة فيه".
- ٥٥ وعندئذ اشتد غضب الإلهة هيرا، ذات الذراع الأبيض، وقالت:
"إن كلماتك، يا ذا القوس الفضى، قد تكون صحيحة
إذا ما منحتم أخيليوس وهيكتور المنزلة نفسها:
فهيكثور الفانى قد رضع من ثدى امرأة فانية،
أما أخيليوس فمن نسل إحدى الإلهات، التى أطعمتها
٦٠ وربيتها بنفسى، بل ووهبتها زوجة لبشرى فان،
وهو بيليوس، الذى كان محبوبا فى قلوب كل الآلهة الخالدين.
وقد شاركتم جميعا، أيها الآلهة، فى عرسه؛ وكنت
أنت نفسك من بينهم، فقد حضرت الوليمة وفى يدك قيثارتك"
وعندئذ رد عليها زيوس، جامع السحب، قائلاً:
٦٥ "لا تغضبى من الآلهة تماماً، أيتها الإلهة هيرا،
فلن تكون منزلة الاثنين واحدة، بيد أن هيكتور كان،
من دون البشر الذين يقطنون إليوس، الأقرب إلى قلوب الآلهة،
وهو كذلك بالنسبة لى. فهو لم يقصر فى تقديم الهدايا النفيسة لنا،
فلم يخلو مذبحى من الوليمة الملائمة وقرابين الشراب
٧٠ ودخان الأضاحى الدسمة، وطقوس العبادة التى هى حقنا.
ولكن فلندع جانبا سلب جثة هيكتور الجسور، وسيدرك أخيليوس ذلك،
فدائماً ما تسانده أمه، وتقف بجانبه ليل نهار.
والآن فليستدع أحد الآلهة الإلهة ثيتيس لتمثل أمامى.

٧٥ لكي أسدى لها النصيحة: عسى أن يحصل أخيلئوس
على هدايا نفيسة من برياموس ليعتق هيكتور".

قال ذلك، فأسرعت الإلهة إيريس، ذات القدم - العاصفة،
لتبلغ الرسالة، ففقت بين جزيرتي ساموس وإمبروس الوعرة،
في البحر المظلم، فارتفع صخب أمواج البحر فوقها،
فقد اندفعت إلى الأعماق، كقطعة الرصاص المعلقة في الشصية،
المصنوعة من قرن ثور الحقول،
وقد نزلت لتجلب الموت للأسماك النهمة.

٨٠ فوجدت ثيتيس في كهفها العميق، تجلس من حولها
عرانس البحر الأخريات، وهى من بينهن
تبكي مصير ولدها الذى لا نظير له، إذ قدر له
الفناء على أرض طروادة الخصبة، بعيدا عن وطنه.
فوقفت بجوارها إيريس، ذات القدمين السريعتين، وقالت:

"انهضى، أى ثيتيس، زيوس سيد النصائح الأبدية يدعوك إليه"
فأجابتها الإلهة ثيتيس، ذات القدمين الفضيتين قائلة:

٩٠ "ترى لماذا يستدعيني هذا الإله العظيم، فأنا أستحي
من الاختلاط فى زمرة الخالدين، كما أن بقلبي مالا يحصى من الآلام.
ولكنى ذاهبة إليه، فكلمته، أيا كانت، ستفنعنى".

قالت ذلك، وارتدت عروس البحر الإلهية وشاحًا أسود،
ليس هناك ما يفوقه سوادًا. وعندئذ تحركت للذهاب إليه،
تسبقها إيريس، ذات القدمين السريعتين سرعة الرياح.

٩٥ تتلاطم حولهما أمواج البحر من كل جانب.
وبمجرد خروجهما إلى الشاطئ، اندفعتا محلقتين صوب السماء،
فوجدتا ابن كرونوس، بعيد النظر، يجلس
من حوله كل الخالدين، المباركين الآخرين.

١٠٠. وجلست إيريس بجوار والدها زيوس، بعد أن تخلت أثينة عن مكانها.
أما هيرا فقد وضعت بين يدي (ثيتيس) كأساً ذهبياً جميلاً،
محبية إياها بكلمات رقيقة، ارتشفت ثيتيس منه ثم أعادته إليها.
وهنا تحدث أبو البشر والآلهة أجمعين قائلاً:
- "أيتها الإلهة ثيتيس، لقد حضرت إلى الأوليمبوس برغم كربك
الشديد، ففي قلبك حزن لا راحة منه، وأنا نفسي أعرف ذلك.
ولكني سأخبرك بسبب دعوتي لك إلى هنا،
فقد شب نزاع بين الآلهة الخالدين منذ تسعة أيام
حول جثمان هيكتور، وأيضاً حول أخيليوس مدمر المدن؛
وطلبوا من أرجيفونتييس الرسول السريع، حاد البصر، أن يسرق الجثة،
ولكني قد منحت ذلك الشرف لأخيليوس،
حفاظاً على حبك واحترامك حتى النهاية.
اذهبي إذن بسرعة إلى الحشد وبلغى ولدك وأمرى،
أخبريه بأن الآلهة قد استشاطت غضباً منه، ولكن غضبي
هو الأشد من كل هؤلاء الآلهة الخالدين، لأنه بفكره المجنون
قد احتفظ بهيكتور بالقرب من السفن المقوسة كالمنقار ولم يعتقه،
ولكنه قد يخشاني ويعتق هيكتور.
ومن ناحيتي فسوف أبعث إيريس إلى برياموس سامي الروح،
كي يذهب إلى الأخيين، ليفتدي ولده الحبيب،
ويقدم لأخيليوس الهدايا التي تشرح له صدره".
١١٥. قال ذلك، فما كان من الإلهة ثيتيس، ذات القدمين الفضييتين
إلا أن أطاعت أوامره، وأسرعت بالهبوط من قمم الأوليمبوس،
حتى وصلت إلى خيمة ولدها. وهناك، وجدته يبكي
بمرارة ومن حوله رفاقه الأعزاء
يعتنون به، ويهمون بإعداد طعام الإفطار،
- ١٢٠.

١٢٥ بعد أن قاموا بنحر كبش كثيف الصوف، داخل خيمته.
فجلست أمه الفاضلة على مقربة منه،
وأخذت تداعبه بيدها، ثم دعتة قائلة:

"أى بُنى، إلى متى ستظل تنهك قلبك بالبكاء والحزن،

١٣٠ عازفا عن الطعام، مجافيا المنام؟ فمن الأفضل أن تنغمس في
معاشرة إحدى النساء، فإنك لن تعمر في الأرض كثيرا،
بل اقترب منك بشدة الموت والقدر القاسي.

أما الآن، فلتنص لي جيدا؛ إذ جئتك محملة برسالة من زيوس إليك:
وهو ينبئك بأن الآلهة قد استشاطت غضبا منك، وأن غضبه

١٣٥ هو نفسه الأشد من كل الخالدين، لأنك بجنونك
قد احتفظت بهيكتور في سفينتك المقوسة مثل المنقار، ولم تعتقه.
فهيا سلم جثته، بعد أن تقبل الفدية".

وعندئذ أجابها أخيليوس، سريع القدمين قائلاً:

"فليكن ذلك، وليحمل الجثمان من يحضر الفدية،

١٤٠ طالما كانت تلك هي رغبة الأولمبي ومقصده الحقيقي".

وهكذا تبادلت الأم وولدها، وسط حشد هذا الجمع من السفن،

العديد من الكلمات المجنحة. وفي الحال أسرع

ابن كرونوس بإرسال إيريس إلى إليوس المقدسة قائلاً:

"انطلقى أنت يا إيريس السريعة، واتركى مقرك فوق الأوليمبوس،

١٤٥ وأخبرى برياموس سامى الروح داخل إليوس
أن يذهب إلى سفن الأخيين كي يفتدى ولده الحبيب،
وأن يقدم لأخيليوس الهدايا التي تشرح له صدره،

على أن يكون بمفرده، دون أن يذهب معه أى شخص

آخر من الطرواديين، ولكن فليصحبه تابع كهل، كي يقود له

١٥٠ البغال، وعربته ذات العجلات الجيدة، ويساعده في العودة

- إلى المدينة، بجثمان من صرعه أخيلئوس الإلهى.
دعيه لا ينشغل بالتفكير فى الموت أو بالخوف منه،
فسوف نبعث معه (بهرميس) أرجيفونتييس، ليقود خطاه،
حتى يصل به على مقربة من أخيلئوس.
١٥٥ وعندما يتقدم به إلى داخل خيمة أخيلئوس،
فلن يهجم (أخيلئوس) نفسه بقتله، بل وسوف يكبح جماح كل الآخرين،
فهو ليس بالأحمق، أو المتهور، أو الشرير،
ولكنه سيرثى لحال ذلك الرجل المتوسل من كل قلبه".
- قال ذلك، فانطلقت إيريس، ذات القدمين السريعتين كالريح،
١٦٠ لتبلغ الرسالة، وعندما وصلت إلى منزل برياموس، وجدت نحيباً
وعويلاً شديداً: فقد جلس الأبناء يحيطون بأبيهم فى فناء القصر،
مبللة ملابسهم بالدموع، بينما يجلس الشيخ الأشيب. وسطهم مُدثرٌ
بعباءته الصوفية، وقد غطت رأس الشيخ الهرم ورقبته الكثير من
١٦٥ الأوحال التى أهالها على نفسه بيديه، بينما كان يتمرغ على الأرض.
كما شاهدت الإلهة بناته وزوجات أبنائه يولولن داخل القصر،
عندما يتذكرن ذلك العدد الكبير من الطرواديين البواسل،
الذين سقطوا وفقدوا أرواحهم على أيدى الأرجيين.
أقتربت إيريس، رسول زيوس، من برياموس الذى ارتعدت فرائصه،
١٧٠ ثم خاطبته بصوت هادئ، قائلة:
- "تشجع، أى برياموس، يا سليل داردانوس،
ولا تخف شيئاً، فأنا لم أحضر إليك لأنبيئك بشر،
ولكن بنية الخير، فأنا حاملة رسالة زيوس إليك،
فهو يهتم بأمرك ويرثى لحالك، على الرغم من أنه يقطن بعيداً.
١٧٥ إذ يأمرك الأوليمبى أن تفتدى هيكتور الإلهى،
وأن تقدم لأخيلئوس الهدايا التى تشرح له صدره،

- على أن تكون بمفردك، دون أن يذهب معك أى من الطرواديين،
ولكن فليصحبك تابع كهل، كى يفود لك
البيغال وعربتك سريعة العجلات، ويساعدك فى
والعودة بجثمان من صرعه أخيليوس الإلهى إلى المدينة.
١٨٠ لا تتشغل بالتفكير فى الموت، ولا تخشاه،
فسوف يبعث معك (بهرميس) أرجيفونتيس ليقود خطاك
حتى يصل بك على مقربة من أخيليوس،
وعندما يتقدم بك إلى داخل خيمة أخيليوس
١٨٥ فلن يهيم (أخيليوس) بقتلك، بل وسيكبح جماح كل الآخرين،
فهو ليس بالأحمق، أو المتهور، أو الشرير،
ولكنه سيرثى لحالك، بوصفك رجلاً متوسلاً من كل قلبك".
- وبعدما انتهت إيريس، سريعة القدمين، من إبلاغ رسالتها غادرت
المكان؛ فأصدر برياموس أوامره لأبنائه بإعداد العربة، ذات العجلات
السريعة، التى تجرها البيغال، وأن يربطوا فوقها السلة المجدولة.
١٩٠ أما هو فقد أسرع بالهبوط إلى حجرة كالكبو، مشيدة
من خشب الأرز، سقفها مرتفع، وتحتوى على العديد من الجواهر.
ثم دعى زوجته هيكابى، وصاح فيها قائلاً:
"أيتها الزوجة الفاضلة، لقد أتانى رسول أوليمبى، من زيوس،
١٩٥ يدعونى للذهاب إلى سفن الآخيين، كى أفتدى ولدنا الحبيب،
وأن أقدم لأخيليوس الهدايا التى تشرح له صدره،
فهيا إذن الآن وأخبرينى كيف يبدو لك الأمر؟
إن حماسى وقلبى يدفعانى بشدة
للذهاب إلى هناك، إلى تلك السفن داخل حشد الآخيين".
- ٢٠٠ قال ذلك فأجابته زوجته، وهى تجهش بالبكاء، قائلة:
"يا ويلتى! هل ذهبت حكمتك التى اشتهرت بها بين الناس

- سواء الأجنب أو من تحكمهم؟!
 كيف ترغب في الذهاب إلى سفن الآخيين وحدك،
 وتقف أمام عيني ذلك الرجل الذي سلبك عددًا كبيرًا
 ٢٠٥ من أبنائك البواسل؟ حقا إن قلبك قد من حديد.
 لأنه إذا ما تملكك ووقعت عيناه عليك،
 وهو رجل متوحش وغير موثوق به، فلن يرحمك،
 ولن يشعر تجاهك بشيء من الحياء. دعنا الآن نبكى ولدنا هنا،
 بعيدًا عنه، قابعين في منزلنا؛ فلهيكتور كانت إلهة القدر مويرا
 ٢١٠ قد نسجت بخيوطها مصيره؛ في نفس اللحظة التي وضعته فيها.
 أنه سيصبح الكلاب سريعة الأقدام بعيدا عن والديه، وعلى مقربة من
 رجل عنيف، ذلك الذي طالما تمنيت أن أنتزع له كبده من أحشائه
 وأنهشه، وبذا يتم الانتقام الشديد لابني الذي قتله، ولم يجبن بل كان
 ٢١٥ يدافع عن الطرواديين والطرواديات ذوات الثياب عميقة الطيات،
 ولم يحاول الاختباء أو الفرار".
 وعندئذ أجابها الشيخ الهرم برياموس، شبيه الآلهة، قائلاً:
 "إياك أن تمنعيني وقد عقدت العزم على الذهاب، أو
 أن تصبحي أنت نفسك طائر شؤم في منزلي. فلن تقنعيني.
 ٢٢٠ لأنه إذا ما طلب مني ذلك شخص آخر من الفانيين على وجه الأرض،
 سواء كان عرافاً أو كاهناً يتتبا،
 عندئذ كنت سأعتبرها أكذوبة وأهملها.
 أما الآن، وقد استمعت بنفسى إلى الإله، بل وشاهدته بعيني،
 فإني ذاهب لا محالة، ولن يذهب الكلام سدى، حتى وإن كان مقدرًا لي
 ٢٢٥ أن أموت بالقرب من سفن الآخيين لابسى البرونز.
 فأنا أسعى إلى ذلك، وليتني ألقى حتفى على يد أخيليوس،
 بينما أحتضن ولدى بذراعى، عندئذ سأتوقف عن البكاء".

- قال ذلك، ثم بدأ في رفع أغطية الصناديق الجميلة.
ثم أخرج منها اثني عشر ثوبا نسائيا فائقة الجمال؛ ثم اثنتى عشر
٢٣٠ عباءة ترتدى بمفردها، ثم عدداً كبيراً من الأغطية؛ وعداداً كبيراً من
العباءات البيضاء كبيرة الحجم؛ ثم عدداً كبيراً من ملابس
الرجال الجميلة. ثم أحضر وحمل معه عشرة تالنتات، ذهبية خالصة،
ووعاءين براقين ثلاثي الأرجل؛ ثم أربعة مراجل؛
وكأساً بالغ الجمال، كان الطراقيون قد أهدوها إليه
٢٣٥ أثناء زيارته لهم: ثروة كبيرة،
فحتى هذا لم يدخره الشيخ الهرم في المنزل، فقد كان يتوق
إلى افتداء ولده الحبيب. ثم قام بعد ذلك بطرد كل الطرواديين
من القاعة، موبخا إياهم بأبشع الكلمات، قائلاً:
"اغربوا عن وجهي ياسبب عارى وشنارى
٢٤٠ أليس في منازلكم ما يكفيكم من الأحزان، وتأتون هنا لمضايقتي؟
أم أنكم تعبرون عن استيائكم من أن ابن كرونوس، زيوس، قد أصابني
بوجع الحزن، بعد أن قتل أفضل أبنائي؟ ولكن ستدركون جيداً:
فالآن، وبعد مصرع ولدي، ستصبحون فريسة سهلة
في متناول يد الأخيين؛ أما أنا،
٢٤٥ فقبل أن أرى هذه المدينة، بعيني رأسي، مقهورة
ومحطمة، فيجد ربى أن أهبط إلى مقر هاديس".
قال ذلك، ثم بدأ في إبعاد الناس بعصاه، فانصرفوا جميعاً.
وفي تلك الأثناء كان الشيخ الأشيب يسرع الخطى، ويصيح في أبنائه
هيلينوس، باريس، أجاثون، بامون الإلهي،
٢٥٠ أنتيفونوس، بوليتيس البارع في صيحة الحرب،
ديفوبوس، هيبوثوؤس، ديوس النبيل.
هؤلاء التسعة دعاهم الشيخ الهرم بصوت جهورى، وأمرهم قائلاً:

- "أسرعوا إليّ أيها الأبناء السيئين، يا مجلبة عارى،
ليتكم كنتم قد قُتِلْتُمْ جميعاً بالقرب من السفن السريعة بدلا من هيكتور!
يا حسرتى أنا التمس! فقد أنجبت أفضل الأبناء
٢٥٥ في طروادة الفسيحة، ولكنى أقول إنه لم يبق منهم أحد:
ميستور شبيه الآلهة، طرويلوس البارع فى قيادة العربة الحربية،
هيكتور، الذى كان إلهاً بين الرجال، فلم يكن مظهره يدل على
أنه ابن لرجل فان، ولكن لإله. لقد قتلهم أريس جميعاً،
٢٦٠ ولم يترك لى سوى من يجلبون لى العار، الكذابين سريعى الفرار،
أفضل الراقصين، ولصوص الأغنام والماعز.
ألن تجهزوا لى العربة على وجه السرعة،
ألن تضعوا فوقها كل هذه الأشياء، حتى تتطلق فى الرحلة؟"
٢٦٥ قال ذلك، فهبوا مذعورين من توبيخ والدهم
فأخرجوا العربة سريعة العجلات، تجرها البغال،
جميلة ومزركشة حديثاً. ثم ربطوا فوقها السلة المجدولة،
ثم أنزلوا نير البغال من الوتد الخشبى،
وهو ذو رأس مستديرة، ومزود بالحلقات كى يمر منها اللجام.
٢٧٠ وكذلك أحضروا سيرا من الجلد بطول تسعة أذرع،
وبه ثبّتوا النير جيدا فوق العريش المصقول،
من خلال الحلقات الأمامية، وذلك بوضع الحلقات فى وتد خشبى،
ثم ربطها ثلاث مرات من الجانبين فوق سرّة النير،
وبعد تثبيتها جيدا قاموا بعمل عقدة فى نهاية السير الجلدى.
٢٧٥ وأخرجوا من الخزانة فدية رأس هيكتور
التي لا تحصى، وكوموها فوق العربة المزركشة،
وربطوا البغال ذات الحوافر القوية فى النير، تلك
التي كان الميسيون قد أهدوها إلى برياموس من قبل، هدية فخمة.

- كما أعدوا الخيول لبرياموس، تلك التي كانت مخصصة للشيخ
 ٢٨٠ المسن، والتي كان يقوم برعايتها في الحظيرة الفاخرة بنفسه.
 وهكذا بينما كان الاثنان يشرفان على تجهيز العربة في
 القصر العالي، برياموس وتابعه، وتجول بخاطرهما أفكار حكيمة؛
 عندئذ دنت هيكابى منهما، بقلب حزين،
 ممسكة في يدها اليمنى بنبيذ معسول،
 ٢٨٥ في كأس ذهبي، لكي يقدماه قربان شراب قبل الرحيل،
 ثم وقفت في مواجهة الخيول، وخاطبت زوجها قائلة:
 "هاك، اسكبها قربان شراب، لزيوس الأب، وتضرع
 إليه أن تعود إلى بيتك من بين الأعداء القساة، مادامت نفسك
 تدفعك إلى سفنهم، على غير رغبة مني.
 ٢٩٠ ابتهل أولا لابن كرونوس، ذى السحب السوداء
 سيد إيداء، المطل على كل طروادة،
 توصل أن يبعث إليك رسولا سريعا
 الطائر الأقرب إلى قلبه والأقوى،
 وأن يظهره على يمينك، كي تراه بكلتى عينيك.
 ٢٩٥ فتمتلىء ثقة وتشق طريقك صوب سفن الدانائيين ذوى الخيول السريعة.
 أما إذا لم يمنحك زيوس، واسع النظر رسوله هذا
 فمن المؤكد أنني لن أحتك على
 الذهاب إلى سفن الأرجيين، بالرغم من لهفتك".
 فأجابها برياموس، شبيه الآلهة، قائلاً:
 ٣٠٠ "وأنا يا زوجتى لن أخالف مشورتك،
 فإنه لشيء طيب أن نرفع أكف الضراعة لزيوس، فقد يرثى لحالنا".
 قال ذلك، ثم أمر الشيخ الأشيب الخادمة
 أن تصب ماءً نقياً على يديه، فأسرعت الخادمة

بالاقتراب منه وفي يديها إبريق ووعاء وإناء.
 وبعد أن أتم الاغتسال، أخذ الكأس من زوجته،
 ٣٠٥ ثم وقف وسط الفناء، وبدأ يبتهل، وهو يسكب النبيذ
 ناظرًا إلى السماء، ثم رفع صوته بالدعاء:

"أيها الأب زيوس، يا من تحكم من فوق إيدا، أيها الأجد
 الأعظم، امنحني أن أكون موضع ترحاب وإشفاق لدى أخيليوس؛
 ٣١٠ ولتبعث إليّ رسولاً سريعاً، الطائر الأقرب إلى قلبك والأقوى ليظهر
 على يميني كي أراه بعيني وأمتلىء ثقةً وأشق طريقى إلى
 سفن الدانائيين ذوى الخيول السريعة"

قال ذلك مبتهلاً، فاستمع إليه زيوس ذو التدبير الحكيم،
 ٣١٥ فأرسل إليه فى التو نسرا، وهو الأكثر تأكيدًا للفأل بين الطيور؛
 نسرا داكن اللون، قناصا، يدعوه الناس بالأسود.
 وبقدر ارتفاع ضلفتى باب حجرة شاهقة الارتفاع،
 محكمة المزاليق فى قصر رجل ثرى،
 هكذا امتد جناحاه على الجانبين؛ وقد لاح لهم
 ٣٢٠ من جهة اليمين، محلقا عبر المدينة، فسعدوا
 لمشاهدته، وانشرح صدرهم.

وعندئذ أسرع الشيخ الهرم بالصعود إلى العربة،
 ثم عبر الممر المؤدى إلى البوابة، ثم الرواق الذى يردد صدى الصوت.
 وفى المقدمة، كانت البغال تجر العربة ذات العجلات الأربع،
 ٣٢٥ وكان يقودها إيدايوس الحكيم. وفى خلفها سارت
 الخيول التى كان الشيخ المسن يوجهها بالسوط، ويحثها
 على الإسراع عبر المدينة، وشيعه كل الأصدقاء،
 باكين بشدة، كما لو كان يرحل إلى الموت.
 وعندما نزلا من المدينة، وبلغا الوادى،

٣٣٠ عاد الجميع أدرجهم إلى إليوس، أبناءه وأزواج بناته.
أما هما فبمجرد ظهورهما في الوادى لم يغربا عن أعين زيوس،
واسع الرؤية، وعندما رآهما أشفق بشدة على الشيخ الهرم،
وفى الحال تحدث إلى هرميس، ولده العزيز، قائلاً:

"أى هرميس، حيث إن مرافقة إنسان فان هى من أحب

٣٣٥ المتع إليك، وتعطى أذناً صاغية لمن تهتم بهم،
أسرع إذن وقد برياموس إلى سفن الآخيين المجوفة،
على ألا يراه أحد، أو يفطن إليه أى من
الدانائيين الآخرين، قبل أن يصل إلى ابن بيليوس".

قال ذلك، فلم يعصه رسول الآلهة، أرجيفونتيس.

٣٤٠ وفى التو انتعل ذلك الصندل الذهبى
الجميل، الأمبروسى الخالد، والذى يطير به فوق البحار
وعبر الأراضى غير المحدودة مثل هبات الريح.
ثم أمسك بعصاه التى بها يستدرج عيون البشر للنوم إذا شاء،
أو يوقظ النيام من غفوتهم.

٣٤٥ بهذه العصا فى يده طار أرجيفونتيس القوى،
فبلغ طروادة وهيليسبونطوس فوراً،
ثم شرع فى السير فى هيئة شاب من النبلاء،
تنبت لحيته لأول مرة وهو فى ريعان شبابه الوسيم.

٣٥٠ وما أن عبر (برياموس وتابعه) مقبرة إيلوس الكبرى،
أوقفا البغال وأيضاً الخيول، حتى ترتوى
من النهر، حيث هبط الظلام على الأرض،
وهنا انتبه التابع إذ رأى الإله

هرميس على مقربة منه، فصاح فى برياموس قائلاً:

"انتبه، يا سليل داردانوس، فهذا أمر بحاجة إلى رجاحة العقل،

٣٥٥ فأنا أرى رجلاً، ويبدو أننا سنصبح أشلاء بعد قليل.
ولكن هيا إذن، ولنهرب فوق العربة، أو لنتوسل إليه
متشبثين بركبتيه، فربما يرثى لحالنا".

قال ذلك، فاضطرب عقل الشيخ الأشيب، وتملكه خوف شديد،
وانتصب الشعر على مفاصله المرنة،

٣٦٠ ووقف مذهولاً. وعندئذ اقترب الإله المستعان (هرميس)،
وأمسك بيدي الشيخ المسن، ثم سأله:

"إلى أين، أيها الأب، تقود خيولك وبغالك في ذلك الليل

البهيم الخالد (الأمبروسي)، حيث ينام كل البشر الفانين الآخرين؟
غير هياب بالآخيين النافثين جنوناً،

٣٦٥ المعادين بلا هوادة والقريبين من هنا؟
وإذا ما رأك أحدهم في تلك الليلة المسرعة حالكة السواد،
محملاً بكل النفائس، فكيف ستتصرف؟

إنك لست شاباً، حتى تستطيع الدفاع عن نفسك ضد أى شخص
قد ينقض عليك؛ وكذلك فإن تابعك هو أيضاً رجل طاعن في السن.

٣٧٠ أما أنا فلن أمسك بسوء، بل وسأرد عنك عائلة
الآخرين، فإنك تشبه والدي الحبيب".

وعندئذ رد عليه الشيخ المسن برياموس، شبيه الآلهة، قائلاً:
"حقاً هو كذلك مثلما تقول، أيها الابن العزيز.

ولكن ربما يمد لى أحد الآلهة يده الآن،

٣٧٥ فقد أرسل لى عابر سبيل مثلك، جالبًا للخير،
فأنت فى الهيئة والوسامة رائع؛

وذو عقل حكيم، ومن أبوين مباركين ولدت كما يبدو".

فرد عليه رسول الآلهة، أرجيفونتيس، قائلاً:

"حقاً، أيها الشيخ الهرم، فما قلت إلا صواباً.

- ٣٨٠ ولكن هيا إذن. تحدث، وأخبرني ما إذا كنت تحمل كل تلك النفائس
لأناس غرباء، لكي يتركوك في أمان،
أم أنكم تهجرون جميعاً مدينة إليوس المقدسة،
من شدة الخوف، بعد أن قُتِلَ أفضل الرجال،
ابنك، الذي لم يكن ليتوقف أبداً عن قتال الأخيين".

- ٣٨٥ وعندئذ خاطبه الشيخ الهرم برياموس، شبيه الآلهة، قائلاً:
"من أنت، أيها الشاب النبيل، ولأى والدين ولدت؟
إنك تتحدث بكل خير عن مصير ولدى التعس".
فأجابه رسول الآلهة، أرجيفونتييس، قائلاً:

- ٣٩٠ "إنك تختبرني، أيها الشيخ الهرم، وتسالني عن هيكتور الإلهي.
لقد شاهدته بعيني مرات عديدة في المعركة،
التي تعطى المجد للرجال، عندما كان يطارد الأرجيين إلى سفنهم؛
ويقتلهم، ويمزقهم بسيفه البرونزي البتار.

- أما نحن فقد دُهِشْنَا بما يفعله، بينما كنا نقف على مبعدة، حيث لم يسمح
لنا أخيليوس بالقتال، بسبب غضبه من ابن أثريوس.
فأنا تابعه في القتال، وحملتنا إلى هنا السفينة نفسها متينة الصنع.
إنني واحد من الميرميدونيين، وأبى هو بوليكتور؛
وهو من الأثرياء، ولكنه شيخ مسن مثلك أنت،
له ستة من الأبناء، وأنا السابع.

- ٤٠٠ ضربنا القرعة فيما بيننا واختيرت للحضور إلى هنا،
أنا الآن قادم من السفينة إلى الوادي. وفي الفجر
سيشعل الأخيون، ذوو العيون البراقة، القتال حول المدينة،
لتململ الجالسين بلا عمل، ولن يستطيع
ملوك الأخيين أن يكبحوا جماح أولئك المتعطشين للقتال".

- ٤٠٥ وعندئذ خاطبه الشيخ المسن برياموس، شبيه الآلهة، قائلاً:

- "إن كنت حقا تابع أخيليوس بن بيليوس فى القتال،
فهيأ إذن وأخبرنى بكل الحقيقة.
هل مازال ولدى ممددا بجوار السفن، أم أن أخيليوس
قد مزقه إربا إربا، ثم ألقى به للكلاب؟".
- ٤١٠ فاجابه رسول الآلهة، أرجيفونتيس، قائلاً:
"لم تلتهمه الكلاب ولا الطيور الجارحة بعد، أيها الشيخ المسن،
ولكنه مازال ممددا بجوار سفينة أخيليوس،
وسط الخيام، إنه ممدد هناك منذ اثني عشر فجرا،
ولم يتعفن جسده بعد، أو يأكله الدود
- ٤١٥ الذى يلتهم جثث قتلى المعارك. إن (أخيليوس)
يجر جثته، بلا شفقة، حول كومة الدفن
لصديقه الحبيب كلما ظهر ضوء الفجر الإلهي،
وعلى الرغم من ذلك فلم يشوه جسده، وتستطيع الذهاب بنفسك وتندesh
من إنه ممدد، ومازال جسده نضرا. وقد غسلت الدماء من فوق جسده،
ولم يحدث أى تقيح، فقد التأمت كل الجروح
- ٤٢٠ التى أصيب بها، حيث طعنه الكثيرون بسيوفهم البرونزية.
إن الآلهة المباركين يهتمون كثيرا بأمر ولدك الجسور،
حتى وهو جثة هامدة، لأنه عزيز على قلوبهم".
- فانشرح صدر الشيخ الهرم بما سمعه، وخاطبه قائلاً:
"أى بنى، حقا إنه لشىء طيب أن يقدم الفانون مثل تلك الهدايا
للآلهة الخالدين. فلم يكن ولدى ينسى قط فى قصره، وقت
أن كان لى ولد، الآلهة المهيمين على الأوليمبوس.
ولذلك فقد تذكروه حتى وهو فى قبضة الموت.
ولكن هيأ الآن وتقبل منى ذلك الكأس الجميل،
وقم بحمايتى ومرافقتى بعون من الآلهة،
- ٤٣٠

حتى أصل إلى خيمة ابن بيليوس".

فأجابه رسول الآلهة، أرجيفوننتيس، قائلاً:

"إنك تختبرنى، أيها الشيخ الهرم، فأنا الأصغر سناً؛ ولكنك

لن تقنعنى بقبول هديتك، دون علم أخيلئوس.

٤٣٥

فأنا أخشاه وأكن له فى قلبى التبجيل وأستحى أن

أستولى على شىء يخصه، فقد يُلحق بى السوء بعد ذلك.

ولكنى سأكون لك مرشداً، حتى وإن بلغت مدينة أرجوس^(*) المجيدة،

سواء كان ذلك فى سفينة سريعة أو سيرا على الأقدام،

ولن يتعرض لك أحد، محتقراً مرشدك".

٤٤٠

قال ذلك، ثم قفز الإله المستعان بسرعة فوق العربة

خلف الخيول، وأمسك فى يديه بالسوط والعنان،

ثم أعطى للخيول والبغال دفعة قوية.

وعندما وصلوا إلى الأبراج المطلّة على السفن، وإلى الخندق،

كان الحراس قد بدأوا فى الانشغال بوجبة العشاء،

٤٤٥

فدثرهم رسول الآلهة، أرجيفوننتيس بغلالة النوم،

ثم فتح البوابة بسحب المزلاج.

وعندئذ قاد برياموس وهداياها الثمينة المحملة فوق العربة للداخل،

فلما بلغوا خيمة ابن بيليوس العالية،

التي كان الميرميدونيون قد شيّدوها لمليكنهم

٤٥٠

بجذوع أشجار الصنوبر، وغطوا سقفها

بأعداد كبيرة من الغاب، التي تم جمعها من المروج،

ومن حولها أقاموا فناءً كبيراً لمليكنهم

بأوتاد سميكة. كان للباب مزلاج واحد

من الصنوبر، وكان ثلاثة من الآخيين يجرونه لإغلاقه،

(*) أرجوس المقصودة هنا هي أرجوس البلاسية في نيساليا. (البحر)

- ٤٥٥ وثلاثة آخرون يفتحون المزلاج الضخم،
أما أخيليوس فكان يحركه بمفرده.
وهنا قام الإله المستعان، هرميس، بفتحه للشيخ الأشيب،
وقام بحمل الهدايا النفيسة إلى ابن بيليوس، سريع القدمين،
ثم هبط بعد ذلك من فوق العربة على الأرض وقال:
- ٤٦٠ "أيها الشيخ المسن، لقد أتيتك، أنا الإله الخالد
هرميس، بعد أن طلب منى أبي أن أكون لك مرشدًا في الطريق.
أما الآن فسوف أعود أدراجي، ولن أظهر أمام
عيني أخيليوس؛ فربما يكون أمرا سيئا
أن يستقبل بشر فانون إليها خالداً وجهًا لوجه.
- ٤٦٥ أما أنت، فتعلق بركبتي ابن بيليوس بمجرد دخولك،
ثم توسل إليه بحق والده ووالدته ذات الخصلات الجميلة،
وأیضا بحق ولده، حتى تحرك مشاعره".
وبعدما انتهى هرميس من حديثه، عاد إلى الأوليمبوس
الشاهق وعندئذ قفز برياموس من فوق العربة إلى الأرض،
وقد ترك إيدايوس هناك. فضل رابضا فيها ممسكا
٤٧٠ بالخيول والبغال، أما الشيخ المسن فقد دخل مباشرة إلى المنزل،
حيث اعتاد أخيليوس، حبيب زيوس، أن يجلس،
فوجده. أما رفاقه فكانوا يجلسون بعيدا عنه، فيما عدا اثنين فقط:
وهما المحارب أوتوميدون، وألكيموس سليل آريس،
٤٧٥ حيث كانا منهماكين في خدمته، وكان قد انتهى لتوه من
الطعام والشراب، ومازالت المائدة ممدودة أمامه.
أما برياموس العظيم فقد دخل دون أن يراه أحد، ووقف على مقربة من
أخيليوس، ثم احتضن ركبتيه بيديه الاثنتين، ثم قبّل تلك اليدين
المرعبتين قاتلة الرجال، التي أودت بحياة العديد من أبنائه.

- ٤٨٠ ومثلما تحل اللعنة القاضية برجل ما، فيقتل رجلا آخر
 فى وطنه، ثم يهرب إلى بلد أجنبى
 ويلجأ إلى منزل رجل ثرى، فتتملك الدهشة كل من يراه.
 هكذا أصيب أخيليوس بالدهشة عندما رأى برياموس، شبيه الآلهة؛
 وهكذا أصيب الآخرون بالدهشة، وأخذ كل منهم ينظر إلى الآخر،
 وعندئذ خاطبه برياموس، متوسلا، وقال:
- ٤٨٥ "ياشبيه الآلهة، أخيليوس، تذكر والدك،
 فهو معمر مثلى، وعلى عتبات شيخوخته المضنية.
 من يدرى فربما كان القاطنون حوله، والمحيطون به
 يزعمونه، ولم يجد أحدا ليدرأ عنه السوء والفناء.
 ولكنه على الأقل، عندما يسمع أنك مازلت حيا
 ينشرح صدره، ويأمل فى كل يوم
 أن يرى ولده الحبيب عائدا من طروادة.
 أما أنا فتعس، سيئ الحظ، فقد أنجبت أفضل الأبناء
 فى طروادة الفسيحة، وأقول لك إن أحدا لم يبق لى منهم.
 لقد كان لى خمسون من البنين عندما حضر أبناء الآخيين.
 ٤٩٥ تسعة عشر منهم من رحم واحد،
 أما الآخرون فقد أنجبتهم لى نساء أخريات داخل القصر.
 كثيرون الذين حلّ آريس المجنون ركبهم.
 وترك لى فقط، الذى كان يحمى المدينة، ورجالها،
 فقد أرديته قتيلاً أنت حديثاً، وهو يدافع عن وطنه.
 ٥٠٠ إنه هيكتور. فمن أجله أتيت الآن إلى سفن الآخيين،
 كى أفتديه منك؛ وقد أحضرت معى فدية كبيرة لا تعد ولا تحصى.
 خاف الآلهة، أى أخيليوس، وأشفق علىّ
 عندما تتذكر والدك، فأنا أهل للشفقة أكثر منه، إذ تحملت مالا
 يتحمله شخص آخر من البشر الفانين على وجه الأرض،
 ٥٠٥

بأن أقبل يد من قتل أبنائى".

هكذا تحدث، فاستثار أحزان (أخيليوس) ليكى والده. وأمسك بيد الشيخ الهرم، ونحاه برقة جانباً. ثم أخذاً يستعيدان الذكريات الحزينة: أحدهما يتذكر هيكتور، قاتل الرجال،

٥١٠ وأجهش بالبكاء وهو ينحنى على قدمى أخيليوس.

أما أخيليوس فكان يبكى تارة والده، وتارة أخرى باتروكلوس. فعلاً النحيب بشدة عبر حجرات الخيمة. ولكن عندما أخذ أخيليوس الإلهى كفايته من البكاء، وذهب الحنين عن نفسه وعن كل أعضاء جسده،

٥١٥ نهض فى التو من مقعده ورفع الشيخ المسن من يده.

فقد أشفق على شبيبة رأسه وعلى لحيته البيضاء، ثم خاطبه بكلمات مجنحة، قائلاً:

"آه، أيها التعس، لقد كابدت الكثير من الآلام!

كيف تحملت الحضور إلى سفن الأخيين بمفردك، فى مواجهة الرجل الذى فتك بالكثيرين من أبنائك البواسل؟ لك قلب من حديد.

٥٢٠

ولكن هيا إذن واجلس على المقعد، ولندع أحزاننا تهدأ داخل قلوبنا، على الرغم من الألم المرير. فلا طائل من ذلك البكاء المدمر.

٥٢٥

هذا هو ما قدرته الآلهة للبشر التعساء،

بأن يعيشوا فى ألم مرير، بينما هم أنفسهم بلا آلام.

فعلى عتبات معبد زيوس توجد جرتان كبيرتان مليئتان بالهدايا، إحداهما مليئة بالخير، والأخرى بالشر.

فأى امرئ يمنحه زيوس، المتمتع بالصاغة، هداياه المختلطة

٥٣٠

فتارة يصطدم بالشر، وتارة أخرى ينعم بالخير

- أما من يمنحه مصير الأحران، يجعله محط احتقار،
يطارده الجوع المفترس فوق الأرض المقدسة،
يهيم على وجهه دون اكتراث من الآلهة أو البشر.
فهكذا منحت الآلهة بيليوس الهدايا المجيدة
منذ ولادته، فقد فاق كل البشر
في الازدهار والثراء. وصار ملك الميرميدونيين.
ثم اختاروا إلهة زوجة له، مع أنه إنسان فإن.
ومع ذلك فقد أصابه الإله بسوء، فلم
ينجب في قصره ذرية من الأبناء ليخلفوه على العرش،
ولكنه أنجب طفلاً واحداً حدد له أجل مبكر، لم يعد بوسعى
أن أرعاه وهو يتجه للشيوخة، لأنى بعيد عن أرض الوطن،
فى طروادة. حيث تسببت فى إيذائك وفى إيذاء أبنائك.
وأنت أيها الشيخ، لقد سمعنا من قبل أنك كنت من المحظوظين،
إذ كانت لك ليسبوس، موطن ماكار^(*) الممتدة تجاه البحر
غير المحدود. وأيضا فريجيا الممتدة فوق البر؛ وكذلك
هيليسبونطوس. يقولون إنك، أيها الشيخ الهرم، تفوقت على الجميع
فى الثراء، وفى الأبناء. ولكن منذ أن أصابك أهل السماء بالخراب
فصارت المعارك تحيط بالمدينة من كل جانب، وكذلك قتل الرجال،
فلتحمّل إذن، ولا تتقل قلبك بأحزان لا نهاية لها.
قلن تجنى شيئاً من حزنك الشديد على ولدك،
ولن تعيده مرة أخرى إلى الحياة، ولكنك ستعاني شروراً أخرى".
عندئذ أجابه الشيخ المسن، شبيه الآلهة، برياموس، قائلاً:
"لا لا تدعنى أجلس على مقعد، ياربيب زيوس،
طالما كان هيكتور ممددا بين الخيام دون عناية، بل اعتقه بسرعة،

(*) هو فى الغالب ملقرت الفيقي، راجع المقدمة. (المحرر)

٥٥٥ حتى أراه بعيني هاتين، ولتقبل فديته الكبيرة
التي أحضرناها إليك، ولتسعد بها، ثم تعود
إلى أرض وطنك، بعد أن تكون قد أبقيت على
حياتي وتركتي أرى ضوء الشمس".

فنظر إليه أخيليوس، سريع القدمين، بحدة وقال له:

٥٦٠ "لا تستر غضبي أكثر من ذلك، أيها الشيخ الأشيب، وأنا نفسى
أنوى أن أعتق هيكتور؛ إذ وصلنى رسول من زيوس،
أمى نفسها، التى أنجبتنى، ابنة شيخ البحر المسن.

لقد تعرفت عليك، أى برياموس، ولم يغب عن ذهنى
أن أحد الآلهة قد أتى بك إلى سفن الأخيين السريعة،

٥٦٥ فلم يستطع بشرى من قبل أن يصل إلى حشد جيشنا، حتى وإن
كان أكثر شابا وقوة منك. ولم يكن ليفلت من الحراس،
وما كان له أن يسحب بسهولة مزلاج بوابتنا.

ولذلك فلا تثر فى نفسى الأحران،

وإلا فلن أبقىك حيًا، أنت نفسك بين خيامنا أيها الشيخ الأشيب،

٥٧٠ حتى وإن كنت متضرعا، ولو كان فى ذلك ما يخالف أوامر زيوس".

قال ذلك، فارتعدت فرائص الشيخ الأشيب وأطاع أمره.

وعندئذ قفز ابن بيليوس كالأسد متجها صوب الباب إلى خارج الخيمة،
لم يكن بمفرده، ولكن تبعه اثنان من مرافقيه:

وهما المحارب أوتوميدون وألكيموس، اللذان

٥٧٥ يكرهما أخيليوس أكثر من رفاقه الآخرين، بعد وفاة باتروكلوس.

ففكوا الخيول والبغال من النير،

ثم اقتادوا التابع منادى الشيخ المسن للداخل.

وأجلسوه على أحد المقاعد. ومن العربة ذات الإطارات الجميلة

حملوا فدية رأس هيكتور التى لا تعد ولا تحصى.

- ٥٨٠ وتركوا بها عباةتين وثوبًا جميلًا مغزولاً بمهارة،
حتى يتم تكفين الجثمان بها قبل إعادته إلى منزله. ثم استدعى
(أخيلئوس) بعض الإماء وأمرهن بغسله ودهنه من كل جانب،
بعد حمله إلى مكان بعيد، حتى لا يرى برياموس ولده،
فقد لا يستطيع السيطرة على غضبه، من شدة حزنه،
عندما يرى ولده، مما قد يثير حنق أخيلئوس عليه
فيقتله، مخالفًا أوامر زيوس.
- ٥٨٥ وبعدها انتهت الإماء من غسله ودهنه بالزيت،
غطين جسده كاملاً بالعباءة الجميلة وبالثوب،
ورفعه أخيلئوس نفسه، ووضعوه فوق النعش الخشبي.
وعندئذ قام رفيقه برفع النعش ووضعوه فوق العربة المزركشة جيدًا.
- ٥٩٠ ثم شرع بعد ذلك في البكاء، ونادى رفيقه الحبيب بالاسم قائلاً:
"أى باتروكلوس، لا تغضب منى إذا علمت
وأنت فى هاديس أننى قد أعدت هيكتور الإلهى
إلى والده العزيز، وأن الفدية لم تكن كما ينبغي،
فلسوف أنقاسمها معك، وأمنحك منها كل ما أنت جدير به".
- ٥٩٥ ثم عاد أخيلئوس الإلهى مرة أخرى إلى داخل خيمته،
وجلس على مقعده الوثير رائع الصنع، ثم نهض مرة أخرى
وجلس بجوار الحائط المقابل، وتحدث إلى برياموس قائلاً:
"أيها الشيخ الأشيب، لقد أخليت سبيل ولدك كما طلبت،
وهو الآن ممدد فوق النعش الجنائزى. ومع ظهور أول ضوء للفجر
ستراه بنفسك وتحمله معك. أما الآن فدعنا لا ننسى العشاء.
فحتى نيوبى^(*)، ذات الخصلات الجميلة، لم تنس الطعام،

(*) هذه هي الإشارة الوحيدة عند هومروس لأسطورة نبوي التي وردت كثيرًا في أشعار الإغريق والرومان وترددت أصداؤها في الآداب الأوربية الحديثة. (المحرر)

- تلك التي قُتِلَ لها اثنا عشر من أبنائها داخل قصرها،
ست من البنات، وستة من البنين في ريعان الشباب،
٦٠٥ قتل أبوللون الأبناء بقوسه الفضى
بسبب غضبه من نيوبى، أما البنات فقتلتهن أرتميس رامية السهام.
لأن نيوبى تباغت بنفسها أمام ليتو، ذات الوجنتين الجميلتين.
وعيرتها بأنها قد أنجبت طفلين توأمًا فقط، بينما أنجبت هي الكثير.
ولذا فعلى الرغم من أنهما اثنان فقط إلا أنهما قتلا كل أبنائها.
٦١٠ وظلوا لمدة تسعة أيام ممددين على الأرض، غرقى في دمائهم،
فلم يكن هناك من يقوم بدفنهم، حيث حول ابن كرونوس الناس جميعا
إلى حجارة^(*). وفى اليوم العاشر قامت آلهة السماء، بدفنهم،
وأما هي فلم تتس الطعام، حيث أنهكتها غزارة دموعها.
وهي الآن بين الصخور، فى جبل معزول،
٦١٥ فى سيبيلوس، حيث يقولون إنه مخدع الإلهات العرائس اللاتى
حول أخيلويوس. لقد تحولت إلى حجر بفضل الآلهة، وهى هناك
تتأمل أحزانها المرسلة من قبل الآلهة. ولكن هيا إذن، أيها الشيخ
القدير، دعنا لا ننسى نحن أيضا الطعام، وبعد ذلك يمكنك البكاء مرة
أخرى على ولدك الحبيب، بينما تحمله معك إلى إليوس،
٦٢٠ فسوف تتهمر منك دموع غزيرة".
قال ذلك، ثم نهض أخيلويوس السريع ونحر شاة بيضاء،
وتولى رفاقه بعد ذلك سلخها وإعدادها كما ينبغي، وذلك بتقطيعها
بمهارة شديدة إلى شرائح صغيرة، ثم تمريرها فى الأسياخ،
ثم قاموا بشيها بعناية فائقة، وحملوها بعيدا عن النار.
٦٢٥ ثم أخذ أوتوميديون الخبز ووزعه على المائدة
فى سلال جميلة. أما أخيلويوس فوزع قطع اللحم.

(*) يربط بعض المدارس بين كلمة "الشعب" laos فى اللغة الإغريقية وكلمة "الحجر" laas. (الخرر)

- وعندئذ بدأ كل منهم يمد يده للطعام والشراب المصفوف أمامهم.
وعندما امتلأت بطونهم، ولم تعد لديهم رغبة في المزيد من طعام
أو شراب، أبدى برياموس، سليل داردانوس، إعجابه بأخيليوس،
٦٣٠ وكم كان طويلاً ووسيمًا، كما لو كان من الآلهة.
أما أخيليوس فقد أبدى هو الآخر إعجابه ببرياموس، سليل داردانوس،
برؤية مظهره النبيل، والاستماع إلى كلماته.
وبعدما أشبع كل منهما عينيه برؤية الآخر،
تحدث الشيخ الهرم، شبيه الآلهة، برياموس أولاً، وقال:
٦٣٥ "دعنى أسترح الآن، وفى التو، ياربيب زيوس،
كى ننام، ونسعد بنوم هانىء،
فحتى الآن لم تغفل عيناي داخل جفونى
منذ أن لقي ولدى مصرعه على يدك.
فأنا أبكيه باستمرار، ولكنى أكتم أحزاني العديدة والمريرة،
٦٤٠ متمرغا فى الأحوال، فى حظيرة المنزل.
أما الآن فقد تناولت الطعام، ودفعت بالنبيذ المتقد
داخل جوفى، ومنذ وقت طويل لم أكن قد ذقت شيئاً من الطعام".
وهكذا، وعندما انتهى من حديثه، أمر أخيليوس رفاقه
وبعض الإماء أن ينصبوا أسرة خشبية فى القاعة، وأن يغطوها
٦٤٥ بأغطية أرجوانية جميلة، وأن يفرشوا فوقها مفروشات صوفية.
فخرجت الإماء إلى القاعة، ممسكات فى أيديهن بالمشاعل،
وفى التو أعددن، فى خفة وبسرعة، سريرين.
وعندئذ، ابتسم أخيليوس، سريع القدمين، وخاطبه قائلاً:
٦٥٠ "فلتسترح بالخارج، أيها الشيخ العزيز، فربما يأتى
أحد المستشارين من الآخيين، الذين يبقون دائماً
على مقربة منى، ويسألونى المشورة، كما هى العادة،

فإذا ما رآك أحدهم فى تلك الليلة المنصرمة بسرعة، حالكة السواد،
فسوف يخبر فى الحال أجاممنون، راعى الشعوب،
ومن ثم فقد يرجىء تسليم الجثمان.

٦٥٥

ولكن هيا إذن وقل بصدق وأخبرنى
كم من الأيام تتوى أن تقيم فيها مراسم دفن هيكتور الإلهى،
حتى أنتظر أنا نفسى، وأمسك بالجيش عنك".

فأجابه الشيخ الهرم، شبيه الآلهة، برياموس قائلاً:

٦٦٠

"لو أنك ترغب حقاً أن أقيم مراسم دفن لهيكتور الإلهى،
فسيتفق هذا مع رغبتى، أى أخيليوس، أنت تعرف
بأننا محاصرون فى المدينة، وأن الأخشاب على مسافة بعيدة
كى نحملها من الجبل، كما أن الطرواديين خائفون بشدة.
تسعة أيام إذن كى نبكيه فى القصر،

٦٦٥

وفى اليوم العاشر نقوم بدفنه، ثم تقام وليمة جنازية،
وفى الحادى عشر نهيل عليه قبراً من التراب،
أما فى اليوم الثانى عشر فسوف نعود للقتال، إذا دعت الضرورة".

وعندئذ خاطبه أخيليوس الإلهى، سريع القدمين، قائلاً:

٦٧٠

"لك ذلك إذن، أيها الشيخ الأشيب برياموس، وكما طلبت؛
فسوف أوقف القتال طوال المدة التى تحتاجها".

وبعدما انتهى من حديثه، أمسك بمعصم يمنى

الشيخ المسن، خشية أن يكون فى قلبه بعض الخوف،
وهكذا نام كلاهما، التابع وبرياموس، فى القاعة الأمامية للخيمة،
تدور بخلدهما أفكار حكيمة.

٦٧٥

أما أخيليوس فنام فى حجرته فى عمق الخيمة المنيفة،
وبجواره ترقد بريستيس، ذات الوجنتين الجميلتين.

كان الآلهة الآخرون، وكذلك الرجال، مقاتلو العربات الحربية

ينامون طوال الليل، فقد استسلموا للذة النوم،
 فيما عدا هرميس، الإله المستعان، الذي لم يغلبه النعاس،
 ٦٨٥ فقد كان يفكر بأمعان كيف يرشد الملك برياموس
 بعيداً عن السفن، دون أن يرمقه حراس البوابات العتاة.
 وعندئذ وقف فوق رأس (برياموس) وقال له:

"أيها الشيخ المسن، لا يشغل بالك أى سوء قد يصيبك وأنت
 ترقد هنا وسط الأعداء، فقد أنقذك أخيليوس.

٦٨٥ أما وقد افتديت الآن ولدك الحبيب بتقديم الكثير من الهدايا،
 فمن أجلك أنت سيقدم أبناؤك، الذين تركتهم خلفك،
 ثلاثة أضعاف ما قدمت فدية، إذا ما تعرف عليك أجاممنون
 بن أتريوس، أو تعرف عليك كل الآخيين".

قال ذلك، فارتعدت فرائص الشيخ الأسيب، وأيقظ تابعه
 ٦٩٥ وأعد لهما هرميس الخيول والبغال،

وقادها بنفسه مسرعاً عبر المعسكر، دون أن يظن إليهم أحد.
 ولكن ما أن بلغوا مخاضة النهر جميل الانسياب،
 نهر كسانثوس ذى الدوامات، الذى أنجبه زيوس الخالد،
 رحل هرميس إلى قمة الأوليمبوس الشاهق؛

٦٩٥ فى حين انتشرت إيوس ذات الرداء الزعفرانى على وجه الأرض كافة.
 أما هما فساقا الخيول صوب المدينة فى نحيب وبكاء؛
 وكانت البغال تحمل الجثمان. فى البداية لم يظن إليهم
 أى من الرجال أو النساء ذوات النطاق الجميل،
 فيما عدا كاساندرأ، شبيهة أفروديتى الذهبية.

٧٠٠ فقد صعدت إلى برجاموس، ورأت والدها الحبيب
 واقفا فى العربية، وكذلك تابعه منادى المدينة؛ كما رأت أخاها ممددا
 فوق النعش الجنائزى على العربية التى تجرها البغال، وعندئذ أطلقت

- صرخة عويل حادة فبلغت صيحتها كل أرجاء المدينة، قائلة:
 "هلموا، أيها الطرواديون، وأيتها الطرواديات، وشاهدوا هيكتور،
 ٧٠٥ واسعدوا كما لو كان عائداً من المعركة حياً،
 فقد كان الفرحة الكبرى للمدينة وللناس أجمعين".
- قالت ذلك، فلم يبقَ رجل واحد أو امرأة داخل
 المدينة؛ فقد غشيهم جميعاً حزن لا يحتمل،
 وتقابلوا بالقرب من البوابة مع حامل الجثمان.
- ٧١٠ وكانت زوجته الحبيبة وأمه الرؤوم سباقتين، وألقت كل منهما
 بنفسها فوق العربة ذات العجلات الجميلة، وهي تمزق شعرها وتولول،
 ويلمسان رأسه؛ والناس من حولهما يتدفقون ويبكون.
 وكادوا يستمرون هكذا طوال اليوم وحتى غروب الشمس
 وهم يذرفون الدمع أمام البوابة من أجل هيكتور.
- ٧١٥ لولا أن وجّه الشيخ الهرم حديثه للناس من فوق العربة قائلاً:
 "أفسحوا الطريق لى وللبال حتى نستطيع المرور للداخل ،
 ثم بعد ذلك فلتشبعوا رغبتكم فى البكاء، بعدما أحمله إلى داخل المنزل".
- قال ذلك، ففتحوا قليلاً على الجانبين مفسحين الطريق للعربة.
 وحمله الآخرون إلى داخل القصر المجيد، ثم وضعوه
 ٧٢٠ فوق سرير مربوط بحبال، ووضعوا بجواره المنتشدين
 قائدى المرثيات، ليقودوا النشيد الجنائزى وشرعوا يتغنون
 بالترانيل الجنائزية، وبدأ النساء يولولن. ومن بينهن
 كانت أندروماخى، ذات الذراع الأبيض، إذ قادت الأغنية الحزينة،
 ممسكة بيديها رأس هيكتور قاتل الرجال قائلة :
- ٧٢٥ "زوجى، رحلت عن هذه الحياة شاباً، وتركتنى
 أرملة فى هذا القصر؛ وابنك مازال فى المهد صغيراً،
 ذلك الذى أنجبناه، أنا وأنت، نحن التعساء، ولا أظن

- أنه سيصل إلى مرحلة الشباب. فتلك المدينة ستكون قد هلكت
 عن آخرها قبل ذلك الحين، إذ هلكت أنت، يا من
 كنت تدافع عنها، وتحمى نساءها النبيلات وأطفالها الصغار
 ٧٣٠ اللاتي سرعان ما سيحملن في السفن المجوفة،
 وأنا معهن. أما أنت، يا بُنى، فيما أنك
 ستتبعنى إلى هناك، حيث تقوم بأداء الأعمال الوضيعة
 تحت إمرة سيد لا يرحم؛ أو أن أحد الأخيين
 سيقتذف بك، قابضًا على يدك، من فوق البرج إلى حتفك المفجع،
 ٧٣٥ وقد تملكه الغضب لأن هيكتور كان قد قتل له من قبل أخًا،
 أو أبًا أو ابنًا. فالعديد من الأخيين قد عضوا بأسنانهم تراب
 هذه الأرض الفسيحة، بعد أن قضت عليهم يدا هيكتور.
 فلم يكن أبوك لين الجانب في القتال الفتاك.
 ٧٤٠ ولذلك فإن الناس يبكونه في كل أرجاء المدينة.
 أى هيكتور؛ لقد جعلت والديك يبكاءً مريراً، وينتحبون بشدة،
 ولم يبق لى سوى الآلام المبرحة،
 لأنك لم تمد لى يديك وأنت ممدد فوق النعش،
 كما لم تقل لى أية كلمة حكيمة، أمعن التفكير فيها
 ٧٤٥ ليل نهار، وأنا أذرف فيها الدمع عليك".
- قالت ذلك وهى تبكى، بينما كانت النساء الأخريات يولولن بشدة.
 ومن بينهن أخذت هيكاى دورها وقادت أغنية الحزن المفجع، قائلة:
 "أى هيكتور، يا أعز على قلبى من كل أولادى،
 ٧٥٠ كنت فى حياتك حبيب الآلهة، وهم الآن يحيطونك بعنايتهم فى موتك.
 فأخيلوس سريع القدمين من قبل باع أولادًا لى آخرين،
 أسرهم فى البحر الهائج وباعهم عبيدًا،
 فى جزيرة ساموس، وفى إمبروس، وأيضاً فى ليمنوس، كثيفة الضباب.
 أما أنت فقد سلبك حياتك بسيفه البرونزى ذى الحد الطويل البتار،

- ٧٥٥ ثم جر جسدك لمرات عديدة حول كومة الدفن المقامة لصديقه باتروكلوس، الذى قتلته من قبل. ولكن ذلك لم يعده للحياة، والآن ترقد ممددا داخل القصر بجسدك النضر، غير المشوه، كمن قد أرداه قتيلاً أبوللون، حامل القوس الفضى، بسهامه الرقيقة".
- ٧٦٠ قالت ذلك وهى تبكى، وصرخت صرخة حزن لا ينتهى.
ثم واصلت هيلينى قيادة الأغنية الحزينة حيث قالت:
"أى هيكتور، يا أعز على قلبى من كل إخوة زوجى،
حقاً، إن زوجى هو ألكسندروس، شبيه الآلهة،
الذى أحضرنى إلى طروادة؛ وليتنى كنت قد فنيته قبل ذلك،
فقد أمضيت الآن عشرين عاماً^(٥) منذ ذلك الحين
الذى رحلت فيه من هناك وغادرتُ وطنى.
ولم أسمع منك كلمة مشينة أو مهينة قط.
وإذا ما لامنى شخص آخر داخل القصر، سواء كان من
إخوة زوجى أو أخواته، أو من زوجات إخوته بملابسهن الجميلة،
أو أمك - أما أبوك فهو مثل والدى رقيق الحال معى دائماً -
فإنك بحديثك معه، وكذلك بأسلوبك الرقيق،
وكلماتك العذبة تجعله يتراجع ويهدأ.
ولهذا فأنا أبكيك، كما أبكى على نفسى، سيئة الحظ، بقلب حزين.
فلم يعد لى بعد ذلك فى طروادة الفسيحة شخص آخر
لطيف أو عزيز، لأنهم جميعاً يفرعون منى".
- ٧٧٥

(٥) هذه هى الإشارة الوحيدة فى أشعار هوميروس للرواية الأسطورية المدهشة وفحواها أن الإغريق بعسد خطف هيلينى قاموا بحملة فاشلة حيث رست سفنهم فى ميسيا بدلاً من طروادة عن طريق الخطأ فعادوا إلى بلادهم. وبعد عشر سنوات حشدوا أساطيلهم وقاموا بالحملة التى تتحدث عنها "الإلياذة". وهذه الرواية الأسطورية الغريبة غير المعروفة ولكنها تنفق وما جاء فى "الإلياذة" الكتاب التاسع عشر يت ٣٢٧ من أن أخيلوس كان له ابن شاب يدعى نيوبوليموس. وهذه التقاسيم الزمنية المتقابلة فى الأسطورة تفتح مجال الشك فى علاقتها بالحقائق. فالاستعداد للحرب أخذ تسع سنوات ووقع الهجوم فى العاشرة. وحصار طروادة استمر تسع سنوات وأحرقت فى العاشرة. وبعدها تاه أوديسوس فى طريق العودة إلى وطنه إيثاكي تسع سنوات ووصل فى السنة العاشرة. (الحرر)

قالت ذلك وهى تبكى، بينما كانت جموع الناس بلا عدد تتأوه.
بعد ذلك تحدث الشيخ المسن برياموس فى الناس قائلًا:

"والآن، أيها الطرواديون، أحضروا الأخشاب إلى المدينة، ولا
تخشوا على أنفسكم من أى كمين يعده لكم الأرجيون، فأخيلوس
قد تعهد لى، عندما تركنى أعود من السفن السوداء،
بأنه لن يقدم على أى عمل سييء قبل حلول فجر اليوم الثانى عشر".

٧٨٠

قال ذلك، فقاموا يربط الثيران والبغال معا

فى نير العربة، ثم تجمعوا بعد ذلك مسرعين أمام أبواب المدينة،
وظلوا طوال تسعة أيام يجمعون كميات ضخمة من الأخشاب،
وعندما لاح فجر اليوم العاشر، ناشرا ضيائه على كل البشر،
عندئذ حملوا جثمان هيكتور الباسل، وهم يذرفون الدمع الغزير،
ووضعوه فوق قمة المحرقة، ثم أشعلوا فيها النيران.

٧٨٥

وعندما ظهرت إلهة الفجر إيوس ذات الأصابع الوردية،

استيقظ الناس جميعا، والتفوا حول محرقة هيكتور المجيد،
وبعدما تجمعوا والتأم شملهم جميعا، أطفأوا نيران المحرقة
بالنبيذ المتقد، حتى تمت السيطرة على جذوة اللهب،
ثم بدأ أشقاؤه ورفاقه يجمعون العظام البيضاء،
وهم يبكون حتى سال الدمع الغزير على وجناتهم (كالأنهار).
أخذوا تلك العظام ثم وضعوها فى وعاء ذهبى.

٧٩٠

وغطوه بالرداء الأرجوانى الناعم ودفنوه فى قبر مجوف، ومن فوقه
وضعوا أحجارًا كبيرة بأعداد كثيرة، ثم أقاموا كومة الدفن؛
ومن حوله انتشر الحراس يراقبون المكان من كل اتجاه،
حتى لا يغير عليهم الآخيون، لابسو الدروع المتينة قبل الآوان.

٧٩٥

وبعدما انتهوا من إقامة كومة الدفن، عادوا أراجهم، ثم
تجمعوا فى صفوف متراسة، والتفوا جميعا حول وليمة جنازية كبيرة
فى قصر الملك برياموس، ربيب الآلهة.

٨٠٠

وكانت تلك هى مراسم دفن هيكتور، مروض الخيول.

٨٠٤





Η ΤΟΥ ΟΜΗΡΟΥ ΙΑΙΑΣ

عندما ظهرت الطبعة الأولى عام ٢٠٠٤ تلقفتها الحياة الثقافية المصرية والعربية بحفاوة منقطعة النظير. فلا يستطيع أحد أن يحصر حصراً دقيقاً أو جامعاً مانعاً ما كتب عن هذه الطبعة في الصحافة اليومية والمجلات الثقافية، ناهيك عن الإذاعة المسموعة والمرئية، وذلك على امتداد الوطن العربي من المحيط إلى الخليج. ولعل أهم ما تدل عليه هذه الأصداء واسعة النطاق في الحياة الثقافية المصرية والعربية هو أن حياتنا الثقافية تتعطش بالفعل للكلاسيكيات ولكل المترجمات المتخصصة والدقيقة ذات الصياغة الأدبية المستساغة. يضاف إلى ذلك أن ترجمة "الإلياذة" كانت تمثل تحدياً ثقافياً مزمناً في التراث العربي.

وإذ يعيد المركز القومي للترجمة نشر هذا السفر الأدبي النفيس، فإنه يأمل أن يلبي تطلعات المهتمين والباحثين والقراء العرب إلى مزيد من التواصل مع تراث الإبداع الإنساني الخلاق.

